الجزء الاول من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن
علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم
ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

وبهامشه التاريخ المسمى باخبار الدول وآثار الاول للعلامة الفاضل
أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني وغيره

فكان الطالب اذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج الى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الاخلال والاملال فلما رأيت الامر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لاخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لي اراجعه خوف النسيان وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضا الى وقتنا هذا ولا أقول اني أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ فان من هو بالموصل لا بد أن يشذ عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب ولكن أقول اني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد ومن تأمله علم صحة ذلك فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الامام أبو جعفر الطبري اذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف اليه فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عدد كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت اليها من غيرها ما ليس فيها وأودعت كل شيء مكانه فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ما تراه فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها الى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه ووضعت كل شيء منها موضعه الا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لم أضف الى ما نقله أبو جعفر شيأ الا ما فيه زيادة بيان أو اسم انسان أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله وانما اعتمدت عليه من بين المؤرخين اذ هو الامام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا على اني لم أنقل الا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ويذكرون منها في كل شهر أشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر فجمعت انا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فاما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فانني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فاقول ذكر عدة حوادث واذا ذكرت بعض من نبغ وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه فاني أذكر جميع حاله من أوله الى آخره عند ابتداء أمره لانه اذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به وذكرت في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء والاعيان والفضلاء وضبطت الاسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الاشكال ويغني عن الانقاط والاشكال فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث تجددت وقواطع توالت وتعددت ولان معرفتي بهذا النوع كملت وتمت ثم ان نفرا من اخواني وذوي المعارف والفضائل من خلاني ممن أرى محادثتهم نهاية أوطاري أعدهم من اماثل مجالسي وسماري رغبوا الي في ان يسمعوه مني ليرووه عني فاعتذرت بالاعراض عنه وعدم الفراغ منه فانني لم أعاود مطالعة مسودته ولم اصلح

في خلق الجن والشياطين وذكر ابليس اللعين (الفصل الرابع) في ذكر الارضين وسكانها وما ورد في قطانها (الفصل الخامس) في خلق السموات وآثار العلويات (الفصل السادس) في معنى النبوة والرسالة وما ورد في حرف الانبياء وأقلامهم من المقالة وعدد النبيين وتفاوت ما بينهم من السنين (الفصل السابع) في ذكر تراجم الابواب المظهرة لاسرار الكتاب

(الفصل الاول في بيان معنى التاريخ وموضوعه وما أرخه الناس قبل الهجرة وشاركوا به)

اعلم ان علم التاريخ هو الاخبار عن الكائنات السابقة في العالم والحادثات سواء عهد حالها أو تقادم فهو السبيل الى معرفة أخبار من مضى من الامم وكيف حل بالمعاند السخط والغضب فآل أمره الى التلف والعطب وكشف عورات الكاذبين وتمييز حال الصادقين ولا يخفى حكاية اليهود لما أظهروا كتابا وزعموا انه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة جماعة من الصحابة رضي الله عنهم من كل قبيل فاذا هم قد كتبوا فيه شهادة سعد بن أبي وقاص ومعاوية بن أبي سفيان فظهر بذلك كذبهم لان فتح خيبر كان سنة سبع وسعد رضي الله عنه مات يوم قريظة قبل خيبر بسنتين ومعاوية انما أسلم في عام الفتح وامثال ذلك أكثر من أن تحصر ولا يجهل نفعه الا ساقط الهمة جامد القريحة بليد الذهن ردي الطبع ولولا التواريخ لماتت معرفة الدول بموت ملوكها وخفي عن الاواخر عرفان حال الاول وسلوكها وما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم فلا أول لوجوده الدائم الكريم فلا آخر لبقائه ولا نهاية لجوده الملك حقا فلا تدرك العقول حقيقة كنهه القادر فكل ما فى العالم من أثر قدرته المقدس فلا تقرب الحوادث حماه المنزه عن التغيير فلا ينحو منه سواه مصرف الخلائق بين رفع وخفض وبسط وقبض وابرام ونقض واماتة واحياء وايجاد وافناء واسعاد واضلال واعزاز واذلال يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير مبيد القرون السالفة والامم الخالفة لم يغنهم منه ما اتخذوه معقلا وحرزا فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا بتقديره النفع والضر وله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين أحمده على ما أولى من نعمه وأجزل للناس من قسمه وأصلى على رسوله محمد سيد العرب والعجم المبعوث الى جميع الامم وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظلم صلى الله عليه وعليهم وسلم ❋ امابعد ❋ فانى لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثرا للاطلاع على الجلى من حوادثها وخافيها مائلا الى المعارف والآداب والتجارب المودعة فى مطاويها فلما تأملتها رأيتها متباينة فى تحصيل الغرض يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات وسود كثير منهم الاوراق بصغائر الامور التى الاعراض عنها اولى وترك تسطيرها أحرى كقولهم خلع فلان الذمى صاحب العيار وزاد رطلا فى الاسعار وأكرم فلان وأهين فلان وقد أرخ كل منهم الى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه وأضاف المتجددات بعد تاريخه اليه والشرقى منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب والغربى قد أهمل أحوال الشرق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على تصاريف العبر عند سماع التواريخ والسير وصلى الله على أشرف البدو والحضر محمد سيد البشر وعلى آله وصحبه الميامين الغرر ❋(أما بعد)❋ فلما كان فى التواريخ والسير عبرة لمن اعتبر وتنبيه لمن افتكر واعلام ان قاطن الدنيا على سفر واحضار لصورة حال من مضى وعبر كيف قدر واقتدر ونهى وأمر وغلب وقهر وجمع وادخر ان فى ذلك لعبرة لمن اعتبر وتذكرة لمن اذكر وتبصرة لمن تبصر رأيت ان أجمع عن نقلة الاخبار وحملة الآثار تلخيص سير الاولين من الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وأخبار الامم الماضية والقرون الخالية وما فى الدنيا من العجائب وما أودع الله فيها من الغرائب (وسميته) أخبار الدول وآثار الاول ليكون اسما يوافق مسماه ولفظا يطابق معناه ومن الله استمد الصواب واستغفره من الخطا فى الخطاب والجواب وأسأله الاتمام على أحسن نظام وانظام بحرمة نبيه وصفيه صفوة الانبياء وخير الانام وهو حسبى ونعم الوكيل وقد جعلته مشتملا على مقدمة وخمسة وخمسين بابا (أما المقدمة) فهى محتوية على سبعة فصول (الفصل الاول) فى بيان معنى التاريخ وموضوعه وما أرخه الناس قبل الهجرة وشاركوا به (الفصل الثانى) فى بداية المخلوقات وأولية المنشآت (الفصل الثالث) فى كان

الاعداء وخاصوابها من المهالك واستصانوا انفائس المدن وعظيم الممالك ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث امر الا قد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لان يقتدى به اهلا ولقد احسن القائل حيث يقول

رايت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

يعنى بالمطبوع العقل الغريزى الذى خلقه الله تعالى للانسان وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزى من التجربة وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له والا فهو زيادة فى عقله الاول ومنها ما يتجمل به الانسان فى المجالس والمحافل من ذكر شئ من معارفها ونقل طريفة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والقلوب متأملة ما يورده ويصدره مستحسنة ما يذكره * وأما الفوائد الاخروية فمنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا باهلها وتتابع نكباتها الى اعيان قاطنيها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير زهد فيها واعرض عنها واقبل على التزود للآخرة منها ورغب فى دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص ولعل قائلا يقول ما نرى ناظرا فيها زهد فى الدنيا واقبل على الآخرة ورغب فى درجاتها العليا فياليت شعرى كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز وهو سيد المواعظ وافصح الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام فان القلوب مولعة بحب العاجل ومنها التخلق بالصبر والتأسى وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه نبى مكرم ولا ملك معظم بل ولا احد من البشر علم انه يصيبه ما اصابهم وينوبه ما نابهم

وهل انا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

ولهذه الحكمة وردت القصص فى القرآن المجيد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اوألقى السمع وهو شهيد فان ظن هذا القائل ان الله سبحانه اراد بذكرها الحكايات والاسمار فقد تمسك من اقوال الزيغ بحكم سببها حيث قالوا هذه أساطير الاولين اكتتبها نسأل الله تعالى ان يرزقنا قلبا عقولا ولسانا صادقا ويوفقنا للسداد فى القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل

(ذكر الوقت الذى ابتدئ فيه بعمل التاريخ فى الاسلام)

قيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أمر بعمل التاريخ والصحيح المشهور ان عمر بن الخطاب أمر بوضع التاريخ وسبب ذلك ان أبا موسى الاشعرى كتب الى عمر انه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم أرخ بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بمهاجرة رسول الله فقال عمر بل نؤرخ بمهاجرة رسول الله فان مهاجرته فرق بين الحق والباطل قاله الشعبى وقال ميمون بن مهران رفع الى عمر صك

وذكر ابن عساكر فى تاريخه باسناده الى الزهرى والشعبى قال لما أهبط آدم عليه السلام من الجنة وانتشر ولده ارخ بنوه من هبوط آدم عليه السلام فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله تعالى نوحا فأرخوا بمبعث نوح عليه السلام حتى كان الغرق فهلك من هلك وخرج نوح وذريته ومن معه من السفينة فكان التاريخ من الطوفان الى زمن نار ابراهيم عليه السلام وأقدم التواريخ التى بايدى الناس تاريخ القبط لانه بعد انقضاء الطوفان ثم اجتمع رأى كل ملة فأرخ الروم واليونانيون بظهور اسكندر وأرخت القبط بملك بختنصر وأرخ بنو اسحق من مبعث نبى الى مبعث نبى آخر وما زالوا يؤرخون ما كان من الكوائن حتى أتى عام الفيل فجعلوه تاريخا قال المحب الطبرى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة بالتاريخ وكانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه صلى الله عليه وسلم حتى أرخ عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الهجرة لانها فرقت بين الحق والباطل وذلك سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة من الهجرة وقدموا التاريخ على الهجرة بشهرين وجعلوه من المحرم

(الفصل الثانى فى بداية المخلوقات واولية المنشآت)

قال النبى صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن معه شئ وكان عرشه على الماء فهو الاول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء فهو السابق للاشياء قبل وجودها والباقى بعد فنائها فليس له أول ولا آخر قال المسعودى خلق الله تعالى الاشياء على غير مثال وأبدعها من غير أصل واختلفوا فى أول ما خلق

ما أصلح فيها من غلط وسهو ولا اسقطت منها ما يحتاج الى اسقاط ومحو وطالت المراجعة مدة وهم للطلب ملازمون وعن الاعراض معرضون وشرعوا في سماعه قبل اتمامه واصلاحه واثبات ماتمس الحاجة اليه وحذف مالابد من اطراحه والعزم على اتمامه فاثروا العجز الظاهر للاشتغال بما لابد منه لعدم المعين والمظاهر والهموم توالت ونوائب تتابعت فانا ملازم الاهمال والتواني فلا أقول انى لاسير الهم اسير الشواني فبينما الامر كذلك اذبرز امر من طاعته فرض واجب واتباع أمره حكم لازب من أعلاق الفضل باقباله عليه نافقة وأرواح الجهل باعراضه عنها نافقة من احيا المكارم وكانت أمواتا وأعادها خلقا جديدا بعد ان كانت رفاتا من عم رعيته عدله ونواله وشملهم احسانه وافضاله مولانا مالك الملك الرحيم العالم المؤيد المنصور المظفر بدر الدين ركن الاسلام والمسلمين محيى العدل في العالمين خلد الله دولته فحينئذ ألقيت عنى جلباب المهل وابطلت رداء الكسل والقت الدواة وأصلحت القلم وقلت هذا اوان الشد فاشتدى زيم وجعلت الفراغ اهم مطلب واذا اراد الله امرا هيأ له السبب وشرعت في اتمامه مسابقا ومن العجب ان السكيت يروم ان يجيء سابقا ونصبت نفسي غرضا للسهام وجعلتها مظنة لاقوال اللوام لان المآخذ اذا كانت تتطرق الى التصنيف المهذب والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتب الذى تكررت مطالعته وتنقيحه واجيد تأليفه وتصحيحه فهى بغيره اولى وبه احرى على انى مقر بالتقصير فلا اقول ان الغلط سهو جرى به القلم بل اعترف بان ما اجهل اكثر مما اعلم (وقد سميته) اسما يناسب معناه وهو الكامل في التاريخ ولقد رايت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظنا منه ان غاية فائدتها انما هو القصص والاخبار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره واصبح مخشلبا جوهره ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم ان فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والاخروية جمة غزيرة وها نحن نذكر شيأ مما ظهر لنا فيها ونكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها* فاما فوائدها الدنيوية فمنها ان الانسان لا يخفى انه يحب البقاء ويؤثر ان يكون في زمرة الاحياء فياليت شعرى اى فرق بين مارآه امس او سمعه وبين ماقرأه في الكتب المتضمنة اخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعها فكأنه عاصرهم واذا علمها فكأنه حاضرهم ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة اهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا الى ما اعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها واعرضوا عنها واطرحوها واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكهم عمرت واموالها درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التى دفعوا بها مضرات

وقع من الحوادث في كل حين وما سطر فيما كتب به ٤ من فعل الملوك وانه لم يخل من التواريخ كتاب من كتب الله المنزلة فمنها ما ورد باخباره المجملة ومنها ما ورد باخباره المفصلة وقد وقع في التوراة في سفر من أسفارها ما يتضمن تفصيل أحوال الامم السالفة وقد انزل في القرآن العظيم في سورة القصص مفردة ولو لم يكن في التاريخ الا الاحاطة بعلم من مضى حتى كانت حاضره واوصافه حتى كانت ناظره لكان في ذلك غاية قصد كل سامع وبهجة كل طامع ومطامع وطالع واختلفوا في معنى التاريخ ذكر صاحب مفاتيح العلوم التاريخ النظام وهو معرب وعن الصولى تاريخ الشئ غايته ووقته الذى ينتهى اليه ومنه فعل فلان تاريخ قومه أى انتهى اليه شرفهم ومعرفة غايتهم وقال الجواليقي في المعرب ان التاريخ ليس بعربي واشتقاقه من الارخ وهو ولد البقرة الوحشية اذا كان أنثى بفتح الهمزة وكسرها كانه شئ حدث كما يحدث الولد وفي مفاتيح العلوم التاريخ كلمة فارسية أصلها ماروز فعربت ويقال ان الارخ الوقت والتاريخ كانه التوقيت وفي نور المقابيس وتاريخ الكتاب ليس عربيا ولا سمع من فصيح وفي الصحاح التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله وأرخت الكتاب يوم كذا وورخته بمعنى واحد وقد فرق الاصمعي بين اللغتين فقال بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخا وقيس تقول أرخته تأريخا وقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ذكر الله تعالى التاريخ في كتابه فقال يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج

الاعداء

غروب الشمس وبدل صلاة العصر بعد العصر وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وروى نحوه جابر بن سمرة وأنس وسهل بن سعد وبريدة والمستورد بن شداد وأشياخ من الانصار كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه أخبار صحيحة قال وقد زعم اليهود ان جميع ما ثبت عندهم على ما في التوراة من لدن خلق آدم الى الهجرة اربعة آلاف سنة وثلثمائة واثنتان واربعون سنة وقالت اليونانية من النصارى ان من خلق آدم الى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسعمائة واثنين وتسعين سنة وشهرا وزعم قائل ان اليهود انما نقصوا من السنين دفعا منهم لنبوة عيسى اذ كانت صفته ومبعثه في التوراة وقالوا لم يأت الوقت الذي في التوراة ان عيسى يكون فيه فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته قال وأحسب ان الذي ينتظرونه ويدعون صفته في التوراة هو الدجال وقالت المجوس ان قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرث الى وقت الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة وهم لا يذكرون مع ذلك شيأ يعرف فوق جيومرث ويزعمون أنه هو آدم وأهل الاخبار مختلفون فيه فمن قائل مثل قول المجوس ومن قائل انه تسمى بآدم بعد ان ملك الاقاليم السبعة وانه حام بن يافث بن نوح وكان بارا بنوح فدعا له ولذريته بطول العمر والتمكين في البلاد واتصال الملك فاستجيب له فى ذلك جيومرث وولده الفرس ولم يزل الملك فيهم الى أن دخل المسلمون المدائن وغلبوهم على ملكهم ومن قائل غير ذلك كذا قال أبو جعفر (قلت) ثم ذكر أبو جعفر بعد هذا أصولا تتضمن الدلالة على حدوث الازمان والاوقات وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيأ أم لا وعلى فناء العالم وان لا يبقى الا الله تعالى وانه أحدث كل شئ واستدل على ذلك باشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لاسيما المختصرات منه فانه بعلم الاصول أولى وقد فرغ المتكلمون منه فى كتبهم فرأينا تركه أولى (بريدة بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخرها هاء)

(القول فى ابتداء الخلق وما كان أوله)

صح فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبادة بن الصامت انه سمعه يقول ان أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له اكتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن وروى نحو ذلك عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة فجعل الظلمة ليلا أسود وجعل النور نهارا أبيض مضيئا والاول أصح للحديث وابن اسحق لم يسند قوله الى أحد واعترض أبو جعفر على نفسه بما روى سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى كان على عرشه قبل ان يخلق شيأ فكان أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وأجاب بان هذا الحديث ان كان صحيحا فقد رواه شعبة أيضا عن أبي هاشم ولم يقل فيه ان الله كان على عرشه وروى أنه قال أول ما خلق الله القلم

(القول فيما خلق بعد القلم)

في الكشاف وغيره ثم خلق الملائكة والجان كما سيأتي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقال الله للسموات اطلعي شمسي وقمري ونجومي وقال للارض شقق انهارك وأخرجي ثمارك فأجابتا واختلف العلماء فى الايام التى خلق الله فيها السموات والارض والمخلوقات هل هى مثل ايام الدنيا ومثل ايام الآخرة كل يوم ألف سنة على قولين (احدهما) انها مثل ايام الدنيا قاله مجاهد والحسن البصري لانها هى المعهودة والثاني انها مثل ايام الآخرة وبه قال ابن عباس وعامة العلماء وقد خلق الله السموات والارض قبل خلقه الايام والليالى والشمس والقمر وفى الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وفى رواية الحديد يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والعمران والخراب وانواع النباتات والحيوانات واقوات اهل الارض وأرزاقهم والماء فكل شئ يفتر عن التسبيح الا الماء فانه ابدا فى تسبيح وتسبيحه اضطرابه فتلك اربعة ايام وخلق سبع سموات فى يومين خلق يوم الخميس السموات وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة من يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر الساعات وهى الساعة التى تقوم فيها الملائكة وهى محل اجابة الدعاء * فان قيل فهلا خلقها فى لحظة واحدة وهو اهون عليه فالجواب من وجوه (احدها) ان التثبت ابلغ فى القدرة والتعجيل لا تقتضيه الحكمة قاله ابن عباس (والثاني) ان الله تعالى اراد ان يظهر فى كل وقت

محله شعبان فقال اى شعبان أشعبان هو آت أم شعبان الذى نحن فيه ثم قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوا للناس شيأ يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فانهم يؤرخون من عهد ذى القرنين فقال هذا يطول فقال اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كلما قام ملك طرح تاريخ من كان قبله فاجتمع رأيهم على ان ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتبوا التاريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن سيرين قام رجل الى عمر فقال ارخوا فقال عمر ما ارخوا فقال شئ تفعله الاعاجم فى شهر كذا من سنة كذا فقال عمر حسن فارخوا فاتفقوا على الهجرة ثم قالوا من أى الشهور فقالوا من رمضان ثم قالوا فالمحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجمعوا عليه وقال سعيد بن المسيب جمع عمر الناس فقال من أى يوم نكتب التاريخ فقال على من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفراقه ارض الشرك ففعله عمر وقال عمرو بن دينار اول من ارخ يعلى بن أمية وهو باليمن واما قبل الاسلام فقد كان بنو ابراهيم يؤرخون من نار ابراهيم الى بنيان البيت حين بناه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ثم ارخ بنو اسمعيل من بنيان البيت حتى تفرقوا فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بخروجهم ومن بقى بتهامة من بنى اسمعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤى وأرخوا من موته الى الفيل ثم كان التاريخ من الفيل حتى ارخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة او ثمان عشرة وقد كان كل طائفة من العرب تؤرخ بالحادثات المشهورة فيها ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم وفى ذلك قول بعضهم

ها أنا ذا آمل الخلود وقد * أدرك عقلى مولدى حجرا

وقال الجعدى فمن يك سائلا عنى فانى * من الشبان ايام الختان

وقال آخر وما هى الا فى ازار وعلقة * بغار ابن همام على حى خثعما

وكل واحد ارخ بحادث مشهور عندهم فلو كان لهم تاريخ يجمعهم لم يختلفوا فى التاريخ والله أعلم

(القول فى الزمان)

الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما والعرب تقول اتيتك زمان الصرام * وزمان الصرام يعنى به وقت الصرام وكذلك أتيتك ازمان الحجاج أمير ويجمعون الزمان يريدون بذلك ان كل وقت من اوقات امارته من الازمنة

(القول فى جميع الزمان من اوله الى آخره)

اختلف الناس فى ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد بن جبير عنه سبعة آلاف سنة وقال وهب بن منبه ستة آلاف سنة قال أبو جعفر والصحيح من ذلك ما دل على صحته الخبر الذى رواه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اجلكم فى أجل من قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد الا انهما قالا الى

الله تعالى فقيل نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام اول ما خلق الله نورى وقيل العقل وقيل القلم وقيل اللوح وهو من درة بيضاء دفتاه ياقوتتان حمراوان وهو فى عظم لا يوصف وخلق له قلما من جوهرة طولها مسيرة خمسمائة عام مشقوق السن ينبع منه النور كما ينبع من أقلام أهل الدنيا المداد وكتب الله به فى اللوح مقادير كل شئ الى يوم القيامة كذا فى المدارك وغيره

جرى قلم القضاء بما يكون
فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق
ويرزق فى غشاوته الجنين

وفى الحديث ان بين يدى الله تعالى لوحا فيه ثلثمائة وخمس عشرة شريعة ويقول الله تعالى فيه وعزتى وجلالى لا يجيئنى عبد مؤمن بواحدة منهن الا أدخلته جنتى كذا فى الاتقان فى علوم القرآن (وذكر الثعلبى) عن أنس رضى الله عنه ان اللوح المحفوظ فى جبهة اسرافيل عليه السلام وقد أكثر العلماء فى وصف القلم روى عن ابن المقنع انه قال الاقلام مطايا الفطن ورسل الكرام وبنان البيان وقوام الامور بشيئين بالقلم والسيف والقلم فوق السيف ثم خلق الله تعالى جرم الارض فى هيئة الفهر عليها دخان ثم خلق الله من ذلك الدخان السموات ثم دحا الارض وبسطها منه واختلف فى مكان الفهر قيل انه موضع بيت المقدس ثم منه بسط الارض وقيل من تحت الكعبة فخلق جرم الارض مقدم على خلق السماء واما دحوها وبسطها فتأخر لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها كذا غرر

يوم الاحد ويوم الاثنين خلق الارض على حوت والحوت النون الذى ذكره الله تعالى فى القرآن فى قوله ن والقلم والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكرها لقمان ليست فى السماء ولا فى الارض فتحرك الحوت فاضطربت وتزلزلت الارض فارسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض فذلك قوله تعالى وجعلنا فيها رواسى أن تميد بكم قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وكعب وغيرهم كل يوم من هذه الايام الستة التى خلق الله فيها السماء والارض كالف سنة (قلت) اما ما ورد فى هذه الاخبار من ان الله تعالى خلق الارض فى يوم كذا والسماء فى يوم كذا انما هو مجاز والا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليالى لان الايام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليالى عبارة عما بين غروبها وطلوعها ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس وانما المراد به انه خلق كل شئ بمقدار يوم كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وليس فى الجنة بكرة وعشيا (سلام والد عبد الله بتخفيف اللام)

(القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه)

قد ذكرنا ما خلق الله تعالى من الاشياء قبل خلق الاوقات وأن الازمنة والاوقات انما هى ساعات الليل والنهار وان ذلك انما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك فلنذكر الآن بأى ذلك كان الابتداء أبالليل أم بالنهار فان العلماء اختلفوا فى ذلك فان بعضهم يقول ان الليل خلق قبل النهار ويستدل على ذلك بان النهار من نور الشمس فاذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أن النهار وهو النور وارد على الظلمة التى هى الليل واذا لم يرد نور الشمس كان الليل ثابتا فدل ذلك على ان الليل هو الاول وهذا قول ابن عباس وقال آخرون كان النهار قبل الليل واستدلوا بان الله تعالى كان ولا شئ معه ولا ليل ولا نهار وان نوره كان يضئ به كل شئ خلقه حتى خلق الليل قال ابن مسعود ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه قال أبو جعفر والاول أولى بالصواب للعلة المذكورة أولا ولقوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فبدأ بالليل قبل النهار قال عبيد بن عمير الحارثى كنت عند على وسأله ابن الكواء عن السواد الذى فى القمر فقال ذلك آية محيت وقال ابن عباس مثله وكذلك قال مجاهد وقتادة وغيرهما لذلك خلقهما الله تعالى الشمس أنور من القمر (قلت) وروى أبو جعفر ههنا حديثا طويلا عدة أوراق عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خلق الشمس والقمر وسيرهما فانهما على عجلتين لكل عجلة ثلثمائة وستون عروة يجرها بعددها من الملائكة وانهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان فى بحر بين السماء والارض فذلك كسوفهما ثم ان الملائكة يخرجونهما فذلك تجليهما من الكسوف وذكر الكواكب وسيرها وطلوع الشمس من مغربها ثم ذكر مدينة بالمغرب تسمى جابرسا وأخرى بالمشرق تسمى جابرقا ولكل واحدة منهما عشرة آلاف باب يحرس كل باب منها عشرة آلاف رجل لا تعود الحراسة اليهم الى يوم القيامة وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وتاريس الى اشياء أخر لا حاجة الى ذكرها فاعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح

فى الارض المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم الانسان وهو آخر مخلوق والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره وطويله وقصيره ويجمع على ازمان وازمنة وقيل هو عبارة عن حركات الفلك وتدخل فيه ساعات الليل والنهار والساعات مقدرات بقطع الشمس والقمر درجات الفلك واليوم جمعه ايام واصله ايوام ومعياره من طلوع الشمس او الفجر الثانى الى غروب الشمس (ذكر) الامام المطرزى فى المغرب ان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الاجزأ من يوم والقمرية ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس يوم وسدسه وفضل ما بينهما عشرة ايام وثلث وربع عشر يوم بالتقريب على رأى بطليموس وقال بعض الحكماء قدرمدة الاعمار مع هدم الليل والنهار وقال الليل والنهار غرسان يثمران للبرية صنوف البلية * واختلفوا فى البحار على اقوال (احدها) انها خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض كما فى جميع المياه (والثانى) انها بقية طوفان نوح عليه السلام قاله ابن عباس والمفسرون (والثالث) انها من عرق الارض لما نالها من حرارة الشمس (والرابع) انها من مياه الارض فالملح ينحدر الى الاماكن المنخفضة فينعقد غليظا كدرا ويخالطه الاجزاء النارية روى عن عكرمة انه قال البحر المظلم من ورائه بحر آخر يقال له الباكى ماؤه عذب وانما سمى الباكى لانه يبكى من خشية الله تعالى وليس بعده شئ وقال علماء الهيئة البحار باسرها داخلة فى الفلك لانه محيط بالارض

ثم ان الله خلق بعد القلم و بعد ان أمره فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة سحابا رقيقا وهو الغمام الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم وقد سأله ابو رزين العقيلى اين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فقال فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء وهو الغمام الذى ذكره الله فى قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام (قلت) فيه نظر لانه قد تقدم ان اول ما خلق الله تعالى القلم وقال له اكتب فجرى فى تلك الساعة ثم ذكر فى اول هذا الفصل ان الله خلق بعد القلم و بعد ان جرى بما هو كائن سحابا ومن المعلوم ان الكتابة لا بد فيها من آلة يكتب بها وهو القلم ومن شئ يكتب فيه وهو الذى يعبر عنه ههنا باللوح المحفوظ وكان ينبغى أن يذكر اللوح المحفوظ ثانيا القلم والله اعلم ويحتمل أن يكون ترك ذكره لانه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة ثم اختلف العلماء فيمن خلق الله بعد الغمام فروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس اول ما خلق الله العرش فاستوى عليه. وقال آخرون خلق الله الماء قبل العرش وخلق العرش فوضعه على الماء وهو قول أبى صالح عن ابن عباس وقول ابن مسعود ووهب بن منبه وقد قيل ان الذى خلق الله تعالى بعد القلم الكرسى ثم العرش ثم الهواء ثم الظلمات ثم الماء فوضع العرش عليه قال وقول من قال ان الماء خلق قبل العرش أولى بالصواب لحديث أبى رزين عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان الماء كان على متن الريح حين خلق العرش قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس فان كان كذلك فقد خلقا قبل العرش وقال غيره ان الله خلق القلم قبل ان يخلق شيأ بالف عام واختلفوا أيضا فى اليوم الذى ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والارض وقال عبد الله بن سلام وكعب والضحاك ومجاهد ابتداء الخلق يوم الاحد وقال محمد بن اسحق ابتداء الخلق يوم السبت وكذلك قال أبو هريرة واختلفوا أيضا فيما خلق كل يوم فقال عبد الله بن سلام أن الله تعالى بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين يوم الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسى فى الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات يوم الخميس والجمعة ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها ادم عليه السلام فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة ومثله قال ابن مسعود وابن عباس من رواية أبى صالح عنه الا انهما لم يذكرا خلق آدم ولا الساعة وقال ابن عباس من رواية على بن أبى طلحة عنه ان الله تعالى خلق الارض باقواتها من غير ان يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك فذلك قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهذا القول عندى هو الصواب وقال ابن عباس أيضا من رواية عكرمة عنه ان الله تعالى وضع البيت على الماء على أربعة اركان قبل أن يخلق الدنيا بالفى عام ثم دحيت الارض من تحت البيت ومثله قال ابن عمرو وروى السدى عن أبى صالح وعن أبى مالك عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى وعن ابن مسعود فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات قال ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيأ مما خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين فى يومين

امرا تستعظمه الملائكة قاله مجاهد (والثالث) ان الذى يتوهمه المتوهم من ابطاء الخلق فى ستة آلاف سنة يتوهمه فى ستة ايام عند تأمل قوله تعالى كن فيكون وكان قادرا ان يخلق المخلوقات فى لمحة واحدة وانما خلقها فى ستة ايام تعليما لخلقه الرفق والتثبت فى الامور واختلفوا فى اسماء الايام فقال الزجاج والفراء وغيرهما قالوا كانت العرب تقول ليوم السبت شيار وليوم الاحد أول وليوم الاثنين اهون وللثلاثاء جبار وللاربعاء دبار وللخميس مؤنس وليوم الجمعة العروبة وكانوا يسمون ايضا يوم السبت ابجد ويوم الاحد هوز ويوم الاثنين حطى والثلاثاء كلمن والاربعاء سعفص والخميس قرشت والجمعة العروبة حكاه الضحاك * واختلفوا فى خلق الليل والنهار على قولين (احدهما) النهار خلق اولا قاله عكرمة ومجاهد لانه ضياء والنور مقدم على الظلام (والثانى) الليل وبه قال عامة العلماء لقوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فيدل على ان الليل مقدم عليه ولان الظلمة اصل والضوء عارض وهو من اشراق نور الشمس فلا يكون اصلا وقد نص عليه ابن عباس فقال ارأيتم حين كانت السموات والارض رتقا هل كان بينهما الا ظلمة وفى الخريدة ان الله تعالى خلق الخلق من اربعة اشياء خلق الملائكة من نور والجان من نار والبهائم من ماء وآدم من طين * وذكر الشيخ الاكبر ان اول ما خلق الله تعالى من الحيوان النحلة وآخر ما خلق الله من الحيوان القرد واول ما خلق من النبات الكمأة واول ما يكون يوم

وهم هذا الحي الذين يقال لهم الجن فقاتلهم ابليس ومن معه حتى الحقهم بجزائر البحور واطراف الجبال فلما فعل ذلك اغتر في نفسه وقال قد صنعت ما لم يصنعه أحد فاطلع الله تعالى على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه أحد من الملائكة الذين معه وروى عن أنس نحوه وروى أبو صالح عن ابن عباس ومرة الهمداني عن ابن مسعود انهما قالا لما فرغ الله تعالى من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم من خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في نفسه كبر وقال ما أعطاني الله تعالى هذا الا لمزية لي على الملائكة فاطلع الله على ذلك منه فقال اني جاعل في الارض خليفة قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فدعاه ذلك الى الكبر وهذا قول ثالث في سبب كبره وروى عكرمة عن ابن عباس ان الله تعالى خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق خلقا آخر فقال اني خالق بشرا من طين فاسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله تعالى عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق هؤلاء الملائكة فقال اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان ابليس من أولئك الذين لم يسجدوا وقال شهر بن حوشب ان ابليس كان من الجن الذين سكنوا الارض وطردتهم الملائكة وأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء وروى عن سعيد بن مسعود ذلك وأولى الاقوال بالصواب ان يقال كما قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وجائز ان يكون فسوقه من اعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده وجائز ان يكون لكونه من الجن (ومرة الهمداني بسكون الميم والدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن)

(ذكر خلق آدم عليه السلام)

ومن الاحاديث في سلطانه خلق أبينا آدم عليه السلام وذلك لما أراد الله تعالى ان يطلع ملائكته على ما علم من انطواء ابليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة حتى دنا أمره من البوار وملكه من الزوال فقال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء روى عن ابن عباس ان الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره وأمر الجن الذين كانوا سكان الارض قبل ذلك فقالوا لربهم تعالى أتجعل فيها من يكون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال الله لهم اني أعلم ما لا تعلمون يعني من انطواء ابليس على الكبر والعزم على خلاف أمري واغتراره وأنا مبدي ذلك لكم منه لتروه عيانا فلما أراد الله أن يخلق آدم أمر جبريل أن يأتيه بطين من الارض فقالت الارض أعوذ بالله منك أن تنقص مني وتشينني فرجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب انها عاذت بك فاعذتها فبعث ميكائيل فاستعاذت منه فاعاذها فرجع وقال مثل جبريل فبعث اليها ملك الموت فاستعاذت منه فقال أنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ أمر ربي فأخذ من وجه الارض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وطينا لازبا فلذلك

عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الجان من مارج من نار وفسره ابن عباس وقال المارج لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهبت وقال الجوهري المارج نار لا دخان لها خلق منها الشياطين وفي كنز الاسرار ان الجان أبو الجن كما ان الانسان أبو البشر وسمي جانا لتواريه عن الاعين وفي ابليس ثلاثة أقوال انه من الجن ففسق أو من الملائكة فمسخ أو من الجنانيين فطردوا والعياذ بالله وفي كتاب الاوائل ان الله تبارك وتعالى خلق الملائكة والجان من جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن ثم ان الجن عصوا وفسقوا عن أمر ربهم وسفكوا الدماء فبعث الله تعالى اليهم ثمانمائة نبي وهم يقتلونهم قال مقاتل ان الله لم يبعث نبيا قبل آدم عليه السلام وانما بعث اليهم ملكا منهم فعصوه وهو المنذر بدليل قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين فجرى لهم ما جرى من القتل والاسر على أيدي الملائكة السماوية حتى طهروا الارض منهم وكان رئيس تلك الملائكة ابليس ولما أهبط آدم عليه السلام الى الارض انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هنالك وجعل عرشه على الماء ثم القيت عليه شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل يخرج من بيضته ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق والاقرب من مجلسه من يفرق ويلق عداوة بين المرء وزوجه ثم أكثرهم الذي للعاق ونحن نستعيذ بالله تعالى من كيد الرجيم كذا في آكام المرجان في أحكام

اسنادها اذ كرناها وقلنا به ولكن الحديث غير صحيح ومثل هذا الامر العظيم لا يجوز ان يسطر في الكتب بمثل هذا الاسناد الضعيف * واذ كنا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عز وجل في انشاء ما أراد انشاءه من خلقه الى حين فراغه من انشاء جميعه من سني الدنيا ومدة أزمانها وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا انا ذاكروه من تاريخ الملوك الجبابرة والعاصية ربها والمطيعة ربها وأزمان الرسل والانبياء وكنا قد أتينا على ذكر ما تصح به التاريخات وتعرف به الاوقات وهو الشمس والقمر فلنذكر الآن أول من أعطاه الله تعالى ملكا وأنعم عليه فكفر نعمته وجحد ربوبيته واستكبر فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذله ثم نتبعه ذكر من استن سنته واقتفى أثره وأحل الله به نقمته ونذكر من كان بازائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ومن الرسل والانبياء ان شاء الله تعالى

(قصة ابليس لعنه الله وابتداء أمره واطغائه آدم عليه السلام)

فاولهم وامامهم ورئيسهم ابليس وكان الله تعالى قد حسن خلقه وشرفه وملكه على سماء الدنيا والارض فيما ذكر وجعله مع ذلك خازنا من خزان الجنة فاستكبر على ربه وادعى الربوبية ودعا من كان تحت يده الى عبادته فمسخه الله تعالى شيطانا رجيما وشوه خلقه وسلبه ما كان خوله ولعنه وطرده عن سمواته في العاجل ثم جعل مسكنه ومسكن اتباعه في الآخرة نار جهنم نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من غضبه ومن الحور بعد الكور ونبدأ بذكر الاخبار عن السلف بما كان الله أعطاه من الكرامة وبادعائه ما لم يكن ونتبع ذلك بذكر أحداث في سلطانه وملكه الى حين زوال ذلك عنه والسبب الذي به زال عنه ان شاء الله تعالى

(ذكر الاخبار بما كان لابليس لعنه الله من الملك)
(وذكر الاحداث في ملكه)

روى عن ابن عباس وابن مسعود ان ابليس كان له ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا قال ابن عباس ثم انه عصى الله تعالى فمسخه شيطانا رجيما وروى عن قتادة في قوله تعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه انما كانت هذه الآية في ابليس خاصة لما قال ما قال لعنه الله تعالى وجعله شيطانا رجيما وقال فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين وروى عن ابن جريج مثله * وأما الاحداث التي كانت في ملكه وسلطانه فمنها ما روى عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة من نور وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون في طرفها اذا التهبت وخلق الانسان من طين فاول من سكن في الارض الجن فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله تعالى اليهم ابليس في جند من الملائكة

كما ترى ان الجارية تقل بعضها على مر السنين والدهور فيصير موضع البحر برا وعلى العكس وقد رأينا ذلك عيانا في الانهار العظام كالنيل والفرات ودجلة وبحر النجف بالكوفة فانه كان بحرا تأتى فيه السفن من الهند فاستحال الماء عنه الى موضع آخر وكذا ببغداد في دجلة فانها استحالت فراسخ فانخربت قرى كثيرة وهى اليوم قد استحالت أيضا وذكر بطليموس صاحب المجسطى ان في كل ستة وثلاثين ألف سنة تنتقل أوجات الكواكب وتدور في البروج الاثنى عشر دورة واحدة فاذا انتقلت من الشمال الى الجنوب تختلف مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الارض فيختلف بها الليل والنهار والشتاء والصيف والحر والبرد وتتغير ارباع الارض فيصير العامر خرابا والخراب عامرا والبر بحرا والبحر برا والسهل جبلا والجبل سهلا

(الفصل الثالث في خلق الجن والشياطين وذكر ابليس اللعين)

قال علماء اللغة اصل الجن من الاستتار ومنه الجنين لانه مستتر في بطن امه ومنه الجنة لاستتار ارضها بورقها وقد ورد ان الجن اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة لها عقول وافهام وقدرة على الاعمال الشاقة بخلاف الانس وقال الجوهرى انما سموا بذلك لانهم لا يرون واما الشياطين فهم كل عات متمرد من الجن والانس والدواب واشتقاقه على قولين (أحدهما) انه من شطن أى بعد عن الخير (والثانى) انه من شاط يشيط اذا احترق ومنه شاطت القدر * عن

وهم

لاتمنعهامن ولدك ما كانت فيهم الروح قال يارب زدني قال أغفر ولا أبالي قال حسبي ثم قال الله لآدم ائت أولئك النفر من الملائكة فقل السلام عليكم فأتاهم فسلم عليهم فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم فلما امتنع ابليس من السجود وظهر للملائكة ما كان مستترا عنهم علم الله آدم الاسماء كلها واختلف العلماء في الاسماء فقال الضحاك عن ابن عباس علمه الاسماء كلها التي تتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار واشباه ذلك حتى القسوة والقسية وقال مجاهد وسعيد بن جبير مثله وقال ابن زيد علم أسماء ذريته وقال الربيع علم أسماء الملائكة خاصة فلما علمها عرض الله أهل الاسماء على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اني ان جعلت الخليفة منكم اطعتموني وقدستموني ولم تعصوني وان جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك الدماء فانكم ان لم تعلموا أسماء هؤلاء وأنتم تشاهدونهم فبأن لاتعلموا ما يكون منكم ومن غيركم وهو مغيب عنكم أولى وأحرى وهذا قول ابن مسعود ورواية أبي صالح عن ابن عباس وروى عن الحسن وقتادة انهما قالا لما أعلم الله الملائكة بخلق آدم واستخلافه وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال اني أعلم مالاتعلمون قالوا فيما بينهم ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا الا كنا أكرم على الله منه واعلم منه فلما خلقه وأمرهم بالسجود له علموا انه خير منهم وأكرم على الله منهم فقالوا ان يك خيرا منا وأكرم على الله منا فنحن اعلم منه فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا بأن علمه الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اني لا أخلق أكرم منكم ولا أعلم منكم ففزعوا الى التوبة واليها يفزع كل مؤمن فقالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قالوا وعلمه اسم كل شئ من هذه الخيل والبغال والابل والجن والوحش وكل شئ

(ذكر اسكان آدم الجنة واخراجه منها)

فلما ظهر للملائكة من معصية ابليس وطغيانه ما كان مستترا عنهم وعاتبه الله على معصيته بتركه السجود لآدم فأصر على معصيته واقام على غيه لعنه الله وأخرجه من الجنة وطرده منها وسلبه ما كان اليه من ملك سماء الدنيا والارض وخزن الجنة فقال الله له اخرج منها يعني من الجنة فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين واسكن آدم الجنة قال ابن عباس وابن مسعود فلما اسكن آدم الجنة كان يمشي فيها فردا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة واستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها فقال من انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي قالت له الملائكة لينظروا مبلغ علمه ما اسمها قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من حي وقال الله له يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقال ابن اسحق فيما بلغه عن اهل الكتاب وغيرهم منهم عبد الله بن عباس قال القى الله تعالى على آدم النوم واخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وخلق منه حواء وآدم نائم فلما استيقظ رآها الى جنبه فقال لحمي ودمي وزوجي فسكن اليها فلما زوجه الله تعالى وجعل له سكنا من نفسه قال له

منهم ستمائة الف وهم أمودون ومنهم يهودون وذكر الدميري في حياة الحيوان ان الله تعالى قال لابليس لا اخلق لآدم ذرية الا ذرأت لك مثلها فليس من ولد آدم احد الا وله شيطان قد قرن به (وقيل) ان الشياطين فيهم الذكور والاناث يتوالدون من ذلك واما ابليس فان الله تعالى خلق له في فخذه اليمنى ذكرا وفي اليسرى فرجا فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة ولهم أسماء مختلفة وكلهم عدو لبني آدم واشتقاقه من الابلاس وهو الاياس وابليس قد يئس من رحمة الله تعالى واختلفوا هل كان من الملائكة او من الجن على ثلاثة أقوال (أحدها) انه كان من الملائكة واحتجوا بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس وهذا استثناء متصل فدل على انه منهم (والثاني) انه من الجن ولم يكن من الملائكة قط لقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه (والثالث) انه لا من الملائكة ولا من الجن بل هو خلق مفرد خلقه الله من النار كما خلق آدم من الطين انبأنا محمد بن طاهر ابي الحسن بن علي الجوهري بن عمر بن حويه عن الحسن بن معروف عن الحسين ابن الفهم عن محمد بن سعد عن عبد الله ابن غنيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اشرف من كان من الملائكة واكرمهم يقال لهم الجن لانهم استتروا عن اعين الملائكة لشرفهم وكان ابليس منهم قال كان رئيس ملائكة سماء الدنيا وسلطانها وسلطان الارض وكان من خزنة الجنة ومن أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما وكان

خرج بنو آدم مختلفين ورروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب ثم بلت طينته حتى صارت طينا لازبا ثم تركت حتى صارت حمأ مسنونا ثم تركت حتى صارت صلصالا كما قال ربنا تبارك وتعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون واللازب الطين الملتزق بعضه ببعض أي ثم ترك حتى تغير وانتن وصار حمأ مسنونا يعني منتنا ثم صار صلصالا وهو الذي له صوت وانما سمي آدم لانه خلق من أديم الارض قال ابن عباس أمر الله بتربة آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب من حمأ مسنون وانما كان حمأ مسنونا بعد الاتراب فخلق منه آدم بيده لئلا يتكبر ابليس عن السجود له قال فمكث أربعين ليلة وقيل أربعين سنة جسدا ملقى فكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل أي يصوت قال فهو قول الله تعالى من صلصال كالفخار يقول هو كالمنفوخ الذي ليس بمصمت ثم يدخل من فيه فيخرج من دبره ويدخل من دبره فيخرج من فيه ثم يقول لست شيأ ولشيء ما خلقت ولئن سلطت عليك لاهلكنك ولئن سلطت علي لاعصينك فكانت الملائكة تمر به فتخافه وكان ابليس أشدهم منه خوفا فلما بلغ الحين الذي أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فلما نفخ الروح فيه دخلت من قبل رأسه وكان لا يجري شيء من الروح في جسده الا صار لحما فلما دخلت الروح رأسه عطس فقالت له الملائكة قل الحمد لله وقيل بل ألهمه الله التحميد فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله له رحمك ربك يا آدم فلما دخلت الروح عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما بلغت جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فلذلك يقول الله تعالى خلق الانسان من عجل فسجد له الملائكة كلهم الا ابليس استكبر وكان من الكافرين فقال الله له يا ابليس ما منعك ان تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين فلم يسجد كبرا وبغيا وحسدا فقال الله له يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي الى قوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فلما فرغ من ابليس ومعاتبته وأبى الا المعصية أوقع عليه اللعنة وأيأسه من رحمته وجعله شيطانا رجيما وأخرجه من الجنة قال الشعبي أنزل ابليس مشتمل الصماء عليه عمامة اعور في احدى رجليه نعل وقال حميد بن هلال نزل ابليس مختصرا فلذلك كره الاختصار في الصلاة ولما أنزل قال يا رب أخرجتني من الجنة من أجل آدم واني لا أقوى عليه الا بسلطانك قال فانت مسلط قال زدني قال لا يولد ولد الا ولد لك مثله قال زدني قال صدورهم مساكن لك وتجري منهم مجرى الدم قال زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم قال آدم يا رب قد انظرته وسلطته علي واني لا امتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب زدني قال الحسنة بعشر أمثالها وازيدها والسيئة بواحدة أو أمحوها قال يا رب زدني قال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قال يا رب زدني قال التوبة

لاتغفها

الجان وغيره * وذكر في الاوائل ان ابليس أول من لاط وهو رئيس اللائطين وحامل لوائهم الى النار لانه لما اهبط من الجنة فرت الزوجة منه فلاط بنفسه فكانت ذريته منه (ذكر الشيخ) الاكبر قدس الله سره في الفتوحات قال اخبرني بعض المكاشفين انه رأى الجن يأتون الى العظم فيشمونه كما تشم السباع ثم يرجعون وقد أخذوا أرزاقهم وغذاءهم في ذلك الشم ونكاحهم كالرياح المتداخلة بعضها بعضا كالقاح النخلة الروائح (عن سعيد ابن جبير) انه قال الجن خمسة انواع جان وجن وشيطان وعفريت ومارد واضعفها الجان وهو مسيخ الجن واقواها المارد وقال الحسن البصري الشياطين اولاد ابليس لا يموتون الا معه والجن يموتون قبله ولا خلاف ان الكل خلقوا قبل آدم عليه السلام وفي الخبر ان الله تعالى لما سخر الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل ايها الجن والشياطين اجيبوا نبي الله فخرجوا من الكهوف واطراف الارض فوجا فوجا تسوقهم الملائكة وهم اربعة وعشرون فرقة باشكال مختلفة على صور جميع الحيوانات مختلفة الاعضاء فتعجب سليمان عليه السلام وسجد شكرا لله تعالى وقال الهي البسني هيبة من عندك ثم فرقهم في الصنائع وابنية الحصون واستخراج المعادن والجواهر * وفي مرآة الزمان عن الحسن البصري رحمه الله الجن ثلاثة اصناف صنف في البر وصنف في البحر وصنف في الهواء (وروى) عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال هم اربعون جيلا كل جيل

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة يقللها لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه قال عبد الله بن سلام قد علمت أى ساعة هى هى آخر ساعة من النهار وقال أبو العالية أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة منه وأهبط الى الارض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم وكان مكثه فى الجنة خمس ساعات منه وقيل كان مكثه ثلاث ساعات منه ٢ فان كان قائل هذا القول أراد انه سكن الفردوس لساعتين مضتا من يوم الجمعة من أيام الدنيا التى هى على ما هى به اليوم فلم يبعد قوله من الصواب لان الاخبار كذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم بأن آدم خلق آخر ساعة من اليوم السادس التى بمقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فمعلوم ان الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاما من أعوامنا وقد ذكرنا ان آدم بعد ان خمر بناطينته بقى قبل أن ينفخ فيه الروح اربعين عاما وذلك لاشك انه عنى به اعوامنا ثم بعد ان نفخ فيه الروح الى أن تناهى امره واسكن الجنة واهبط الى الارض غير مستنكر ان يكون مقدار ذلك من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة وان كان اراد انه سكن الجنة لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الايام التى مقدار اليوم منها الف سنة من سنيننا فقد قال غير الحق لان كل من له قول فى ذلك من اهل العلم يقول انه نفخ فيه الروح آخر نهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس وقد روى ابو صالح عن ابن عباس ان مكث آدم كان فى الجنة نصف يوم كان مقداره خمسمائة عام وهذا ايضا خلاف ما وردت به الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن العلماء

(ذكر الموضع الذى أهبط فيه آدم وحواء من الارض)

قيل ثم ان الله تعالى اهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذى خلقه فيه وهو يوم الجمعة مع زوجته حواء من السماء فقال على وابن عباس وقتادة وأبو العالية انه أهبط بالهند على جبل يقال له نود من ارض سرنديب وحواء بجدة قال ابن عباس فجاء فى طلبها فكان كلما وضع قدمه بموضع صار قرية وما بين خطوتيه مفاوز فسار حتى أتى جمعا فازدلفت اليه حواء فلذلك سميت المزدلفة وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعا واهبطت الحية باصبهان وابليس بميسان وقيل اهبط آدم بالبرية وابليس بالابلة قال ابو جعفر وهذا ما لا يوصل الى معرفة صحته الا بخبر يجى مجى الحجة ولا نعلم خبرا فى ذلك غير ما ورد فى هبوط آدم بالهند فان ذلك مما لا يدفع صحته علماء الاسلام قال ابن عباس فلما اهبط آدم على جبل نود كانت رجلاه تمس الارض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة فكانت تهابه فسألت الله ان ينقص من طوله فنقص طوله الى ستين ذراعا فحزن آدم لما فاته من الانس باصوات الملائكة وتسبيحهم فقال يا رب كنت جارك فى دارك ليس لى رب غيرك ادخلتنى جنتك آكل منها حيث شئت فاهبطتنى الى الجبل المقدس فكنت اسمع اصوات الملائكة واجد ريح الجنة فحططتنى الى ستين ذراعا فقد انقطع عنى الصوت والنظر وذهبت عنى ريح الجنة فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم

اوعن غيره فذكرت فى ذلك فتذكرت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق قبل آدم المعلوم [illegible] الف آدم قال الشيخ اجتمعت مرة فى عالم الارواح مع ادريس عليه السلام وسألته عن صحة ذلك الكشف فقال ادريس عليه السلام صدق الخبر وصدق شهودك ومكاشفتك فى ذلك نحن معاشر الانبياء آمنا بحدوث العالم وانقطع علمنا عن مبدا الاعيان والادراك * قال علماء اللغة انما سميت الارض ارضا لان الاقدام ترضها وترضها وقال الجوهرى الارض مؤنثة وهى اسم جنس وجمعها أرضون وقد تجمع على أروض قال الثعلبى لما خلق الله الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه واحدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب فابتسطتا على الارض السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدمه موضع قرار فأهبط الله من الفردوس ثورا وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقر فأخذ الله ياقوتة حمراء من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة

٢ (قوله فان كان قائل هذا القول الخ) غير محرر وعبارة مروج الذهب واما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو ان الابتداء كان يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ فى آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم وأسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتى سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا انتهت

يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. وعن مجاهد
وقتادة مثله فلما اسكن الله آدم وزوجته الجنة اطلق لهما ان يأكلا كل ما ارادا من كل
ثمارها غير ثمرة شجرة واحدة ابتلاء منه لهما وليمضى قضاؤه فيهما وفى ذريتهما فوسوس
لهما الشيطان وكان سبب وصوله اليهما أنه أراد دخول الجنة فمنعته الخزنة فأتى كل دابة
من دواب الارض وعرض نفسه عليها انها تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته
فكل الدواب أبى عليه حتى أتى الحية وقال لها أمنعك من ابن آدم فانت فى ذمتى ان انت
ادخلتينى الجنة فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به وكانت كاسية على أربعة قوائم من
أحسن دابة خلقها الله كانها بختية فأعراها الله وجعلها تمشى على بطنها قال ابن عباس
اقتلوها حيث وجدتموها واخفروا ذمة عدو الله فيها فلما دخلت الحية الجنة خرج ابليس
من فيها فناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له ما يبكيك قال ابكى عليكما تموتان
فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك فى أنفسهما ثم أتاهما فوسوس
لهما وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين أى
تكونا ملكين أو مخلدا ان لم تكونا ملكين فى نعمة الجنة قال الله تعالى فدلاهما
بغرور وكان انفعال حواء لوسوسته أعظم فدعاها آدم لحاجته فقالت لا الا ان تأتى
ههنا فلما أتى قالت لا الا ان تأكل من هذه الشجرة وهى الحنطة قال فأكلا منها فبدت
لهما سوآتهما وكان لباسهما الظفر فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق
التين وكانت الشجرة من أكل منها أحدث وذهب آدم هاربا فى الجنة فناداه ربه ان يا آدم
منى تفر قال لا يارب ولكن حياء منك فقال يا آدم من أين أتيت قال من قبل حواء يارب
فقال الله فان لها على ان أدميها فى كل شهر وان أجعلها سفيهة وقد كنت خلقتها حليمة
وان أجعلها تحمل كرها وتضع كرها وتشرف على الموت مرارا وقد كنت جعلتها تحمل
يسرا وتضع يسرا ولولا بليتها لكان النساء لم يحضن ولكن حليمات ولكن يحملن يسرا
ويضعن يسرا وقال الله تعالى له لالعنن الارض التى خلقت منها لعنة يتحول ثمارها شوكا
ولم يكن فى الجنة ولا فى الارض شجرة أفضل من الطلح والسدر وقال للحية دخل الملعون
فى جوفك حتى غر عبدى ملعونة أنت لعنة يتحول بها قوائمك فى بطنك ولا يكون لك
رزق الا التراب أنت عدوة بنى آدم وهم أعداؤك حيث لقيت واحدا منهم أخذت بعقبه
وحيث لقيك شدخ رأسك اهبطوا بعضكم لبعض عدو آدم وابليس والحية فاهبطهم الى
الارض وسلب الله آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة قيل كان سعيد بن
المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن سقته حواء الخمر حتى سكر
فلما سكر قادته اليها فأكل (قلت) والعجب من سعيد كيف يقول هذا والله يقول فى صفة
خمر الجنة لا فيها غول

*(ذكر اليوم الذى أسكن آدم فيه الجنة واليوم الذى
أخرج فيه منها واليوم الذى تاب فيه)*

روى

يسو من ما بين السماء والارض فرآى بذلك لنفسه شرفا عظيما فذلك الذى دعاه الى الكبر فعصى وكفر فمسخه الله تعالى
شيطانا رجيما ملعونا نعوذ بالله من
خذلانه وذكر أبو جعفر الطبرى
ان ابليس بعث حاكما فى الارض
فقضى بين الجن الف سنة ثم عرج
الى السماء فاقام يتعبد حتى خلق
آدم والله أعلم بخلقه واحكم

*(الفصل الرابع فى ذكر الارضين
وسكانها وما ورد فى قطانها)*

روى مجاهد عن ابن عباس رضى
الله عنهما قال كان فى الارض قبل
الجن خلق يقال لهم الجن والبن
والطم والرم وانقرضوا ويقال
انهم من الجن وذكر غيره ان أول
من سكن الارض امة يقال لهم
الجن والبن ثم سكنها الجن فاقاموا
يعبدون الله تعالى زمانا فطال عليهم
الامد فقسدوا فارسل الله اليهم
نبيا منهم لقوله تعالى يا معشر الجن
والانس ألم يأتكم رسل منكم
وقيل ملكا منذرا يقال له يوسف
فلم يطيعوه وقاتلوه فارسل الله اليهم
الملائكة فاجلتهم الى البحار وكان
مدة اقامتهم فى الارض الف عام
قال الشيخ محيى الدين بن عربى فى
الفتوحات المكية فى باب حدوث
الدنيا قدس الله سره لقد طفت
بالكعبة مع قوم لا اعرفهم
فانشدوا بيتين حفظت واحدا
منهما ونسيت الآخر
لقد طفتم كما طفنا سنينا
بهذا البيت طرا اجمعينا
فقلت لواحد منهم من انتم فقال
نحن من اجدادك الاول فقلت كم
لكم من الزمان والمدة فقال بضع
واربعون الف سنة فقلت ليس لآدم قريب من تلك السنين فقال عن اى آدم تقول عن هذا الاقرب اليك

ولدت آمة بعد أمة ثم أمر آدم أن يأتي البيت الحرام وكان قد أهبط من الجنة ياقوتة واحدة وقيل درة واحدة وبقي كذلك حتى أغرق الله قوم نوح عليه السلام فرفع وبقي أساسه فبوأه الله لابراهيم عليه السلام فبناه على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسار آدم الى البيت ليحجه ويتوب عنده وكان قد بكى هو وحواء على خطيئتهما وما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ثم أكلا وشربا بعدها ومكث آدم لم يقرب حواء مائة عام فحج البيت وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (نود بضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة)

(ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق)

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنعمان من عرفة فأخرج من ظهره كل ذرية ذرأها الى أن تقوم الساعة فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة الى قوله بما فعل المبطلون (نعمان بفتح النون الاولى) وقيل عن ابن عباس أيضا أنه أخذ عليهم الميثاق بدحنا موضع وقال السدي أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه الى الارض من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منها كهيئة الذر سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق وقال ألست بربكم قالوا بلى فأعطوه الميثاق طائفة طائعين وطائفة على وجه التقية *

(ذكر الاحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا)

وكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل وأهل العلم مختلفون في اسم قابيل فبعضهم يقول قين وبعضهم يقول قائين وبعضهم يقول قاين وبعضهم يقول قابيل واختلفوا أيضا في سبب قتله فقيل كان سببه ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت له فيها بقابيل بن آدم وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولم تجد عليهما طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما لطهر الجنة فلما أكلا من الشجرة وهبطا الى الارض فاطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق حين ولدتهما ورأت معهما الدم وكانت حواء فيما يذكرون لا تحمل الا توأما ذكرا وأنثى فولدت حواء لآدم أربعين ولدا لصلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطنا وكان الولد منهم أي أخواته شاء تزوج الا توأمته التي تولد معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم وأمهم حواء فأمر آدم ابنه قابيل ان ينكح توأمة هابيل وأمر هابيل ان ينكح توأمة أخيه قابيل وقيل بل كان آدم غائبا وكان لما أراد السير قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت وقال للارض فأبت وللجبال فأبت فقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع وستجد ما يسرك فانطلق آدم فكان ما نذكره وفيه قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا

اخبار وآثار قال أحمد بن حنبل باسناده عن أبي ذر رضي الله عنه قال ١٧ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وعليه ملك ساجد قال الجوهري الاطيط صوت الرحل والابل من ثقل حملها قال وهب بن منبه عبادة أهل سماء الدنيا القيام والثانية الركوع والثالثة السجود والرابعة القراءة والخامسة التسبيح والسادسة الذكر والسابعة الجلوس في الصلوات وفي التبصرة عن عبد الله بن سلام قال لما خلق الله الملائكة رفعت رؤسها الى السماء وقالت يا رب مع من أنت فقال مع المظلوم حتى يؤدى حقه فمنهم من يشهد معنا صلاتنا ومنهم صفوف في السماء كصفوف بني آدم في الصلاة ومنهم كتبة على بني آدم يكتبون أعمالهم (عن أنس) رضي الله عنه انه قال اذا مات العبد قال الملكان الموكلان به يا رب مات فلان أفتأذن لنا ان نصعد الى السماء فيقول الله تعالى سمائي مملوأة من ملائكتي يسبحوني ويحمدوني فيقولان أفنقيم في الارض فيقول أرضي مملوأة من خلقي يسبحوني فيقولان ماذا نصنع وأين نكون فيقول الله تعالى قوما على قبر عبدي فكبرا وهللا واكتبا ذلك لعبدي الى يوم القيامة (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أراد الله تعالى خلق المخلوقات خلق الماء فثار منه دخان فارتفع فخلق منه السماء وجعلها سماء

٢ مل ل واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا وارتقى في كل سماء أمرها أي ما قدر أن يكون فيها من الملائكة والنجوم وغير ذلك

فعلت بك ذلك فلما رأى الله تعالى عرى آدم وحواء امره ان يذبح كبشا من الضان من الثمانية الازواج التى انزلها الله من الجنة فاخذ كبشا فذبحه واخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبة ولحواء درعا وخمارا فلبسا ذلك وقيل ارسل اليهما ملكا يعلمهما ما يلبسانه من جلود الضأن والانعام وقيل كان ذلك لباسا اولاده واما هو وحواء فكان لباسهما ما كانا خصفا من ورق الجنة فاوحى الله الى آدم ان لى حرما حيال عرشى فانطلق وابن لى بيتا فيه ثم حف به كما رأيت ملائكتى يحفون بعرشى فهنالك استجيب لك ولولدك من كان منهم فى طاعتى فقال آدم يارب وكيف لى بذلك لست اقوى عليه ولا اهتدى اليه فقيض الله ملكا فانطلق به نحو مكة وكان آدم اذا مر بروضة قال للملك انزل بنا ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزله آدم عمرانا وما عداه مفاوز فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودى وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فاراه المناسك التى يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة فطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى الهند فمات على نود فعلى هذا القول اهبط حواء وآدم جميعا وان آدم بنى البيت وهذا خلاف الذى نذكره ان شاء الله تعالى منه ان البيت انزل من السماء وقيل حج آدم من الهند اربعين حجة ماشيا ولما أنزل الى الهند كان على راسه اكليل من شجر الجنة فلما وصل الى الارض يبس فتساقط ورقه فنبتت منه انواع الطيب بالهند وقيل بل الطيب من الورق الذى خصفه آدم وحواء عليهما وقيل لما أمر بالخروج من الجنة جعل لا يمر بشجرة منها الا اخذ منها غصنا فهبط وتلك الاغصان معه فكان اصل الطيب بالهند منها او زوده الله من ثمار الجنة فثمارنا هذه منها غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير وعلمه صنعة كل شئ ونزل معه بعض طيب الجنة والحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وكان من ياقوت الجنة ونزل معه عصا موسى وهى من آس الجنة او من لبان وانزل بعد ذلك العلاة والمطرقة والكلبتان وكان حسن الصورة لا يشبهه من ولده غير يوسف وأنزل عليه جبريل بصرة فيها حنطة فقال آدم ما هذا قال هذا الذى اخرجك من الجنة فقال ما اصنع به فقال انثره فى الارض ففعل فانبته الله من ساعته ثم حصده وجمعه وتركه وذراه وطحنه وعجنه وخبزه كل ذلك بتعليم جبريل وجمع له جبريل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار وعلمه جبريل صنعة الحديد والحراثة وانزل اليه ثورا فكان يحرث عليه قيل هو الشقاء الذى ذكره الله تعالى بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ثم ان الله أنزل آدم من الجبل وملكه الارض وجميع ما عليها من الجن والدواب والطير وغير ذلك فشكا الى الله تعالى وقال يارب أما فى هذه الارض من يسبحك غيرى فقال الله تعالى ساخرج من صلبك من يسبحنى ويحمدنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى واجعل فيها بيتا اخصه بكرامتى واسميه بيتى واجعله حرما آمنا فمن حرمه بحرمتى فقد استوجب كرامتى ومن اخاف اهله فيه فقد خفر ذمتى واباح حرمتى اول بيت وضع للناس فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد الى وزارنى وضافنى ويحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وان يسعف كلا بحاجته تعمره انت يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من

عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدماه ولذلك الثور أربعون الف قرن خارجة من أقطار الارض ومنخراه فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا واحدا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله صخرة خضراء كغلظ السموات والارض فاستقرت قوائم الثور عليها فالخالق الله هو تاعظيما فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة (روى) السدى عن اشياخه ان لكل ارض سكانا فسكان الارض الثانية الريح العقيم وهى التى اهلكت قوم عاد وسكان الثالثة حجارة جهنم التى ذكرها الله تعالى فى قوله وقودها الناس والحجارة وفى الرابعة كبريت جهنم وفى الخامسة حيات جهنم وفى السادسة عقاربها كالبغال الدهم واذنابها مثل الرماح وسكان السابعة ابليس وجنوده * وذكر الشيخ سراج الدين بن الوردى فى عجائب المخلوقات عن عطاء بن يسار فى قوله عز وجل الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال فى كل ارض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم

(الفصل الخامس فى خلق السموات وانشاء العلويات)

قال الجوهرى كل ما علاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء ويقال للسحاب سماء ويسمى المطر سماء قال والسماء تذكر او تؤنث وتجمع على اسمية وسموات قال والسمو الارتفاع والعلو والسماء ظهر الفرس لعلوه وقد ورد فى السماء

ولذلك

تفسير قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما عن ابن عباس وابن جبير والسدى وغيرهم قالوا كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم اى تسميهم عبد الله وعبد الرحمن ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاها ابليس فقال لو سميتما بغير هذه الاسماء لعاش ولد كما فولدت ولدا فسمته عبد الحرث وهو اسم ابليس فنزلت هو الذى خلقكم من نفس واحدة الآيات وقد روى هذا المعنى مرفوعا (قلت) انما كان الله تعالى يميت اولادهم اولا واحيا هذا المسمى بعبد الحرث امتحانا واختبارا وان كان الله تعالى يعلم الاشياء بغير امتحان لكن علما لا يتعلق به الثواب والعقاب ومن الدليل على ان القاتل والمقتول ابنا آدم لصلبه ما رواه العلماء عن على بن أبى طالب ان آدم قال لما قتل هابيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

فى ابيات غيرها وقد زعم اكثر علماء الفرس ان جيومرث هو آدم وزعم بعضهم انه ابن آدم لصلبه من حواء وقالوا فيه اقوالا كثيرة يطول بذكرها الكتاب اذ كان قصدنا ذكر الملوك وايامهم ولم يكن ذكر الاختلاف فى نسب ملك من جنس ما انشأنا له الكتاب فان ذكرنا من ذلك شيأ فلتعريف من ذكرنا لمعرفه من لم يكن عارفا به وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم انه غير آدم ووافق علماء الفرس على اسمه وخالفهم فى عينه وصفته فزعم ان جيومرث الذى زعمت الفرس انه آدم انما هو حام بن يافث بن نوح وانه كان معمرا سيدا نزل جبل دنباوند من جبال طبرستان من ارض المشرق وتملك بها وبفارس وعظم امره وامر ولده حتى ملكوا بابل وملكوا فى بعض الاوقات الاقاليم كلها وابتنى جيومرث المدن والحصون واعد السلاح واتخذ الخيل وتجبر فى آخر امره وتسمى بآدم وقال من سمانى بغيره قتلته وتزوج ثلاثين امرأة فكثر منهن نسله وان ماري ابنه وماريانة اخته ممن كانا ولدا فى آخر عمره فأعجب بهما وقدمهما فصار الملوك من نسلهما قال ابو جعفر وانما ذكرت من امر جيومرث فى هذا الموضع ما ذكرت لانه لا تدافع بين علماء الامم انه ابو الفرس من العجم وانما اختلفوا فيه هل هو آدم ابو البشر ام غيره على ما ذكرناه ومع ذلك فلان ملكه وملك اولاده لم يزل منتظما على سياق متصل بارض المشرق وجبالها الى ان قتل يزدجرد بن شهريار بمرو ايام عثمان بن عفان والتاريخ على اسماء ملوكهم اسهل بيانا واقرب الى التحقيق منه على اعمار ملوك غيرهم من الامم اذ لا يعلم امة من الامم الذين ينتسبون الى آدم دامت لهم المملكة واتصل الملك لملوكهم يأخذه آخرهم عن اولهم وغابرهم عن سالفهم سواهم وانا ذاكر ما انتهى الينا من القول فى عمر آدم واعمار من بعده من ولده من الملوك والانبياء وجيومرث ابى الفرس فذاكر ما اختلفوا فيه من امرهم الى الحال التى اجتمعوا عليها واتفقوا على ملك منسم فى زمان بعينه انه هو الملك فى ذلك الزمان ان شاء الله وكان آدم مع ما اعطاه الله تعالى من ملك الارض نبيا رسولا الى ولده وانزل الله عليه احدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده علمه

يجرونها فى السماء ويردونها الى البحر المسجور وهو بحر موج مكفوف كأنه جبل معلق فى الهواء ولو بدت الشمس من ذلك البحر لاحرقت ما على وجه الارض من كل شئ حتى الجبال والصخور قال أبو الحسين بن النادى لاخلاف بين العلماء فى أن السماء على الارض مثل القبة وان العالم مثل الكرة وانها تدور بما فيها من الكواكب على قطبين ثابتين غير متحركين أحدهما فى ناحية الشمال والآخر فى ناحية الجنوب وان كرة الارض مثبتة وسط كرة السماء كالنقطة من الدائرة (عن أبى ذر رضى الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الارض الى السماء مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام والارضون مثل ذلك وما بين السماء السابعة الى العرش مثل جميع ذلك قال الخطابى وهذا على مقدار سير بنى آدم اما الملك فانه يخرق الجميع فى ساعة واحدة أو لحظة واحدة وكذا الشيطان فى الارض (سئل على) ابن أبى طالب كرم الله وجهه كم بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة فقيل له كم بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس (عن أبى ذر رضى الله عنه) قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد حين غربت الشمس فقال يا أبا ذر أتدرى أين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد بين يدى ربها فتستأذن فى الرجوع فيأذن لها أخرجاه فى الصحيحين (روى) الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لا تطلع الشمس كل يوم الا وهى كارهة تقول يا الهى لا تطلعنى على عبادك يعصونك حتى

فلما قال آدم لقابيل وهابيل في معنى نكاح أختيهما ما قال لهما سلم هابيل لذلك ورضي به وأبى ذلك قابيل وكرهه تكبرا عن أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل وقال نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فأنا أحق بأختي وقال بعض أهل العلم ان أخت قابيل كانت من أحسن الناس فضن بها على أخيه وارادها لنفسه وانهما لم يكونا من ولادة الجنة انما كانا من ولادة الارض والله اعلم فقال له ابوه آدم يا بني انها لا تحل لك فأبى ان يقبل ذلك من ابيه فقال له أبوه يا بني فقرب قربانا ويقرب اخوك هابيل قربانا فأيكما قبل الله قربانه فهو احق بها وكان قابيل على بذر الارض وهابيل على رعاية الماشية فقرب قابيل قمحا وقرب هابيل ابكارا من ابكار غنمه وقيل قرب بقرة فأرسل الله نارا بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل وبذلك كان يقبل القربان اذا قبله الله فلما قبل الله قربان هابيل وكان في ذلك القضاء له باخت قابيل غضب قابيل وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان وقال لاقتلنك حتى لا تنكح اختي قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك الى قوله فطوعت له نفسه قتل اخيه فاتبعه وهو في ماشيته فقتله فهما اللذان قص الله خبرهما في القرآن فقال واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر الى آخر القصة قال فلما قتله سقط في يده ولم يدر كيف يواريه وذلك أنه كان فيما يزعمون اول قتيل من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة اخي فاصبح من النادمين الى قوله لمسرفون فلما قتل اخاه قال الله تعالى يا قابيل اين اخوك هابيل قال لا ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان صوت دم اخيك يناديني من الارض الآن أنت ملعون من الارض التي فتحت فاها فبلعت دم اخيك فاذا انت عملت في الارض فانها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها في الارض فقال قابيل عظمت خطيئتي ان لم تغفرها قيل كان قتله عند عقبة حراء ثم نزل من الجبل آخذا بيد اخته وهرب بها الى عدن من اليمن قال ابن عباس لما قتل اخاه اخذ بيد اخته ثم هبط بها من جبل نود الى الحضيض فقال له آدم اذهب فلا تزال مرعوبا لا تأمن من تراه فكان لا يمر به احد من ولده الا رماه فأقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا ابوك قابيل فارمه فرمى الاعمى اباه قابيل فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك فرفع الاعمى يده فلطم ابنه فمات فقال يا ويلتى قتلت ابي برميتي وابني بلطمتي ولما قتل هابيل كان عمره عشرين سنة وكان لقابيل يوم قتله خمس وعشرون سنة وقال الحسن كان الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في القرآن بقوله واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق من بني اسرائيل ولم يكونا من بني آدم لصلبه وكان آدم اول من مات وقال ابو جعفر الصحيح عندنا انهما ابنا آدم لصلبه للحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل منها وذلك لانه اول من سن القتل فبان بهذا انهما لصلب آدم فان القتل ما زال بين بني آدم قبل بني اسرائيل وفي هذا الحديث انه اول من سن القتل ومن الدليل على انه مات من ذرية آدم قبله ما ورد في

(روى الواقدي) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال السماء الاولى من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من ذهب والرابعة من لؤلؤ والخامسة من الياقوت والسادسة من المرجان والسابعة من النور وتحت العرش بحر مستمسك بالقدرة ينزل منه أرزاق الحيوان يوحي الله تعالى فيمطر ما شاء من سماء الى سماء حتى يجتمع في سماء الدنيا في موضع يقال له الابرم فتجيء السحابة السوداء فتدخله فتشرب منه مثل شرب الاسفنجة فيسوقها الله حيث شاء وما أنزل الله من السماء من ماء الا بكيل قال ابن عباس رضي الله عنهما ما ينزل مطر من السماء الا ومعه البذر اما انكم لو بسطتم شيأ لرأيتموه (وفي الهيئة السنية) ان المطر اثنان مطر من السماء فيه البذر والنبات ومطر يسوقه الغيم من البحر فلا يكون معه البذر ولا النبات والسحاب غربال المطر ولولا السحاب لافسد المطر ما يقع عليه من الارض (واختلف) أصحاب الآثار والقدماء في لون السماء هل هو أصلي أو عرضي فذهب بعضهم الى انه أصلي لما روي انه عليه السلام قال ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر فعلم من هذا ان لون السماء أخضر وانه أصلي وذهب القدماء الى انه أزرق وانه عرضي واختلفوا في سببه فزعم بعضهم ان الفلك مائل الى البياض وان شعاع الشمس مائل الى الحمرة فاذا أشرق شعاع الشمس على الفلك تولد عن اللونين لون لازوردي (قال وهب بن منبه رضي الله عنه) ان الشمس على عجلة لها ثلثمائة وستون عروة قد تعلق بكل عروة ملك

وولده لانه قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بالعلم فاختفى شيث وولده ما عنده هم من العلم ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به وقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى لآدم حين خلقه ائت اولئك النفر من الملائكة فقل السلام عليكم فأتاهم فسلم عليهم وقالوا له عليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال له هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ثم قبض له يديه فقال له خذ واختر فقال أخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين ففتحها له فاذا فيها صورة آدم وذريته كلهم واذا كل رجل منهم مكتوب عنده أجله واذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة واذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور فقال هؤلاء الانبياء والرسل الذين أرسلهم الى عبادي واذا فيهم رجل هو من اضوئهم نورا ولم يكتب له من العمر الا أربعين سنة فقال آدم يارب هذا من اضوئهم نورا ولم تكتب له الا اربعين سنة بعد ان اعلمه انه داود عليه السلام فقال ذلك ما كتبت له فقال يارب انقص له من عمري ستين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اهبط الى الارض يعد ايامه فلما اتاه ملك الموت ليقبضه قال له آدم عجلت ياملك الموت قد بقي من عمري ستون سنه فقال له ملك الموت ما بقي شيء سألت ربك ان يكتبه لابنك داود فقال ما فعلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم فنسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فحينئذ وضع الله الكتاب وامر بالشهود وروي عن ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من جحد آدم ثلاث مرار وان الله لما خلقه مسح ظهره فاخرج منه ما هو ذارئ الى يوم القيامة فجعل يعرضهم على آدم فرأى منهم رجلا يزهر فقال اي رب اي بني هذا قال ابنك داود قال كم عمره قال ستون سنة قال زده من العمر قال الله تعالى لا الا ان تزيده انت وكان عمر آدم الف سنة فوهب له اربعين سنة فكتب عليه بذلك كتابا واشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم اتته الملائكة لتقبض روحه فقال قد بقي من عمري اربعون سنة قالوا انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيئا فانزل الله عليه الكتاب واقام الملائكة شهودا فاكمل لآدم الف سنة واكمل لداود مائة سنة وروى مثل هذا عن جماعة منهم سعيد بن جبير وقال ابن عباس كان عمر آدم تسعمائة سنة وستا وثلاثين سنة وأهل التوراة يزعمون ان عمر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة والاخبار عن رسول الله والعلماء ماذكرنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق وعلى رواية ابي هريرة التي فيها ان آدم وهب داود من عمره ستين سنة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين وما في التوراة من ان عمره كان تسعمائة وثلاثين سنة فلعل الله ذكر عمره في التوراة سوى ما وهبه لداود قال ابن اسحق عن يحيى بن عباد عن ابيه قال بلغني ان آدم حين مات بعث الله بكفنه وحنوطه من الجنة ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم حين حضرته الوفاة بعث الله اليه بحنوطه وكفنه من الجنة فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم فقال خلي عني وعن رسل ربي فما لقيت ما لقيت الا منك ولا اصابني ما اصابني الا فيك فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترا وكفنوه في وتر من الثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس لما مات

أسلاها المنافع العالم (والسادسة) انه الأجتمع مع القمر في سلطانه ... ٢١ يقال كل واحد منهما ... والآخر وقد سئل افلاطون الشمس فقال هي فلك مشحون يخرج منه اللهب وفي القمر فوائد (منها) انه سراج للخلق الليل ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقدرله منازل ليعرف بها المواقيت وجعل من نوره تسعا وتسعين جزأ ولولا ذلك لانبسط الناس في معايشهم ليلا ونهارا فتأذي الحريص كثيرا وفيه عيوب (منها) ان النوم فيه منكشفا يورث البرص (ومنها) انه يبلي الكتان ونوره من نور الشمس عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال الناس يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك اخرجاه في الصحيحين ذكر المسعودي في اخبار الزمان عن زرارة بن ابي اوفى رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت لجبرائيل هل رأيت ربك قط فانتفض ثم قال يامحمد ان بيني وبينه سبعين الف حجاب من نور لو دنوت الى واحد منهما لاحترقت

(الفصل السادس في معنى النبوة والرسالة وما ورد في سور الانبياء واقلامهم من المقالة وعدد النبيين وتفاوت مابينهم من الدين)

قال الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سره في الفتوحات المكية اعلم ان النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله تعالى يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبد بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان

اياها جبريل روى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا قال قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا يعني كثيرا طيبا قال قلت من اولهم قال آدم قال قلت يارسول الله وهو نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سوّاه رجلا وكان ممن أنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في احدى وعشرين ورقة

(ذكر ولادة شيث)

ومن الاحداث في أيامه ولادة شيث وكانت ولادته بعد مضي مائة وعشرين سنة لآدم وبعد قتل هابيل بخمس سنين وقيل ولد فردا بغير توأم وتفسير شيث هبة الله ومعناه انه خلف من هابيل وهو وصيّ آدم وقال ابن عباس كان معه توأم ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وأعلمه بالطوفان وصارت الرياسة بعد آدم اليه وأنزل الله عليه خمسين صحيفة واليه انساب بني آدم كلهم اليوم وأمّا الفرس الذين قالوا ان جيومرث هو آدم فانهم قالوا ولد لجيومرث ابنه ميشان أخت ميشى وتزوّج ميشى أخته ميشان فولدت له سيامك وسيامى فولد لسيامك بن جيومرث افروال ودقس وبواسب وابوب واوراش وأمهم جميعا سيامى ابنة ميشى وهي أخت أبيهم وذكروا ان الارض كلها سبعة أقاليم فارض بابل وما يوصل اليه مما يأتيه الناس برا وبحرا فهو من اقليم واحد وسكانه ولد افروال بن سيامك واعقابهم فولد لافروال بن سيامك من افرى ابنة سيامك أوشهنج بيشداد الملك وهو الذي خلف جده جيومرث في الملك وهو أول من جمع ملك الاقاليم السبعة وسنذكر اخباره وكان بعضهم يزعم ان أوشهنج هذا هو ابن آدم لصلبه من حوّاء وأمّا ابن الكلبي فانه زعم أن أول من ملك الارض أوشهنق بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح قال والفرس تزعم انه كان بعد آدم بمائتي سنة وانما كان بعد نوح بمائتي سنة ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح والذي ذكره هشام بن الكلبي لا وجه له لانّ أوشهنج مشهور عند الفرس وكل قوم أعلم بانسابهم وأيامهم من غيرهم قال وقد زعم بعض نسابة الفرس انّ أوشهنج هذا هو مهلائيل وانّ أباه افروال هو قينان وان سيامك هو انوش أبو قينان وان ميشى هو شيث أبو انوش وان جيومرث هو آدم فان كان الامر كما زعم فلا شك ان أوشهنج كان في زمن آدم رجلا وذلك لانّ مهلائيل فيما ذكر في الكتب الاولى كانت ولادة امه دينه ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم وأتاه بعد ما مضى من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة وقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس وستون سنة على حساب ان عمر آدم كان ألف سنة وقد زعمت الفرس انّ ملك أوشهنج كان أربعين سنة فان كان الامر على ما ذكره النسابة الذي ذكرت منه ما ذكرت فلا يبعد من قال ان ملكه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة

(ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر ان آدم مرض أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وأمره ان يخفي علمه عن قابيل

انها تقف عند الطلوع فيدفعها ثلثمائة وستون ٣٠ ملكا حتى تطلع وايضا عنه قال تطلع الشمس كل سنة في ثلثمائة وستين كوة لا ترجع الى تلك الكوة الى ذلك اليوم من العام القابل قال الحسن البصري رحمه الله الشمس تغرب في ماء يغلي غليان القدور ويفيض الماء من تلك العين الحارة حولها ثلاثة أيام لا يأتي على شئ الا احترق (وحكى الثعلبي) عن عمرو بن مالك بن أمية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فاستأجرت رجلا وسرت حتى رأيتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلتحف بالاخرى وكان صاحبي يحسن بلسانهم فسألهم قالوا وما أنتم قال جئنا حتى ننظر الى الشمس كيف تطلع قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ووقعت ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذ هي كهيئة الزيت واذا طرف السماء كالفسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سربا لهم انا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصيدون السمك فيطرحونه في الشمس ويأكلونه * وللشمس منافع كثيرة (احدها) انها سراج العالم (والثانية) انها طباخ لاطعمتهم من غير كلفة ومنضج لثمرهم (والثالثة) تسير من المشرق الى المغرب لصالحهم (والرابعة) انها لا تقف في مكان واحد لئلا تضر بالخلق (والخامسة) انها تسكون في الشتاء في اسفل البروج وفي الصيف في

وولده

واعقبت فبني بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها وقال ابن اسحق ان قينا وهو قابيل نكح أخته اشوث بنت آدم فولدت له رجلا وامرأة حنوخ بن قين وعذب بنت قين فنكح حنوخ أخته عذب فولدت ثلاثة بنين وامرأة عيرد ومحويل وأنوشيل وموليث ابنة حنوخ فنكح أنوشيل بن حنوخ أخته موليث وولدت له رجلا اسمه لامك فنكح لامك امرأتين اسم احداهما عدى والاخرى صلى فولدت عدى تواس بن لامك فكان أول من سكن القباب واقتنى المال وتوبلين فكان أول من ضرب بالونج والصنج وولدت رجلا اسمه توبلقين وكان أول من عمل النحاس والحديد وكان أولادهم فراعنة وجبابرة وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق قال ثم انقرض ولد قين ولم يتركوا عقبا الا قليلا وذرية آدم كلها جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم الا ما كان من شيث فمنه كان النسل وانساب الناس اليوم كلهم اليه دون أولاد أبيه آدم ولم يذكر ابن اسحق من أمر قابيل وولده الا ما حكيت وقال غيره من أهل التوراة ان أول من اتخذ الملاهي من ولد قابيل رجل يقال له توبال بن قابيل اتخذها في زمان مهلائيل بن قينان اتخذ المزامير والطنابير والطبول والعيدان والمعازف فانهمك ولد قابيل في اللهو وتناهى خبرهم الى من بالجبل من ولد شيث فهم منهم مائة رجل بالنزول اليهم وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم وبلغ ذلك يارد فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا ونزلوا الى ولد قابيل وأعجبوا بما رأوا منهم فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم فلما أبطؤا ظن من بالجبل ممن كان في نفسه زيغ انهم أقاموا اغتباطا فتسللوا ينزلون من الجبل ورأوا اللهو فأعجبهم ووافقوا نساء من ولد قابيل متسرعات اليهم وصرن معهم وانهمكوا في الطغيان وفشت الفحشاء وشرب الخمر فيهم وهذا القول غير بعيد من الحق وذلك انه قد روي عن جماعة من سلف علمائنا المسلمين نحو منه وان لم يكونوا بينوا زمان من حدث ذلك في ملكه الا انهم ذكروا ان ذلك كان فيما بين آدم ونوح منهم ابن عباس أو مثله ومثله روى الحكم بن عتيبة عن أبيه مع اختلاف قريب من القولين والله أعلم وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قينان وانه هو أوشهنج الذي ملك الاقاليم السبعة وبينت قول من خالفهم وقال هاشم بن الكلبي انه أول من بنى البناء واستخرج المعادن وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد وبنى مدينتين كانتا أول ما بني على ظهر الارض من المدائن وهما مدينة بابل وهي بالعراق ومدينة السوس بخوزستان وكان ملكه أربعين سنة وقال غيره هو اول من استنبط الحديد وعمل منه الادوات للصناعات وقدر المياه في مواضع المنافع وحض الناس على الزراعة واعتقاد الاعمال وامر بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش وبذبح البقر والغنم والوحش وأكل لحومها وانه بنى مدينة الري قالوا وهي اول مدينة بنيت بعد مدينة جيومرث التي كان يسكنها بدنباوند وقالوا انه اول من وضع الاحكام والحدود وكان ملقبا بذلك يدعى بيشداد ومعناه بالفارسية اول من حكم بالعدل وذلك ان بيش معناه اول وداد معناه عدل وقضاء وهو اول من استخدم الجواري واول من قطع الشجر وجعله في البناء وذكروا انه نزل الهند وتنقل في البلاد وعقد على راسه تاجا وذكروا انه قهر ابليس

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد الانجيل بستمائة سنة والسنة الانبياء ثلاثة سريانية وعبرانية وعربية وهي لسان الوحي ذكر السيوطي في الاتقان انه ما نزل وحي الا بلسان عربي مبين فترجم كل نبي بلسان قومه وفي محاضرة الاوائل ان الله تعالى علم آدم عليه السلام ألف حرفة مما يحتاج أولاده اليها كما علمه الالسن فكل شيء سماه آدم فهو اسمه الى يوم القيامة فتفرقت الحرف في أولاده توفيقا منه فكل أخذ عن الاب الاكبر بحسب الاستعداد للكمالات الادمية لانه انشأ آلات الصنائع والهم معرفة حقائق الاشياء ولما نزل من الجنة كان معه الابرة والمطرقة والسندان والكلبتين كذا في تفسير الشيخ وكان لبعض الانبياء حرف يستعينون بها في معايشهم فمن ثم كان آدم عليه السلام حراثا وزراعا وادريس عليه السلام كان كاتبا وخياطا فهو أول من خط وخاط وكان نوح عليه السلام نجارا وكان هود عليه السلام تاجرا وكذلك صالح عليه السلام وكان ابراهيم الخليل عليه السلام يعمل الحراثة والزراعة وكان اسمعيل عليه السلام قناصا واسحق عليه السلام راعيا كذلك يعقوب عليه السلام ويوسف كان وزير فرعون مصر وكان أيوب عليه السلام تاجرا وشعيب عليه السلام راعيا وكذلك موسى عليه السلام وهرون عليه السلام كان وزير موسى والياس عليه السلام كان نساجا وكان داود عليه السلام زرادا وولده سليمان عليه السلام كان يعمل القفف ويحيى وزكريا عليهما السلام يعمل بالطب وعيسى عليه السلام سياحا وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مجاهدا وفي روض

آدم قال شيث لجبرائيل صل عليه فقال تقدم انت فصل على ابيك فكبر عليه ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون تفضلا لآدم وقيل دفن في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكبر وقال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة دفن آدم بيت المقدس وكانت وفاته يوم الجمعة كما تقدم وذكر ان حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت الى وقت الطوفان واستخرجهما نوح وجعلهما في تابوت ثم حملهما معه في السفينة فلما غاضت بالارض الماء ردهما الى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان قال وكانت حواء فيما ذكر قد غزلت ونسجت وعجنت وخبزت وعملت اعمال النساء كلها واذ قد فرغنا من ذكر آدم وعدوه ابليس وذكر اخبارهما وما صنع الله بعدوه ابليس حين تجبر وتكبر من تعجيل العقوبة وطغى وبغى من الطرد والإبعاد والنظرة الى يوم الدين وما صنع بآدم اذ أخطأ ونسي من تعجيل العقوبة له ثم تغمده الله بالرحمة اذ تاب من زلته فارجع الى ذكر قابيل وشيث ابني آدم وأولادهما ان شاء الله

(ذكر شيث بن آدم عليه السلام)

قد ذكرنا بعض أمره وانه كان وصي آدم في مخلفيه بعد مضيه لسبيله وما أنزل الله عليه من الصحف وقيل انه لم يزل مقيما بمكة يحج ويعتمر الى ان مات وانه كان جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها وانه بنى الكعبة بالحجارة والطين وأما السلف من علمائنا فانهم قالوا لم تزل القبة التي جعل الله لآدم مكان البيت الى أيام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان وقيل ان شيثا لما مرض أوصى الى ابنه انوش ومات فدفن مع أبويه بغار أبي قبيس وكان مولده لمضي مائتي سنة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك وقد تقدم وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة وقام انوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير من تحت يديه من رعيته مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل فكان جميع عمر انوش سبعمائة وخمس سنين وكان مولده بعد ان مضى من عمر أبيه شيث ستمائة سنة وخمس سنين وهذا قول أهل التوراة وقال ابن عباس ولد لشيث انوش وولد معه نفرا كثيرا واليه أوصى شيث ثم ولد لانوش بن شيث ابنه قينان من أخته نعمة بنت شيث بعد مضي تسعين سنة من عمر انوش وولد معه نفرا كثيرا واليه الوصية وولد قينان مهلائيل ونفرا كثيرا معه واليه الوصية وولد مهلائيل يرد وهو البارد ونفرا معه واليه الوصية فولدت يرد حنوخ وهو ادريس النبي ونفرا معه واليه الوصية وولد حنوخ متوسلخ ونفرا معه واليه الوصية واما التوراة ففيها ان مهلائيل ولد بعد ان مضى من عمر آدم عليه السلام ثلثمائة وخمس وتسعون سنة ومن عمر قينان سبعون وولد يرد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة فكان على منهاج أبيه غير ان الاحداث بدأت في زمانه

(ذكر الاحداث التي كانت من لدن ملك شيث الى ان ملك يرد)

ذكر ان قابيل لما قتل هابيل وهرب من أبيه آدم الى اليمن أتاه ابليس فقال له ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت أيضا نارا تكون لك

رسولا وفي الكتب الكلامية الولي هو العارف بالله تعالى وصفاته حسب ما يكون المواظب على الطاعات المتجنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وكرامته ظهور امر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة وفي العمدة لم يبعث الله تعالى نبيا من اهل البادية ولا من النساء ولا من الجن وفي ربيع الابرار للزمخشري عن فرقد السبخي لم يبعث الله نبيا قط من مصر من الامصار وانما بعثوا من القرى ذكر الهروي في كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات ان بلاد الغرب والعجم لم يطأها نبي بل بها من العباد والزهاد ما لو جمع لكان خلقا كثيرا وفي العرائس قال الله تعالى اني قضيت يوم خلقت السموات والارض ان أجعل النبوة في الاجراء وأجعل الملك في الرعاة والعز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والآجام في المفازة وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه انه قال جميع الكتب المنزلة مائة صحيفة وأربعة كتب نزل على آدم عليه السلام عشر صحائف في عشرين ورقة وهي حروف المعجم وهي أول كتاب كان في الدنيا وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعشرون ورقة وأنزلت التوراة على موسى بعد صحف ابراهيم بسبعمائة سنة وأنزل الزبور على داود بعد التوراة بخمسمائة عام وأنزل الانجيل على عيسى بعد الزبور بستمائة وعشرين عاما والقرآن على

والعقلنا

سنة من ملكه ودعا الى ملة الصابئين كذا قال أبو جعفر وغيره من العلماء انه ركب ابليس وطاف عليه والهدة عليهم وانما نحن نقلنا ما قالوه وقال ابن الكلبي أول ملوك الارض من بابل طهمورث وكان لله مطيعا وكان ملكه أربعين سنة وهو أول من كتب بالفارسية وفي أيامه عبدت الاصنام وأول ما عرف الصوم في ملكه وسببه ان قوما فقراء تعذر عليهم القوت فامسكوا نهارا وأكلوا ليلا ما يمسك رمقهم ثم اعتقدوه تقربا الى الله وجاءت الشرائع به

(ذكر حنوخ وهو ادريس عليه السلام)

ثم نكح حنوخ بن يرد هدانة وقال اذانة ابنة باويل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم وهو ابن خمس وستين سنة فولدت له متوشلخ بن حنوخ فعاش بعد ما ولد متوشلخ ثلثمائة سنة ثم رفع واستخلفه حنوخ على أمر ولده وأمر الله وأوصاه وأهل بيته قبل ان يرفع واعلمهم ان الله سوف يعذب ولد قابيل ومن خالطهم ونهاهم عن مخالطتهم وانه كان أول من ركب الخيل لانه سلك رسم أبيه حنوخ في الجهاد ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزازيل بن أنوشيل بن حنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة فولدت له لمك بن متوشلخ فعاش بعد ما ولد له لمك سبعمائة سنة وولد له بنون وبنات فكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وسبعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى الى ابنه لمك فكان لمك يعظ قومه وينهاهم عن مخالطة ولد قابيل فلم يقبلوا حتى نزل اليهم جميع من كان معهم في الجبل وقيل كان لمتوشلخ ابن آخر غير لمك يقال له صابئ وبه سمي الصابئون (قلت محويل بحاء مهملة وياء معجمة باثنتين من تحت وقين بقاف وياء معجمة باثنتين من تحت ومتوشلخ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبحاء مهملة وقيل خاء معجمة) ونكح لمك بن متوشلخ قينوش ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ ابن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة فولدت له نوح بن لمك وهو النبي فعاش لمك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة وولد له بنون وبنات ثم مات ونكح نوح ابن لمك عزرة بنت براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين وهو ابن خمسمائة سنة فولدت له ولده ساما وحاما ويافث بني نوح وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ولما أدرك قال له أبوه لمك قد علمت انه لم يبق في هذا الجبل غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الامة الخاطئة وكان نوح يدعو قومه ويعظهم فيستخفون به وقيل كان نوح في عهد بيوراسب وكان قومه فدعاهم الى الله تسعمائة وخمسين سنة كلما مضى قرن اتبعهم قرن على ملة واحدة من الكفر حتى انزل الله عليهم العذاب وقال ابن عباس فيما رواه الكلبي عن أبي صالح عنه فولد لمك نوحا وكان له يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ولم يكن في ذلك الزمان أحد ينهى عن منكر فبعث الله اليهم نوحا وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم مائة وعشرين سنة ثم أمره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ثم مكث من بعد السفينة ثلثمائة سنة وخمسين سنة وروي عن جماعة من السلف انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق وان الكفر بالله حدث في القرن الذي بعث اليهم نوح فأرسله الله وهو أول نبي بعث بالانذار والدعاء الى التوحيد وهو قول

ثلاثة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ما بين آدم عليه السلام الى نبينا ٣٥ محمد صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وخمسمائة وخمسة وسبعون سنة وعلى ما رواه الكلبي عن أبيه الخ انه ستة آلاف وتسع عشرة سنة وتفصيل ذلك من آدم الى نوح عليه السلام ألف ومائتا سنة ومن نوح الى ابراهيم عليه السلام ألف ومائة سنة ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وخمس وسبعون سنة ومن موسى الى داود ألف ومائة سنة وتسع وسبعون سنة ومن داود الى عيسى ألف وثلثمائة وخمس وستون سنة ومن عيسى الى محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وللمجوس الفرس وأصحاب الزيجات واليهود واليونانيين من النصارى أقوال كثيرة تركناها قصد الاختصار وفي نزهة النواظر عن ابن عساكر بسنده الى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل حدثه قال مضى من الدنيا ستة آلاف وسبعمائة سنة وذكر محمد بن جرير الطبري انه من آدم الى انقضاء الخلق سبعة آلاف سنة وان طلوع الشمس من مغربها قبل انقضاء العالم ونبي في الارض مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي وثلثمائة وثلاثة عشر من المرسلين وما بقي من الدنيا الا كما بقي من النهار اذا غابت الشمس وبقي حمرة الشمس على الحيطان وفي بعض الاخبار ان أبانا آدم عليه السلام لما خلق قالت له الارض يا آدم قد جئتني بعد ما ذهب جدتي ونضرتي وشبابي وقد خلقت اي بليت

مل ل وقد ثبت والذي أثبته بطليموس في المجسطي وأرخه ويصدمه ان بين هبوط آدم وبين الهجرة ستة آلاف سنة

وجنوده ومنعهم الاختلاط بالناس وتوعدهم على ذلك وقتل مردتهم فهربوا من خوفه الى المفاوز والجبال فلما مات عادوا وقيل انه سمى شرار الناس شياطين واستخدمهم وملك الاقاليم كلها وانه كان بين مولد أوشهنج وموت جيومرث مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة (عتيبة بالعين وبعدها تاء فوقها نقطتان وياء تحتها نقطتان وباء موحدة)

(ذكر يرد)

وقيل يارد بن مهلائيل أمه خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ولد بعدما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة وفي أيامه عملت الاصنام وعاد من عاد عن الاسلام ثم نكح يرد في قول ابن اسحق وهو ابن مائة واثنتين وستين سنة بركنا ابنة الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم فولدت له خنوخ وهو ادريس النبي فكان أول بني آدم اعطي النبوة وخط بالقلم وأول من نظر في علوم النجوم والحساب وحكماء اليونانيين يسمونه هرمس الحكيم وهو عظيم عندهم فعاش يرد بعد مولد ادريس ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات فكان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة وقيل أنزل على ادريس ثلاثون صحيفة وهو أول من جاهد في سبيل الله وقطع الثياب وخاطها وأول من سبى من ولد قابيل بن آدم فاسترق منهم وكان وصي والده يرد فيما كان آباؤه وصوا به اليه وفيما أوصى بعضهم بعضا وتوفي آدم بعد ان مضى من عمر ادريس ثلثمائة وثمان سنين ودعا ادريس قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان وان لا يلابسوا أولاد قابيل فلم يقبلوا منه قال وفي التوراة ان الله رفع ادريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة من عمره وبعد ان مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسا وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أباذر من الرسل أربعة سريانيون آدم وشيث وخنوخ وهو أول من خط بالقلم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وقيل ان الله أرسله الى جميع أهل الارض في زمانه وجمع له علم الماضين وزاده ثلاثين صحيفة وقال بعضهم ملك بيوراسب في عهد ادريس وكان قد وقع اليه من كلام آدم فاتخذه سحرا وكان بيوراسب يعمل به (يارد بياء معجمة باثنتين من تحتها وراء مهملة وذال (٢) معجمة وخنوخ بخاء مهملة مفتوحة ونون بعدها واو وخاء معجمة وقيل بخاءين معجمتين)

(ذكر ملك طهمورث)

زعمت الفرس انه ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان يعني خير أهل الارض ابن حبايداد بن أوشهنج وقيل في نسبه غير ذلك وزعم الفرس أيضا انه ملك الاقاليم السبعة وعقد على رأسه تاجا وكان محمودا في ملكه مشفقا على رعيته وانه ابتنى سابور من فارس ونزلها وتنقل في البلدان وانه وثب بابليس حتى ركبه فطاف عليه في أداني الارض وأقاصيها وأفزعه ومردته حتى تفرقوا وكان أول من اتخذ الصوف والشعر للبس والفرش وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وغيرها وأخذ الجوارح للصيد وكتب بالفارسية وان بيوراسب ظهر في اول

الرابع من الامام اليافعي ان الله تبارك وتعالى لما اخرج الناس من ظهر آدم عليه السلام في عالم الذر عرض عليهم جميع الصنائع الدنيوية والحرف البشرية الى يوم القيامة فاختار كل انسان صنعة بحسب استعداده وقابليته فلما أبرزهم الى الوجود في الدنيا أجرى على لسان كل احد وأيده بما اختار لنفسه من الحرف في عالم الارواح فوقع التعارف والتناكر والتعلم والتعليم بين الارواح فأخذ كل روح من جنسه ما يلائم استعداده فانفردت طائفة من بين الارواح لم تختر شيأ فقيل لها من حضرة الغيب اختاري فقالت يا ربنا ما أعجبنا شيء من تلك الحرف التي شاهدناها نختاره فأظهر لهم تعالى وتقدس مقامات العبودية فقالت الارواح قد اخترنا يا مولانا خدمتك فناداهم الحق جل جلاله وعزتي وجلالي لاسخرنكم غدا فيمن عرفكم وخدمكم وكان للانبياء عليهم السلام اقلام مختلفة فكان قلم آدم عليه السلام سريانيا وقلم شيث عليه السلام صوابيا وقلم ادريس عليه السلام بربريا وقلم نوح عليه السلام جزريا وقلم ابراهيم عليه السلام برهميا وقلم اسحق عليه السلام يونانيا وقلم موسى عليه السلام عبرانيا وقلم داود عليه السلام عزيريا وقلم سليمان عليه السلام كاهنيا وقلم عيسى عليه السلام روميا وقلم شمعون افرنجيا وقلم جرجيس قبطيا وقلم دانيال أرمنيا وقلم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كوفيا وهو أفضل الاقلام كذا ذكره البوني في كتابه وأول من صلى العشاء موسى عليه السلام وأول من صلى المغرب عيسى عليه السلام وأول من صلى العصر يونس عليه السلام وأول من صلى الظهر ابراهيم عليه السلام وأول من صلى الفجر آدم عليه السلام وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في مسامراته

منه

لو كان كما هذا الفصل خالا من شئ نذكره من أخبارهم

(ذكر الاحداث التي كانت في زمن نوح عليه السلام)

قد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين أرسل اليهم نوح فمنهم من قال انهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله ومنهم من قال انهم كانوا أهل طاعة بيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه على ذلك الذين ارسل اليهم نوح وسنذكر أخبار بيوراسب فيما بعد وأما كتاب الله فانه ينطق بأنهم أهل أوثان قال تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا قلت لا تناقض بين هذه الاقاويل الثلاثة فان القول الحق الذي لا يشك فيه هو انهم كانوا أهل أوثان يعبدونها كما نطق به القرآن وهو مذهب طائفة من الصابئين فان أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيين وهم الملائكة لتقربهم الى الله تعالى زلفى فانهم اعترفوا بصانع العالم وانه حكيم قادر مقدس الا انهم قالوا الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى معرفة جلاله وانما نتقرب اليه بالوسائط المقربة لديه وهم الروحانيون وحيث لم يعاينوا الروحانيين تقربوا اليهم بالهياكل وهي الكواكب السبعة السيارة لانها مدبرة لهذا العالم عندهم ثم ذهبت طائفة منهم وهم أصحاب الاشخاص حيث رأوا ان الهياكل تطلع وتغرب وترى ليلا ولا ترى نهارا الى وضع الاصنام لتكون نصب أعينهم ثم ليتوسلوا بها الى الهياكل والهياكل الى الروحانيين والروحانيون الى صانع العالم فلهذا كان أصل وضع الاصنام أولا وقد كان أكثر فرق العرب من هو على هذا الاعتقاد قال تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقد حصل من عبادة الاصنام مذهب الصابئين والكفر والفواحش وغير ذلك من المعاصي فلما تمادى قوم نوح على كفرهم وعصيانهم بعث الله اليهم نوحا يحذرهم بأسه ونقمته ويدعوهم الى التوبة والرجوع الى الحق والعمل بما أمر الله تعالى وأرسل نوح وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وقال عون بن شداد ان الله تعالى أرسل نوحا وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وقيل غير ذلك وقد تقدم قال ابن اسحق وغيره ان قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لي ولقومي فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا في معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الشأن اشتد عليه البلاء وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن الا كان أخبث من الذي كان قبله حتى ان كان الآخر ليقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونا لا يقبلون منه شيأ وكان يضرب ويلف ويلقى في بيته يرون انه قد مات فاذا أفاق اغتسل وخرج اليهم يدعوهم الى الله فلما طال ذلك عليه ورأى الاولاد شرا من الآباء قال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان تك لك فيهم حاجة فاهدهم وان يك غير ذلك فصبرني الى ان تحكم فيهم فأوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلما يئس من ايمانهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى آخر القصة فلما شكا الى الله واستنصره عليهم أوحى الله اليه ان

الفصل الرابع في ذكر منبع الفضائل والمفاخر الامام محمد بن علي الباقر الفصل الخامس في ذكر عالم الحقائق والدقائق الامام جعفر بن محمد الصادق الفصل السادس في ذكر المجتهد القائم المتصدق الصائم الامام موسى بن جعفر الكاظم الفصل السابع في ذكر مشبه شجاعة جده علي المرتضى الامام علي بن موسى الرضا الفصل الثامن في ذكر من ظهرت كراماته من ليلة الميلاد الامام محمد بن علي الجواد الفصل التاسع في ذكر بيت الحلم والعلم والايادي الامام علي بن محمد الهادي الفصل العاشر في ذكر برج الاصل الزكي والمكاشف بالامر الخفي الامام الحسن بن علي العسكري الفصل الحادي عشر في ذكر الخلف الصالح الامام أبي القاسم محمد بن حسن العسكري الباب الرابع في ذكر فضائل قريش وما للصحابة في العقبى من أرغد عيش وما ورد من الاخبار في فضائل المهاجرين والانصار الباب الخامس في ذكر خلفاء بني أمية ومن وصف منهم بأخلاق سنية وهم على قسمين القسم الاول بالشام والثاني بالمغرب الباب السادس في ذكر خلفاء العباسيين سلالة ذوي التقى والنقى والدين وهم على قسمين القسم الاول بالعراق والثاني بمصر الباب السابع في ذكر دولة العبيديين الذين تسموا بالفاطميين الباب الثامن في ذكر دولة بني أيوب ملوك مصر والشام القامعين لاهل الشرك والازلام الباب التاسع في ذكر دولة الترك بالديار المصرية الباب العاشر في ذكر دولة الجراكسة بمصر والشام وسيرهم الماضية في الايام الباب الحادي

ابن عباس وقتادة

(ذكر ملك جمشيد)

وأما علماء الفرس فانهم قالوا ملك بعد طهمورث جمشيد والشيد عندهم الشعاع وجم القمر لقبوه بذلك لجماله وهو جم بن ويونجهان وهو أخو طهمورث وقيل انه ملك الاقاليم السبعة وسخر له ما فيها من الجن والانس وعقد التاج على رأسه وأمر لسنة مضت من ملكه الى خمسين سنة بعمل السيوف والدروع وسائر الاسلحة وآلة الصناع من الحديد ومن سنة خمسين من ملكه الى سنة مائة بعمل الابريسم وغزله والقطن والكتان وكل ما يستطاع غزله ونسجا كذلك وصبغه الوانا ولبسه ومن سنة مائة الى سنة خمسين ومائة صنف الناس أربع طبقات طبقة مقاتلة وطبقة فقهاء وطبقة كتاب وصناع وطبقة حراثين واتخذ منهم خدما ووضع لكل أمر خاتما مخصوصا به فكتب على خاتم الحرب الرفق والمداراة وعلى خاتم الخراج العمارة والعدل وعلى خاتم البريد والرسل الصدق والامانة وعلى خاتم المظالم السياسة والانتصاف وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاها الاسلام ومن سنة مائة وخمسين الى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين واذلهم وقهرهم وسخروا له ومن سنة خمسين ومائتين الى سنة ست عشرة وثلثمائة وكل الشياطين بقطع الاحجار والصخور من الجبال وعمل الرخام والجص والكلس والبناء بذلك الحمامات والنقل من البحار والجبال والمعادن والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر وأنواع الطيب والادوية فنفذوا في ذلك بأمره ثم أمر فصنعت له عجلة من الزجاج فاصفد فيها الشياطين وركبها وأقبل عليها في الهواء من دنباوند الى بابل في يوم واحد وهو يوم هرمز روز وافروردين ماه فاتخذ الناس ذلك اليوم عيدا وخمسة أيام بعده وكتب الى الناس في اليوم السادس يخبرهم انه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله فكان من جزائه اياه عليهم انه قد جنبهم الحر والبرد والاسقام والهرم والحسد فمكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والست عشرة سنة لا يصيبهم شيء مما ذكره ثم بنى قنطرة على دجلة فبقيت دهرا طويلا حتى خربها الاسكندر وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا فعمدوا الى عمل الجسور من الخشب ثم ان جما بطر نعمة الله عليه وجمع الانس والجن والشياطين وأخبرهم انه وليهم ومانعهم بقوته من الاسقام والهرم والموت وتمادى في غيه فلم يحر أحد منهم جوابا وفقد مكانه بهاءه وعزه وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره فأحس بذلك بيوراسب الذي سمي الضحاك فابتدر الى جم لينتهسه فهرب منه ثم ظفر به بعد ذلك بيوراسب فاستطرد امعاءه وأشره بمنشار وقيل انه ادعى الربوبية فوثب عليه أخوه ليقتله واسمه اسفتور فتوارى منه ثم خرج عليه في تواريه بيوراسب فغلبه على ملكه وقيل كان ملكه بعد ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر قلت وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد ان كنا عازمين على تركه لما فيه من الاشياء التي تمجها الاسماع وتأباها العقول والطباع فانها من خرافات الفرس مع أشياء أخر قد تقدمت قبلها وانما ذكرناها ليعلم جهل الفرس فانهم كثيرا ما يشنعون على العرب بجهلهم وما علموا هذا ولا ما

ومائتين وست عشرة سنة وقد ورد في الحديث النبوي ان مدة عمر الدنيا سبعة آلاف سنة واني بعثت في الالف الآخرة فكان في الالف الاولى آدم عليه السلام وفي الثانية ادريس عليه السلام وفي الثالثة نوح عليه السلام وفي الرابعة ابراهيم عليه السلام وفي الخامسة موسى عليه السلام وفي السادسة عيسى عليه السلام وفي الالف السابعة محمد صلى الله عليه وسلم وبه تمت آلاف الدنيا كذا في أصول التواريخ وغيره والله أعلم

(الفصل السابع في ذكر تراجم الابواب المظهرة لاسرار الكتاب) وتشتمل على خمسة وخمسين بابا الباب الاول في ذكر الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وفيه أربعون فصلا الباب الثاني في ذكر الخلفاء الراشدين والائمة المهديين رضوان الله عليهم أجمعين وفيه أربعة فصول الفصل الاول في ذكر أبي بكر الصديق معدن الهدى والتصديق الفصل الثاني في ذكر عمر بن الخطاب الموفق للصواب الفصل الثالث في ذكر عثمان بن عفان خليفة التقى والايمان الفصل الرابع في ذكر علي بن أبي طالب ذي الفضائل والمناقب الباب الثالث في ذكر الحسن والحسين ابني أمير المؤمنين وسبطي سيد المرسلين وأولادهما رضوان الله عليهم أجمعين وفيه عدة فصول الفصل الاول في ذكر برزخ الكرم والمنن الامام أبي محمد الحسن الفصل الثاني في ذكر النجم الطالع من بين القمرين الامام أبي عبد الله الحسين الفصل الثالث في ذكر برج سرطان الراكعين الامام علي بن الحسين زين العابدين

لو

وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه الذي هلك وكان في معزل يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين وكان كافرا قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء وكان عهده بالجبال وهي حرز وملجأ فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وعلا الماء على رؤس الجبال فكان على اعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا فهلك ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلم يبق الا نوح ومن معه والاعوج بن عنق فيما زعم أهل التوراة وكان بين ارسال الماء وبين ان غاض ستة أشهر وعشر ليال قال ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما فاقبلت الوحش حين أصابها المطر والطين الى نوح وسخرت له فحمل منها كما أمره الله فركبوا فيها لعشر ليال مضين من رجب وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام من صام يوم عاشوراء وكان الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض وطافت السفينة بالارض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا ثم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل بقردى بأرض الموصل فاستقرت عليه فقيل عند ذلك بعدا للقوم الظالمين ولما استقرت قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء نشفته الارض واقام نوح في الفلك الى ان غاض الماء فلما خرج منها اتخذ بناحية قردى من أرض الجزيرة موضعا وابتنى قرية سموها ثمانين وهي الآن تسمى سوق الثمانين لان كل واحد ممن معه بنى لنفسه بيتا وكانوا ثمانين رجلا قال بعض اهل التوراة لم يولد لنوح الا بعد الطوفان وقيل ان ساما ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة وقيل ان اسم ولده الذي أغرق كان كنعان وهو يام وأما المجوس فانهم لا يعرفون الطوفان ويقولون لم يزل الملك فينا من عهد جيومرث وهو آدم قالوا ولو كان كذلك لكان نسب القوم قد انقطع وملكهم قد اضمحل وكان بعضهم يقر بالطوفان ويزعم انه كان في اقليم بابل وما قرب منه وان مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك اليهم وقول الله تعالى أصدق في ان ذرية نوح هم الباقون فلم يعقب أحد ممن كان معه في السفينة غير ولده سام وحام ويافث ولما حضرت نوحا الوفاة قيل له كيف رأيت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وأوصى الى ابنه سام وكان أكبر ولده

(ذكر بيوراسب وهو الازدهاق الذي يسميه العرب الضحاك)

وأهل اليمن يدّعون أن الضحاك منهم وانه أول الفراعنة وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل والفرس تذكر انه منهم وتنسبه اليهم وانه بيوراسب بن ارونداسب بن رينكاو بن وندريشتك بن تاذين بن فروال بن سيامك بن ميشي بن جيومرث ومنهم من ينسبه هذه النسبة وزعم أهل الاخبار انه ملك الاقاليم السبعة وانه كان ساحرا فاجرا قال هشام بن الكلبي ملك الضحاك بعد جم فيما يزعمون والله أعلم الف سنة ونزل السواد في قرية يقال لها برس في ناحية طريق الكوفة وملك الارض كلها وسار بالجور والعسف وبسط يده في القتل وكان أوّل من سنّ الصلب والقطع واوّل من وضع العشور وضرب الدراهم وأوّل من تغنى وغُني له قال وبلغنا ان الضحاك هو نمرود وان ابراهيم عليه السلام

في ذكر دولة آل سامان بما وراء النهر وخراسان الباب الثامن والعشرون في ذكر دولة بني سبكتكين ذوي الرأي الصحيح والعقل الرصين الباب التاسع والعشرون في ذكر دولة بني طولون بالديار المصرية ولمع من أوصافهم السنية وخصائلهم البهية الباب الثلاثون في ذكر دولة بني طغج الاخشيدية بالديار المصرية والشامية ذوي المفاخر الحسنة والشمائل المرضية ونبذة من أخبار آل حمدان لانهم كانوا ابتهاجا في وجه الزمان الباب الحادي والثلاثون في ذكر بني مرداويج الديلمي ملوك جرجان المارسين معركة الابطال والشجعان الباب الثاني والثلاثون في ذكر دولة آل بويه ملوك العراق الموصوفين بالنباهة ومكارم الاخلاق الباب الثالث والثلاثون في ذكر دولة بني سلجوق بما وراء النهر ولمع من حسن سيرهم في هذا الدهر الباب الرابع والثلاثون في ذكر دولة الخوارزمشاهية وحسن مآثرهم السنية وخصائلهم المرضية في الرعية الباب الخامس والثلاثون في ذكر بني سلجوق بحلب والشام ولمع من وقائعهم فيما مضى من الايام الباب السادس والثلاثون في ذكر بني ارتق ملوك ماردين وديار بكر وأخبار ما وقع لهم من الفتح والنصر الباب السابع والثلاثون في ذكر دولة الاتابكة أوصافهم الحسنة الزكية الباب الثامن والثلاثون في ذكر بني طغتكين بالشام وحسن سيرتهم في الايام الباب التاسع

اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فأقبل نوح على عمل الفلك واهى عن دعاء قومه وجعل يهيئ عتاد الفلك من الخشب والحديد والقار وغيرها مما لا يصلحه سواه وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه فيقول ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون قال ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم وصنع الفلك من خشب الساج وأمره ان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والله أعلم وأمر نوحا ان يجعله ثلاث طبقات سفلى ووسطى وعليا ففعل نوح كما امره الله تعالى حتى اذا فرغ منه وقد عهد الله اليه اذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه فلما فار التنور وكان فيما قيل من حجارة كان لحواء وقال ابن عباس كان ذلك تنورا من أرض الهند وقال مجاهد والشعبي كان التنور بأرض الكوفة وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة الى السماء الرابعة وكانت من ياقوت الجنة كما ذكرناه وخبأ الحجر الاسود بجبل أبي قبيس فبقي فيه الى ان بني ابراهيم البيت فأخذه فجعله موضعه ولما فار التنور حمل نوح من أمر الله بحمله وهم أولاده الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم وستة اناس فكانوا مع نوح ثلاث عشرة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم كلهم بنو شيث وقال قتادة كانوا ثمانية انفس نوح وامرأته وثلاثة بنوه ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة ولم يذكر فيهم زوج نوح وحمل معه جسد آدم ثم أدخل ما أمر الله به من الدواب وتخلف عنه ابنه يام وكان كافرا وكان آخر من دخل السفينة الحمار فلما دخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم ترتفع رجلاه فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع حتى قال ادخل وان كان الشيطان معك فقال كلمة زلت على لسانه فلما قالها ادخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك فتركه ولما أمر نوح بادخال الحيوان السفينة قال أي رب كيف أصنع بالاسد والبقرة وكيف أصنع بالعناق والذئب والطير والهر قال الذي ألقى بينها العداوة هو يؤلف بينها فألقى الحمى على الاسد وشغله بنفسه ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * الا انما الحمى على الاسد الورد

وجعل نوح الطير في الطبق الاسفل من السفينة وجعل الوحش في الطبق الاوسط وركب هو ومن معه من بني آدم في الطبق الاعلى فلما اطمأن نوح في الفلك وأدخل فيه كل من أمر به وكان ذلك بعد ستمائة سنة من عمره في قول بعضهم وفي قول بعضهم ما ذكرناه وحمل معه من حمل جاء الماء كما قال الله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر فكان بين ان أرسل الماء وبين ان يحتمل الماء الفلك أربعون يوما وأربعون ليلة وكثر واشتد وارتفع وطمى وغطى نوح عليه وعلى من معه طبق السفينة

عشر في ذكر دولة بني طباطبا بالكوفة واليمن ٢٨ منبع الصفات الحميدة والمنن الباب الثاني عشر في ذكر دولة الطبرستانية من
الدوحة الحسنية الباب الثالث
عشر في ذكر دولة جرهم بالحجاز وما
سلك كل منهم من المحاسن وحاز
الباب الرابع عشر في ذكر دولة
الحسينية والدوحة الزكية
الهاشمية بمكة المشرفة والمدينة
المنورة الباب الخامس عشر في
ذكر دولة اقيال اليمن ولمع من أخبار
الاسكندر وسيف بن ذي يزن
الباب السادس عشر في ذكر ملوك
الحيرة وما سلكوه من السيرة الباب
السابع عشر في ذكر ملوك الشام
من آل غسان ولمع من سيرهم فيما
ملكوه من الزمان الباب الثامن
عشر في ذكر ملوك كندة ذوي
السطوة والنجدة في أرض بكر بن
وائل من العشائر والقبائل
الباب التاسع عشر في ذكر ملوك
اليمن من بني زياد القامعين حزب
الاشراك والالحاد الباب
العشرون في ذكر ملوك اليمن من
آل نجاح ذوي الاخلاق العظام
السجاح الباب الحادي والعشرون
في ذكر ملوك اليمن من بني المهدي
الناصرين للدين القويم المحمدي
الباب الثاني والعشرون في ذكر
ملوك اليمن من أولاد الرسول
وابناء فاطمة الزهراء البتول الباب
الثالث والعشرون في ذكر ملوك
العرب من الطوائف ذوي المفاخر
والمعارف الباب الرابع
والعشرون في ذكر ملوك الغرب
من الملثمين أهل الفضل والهدى
المتقين الباب الخامس والعشرون
في ذكر بني حفص ملوك تونس وأفريقيه ولمع من وقائعهم مع نصارى اسبانية الباب السادس والعشرون وجهات

خصصتنا بالمقالة واسبابك من بينهم ولم لاتقسم الامور بيننا وبينهم وعقد عليه أشياء كثيرة فصدقه فيه مثل كلامه في الفصل فأقر بالاساءة وتألف القوم ووعدهم بما يحبون وأمرهم بالانصراف ليعودوا ويقضى حوائجهم ثم انصرفوا الى بلادهم وكانت أمته حاضرة تسمع معاتبتهم وكانت شرا منه فلما خرج القوم دخلت مغتاظة من احتماله وحلمه عنهم فوبخته وقالت له الا أهلكتهم وقطعت أيديهم فلما أكثرت عليه قال لها يا هذه لاتفكرى في شئ الا وقد سبقت اليه الا ان القوم بدهونى بالحق وقرعونى به فكلماهم ست بهم تخيل لى الحق بمنزلة الجبل بينى وبينهم فما أمكننى فيهم شئ ثم جلس لاهل النواحى فوفى لهم بما وعدهم وقضى أكثر حوائجهم وقال بعضهم كان ملكه ستمائة سنة وكان عمره ألف سنة وانه كان في باقى عمره شبيها بالملك لاقتداره ونفوذ أمره وقيل كان ملكه ألف سنة ومائة سنة وانما ذكرنا خبر بيوراسب ههنا لان بعضهم يزعم ان نوحا كان في زمانه وانما أرسل اليه والى أهل مملكته وقيل انه هو الذى بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق

(ذكر ذرية نوح عليه السلام)

قال النبى صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين انهم سام وحام ويافث وقال وهب بن منبه ان سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم وان حام أبو السودان وان يافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج وقيل ان القبط من ولد قوط بن حام وانما كان السواد في نسل حام لان نوحا نام فانكشفت سوأته فرآها حام فلم يغطها ورآها سام ويافث فألقيا عليه ثوبا فلما استيقظ علم ما صنع حام واخوته فدعا عليهم قال ابن اسحق فكانت امرأة سام بن نوح صليبة بنت باويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم فولدت له نفرا أرفخشذ واشوذ ولاوذ وآرم قال ولا أدرى آرم لام أرفخشذ واخوته أم لا فمن ولد لاوذ بن سام فارس وجرجان وطسم وعمليق وهو أبو العماليق ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون والفراعنة بمصر وكان اهل البحرين وعمان منهم ويسمون جاشم وكان منهم بنو أميم بن لاوذ اهل وبار بأرض الرمل وهى بين اليمامة والشحر وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس وكان طسم ساكنى اليمامة الى البحرين فكانت طسم والعماليق وأميم وجاشم قوما عربا لسانهم عربى ولحقت عبيل بيثرب قبل ان يبنى ولحقت العماليق بصنعاء قبل ان تسمى صنعاء وانحدر بعضهم الى يثرب فأخرجوا منها عبيلا فنزلوا موضع الجحفة وأقبل سيل فاجتحفهم اى أهلكهم فسميت الجحفة قال وولد آرم بن سام عوض وعابر وحويل فولد عوض عابر وعاد وعبيل وولد عابر بن آرم ثمود وجديس وكانوا عربا يتكلمون بهذا اللسان المضرى وكانت العرب تقول لهذه الامم ولجرهم العرب العاربة ويقولون لبنى اسمعيل العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين أظهرهم فكانت عاد بهذا الرمل الى حضرموت وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى ولحقت جديس بطسم وكانوا معهم باليمامة الى البحرين واسم اليمامة اذ ذاك جو

والمتباينة الفصل الثانى فى ذكر ملوك الهند وأنبائها وبدو ممالكها وآرائها الفصل الثالث فى ذكر ملوك الصين فى سالف الدهر والحين الفصل الرابع فى ذكر ملوك السريانيين وما وقع لهم قبل هذا الحين الفصل الخامس فى ذكر ملوك بابل وهم ملوك النبط الاوائل الفصل السادس فى ذكر ملوك اليونانيين ولمع من أخبارهم وماقالته الناس فى بدو انسابهم الفصل السابع فى ذكر ملوك الروم وهم بنو الاصفر وكل ملك تسمى قيصر الفصل الثامن فى ذكر ملوك القسطنطينية الكبرى والمدينة العظمى الفصل التاسع فى ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام وقبل استيلاء الاروام الفصل العاشر فى ذكر ملوك مصر قبل الطوفان ومالهم من الا ثار والهرمان الفصل الحادى عشر فى ذكر ملوك مصر بعد الطوفان وما وضعوه من الكنوز فى الصحارى والكثبان الفصل الثانى عشر فى ذكر ملوك عاد ولمع من بناء شداد الفصل الثالث عشر فى ذكر ملوك بنى اسرائيل بالشام ونواحيها وما تملكوا أقاصيها وأدانيها الباب الخامس والخمسون فى ذكر أخبار الامم الماضية والقرون الخالية وغرائب العجائب وعجائب الغرائب ويشتمل على خمسة فصول الفصل الاول فى ذكر بعض الامم فى الاقاليم الدالة على حكمة الحكيم الفصل الثانى فى ذكر مافى الدنيا من العجائب وما اودع الله فيها من الغرائب الفصل الثالث فى طرائف الهدايا وطرائف العطايا والتحف السنية والالطاف البهية الفصل الرابع فى ذكر البحار والانهار والعيون والآبار الفصل الخامس فى ذكر

ولد في زمانه وانه صاحبه الذي أراد احراقه وتزعم الفرس ان الملك لم يكن الا لابطن
الذي منه أوشهنج وجم وطهمورث وان الضحاك كان غاصبا وانه غصب أهل الارض
بسحره وخبثه وهول عليهم بالحيتين اللتين كانتا على منكبيه وقال كثير من أهل الكتب
ان الذي كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين كل واحدة منهما كرأس الثعبان وكان
يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويل أنهما حيتان يقتضيانه الطعام وكانتا
تتحركان تحت ثوبه اذا جاع واقى الناس منه جهدا شديدا وذبح الصبيان لان اللحمتين
اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضربانه فاذا طلاهما بدماغ انسان سكنتا فكان يذبح كل
يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى اذا أراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من أهل
أصبهان يقال له كابي بسبب ابنين له أخذهما أصحاب بيوراسب بسبب اللحمتين اللتين على
منكبيه وأخذ كابي عصا كانت بيده فعلق بطرفها جرابا كان معه ثم نصب ذلك كالعلم
ودعا الناس الى مجاهدة بيوراسب ومحاربته فاسرع الى اجابته خلق كثير لما كانوا فيه
من البلاء وفنون الجور فلما غلب كابي تفاءل الناس بذلك العلم فعظموه وزادوا فيه حتى صار
عند ملوك العجم علمهم الاكبر الذي يتبركون به وسموه درفش كابيان فكانوا لا يسيرونه
الا في الامور الكبار العظام ولا يرفع الا لاولاد الملوك اذا وجهوا في الامور الكبار وكان
من خبر كابي انه من أهل أصبهان فثار بمن اتبعه فالتفت الخلائق اليه فلما أشرف على
الضحاك قذف في قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منازله وخلى مكانه فاجتمع
الاعجام الى كابي فاعلمهم انه لا يتعرض للملك لانه ليس من أهله وأمرهم ان يملكوا بعض
ولد جم لانه ابن الملك أوشهنج الاكبر بن فروال الذي رسم الملك وسبق في القيام به وكان
افريدون بن اثفيان مستخفيا من الضحاك فوافى كابي ومن معه فاستبشروا بموافاته
فملكوه وصار كابي والوجوه لافريدون اعوانا على أمره فلما ملك وأحكم ما احتاج اليه من
أمر الملك واحتوى على منازل الضحاك وسار في اثره فاسره بدنباوند في جبالها وبعض
المجوس تزعم انه وكل به قوما من الجن وبعضهم يقول انه اتى سليمان بن داود وحبسه
سليمان في جبل دنباوند وكان ذلك الزمان بالشام فابرح بيوراسب بجنبه يجره حتى حمله
الى خراسان فلما عرف سليمان ذلك أمر الجن فأوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طلسما
كرجلين يدقان باب الغار الذي حبس فيه أبدا لئلا يخرج فانه عندهم لا يموت وهذا أيضا
من أكاذيب الفرس الباردة واوهامها فيه أكاذيب اعجب من هذا تركنا ذكرها وبعض
الفرس يزعم ان افريدون قتله يوم النيروز فقال العجم عند قتله امروز نوروز أي استقبلنا
الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيدا وكان أسره يوم المهرجان فقال العجم امد مهرجان اقتل
من كان يذبح وزعموا انهم لم يسمعوا في أمور الضحاك بشيء يستحسن غير شيء واحد وهو
أن بليته لما اشتدت ودام جوره وتراسل الوجوه في أمره فاجمعوا على المسير الى بابه
فوافاه الوجوه فاتفقوا على ان يدخل عليه كابي الاصبهاني فدخل عليه ولم يسلم فقال ايها
الملك أي السلام أسلم عليك سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم فقال
بل سلام من يملك الاقاليم لاني ملك الارض فقال كابي اذ كنت تملك الاقاليم كلها فلم

والثلاثون في ذكر آل مرداس أهل الشدة والنجدة والباس
الباب الاربعون في ذكر آل براق ملوك كرمان أولي الافكار الثاقبة والاذهان
الباب الحادي والاربعون في ذكر دولة ملوك غزنة من الغورية حسن الخصائل والهمم العلية
الباب الثاني والاربعون في ذكر جنكزخان وكيف فسد وخان
الباب الثالث والاربعون في ذكر تيمور وما فعله من مفاسد الامور
الباب الرابع والاربعون في ذكر دولة الدانشمندية ملوك الروم القاتلين بسيفهم كل جبار وظلوم
الباب الخامس والاربعون في ذكر دولة آل قرمان القامعين لاهل الشرك والطغيان
الباب السادس والاربعون في ذكر دولة ملوك الروم من آل سلجوق الكافين لاهل الفجور والفسوق
الباب السابع والاربعون في ذكر دولة آل عثمان أبقاهم الله الى آخر الدوران
الباب الثامن والاربعون في ذكر آق قوينلي ووقائع قره قوينلي
الباب التاسع والاربعون في ذكر دولة ذي القادرية ذي الهمم العلية المرضية
الباب الخمسون في ذكر دولة الرمضانية ذوي المحاسن السنية
الباب الحادي والخمسون في ذكر دولة الدربندية ملوك شروان الباسقة الاغصان المشرقة اللمعان
الباب الثاني والخمسون في ذكر ملوك العجم من آل صفي الصوفي الاردبيلي الاسماعيلي
الباب الثالث والخمسون في ذكر دولة الاوزبكية والدولة الشيبكية
الباب الرابع والخمسون في ذكر السلاطين المتقدمين والاساطين المتقدمين وفيه عدة فصول
الفصل الاول في ذكر ملوك الفرس الاولى والثانية وسيرهم المتوافقة

و ولد تارخ وهو آزر ابراهيم عليه السلام وكان بين الطوفان ومولد ابراهيم ألف سنة * ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة وولد قحطان بن عابر يعرب فولد يعرب يشجب فولد يشجب سبأ فولد سبأ حمير وكهلان وعمرا والاشعر وانمار ومر افولد عمرو بن سبأ عديا وولد عدي لخما وجذاما

(ذكر ملك افريدون)

وهو افريدون بن اثغيان وهو من ولد جمشيد وقد زعم بعض نسابة الفرس ان نوحا هو افريدون الذي قهر الضحاك وسلبه ملكه وزعم بعضهم ان افريدون هو ذو القرنين صاحب ابراهيم الذي ذكره الله في كلامه العزيز وانما ذكرته في هذا الموضع لان قصته في اولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ما سيأتي ولحسن سيرته وهلاك الضحاك على يديه ولانه قيل ان هلاك الضحاك كان على يد نوح واما باقي نسابة الفرس فانهم ينسبون افريدون الى جمشيد الملك وكان بينهما عشرة اباء كلهم يسمى اثغيان خوفا من الضحاك وانما كانوا يتميزون بالقاب لقبوها فكان يقال لاحدهم اثغيان صاحب البقر الحمر واثغيان صاحب البقر البلق واشباه ذلك وكان افريدون اول من ذلل الفيلة وامتطاها ونتج البغال واتخذ الاوز والحمام وعمل الترياق ورد المظالم وأمر الناس بعبادة الله والانصاف والاحسان ورد على الناس ما كان الضحاك غصبه من الارض وغيرها الا مالم يجد له صاحبا فانه وقفه على المساكين وقيل انه أول من سمي الصوفي وهو اول من نظر في علم الطب وكان له ثلاثة بنين اسم الاكبر شرم والثاني طوج والثالث ايرج فخاف ان يختلفوا بعده فقسم ملكه بينهم اثلاثا وجعل ذلك في سهام كتب أسماءهم عليها وأمر كل واحد منهم فاخذ سهما فصارت الروم وناحية المغرب لشرم وصارت الترك والصين لطوج وصارت العراق والسند والهند والحجاز وغيرها لايرج وهو الثالث وكان يحبه واعطاه التاج والسرير ومات افريدون ونشبت العداوة بين أولاده وأولادهم من بعدهم ولم يزل التحاسد ينمو بينهم الى ان وثب طوج وشرم على أخيهما ايرج فقتلاه وقتلا ابنين كانا لايرج وملكا الارض بينهما ثلثمائة سنة ولم يزل افريدون يتتبع من بقي بالسواد من آل نمروذ والنبط وغيرهم حتى أتى على وجوههم ومحا اعلامهم وكان ملكه خمسمائة سنة

(ذكر الاحداث التي كانت بين نوح وابراهيم)

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وامر ولده واقتسامهم الارض بعده ومساكن كل فريق منهم فكان ممن طغى وبغى فأرسل الله اليهم رسولا فكذبوه فأهلكهم الله هذان الحيان من ولد ارم بن سام بن نوح أحدهما عاد والثاني ثمود فأما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانت مساكنهم ما بين الشحر وعمان وحضرموت بالاحقاف فكانوا جبارين طوال القامة لم يكن مثلهم يقول الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فأرسل الله اليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص ومن الناس من يزعم انه هود وهو عابر بن شالخ بن

في ذلك اليوم وكان يأخذ النار بيده فلم تحرقه وفي محاضرة الاوائل ان كل حرفة من الحرف الآدمية والصناعات البشرية التي تحتاج اليها ذريته كان أبونا آدم عليه السلام اخذها وكشفها من حضرة تعليم الاسماء الكلية التي علمه الله تعالى حين علمه الاسماء ألف حرفة وفي نزهة اللغة ان آدم عليه السلام كان لغته في الجنة العربية المحضة فلما عصى سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية ولما أراد الله تعالى خلق آدم عليه السلام اوحى الى الارض اني أريد ان أخلق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن اطاعني أدخلته جنتي ومن عصاني أدخلته النار فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة ثم أمر الله تعالى جبرائيل ان يأتيه بقبضة من الارض فاقسمت الارض بالله تعالى ان لا يأخذ منها شيأ يكون نصيبا للنار فرجع جبريل عليه السلام ولم يأخذ منها شيأ ثم أمر الله بذلك ميكائيل ثم اسرافيل فرجعا ولم يأخذا منها شيأ ثم أمر الله تعالى بذلك عزرائيل فاخذ ولم يلتفت الى قسمها وأتى بها الى الملك الجبار فقال تعالى أنت تصلح لقبض الارواح وسماه ملك الموت وكان ابليس عليه اللعنة قد وطئ الارض بقدميه فخلقت النفس مما مس قدم ابليس فصارت طباعه ماوى الشر ومن التربة التي لم تصل اليها قدم ابليس أصل الانبياء والاولياء وفي عوارف المعارف ان الله تعالى أمر جبرائيل فهبط في الملائكة المقربين وقبض قبضة من موضع قبره صلى الله عليه وسلم وكان موضع نظر الله

مل ل

المدن والبلدان وما فيها من عجائب الآثار والسكان *(الباب الاول في ذكر الانبياء والمرسلين* صلوات الله عليهم أجمعين

و يشتمل على أربعين فصلا)*

(الفصل الاول في ذكر آدم أبي البشر عليه السلام)

اختلف العلماء في تسمية آدم على قولين (أحدهما) انه خلق من أديم الارض وهو وجهها (والثاني) انه مشتق من الادمة وهي سمرة اللون وآدم اسم عربي وليس بعجمي وذكر الثعلبي ان التراب بلسان العربية آدم وكنيته أبو محمد اظهار الشرف نبينا عليه السلام وكان اجمل البرية وكان أمرد وانما نبتت اللحية لولده بعده وكان كثير الشعر في بدنه جعد الشعر وانزل عليه عشر صحائف في عشرين ورقة وهي حروف المعجم وتفسير الوعد والوعيد وتبيين أهل كل زمان وصورهم وسيرتهم مع أنبيائهم وملوكهم وما يحدث في الارض فابصر آدم عليه السلام ذلك كله وعرف ما يكون في أولاده كذا في تفسير الفصول وذكر الموفق في بحر الوقوف في علم الحروف ان الحروف كانت تتشكل لآدم عليه الصلاة والسلام في قالب نورانية عند ارادة دعائها وهي خاصية اختصه الله بها وفي اصول التواريخ كان آدم عليه السلام يخط بالبنان ويرسم الخطوط على الالواح ويطبعها لكثرة الاولاد وعلمه الله تعالى الالسن كلها وكان يتكلم بالف لسان كذا نقله النسفي في بحر العلوم وكان من معجزاته ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطير والشجر يمشي معه وكان يأخذ الحصى بيده وتتكلم معه وكان يزرع الحب ويحصده

وسكنت جاسم عمان والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آدم بن سام والفرس بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام قال وولد لارفخشذ بن سام ابنه قينان كان ساحرا وولد قينان شالخ بن أرفخشذ من غير ذكر قينان لما ذكر من سحره وولد شالخ عابر وولد عابر فالغ ومعناه القاسم لان الارض قسمت والالسن تبلبلت في أيامه وقحطان بن عابر فولد قحطان يعرب ويقطان فنزلا اليمن وكان أول من سكن اليمن وأول من سلم عليه بابيت اللعن وولد فالغ ابن عابر ارغو وولد ارغو ساروغ وولد ساروغ ناخور وولد ناخور تارخ واسمه بالعربية آزر وولد آزر ابراهيم عليه السلام وولد لارفخشذ أيضا نمروذ وقيل هو نمروذ ابن كوش بن حام بن نوح قال هشام بن الكلبي السند والهند بنو توقير بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وجرهم من ولد يقطن بن عابر وحضرموت بن يقطن ويقطن هو قحطان في قول من نسبه الى غير اسمعيل والبربر من ولد عملا بن مارب بن فاران ابن عمرو بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ما خلا صنهاجة وكتامة فانهما بنو فريقش بن صيفي ابن سبا وأما يافث فمن ولده جامر وموعج ومورك وبوان وقوبا وماشج وتيرش فمن ولد جامر ملوك فارس في قول ومن ولد تيرش الترك والخزر ومن ولد ماشج الاشبان* ومن ولد موعج يأجوج ومأجوج ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان والاشبان كانوا في القديم بأرض الروم قبل ان يقع بها من وقع من ولد العيص بن اسحق وغيرهم وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة سام وحام ويافث أرضا فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها ومن ولد يافث الروم وهم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح وأما حام فولد له كوش ومصرايم وقوط وكنعان فمن ولد كوش نمروذ بن كوش وقيل هو من ولد سام وصارت بقية ولد حام بالسواحل من النوبة والحبشة والزنج ويقال ان مصرايم ولد القبط والبربر وأما قوط فقيل انه سار الى الهند والسند فنزلها وأهلها من ولده وأما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام ثم جاءت بنو اسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها وصار الشام لبني اسرائيل ثم وثبت الروم على بني اسرائيل فاجلوهم عن الشام الى العراق الا قليلا منهم ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام وكان يقال لعاد عاد ارم فلما هلكوا قيل لثمود ثمود ارم قال وزعم أهل التوراة ان أرفخشذ ولد لسام بعد ان مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان وكان جميع عمر سام ستمائة سنة ثم ولد لارفخشذ قينان بعد ان مضى من عمر أرفخشذ خمس وثلاثون سنة وكان عمره أربعمائة وثمانيا وثلاثين سنة ثم ولد لقينان شالخ بعد ان مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ولم يذكر مدة عمر قينان في الكتب لما ذكرنا من سحره ثم ولد لشالخ عابر بعد ما مضى من عمره ثلاثون سنة وكان عمره كله أربعمائة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وكان عمره أربعمائة وأربعا وسبعين سنة ثم ولد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة وولد لارغو ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة وولد لساروغ ناخور بعد ثلاثين سنة من عمره وكان عمره كله مائتين وثلاثين سنة ثم ولد لناخور تارخ أبو ابراهيم بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وكان عمره كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة

لم يبق الا الطبان نفسه * يا ليته من يوم دها الى أمسه
بثابت الوطء شديد وطسه * لو لم يجئنى جئته أجسه

فقال له هود أسلم تسلم فقال ومالى قال الجنة فقال فما هؤلاء الذين فى السحاب كأنهم البخت قال الملائكة قال أيعيذنى ربك منهم ان اسلمت قال هل رأيت ملكا يعيذ من جنده قال لو فعل مارضيت ثم جاءت الريح وألحقته بأصحابه وسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال تعالى والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا الا أهلكته واعتزل هود والمؤمنون فى حظيرة لم يصبه ومن معه الا تليين الجلود وانه لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعاد وفد عاد الى معاوية بن بكر فنزلوا عليه فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمصاب عاد وسلامة هود قال وكان قد قيل للقمان بن عاد اختر لنفسك الا انه لاسبيل الى الخلود فقال يارب أعطنى عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة أنسر فعمر فيما يزعمون عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ الذكر حين يخرج من بيضته حتى اذا مات أخذ غيره وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة فلما مات السابع مات لقمان معه وكان السابع يسمى لبدا قال وكان عمر هود مائة وخمسين سنة وقبره بحضرموت وقيل بالحجر من مكة فلما هلكوا أرسل الله طيرا اسود فنقلتهم الى البحر فذلك قوله تعالى فأصبحوا لايرى الا مساكنهم ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فذلك قوله أهلكوا بريح صرصر عاتية وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم البيت على من فيه واما ثمود فهم ولد ثمود بن جاثر بن ارم بن سام وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله اليهم صالح بن عبيد بن اسف بن ماشج بن عبيد بن جادر بن ثمود وقيل اسف بن كماشج بن اروم بن ثمود يدعوهم الى توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة فقالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا وكان الله قد اطال اعمارهم حتى ان كان أحدهم يبنى البيت من المدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فنحتوها وكانوا فى سعة من معايشهم ولم يزل صالح يدعوهم فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا ياصالح اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم فأرنا آية فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم ان لايستجاب لصالح مايدعو به وقال له سيد قومه ياصالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة ناقة جوفاء عشراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم المواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عز وجل فاذا هى تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به سيد قومه واسمه جندع بن عمرو ورهط من قومه فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه الناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ومتى عقرتموها أهلككم الله فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فاذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملؤا كل وعاء واناء واذا كان يوم شربهم صرفوها عن

جسد آدم عليه السلام فلما أتم الله تعالى خلقه ونفخ فيه الروح كان ذلك آخر ساعة من يوم الجمعة الثامن والعشرين من أدار والطالع الثور وكان دور السنبلة وكان الطالع وقت خلق حواء السرطان كذا فى معالم التنزيل وغيره ثم ان الله تعالى أمر الملائكة بالسجود له فاول من سجد اسرافيل عليه السلام فاثابه الله تعالى بان كتب القرآن فى جبهته ثم الملائكة اجمعون الا ابليس اللعين فانه استكبر وأبى ان يسجد لآدم عليه السلام فلما عصى الله تعالى صيره شيطانا رجيما ولعنه وسماه ابليسا والمبلس هو العاصى واختلفوا فى السجود لآدم عليه السلام على أقوال (أحدها) انه سجود تعظيم وتحية لاسجود صلاة وعبادة وانما كان انحناء وايماء ووضع اليد على الصدر وقال بعضهم انما كان السجود لآدم حقيقة بان جعل آدم عليه السلام قبلة لهم وسجودهم لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة لصلاة المؤمنين والصلاة لله رب العالمين ومعنى سجودهم انهم اقروا لآدم انه اخير واكرم على الله تعالى منهم وزين الله تعالى آدم بانواع الزينة كان يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبينه كالقمر ليلة البدر ثم حمله على سرير وجعل السرير على اكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به فى السموات فحمله الملائكة على اعناقهم وطافوا به فى السموات مقدار مائة سنة ثم اسكنه الجنة فلم يكن من يؤانسه ويجالسه فالقى الله عليه النوم فاخذ من احدى اضلاعه الايسر من غير ان يحس آدم

ارفخشذ بن سام بن نوح وكانوا أهل اوثان ثلاثة يقال لاحدها ضرا وللآخر صمود وللثالث الهباء فدعاهم الى توحيد الله وافراده بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس فكذبوه وقالوا من اشد منا قوة ولم يؤمن به من منهم الا قليلا وكان من أمرهم ماذكره ابن اسحق قال ان عادا أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هودا فلما أصابهم قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة يستسقون لكم فبعثوا قيل بن عير واقيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان مسلما يكتم اسلامه وجاهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر ولقمان بن عاد بن فلان ابن عاد الاكبر في سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر ظاهر مكة خارجا عن الحرم فاكرمهم وكانوا اخواله وصهره لان لقيم بن هزال كان تزوج هزيلة بنت بكر اخت معاوية فأولدها أولادا كانوا عند خالهم معاوية بمكة وهم عبيد وعمرو وعامر وعمير بنو لقيم وهم عاد الآخرة التي بقيت بعد عاد الاولى فلما نزلوا على معاوية أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما رأى معاوية طول مقامهم وتركهم ما أرسلوا له شق عليه ذلك وقال هلك اخوالي واستحيا ان يأمر الوفد بالخروج الى ما بعثوا له فذكر ذلك للجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله لعلهم يتحركون فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يصبحنا غماما

فيسقي أرض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما

في أبيات ذكرها والهينمة الكلام الخفي فلما غنتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القوم قال بعضهم لبعض يا قوم بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذي نزل بهم فابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد انهم والله لا يسقون بدعائكم ولكن أطيعوا نبيكم فأنتم تسقون وأظهر اسلامه عند ذلك فقال جلهمة بن الخيبري خال معاوية لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فدعوا الله تعالى لقومهم واستسقوا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونادى مناد منها يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثر ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقي من عاد أحدا لا ولدا تترك ولا والدا الا جعلته همدا الا بني اللوذية المهدي وبنو اللوذية بنو لقيم بن هزال كانوا بمكة عند خالهم معاوية بن بكر وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب الى عاد فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أي كل شئ أمرت به وكان اول من رأى ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها فهدد فلما رأت ما فيها صاحت وصعقت فلما أفاقت قالوا ماذا رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فلما خرجت الريح من الوادي قال سبعة رهط من الخلجان تعالوا نقوم على شفير الوادي فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدق عنقه وبقي الخلجان فمال الى الجبل وقال

تعالى وهي يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم ثم غمست في انهار الجنة كلها وطيف بها السموات والارض والبحار فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم وفضله قبل ان تعرف آدم لقوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ثم عجنها بطينة آدم عليه السلام ثم تركها أربعين سنة طينا لازبا يلصق بعضه ببعض ثم تركها أربعين سنة حتى صارت صلصالا كالفخار اذا ضربته صوت ليعلم ان أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا والقاه بين مكة والطائف اربعين سنة وقيل مائة وعشرين سنة وكان ابليس اذا مر به فزع وضربه برجله فيظهر له صوت وصلصلة فيزداد فزعه وكان يدخل في فيه ويخرج من دبره ويقول لامر ما خلقت ولئن فضلت علي لاهلكنك وفي الخبر امطر على جسد آدم عليه السلام الحزن أربعين سنة ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في أولاده وأول ما نفخ الله تعالى من روحه في دماغ آدم عليه السلام فاستدارت فيه مقدار مائة سنة ثم نزلت في عينيه ثم الى خياشيمه فعطس فنزلت الروح الى فيه ولسانه فاول كلمة جرت على لسانه الحمد لله رب العالمين فاجابه الله تعالى يرحمك ربك يا آدم ولذلك خلقتك فكان كل عضو ينتهي اليه الروح من جسده يصير لحما وعصبا فلما انتهت الى سرته نهض ليقوم ونهض وساقاه من طين فلم يمكنه ذلك فلما وصلت الروح الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل

لم

العذاب خرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلا يقال له القارة قصيرا فصعده وذهبوا يطلبونه فأوحى الله الى الجبل فطال فى السماء حتى ما يناله الطير ودخل صالح القرية ولما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا ثلاثا فقال صالح لكل رغوة أجل يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وآية العذاب ان وجوهكم تصبح فى اليوم الاول مصفرة وتصبح فى اليوم الثانى محمرة وتصبح فى اليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا اذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فلما اصبحوا فى اليوم الثانى اذا وجوههم محمرة فلما أصبحوا فى اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فتكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم الى الارض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى السماء والارض لايدرون من أين يأتيهم العذاب فلما أصبحوا فى اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كالصاعقة فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم الا رجلا كان فى الحرم فمنعه الحرم قيل ومن هو قيل ابو رغال وهو أبو ثقيف فى قول ولما سار النبى صلى الله عليه وسلم اتى على قرية ثمود فقال لاصحابه لايدخلن أحد منكم القرية ولاتشربوا من مائها واراهم مرتقى الفصيل فى الجبل واراهم الفج الذى كانت الناقة ترد منه الماء وأما صالح عليه السلام فانه سار الى الشأم فنزل فلسطين ثم انتقل الى مكة فأقام بها يعبد الله حتى مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة وكان قد أقام فى قومه يدعوهم عشرين سنة واما أهل التوراة فانهم يزعمون انه لاذكر لعاد وهود وثمود وصالح فى التوراة قال وأمرهم عند العرب فى الجاهلية والاسلام كشهرة ابراهيم الخليل عليه السلام (قلت) وليس انكارهم ذلك بأعجب من انكارهم نبوة ابراهيم الخليل ورسالته وكذلك انكارهم حال المسيح عليه السلام

(ذكر ابراهيم الخليل عليه السلام ومن كان فى عصره من ملوك العجم)

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واختلف فى الموضع الذى كان فيه والموضع الذى ولد فيه فقيل ولد بالسوس من أرض الاهواز وقيل ولد ببابل وقيل بكوثى وقيل بحران ولكن أباه نقله قال عامة أهل العلم كان مولده فى عهد نمروذ بن كوش ويقول عامة اهل الاخبار ان نمروذ كان عاملا للازدهاق الذى زعم بعض من زعم ان نوحا أرسل اليه واما جماعة من سلف من العلماء فانهم يقولون كان ملكا برأسه قال ابن اسحق وكان ملكه قد أحاط بمشارق الارض ومغاربها وكان ببابل قال ويقال لم يجتمع ملك الارض الا لثلاثة ملوك نمروذ وذى القرنين وسليمان بن داود واضاف غيره اليهم بختنصر وسنذكر بطلان هذا القول فلما أراد الله ان يبعث ابراهيم حجة على خلقه ورسولا الى عباده ولم يكن فيما بينه وبين نوح نبى الا هود وصالح فلما تقارب زمان ابراهيم اتى اصحاب النجوم نمروذ فقالوا له انا نجد غلاما يولد فى قريتك هذه يقال له ابراهيم يفارق دينكم ويكسر

بلاد الهند فيه أصل جميع الطيب والبهار وبكى عليه جميع ما فى الجنة الا الذهب والفضة وشجرة العود فناداهم الله تعالى لم لا بكيتم على عبدى قالوا ربنا ما نبكى على عبد عصاك فقال لو كان عندكم رقة لبكيتم خوفا من مكرى فوعزتى وجلالى لا ينقطع بكا الابد حتى تدخلوا النار وأنت ياشجرة العود لايفوح لك رائحة الا فى النار موقدة قال اصحاب السير فلما أكلا من الحنطة أوحى الله تعالى الى ادم أن يا آدم لم أكلت من الشجرة المنهية فقال يارب اغوانى ابليس وزين لى أكلها وحلف لى انه قد نصح ولم أدر أن أحدا يحلف بك كاذبا فاهبط الله تعالى آدم وحواء وابليس والحية والطاوس الى الارض وكان مهبطهما حين اهبطا من جنة عدن فهبط آدم فى جزيرة سرنديب على جبل الراهون وهو جبل عال بارض الهند يراه البحريون من مسافة بعيدة وفيه اثر قدمى آدم عليه السلام مغموسة فى الجبل على الصخر وكانت قدمه سبعين ذراعا ويرى على هذا الجبل كل ليلة على هيئة البرق ولابد له فى كل يوم من مطر فيغسل قدم آدم عليه السلام ويقال ان الياقوت الاحمر والالماس موجودان فيه تحدره السيول الى الحضيض واهبطت حواء بجدة *وفى تاريخ القدس لما نزل آدم على سرنديب سجد فوقعت جبهته على صخرة بيت المقدس لانه ارفع جبل على وجه الارض وكان رجلاه على الجبل ورأسه فى السماء يسمع تسبيح الملائكة فهابته الملائكة فجعلت قامته الى ستين ذراعا وكل خطوة منه ثلاثة ايام وحل فى أى موضع وطئ بقدمه كان بلدا او قرية

الماء فلم تشرب منه شيأ وتزودوا من الماء للغد فأوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون
الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا نفعل قال الا تعقروها أنتم يوشك ان يولد فيكم مولود
يعقرها قالوا وما علامته فوالله لا نجده الا قتلناه قال فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر
قال فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لاحدهما ابن رغب له عن المناكح وللآخر
ابنة لا يجد لها كفؤا فزوج أحدهما ابنه بابنة الآخر فولد بينهما المولود فلما قال لهم
صالح انما يعقرها مولود فيكم اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهن شرطا يطوفون
في القرية فاذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ما هو فلما وجدوا ذلك المولود صرخ
النسوة وقلن هذا الذي يريد نبي الله صالح فأراد الشرط ان يأخذوه فحال جداه بينهم
وبينه وقالوا لو أراد صالح هذا لقتلناه فكان شر مولود وكان يشب في اليوم شباب غيره في
الجمعة فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون في الارض ولا يصلحون كانوا قتلوا أبناءهم حين
ولدوا خوفا ان يكون عاقر الناقة منهم ثم ندموا فاقسموا ليقتلن صالحا وأهله وقالوا نخرج
فترى الناس أنا نريد السفر فنأتي الغار الذي على طريق صالح فنكون فيه فاذا جاء الليل
وخرج صالح الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار ثم انصرفنا الى رحالنا وقلنا ما شهدنا
قتله فيصدقنا قومه وكان صالح لا يبيت معهم كان يخرج الى مسجد له يعرف بمسجد صالح
فيبيت فيه فلما دخلوا الغار سقطت عليهم صخرة فقتلتهم فانطلق رجال ممن عرف الحال الى
الغار فرأوهم هلكى فعادوا يصيحون ان صالحا أمرهم بقتل أولادهم ثم قتلهم وقيل انما
كان تقاسم التسعة على قتل صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان
التسعة الذين عقروا الناقة قالوا تعالوا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلنا قتله وان كان
كاذبا الحقناه بالناقة فأتوه ليلا في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا فأتى أصحابهم
فرأوهم هلكى فقالوا لصالح أنت قتلتهم وأرادوا قتله فمنعهم عشيرته وقالوا انه قد أنذركم
العذاب فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم غضبا وان كان كاذبا فنحن نسلمه اليكم فعادوا
عنه فعلى القول الاول يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة والثاني أصح
والله أعلم وأما سبب قتل الناقة فقيل ان قدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر فلم
يقدروا على ماء يمزجون به خمرهم لانه كان يوم شرب الناقة فحرض بعضهم بعضا على
قتلها وقيل ان ثمودا كان فيهم امرأتان يقال لاحداهما قطام وللاخرى قبال وكان
قدار يهوى قطام ومصدع يهوى قبال ويجتمعان بهما في بعض الليالي فقالتا لقدار
ومصدع لا سبيل لكما الينا حتى تقتلا الناقة فقالا نعم وخرجا وجمعا أصحابهما وقصدا الناقة
وهي على حوضها فقال الشقي لاحدهم اذهب فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك فاضرت
عنه وبعث آخر فاعظم ذلك وجعل لا يبعث أحدا الا تعاظمه قتلها حتى مشى هو اليها
فتطاول فضرب عرقوبها فوقعت تركض وكان قتلها يوم الاربعاء واسمه بلغتهم جبار
وكان هلاكهم يوم الاحد وهو عندهم أول فلما قتلت أتى رجل منهم صالحا فقال أدرك
الناقة فقد عقروها فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون اليه يا نبي الله انما عقرها فلان انه
لا ذنب لنا قال انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى الله ان يرفع عنكم

عليه السلام بذلك فخلق منه حواء واسم ذلك الضلع المرأة وبه سميت فلما استيقظ آدم عليه السلام من نومه رآها عند
رأسه فقربها اليه فسألته الملائكة
ما هذه يا آدم فقال آدم عليه السلام
عظم من عظامي ولحم من لحمي
قالوا ولم خلقها الله تعالى قال
لتسكن الي وأسكن اليها وكان لون
بدنهما كله كاللؤلؤ بين الصدفين
مضيئا مثل شعاع الشمس وكان في
الصلابة كالظفر فلما أكلا من
الشجرة وهي الله جلدهما وبقي
من ذلك شيء قليل حتى صار في
اطراف أصابعهما ليتذكرا بذلك
أول حالهما فاباح الله تعالى لهما
نعيم الجنة الا شجرة البر وكان حب
الحنطة يومئذ ككلى البقر الين
من الزبد واحلى من الشهد واشد
بياضا من اللبن وكان طول
شجرتها سبعة أذرع ولها خمسة
أغصان في كل منها سنبلة فكانت
خمس حبات ثم ان ابليس أراد
دخول الجنة ليوسوس لآدم
فمنعته الخزنة فادخلته الحية بين
نابيها فلما أدخل وسوس لآدم
وزوجته وحسن لهما الاكل
من الشجرة المذكورة وقرر
عندهما انهما ان أكلا منها خلدا
ولم يموتا فاكلت حواء منها
واطعمت آدم حبتين فلما وصلت
الى فؤاده طار التاج عن رأسه
واللباس عن ابدانهما وناداهما
القصر اخرجا عني فصارا يهرولان
ومن شجرة الى شجرة فيطلبان من
ورقها ما يسترهما فابى حتى رحمتهما
شجرة التين فاعطتهما من ورقها
فكافأها الله تعالى بان ساوى
ظاهرها وباطنها في المنفعة فاعطاها ثمرتين في عام واحد فلما اهبط يبس ذلك الورق وذرته الرياح فانتشر في

عليهم ضربا باليمين فكسرها بفاس في يده حتى اذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ثم تركهن فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم راعهم ذلك واعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم يعنون يسبها ويعيبها ولم نسمع ذلك من غيره وهو الذي نظنه صنع بها هذا وبلغ ذلك نمروذ واشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ما نفعل به وقيل يشهدون عليه كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فلما أتي به واجتمع له قومه عند ملكهم نمروذ وقالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون غضب من ان تعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها فارعووا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرها الى أنفسهم فيما بينهم فقالوا لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال ثم قالوا وعرفوا انها لا تضر ولا تنفع ولا تبطش لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أي لا يتكلمون فيخبرونا من صنع هذا بها وما تبطش بالايدي فنصدقك يقول الله تعالى ثم نكسوا على رؤسهم في الحجة عليهم لابراهيم فقال لهم ابراهيم عند قولهم ما هؤلاء ينطقون أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ثم ان نمروذ قال لابراهيم أرأيت الهك الذي تعبد وتدعو الى عبادته ما هو قال ربي الذي يحيي ويميت قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال ابراهيم وكيف ذلك قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فأقتل أحدهما فأكون قد أمته واعفو عن الآخر فأكون قد أحييته فقال ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ثم انه وأصحابه اجمعوا على قتل ابراهيم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم قال عبد الله بن عمر أشار بتحريقه رجل من اعراب فارس قيل له وللفرس اعراب قال نعم الاكراد هم اعرابهم قيل كان اسمه هيزن فخسف به فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فأمر نمروذ بجمع الحطب من اصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتنذر ان بلغت ما تطلب ان تحتطب لنار ابراهيم حتى اذا أرادوا ان يلقوه فيها قدموه واشعلوا النار حتى ان كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدتها وحرها فلما أجمعوا لقذفه فيها صاحت السماء والارض وما فيها الا الثقلين الى الله صيحة واحدة اي ربنا ابراهيم ليس في أرضك من يعبدك غيره يحرق بالنار فيك فأذن لنا في نصره قال الله تعالى ان استغاث بشئ منكم فلينصره وان لم يدع غيري فانا له فلما رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه الى السماء وقال اللهم أنت الواحد في السماء وأنت الواحد في الارض حسبي الله ونعم الوكيل وعرض له جبريل وهو يوثق فقال ألك حاجة يا ابراهيم قال أما اليك فلا فقذفوه في النار فناداها الله فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وقيل ناداها جبريل فلو لم يتبع بردها سلام لمات ابراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار الا طفئت ظنت انها هي وبعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنبه يؤنسه فمكث نمروذ اياما لا يشك ان النار قد اكلت ابراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهي تحرق بعضها بعضا وابراهيم جالس الى جنبه رجل مثله فقال لقومه لقد رأيت كأن ابراهيم حي ولقد شبه علي ابنوا لي صرحا يشرف بي على النار فبنوا له وأشرف منه فرأى ابراهيم

الثور بن فبكي الثوران على ما فاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منها الفردوس وما انبتت منه الحمص وما انبتت منه العدس (وفي التوراة) ان آدم عليه السلام جامع حواء قبل ان يصيب الخطيئة فحملت فولدت له قابيل وتوأمته بتوءمين فلم تجد لهما ألما وطلقا ولم تر معهما دما لطهارة الجنة ثم ولدت هابيل وتوأمته برقان بعد ذلك فوجدت ما تجده النساء وكان قابيل حراثا وهابيل راعي الغنم فلما كبرا زوج آدم عليه السلام اخت قابيل لهابيل واخت هابيل لقابيل وكانت اخت قابيل اجمل من اخت هابيل فلما فرق آدم عليه السلام بينهما كان من امرهما ما ذكره الله تعالى في كتابه (واختلف) في موضع قتله فقال ابن عباس رضي الله عنهما بالهند على جبل نود وقال بعضهم عند عقبة جبل حراء بمكة المشرفة وقال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في دمشق بجبل قاسيون وله قبر كبير على قلة جبل عال بوادي بردى بقرب قرية الحسينية وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قتل قابيل هابيل وكان آدم عليه السلام بمكة رأى الاطعمة تغيرت واشتاك الشجر وحمضت بعض الفواكه وفتر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فأتى الهند فوجد ولده قد قتل فانشأ يقول

تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح

قيل مكث آدم عليه السلام مائة سنة حزينا لا يبتسم بسبب قتل ولده

أصنامكم في شهر كذا من سنة كذا فلما دخلت السنة التي ذكروا حبس نمروذ الحبالى عنده الا أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانه لم يظهر عليها أثره فذبح كل غلام ولد في ذلك الوقت فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبة منها فولدت ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ثم رجعت الى بيتها راجعة ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فكان يشب في اليوم ما يشب غيره في الشهر وكانت تجده يمص ابهامه جعل الله رزقه فيها وكان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وقيل بل علم آزر بولادة ابراهيم وكتمه حتى نسي الملك ذكر ذلك فقال آزر ان لي ابنا قد خبأته أفتخافون عليه الملك ان أنا جئت به فقالوا لا فانطلق فأخرجه من السرب فلما نظر الى الدواب والى الخلق ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه فجعل يسأل أباه عما يراه فيقول أبوه هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك فقال ما لهؤلاء الخلق بد من ان يكون لهم رب وكان خروجه بعد غروب الشمس فرفع رأسه الى السماء فاذا هو بالكوكب وهو المشتري فقال هذا ربي فلم يلبث ان غاب فقال لا احب الآفلين وكان خروجه في آخر الشهر فلهذا رأى الكوكب قبل القمر وقيل كان تفكر وعمره خمسة عشر شهرا وقال لامه وهو في المغارة اخرجيني انظر فأخرجته عشاء فنظر فرأى الكوكب وتفكر في خلق السموات والارض وقال في الكوكب ما تقدم فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما غاب قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا أعظم من كل ما رأى فقال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون ثم رجع ابراهيم الى أبيه وقد عرف ربه وبرئ من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فأخبرته أمه بما كانت صنعت من كتمان حاله فسرت بذلك وكان آزر يصنع الاصنام التي يعبدونها ويعطيها ابراهيم ليبيعها فكان ابراهيم يقول من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه فلا يشتريها منه أحد وكان يأخذها وينطلق بها الى نهر فيصوب رؤسها فيه ويقول اشربي استهزاء بقومه حتى فشا ذلك عنه في قومه غير أنه لم يبلغ خبره نمروذ فلما بدا لابراهيم ان يدعو قومه الى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه الى التوحيد فلم يجبه ودعا قومه فقالوا من تعبد أنت قال رب العالمين قالوا نمروذ قال بل اعبد الذي خلقني فظهر أمره وبلغ نمروذ ان ابراهيم أراد ان يري قومه ضعف الاصنام التي يعبدونها ليلزمهم الحجة فجعل يتوقع فرصة ينتهي بها الفعل بأصنامهم ذلك فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم اي طعين ليهربوا منه اذا سمعوا به وانما يريد ابراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم وكان لهم عيد يخرجون اليه جميعهم فلما خرجوا قال هذه المقالة فلم يخرج معهم الى العيد وخالف الى أصنامهم وهو يقول تالله لأكيدن اصنامكم فسمعه ضعفاء الناس ومن هو في اخرهم ورجع الى الاصنام وهي في بهو عظيم بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي آلهتهم وقالوا نتركه الآلهة الى حين نرجع فنأكله فلما نظر ابراهيم الى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون فلما لم يجبه أحد قال ما لكم لا تنطقون فراغ

فهو أول من سعى في الارض ولما اهبط آدم عليه السلام من الجنة أخرج معه صرة من الحنطة وقيل كان معه حبة واحدة انفرقت ستمائة حبة ومعه ثلاثون قضيبا من أشجار الجنة فكل قضيب منها مودع اصناف الثمار منها ماله قشر وذوات النوى ومنها ما لا قشر لها وأنزل معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وكان يضيء كما تضيء الشمس والقمر وبيده عصا موسى عليه السلام كانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع ومكث في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة خمسمائة عام وقيل ساعة من ساعات الآخرة وهي مقدار ثمانين عاما من اعوام الدنيا وكان أول شيء أكله في الجنة العنب وآخر شيء أكله الحنطة وكذلك عند وفاته واستمر مائة سنة يبكي على خطيئته ولا يرفع رأسه حياء من الله تعالى فجاءه جبريل عليه السلام فقال له يا آدم هذا بكاؤك لفراق الجنان فاين بكاؤك لفراق الرحمن فبكى مائة سنة أخرى تجري من احدى عينيه مثل الفرات ومن الاخرى مثل دجلة فلما تاب الله عليه امره ان يتوجه الى الحرم أي مكة فتوجه فاهبط الله تعالى عليه خيمة من خيم الجنة فنصبها بمكان البيت الحرام ونصب الحجر الاسود فلما أمره الله تعالى بالحج وانتهى الى عرفات لقي بها حواء فتعارفا فمن ثم سمي عرفات ثم اشتكى العري فامره الله تعالى ان يذبح كبشا فذبحه واخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم عليه السلام ولبساه ثم أمره جبريل عليه السلام ان يتخذ آلات الحرث ففعل ذلك وجعل يحرث الارض على

عليهم

فبعثه الله نبيا وكان ابراهيم قد اتخذ بالسبع بئرا ومسجدا وكان ماء البئر معينا طاهرا فآذاه أهل السبع فانتقل عنهم فنضب الماء فاتبعوه يسألونه العود اليهم فلم يفعل وأعطاهم سبعة اعنز وقال اذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينا طاهرا فاشربوا منه ولا تغترف منه امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على الماء ظهر اليها وكانوا يشربون منه الى أن غرفت منه امرأة طامث فعاد الماء الى الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم بين الرملة وايليا ببلد يقال له قط أو قط قال فلما ولد اسمعيل حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله اسحق وعمرها سبعون سنة فعمر ابراهيم مائة وعشرون سنة فلما كبر اسمعيل واسحق اختصما فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة فتركت أنفها وأذنها لئلا تشينها ثم خفضتها فمن ثم خفض النساء وقيل كان اسمعيل صغيرا وانما أخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح وقالت سارة لاتساكنني في بلد فأوحى الله الى ابراهيم أن يأتي مكة وليس بها يومئذ بيت فجاء ابراهيم باسمعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة بموضع زمزم فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس قال ربي أمرني قالت فانه لن يضيعنا فلما ولى قال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن يعني من الحزن وقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم الآية فلما ظمئ اسمعيل جعل يدحض الارض برجله فانطلقت هاجر حتى صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيأ فلم تر شيأ فانحدرت الى الوادي فسعت حتى أتت المروة فاستشرفت هل ترى شيأ فلم تر شيأ ففعلت ذلك سبع مرار فذلك أصل السعي ثم جاءت الى اسمعيل وهو يدحض الارض بقدميه وقد نبعت العين وهي زمزم فجاءت تفحص الارض بيدها عن الماء وكلما اجتمع أخذته وجعلته في سقائها قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحمها الله لو تركتها لكانت عينا سائحة وكانت جرهم بواد قريب من مكة ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي قالوا ما لزمته الا وفيه ماء فجاؤا الى هاجر فقالوا لو شئت لكنا معك فآنسناك والماء ماؤك قالت نعم فكانوا معها حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم فتعلم العربية منهم هو وأولاده فهم العرب المتعربة واستأذن ابراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع قال ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي ضيافة وما عندي أحد فقال ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وعاد ابراهيم وجاء اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل عندك أحد قالت جاءني شيخ كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة ان يزور اسمعيل فأذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب ليتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله

اليوم والساعة التي كان فيها خلقه وعاشت حواء بعده سنة واحدة ثم ماتت ودفنت مع زوجها وقيل دفنت بجدة

وعمرها تسعمائة سنة وسبع وتسعون سنة ولم يمت آدم عليه السلام حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا وقيل ألفي ألف وفي التوراة ان آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة وقال وهب عاش آدم عليه السلام ألف سنة والله سبحانه وتعالى أعلم أي ذلك كان

(الفصل الثاني في ذكر شيث عليه السلام)

كان أجل ولد آدم عليه السلام وأفضلهم وأشبههم به وأحبهم اليه وكان وصي أبيه عليه السلام وولي عهده واليه انتهت انساب الناس وهو اسم عجمي حكي ان حواء حملت بشيث حتى نبتت أسنانه وكانت تنظر الى وجهه من صفائه في بطنها ولما وضعته أخذته الملائكة فمكث عندهم أربعين يوما وعلموه ألسنتهم ثم ردوه اليها وهو أول من تكلم بالعبرانية وأول من رأى الصحيفة وأول من لبس القلنسوة والنعلين وهو الذي بنى الكعبة بالطين والحجارة وكانت هنالك خيمة لآدم عليه السلام وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكانت ولادته لمضي مائتين وثلاثين سنة من عمر آدم عليه السلام وعاش تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة واختلف في مكان قبره قيل انه دفن في قبر أبيه آدم عليه السلام وقيل دفن بقرية بشرعين من اعمال بعلبك وله قبر هنالك يزار ويتبرك به

مل ل وقد ذريته وولد لشيث انوش وهو أول من علم الكتاب وحساب النجم ودوا السنين وأحسن عبادة الله تعالى وفي

جالسا والى جانبه رجل فى صورته فناداه نمروذ يا ابراهيم ان الهك كبير الذى بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال أتخشى ان أقت فيها قال لا فقام ابراهيم فخرج منها فلما خرج قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثل صورتك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى قال نمروذ انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت الا عبادته فقال ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على شئ من دينك فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى وقرب أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم ومنعه الله منه وآمن مع ابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمروذ وملئهم وآمن له لوط بن هاران وهو ابن أخى ابراهيم وكان لهم أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ وهو أبو بتويل وبتويل أبو لابان وأبو ربقا امرأة اسحق ابن ابراهيم أم يعقوب ولابان أبو ليا وراحيل زوجتى يعقوب وآمنت به سارة وهى ابنة عمه وهى سارة ابنة هاران الاكبر عم ابراهيم وقيل كانت ابنة ملك حران فآمنت بالله تعالى مع ابراهيم

(ذكر هجرة ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه)

ثم ان ابراهيم والذين اتبعوا أمره اجمعوا على فراق قومهم فخرج مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق ابن لاوذ بن سام بن نوح وقيل كان أخا الضحاك استعمله على مصر وكانت سارة من أحسن النساء وجها وكانت لا تعصى ابراهيم شيأ فلما وصفت لفرعون أرسل الى ابراهيم فقال من هذه التى معك قال أختى يعنى فى الاسلام وتخوف ان قال هى امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى فأمر بذلك ابراهيم فتزينت وأرسلها اليه فلما دخلت عليه اهوى بيده اليها وكان ابراهيم حين ارسلها قام يصلى فلما اهوى اليها أخذ أخذا شديدا فقال ادعى الله ولا اضرك فدعت له فأرسل فاهوى اليها فأخذ أخذا شديدا فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل ثم فعل ذلك الثالثة فذكر مثل المرتين فدعا أدنى حجابه فقال انك لم تأتنى بانسان وانك أتيتنى بشيطان أخرجها واعطها هاجر ففعل فاقبلت بهاجر فلما احس ابراهيم بها انفتل من صلاته فقال مهيم فقالت كفى الله كيد الكافرين وأخدم هاجر وكان ابو هريرة يقول تلك امكم يا بنى ماء السماء وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث مرات اثنتين فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله فى سارة هى أختى

(ذكر ولادة اسمعيل عليه السلام وحمله الى مكة)

قيل كانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم وقالت خذها لعل الله يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى اسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت اسمعيل ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما يعنى ولادة هاجر فكان ابراهيم قد خرج بها الى الشام من مصر خوفا من فرعون فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهى من السبع مسيرة يوم وليلة

هابيل فعوضه الله تعالى بغلام سماه شيثا من اجل انه خلف من عند الله مكان هابيل وولد لآدم عليه السلام اربعون ولدا فى عشرين بطنا كذا فى العرائس (وفى شفاء الصدور) ان الله تعالى لما عرض على آدم عليه السلام كل شئ مما خلق قال له اختر من خلقى ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز اولادك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا ولما احتضر كانت مدة مرضه احد عشر يوما وتولى غسله شيث عليه السلام وصلى عليه وقيل صلى عليه جبريل وكبر عليه ثلاثين تكبيرة وقيل اربعا وستين تكبيرة والملائكة خلف جبريل وبنوه خلف الملائكة ودفنوه فى جبل ابى قبيس فى مكان يقال له غار الكنز فلم يزل آدم عليه السلام فى ذلك الغار حتى كان زمن الغرق فاستخرجه نوح عليه السلام وحمله فى تابوت معه فى السفينة فلما خرج رده الى مكانه وقيل ذهب به الى بيت المقدس ويؤيد ذلك ما ذكره فى اتحاف الاخصاء ان قبر آدم عليه السلام فى بيت المقدس ورأسه عند مسجد ابراهيم عليه السلام بحبرون ورجلاه عند الصخرة الشريفة وبينهما ثمانية عشر ميلا فاذا كان يوم القيامة اقامه الله تعالى على رجليه ثم يحشر ذريته اليه ويقول الله تعالى يا آدم اليك حشرت ذريتك لكرامتك على وقيل دفن فى مسجد الخيف بمنى وقيل دفن فى مشارق الفردوس عند قرية هى إول قرية كانت فى الأرض وكسفت عليه الشمس وكانت وفاته يوم الجمعة لست خلون من نيسان فى

فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا اسفر دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى يريه كيف رمى الجمار حتى فرغ من الحج وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبرئيل هو الذي أرى ابراهيم كيف يحج ورواه عنه ابن عمر ولم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى ان هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قصة الذبيح)

واختلف السلف من المسلمين في الذبيح فقال بعضهم هو اسمعيل وقال بعضهم هو اسحق وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما صحيح لم نعده الى غيره فأما الحديث في أن الذبيح اسحق فقد روى الاحنف عن العباس بن عبد المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ذكر فيه وفديناه بذبح عظيم هو اسحق وقد روي هذا الحديث عن العباس من قوله لم يرفعه واما الحديث الآخر في أن الذبيح اسمعيل فقد روى الصنابحي قال كنا عند معاوية بن ابي سفيان فذكروا الذبيح فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يارسول الله عد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك صلى الله عليه وسلم فقيل لمعاوية وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب نذر ان سهل الله حفر زمزم أن يذبح أحد أولاده فخرج السهم على عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم ففداه بمائة بعير وسنذكره ان شاء الله والذبيح الثاني اسمعيل

(ذكر من قال انه اسحق)

ذهب عمر بن الخطاب وعلي والعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله رضي الله عنهم فيما رواه عنه عكرمة وعبد الله بن مسعود وكعب وابن سابط وابن أبي الهذيل ومسروق الى ان الذبيح اسحق عليه السلام حدث عمرو بن أبي سفيان بن أبي أسيد بن أبي جارية الثقفي ان كعبا قال لابي هريرة ألا أخبرك عن اسحق بن ابراهيم قال بلى قال كعب لما رأى ابراهيم ذبح اسحق قال الشيطان والله لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم لم افتن أحدا منهم بعد ذلك أبدا فتمثل رجلا يعرفونه فأقبل حتى اذا خرج ابراهيم باسحق ليذبحه دخل على سارة امرأة ابراهيم فقال لها أين أصبح ابراهيم غاديا باسحق قالت لبعض حاجته قال لا والله انما غدا به ليذبحه قالت سارة لم يكن ليذبح ولده قال الشيطان بلى والله لانه زعم ان الله قد أمره بذلك قالت سارة فهذا أحسن ان يطيع ربه ثم خرج الشيطان فأدرك اسحق وهو مع أبيه فقال له ان ابراهيم يريد أن يذبحك قال اسحق ما كان ليفعل قال بلى والله انه زعم أن ربه امره بذلك قال اسحق فوالله لان أمره ربه بذلك ليطيعنه فتركه ولحق ابراهيم فقال أين أصبحت غاديا بابنك قال لبعض حاجتي قال لا والله انما تريد ذبحه قال ولم قال لانك زعمت أن الله أمرك بذلك قال ابراهيم فوالله ان كان الله أمرني بذلك لافعلن فلما أخذ ابراهيم اسحق ليذبحه أعفاه الله من ذلك وفداه بذبح عظيم واوحى الله الى اسحق اني معطيك دعوة أستجيب لك فيها قال اسحق اللهم فايما عبد لقيك من الاولين

السلام كان رجلا طويلا ضخم البطن عظيم الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس وكانت احدى أذنيه أعظم من الاخرى وكانت في جسده نكتة بيضاء من غير برص وكان رقيق الصوت قريب الخطا اذا مشى كذا ذكره ابن قتيبة في الانساب وكان نبيا وملكا عظيما ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة أي أسد الاسود وهو عطارد وفي المختصر في اخبار البشر نبأ الله تعالى ادريس عليه السلام وكشف له الاسرار السماوية وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ونزل عليه جبريل أربع مرات كذا في الانس الجليل ومن معجزاته انه كان يرى الملائكة في الهواء حين يظهرون وكان كلما يدعو السحاب أجابه بالقطر وسمعه الناس يتكلم مع السحاب وفي عجائب الدنيا للمسعودي ان ادريس عليه السلام صب الرصاص ذهبا بصاصا وهو الذي يسمى المثلث لانه نبي وملك وحكيم ودفع اليه كتاب سر الملكوت الذي علمه زرائيل الملك لآدم عليه السلام وكانوا يتوارثونه ختوما لا ينظرون فيه ولم يفتحه بعد شيث غير ادريس عليه السلام وانما سمي ادريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الاسلام وهو اول من استخرج الحكمة وعلم النجوم وعلم الرياضة والمنطق والطبيعي والالهي واسرار الفلك وهو أول من خط بالقلم وخاط الثياب ولبسها وكانوا قبله يلبسون الجلود وهو أول من جاهد في سبيل الله وسبى أرباب الفساد من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث

تعالى فانزل يرحمك الله فقال لها أعندك ضيافة قالت نعم قال فهل عندك خبز أو بر أو شعير أو تمر قال فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز أو تمر أو بر أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك فقالت انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام بالاناء فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر ففعلت به كذلك فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدمه وهو يقرؤك السلام ويقول قد استقامت عتبة بابك قال ذلك ابراهيم وقيل ان الذي انبع الماء جبريل فانه نزل الى هاجر وهي تسعى في الوادي فسمعت حسه فقالت قد اسمعتني فاغثني فقد هلكت أنا ومن معي فجاء بها الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عينا فتعجب فجعلت تفرغ في شنها فقال لها لا تخافي الظمأ

(ذكر عمارة البيت الحرام بمكة)

قيل ثم أمر الله ابراهيم ببناء البيت الحرام فضاق بذلك ذرعا فأرسل الله السكينة وهي ريح خجوج وهي اللينة الهبوب لها رأسان فسار معها ابراهيم حتى انتهت الى موضع البيت فتطوت عليه كتطوي الحجفة فأمر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم وقيل أرسل الله مثل الغمامة له رأس فكلمه وقال يا ابراهيم ابن على ظلي او على قدري لا تزد ولا تنقص فبنى وهذان القولان نقلا عن علي وقال السدي الذي دله على موضع البيت جبريل فسار ابراهيم الى مكة فلما وصلها وجد اسمعيل يصلح نبلا له وراء زمزم فقال له يا اسمعيل ان الله قد امرني ان أبني له بيتا قال اسمعيل فأطع ربك فقال ابراهيم قد امرك ان تعينني على بنائه قال اذن أفعل فقام معه فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن اضعه على الركن فيكون للناس علما فناداه ابو قبيس ان لك عندي وديعة وقيل بل جبريل أخبره بالحجر الاسود فأخذه ووضعه موضعه وكانا كلما بنيا دعوا الله ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم فجعل يناوله فلما فرغ من بناء البيت امره الله ان يؤذن في الناس بالحج فقال ابراهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي البلاغ فنادى ايها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فسمعه ما بين السماء والارض وما في اصلاب الرجال وارحام النساء فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله ان يحج الى يوم القيامة فأجيب لبيك لبيك ثم خرج باسمعيل معه الى التروية فنزل به منى ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم بات حتى اصبح فصلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذي يقف عليه الامام فوقف به على الاراك فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى اتى المزدلفة

زمانه قتل قابيل رماه الملك الاعمى بحجر فشدخ رأسه فمات وانوش أول من غرس النخلة ونطق بالحكمة عاش تسعمائة سنة وخمسا وستين سنة وولد لانوش قينان في أيام جدته وكان رجلا تقيا صالحا جمع أولاد أبيه وتهيا لمحاربة ابليس لتمردهم عليه وعلى أولاد أبيه واستمر فيهم القتل حتى نفاهم عن نفسه وعن توابعه عاش سبعمائة سنة وعشرين سنة وولد له مهلائيل فقام في قومه بطاعة الله تعالى واتبع وصية آدم عليه السلام وفي زمانه نزل القبطي وبعض أولاد آدم عليه السلام ابطل المقدس واشتغلوا باللهو ومخالطة بنات قابيل ومن بعده تفرقت الكلمة وتحزبت الناس احزابا وفي زمانه قسم الدنيا خمس فرق وخص ولد شيث عليه السلام بأكثرها خيرا عاش تسعمائة سنة وخمسا وستين سنة وولد لمهلائيل يارد وكان في أيامه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا قوما صالحين فماتوا في شهر واحد فحزن أقاربهم عليهم فقال رجل من بني قابيل يا قوم هل لكم ان أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير اني لا أقدر ان أجعل فيهم روحا قالوا نعم فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم من خشب الساج ثم نصبها لهم فكان الرجل يأتي أخاه وعمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الاول ثم جاء من بعدهم القرن الثاني فعظموهم أعظم من تعظيم القرن الاول ثم جاء القرن الثالث فقالوا ما عظم أولونا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله تعالى فعبدوهم فهذا سبب عبادة الاصنام وولد ليارد اخنوخ وهو ادريس عليه

وقيل هو الكبش الذي قربه هابيل وقال علي عليه السلام كان كبشا اقرن اعين ابيض وقال الحسن ما فدى اسمعيل الا بتيس من الاروى هبط عليه من ثبير فذبحه قيل بالمقام وقيل بمنى في المنحر

(ذكر ما امتحن الله به ابراهيم عليه السلام)

بعد ابتلاء الله تعالى ابراهيم بما كان من نمرود وذبح ولده بعد ربما تقدما ابتلاه الله بالكلمات التي اخبر انه ابتلاه بهن فقال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن واختلف السلف من العلماء الائمة في هذه الكلمات فقال ابن عباس من رواية عكرمة عنه في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه الا ابراهيم وقال الله وابراهيم الذي وفى قال والكلمات عشر في براءة وهي التائبون العابدون الحامدون الآية وعشر في الاحزاب وهي ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر في المؤمنين من اوله الى قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون وقال آخرون وهي عشر خصال قال ابن عباس من رواية طاوس وغيره عنه الكلمات عشر وهي خمس في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس وخمس في الجسد وهي تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط وقال آخرون هي مناسك الحج وقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وهو قول ابي صالح ومجاهد وقال آخرون هي ست وهي الكواكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان وذبح ابنه وهو قول الحسن قال ابتلاه بذلك فعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهاجر عن وطنه واراد ذبح ابنه وختن نفسه وقيل غير ذلك مما لا حاجة اليه في التاريخ المختصر وانما ذكرنا هذا القدر لئلا يخلو من فصول الكتاب

(ذكر عدو الله نمرود وهلاكه)

ونرجع الآن الى خبر عدو الله نمرود وما آل اليه امره في دنياه وتمرده على الله تعالى واملاء الله له وكان اول جبار في الارض وكان احراقه ابراهيم ما قدمنا ذكره فأخرج ابراهيم عليه السلام من مدينته وحلف انه يطلب اله ابراهيم وأخذ اربعة افرخ نسور فرباهن باللحم والخمر حتى كبرن وغلظن فقرنهن بتابوت وقعد في ذلك التابوت وأخذ معه رجلا ومعه لحم لهن فطرن به حتى اذا ذهبن اشرف ينظر الى الارض فراى الجبال تدب كالنمل ثم رفع لهن اللحم ونظر الى الارض فرآها يحيط بها بحر كأنها فلك في ماء ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع والقى اللحم فاتبعته النسور منقضات فلما نظرت الجبال اليهن وقد اقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وكان طيرانهن من بيت المقدس ووقوعهن في جبل الدخان فلما رأى انه لا يطيق شيئا أخذ في بناء الصرح فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر الى اله ابراهيم بزعمه وأحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانهم من القواعد من أساس الصرح فسقط وتبلبلت الالسن يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا وكان لسان الناس قبل ذلك سريانيا هكذا روى انه

الزمان قال ابن عباس رضي الله عنهما أربعة من الانبياء احياء فيهم أرواحهم وهم ادريس وعيسى في السماء والياس والخضر في الارض وكلهم يموتون الا ادريس فانه اذا مات الخلق اصابته دهشة فيبقى في عداد الموتى وهو حي وقيل هو الذي يجيب الله تعالى اذا مات الخلق وقال لمن الملك اليوم فيقول ادريس لله الواحد القهار قال وهب كان يرفع لادريس عليه السلام كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه حتى اشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله عز وجل في زيارته فأذن له وطلب ان يذيقه الموت فأذاقه باذن الله تعالى ثم أحياه الله تعالى ثم سأله أن يورده النار فأورده اياها ثم سأله أن يدخله الجنة فلما دخل الجنة أبى ان يخرج منها محتجا بأن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فبقي بها بعناية الله تعالى فهو حي هنالك فتارة يعبد الله تعالى في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة قيل أسكنه قلب الافلاك وهو فلك الشمس وعلم دور الافلاك وطبائع الكواكب وخواصها ولما رفعه الله تعالى كان عمره اثنين وثمانين سنة وقيل رفع وهو ابن ثلثمائة وخمس وستين سنة وعاش أبوه بعد ارتفاعه خمسمائة سنة وخمسا وثلاثين سنة فلما رفعه الله عز وجل اختلفوا بعده واحدثوا الا حداث الى زمن نوح عليه

والآخرين لا يشركك بك شيئا فادخله الجنة وقال عبيد بن عمير قال موسى يارب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فبم نالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل بي شيئا قط الا اختارني وان اسحق جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن بي (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين وجارية بالجيم)

(ذكر من قال ان الذبيح اسمعيل عليه السلام)

روى سعيد بن جبير و يوسف بن مهران والشعبي ومجاهد وعطاء بن أبي رباح كلهم عن ابن عباس انه قال ان الذبيح اسمعيل وقال زعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود وقال ابو الطفيل والشعبي ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي انه اسمعيل قال الشعبي رأيت قرني الكبش في الكعبة قال محمد بن كعب ان الذي أمر الله ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله في قصته الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبحه ابنه أنه اسمعيل وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ونقول وبشرناه باسحق نبيا ومن وراء اسحق يعقوب بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الله عز وجل ما وعده وما الذي أمر بذبحه الا اسمعيل فذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة فقال ان هذا الشيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت

(ذكر السبب الذي من اجله أمر ابراهيم بالذبح وصفة الذبح)

قيل أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فيما ذكر انه دعا الله ان يهب له ولدا ذكرا صالحا فقال رب هب لي من الصالحين فلما بشرته الملائكة بغلام حليم قال اذن هو لله ذبيح فلما ولد الغلام و بلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك الذي نذرت وهذا على قول من زعم ان الذبيح اسحق وقائل هذا يزعم ان ذلك كان بالشام على ميلين من ايليا واما من زعم انه اسمعيل فيقول ان ذلك كان بمكة قال محمد بن اسحق ان ابراهيم قال لابنه حين امر بذبحه يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلك فلما توجه اعترضه ابليس ليصده عن ذلك فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر الله فاعترض اسمعيل فأعلمه ما يريد ابراهيم يصنع به فقال سمعا لامر ربي وطاعة فذهب الى هاجر فأعلمها فقالت ان كان ربه امره بذلك فتسليما لامر الله فرجع بغيظه لم يصب منهم شيأ فلما خلا ابراهيم بالشعب وهو شعب ثبير قال له يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم قال له يا أبت ان أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصيبك من دمي شيء فينتقص أجري فان الموت شديد واشحذ شفرتك حتى تريحني فاذا اضجعتني فكبني على وجهي فاني اخشى ان نظرت في وجهي أنك تدركك رحمة فتحول بينك و بين امر الله وان رايت ان ترد قميصي الى هاجر امي فعسى ان يكون اسلى لها عني فافعل فقال ابراهيم نعم المعين انت اي بني على امر الله فربطه كما امره ثم حد شفرته وتله للجبين ثم أدخل الشفرة لحلقه فقلبها الله لقفاها ثم اجتذبها اليه ليفرغ منه فنودي أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها وقيل جعل الله على حلقه صحيفة نحاس قال ابن عباس خرج عليه كبش من الجنة قد رعى فيها اربعين خريفا

عليه السلام فأمره الله تعالى ان يقاتلهم ويسبي نساءهم وأولادهم فأطاعه قابيل وعصاه كثير وكان عدة من أطاعه ألف انسان وهو الذي رسم بعمارة المدن وجمع طلاب العلم وقرر لهم قواعد السياسة وعمارة المدن فبنت كل فرقة من الامم مدنا في أرضها فكان عدة المدن التي بنيت في زمانه مائة وثمانين مدينة * وذكر بعض المحققين في شرح الفصوص ان آدم عليه السلام لما مرض مرض الموت تمنى من ثمار الجنة فأتى جبريل عليه السلام بطبق من ثمار الجنة على رأس حورية فأكل منه وسأل الله تعالى ان يزوج تلك الحورية من شيث عليه السلام فأجابه الله تعالى فولدت منه ادريس عليه السلام ولهذا السر الجلي كان له تجرد ملكي وسياحة فلكي عرج الى الافلاك وشاهد أطوارها وأدوارها وصنف الكتب الكثيرة مما جاء به جبريل عليه السلام وأخذها فسقط من يده في البحر أكثرها لحكمة من الله سبحانه منافية اظهار أسرار الربوبية فاقتضت الحكمة الالهية اخفاءها من العامة وذكر انه لم ينم ست عشرة سنة ولا يأكل حتى بقي عقلا مجردا وروحانية في فلك الشمس وهو أول من خالط الملائكة والارواح المجردة وحصل له معراج انسلاخ البشرية * وذكر الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس الله سره في الفتوحات المكية وفي قوت القلوب ان ادريس هو الياس وانه ينزل كما ينزل عيسى بن مريم عليه السلام تشريفا لشرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وله جولان في الارض وقطبية برية مع خلافة

كان يأتي بعضهم بعضا في مجالسهم وكان لوط يدعوهم الى عبادة الله وينهاهم عن الامور
التي يكرهها الله منهم من قطع السبيل وركوب الفواحش واتيان الذكور في الادبار
ويتوعدهم على اصرارهم وترك التوبة بالعذاب الاليم فلا يزجرهم ذلك ولا يزيدهم
وعظه الا تماديا واستعجالا لعقاب الله انكارا منهم لوعيده ويقولون له ائتنا بعذاب الله
ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه النصرة عليهم لما تطاول عليه أمرهم وتماديهم
في غيهم فبعث الله جبرائيل لما أراد هلاكهم ونصر رسوله جبرئيل وملكين آخرين معه
أحدهما ميكائيل والآخر اسرافيل فاقبلوا فيما ذكر مشاة في صورة رجال وأمرهم ان
يبدءوا بابراهيم وسارة ويبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم
وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وكان يضيف من نزل به وقد
وسع الله عليه الرزق فرح بهم ورأى ضيفا لم ير مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخدم هؤلاء
القوم احد الا انا بيدي فخرج الى أهله فجاء بعجل سمين قد حنذه أي انضجه فقربه اليهم
فامسكوا ايديهم عنه فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا
لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة فضحكت لما عرفت من امر الله ولما
تعلم من قوم لوط فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فقالت وصكت وجهها أألد
وانا عجوز الى قوله حميد مجيد وكانت ابنة تسعين سنة وابراهيم ابن عشرين ومائة فلما ذهب
عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى ذهب يجادل جبرائيل في قوم لوط فقال له ارايت ان
كان فيهم خمسون من المسلمين قالوا وان كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذبهم قال
واربعون قالوا واربعون قال وثلاثون حتى بلغ عشرة قالوا وان كان فيهم عشرة قال
ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ثم قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه واهله
الا امرأته كانت من الغابرين ثم مضت الملائكة نحو سدوم قرية لوط فلما انتهوا اليها لقوا
لوطا في ارض له يعمل فيها وقد قال الله تعالى لهم لا تهلكوهم حتى تشهدوا عليهم لوطا
اربع شهادات فاتوه فقالوا انا مضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت اليهم
فقال لهم اما تعلمون ما يعمل اهل هذه القرية والله ما اعلم على ظهر الارض اناسا اخبث
منهم حتى قال ذلك أربع مرات وقيل بل لقوا ابنته فقالوا يا جارية هل من منزل قالت نعم
مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم خافت عليهم من قومها فاتت أباها فقالت يا ابتاه ادرك
فتيانا على باب المدينة ما رايت اصبح وجوها منهم لئلا ياخذهم قومك فيفضحوهم وكان
قومه قد نهوه ان يضيف رجلا فجاء بهم فلم يعلم الا اهل بيت لوط فخرجت امرأته فاخبرت
قومها وقالت لهم قد نزل بنا قوم ما رايت احسن وجوها منهم ولا اطيب رائحة فجاءه
قومه يهرعون اليه فقال يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد
فنهاهم ورغبهم وقال هؤلاء بناتي هن اطهر لكم مما تريدون قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق وانك لتعلم ما نريد اولم ننهك عن العالمين فلما لم يقبلوا منه قال لو ان لي بكم قوة او آوي
الى ركن شديد يعني لو ان لي انصارا او عشيرة يمنعوني منكم فلما قال ذلك وجد عليه الرسل
فقالوا ان ركنك لشديد ولم يبعث الله نبيا الا في ثروة من قومه ومنعة من عشيرته واغلق

أفواههم أحلى من العسل وغرس شجرة واحدة فاثمرت في الحال فاكلوا منها ولم يبالغ احد من المرسلين في الدعوة مثل
ما بالغ ولم يشب له شعرة ولم يصبر نبي
على اذى قومه مثل ما صبر وهو
على طول عمره كان يضرب ثم يلف
في لبد ثم يلقى في بيته فيرون انه قد
مات ثم يخرج فيدعوهم وكان في
غضبه وانتهاره شدة وكان نجارا
فبعثه الله تعالى الى قومه وهو ابن
خمسين سنة وقيل بعث بعد
اربعمائة سنة وكان الكفر قد عم
فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما
مات ثلاثة قرون من قومه وهو
يدعوهم فلا يجيبونه ولا يتبعه
منهم الا القليل فلما ايس من ايمان
قومه واخبره الله تعالى انه لم يبق
في اصلاب الرجال وارحام النساء
مؤمن فعند ذلك دعا عليهم
فاستجاب الله تعالى دعاءه فاوحى
الله اليه ان اصنع الفلك فاشتغل
بغرس الاشجار وعمل السفينة
اربعين سنة فاعقم الله ارحام
النساء فلم يولد لهم ولد واوحى الله
تعالى اليه ان عمل السفينة فقال
اشتد غضبي على من عصاني
فاستأجر نجارين يساعدانه
ويعملان معه واولاده سام وحام
ويافث ينحتون السفينة معه فجعل
طولها ستمائة ذراع وعرضها
ثلثمائة وثلاثين ذراعا الذراع الى
المنكب عن قول ابن عباس
رضي الله عنه وفجر الله له عين
القير حين نجر السفينة فجعل
يغلي غليانا حتى طلاها به وكان فراغه
من عمل السفينة يوم الجمعة لتسع
عشرة خلت من اذار واوحى اليه
ان يحمل معه زاد سنة في السفينة وان العلامة في نزول العذاب اذا فار التنور وكان التنور لحواء تخبز فيه قيل انه كان من

لم يحدث وهذا ليس بشيء فان الطبع البشري لم يخل منه انسان حتى الانبياء صلوات الله
عليهم وهم أكثر اتصالا بالعالم العلوي وأشرف أنفسا ومع هذا فيأكلون ويشربون
ويبولون ويتغوطون فلو خلا منه أحد لكان الانبياء أولى لشرفهم وقربهم من الله تعالى
وان كان لكثرة ملكه فالصحيح انه لم يملك مستقلا ولو ملك مستقلا لكان الاسكندر أكثر
ملكا منه ومع هذا فلم ينقل فيه شيء من هذا قال زيد بن أسلم ان الله تعالى بعث الى نمرود بعد
ابراهيم ملكا يدعوه الى الله أربع مرات فابى وقال أرب غيري فقال له الملك اجمع جموعك
الى ثلاثة أيام فجمع جموعه ففتح الله عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من
كثرتها فبعثها الله عليهم فاكلتهم ولم يبق منهم الا العظام والملك كما هو لم يصبه شيء فارسل الله
عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث يضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من يجمع يديه
ويضرب بهما رأسه وكان ملكه ذلك أربعمائة سنة وأماته الله تعالى وهو الذي بنى الصرح
وقال جماعة ان نمرود بن كنعان ملك مشرق الارض ومغربها وهذا قول يدفعه أهل العلم
بالسير واخبار الملوك وذلك انهم لا ينكرون أن مولد ابراهيم كان أيام الضحاك الذي ذكرنا
بعض اخباره فيما مضى وانه كان ملك شرق الارض وغربها وقول القائل ان
الضحاك الذي ملك الارض هو نمرود ليس بصحيح لان أهل العلم بالمتقدمين يذكرون ان
نسب نمرود في النبط معروف ونسب الضحاك في الفرس مشهور وانما الضحاك استعمل
نمرود على السواد وما اتصل به يمنة ويسرة وجعله وولده عمالا على ذلك وكان هو ينتقل في
البلاد وكان وطنه ووطن أجداده دنباوند من جبال طبرستان وهنالك رمى به افريدون
حين ظفر به وكذلك بختنصر ذكر بعضهم انه ملك الارض جميعها وليس كذلك وانما كان
اصبهبذ ما بين الاهواز الى أرض الروم من غربي دجلة من قبل لهراسب لان لهراسب كان
مشتغلا بقتال الترك مقيما بازائهم ببلخ وهو بناها لما تطاول مقامه هنالك لحرب الترك ولم
يملك أحد من النبط شبرا من الارض مستقلا برأسه فكيف الارض جميعها وانما تطاولت
مدة نمرود بالسواد فمكث أربعمائة سنة ثم دخل من نسله بعده ملك كجبل يقال له نبط بن
قعون ملك بعده مائة سنة ثم كداوص بن نبط ثمانين سنة ثم بالش بن كداوص مائة
وعشرين سنة ثم نمرود بن بالش سنة وشهرا فذلك سبعمائة سنة وسنة وشهر أيام الضحاك
وطن الناس في نمرود ما ذكرناه فلما ملك افريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرد
النبط وقتل فيهم مقتلة عظيمة

(ذكر قصة لوط وقومه)

قد ذكرنا مهاجر لوط مع ابراهيم عليه السلام الى مصر وعودهم الى الشام ومقام لوط
بسدوم فلما أقام بها أرسله الله الى أهلها وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب فاحشة كما قال
تعالى لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون
السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل أنهم كانوا يأخذون المسافر اذا مر
بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث وهو اللواطة واما اتيانهم المنكر في ناديهم فقيل
كانوا يحذفون من مر بهم ويسخرون منهم وقيل كانوا يتضارطون في مجالسهم وقيل

السلام وولد لادريس متوشلخ على ثلثمائة ٤٦ سنة من عمره واستخلفه ادريس بأمر الله تعالى قبل رفعه وذكر انه أول من ركب
الخيل لانه اقتفى رسم أبيه في
الجهاد وعاش تسعمائة سنة
واثنتين وثمانين سنة ومات في اول
في حياة ادريس عليه السلام وولد
لمتوشلخ لمك وفي زمانه كثرت
الجبابرة من ولد قابيل وعاش لمك
سبعمائة سنة وولد له غلام وعمره
اذ ذاك مائة وسبع وثمانون سنة
فسماه نوحا

(الفصل الرابع في ذكر نوح عليه السلام)

كان رجلا دقيق الوجه في رأسه
طول عظيم العينين غليظ
الفصوص دقيق الساقين
والساعدين كثير لحم الفخذين
ضخم السرة طويل اللحية طويلا
جسيما وهو أول نبي نبأه الله تعالى
بعد ادريس عليه السلام وأول
نذير من الشرك وأول أولي العزم
وهو أول من نسخت شريعته
شريعة آدم عليه السلام وكان
ادريس عليه السلام على شريعة
آدم عليه السلام وهو أول نبي
عذبت أمته بدعوته وقد كان رأى
ان نارا خرجت من فيه فأحرقت
جميع الخلق وهو اطول الانبياء
عمرا وشيخ المرسلين وجعلت
معجزاته في نفسه لانه عاش ألف
سنة ولم ينقص له شيء من قوته
ومن معجزاته ان قومه طلبوا منه
المعجزة بأن يرتحل جبل من جبال
فارس فيصير في عرفات فدعا الله
تعالى فأجابه فارتحل الجبل وصار
في عرفات وانه لما خرج من
السفينة لم يكن عنده ولا عند قومه شيء من الطعام فاخذ الرمل وأكله وأطعم من كان معه فصار الرمل في

كان

(٣) قوله وكان فيها امثال هكذا في النسخ التي بايدينا والاولى حذفها أو ابدال امثال بمواعظ اه

صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها امثال (٣) منها وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكر فيها في صنع الله وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون طامعا الا في ثلاث تزود لمعاده أو مرمة لمعاشه او لذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل الا فيما يعنيه وهو أول من اختتن وأول من اضاف الضيف وأول من اتخذ السراويل الى غير ذلك من الاقاويل

(ذكر خبر ولد اسمعيل بن ابراهيم)

قد ذكرنا فيما مضى سبب اسكان اسمعيل الحرم وتزوجه امرأة من جرهم وفراقه اياها بأمر ابراهيم ثم تزوج اخرى وهي السيدة بنت مضاض الجرهمي وهي التي قال لها قولي لزوجك قد رضيت عتبة بابك فولدت لاسمعيل اثني عشر رجلا نابت وقيذار واذبل وميشا ومسمع ودما وماش وآزر وقطورا وقافس وطميا وقيدمان وكان عمر اسمعيل فيما يزعمون سبعا وثلاثين ومائة سنة ومن نابت وقيذار ابني اسمعيل نشر الله العرب وأرسله الله تعالى الى العماليق وقبائل اليمن وقد ينطق أولاد اسمعيل بغير الالفاظ التي ذكرت ولما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق ان يزوج ابنته من العيص بن اسحق وان يدفن عند قبر امه هاجر بالحجر

(ذكر اسحق بن ابراهيم وأولاده)

قيل ونكح اسحق رفقا بنت بتويل فولدت له عيص ويعقوب توأمين وان عيص كان أكبرهما وكان عمر اسحق لما ولدا له ستين سنة ثم نكح عيص بن اسحق نسمة بنت عمه اسمعيل فولدت له الروم بن عيص وكل بني الاصفر من ولده وزعم بعض الناس ان الاشبان من ولده ونكح يعقوب بن اسحق وهو اسرائيل ابنة خاله ليا بنت ليان بن بتويل فولدت له روبيل وكان أكبر ولده وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون واشحر وقيل ويشجر ثم توفيت ليا فتزوج اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وولد له من سريتين أربعة نفردان ونفتالي وجاد واشر فكان ليعقوب اثنا عشر رجلا قال السدي تزوج اسحق بجارية فحملت بغلامين فلما أرادت أن تضع أراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لاعترض في بطن أمي ولاقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص وأخذ يعقوب بعقب عيص فسمي يعقوب وسمي أخوه عيص لعصيانه وكان عيص احبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فقال له اسحق لما كبر وعمي يا بني اطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي وكان عيص رجلا اشعر وكان يعقوب أجرد فسمعت أمهما ذلك فقالت ليعقوب يا بني اذبح شاة واشوها والبس جلدها وقربها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء قال يا ابتاه كل قال من أنت قال أنا ابنك عيص فمسه اسحق فقال المس مس عيص والريح

هذين الاسمين لابراهيم عليه السلام حين القي في النار فلما تكلم به صارت النار بردا وسلاما وهما اسمان جليلان عظيمان من اسماء الله تعالى في التوراة وكانت الدنيا مظلمة سوداء ولا مواجهة دوي كدوي الرعد فلم يعرف القوم الليل من النهار حتى انزل الله على نوح عليه السلام خرزتين بيضاء وسوداء فكانت البيضاء بالنهار تضيء وتغلب السوداء والسوداء تظلم وتغلب بالليل على البيضاء وكان نوح عليه السلام أول من قرر الساعات لمواقيت الصلاة فجعل النهار اثنتي عشرة ساعة والليل مثل ذلك ثم أمر الله تعالى الارض ان تبلع الماء والسماء ان تقلع فاقبلت السفينة آخذة نحو الموصل فلما انتهت الى ارض قبردي وبازبدي واستقرت السفينة في عشر خلون من محرم على الجودي وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور وبنوا بثنى قرية بالجزيرة تسمى سوق ثمانين فانهم كانوا في السفينة ثمانين رجلا وكان مكثه في السفينة سنة هلالية تنقص ثلاثة عشر يوما وكان مقامه بالكوفة ومن مسجده فار التنور على ما قيل وفيه نجرت السفينة وهو مسجدها الذي به شرفه ومصلاه وذكر ان بعض الارض لم تسرع الى بلع الماء ومنها ما اسرع الى بلعه عند ما امرت فما اطاع كان ماؤه عذبا اذا احتفر وما تأخر عن القبول بسرعة عاقبها الله تعالى ان جعل ماءها مالحا فمن ذلك البحار وهي بقية ماء غضب الله به أمم وفي التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان

لوط الباب فعالجوه وفتح لوط الباب فدخلوا واستأذن جبرائيل ربه في عقوبتهم فأذن له فبسط جناحه ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم بعضا عميانا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط أسحر قوم في الارض وقالوا للوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون فأخرجهم الله الى الشام وقال لوط اهلكوهم الساعة فقالوا لم نؤمر الا بالصبح أليس الصبح بقريب فلما كان الصبح أدخل جبرائيل وقيل ميكائيل جناحه في أرضهم وقراهم الخمس فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل فأهلكت من لم يكن بالقرى وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها ونجى الله لوطا وأهله الا امرأته وذكر أنه كان فيها أربعمائة ألف وكان ابراهيم يتشرف عليها ويقول سدوم يوما هالك ومدائن قوم لوط خمس سدوم وصبعة وعمرة ودوما وصعوة وسدوم هي القرية العظمى قوله يهرعون اليه هو مشي بين الهرولة والجمز

(ذكر وفاة سارة زوج ابراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه)

لا يدفع أحد من أهل العلم أن سارة توفيت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة وقيل انها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان وقيل عاشت هاجر بعد سارة مدة والصحيح ان هاجر توفيت قبل سارة كما ذكرنا في مسير ابراهيم الى مكة وهو الصحيح ان شاء الله تعالى فلما ماتت سارة تزوج بعدها قطورا ابنة يقطن امرأة من الكنعانيين فولدت له ستة نفر نفشان وزمران ومدين ومدان ونشق وسرح وكان جميع أولاد ابراهيم مع اسمعيل واسحق ثمانية نفر وكان اسمعيل بكره وقيل في عدد أولاده غير ذلك فالبربر من ولد نفشان وأهل مدين قوم شعيب من ولد مدين وقيل تزوج بعد قطورا امرأة أخرى اسمها حجون ابنة اهير

(ذكر وفاة ابراهيم وعدد ما أنزل عليه)

قيل لما أراد الله قبض روح ابراهيم أرسل اليه ملك الموت في صورة شيخ هرم فرآه ابراهيم وهو يطعم الناس وهو شيخ كبير في الحر فبعث اليه بحمار فركبه حتى أتاه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه وأذنه ثم يدخلها فاه فاذا دخلت جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت فقال يا شيخ مالك تصنع هذا قال يا ابراهيم الكبر قال ابن كم أنت فزاد على عمر ابراهيم سنتين فقال ابراهيم انما بيني وبين أن أصير هكذا سنتان اللهم اقبضني اليك فقام الشيخ وقبض روحه ومات وهو ابن مائتي سنة وقيل مائة وخمس وسبعين سنة وهذا عندي فيه نظر لان ابراهيم لا يخلوا أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتين أو أكثر من ذلك فان من عاش مائتي سنة كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب ولكن هكذا روى ثم انه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه شيء مما رأى بذلك الرجل وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وأنزل الله على ابراهيم عشر صحائف قال قلت يا رسول الله فما كانت

المديد وقيل انه كان مبنيا بالحجارة واختلفوا في مكان التنور فقال مقاتل التنور بالشام بموضع يقال له عين وردة وقال ابن عباس كان بالهند وقيل كان بمسجد الكوفة فلما اذن الله تعالى في هلاكهم اتت ابنة نوح التنور لتسجره للخبز وكانت تخبز للذين يعملون السفينة وكانوا سبعة نفر فظهر لها الماء من اسفل التنور فبادرت الى ابيها واخبرته بذلك فدخلوا السفينة واقبل جبريل عليه السلام يحشر من البهائم من كل جنس زوجين حتى لا ينقطع نسلها فدخلها السفينة وكان اول ما حمل في السفينة الذرة وآخر ما حمل الحمار ووكل الله بالسفينة ملائكة يحفظونها لئلا تنقلب فجعل الماء ينزل من السماء كأفواه القرب بغير سحاب وفجر الله تعالى ينابيع الارض فاتلف كل شيء على وجه الارض وذلك لثلاث عشرة خلت من آب وكان ذلك عاشر رجب واستقر الى عاشر محرم ومضى ستمائة سنة من عمر نوح عليه السلام وانتهت الفي سنة ومائتي سنة وست وخمسين سنة من هبوط آدم عليه السلام واستقرت السفينة في الماء على ما قيل مائة وخمسين يوما وقد اغرق الله جميع الارض وهلك كل شيء فيه الروح من اصل ماء اخرجه من مكان الحرق وهو التنور وكان سببا للغرق فارتفع الماء على اعلى الجبال وكان الماء يحملها فذاب قير السفينة لسخن الماء فعلم الله تعالى نوحا عليه السلام اسماء اسمائه فلما دعا به جمد القير على السفينة والاسم الذي كان يدعو به اهيا اشراهيا شم علم الله تبارك وتعالى

اليه ويقول كلي من رزق الله واصابه الجذام وكان أشد من ذلك عليه انه كان يخرج في جسده مثل ثدى المرأة ثم يتفقأ وانتن حتى لم يطق أحد ان يشم ريحه فاخرجه أهل القرية منها الى الكناسة خارج القرية لا يقربه أحد الا زوجته وكانت تختلف اليه بما يصلحه فبقي مطروحا على الكناسة سبع سنين ما يسأل الله ان يكشف ما به وما على وجه الارض اكرم على الله منه وقيل كان سبب بلائه ان أرض الشام اجدبت فارسل فرعون الى أيوب ان هلم الينا فان لك عندنا سعة فاقبل باهله وخيله وماشيته فاقطعهم فرعون القطائع ثم ان شعيبا النبي دخل الى فرعون فقال يا فرعون اما تخاف ان يغضب الله غضبة فيغضب لغضبه اهل السماء وأهل الارض والبحار والجبال وايوب ساكت لا يتكلم فلما خرجا أوحى الله الى ايوب يا ايوب سكت عن فرعون لذهابك الى أرضه استعد للبلاء فقال أيوب أما كنت اكفل اليتيم وآوى الغريب وأشبع الجائع واكفت الارملة فمرت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون من فعل ذلك يا ايوب فاخذ ترابا فوضعه على رأسه وقال انت يارب فاوحى الله اليه استعد للبلاء قال فديني قال اسلمه لك قال فما أبالي وقيل كان السبب غير ذلك وهو نحو مما ذكرناه فلما ابتلاه الله واشتد البلاء قالت امرأته انك رجل مجاب الدعوة فادع الله ان يشفيك فقال كنا في النعماء سبعين سنة فلنصبر في البلاء سبعين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة وقيل انما اقسم ليجلدها لان ابليس ظهر لها وقال بما اصابكم ما أصابكم قالت بقدر الله قال وهذا أيضا بقدر الله فاتبعيني فاتبعته فاراها جميع ما ذهب منهم في واد وقال اسجدي لي وارده عليكم فقالت ان لي زوجا استأمره فلما أخبرت ايوب قال ألم تعلمي ان ذلك الشيطان لئن شفيت لاجلدنك مائة جلدة وأبعدها وقال لها طعامك وشرابك علي حرام لا أذوق مما تأتيني به شيأ فابعدي عني فلا اراك فذهبت عنه فلما رأى ايوب ان امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال رب اني مسني الضر وانت أرحم الراحمين كرر ذلك فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ورد الله اليه جسده وصورته واما امرأته فقالت كيف اتركه وليس عنده أحد يموت جوعا وتأكله السباع فرجعت اليه فرأت ايوب وقد عوفي فلم تعرفه فعجبت حيث لم تره على حاله فقالت له يا عبد الله هل رأيت ذلك الرجل المبتلي الذى كان ههنا قال وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت نعم قال هو انا فعرفته وقيل انما قال مسني الضر لما وصل الدود الى لسانه وقلبه خاف ان يبطل عن ذكر الله تعالى والفكر ورد الله اليه اهله ومثلهم معهم قيل هم باعيانهم وقيل ورد الله اليه امرأته وردها شابا فولدت له ستة وعشرين ذكرا وانزل الله اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء اخرج الى اندرك فخرج اليه فبعث الله سحابة فالقت عليه جرادا من ذهب وكانت الجرادة تذهب فيتبعها حتى يردها في اندره فقال الملك اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه البركة من بركات ربي لست اشبع منها وعاش ايوب بعد ان رفع عنه البلاء سبعين سنة ولما توفي امره الله ان

فغير الله لونه والوان ذريته من أجل دعوة ابيه فنزل على ساحل البحر لانه دعا عليه بتسويد الوجه وسواد ذريته وان يكون أولاده عبيدا لاولاد سام ويافث فكثرهم الله تعالى وانماهم وهم السودان وعاش خمسمائة وستين سنة وأما يافث فمن ولده الصقالبة وبرجان والاشبان وكانت منازلهم بأرض الروم ومن ولده الترك والخزر واليونان ويأجوج ومأجوج فكانوا يعبدون الاصنام وبعضهم يعبدون الشمس والقمر والكواكب وقام بعده ولده ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله تعالى أربعمائة وخمسا وستين سنة ولما قبض ارفخشذ قام بعده ولده شالخ بن ارفخشذ وكان عمره أربعمائة وثلاثين سنة فلما قبض شالخ قام بعده ولده عابر وهو هود عليه السلام

(الفصل الخامس في ذكر هود عليه السلام)

كان أشبه ولد آدم بآدم عليه السلام وكان رجلا آدم اللون كثير الشعر حسن الوجه وكان تاجرا وكان من صميم قومه وأشرافهم بعثه الله الى حي من ولد ارم بن سام وهم عاد الاولى فكذبوه ولم يؤمن منهم الا القليل ومن معجزاته ان قومه سألوه ان يجعل الله تعالى اصواف شياههم واوبارهم ابريسما فدعا الله تعالى فصارت ابريسما وكان مكان مرعى قومه حجارة لم ينبت فيه شئ فدعا الله تعالى فأجابه فصارت الاحجار ترابا وكانت مساكنهم الشحر بين عمان وحضرموت والاحقاف من أرض اليمن وكانوا ثلاثة عشر قبيلة وكان ملكهم عادا يعبد القمر فعاش ألفا ومائتي سنة ثم مات فانتقل الملك الى أكبر ولده وهو شديد

ريح يعقوب فقالت أمه انه عيص فكل فاكل ودعا له ان يجعل الله في ذريته الانبياء والملوك وقام يعقوب وجاء عيص وكان في الصيد فقال لابيه قد جئتك بالصيد الذي طلبت فقال يا بني قد سبقك أخوك فحلف عيص ليقتلن يعقوب فقال يا بني قد بقيت لك دعوة فدعا له ان تكون ذريته عدد التراب وان لا يملكهم غيرهم وهرب يعقوب خوفا من أخيه الى خاله وكان يسري بالليل ويكمن بالنهار فلذلك سمي اسرائيل ثم ان يعقوب تزوج ابنتي خاله وجمع بينهما فلذلك قال الله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وولد له منهما فماتت راحيل في نفاسها ببنيامين وأراد يعقوب الرجوع الى بيت المقدس فاعطاه خاله قطيع غنم فلما ارتحلوا لم يكن لهم نفقة فقالت زوجة يعقوب ليوسف اسرق صنما من اصنام أبي نستنفق منه فسرق صنما من أصنام أبيها واحب يعقوب يوسف وأخاه بنيامين حبا شديدا ليتمهما وقال يعقوب لراع من الرعاة اذا أتاكم أحد يسألكم من أنتم فقولوا نحن ليعقوب عبد عيص فلقيهم عيص فسألهم فاجابه الراعي بذلك الجواب فكف عيص عن يعقوب ونزل يعقوب الشام ومات اسحق بالشام وعمره مائة وستون سنة ودفن عند أبيه ابراهيم عليه السلام

(قصة ايوب عليه السلام)

وهو رجل من الروم من ولد عيص وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وقيل موص بن روعيل بن عيص وكانت زوجته التي أمر ان يضربها بالضغث ليا ابنة يعقوب بن اسحق وقيل هي رحمة ابنة افرايم بن يوسف وكانت أمه من ولد لوط وكان دينه التوحيد والاصلاح بين الناس واذا أراد حاجة سجد ثم طلبها وكان من حديثه وسبب بلائه ان ابليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب حين ذكره الله فحسده وسأل الله ان يسلطه عليه ليفتنه عن دينه فسلطه على ماله حسب فجمع ابليس عظماء أصحابه من العفاريت وكان لايوب البثنية جميعها من اعمال دمشق بما فيها وكان له فيها ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة الفدان اتان ولكل اتان ولد واثنان وما فوق ذلك فلما جمعهم ابليس قال ما عندكم من القوة والمعرفة فاني قد تسلطت على مال أيوب فقال كل منهم قولا فارسلهم فاهلكوا ماله كله وأيوب يحمد الله ولا يرجع عن الجد في عبادته والشكر له على ما أعطاه والصبر على ما ابتلاه فلما رأى ذلك ابليس من أمره سأل الله ان يسلطه على ولده فسلطه ولم يجعل له سلطانا على جسده ولا عقله وقلبه فاهلك ولده كلهم ثم جاء اليه متمثلا بمعلمهم الذي كان يعلمهم الحكمة جريحا مشدوخا فرققه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فسر بذلك ابليس ثم ان ايوب ندم لذلك وجد واستغفر فصعدت حفظته من الملائكة بتوبته الى الله قبل ابليس فلما لم يرجع ايوب عن عبادة ربه والصبر على ما ابلاه به سأل الله تعالى ان يسلطه على جسده فسلطه عليه خلا لسانه وقلبه وعقله فانه لم يجعل له على ذلك سلطانا فجاءه وهو ساجد فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده وصار أمره الى ان انتثر لحمه وامتلأ جسده دودا فان كانت الدودة لتسقط من جسده فيردها

ثلثمائة وخمسين سنة فكان عمره تسعمائة وخمسين سنة وقال وهب كان عمر نوح عليه السلام ألف سنة لانه بعث الى قومه وهو ابن خمسين سنة ولبث يدعوهم الى ان مات تسعمائة وخمسين سنة وقال شداد ان عمر نوح عليه السلام الف واربعمائة وثمانون سنة فقيل له لو اتخذت لك بيتا من طين تاوي اليه فقال انا ميت غدا او تاركه ولم يزل في بيت شعر الى ان فارق الدنيا واختلف في مكان قبره فقيل بمسجد الكوفة وقيل بجبل الاحمر وقيل بذيل جبل لبنان بمدينة الكرك وهو الاصح وله هناك قبر يزار ويتبرك به الى يومنا هذا وقد اجمع العلماء على ان الله تبارك وتعالى احب ان يجعل جميع خلقه بعد الطوفان من صلب نوح عليه السلام فعقم جميع من كان معه في السفينة الا بنوه الثلاثة سام وحام ويافث فجميع بني آدم اليوم في مجموع اقطار الارض تناسلوا من ذرية نوح وابنائه الثلاثة وكان مولدهم بعد مضي خمسمائة سنة من عمره سام بن نوح عليه السلام سكن بعد الطوفان وسط الارض الحرم وما حوله واليمن الى حضرموت وعمان الى البحرين فمن ولده ارم وارفخشذ ومن ولد ارفخشذ قحطان ابن عاد وابنه يعرب بن قحطان وهو أول من تكلم بالعربية ونزل ارض اليمن فهو أبو اليمن كلهم وهو اول من حياه ولده بتحية الملك انعم صباحا وابيت اللعن وفي زمانه فرق الله الالسنة فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا وفي ولد حام سبعة عشر لسانا وفي ولد يافث ستة وثلاثين لسانا وكانت وفاة سام يوم الجمعة وكان عمره ستمائة سنة وحام بن نوح عليه السلام كان رجلا ابيض حسن الوجه والصورة

اليه

أحسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا فقد وقع علىّ البلاء
لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ذهب المال فصرت اسأل بكفي
فيطعمني من كنت اعوله اللقمة الواحدة فيمنها علىّ ويعيرني هلك أولادي ولو بقي احدهم
اعانني قد ملني أهلي وعقني ارحامي فتنكرت معارفي ورغب عني صديقي وجحدت حقوقي
ونسيت صنائعي اصرخ فلا يصرخونني واعتذر فلا يعذروني دعوت غلامي فلم يجبني
وتضرعت الى أمتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي اذاني واقمأني وان سلطانك هو الذي
اسقمني فلو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى اتكلم مل فمي ثم كان
ينبغي للعبد ان يحاج مولاه عن نفسه لرجوت ان تعافيني عند ذلك ولكنه القاني وعلا عني
فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه لا نظر الى فرحمني ولا دنا مني فاتكلم ببرائتي واخاصم
عن نفسي فلما قال ايوب ذلك أظلته غمامة ونودي منها يا ايوب ان الله يقول قد دنوت منك
ولم أزل منك قريبا فقم فأدل بحجتك وتكلم ببرائتك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي ان
يخاصمني الا جبار تجعل الزيار في فم الاسد واللجام في فم التنين وتكيل مكيالا من النور
وتزن مثقالا من الريح وتصر صرة من الشمس وترد امس لقد منتك نفسك أمرا لا تبلغه
بمثل قوتك أردت ان تكابرني بضعفك أم تخاصمني بعيك ام تحاجني بخطائك أين انت مني
يوم خلقت الارض هل علمت باي مقدار قدرتها اين كنت معي يوم رفعت السماء سقفا في
الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها هل تبلغ حكمتك ان تجري نورها او تسير نجومها
او يختلف بامرك ليلها ونهارها وذكر اشياء من مصنوعات الله فقال ايوب قصرت عن
هذا الامر ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشئ يسخطك الهي اجتمع
علىّ البلاء وانا أعلم ان كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك لا يعجزك شئ
ولا تخفى عليك خافية تعلم ما تخفي القلوب وقد علمت في بلائي ما لم اكن اعلمه كنت اسمع
بسطوتك سمعا فاما الان فهو نظر العين انما تكلمت بما تكلمت به لتعذرني وسكت
لترحمني وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي فدسست
فيه وجهي فلا أعود لشئ تكرهه ودعا فقال الله يا ايوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي
غضبي قد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وعبرة
لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب
من اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين ماء
فاغتسل فيها فرفع الله عنه البلاء ثم خرج فجلس واقبلت امرأته فسألته عنه فقال هل
تعرفينه قالت نعم مالي لا اعرفه فتبسم فعرفته بضحكه فاعتنقته فلم تفارقه من عناقه حتى
مر بهما كل مال لهما وولدوا غنا ذكرته قبل يوسف وقصته لما ذكر بعضهم من أمره وانه
كان نبيا في عهد يعقوب وذكران عمر ايوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه اوصى عند موته
الى ابنه حومل وان الله بعث بعده ابنه بشر بن ايوب نبيا وسماه ذا الكفل وكان مقيما
بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وسبعين سنة فاوصى الى ابنه عبدان وان الله بعث بعده
شعيب بن صفون بن عنقا بن ثابت بن مدين بن ابراهيم عليه السلام

الناس تجبروا واحتقروهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله تعالى وكانوا كالحصى عددا فبعث الله اليهم
هودا بعد ان مضى من عمره ثلاثون
سنة فأمرهم ان يوحدوا الله تعالى
وان يكفوا عن ظلم الناس فأبوا
وكذبوه وتمادوا في الغي والضلال
وقالوا من اشد منا قوة فلما فعلوا
ذلك ولم يقبلوا نصيحة هود عليه
السلام أمسك الله عنهم المطر ثلاث
سنين حتى هلكت مواشيهم واصابهم
الضر الشديد والقحط الجهيد وكان
الناس اذا اصابهم كربة بعثوا
وفودهم الى البيت الحرام فيدعون
الله تعالى فيستجاب لهم فاجتمع
رأي الملك واصحابه على ان يوجه
سبعة نفر من اصحابه فيسيروا الى
الحرم فيستسقوا لقومهم فلما
قدموا مكة وبالغوا في الدعاء بدت
لهم ثلاث سحابات بيضاء وسوداء
وحمراء ونودوا ان اختاروا ايتهن
شئتم فقالوا اخترنا السوداء فانها
اكثرهن ماء فنودوا اخترتم رمادا
أرمدا لا يبقي منكم والدا ولا ولدا
الا تركتكم همدا فتفرقت
السحابتان البيضاء والحمراء ومضت
السحابة السوداء الى الحي فوافت
من ساعتها فاستبشروا وكان أول من
نظر الى ما في تلك السحابة من
العذاب امرأة منهم تسمى مهددا
فرأت وسط السحابة كلهب النار
فصعقت بيديها وهي أول من
ابتدعت التصفيق عند المصائب
ونادت باعلى صوتها ويلكم عليكم
بهود عليه السلام فقد اتاكم
العذاب الا ترون الى ما في هذه
السحابة قالوا ما نرى شيئا فأتى من

قالت الى أرى وسط السحاب نارا * تثر من ضرامها الشرارا يسوقها قوم على خيول * تهتف بالاصوات والصهيل

ياخذ عرجونا من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته ليبر من يمينه ففعل ذلك وقول
أيوب رب انى مسنى الضر دعاء ليس بشكوى ودليله قوله تعالى فاستجبنا له وكان من دعا
ايوب أعوذ بالله من جار عينه ترانى ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة ذكرها وقيل كا
سبب دعائه انه كان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه اسم احدهم يلدد والآخر اليفز
والثالث صافر فانطلقوا اليه وهو فى البلاء فبكتوه أشد تبكيت وقالوا له لقد اذنبت ذنبا
ما اذنبه احد فلهذا لم يكشف العذاب عنك وطال الجدال بينهم وبينه فقال فتى كان
معهم لهم كلاما يرد عليهم فقال قد تركتم من القول أحسنه ومن الرأى اصوبه ومن
الامر اجمله وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون
حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم الم تعلموا ان ايوب نبى الله
وخيرته من خلقه يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله انه سخط شيأ من امره ولا انه نزع
شيأ من الكرامة التى أكرمه الله بها عباده ولا ان ايوب فعل غير الحق فى طول ما صحبتموه فان
كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى نفوسكم وقد علمتم ان الله يبتلى النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك دليلا على سخطه عليهم ولا على
هوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم واطال فى هذا النحو من الكلام ثم قال لهم وقد
كان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يكل السنتكم ويكسر قلوبكم ويقطع حججكم
الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم خشيته عن الكلام من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء
الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انكسرت قلوبهم وانقطعت
ألسنتهم وطاشت احلامهم وعقولهم فزعا من الله وهيبة له فاذا أفاقوا استبقوا الى الله
بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين وانهم لابرار ومع المقصرين وانهم لاكياس
اتقياء ولكنهم لا يستكثرون لله عز وجل الكثير ولا يرضون له القليل ولا يدلون عليه
بالاعمال فهم أينما لقيتهم خائفون مهمومون وجلون فلما سمع ايوب كلامه قال ان الله يزرع
الحكمة بالرحمة فى قلب الصغير والكبير فتى كانت فى القلب ظهرت على اللسان ولا تكون
الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله تعالى عبدا حكيما عند
الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء ثم اقبل على الثلاثة فقال رهبتم قبل ان تسترهبوا
وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عنى باموالكم لعل الله ان
يخلصنى أو قربوا قربانا لعل الله ان يتقبل ويرضى عنى وانكم قد اعجبتكم انفسكم فظننتم
انكم عوفيتم باحسانكم فبغيتم وتعززتم لو صدقتم ونظرتم بينكم وبين ربكم لوجدتم
لكم عيوبا سترها الله بالعافية وقد كنت فيما خلا والرجال يوقروننى وأنا مسموع كلامى
معروف حقى منتصف من خصمى فاصبحت اليوم وليس لى رأى ولا كلام معكم
فانتم اشد على من مصيبتى ثم اعرض عنهم واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال
رب لاى شىء خلقتنى ليتنى ان كرهتنى لم تخلقنى ياليتنى كنت حيضة ملقاة وياليتنى عرفت
الذنب الذى اذنبت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت امتنى فالموت أجمل بى الم
اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهى أنا عبد ذليل ان

احسنت

فأقام خمسمائة وثمانين سنة ثم مات فانتقل الملك الى أخيه شداد بن عاد كما سيأتى وهو الذى بنى ارم ذات العماد فاحب
هود عليه السلام ان يتخذ الحجة
على شداد وجنوده بالرسالة فأتاه
ودعاه الى الله تعالى فلم يقبل وأصر
على الكفر وذلك حين بلغ ملكه
سبعمائة عام وكان له حلم ولم يعجل
على هود بمكروه وكان الله تعالى
قد أعطاهم من القامة مالم يعطها
غيرهم كان طول الرجل منهم سبعين
ذراعا وقال ابن عباس رضى الله
عنهما ثمانين ذراعا وقال الكلبى
اطولهم أربعمائة ذراع واقصرهم
ستون ذراعا وكان رأس احدهم
مثل القبة العظيمة وكان عين
الرجل يوكر فيها السباع وكذلك
مناخرهم وكانت اموالهم الابل
لم يقتنوا غيرها لعظم أجسامها
وقوتها يقال انها كانت أعظم مما
هى الآن اضعافا كثيرة وكانت
مطاياهم وطعامهم وكان الرجل
يتغدى بناقة ويتعشى بناقة اخرى
وكانت غتالهم وكثر عددهم حتى
امتلأت منهم أرضهم وبلادهم
وسخر لهم من قطع الجبال والصخور
مالم يسخر لاحد قبلهم ولا بعدهم
كانوا يسلخون العمد من الجبال
فيجعلون طول العمود مثل طول
الجبل ثم يقلعونه وينصبونه
حيث شاؤا ويبنون عليها القصور
واخبرنى رجل انه راى ضرس
رجل من قوم عاد فكان كالجبل
الحق وكانت ثمارهم فى العظم
بحالة لا توصف وذكر ان بعض اهل
حضرموت وجدوا فى الارض
كوزا من فخار فى جوفه سنبلة
حنطة قد امتلأ منها الكوز فوزنوا السنبلة فكانت منا بالمكى وحبها كالبيض فلما راوا ان لا غالب لهم من

معهم قال أو تحب ذلك قال نعم فاذن له فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يكرمونه فلما برزوا الى البرية أظهروا له العداوة وجعل بعض اخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وجعل يصيح يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا يقتلونه قال لهم يهودا أليس قد أعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب فأوثقوه كتافا ونزعوا قميصه وألقوه فيه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي أتوارى به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤانسك قال اني لم أر شيأ فدلوه في الجب فلما بلغ نصفه ألقوه وأرادوا أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها ثم نادوه فظن انهم قد رحموه فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهودا ثم أوحى الله اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون بالوحي وقيل لا يشعرون انه يوسف والجب بأرض بيت المقدس معروف ثم عادوا الى أبيهم عشاء يبكون فقالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب فقال لهم أبوهم بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ثم قال لهم أروني قميصه فأروه فقال تالله ما رأيت ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق قميصه ثم صاح وخر مغشيا عليه ساعة فلما أفاق بكى بكاء طويلا فأخذ القميص يقبله ويشمه وأقام يوسف في الجب ثلاثة أيام وأرسل الله ملكا فحل كتافه ثم جاءت سيارة فأرسلوا واردهم وهو الذي يتقدم الى الماء فادلى دلوه الى البئر فتعلق به يوسف فأخرجه من الجب وقال يا بشرى هذا غلام أي تباشروا وقيل بشرى اسم غلام وأسروه بضاعة يعني الوارد وأصحابه خافوا ان يقول اشتريناه فيقول الرفقة أشركونا فيه فقال ان أهل الماء استبضعونا هذا الغلام وجاء يهودا بطعام ليوسف فلم يره في الجب فنظر فرآه عند مالك في المنزل فاخبر اخوته بذلك فأتوا مالكا وقالوا هذا عبد ابق منا وخافهم يوسف فلم يذكر حاله واشتروه من اخوته بثمن بخس قيل عشرون درهما وقيل أربعون درهما وذهبوا به الى مصر فكساه مالك وعرضه للبيع فاشتراه قطفير وقيل اطفير وهو العزيز وكان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة قيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف ومات ويوسف حي وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف فلم يؤمن فلما اشترى يوسف وأتى به الى منزله قال لامرأته واسمها راعيل أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا اذا فهم الامور بعض ما نحن بسبيله أو نتخذه ولدا وكان لا يأتي النساء وكانت امرأته حسناء ناعمة في ملك ودنيا فلما خلا من عمر يوسف ثلاث وثلاثون سنة آتاه الله العلم والحكمة قبل النبوة وراودته راعيل عن نفسه وأغلقت الابواب عليه وعليها ودعته الى نفسها فقال معاذ الله انه ربي يعني ان زوجك سيدي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون يعني ان خيانته ظلم وجعلت تذكر محاسنه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هي أول ما يسيل من جسدي قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب فلم تزل به حتى همت وهم بها وذهب ليحل سراويله(٢) فاذا هو بصورة يعقوب قد عض على اصبعه يقول يا يوسف أتواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق

قوم عاد بالريح ثلثمائة سنة ومات هود عليه السلام بمكة بعد هلاك قومه وله مائة وخمسون سنة قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان قبر هود عليه السلام بحضرموت وقيل بجامع دمشق فلما قبض هود عليه السلام قام بالامر بعده ارغو ابن فالغ كان يأمر بعبادة الله تعالى وظهر في زمانه نمروذ الجبار واسمه طهماسفان وهو أول من لبس التاج وعبد النار وسجد لها وسيأتي اخباره ان شاء الله تعالى

(الفصل السادس في ذكر صالح عليه السلام)

كان رجلا احمر مائلا الى البياض سبط الشعر وكان يمشي حافيا ولا يتخذ حذاء كما كان يمشي المسيح ولا يتخذ مسكنا ولا بيتا ولا مأوى له الا المسجد وهو صالح بن عبيد بن عابر بن ارم بن سام بن نوح بعث الى قوم ثمود وكان بينه وبين هود عليه السلام نحو من مائة سنة وسميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وثمود هذه القبيلة ذكر في مرآة الزمان عن مقاتل قال كان بين قومه بقايا من قوم عاد على طولهم وهيئتهم وكان لهم صنم من حديد يدخل فيه الشيطان في السنة مرة واحدة ويكلمهم وكان أبو صالح سادنه ففارقه وكان قدهم بكسره فناداهم الصنم اقتلوا سادني فقتلوه ورموه في مغارة فجاءت اليه امرأته بعد مدة وهو ميت فبكت عليه فأحياه الله تعالى فقام اليها فوطئها فحملت

(٢) قوله وذهب ليحل سراويله نعوذ بالله من اعتقاد هذا بل هم بها بالضرب تأديبا أو ان الهم وحصوله معلق على عدم رؤية البرهان والانبياء الله منزهون عن الهم على الفاحشة اه من هامش

وهي عذاب بالعاد فاعلموا * فوحدوا الله لكي ما تساووا ثم استجيروا بالنبي هود * نبي رب واحد معبود

(ذكر قصة يوسف عليه السلام)

ذكروا ان اسحق توفي وعمره ستون ومائة سنة وقبره عند ابيه ابراهيم قبره ابناه يعقوب وعيص في مزرعة جبرون وكان عمر يعقوب سبعمائة وسبعا واربعين سنة وكان ابنه يوسف قد قسم له ولامه شطر الحسن وكان يعقوب قد دفعه الى أختها ابنة اسحق تحضنه فاحبته حبا شديدا وأحبه يعقوب أيضا حبا شديدا فقال لاخته يا أخية سلمي الي يوسف فوالله ما أقدر ان يغيب عني ساعة فقالت والله ما انا تاركته ساعة فأصر يعقوب على أخذه منها فقالت اتركه عندي اياما لعل ذلك يسليني ثم عمدت الى منطقة اسحق وكانت عندها لانها كانت اكبر ولده فحزمتها على وسط يوسف ثم قالت قد فقدت المنطقة فانظروا من أخذها فالتمست فقالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف وكان من مذهبهم ان صاحب السرقة يأخذ السارق له لا يعارضه فيه أحد فاخذت يوسف فامسكته عندها حتى ماتت وأخذه يعقوب بعد موتها فهذا الذي تقول اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وقيل في سرقته غير هذا وقد تقدم فلما رأى اخوة يوسف محبة ابيهم له واقباله عليه حسدوه وعظم عندهم ثم ان يوسف رأى في منامه كان احد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدله فقصها على ابيه وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة فقال له أبوه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ثم عبرله رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمي ما قال يوسف ولا تخبري اولادك قالت نعم فلما اقبل أولاد يعقوب من الرعي أخبرتهم بالرؤيا فازدادوا حسدا وكراهة له وقالوا ما عني بالشمس غير ابينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ان ابن راحيل يريد ان يملك علينا ويقول أنا سيدكم وتآمروا بينهم ان يفرقوا بينه وبين أبيه وقالوا ليوسف وأخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان أبانا في ضلال مبين في خطا بين في ايثارهما علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين أي تائبين فقال قائل منهم وهو يهودا وكان افضلهم واعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة واخذ عليهم العهود انهم لا يقتلونه فاجمعوا عند ذلك ان يدخلوا على يعقوب ويكلموه في ارسال يوسف معهم الى البرية واقبلوا اليه ووقفوا بين يديه وكذلك كانوا يفعلون اذا أرادوا منه حاجة فلما رآهم قال ما حاجتكم قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون نحفظه حتى نرده ارسله معنا الى الصحراء يرتع ويلعب وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انه ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لا تشعرون وانما قال لهم ذلك لانه كان رأى في منامه كان يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليقتلوه واذا ذئب منها يحمي عنه وكان الارض انشقت فذهب فيها فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام فلذلك خاف عليه الذئب فقال له بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما سمع يعقوب ذلك اطمأن اليهم فقال يوسف يا ابت ارسلني

فقد اتاكم عن قريب داهيه
فليس تبقى منكم من باقيه

فلما أراد الله تعالى اهلاكهم أمر خازن الريح العقيم وهي تحت الارض قد زمت بسبعين الف زمام من حديد وقد وكل بها سبعون الف ملك ان يخرج منها مقدار منخر ثور فقال يا رب انت أعلم لو اخرجت مقدار ذلك ما تركت على ظهر الارض شيأ الا احرقته فأوحى الله اليه ان يخرج مقدار ثقب الخاتم فلما خرجت سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما اي دائمة متتابعة فلما دنت الريح منهم نظروا الى الابل والرجال بهذه الاجسام العظيمة تطير بها الريح بين السماء والارض وكان هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين قد اعتزلوا في ناحية فما كان يلحقهم من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلذ له الانفس فلما رأوا ذلك تبادروا الى البيوت فلما دخلوا دخلت عليهم الريح فاخرجتهم واهلكتهم وطحنت تلك الحصون والقصور والمدائن حتى عاد ذلك كله رمالا دقاقا فنسفته الرياح فكانت تهب عليهم مثل شرر النار فتذيب لحومهم وعظامهم وكانت تقلع الصخور العظام من الجبال فتلقيها في الهواء ثم تقذفها على رؤسهم ولم يخرج الريح العقيم قط الا بكيال الا في ذلك اليوم فانها عتت على الخزنة من شدة الغضب فغلبتهم فلم يعلموا مكيالها فلما اهلكهم الله تعالى بعث طيورا سودا فنقلت اجسادهم الى البحر والقتهم فيه وكان بين مهلك شداد وجنوده بالصيحة الى مهلك

مهم

قيل الشيطان فأوحى الله اليه يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فلبث
فى السجن سبع سنين ثم ان الملك وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشة بن فاران بن
عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى رؤيا هالته رأى سبع بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازة
والعافة فقصها عليهم فقالوا اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فقال الذى
نجا منهما وادكر بعد أمة أى حين أنا أنبئكم بتأويله فارسلون فارسلوه الى يوسف فقص
عليه الرؤيا فقال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون
ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد
ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون فان البقر السمان سنون مخاصيب والبقرات
العجاف السنون المحول وكذلك السنبلات الخضر واليابسات فعاد نبوا الى الملك فاخبره فعلم
ان قول يوسف حق فقال ائتونى به فلما أتاه الرسول ودعاه الى الملك لم يخرج معه وقال ارجع
الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن فلما رجع الرسول من عند يوسف سأل
الملك أولئك النسوة فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز خبرتنا انها
راودته عن نفسه فقالت امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه فقال يوسف انما رددت الرسل
ليعلم سيدى انى لم أخنه بالغيب فى زوجته فلما قال ذلك قال له جبرائيل ولا حين هممت بها
فقال يوسف وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء فلما ظهر للملك براءة يوسف وأمانته
قال ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما جاءه الرسول خرج معه ودعا لاهل السجن وكتب على
بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل
ولبس ثيابه وقصد الملك فلما وصل اليه وكلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين فقال يوسف
اجعلنى على خزائن الارض فاستعمله بعد سنة ولو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض
لاستعمله من ساعته فسلم خزائنه كلها اليه بعد سنة وجعل القضاء اليه وحكمه نافذا وورد
اليه عمل قطفير بعد ان هلك وكان هلاكه فى تلك الليالى وقيل بل عزله فرعون وولى
يوسف عمله والاول أصح لان يوسف تزوج امرأته على ما نذكره ولما ولى يوسف عمل مصر
دعا الملك الريان الى الايمان فآمن ثم توفى ثم ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية
ابن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق فدعاه يوسف الى الايمان فلم يؤمن وتوفى
يوسف فى ملكه ثم ان الملك الريان زوج يوسف راعيل امرأة سيده فلما دخل بها قال أليس
هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء جميلة فى
ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك فغلبتنى نفسى
ووجدها بكرا فولدت له ولدين افرايم ومنشا فلما ولى يوسف خزائن أرضه ومضت السنون
السبع المخصبات وجمع فيها الطعام فى سنبله ودخلت السنون الجدبة وقحط الناس
وأصابهم الجوع وأصاب بلاد يعقوب التى هو بها فبعث بنيه الى مصر وامسك بنيامين
أخا يوسف لامه فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون وانما أنكروه لبعد عهدهم
منه ولتغير لباسه فانه لبس ثياب الملوك فلما نظر اليهم قال اخبرونى ما شأنكم قالوا نحن من

على اعقابكم فاياكم ان تمسوا هذه الناقة بسوء أو تعقروها فيهلكوا ... المرعى والشرب فيحل بكم العذاب هذه ناقة الله
لكم آية فذروها تأكل فى أرض
الله من الكلأ ولها من الماء يوم
تشربه كله ولكم يوم آخر
لان مياههم كانت قليلة فكانت
تشرب ماء الوادى فى يوم ويحلبونها
فى يوم فيشربون لبنها عوض
ما شربت فاجابوه الى ذلك فكانت
الناقة ترد الماء فتستوعبه جميعا
اعظمها حتى لا تدع منه شيأ
فتصدر وضرعاها يشخبان لبنا
فيستقلونها بالحلاب فيحلبون منها
بقدر ما كانت تشرب من الماء فى
الكثرة ثم تصدر من غير الفج الذى
وردت فيه لانها لم تقدر على ان
تصدر من حيث وردت للضيق قال
أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه
أتيت أرض ثمود فذرعنا مصدر
الناقة فوجدته ستين ذراعا فلما
طال عليهم ذلك ملوها فاجتمع تسعة
من اشرار قومه على عقرها
فعقروها وجعلوا يشوون لحمها
ويأكلونه وكان عقر الناقة فى
سادس عشر ربيع الثانى فلما
رأى الفصيل ذلك انطلق موليا حتى
اتى جبلا عاليا شامخا منيعا يقال
له ضوء فخرجوا يطلبونه فلما رأوه
على الجبل ذهبوا ليأخذوه فاوحى
الله تعالى الى الجبل فتطاول فى
السماء حتى ما يناله الطير وجاءه
صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل
بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا
فانفجرت الصخرة فدخلها
فوعدهم الله تعالى بالعذاب فقال
تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام اكل
٨ مل ل رغوة يوم فاصابهم فى اليوم الاول وكان نهار الخميس صفرة فاصبحوا مصفرين وفى اليوم الثانى أصبحوا ووجوههم

ومثلك اذا واقعتها مثله اذا مات وسقط الى الارض وقيل جلس بين رجليها فرأى في الحائط ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقام حين رأى برهان ربه هاربا يريد الباب فادركته قبل خروجه من الباب فجذبت قميصه من قبل ظهره فقدته والفيا سيدها لدى الباب وابن عمها معه فقالت له ما جزاء من اراد بأهلك سوأ الا ان يسجن قال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فهربت منها فادركتني فقدت قميصي قال لها ابن عمها تبيان هذا في القميص فان كان قد من قبل فصدقت وان كان قد من دبر فكذبت فأتى بالقميص فوجده قد من دبر فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وقيل كان الشاهد صبيا في المهد قال ابن عباس تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة امرأة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقال زوجها ليوسف أعرض عن هذا أي ذكر ما كان منها فلا تذكره لاحد ثم قال لزوجته استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وتحدث النساء بأمر يوسف وامرأة العزيز وبلغ ذلك امرأة العزيز فارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ يتكئن عليه وسائد وحضرن وقدمت لهن أترجا واعطت كل واحدة منهن سكينا لقطع الاترج وقد اجلست يوسف في غير المجلس الذي هن فيه وقالت له اخرج عليهن فخرج فلما رأينه اكبرنه واعظمنه وقطعن ايديهن بالسكاكين ولا يشعرن وقلن معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فلما حصل بهن ما حصل من قطعهن ايديهن وذهاب عقولهن وعرفن خطأهن فيما قلن اقرت على نفسها وقالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاختار يوسف السجن على معصية الله فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى الآيات من القميص وخمش الوجه وشهادة الطفل وتقطيع النسوة ايديهن في ترك يوسف مطلقا وقيل انها اشتكت الى زوجها وقالت ان هذا العبد قد فضحني في الناس يخبرهم اني راودته عن نفسه فسجنه سبع سنين فلما حبس يوسف ادخل معه السجن فتيان من اصحاب فرعون مصر احدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه لانهما نقل عنهما انهما يريدان ان يسما الملك فلما دخل يوسف السجن قال اني اعبر الاحلام فقال احد الفتيين للآخر هلم فلنجربه قال الخباز اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه وقال الآخر اني اراني اعصر خمرا فقال لهما يوسف لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما كره ان يعبر لهما ما سألاه عنه واخذ في غير ذلك وقال يا صاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وكان اسم الخباز مجلث واسم الآخر نبو فلم يدعاه حتى اخبرهما بتأويل ما سألاه عنه فقال اما احدكما وهو الذي رأى انه يعصر الخمر فيسقي ربه خمرا يعني سيده الملك واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما عبرا لهما قالا ما رأينا شيئا قال قضي الامر الذي فيه تستفتيان ثم قال لنبو وهو الذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك الملك واخبره اني محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه غفلة عرضت ليوسف من

قبل

الطال فما قت بصالح عليه السلام من ساعتها وعاد كما كان ميتا وشب صالح فبعثه الله عزوجل حين راهق الحلم لقال ابن عباس رضي الله عنه اما تم له أربعون سنة وكانت منازلهم بالحجر بين الحجاز والشام بينها وبين وادي القرى ثمانية عشر ميلا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا فنحتوا فيها وجوفوها وكانوا في سعة من معايشهم وبيوتهم الى وقتنا هذا منحوتة في الجبال ورسمهم باقية وآثارهم بادية ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على ان اجسامهم كانت كاجسامنا فخالفوا أمر الله تعالى وعبدوا غيره وعتوا في الارض وتجبروا فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو من أفضلهم حسبا ونسبا فدعاهم الى الله عزوجل فكذبوه ولم يقبلوا ما دعاهم اليه فقال العظماء منهم يا صالح ان احببت ان نصدقك ونؤمن بالهك فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة اضخم ما يكون من النوق ومعها سقبها فدعا صالح ربه فاستجاب الله دعاءه فقال لهم من أين تريدونها فاشاروا الى صخرة وقالوا من هذه الصخرة فاشار اليها صالح وقال اخرجي باذن الله تعالى فبينما هم كذلك اذ نظروا الى الصخرة وهي ترجي كما ترجي الناقة وتمخض كما تمخض المرأة في نفاسها وتحركت فانصدعت عن ناقة كما سألوه ثم نهضت فجعلت تمشي نحوهم حتى اذا دنت بركت فوضعت سقبا مثلها في العظم والجسم ثم نهضت نحو المرعى واتبعها سقبها فلما رأوا ذلك بهتوا متعجبين وآمنوا بالله تعالى يومهم وليلتهم فلما اصبحوا ارتدوا الى اسوأ ما كانوا عليه من الكفر والطغيان فقال لهم صالح اما اذا كفرتم

أنادي عليك بالسرقة لآخذه منهم قال افعل فلما ارتحلوا اذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين لانا رددنا ثمن الطعام الى يوسف فلما قالوا ذلك قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه تأخذونه لكم فبدأ بأوعيتهم ففتشها قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه فقالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف وكانت سرقته حين سرق صنما لجده أبي أمه فكسره فعيروه بذلك وقيل ما تقدم ذكره من المنطقة فلما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال اخوته يابني راحيل لايزال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم فأخذ يوسف أخاه بحكم اخوته فلما رأوا انهم لا سبيل لهم عليه سألوه ان يتركه لهم وقالوا ياأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه فقال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فلما أيسوا من خلاصه خلصوا نجيا لا يختلط بهم غيرهم فقال كبيرهم وهو شمعون وقيل روبيل ألم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ان نأتيه بأخينا الا ان يحاط بنا ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي بالخروج وقيل بالحرب فارجعوا الى أبيكم فقصوا عليه خبركم فلما رجعوا الى أبيهم فاخبروه بخبر بنيامين وتخلف شمعون قال بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا يوسف وأخيه وشمعون ثم اعرض عنهم وقال واحزناه على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم مملوء من الحزن والغيظ فقال له بنوه تالله لاتزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا اى دنفا او تكون من الهالكين فاجابهم يعقوب فقال انما أشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله مالا تعلمون من صدق رؤيا يوسف وقيل بلغ من وجد يعقوب وجد سبعين مثكلا واعطى على ذلك اجر مائة شهيد قيل دخل على يعقوب جار له فقال يايعقوب قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه اتشكوني الى خلقي قال يارب خطيئة فاغفرها قال قد غفرتها لك فكان يعقوب اذا سئل بعد ذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله فاوحى الله اليه لو كانا ميتين لاحييتهما لك انما ابتليتك لانك قد شويت وقترت على جارك ولم تطعمه وقيل كان سبب ابتلائه انه كان له بقرة لها عجول فذبحوا عجولها بين يديها وهي تخور فلم يرحمها يعقوب فابتلي بفقد اعز ولده عنده وقيل ذبح شاة فقام بابه مسكين فلم يطعمه منها فأوحى الله اليه في ذلك واعلمه انه سبب ابتلائه فصنع طعاما ونادى من كان صائما فليفطر عند يعقوب ثم ان يعقوب امر بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع اليها وتحسس الاخبار عن يوسف واخيه فرجعوا الى مصر فدخلوا على يوسف وقالوا ياأيها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة يعني قليلة فأوف لنا الكيل قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا وقيل كانت سمنا وصوفا وقيل غير ذلك وتصدق علينا بفضل ما بين الجيد والردىء وقيل برد اخينا علينا فلما سمع كلامهم غلبته نفسه فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذي كان يكتم وقيل انما اظهر لهم ذلك لان اباه كتب اليه

وأوّل من صافح وعانق وقبّل بين العينين ووضع السجود في نزهة النواظر

أوّل من تسمّى ابراهيم ابراهيم عليه السلام ومعناه أب رحيم وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يثني عليه وعن بن مالك قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ياخير البرية فقال ذاك ابراهيم انفرد باخراجه مسلم واوّل من شاب وهو ابن مائة وخمسين سنة فلما ظهر الشيب قال يارب ما هذا فقال الله تعالى وقار فقال رب زدني وقارا وذلك ان سارة لما ولدت اسحق قال الكنعانيون الا تعجبون لهذا الشيخ والعجوز وجدا غلاما التقطاه فتنباه فصور الله تعالى اسحق على صورة ابراهيم فلم يكن يفصل بينهما فوسم الله ابراهيم بالشيب ليفرق روى الحافظ ابن عساكر بسنده الى الاصبغ بن نباتة قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه يقول كان الرجل فيما قبل يبلغ الهرم ولم يشب وكان الرجل يأتي القوم وفيهم الوالد والولد فيقول ايكم الاب لا يعرفون الاب من الابن ومن معجزاته ان ريح المسك يفوح من بدنه فاذا سكن دارا وخرج فان رائحة المسك لم تزل تفوح فيها فكان المجوس يجعلون تلك الدار معبدا ويوقدون فيها النار وكان يسمع من بعيد روى انه لما وضع هاجر واسمعيل بمكة ثم ذهب الى الشام وضاق عليهما الامر بعد مدة فصاح يوما اسمعيل الى ابيه يشكو الضيق والجوع فسمع ابراهيم ودعا له فوسع الله عليه الرزق وكانت السباع تسير معه وتكلمه وتوانسه اذا سار وحيدا وكان مولد ابراهيم عليه السلام بقرية كوثى من اقليم بابل و

الشام جئنا نمتار الطعام قال كذبتم أنتم عيون فاخبروني خبركم قالوا نحن عشرة أولاد رجل واحد صديق كنا اثني عشر وانه كان لنا أخ فخرج معنا الى البرية فهلك وكان أحبنا الى أبينا قال فالى من سكن أبوكم بعده قالوا الى أخ لنا أصغر منه قال فأتوني به أنظر اليه فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه قال فاجعلوا بعضكم عندي رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون اصابته القرعة وجهزهم يوسف بجهازهم وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم يعني ثمن الطعام في رحالهم لعلهم يرجعون لما علم ان أمانتهم وديانتهم تحملهم على رد البضاعة فيرجعون اليه لاجلها وقيل رد مالهم لانه خشى ان لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى فاذا رأوا معهم بضاعة عادوا وكان يوسف حين رأى ما بالناس من الجهد قد آسى بينهم وكان لا يحمل للرجل الا بعيرا فلما رجعوا الى ابيهم باحمالهم قالوا يا أبانا ان عزيز مصر قد أكرمنا كرامة لو انه بعض أولاد يعقوب ما زاد على كرامته وانه ارتهن شمعون وقال أتوني باخيكم الذي عطف عليه ابوكم بعد اخيكم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على أخيه من قبل فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير قال يعقوب ذلك كيل يسير فقال يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل ثم أوصاهم أبوهم بعد ان اذن لاخيهم في الرحيل معهم وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة خاف عليهم العين وكانوا ذوي صورة حسنة ففعلوا كما امرهم ابوهم ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه وعرفه وأنزلهم منزلا واجرى عليهم الوظائف وقدم لهم الطعام واجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف لقد بقي اخوكم هذا وحيدا فاجلسه معه وقعد يؤاكله فلما كان الليل جاءهم بالفرش وقال لينم كل اخوين منكم على فراش وبقي بنيامين وحده فقال هذا ينام معي فبات معه على فراشه فبقي يشمه ويضمه اليه حتى اصبح وذكر له بنيامين حزنه على يوسف فقال له اتحب ان اكون اخاك عوض أخيك الذاهب فقال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه فعانقه وقال له اني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ولا تعلمهم بما اعلمتك وقيل لما دخلوا على يوسف نقر الصواع وقال انه يخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم بعتم أخاكم فلما سمعه بنيامين سجد له وقال سل صاعك هذا عن أخي أحي هو فنقره ثم قال هو حي وستراه قال فاصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف فبكى ثم توضأ وخرج اليهم قال فلما حمل يوسف ابل اخوته من الميرة جعل الاناء الذي يكيل به الطعام وهو الصواع وكان من فضة في رحل أخيه وقيل كان اناء يشرب فيه ولم يشعر أخوه بذلك وقيل ان بنيامين لما علم ان يوسف أخوه قال لا أفارقك قال يوسف أخاف غم أبوينا ولا يمكنني حبسك الا بعد ان أشهرك بامر فظيع قال افعل قال فاني اجعل الصواع في رحلك ثم

شهوة كأنها خضبت بالدماء واصبحوا في اليوم الثالث ووجوههم مسودة كأنها طليت بالقار وصبحهم العذاب يوم الاحد فاتتهم صيحة من السماء ارتجت لها الدنيا فتقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك ولحق صالح ومن آمن معه من قومه بمكة وكان آمن بصالح من قوم ثمود اربعة آلاف نفس وأقام صالح في قومه عشرين سنة وتوفي بمكة ودفن بالحجر وله من العمر مائتان وثمانون سنة وقيل خرج صالح ليلة الاحد من بين أظهرهم ومن معه من المؤمنين فنزل بموضع بمدينة الرملة من بلاد فلسطين فمات فدفن بها قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر صالح على ناقته يوم القيامة وروى ابن الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر من وادي القرى في غزوة تبوك فقال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا يشرب من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما أصابهم وعن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك يا علي

(الفصل السابع في ذكر ابراهيم الخليل عليه السلام)

كان جميلا مكملا واصطفاه الله نبيا وخليلا وجعله من أولي العزم وهو أبو الانبياء وتاج الاصفياء وأنزل عليه عشرون صحيفة وهو أول من اضاف الضيف وأول من اختتن واستنجى بالماء واستاك واستنشق بالماء

وله مائة وعشرون سنة واوصى الى اخيه يهوذا وقيل كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثماني عشرة سنة وقيل ان يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه الى مصر وكانت مدة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة وكان مقام يعقوب بمصر واهله معه سبع عشرة سنة وقيل غير ذلك والله اعلم ولما مات يعقوب اوصى الى يوسف أن يدفنه مع ابيه اسحق ففعل يوسف فسار به الى الشام فدفنه عند ابيه ثم عاد الى مصر واوصى يوسف ان يحمل من مصر ويدفن عند آبائه فحمله موسى لما خرج ببني اسرائيل وولد ليوسف افرايم ومنشا فولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى وولد لمنشا موسى قبل موسى بن عمران وزعم اهل التوراة انه موسى الخضر وولد له رحمة امرأة ايوب في قول

(قصة شعيب عليه السلام)

قيل ان اسم شعيب يثرون بن ضيعون بن عنقا بن نابت بن مدين بن ابراهيم وقيل هو شعيب ابن ميكيل من ولد مدين وقيل لم يكن شعيب من ولد ابراهيم وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام ولكنه ابن بنت لوط فجدة شعيب ابنة لوط وكان ضرير البصر وهو معنى قوله تعالى وانا لنراك فينا ضعيفا اى ضرير البصر وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكره قال ذاك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله ارسله الى اهل مدين وهم اصحاب الايكة والايكة شجر ملتف وكانوا اهل كفر بالله وبخس للناس في المكاييل والموازين وافساد اموالهم وكان الله وسع عليهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجا لهم منه مع كفرهم بالله فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى اراكم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط فلما طال تماديهم في غيهم وضلالهم ولم يزدهم تذكير شعيب اياهم وتحذيره عذاب الله اياهم الا تماديا ولما اراد اهلاكهم سلط عليهم عذاب يوم الظلة وهو ما ذكره ابن عباس في تفسير قوله تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فقال بعث الله عليهم وقدة وحرا شديدا فأخذ بأنفسهم فخرجوا من البيوت هرابا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحتها فارسل الله عليهم نارا قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة وقال قتادة بعث الله شعيبا الى أمتين الى قومه أهل مدين والى اصحاب الايكة وكانت الايكة من شجر ملتف فلما اراد الله ان يعذبهم بعث عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كانه سحابة فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها فلما كانوا تحتها امطرت عليهم نارا قال فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة واما أهل مدين فهم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل فعذبهم الله بالرجفة وهي الزلزلة فاهلكوا قال بعض العلماء كان قوم شعيب عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق فجعلوا كلما عطلوا حدا وسع الله عليهم في الرزق حتى اذا أراد هلاكهم سلط عليهم حرا لا يستطيعون ان يتقاروا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظلة فوجد روحا فنادى أصحابه هلموا الى الروح

النار روضة خضراء ذات عين ماء عذب وورد احمر ونرجس وقعد جبريل يتحدث معه وأقام ابراهيم في النار اربعين يوما وكان يقول بعد ما اخرج منها ما طاب لي عيش مثل تلك الايام ووددت اني لو كنت فيها ابدا قال كعب الاحبار ما انتفع احد من اهل الارض بنار ولا احرقت شيأ في تلك الساعة لمخافة انها المعنية بالخطاب وعن سفيان الثوري رحمه الله انه قال اوحى الله الى النار ائن نلت من ابراهيم أكثر من حل وثاقه لاعذبنك عذابا لا أعذبه احدا من العالمين وكان حين وضع في المنجنيق ورمى به جرد عن ثيابه ولم يترك عليه الا سراويله فقصد بعض السفهاء نزع السراويل عنه فشلت يداه وهو اول من اتخذ السراويل بوحي اوحى اليه ان استر عورتك من الارض فهبط عليه جبريل بخرقة من الجنة ففصلها جبريل سراويل وخاطته سارة وقال ما أحسن هذا واستره يا جبريل فانه نعم السترة للمؤمن فلما لبسه قال ما لبست ثوبا احب الى منه فاذا مت فغسلوني من تحته وكفنوني من فوقه وهو اول من جرد من ثيابه في سبيل الله فلذلك كساه الله تعالى في ذلك الحال قميصا من الجنة وادخر له كسوة بيضاء يكسوها له في الحشر ويوضع له منبر على يسار العرش فيجلس عليه وكان عمره حين القي في النار ست عشرة سنة واقام ابراهيم عليه السلام بعد ذلك ما شاء الله ان يقيم وآمنت به سارة وهي بنت عمه هاران فكانت اخت لوط عليه السلام وكانت اجمل اهل زمانها اذ كان الحسن نصفه في جميع الخلق والثلث في يوسف عليه

حتى قيل له انه احسد ابنيه لانه سرق كا يأتي يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء
اما جدى فشدت يداه ورجلاه والقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابى فشدت
يداه ورجلاه ووضع السكين على حلقه ليذبح ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب
اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية فعادوا ومعهم قميصه ملطخا بدم وقالوا اكله
الذئب وكان لى ابن آخر اخوه لامه فكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق
وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة
تدرك السابع من ولدك فلما قرأ الكتاب لم يتمالك ان بكى واظهر لهم فقال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى
قد من الله علينا بأن جمع بيننا فاعتذروا وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين
قال لا تثريب عليكم اليوم اى لا أذكر لكم ذنبكم يغفر الله لكم ثم سألهم عن ابيه فقالوا
لما فاته بنيامين عمى من الحزن فقال اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا
وأتونى بأهلكم اجمعين فقال يهوذا انا اذهب به لانى ذهبت اليه بالقميص ملطخا بالدم
واخبرته ان يوسف أكله الذئب فانا اخبره انه حى فافرحه كما أحزنته وكان هو البشير ولما
فصلت العير عن مصر حملت الريح الى يعقوب ريح يوسف وبينهما ثمانون فرسخا يوسف
بمصر ويعقوب بارض كنعان فقال يعقوب انى لاجد ريح يوسف لولا انكم تفندون فقال
له من حضره من اولاده تالله انك من ذكر يوسف لفى ضلالك القديم فلما ان جاء البشير
بقميص يوسف القاه على وجه يعقوب فعاد بصيرا وقال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا
تعلمون يعنى تصديق الله تاويل رؤيا يوسف ولما ان جاء البشير قال له يعقوب كيف تركت
يوسف قال تركته ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اى دين تركته قال تركته على الاسلام
قال الآن تمت النعمة فلما رأى من عنده من اولاده قميص يوسف وخبره قالوا له يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا قال سوف استغفر لكم أخر الدعاء الى السحر من ليلة الجمعة ثم ارتحل
يعقوب وولده فلما دنا من مصر خرج يوسف يتلقاه ومعه اهل مصر وكانوا يعظمونه فلما دنا
احدهما من صاحبه نظر يعقوب الى الناس والخيل وكان يعقوب يمشى ويتوكأ على ابنه
يهوذا فقال له يا بنى هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما قرب منه اراد يوسف
ان يبدأه بالسلام فمنع من ذلك فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان لانه لم
يفارقه الحزن والبكاء مدة غيبة يوسف عنه قال فلما دخلوا مصر رفع ابويه يعنى امه واباه
وقيل كانت خالته وكانت امه قد ماتت وخروا له يعقوب وامه واخوته سجدا وكان السجود
تحية الناس للملوك ولم يرد بالسجود وضع الجبهة على الارض فان ذلك لا يجوز الا لله تعالى
وانما أراد الخضوع والتواضع والانحناء على السلام كما يفعل الآن بالملوك والعرش
السرير وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وكان بين رؤيا
يوسف ومجئ يعقوب اربعون سنة وقيل ثمانون سنة فانه القى فى الجب وهو ابن سبع
عشرة سنة واقيه وهو ابن سبع وتسعين سنة وعاش بعد جمع شمله ثلاثا وعشرين سنة وتوفى

بقرية برزة من أعمال دمشق وقيل ولد بقرية حران ونقله أبوه الى بابل وقيل كان مولده بالسوس من أرض الاهواز فى زمن
نمروذ الجبار وأخفاه الله تعالى
فى غار وجعله فى سرب مخافة عليه
من نمروذ وكان يمص ابهامه واللبن
يدر منه وكان يشب فى كل يوم مثل
ما يشب غيره فى شهر قال مقاتل
لما أتى عليه سنة تكلم وهو أول
كلامه فقال يا أماه من ربى قالت
أنا قال ومن ربك قالت أبوك قال
ومن رب أبى قالت نمروذ قال ومن
رب نمروذ فلطمته وقالت اسكت
ثم رجعت الى أبيه واخبرته بما
قال فجاء اليه أبوه فقال له مثل
ذلك يقال انه أقام فى السرب
ثلاث سنين وقيل سبع سنين وكان
أبوه آزر يصنع الاصنام ويعطيها
لابراهيم عليه السلام ليبيعها
وكان ابراهيم عليه السلام يقول
من يشترى ما يضره ولا ينفعه فلما
فشا أمره واتصل خبره بنمروذ
وهو ملك تلك البلاد وقيل كان
عاملا على سواد العراق وما اتصل
به للضحاك فلما كثر عليهم ذم
ابراهيم عليه السلام لآلهتهم
وكسرها يوم عيدهم اتخذ له النمروذ
النار ووضعه فى المنجنيق ليلقى
فى النار فاتاه خازن المياه فقال ان
أردت أخمدت النار وأتاه خازن
الرياح فقال ان اردت طيرت النار
فى الهواء فقال ابراهيم عليه
السلام لا حاجة لى اليكم وأتاه
جبريل فقال له هل لك حاجة قال
فاما اليك فلا قال فاسأل الله تعالى
قال علمه بحالى حسبى من سؤالى
فقال الله تعالى يا نار كونى بردا
وسلاما على ابراهيم ولما وصل الى النار تلقته الملائكة بايديها وجاء جبريل بقميص من الجنة فالبسه اياه فانقلبت

وله

حين الغداء قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى تجاوز حيث أمره الله فقال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة فاذا رجل نائم مسجى بثوبه فسلم موسى عليه فقال وأنى بارضنا السلام قال أنا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله لا أعلمه قال له موسى هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ثم ركبا سفينة فجاء عصفور فقعد على حرف السفينة فنقر في الماء فقال الخضر لموسى ما ينقص علمي وعلمك من علم الله الا مقدار ما نقر هذا العصفور من البحر قال فبيناهم في السفينة فلم يفجأ موسى الا وهو يتد وتدا أو ينزع تختا منها فقال له موسى حملنا بغير نول فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال وكانت الاولى من موسى نسيانا قال فخرجا فانطلقا يمشيان فابصرا غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ برأسه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فلم يجدا احدا يطعمهما ولا يسقيهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه فقال له موسى لم يضيفونا ولم ينزلونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفي قراءة أبي سفينة صالحة واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا الى ما لم تسطع عليه صبرا فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز الا علما قيل لابن عباس لم نسمع لفتى موسى بذكر فقال شرب الفتى من الماء فخلد فاخذه العالم فطابق به سفينته ثم أرسلها في البحر فانها لتموج به الى يوم القيامة الحديث يدل على ان الخضر كان قبل موسى وفي ايامه ويدل على خطا من قال انه أرميا لان ارميا كان ايام بختنصر وبين أيام موسى وبختنصر من المدة ما لا يشكل على عالم بايام الناس فان موسى انما نبئ في أيام منوجهر وكان ملكه بعد جده افريدون

(ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث في أيامه)

ثم ملك بعد افريدون بن اثفيان بن كاو منوجهر وهو من ولد ايرج بن افريدون وكان مولده بدنباوند وقيل بالري فلما ولد منوجهر أخفي أمره خوفا من طوج وسلم عميه ولما كبر

حبرون وكان اشتراها وفيها قبرت زوجته سارة وفي مشجر الغرام انه لم يبعث ابراهيم عليه السلام حتى بعث اسحق الى ارض الشام وبعث يعقوب الى ارض كنعان واسمعيل الى جرهم ولوط الى سذوم وكانوا انبياء على عهد ابراهيم عليه السلام

(الفصل الثامن في ذكر لوط عليه السلام)

وهو ابن عم ابراهيم عليه السلام قال الثعلبي انما سمي لوطا لانه ليط حبه اى تعلق ولصق بقلب ابراهيم عليه السلام وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكانت الروم قد اسرت لوطا فغزاهم ابراهيم عليه السلام حتى استنقذه منهم فبعث لوطا الى الاردن لاهل سذوم وما يليها وكانوا كفارا يأتون الفواحش وكان ينهاهم عن ذلك فاقام لوط عليه السلام فيهم بضعا وعشرين سنة وهو يدعوهم الى عبادة الله تعالى فكانوا لا يزدادون الا انكارا وتكذيبا ومن معجزاته ان قومه طلبوا منه معجزة وسألوه مطرا بلا سحاب فدعا الله تعالى فاستجاب دعاءه فامطر الله تعالى عليهم مطرا ماء عذبا بلا سحاب فاسلم البعض وجحد البعض وغاب ابن رجل من الكفار فطلب ان يخبره بمكانه فدعا ربه فأجابه فرأى ابن الرجل واخبره وكان بينهما مسيرة مائة فرسخ فاسلم الرجل ثم ان لوطا سأل ربه ان ينصره عليهم فأجاب الله دعاءه فبعث الله تعالى جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام فاقبلوا اليه بعد مفارقة ابراهيم مشاة في صورة شبان حسان نحو قرية لوط فلقوا لوطا ودخلوا معه منزله ولم يعلم بهم احد وكان نصف النهار وعلم لوط

فذهبوا اليه سراعا حتى اذا اجتمعوا اليها الهبها الله عليهم نارا وذلك عذاب يوم الظلة
وقد روى عامر عن ابن عباس انه قال له من حدثك ما عذاب يوم الظلة فكذبه وقال
مجاهد عذاب يوم الظلة هو اظلال العذاب على قوم شعيب وقال زيد بن أسلم في قوله
تعالى ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء قال
مما كان ينهاهم عنه قطع الدراهم

(قصة الخضر وخبره مع موسى)

قال أهل الكتاب ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب
والحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن
عمران على مانذكره وكان الخضر ممن كان في أيام افريدون الملك بن اثغيان في قول علماء
الكتاب الاول قبل موسى بن عمران وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى
كان في أيام ابراهيم الخليل وانه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة فشرب من مائه ولا يعلم
ذو القرنين ومن معه فخلد وهو حي عندهم الى الآن وزعم بعضهم انه كان من ولد من
آمن مع ابراهيم وهاجر معه واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن
سام بن نوح وكان ابوه ملكا عظيما وقال آخرون ذو القرنين الذى كان على عهد ابراهيم
افريدون بن اثغيان وعلى مقدمته كان الخضر قال عبد الله بن شوذب الخضر من ولد
فارس والياس من بنى اسرائيل يلتقيان كل عام بالموسم وقال ابن اسحق استخلف الله على
بنى اسرائيل رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص فبعث الله لهم الخضر معه نبيا قال
واسم الخضر فيما يقول بنو اسرائيل ارميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وبين
هذا الملك وبين افريدون أكثر من ألف عام وقول من قال ان الخضر كان في أيام
افريدون وذى القرنين الاكبر قبل موسى بن عمران أشبه للحديث الصحيح ان موسى بن
عمران أمره الله بطلب الخضر ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بالكائن
من الامور فيحتمل ان يكون الخضر على مقدمة ذى القرنين قبل موسى وانه شرب من
ماء الحياة فطال عمره ولم يرسل في أيام ابراهيم وبعث في أيام ناشية بن أموص وكان ناشية
هذا في أيام بشتاسب بن لهراسب والحديث مارواه أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس ان نوفا يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى
ابن عمران قال كذب عدو الله حدثنى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
موسى قام في بنى اسرائيل خطيبا فقيل له اى الناس اعلم فقال أنا فعتب الله عليه حين
لم يرد العلم اليه فقال يارب هل هناك أعلم منى قال بلى عبد في مجمع البحرين قال يارب كيف
لى به قال تأخذ حوتا فتجعله في مكتل فحيث تفقده فهو هناك فأخذ حوتا فجعله في مكتل
ثم قال لفتاه اذا فقدت هذا الحوت فأخبرنى فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا
الصخرة وذلك الماء وهو ماء الحياة فمن شرب منه خلد ولا يقاربه شئ ميت الا حيى فمس
الحوت منه فحيى وكان موسى راقدا واضطرب الحوت في المكتل فخرج في البحر فأمسك
الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق فصار للحوت سربا وكان لهما عجبا ثم انطلقا فلما كان

السلام والسدس في سارة فتزوجها وخرج مهاجرا معها وهو اول من هاجر من وطنه في طاعة الله تعالى حفظا لايمانه حين
سأله النمروذ ان يخرج من ارضه الى
حيث شاء فاجابه الى ذلك حيث
يئس من ايمانه فخرج وهو ابن
سبعين سنة ومعه ابن عمه لوط وابنة
عمه سارة وابوه آزر الى قرية
حران فاقاموا بها خمسين سنة ومات
بها آزر بعد سنتين ثم سار ابراهيم
ولوط عليهما السلام واهله
من حران الى قرية برزة قال صاحب
اتحاف الاخصاء باسناده الى الزهرى
ان ابراهيم عليه السلام تعبد في
مسجد بقرية برزة فمن صلى فيه
اربع ركعات خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه واستجيب دعاؤه
فوجدوا فيها جوعا عظيما فساروا
الى مصر واقاموا بها ثلاثة اشهر
وقصة سارة مع فرعون مصر ستجئ
ان شاء الله تعالى وكان اول من آمن
به وعظمها ابنة نمروذ فعذبها نمروذ
على ذلك عذابا شديدا ثم امر الله
تعالى جبريل فرفعها من بين
اظهرهم ثم جاء بها الى ابراهيم عليه
السلام وذلك من بعد ما هاجر
فزوجها ابراهيم من ابنه مدين
فحملت منه عشرين بطنا اكرمهم
الله تعالى بالنبوة كذا في البحر
الزخار وتزوج ابراهيم بعد سارة
امرأة من الكنعانيين يقال لها
قطورا فولدت له سبعة نفر فكان
جميع ولد ابراهيم ثلاثة عشر
رجلا فابقى عنده اسحق عليه
السلام بارض الشام واسمعيل
بارض الحجاز وفرق سائر اولاده
في البلاد وعلمهم اسما من اسماء
الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون به عليهم السلام وعاش ابراهيم عليه السلام مائتى سنة وقبر في مزرعة سبا

على كل حجر اسم من رمى به وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت يا قوماه ٩٥ فادركها حجر فقتلها وكانت قرى قوم لوط خمسا

أعجز من هو في يد طالبه وان التفكر نور والغفلة ظلمة فالضلالة جهالة وقد ورد الاول ولا بد للآخر من اللحاق بالاول ان الله أعطانا هذا الملك فله الحمد ونسأله الهام الرشد والصدق واليقين وانه لابد ان يكون للملك على أهل مملكته حق ولاهل مملكته عليه حق فحق الملك عليهم ان يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوه وحقهم على الملك ان يعطيهم ارزاقهم في أوقاتها اذلا معول لهم الا عليها وانها خزائنهم وحق الرعية على الملك ان ينظر اليهم ويرفق بهم ولا يحملهم على ما لا يطيقون وان أصابتهم مصيبة أو تنقص من ثمارهم ان يسقط عنهم خراج ما نقص وان اجتاحتهم مصيبة ان يعوضهم ما يقويهم على عمارتهم ثم يأخذ منهم بعد ذلك قدر ما لا يجحف بهم في سنة أو سنتين الا وان الملك ينبغي ان يكون فيه ثلاث خصال ان يكون صديقا لا يكذب وان يكون سخيا لا يبخل وان يملك نفسه عند الغضب فانه مسلط ويده مبسوطة والخراج يأتيه فلا يستأثر على جنده ورعيته بما هم اهل له وان يكثر العفو فانه لا ملك اقوى ولا ابقى من ملك فيه العفو فان الملك ان يخطئ في العفو خير من ان يخطئ في العقوبة الا وان الترك قد طمعت فيكم فاكفونا فانما تكفون انفسكم وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وانا شريككم في الرأي وانما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم ألا وانما الملك ملك اذا أطيع فان خولف فهو مملوك وليس بملك الا وان أكمل الاداة عند المصيبات الاخذ بالصبر والراحة الى اليقين فمن قتل في مجاهدة العدو رجوت له بفوز رضوان الله وانما هذه الدنيا سفر لاهلها لا يحلون عقد الرحال الا في غيرها وهي خطبة طويلة ثم أمر بالطعام فأكلوا وشربوا وخرجوا وهم له شاكرون مطيعون وكان ملكه مائة وعشرين سنة وزعم ابن الكلبي ان الرايش واسمه الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يعرب بن قحطان وكان قد ملك اليمن بعد يعرب بن قحطان كان ملكه باليمن أيام ملك منوجهر وانما سمي الرايش لغنيمة غنمها فادخلها اليمن فسمي الرايش ثم غزا الهند فقتل بها واسر وغنم ورجع الى اليمن ثم سار على جبلي طي ثم على الانبار ثم على الموصل ووجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه يقال له شمر بن العطاف فدخل على الترك بأرض أذربيجان وقتل المقاتلة وسبى الذرية وكتب ما كان من مسيره على حجرين وهما معروفان باذربيجان ثم ملك بعده ابنه ابرهة ولقبه ذو المنار وانما لقب بذلك لانه غزا بلاد المغرب وأوغل فيها برا وبحرا وخاف على جيشه الضلال عند قفوله فبنى المنار ليهتدوا وقد زعم أهل اليمن انه وجه ابنه العبد بن ابرهة في غزواته الى ناحية من اقاصي المغرب فغنم وقدم بسبي له وحشة منكرة فذعر الناس منهم فسمي ذو الاذعار فابرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في البلاد وانما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن ههنا لقول من زعم ان الرايش كان أيام منوجهر وان ملوك اليمن كانوا عمالا لملوك فارس

(قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان في أيامه من الاحداث)

قيل هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة وولد لقاهث يصهر وولد عمران ليصهر وله ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين

وهي سذوم وعامورا وادما وصبوييم وصوعر وكان فيها اربعة آلاف الف فاحتملها جبريل عليه السلام وقلبها فلذلك سميت المؤتفكات اي المنقلبات وقيل قلب الاربع قرى واما الخامسة فان اهلها آمنوا بلوط فامنوا من العذاب وتوفي لوط ودفن في قرية تسمى كفر بريك على نحو فرسخ من مسجد الخليل وفي المغارة الغربية تحت المسجد العتيق ستون نبيا منهم عشرون مرسلا ولما مضى من عمر ابراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وقيل سبعون سنة ولد من هاجر جارية سارة اسمعيل عليه السلام

(الفصل التاسع في ذكر اسمعيل عليه السلام)

وهو اسم اعجمي وفيه لغتان اسمعيل باللام واسماعين بالنون قال ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا وعد وفى وانجز وقد وعد رجلا ان يلقاه بمكان فاقام سنة ينتظره وهو أكبر أولاد ابراهيم عليه السلام وابو العرب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمه هاجر القبطية ومن معجزاته ان كفار البادية طلبوا منه معجزة وكان جالسا عند أصل شوك فدعا الله تعالى فاثمر الشوك في الحال وسألوه ان يحلب لبنا من ضرع يابس فوضع يده على ظهر نعجة ذات ضرع يابس وقال بسم الله الذي أرسلني رسولا فظهر اللبن من ضرعها باذن الله تعالى فآمن

٩ مل ل به من آمن وروي ان ابراهيم عليه السلام استمر دهرا طويلا لا يولد له ولد فوهبت له سارة هاجر فقالت اني

منوجهر سار الى جده افريدون فتوسم فيه الخير وجعل له ما كان جعله لجده ايرج من المملكة وتوّجه بتاجه وقد زعم بعضهم ان منوجهر ابن منشخر بن افريقش بن اسحق بن ابراهيم انتقل اليه الملك واستشهد بقول جرير بن عطية

وابناء اسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنّورا
اذا انتسبوا عدّوا الصبهبذ منهم * وكسرى وعدّوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوّة * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
فيجمعنا والغرّ ابناء فارس * أب لا يبالى بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الاله وقدرا

وأما الفرس فتنكر هذا النسب ولا تعرف لها ملكا الا في أولاد افريدون ولا تقر بالملك لغيره قلت والحق ما قاله الفرس فان أسماء ملوكهم قبل الاسكندر معروفة وبعد ايامه ملوك الطوائف واذا كان منوجهر أيام موسى وكل ما بين موسى واسحق خمسة آباء معروفون ولم يزالوا بمصر ففي أي زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس ومن اين لجرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة لاسيما وقد جعل الجميع ابناء اسحق قال هشام بن الكلبي ملك طوج وسلم الارض بعد أخيهما ايرج ثلثمائة سنة ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ثم وثب به ابن اطوج التركى على راس ثمانين سنة فنفاه عن بلاد العراق اثنتى عشرة سنة ثم أديل منه منوجهر فنفاه عن بلاده وعاد الى ملكه بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة وكان منوجهر يوصف بالعدل والاحسان وهو أول من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقانا وامر أهلها بطاعته ويقال ان موسى ظهر في سنة ستين من ملكه وقال غير هشام انه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالبا بدم جده ايرج بن افريدون فقتل طوج بن افريدون وأخاه سلما ثم ان افراسياب بن فشنج بن رستم ابن ترك الذى ينسب اليه الاتراك من ولد طوج بن افريدون حارب منوجهر بعد قتله طوج بستين سنة وحاصره بطبرستان ثم اصطلحا ان يجعلا حد ما بين ملكيهما رمية سهم رجل من أصحاب منوجهر اسمه ايرش وكان راميا شديد النزع فرمى سهما من طبرستان فوقع بنهر بلخ وصار النهر حدا ما بين الترك ولد طوج وعمل منوجهر قلت وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم ان رمية سهم تبلغ هذا كله وقد كان منوجهر اشتق من الفرات ودجلة ونهر بلخ انهارا عظاما وأمر بعمارة الارض وقيل ان الترك تناولت من أطراف رعيته بعد خمس وثلاثين سنة من ملكه فوبخ قومه وقال لهم أيها الناس انكم لم تلدوا الناس كلهم وانما الناس ناس ما ناضلوا عن انفسهم ودفعوا العدوّ عنهم وقد نالت الترك من أطرافكم وليس ذلك الا بترككم جهاد عدوّكم وان الله أعطانا هذا الملك ليبلونا انشكر أم نكفر فيعاقبنا فاذا كان غد فاحضروا فحضر الناس والاشراف فقام على قدميه فقام له الناس فقال اقعدوا انما قمت لاسمعكم فجلسوا فقال أيها الناس انما الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ولا بدّ مما هو كائن وانه لا أضعف من مخلوق طالبا كان أو مطلوبا ولا أقوى من خالق ولا اقدر ممن طلبته في يده ولا

ان قومه يسيئون الادب في حقهم فخرجت امرأته فاعلمت قومها وقالت ان في بيت لوط شبانا ما رأيت مثلهم في حسن وقال ابو حمزة اليماني بلغنا ان العلم الذى كان بين امرأة لوط وقومها انها اذا رأت اضيافا تأتيهم فتقول لهم هبوا ناسها تدعوهم بذلك الى الفاحشة باضياف لوط فبلغنا ان الله تعالى مسخها ملحا عن ابى بكر ابن عياش قال سألت ابا جعفر لم عذب نساء قوم لوط قال الله تعالى اعدل من ذلك كان استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فلما اخبرت امرأة لوط قومه بالاضياف جاءه قومه يهرعون اليه فاغلق لوط الباب وهم يعالجون الباب فلما رأت الملائكة ما لقى لوط منهم من الكرب والتعب بسببهم قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد ثم قالوا له افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب ودنوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحيه وجوههم فطارت اعينهم واعماهم فساروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فافترقوا فلما علم لوط عليه السلام ان اضيافه رسل الله وانهم ارسلوا لهلاك قومه قال اتهلكونهم الساعة فقال له جبريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما كان السحر خرج لوط واهل بيته ومعه امرأته ولما اصبحوا ادخل جبريل جناحه تحت ارضهم فاقتلع قريات لوط في كل قرية مائة الف ورفعهم بين السماء والارض حتى سمع اهل سماء الدنيا اصوات ديوكهم ونباح كلابهم ثم دلّها فجعل عاليها سافلها ثم اتبع شواردهم ومسافرهم الحجارة قيل كان مكتوبا

اجمز

وتفني الكبار فلوانك كتبت تبقي من أولادهم فأمرهم ان يذبحوا سنة ويتركوا
سنة فلما كان في تلك السنة التي تركوا فيها ولد هرون وولد موسى في السنة التي يقتلون
فيها وهي السنة المقبلة فلما أرادت أمه وضعه حزنت من شأنه فاوحى الله اليها أي الهمها
ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم وهو النيل ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين فلما وضعته ارضعته ثم دعت نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح
التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته في اليم فلما توارى عنها أتاها ابليس فقالت في
نفسها ما الذي صنعت بنفسي لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان احب الي من ان القيه
بيدي الى حيتان البحر ودوابه فلما القته قالت لاخته واسمها مريم قصيه يعني قصي اثره
فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون انها اخته فاقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة
ويخفضه اخرى حتى ادخله بين أشجار عند دور فرعون فخرج جواري آسية امرأة
فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فادخلنه الى آسية وظنن ان فيه مالا فلما فتح ونظرت اليه
آسية وقعت عليها رحمته واحبته فلما اخبرت به فرعون واتته به قالت قرة عين لي ولك
لا تقتلوه فقال فرعون يكون لك واما أنا فلا حاجة لي فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي يحلف به لو اقر فرعون ان يكون له قرة عين كما اقرت لهداه الله كما هداها وأراد ان
يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها وقال اني اخاف ان يكون هذا من بني اسرائيل
وان يكون هذا الذي على يديه هلاكنا فذلك قوله عز وجل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم
عدوا وحزنا وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من احد من النساء فذلك قوله وحرمنا عليه
المراضع من قبل فقالت اخته مريم هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له
ناصحون فاخذوها وقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك فقالت
نصحهم له شفقتهم عليه ورغبتهم في قضاء حاجة الملك ورجاء منفعته فانطلقت الى امه
فاخبرتها الخبر فجاءت امه فلما اعطته ثديها أخذه منها فكادت تقول هذا ابني فعصمها الله
وانما سمي موسى لانه وجد في ماء وشجر والماء بالقبطية مو والشجر سا فذلك قوله تعالى
فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن وكان غيبته عنها ثلاثة أيام واخذته معها الى بيتها
واتخذه فرعون ولدا فدعي ابن فرعون فلما تحرك الغلام حملته امه الى آسية فاخذته
ترقصه وتلعب به وناولته فرعون فلما اخذه اليه اخذ الغلام بلحيته فنتفها فقال فرعون
علي بالذباحين يذبحونه هو هذا قالت آسية لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا انما هو
صبي لا يعقل وانما فعل هذا من جهل وقد علمت انه ليس في مصر امرأة اكثر حليا مني انا
اضع له حليا من ياقوت وجمرا فان اخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجمر فانما هو
صبي فاخرجت له ياقوتها ووضعت له طشتا من جمر فجاء جبريل فوضع يده في جمرة فاخذها
فطرحها موسى في فيه فاحرقت لسانه فهو الذي يقول الله تعالى واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي فدرأت عن موسى بذلك القتل وكبر موسى وكان يركب مركب فرعون
ويلبس ما يلبس ويدعى موسى بن فرعون وامتنع به بنو اسرائيل ولم يبق قبطي يظلم
اسرائيليا خوفا منه ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له

يا أرحم الراحمين فبعث الله جبريل عليه السلام في صورة آدمي فركض برجله موضع بئر زمزم فنبع من موضع رجله ماء
أشد بياضا من اللبن وأحلى من
العسل وادسم من السمن فاستطارت
بذلك فرحا وعصرت في فيه فرجعت
اليه نفسه وقد كان أشرف على
الهلاك فجعلت تحفظ الماء بالتراب لئلا
يذهب وجعلت تغرف وتدخره
في شنها لولدها فقال لها جبريل
عليه السلام انه سارى لا تخافي
الظما وانها عين يشرب منها
ضيفان الله تعالى وان هذا الغلام
وأباه سيبنيان بيتا هذا موضعه
ثم تركها وعرج الى السماء فلبثا
خمسة أيام يشربان من ذلك الماء
فيجزئهما عن الطعام والشراب
فلما كان يوم السادس أقبل
غلامان من العماليق الذين كانوا
نزولا بعرفات يريدان بعيرا لهما
فاشرفا على جبل أبي قبيس فابصرا
بياض الماء فتعجبا وانطلقا
الى قومهما فاعلماهم بذلك فاقبل
نفر من عظمائهم فابصروا الماء
ونظروا الى اسمعيل وأمه هاجر
فسألوها فأخبرتهم بخبرها فقالوا
لولا ان هذا الغلام كريم على الله
تعالى ما أنبع له هذا الماء بهذا
المكان فان عهدنا به منذ ستة
أيام وليس به ماء فتأذنين لنا ان
ننتقل باهالينا الى هذا المكان
فنقيم معكما به فهل ان الاسكان
يكون لهذا الغلام حتى أخرجنا
منه خرجنا وله عندنا المواساة
في أموالنا وان نجعله اذا أدرك
رئيسنا قالت نعم ان وفيتم فدونكم
فاخبروا قومهم واتفقوا جميعا
واتخذوا فيها المنازل والبيوت ونشأ اسمعيل عليه السلام مع اولادهم وكانت لغتهم العربية الصحيحة وهي لغة أولاد بني معد الذي نزل

سنة وولد موسى وامعمران سبعون سنة وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعا وثلاثين سنة وام موسى يوحانذ واسم امرأته صفورا بنت شعيب النبي وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول وقيل كانت من بني اسرائيل فلما نودي موسى اعلم ان قابوس فرعون مصر مات وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه وكان عمره طويلا وكان أعتى من قابوس وافجر وأمر بان يأتيه هو وهرون بالرسالة ويقال ان الوليد تزوج آسية بعد أخيه ثم ارسل موسى الى فرعون رسولا مع هرون فكان من مولد موسى الى ان أخرج بني اسرائيل من مصر ثمانون سنة ثم سار الى التيه بعد ان مضى وعبر البحر وكان مقامهم هنالك الى ان خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة فكان ما بين مولد موسى الى وفاته مائة وعشرون سنة قال ابن عباس وغيره دخل حديث بعضهم في بعض ان الله تعالى لما قبض يوسف وهلك الملك الذي كان معه وتوارثت الفراعنة ملك مصر ونشر الله بني اسرائيل لم يزل بنو اسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيهم من الاسلام حتى كان فرعون موسى وكان أعتاهم على الله وأعظمهم قولا وأطولهم عمرا واسمه فيما ذكر الوليد بن مصعب وكان سيء الملكة على بني اسرائيل يعذبهم ويجعلهم خولا ويسومهم سوء العذاب فلما أراد الله ان يستنقذهم بلغ موسى الاشد وأعطاه الرسالة وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى انه رأى في منامه كان نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل وأخربت بيوت مصر فدعا السحرة والحزاة والكهنة فسألهم عن رؤياه فقالوا يخرج من هذا البلد يعنون بيت المقدس الذي جاء بنو اسرائيل منه رجل يكون على وجهه هلاك مصر فأمر ان لا يولد لبني اسرائيل مولود الاذبح ويترك الجواري وقيل انه لما تقارب زمان موسى أتى المنجمون فرعون وحزانه اليه فقالوا اعلم انا نجد في علمنا ان مولودا من بني اسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك فأمر بقتل كل مولود يولد في بني اسرائيل وقيل بل تذاكر فرعون وجلساؤه معا ما وعد الله عز وجل ابراهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فقال بعضهم ان بني اسرائيل ينتظرون ذلك وقد كانوا يظنونه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا وعد الله ابراهيم فقال فرعون كيف ترون فاجمعوا على ان يبعث رجالا يقتلون كل مولود في بني اسرائيل وقال للقبط انظروا عمالكم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بني اسرائيل يلون ذلك فجعل بني اسرائيل في أعمال غلمانهم فذلك حين يقول الله عز وجل ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم فجعل لا يولد لبني اسرائيل مولود الا ذبح وكان يأمر بتعذيب الحبالى حتى يضعن فكان يشقق القصب ويوقف المرأة عليه فيقطع اقدامهن وكانت المرأة تضع فتتقي بولدها القصب وقضى الله الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وكلموه وقالوا ان هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك ان يقع العمل على غلماننا تذبح الصغار

سرمت من الولد فادع الله تعالى ان يرزقك منها ولدا تقر به عينك فاستوهبها ابراهيم عليه السلام بجمالها وعقلها ودينها فلما حملت باسمعيل وولدته تحول نور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جبين ابراهيم الى جبين اسمعيل عليه السلام يلوح كالشمس المشرقة فأخذت سارة الغيرة وقالت لابراهيم عليه السلام قد علمت ان الله تبارك وتعالى جعل صداقي ملك رضائي وطاعتي وانا آمرك ان تحمل هذه الجارية وابنها حتى تاتي بها بلدا لا ماء فيه ولا زرع فتسكنهما فيه قال أفعل ذلك فأمر الله تعالى ابراهيم بالمسير الى مكة فركب البراق هو واسمعيل وهاجر حتى أتى بهما الى البيت وكان يمر كالبرق الخاطف يضع خطوته عند منتهى طرفه ولم يكن بها يومئذ خلق من الناس فأنزلهما هنالك والبيت يومئذ ربوة حمراء مشرفة على ما سواها ولم ينزل عن مطيته وولى منصرفا فنادته هاجر يا نبي الله الى من تكلنا قال الى الله تعالى وأستودعكما اياه فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرجع ابراهيم عليه السلام الى الشام فعمدت هاجر فعملت عريشا وكان معها شنة فيها ماء فنفد الماء وعطشا عطشا شديدا وكان اسمعيل يومئذ من ابناء ثلاث سنين فجعلت تتضرع الى الله تعالى وتعدو يمنة ويسرة وكانت تسعى بين الصفا والمروة تاتي اسمعيل فتضع يدها على فيه مخافة ان يموت من العطش ثم ترجع وتسعى وذلك أول سعي سعى منسالك وهي في ذلك تدعو وتقول اللهم يا وديعة نبيك وخليلك عندك فلا تضيع وديعتك يا من لا يضيع ودائعه وتقى

بيت لا ننظر في اعقاب النساء فلما أتاه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما وهي التي احضرته يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال لها ابوها القوة قد رأيتها فما يدريك بأمانته فذكرت له ما أمرها به من المشي خلفه فقال له أبوها اني أريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني نفسك ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك فقال له موسى ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فأقام عنده يومه فلما امسى احضر شعيب العشاء فامتنع موسى من الاكل فقال ولماذا ذلك قال انا من أهل بيت لا نأخذ على اليسير من عمل الآخرة الدنيا بأسرها فقال شعيب ليس لذلك اطعمتك انما هذه عادتي وعادة آبائي فأكل وازدادت رغبة شعيب في موسى فزوجه ابنته التي احضرته واسمها صفورا وأمرها ان تأتيه بعصا فأتته بعصا وكانت تلك العصا قد استودعها اياه ملك في صورة رجل فدفعها اليه فلما رآها أبوها أمرها بردها والاتيان بغيرها فالقتها وأرادت ان تأخذ غيرها لم تقع بيدها سواها وجعل يردها وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها فاخذها موسى ليرعى بها فندم أبوها حيث أخذها وخرج اليه ليأخذها منه حيث هي وديعة فلما رآه موسى يريد أخذها منه مانعه فكان أول رجل يلقاهما فأتاهما ملك في صورة آدمي فقضى بينهما ان يضعها موسى في الارض فمن حملها فهي له فالقاها موسى فلم يطق أبوها حملها واخذها موسى بيده فتركها له وكانت من عوسج لها شعبتان وفي رأسها محجن وقيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه وقيل في أخذها غير ذلك وأقام موسى عند شعيب يرعى له غنمه عشر سنين وسار باهله في زمن شتاء وبرد فلما كانت الليلة التي أراد الله عز وجل لموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه اخطأ فيها الطريق حتى لا يدري اين يتوجه وكانت امرأته حاملا فاخذها الطلق في ليلة شاتية ذات مطر ورعد وبرق فاخرج زنده ليقدح نارا لاهله ليصطلوا ويبيتوا حتى يصبح ويعلم وجه طريقه فاصلد زنده فقدح حتى اعيا فرفعت له نار فلما رآها ظن انها نار وكانت من نور الله فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر فان لم أجد خبرا آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فخرج قاصدها فرآها نور ممتدا من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير موسى وخاف حين رأى نارا عظيمة بغير دخان وهي تلتهب في شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا منها استأخرت عنه ففزع ورجع فنودي منها فلما سمع الصوت استأنس فعاد فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن من الشجرة في البقعة المباركة ان بورك من في النار ومن حولها يا موسى اني أنا الله رب العالمين فلما سمع النداء ورأى تلك الهيبة علم انه ربه تعالى فخفق قلبه وكل لسانه وضعفت قوته وصار حيا كميت الا ان الروح تتردد فيه فارسل الله اليه ملكا يشد قلبه فلما ثاب اليه عقله نودي اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وانما أمر بخلع نعليه لانهما كانتا من جلد حمار ميت وقيل لينال قدمه الارض المباركة ثم قال له تسكينا لقلبه وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها واهش بها على غنمي يقول اضرب بها الشجر فيسقط ورقه للغنم ولي

المسراة فإن آمره بقلع العتبة فإن الباب لا يصلح الا بالعتبة ثم انصرف راجعا الى الشام فلما أقبل اسمعيل نحو منزله في المساء ورأى نور أبيه ساطعا بمكة وجبالها ووجد بباب داره رائحة المسك الاذفر ورأى الاغنام تشم الآثار فقال لامرأته هل جاءك من أحد فأخبرته خبر الشيخ عليه السلام قالت ويأمرك بقلع عتبة باب دارك والاستبدال بها فقال لها ان ذلك الشيخ هو والدي ابراهيم عليه السلام وهو يأمرني بطلاقك فاذهبي فأنت طالقة ثم ان مضاض ابن عمرو وهو رئيس جرهم زوج اسمعيل عليه السلام بابنته دعلة وكانت من الطاهرات التقيات ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة في زيارة اسمعيل عليه السلام فاستحلفته غيرة عليه انه اذا أتى الموضع لا ينزل عن مركوبه فاقبل ابراهيم عليه السلام لرؤية اسمعيل عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل عليه السلام فقرعه فخرجت اليه امرأته دعلة بنت مضاض قالت من تريد قال اريد اسمعيل فقالت بابي وامي انه خرج باكرا الى ابله وغنمه فانزل عندنا الى وقت انصرافه فقال ان النزول لا يمكن فجاءته بحجر كان في البيت وجعلته تحت قدمه اليمنى وغسلت رأسه ودهنته بدهن طيب ثم حولت الحجر الى شماله فوضع رجله اليسرى عليه ومال برأسه نحوها فرجلته ودهنته وأثرت قدماه في الحجر فلما رأت الجرهمية ذلك اكبرته فقال لها ابراهيم عليه السلام ارفعيه ابدا لانه سيكون له شان وبناء بعد سنين وهذا الحجر الآن في صندوق من حديد بمقام ابراهيم عليه السلام وقد زرته وقبلته ووضع

فرعون فدركب فركب موسى فى اثره فادركه المقيل بارض يقال لها منف وهذه منف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التى هى مصر يوسف الصديق وهى الآن قرية كبيرة فدخل نصف النهار وقد اغلقت اسواقها على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول هذا اسرائيلى قيل انه السامرى وهذا من عدوه يقول من القبط فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فغضب موسى لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم وكان قد حماهم من القبط وكان الناس لايعلمون انه منهم بل كانوا يظنون ان ذلك بسبب الرضاع فلما اشتد غضبه وكزه فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم أوحى الله تعالى الى موسى وعزتى لو ان النفس التى قتلت اقرت لى ساعة واحدة انى خالق رازق لاذقتك العذاب قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين فاصبح فى المدينة خائفا يترقب ان يؤخذ فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يقول يستغيثه قال له موسى انك لغوى مبين ثم أقبل لينصره فلما نظر الى موسى وقد اقبل نحوه ليبطش بالرجل الذى يقاتل الاسرائيلى خاف ان يقتله من أجل انه اغلظ له فى الكلام قال أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وماتريد ان تكون من المصلحين فترك القبطى فذهب فافشى عليه ان موسى هو الذى قتل الرجل فطلبه فرعون وقال خذوه فانه صاحبنا فجاء رجل فأخبره وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج قيل كان حزقيل مؤمن آل فرعون كان على بقية من دين ابراهيم عليه السلام وكان أول من آمن بموسى فلما أخبره خرج من بينهم خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين وأخذ فى ثنيات الطريق فجاءه ملك على فرس وفى يده عنزة وهى الحربة الصغيرة فلما رآه موسى سجد له من الفرق فقال له لاتسجد لى ولكن اتبعنى فهداه نحو مدين وقال موسى وهو متوجه اليها عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فانطلق به الملك حتى انتهى به الى مدين فكان قد سار وليس معه طعام وكان يأكل ورق الشجر ولم يكن له قوة على المشى فما بلغ مدين حتى سقط خف قدمه فلما ورد ماء مدين قصد الماء فوجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى تحبسان غنمهما وهما ابنتا شعيب النبى وقيل ابنتا يثرون وهو ابن أخى شعيب فلما رآهما موسى سألهما ماخطبكما قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فرحمهما موسى فاتى البئر فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما غنمهما فرجعتا سريعا وكانتا انما تسقيان من فضول الحياض وقصد موسى شجرة هنالك ليستظل بها فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال موسى ولو شاء انسان ان ينظر الى خضرة امعائه من شدة الجوع لفعل وما سأل الا اكلة فلما رجع الجاريتان الى أبيهما سريعا سألهما فاخبرتاه فاعاد احداهما الى موسى تستدعيه فاتته وقالت له ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فقام معها فمشت بين يديه فضربت الريح ثوبها فحكى عجيزتها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق فانا اهل

القرآن بها وشب اسمعيل حتى بلغ الحلم فصار اذ ربهم لسانا واحسنهم لغة فقسموا له من أموالهم قسمة حتى صار أكثرهم
ابلا وغنما وأعطاه الله القوس فكان لايرمى شيئا الا اصابه واخرج الله تعالى له من البحر مائة فرس ثم ساقتها الملائكة اليه فركبها وكان يدعوها ياخيل الله اجيبى فلم يبق فى بلاد العرب فرس الا أتاه وهو اول من ركب الخيل العتاق وكانت قبل ذلك وحوشا لاتركب وبعث الى العماليق وجرهم وقبائل اليمن وكانوا يعبدون الاوثان فآمن بعضهم وماتت هاجر ولاسمعيل عشرون سنة ولها من العمر تسعون سنة ودفنت بالحجر وفى مرآة الزمان انها لما سمعت بذبح ولدها انفطرت مرارتها فماتت بعد ثلاثة أيام ثم ان ابراهيم عليه السلام اشتاق الى اسمعيل شوقا شديدا وكان له مدة لم يره فاستاذن سارة فى اتيانه فأذنت له على ان لاينزل عن مطيته غيرة حتى يولى راجعا فسار على البراق من الشام حتى أتى مكة فى طرفة عين وقيل كان تطوى له الارض فرآها مشحونة بالناس ففرح بذلك فرحا شديدا وسأل عن منزل اسمعيل وكان منزله بموضع الحجر فدل عليه فقرع الباب فخرجت اليه امرأة اسمعيل وقالت ماتشاء ياشيخ فقال أريد اسمعيل فقالت خرج باكرا الى غنمه وليس ينصرف الى سدفة من الليل فقال لها كيف عيشكم قالت اسوأ عيش ونحن ببلاد لازرع فيها ولاثمر ولم تعرض
عليه النزول فقال لها ابراهيم عليه السلام أخبريه بقدومى اليه وسلمى عليه وقولى له انى لم أجد السبيل الى المقام لوقت بيته

في الارض والاعلى على القصر وتوجه نحو فرعون ليأخذه فخافه فرعون ووثب فزعا فأحدث في ثيابه ثم بقي بضعا وعشرين يوما يجيء بطنه حتى كاد يهلك وناشده فرعون بربه تعالى ان يرد الثعبان فاخذه موسى فعاد عصا ثم ادخل يده في جيبه وأخرجها بيضاء كالثلج لها نور يتلألأ ثم ردها فعادت الى ما كانت عليه من لونها ثم اخرجها الثانية لها نور ساطع في السماء تكل منه الابصار قد اضاءت ما حولها يدخل نورها البيوت ويرى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى في جيبه واخرجها فاذا هي على لونها واوحى الله تعالى الى موسى وهرون ان قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فقال له موسى هل لك في ان أعطيك شبابك فلا تهرم وملكك فلا ينزع وارد اليك لذة المناكح والمشارب والركوب فاذا مت دخلت الجنة وتؤمن بي فقال لا حتى يأتي هامان فلما حضر هامان عرض عليه قول موسى فعجزه وقال له تصير تعبد بعد ان كنت تعبد ثم قال له انا ارد عليك شبابك فعمل له الوسمة فخضبه بها فهو أول من خضب بالسواد فلما رآه موسى هاله ذلك فاوحى الله اليه لا يهولنك ما ترى فلن يلبث الا قليلا فلما سمع فرعون ذلك خرج الى قومه فقال ان هذا الساحر عليم وأراد قتله فقال مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات وقال الملأ من قوم فرعون ارجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم ففعل وجمع السحرة فكانوا سبعين ساحرا وقيل اثنين وسبعين وقيل خمسة عشر ألفا وقيل ثلاثين ألفا فوعدهم فرعون واتعدوا يوم العيد كان لفرعون فحشد فرعون وجمع الناس وجاء موسى ومعه أخوه هرون وبيده عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع اشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب فقال السحرة بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر ثم قالوا لنأتينك بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فقال له السحرة يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال بل القوا فالقوا حبالهم وعصيهم فاذا هي في رأي العين حيات امثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا فاوجس موسى خوفا فاوحى الله اليه ان الق ما في يمينك تلقف ما صنعوا فالقى عصاه من يده فصارت ثعبانا عظيما فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهي كالحيات في أعين الناس فجعلت تلقفها وتبتلعها حتى لم تبق منها شيأ ثم أخذ موسى عصاه فاذا هي في يده كما كانت وكان رئيس السحرة اعمى فقال له اصحابه ان عصا موسى صارت ثعبانا عظيما وتلقفت حبالنا وعصينا فقال لهم ولم يبق لها أثر ولا عادت الى حالها الاول فقالوا لا فقال هذا ليس بسحر فخر ساجدا وتبعه السحرة اجمعون وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل فقطعهم وقتلهم وهم يقولون ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين فكانوا أول النهار كفارا وآخر النهار شهداء وكان حزقيل مؤمن آل فرعون يكتم ايمانه قيل كان من بني اسرائيل وقيل كان من القبط وقيل هو النجار الذي صنع التابوت الذي

مكثونا من زمن الطوفان حيث شاء الله فأتاه به جبريل فنصبه ابراهيم في موضعه حيث أمره الله تعالى فانار شرقا وغربا ويمينا وشمالا فحرم الله الحرام حيث انتهى نور الركن واشراقه من كل جانب وفي الحجر العميق انه حفر في جوف الكعبة على يمين الداخل بئرا ليكون فيها ما يهدى الى الكعبة وكان اسم البئر الاخسف وكان المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما مما يلي الحجر عند الباب وانما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فلما فرغ من بنائها صعد على جبل أبي قبيس ونادى أيها الناس ان الله جل جلاله كتب عليكم الحج الى هذا البيت فحجوا فاجابه الناس من اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك لبيك فلا يحج الا من أجاب يومئذ فانصرف ابراهيم عليه السلام الى أرض الشام واختلف العلماء في الذبيح فمنهم من ذهب الى انه اسحق عليه السلام ومنهم من رأى انه اسمعيل عليه السلام قال المسعودي في مروج الذهب ان كان الامر وقع بالذبح بمنى فالذبيح اسمعيل لان اسحق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشام فالذبيح اسحق لان اسمعيل لم يدخل الشام والذي ذهب اليه بعض العلماء ان الذبيح اسحق قال لما أمر بذبح ولده في المنام سار باسحق من الشام حتى أتى به المنحر بمنى في غداة واحدة وهو مسيرة شهر فلما صرف الله عنه الذبح وفداه بالكبش بجسمه ورجع به في روحة واحدة الى مكانه بالشام تطوى له الارض وقال ابن عباس رضي الله عنه ان اسمعيل هو الذبيح

فيهما ربّ اخرى احمل عليها المزود والسقاء وكانت تضئ لموسى في الليلة المظلمة وكانت
اذا اعوزه الماء دلاها في البئر فينال الماء ويصير في رأسها شبه الدلو وكان اذا اشتهى
فاكهة غرسها في الارض فنبتت لها اغصان تحمل الفاكهة لوقتها قال له القها يا موسى
فالقاها موسى فاذا هي حية تسعى عظيمة الجثة في خفة حركة الجان فلما رآها موسى ولى
مدبرا ولم يعقب فنودي يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون اقبل ولا تخف
سنعيدها سيرتها الاولى عصا وانما أمره الله بالقاء العصا حتى اذا القاها عند فرعون
لا يخاف منها فلما اقبل قال خذها ولا تخف وادخل يدك في فيها وكان على موسى جبة
صوف فلف يده بكمه وهو لها هائب فنودي ألق كمك عن يدك فالقاه وادخل يده بين
لحييها فلما ادخل يده عادت عصا كما كانت لا ينكر منها شيأ ثم قال له أدخل يدك في جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء يعني برصا فادخلها واخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها
نور ثم ردها فعادت كما كانت فقيل له هذان برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم
كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون وأخي هرون هو
افصح مني لسانا فارسله معي ردأ يصدقني أي يبين لهم عني ما اكلمهم به فانه يفهم عني
ما لا يفهمون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما
ومن اتبعكما الغالبون فاقبل موسى الى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف
على أمه وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه فجاء هرون فسألها عنه فاخبرته انه ضيف فدعاه فاكل
معه وسأله هرون من انت قال انا موسى فاعتنقا وقيل ان الله ترك موسى سبعة أيام ثم قال
اجب ربك فيما كلمك فقال رب اشرح لي صدري الآيات فامره بالمسير الى فرعون ولم يزل
أهله مكانهم لا يدرون ما فعل حتى مر راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم الى مدين
فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر فساروا اليه واما موسى فانه
سار الى مصر وأوحى الله الى هرون يعلمه بقفول موسى ويامره بتلقيه فخرج من مصر
فالتقى به قال موسى يا هرون ان الله تعالى قد أرسلنا الى فرعون فانطلق معي اليه قال سمعا
وطاعة * فلما جاء الى بيت هرون واظهرا انهما ينطلقان الى فرعون سمعت ذلك ابنة هرون
فصاحت امهما فقالت انشدكما الله ان لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فابيا فانطلقا
اليه ليلا فضربا بابه فقال فرعون لبوابه من هذا الذي يضرب بابي هذه الساعة فاشرف
عليهما البواب فكلمهما فقال له موسى انا رسول رب العالمين فاخبر فرعون فادخل
اليه وقيل ان موسى وهرون مكثا سنتين يغدوان الى باب فرعون ويروحان يلتمسان
الدخول اليه فلم يجسر أحد يخبره بشأنهما حتى أخبره مسخرة كان يضحكه بقوله فامر
حينئذ فرعون بادخالهما فلما دخلا قال له موسى اني رسول من رب العالمين فعرفه فرعون
فقال له الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت
من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي
حكما يعني نبوة وجعلني من المرسلين فقال له فرعون ان كنت جئت بآية فات بها ان
كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قد فتح فاه ووضع اللحي الاسفل

في فيه من ماء زمزم فشربته ورأيت موضع رجله اليمنى أكثر تأثيرا من رجله اليسرى فكأنه قد داس على عجين وأصابعه
الشريفة مثل اصابع اليدين
في الطول ثم قال لها كيف
عيشكم بهذا المكان قالت خير
عيش وماء عذب ومرعى فقال
بارك الله لكم في مائكم ومرعاكم
ثم أتته بطعام ورفعته على رأسها
فلما أتم الغداء قال لها اذا أتاك
اسمعيل فاعلميه بقدومي عليه
وقولي له اني لم اجد السبيل الى
النزول وانا عائد ان شاء الله تعالى
واعلميه اني آمره باستمساك عتبة
داره فانها صالحة ثم انصرف
راجعا نحو الشام فلما أمسى اقبل
اسمعيل عليه السلام فوجد
رائحة أبيه كما رأى نور أبيه
ساطعا على الجدران من باب
داره فقال لامرأته هل اتاك
من أحد فاخبرته بذلك فقال
ذاك أبي نبي الله وخليله ابراهيم
عليه السلام وقد أمرني ان
استمسك بك فبكت وقالت يا لهف
نفسي لو كنت عرفت لكان يرى
مني خلاف ما كان قال لها قد
احسنت واجملت فجزيت خيرا ثم
ان الله تبارك وتعالى أوحى الى
ابراهيم واسمعيل عليهما السلام
ان يبنيا الكعبة فسار ابراهيم
عليه السلام الى مكة فرأى
اسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة
قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه
وصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد
بالولد وكان عمر اسمعيل اذ ذاك
ثلاثين سنة ثم قال يا اسمعيل ان الله
أمرنا ان نبني له بيتا قال نعم فجعل
ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وكان الحجر الاسود

ففرق كل شئ لهم فقالوا ياموسى ادع ربك يكشف عنا هذا ونحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم فقالوا ما يسرنا انا لم نمطر فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم فسألوا موسى ان يكشف ما بهم ويؤمنون به فدعا الله فكشفه فلم يؤمنوا وقالوا قد بقي من زروعنا بقية فأرسل الله عليهم الدبا وهو القمل فاهلك الزروع والنبات اجمع وكان يهلك اطعمتهم ولم يقدروا ان يحترزوا منه فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ففعل فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الضفادع وكانت تسقط في قدورهم واطعمتهم وملأت البيوت عليهم فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا به ففعل فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الدم فصارت مياه الفرعونيين دما وكان الفرعوني والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيأخذ الاسرائيلي ماء ويأخذ الفرعوني دما وكان الاسرائيلي يأخذ الماء في فيه فيمجه في فم الفرعوني فيصير دما فبقي ذلك سبعة ايام فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا ففعل فلم يؤمنوا فلما يئس من ايمانهم ومن ايمان فرعون دعا موسى وأمن هرون فقال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ما هدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم حجارة والنخل والاطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت احدى الآيات التي جاء بها موسى فلما طال الامر على موسى أوحى الله اليه يأمره بالمسير ببني اسرائيل وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالارض المقدسة فسأل موسى عنه فلم يعرفه الا امرأة عجوز فأرته مكانه في النيل فاستخرجه موسى وهو في صندوق مرمر فاخذه معه فسار وأمر بني اسرائيل ان يستعيروا من حلي القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك واخذوا شيأ كثيرا وخرج موسى ببني اسرائيل ليلا والقبط لا يعلمون وكان موسى على ساقة بني اسرائيل وهرون على مقدمتهم وكان بنو اسرائيل لما ساروا من مصر ستمائة ألف وعشرين ألفا وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون ياموسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا اما الاول فكانوا يذبحون ابناءنا ويستحيون نساءنا وأما الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين وبلغ بنو اسرائيل الى البحر وبقي بين ايديهم وفرعون من ورائهم فأيقنوا بالهلاك فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق فقال كل سبط قد هلك اصحابنا فأمر الله الماء فصار كالشبابيك فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا ودنا فرعون واصحابه من البحر فرأى الماء على هيئته والطرق فيه فقال لاصحابه ألا ترون البحر قد فرق مني وانفتح لي حتى ادرك اعدائي فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أنثى وديق فشمت الحصن ريحها فاقتحمت في أثرها حتى اذا هم اولهم ان يخرج ودخل آخرهم أمر البحر ان يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم وانفرد جبريل بفرعون يأخذ من حمأة البحر فيجعلها في فيه وقال حين ادركه الغرق آمنت انه لا اله الا الذي آمنت

وقال محمد بن كعب القرظي انا لنجد في كتاب الله تعالى ان الذبيح اسمعيل وذلك ان الله تعالى لما فرغ من قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق فدل على ان قصة الذبيح كانت مقدمة على البشارة باسحق ولان الامم توارثت النحر بمنى من زمن الخليل عليه السلام وهلم جرا وموضع النحر بمنى مشهور وهو من شعائر الحج فان النحر هناك واجب حتى لو تركه لزمه دم فالواجب التوقف في هذا فان الادلة متعارضة من الجانبين والترجيح على ان الذبيح اسحق متعذر وولد لاسمعيل من دعلة بنت مضاض اثنا عشر ذكرا وبنت وعاش اسمعيل مائة وسبعا وثلاثين سنة فقبره ما بين الميزاب الى الحجر * ولما حفر ابن الزبير اساس الكعبة وجد سفطا من مرمر اخضر فسأل العلماء بالاخبار فقالوا هذا قبر اسمعيل وامه قالوا والمحدودب مما يلي الركن الشامي فيه قبور العذارى من بنات اسمعيل عليه السلام وفي مرآة الزمان وغيره ان اسمعيل عليه السلام شكا الى ربه حر مكة فاوحى الله تعالى الى ملك ففتح له بابا من الجنة يجري عليها روحها الى يوم القيامة

(الفصل العاشر في ذكر اسحق عليه السلام)

وهو اسم أعجمي وان وافق لفظ العربي يقال اسحقه الله اسحاقا واسحق بالعبرانية الضاحك وهو أصغر من اسمعيل بثلاث وعشرين سنة وكان أحسن الناس وجها

١٠ حل ل لانه ورث الحسن عن امه سارة (ومن معجزاته) انه جاءه رجل من كفار قومه فقال ارني معجزة حتى أومن بك

جعل فيه موسى والقى في النيل فلما رأى غلبة موسى السحرة اظهر ايمانه وقيل اظهر ايمانه قبل ذلك وكان فرعون أراد قتل موسى فقال أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فلما اظهر ايمانه قتل وصلب مع السحرة وكان له امرأة مؤمنة تكتم ايمانها أيضا وكانت ماشطة ابنة فرعون فبينما هي تمشطها اذ وقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنة فرعون أبي قالت لا بل ربي وربك ورب ابيك فاخبرت أباها بذلك فدعاها وبولدها وقال لها من ربك قالت ربي وربك الله فامر بتنور نحاس فاحمى ليعذبها وأولادها فقالت لي اليك حاجة قال وماهي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال ذلك لك فامر باولادها فالقوا في التنور واحدا واحدا وكان آخر أولادها صبيا صغيرا فقال اصبري يا اماه فانك على الحق فالقيت في التنور مع ولدها وكانت آسية امرأة فرعون من بني اسرائيل وقيل كانت من غيرهم وكانت مؤمنة تكتم ايمانها فلما قتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها كشف الله عن بصيرتها وكانت تنظر اليها وهي تعذب فلما رأت الملائكة قوي ايمانها وازدادت يقينا وتصديقا لموسى فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون فاخبرها خبر الماشطة قالت له آسية الويل لك ما اجرأك على الله فقال لها لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة فقالت ما بي جنون ولكني آمنت بالله تعالى ربي وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أصابها ما اصاب الماشطة فاقسم لتذوقن الموت او لتكفرن باله موسى فخلت بها امها وارادتها على موافقة فرعون فابت وقالت اما ان اكفر بالله فلا والله فامر فرعون حتى مدت بين يديه أربعة اوتاد وعذبت حتى ماتت فلما عاينت الموت قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما اعد لها من الكرامات فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب ثم ماتت ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعب من موسى خاف ان يؤمنوا به ويتركوا عبادته فاحتال لنفسه وقال لوزيره ياهامان ابن لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا فامر هامان بعمل الآجر وهو اول من عمله وجمع الصناع وعمله في سبع سنين وارتفع البنيان ارتفاعا لم يبلغه بنيان آخر فشق ذلك على موسى واستعظمه فاوحى الله اليه ان دعه وما يريد فاني مستدرجه ومبطل ما عمله في ساعة واحدة فلما تم بناؤه أمر الله جبريل فخربه واهلك كل من عمل فيه من صانع ومستعمل فلما راى فرعون ذلك من صنع الله امر اصحابه بالشدة على بني اسرائيل وعلى موسى ففعلوا ذلك وصاروا يكلفون بني اسرائيل من العمل ما لا يطيقونه وكان الرجال والنساء في شدة وكانوا قبل ذلك يطعمون بني اسرائيل اذا استعملوهم فصاروا لا يطعمونهم شيئا فيعودون باسوا حال يريدون يكسبون ما يقوتهم فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان العاقبة للمتقين وان الله يستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون فلما ابى فرعون وقومه الا الثبات على الكفر تابع الله عليه الآيات فارسل عليهم الطوفان وهو المطر المتتابع

وان الله تعالى فداه بالكبش فذبحه وهو كبش أملح أقرن اعين ينظر في سواد وانه رعى في الجنة أربعين خريفا وهو الذي قربه هابيل وتقبل منه وان ابراهيم عليه السلام نحره بالنحر من منى والذي نفسي بيده لقد كان أول الاسلام وان قرن ذلك الكبش لمعلق في ميزاب البيت الحرام قد لبس بنحاس واستمر الى ان احترق البيت في أيام الحجاج فاحترق معه وان رمي الجمرات سنة ابراهيم عليه السلام لما تعرض له الشيطان حين ذهابه للذبح (فان قيل) ان ابراهيم عليه السلام لم يتيسر لزيارة اسمعيل الا بعد ان بلغ اسمعيل مبلغ الرجال وتزوج وأمره بتغيير عتبة داره وكان الامر بالذبح لما بلغ معه السعي فمتى كان الذبح (قلت) قال في نزهة النواظر ان ابراهيم عليه السلام كان يزور اسمعيل وهاجر في كل شهر على البراق يأتي مكة غدوة ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام وفي بعض زياراته كانت قصة الذبح والفداء وعن الصنابحي قال كنا عند معوية بن أبي سفيان بدمشق فذكروا الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال معوية على الخبير سقطتم كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال جد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له يا رسول الله وما الذبيحان فقال أبي عبد الله وجدي اسمعيل كذا في مرآة الزمان وسئل ابو سعيد الضرير عن الذبيح فقال

إنما الذبيح هديت اسمعيل * انطق الكتاب بذلك والتنزيل

الحلال والحرام والمواعظ وعاد موسى ولا يقدر أحد ان ينظر اليه وكان يجعل عليه سويرة نحو أربعين يوما ثم يكشفها لما تغشاه من النور فلما وصل الى قومه ورأى عبادتهم العجل ألقى الالواح وأخذ برأس اخيه ولحيته يجره اليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي فتركه هرون واقبل على السامري وقال ما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس ثم أخذ العجل وبرده بالمبارد واحرقه وأمر السامري فبال عليه وذراه في البحر فلما ألقى موسى الالواح ذهب ستة اسباعها وبقي سبع وطلب بنو اسرائيل التوبة فأبى الله ان يقبل توبتهم وقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم فاقتتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه فكان من قتل من الفريقين شهيدا فقتل منهم سبعون الفا وقام موسى وهرون يدعوان الله فعفا عنهم وأمرهم بالكف عن القتال وتاب عليهم وأراد موسى قتل السامري فأمره الله بتركه وقال انه سخي فلعنه موسى ثم ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا من اخيارهم وقال لهم انطلقوا معي الى الله فتوبوا مما صنعتم وصوموا وتطهروا وخرج بهم الى طور سيناء للميقات الذي وقته الله له فقالوا اطلب أن نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودخل فيه موسى وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام فوقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه فلما فرغ انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد الله تعالى ويدعوه ويقول يا رب اخترت أخيار بني اسرائيل واعود اليهم وليسوا معي فلا يصدقوني ولم يزل يتضرع حتى رد الله اليهم ارواحهم فعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فقالوا يا موسى انت تدعو الله فلا تسأله شيأ الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا الله فجعلهم انبياء وقيل امر السبعين كان قبل ان يتوب الله على بني اسرائيل فلما مضوا للميقات واعتذروا قبل توبتهم وامرهم ان يقتل بعضهم بعضا والله اعلم ولما رجع موسى الى بني اسرائيل ومعه التوراة ابوا ان يقبلوها ويعملوا بما فيها للاثقال والشدة التي جاءتهم فامر الله جبريل فقلع جبلا من فلسطين على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ ورفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل مثل الظلة وبعث نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر من خلفهم فقال لهم موسى خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به والا رضختكم بهذا الجبل وغرقتكم في هذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار سنة في اليهود يسجدون على جانب وجوههم وقالوا سمعنا واطعنا ولما رجع موسى من المناجاة بقي اربعين يوما لا يراه احد الا مات وقيل ما رآه الاعمى فجعل على وجهه ورأسه برنسا لئلا يرى وجهه * ثم ان رجلا من بني اسرائيل قتل ابن عم له ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله

قبر أبيه ابراهيم عليه السلام

كان رجلا أزعر اى قليل الشعر نحيفا ربعة وهو أبو الاسباط ونبي في زمن ابراهيم عليه السلام (ومن معجزاته) ان ارض كنعان كانت بين جبلين في موضع ضيق فسأله قومه ان ينقل الجبال من تلك الاماكن فدعا الله تعالى فأجابه وامره بأن يشير بيده الى الجبال فانقلعت الجبال من أماكنها فسارت الى ارض بعيدة فصارت أراضيهم واسعة (ومنها) ان ابنه يهودا حين قاتل العماليق انكسر رمحه فصاح بأعلى صوته الى ابيه فقال يا ابت انكسر رمحي فسمع صوته يعقوب عليه السلام من سبعين فرسخا فصعد يعقوب السطح ورمى برمح اليه فأخذه وقاتل به * قال الكسائي بعث الله تعالى يعقوب نبيا الى اهل كنعان وكان ملكهم يومئذ سلجم من ولد دارا فلما نزل يعقوب عليه السلام بارض كنعان وبنى بها دارا واسعة نزل بها هو وأولاده وقيل هي مدينة نابلس وهنالك مرعاه فبلغ الملك ذلك فخرج بجميع جنده يريد اهلاك يعقوب فلما بلغ الى مكان يعقوب نظر الى داره وهيئته فندم على المجيء الى هنالك واجتمع مع يعقوب وجلس بين يديه وقال له من أنت وكيف نزلت في هذا المكان بغير اذني فقال انا يعقوب بن اسحق نبي الله ابن ابراهيم خليل الله ونزلت في هذا المكان باذن الله تعالى واني بعثت لادعوك وقومك الى الايمان بالله تعالى والاقرار بأني عبده فان اجبت والا جاهدتك في الله حق جهاده فغضب الملك وقال لهم تجاهدني وليس معك جند فنظر يعقوب الى أولاده العشرة وكانوا

به بنو اسرائيل وغرق فبعث الله اليه ميكائيل يعيره فقال له آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم لو رأيتني وانا ادس من حمأة البحر في فم فرعون مخافة ان يقول كلمة يرحمه الله بها فلما نجا بنو اسرائيل قالوا ان فرعون لم يغرق فدعا موسى فاخرج الله فرعون غريقا فاخذه بنو اسرائيل يمثلون به ثم ساروا فأتوا على قوم يعبدون الاصنام فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون فتركوا ذلك ثم بعث موسى جندين عظيمين كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من اهلها قد اهلك الله عظماءهم ورؤساءهم ولم يبق غير النساء والصبيان والزمنى والمرضى والمشايخ والعاجزين فدخلوا البلاد وغنموا الاموال وحملوا ما اطاقوا وباعوا ما عجزوا عن حمله على غيرهم وكان على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر انه اذا خرج مع بني اسرائيل منها واهلك الله عدوهم ان يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما اهلك الله فرعون وأنجى بني اسرائيل قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا فسأل موسى ربه ذلك فأمره ان يصوم ثلاثين يوما ويتطهر ويطهر ثيابه ويأتي الى الجبل جبل طور سيناء ليكلمه ويعطيه الكتاب فصام ثلاثين يوما أولها اول ذي القعدة وسار الى الجبل واستخلف اخاه هرون على بني اسرائيل فلما قصد الجبل أنكر ريح فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل تسوك بلحاء شجرة فاوحى الله اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك وأمره ان يصوم عشرة ايام أخرى فصامها وهي عشر ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة ففي تلك الليالي العشر افتتن بنو اسرائيل لان الثلاثين انقضت ولم يرجع اليهم موسى وكان السامري من اهل باجرمى وقيل من بني اسرائيل فقال هرون يا بني اسرائيل ان الغنائم لا تحل لكم والحلي الذي استعرتموه من القبط غنيمة فاحفروا حفرة وألقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ففعلوا ذلك وجاء السامري بقبضة من التراب الذي أخذه من اثر حافر فرس جبريل فألقاه فيه فصار الحلي عجلا جسدا له خوار وقيل ان الحلي ألقي في النار فذاب فألقى السامري ذلك التراب فصار الحلي عجلا جسدا له خوار وقيل كان يخور ويمشي وقيل ما خار الا مرة واحدة ولم يعد وقيل ان السامري صاغ العجل من ذلك الحلي في ثلاثة ايام ثم قذف فيه التراب فقام له خوار فلما رأوه قال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي موسى وتركه ههنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه فقال لهم هرون يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم فأقام بمن معه ولم يقاتلهم ولما ناجى الله تعالى موسى قال له ما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على اثري قال فانا قد فتنا قومك من بعدك يا موسى واضلهم السامري فقال موسى يا رب هذا السامري قد أمرهم ان يتخذوا العجل من نفخ فيه الروح قال أنا قال فانت اذا أضللتهم ثم ان موسى لما كلمه الله تعالى أحب ان ينظر اليه قال رب أرني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا اول المؤمنين واعطاه الالواح فيها

وكان عنده جلود يابسة قديمة فقال ان كنت نبيا فانفخ في هذه الجلود حتى تحيي كما كانت فدعا الله تعالى فاجابه وأمره بان يملأ الجلود رملا ثم ينفخ فيها ففعل ذلك فحييت باذن الله تعالى وقيل انه الذبيح وكان مذبحه في بيت ايليا ولما علمت سارة بذبح ولدها أخذها البطن من الجزع يومين وماتت في اليوم الثالث ولما بلغ عمر اسحق ستين سنة حملت زوجته رفقا بنت تنويل بغلامين في بطن واحد فلما أرادت وضعهما اقتتل الغلامان في بطنها فاراد يعقوب ان يخرج قبل العيص فقال له العيص والله ان خرجت قبلي لاعترضن في بطن أمي فاقتلها قال فتأخر يعقوب كرامة لامه وخرج العيص قبله فسمي عيصا لانه عصى وسمي يعقوب لانه خرج عقب العيص وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن خرج العيص قبله وكانا قد ولدا في زمن ابراهيم عليه السلام فنشأ يعقوب بالرحمة واللين فصار صاحب زرع وماشية ونشأ العيص بالغلظة والفظاظة فكان صاحب صيد وقنص وكانت الام تميل ليعقوب عليه السلام لكثرة برها ثم ان الله تعالى امتحن اسحق بذهاب بصره فاظهر الصبر والتسليم فدعا ليعقوب عليه السلام بالنبوة والرياسة على اخوته ودعا للعيص بالملك وبقاء النسل وان يجعل ذريته عدد التراب وان لا يملكهم أحد غيرهم فهو أبو الروم كلهم وكل ما كان من بني الاصفر فهو من ولده وصارت الملوك في ولده وهم اليونان وعاش اسحق مائة وثمانين سنة وكانت وفاته في السنة التي استوفى بها يوسف عليه السلام بمصر ودفن عند

الخليل

عينا لكل سبط عين فقالوا أين الظل فظلل عليهم الغمام فقالوا أين اللباس فكانت ثيابهم تطول معهم ولا يتخرق لهم ثوب ثم قالوا ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم فلما خرجوا من التيه رفع عنهم المن والسلوى ثم ان موسى التقى هو وعوج بن عناق فوثب موسى عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة اذرع فأصاب كعب عوج فقتله وقيل عاش عوج ثلاثة آلاف سنة ثم ان الله أوحى الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلقا نحوه فاذا هم فيه بشجرة لم ير وامثلها وفيه بيت مبنى وسرير عليه فرش وريح طيبة فلما رآه هرون أعجبه قال ياموسى انى اريد أن انام على هذا السرير فقال له موسى ثم قال انى اخاف رب هذا البيت ان يأتى فيغضب على قال موسى لاتخف أنا أكفيك قال فنم معى فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال ياموسى خدعتنى فتوفى ورفع على السرير الى السماء ورجع موسى الى بنى اسرائيل فقال له بنو اسرائيل انك قتلت هرون لحبنا اياه فقال ويحكم اتروني أن أقتل أخى فلما أكثروا عليه صلى ودعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا اليه مابين السماء والارض فأخبرهم انه مات وان موسى لم يقتله فصدقوه وكان موته فى التيه

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قيل بينما موسى عليه السلام يمشى ومعه يوشع بن نون فتاه اذا أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فالتزم موسى وقال لاتقوم الساعة وانا ملتزم نبى الله فاستل موسى من تحت القميص وبقى القميص فى يدى يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذه بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبى الله فقال ماقتلته ولكنه استل منى فلم يصدقوه قال فاذا لم تصدقونى فاخرونى ثلاثة أيام فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فاتى كل رجل كان يحرسه فى المنام فاخبر ان يوشع لم يقتل موسى فانا رفعناه الينا فتركوه وقيل ان موسى كره الموت فأراد الله ان يحبب اليه الموت فاوحى الله الى يوشع بن نون وكان يغدو عليه ويروح ويقول له موسى يانبى الله ما أحدث الله اليك فقال له يوشع بن نون يانبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما أحدث الله اليك ولا تذكره شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت وقيل انه مر متفردا برهط من الملائكة يحفرون قبرا فعرفهم فوقف عليهم فلم ير أحسن منه ولم ير مثل مافيه من الخضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد له منزل كريم مارأيت مضجعا ولا مدخلا مثله فقالوا أتحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك وتنفس أسهل تنفس تتنفسه فنزل فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وكان صلى الله عليه وسلم زاهدا فى الدنيا راغبا فيما عند الله انما كان يستظل فى عريش ويأكل ويشرب من نقير من حجر تواضعا الى الله تعالى وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله أرسل ملك الموت

وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى ان بعث الله موسى وأنزل عليه التوراة وكان يعقوب بينهما فى غبطة وسرور وكان لهما جاريتان أختان فوهبت كل واحدة منهما جاريتها فجمع بين أختين حرتين واختين امتين فولد له من لايا اربعة من الاسباط وهم روبيل ويهودا وشمعون ولاوى وولد له من راحيل يوسف واخوه بنيامين واخوات لهما وماتت راحيل من نفاس بنيامين ودفنت خارج بيت المقدس على الشارع الذى يقرب بيت لحم وولدت كل واحدة من الجاريتين ثلاثة رهط من الاسباط وهم يساخار وزبولون ودان ونفتالى وكال واشر وسموا بالاسباط لان كل واحد منهم ولد له قبيلة والسبط فى كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان ثم اشتاق يعقوب لرؤية امه وسار بأهله واولاده وهم اثنا عشر ذكرا الى ارض كنعان وكان اخوه العيص رجلا طويلا اشقر اشعر ايلباسا اصلاح وقوة وقد كان سمع بوصول أخيه فاستقبله فتلاقيا وتعانقا وكان ليعقوب مواش كثيرة فاعطى العيص من غنمه لاخيه استكفاء للشر فبقيا برهة من الدهر حتى ترك العيص له البلاد وانتقل الى بلاد الروم فاستوطنها فهو أبو الروم وكل بنى الاصفر من اولاده قال السدى لما خاف يعقوب من اخيه العيص واعطاه من غنمه خمسمائة وخمسين دفعا للشر وكان الله تعالى أوحى الى يعقوب لاتخف من العيص فانى احفظك منه كما حفظت أباك فلما صنع أوحى الله اليه صرت نعيت بالغنم ولم تطمئن الى قولى وعزتى وجلالى لاملكن ولد العيص من ولد ليعقوب

رجله والقاه بموضع آخر ثم اصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بني اسرائيل فجحدوا فسأل موسى ربه فأمرهم ان يذبحوا بقرة فقالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين المستهزئين فقالوا له ماهي ولو ذبحوا بقرة ما لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم لان رجلا منهم كان برا بأمه وكان له بقرة على النعت المذكور فنفعه بره بأمه فلم يجدوا على الصفة المذكورة الا بقرته فباعها منهم بملء جلدها ذهبا فلما سألوا موسى عنها قال انها بقرة لا فارض ولا بكر يقول لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي ان البقر تشابه علينا قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها يعني لا عيب فيها وقيل لا بياض فيها قالوا الآن جئت بالحق وطلبوها فلم يجدوا الا بقرة ذلك الرجل البار بأمه فاشتروها فغالى بها حتى أخذ ملء جلدها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها وقيل بغيره فحيي وقام وقال قتلني فلان ثم مات

(ذكر أمر بني اسرائيل في التيه ووفاة هرون عليه السلام)

ثم ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسير ببني اسرائيل الى اريحاء بلد الجبارين وهي ارض بيت المقدس فساروا حتى كانوا قريبا منهم فبعث موسى اثني عشر نقيبا من سائر اسباط بني اسرائيل فساروا ليأتوا بخبر الجبارين فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق فأخذ الاثني عشر فحملهم وانطلق بهم الى امرأته فقال انظري الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون أن يقاتلونا واراد ان يطأهم برجله فمنعته امرأته وقالت اطلقهم ليرجعوا ويخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما خرجوا قال بعضهم لبعض انكم ان أخبرتم بني اسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم فاكتموا الامر عنهم وتعاهدوا على ذلك ورجعوا فنكث عشرة منهم العهد واخبروا بما رأوا وكتم رجلان منهم وهما يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا ختن موسى ولم يخبروا الا موسى وهرون فلما سمع بنو اسرائيل الخبر عن الجبارين امتنعوا عن المسير اليهم فقال لهم موسى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان وهما يوشع وكالب من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فغضب موسى فدعا عليهم فقال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وكانت عجلة من موسى فقال الله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فندم موسى حينئذ فقالوا له فكيف لنا بالطعام فانزل الله المن والسلوى فأما المن فقيل هو كالصمغ وطعمه كالشهد يقع على الاشجار وقيل هو الترنجبين وقيل هو الخبز الرقاق وقيل هو عسل كان ينزل لكل انسان صاع وأما السلوى فهو طائر يشبه السماني فقالوا أين الشراب فامر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة

عينا

قياما على رأسه فقال اجاهدك بالله وملائكته وهؤلاء الاولاد فغضب الملك وانصرف الى حصنه وأخذ يعقوب يدعوهم الى دين الاسلام فلم يقبلوا ولم يؤمنوا فأمر اولاده بالجهاد فقال شمعون يا نبي الله انا أكفيك أمر هذا الحصن وأدن له فوقف على باب الحصن وقال اللهم افتح لنا وأنت خير الفاتحين بسم الله اله ابراهيم واسحق ويعقوب وضرب برجله اليمنى باب الحصن فدكدك الحصن وسقطت حيطانه ومات أكثر من فيه من الخوف ودخل يعقوب الى الحصن وأولاده وانهزم الملك وغاب بجنوده وغنموا كل ما فيه * قال في العرائس ان جبريل نزل لاسحق عليه السلام وقال ان الله تعالى قد رأى صبرك وقد عوضك من بصرك دعوة مستجابة في أعز ولدك فادع لهما شئت فكان يحب أن يدعو للعيص فسبقت السعادة في القدم ليعقوب عليه السلام فدعا له فنبئ فصار العيص يبغي لاخيه المكائد وينصب له المصائد فخافت الام عليه وأمرت يعقوب ان يسير الى خاله بفلسطين فخرج يعقوب يسير بالليل ويكمن بالنهار فسمي لذلك اسرائيل فبينما هو يسير أدركه الليل في بعض الطريق فبات متوسدا حجرا فرأى فيما يرى النائم ان سلما منصوبا الى باب من أبواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل منه وتعرج فيه وأوحى الله اليه اني انا الله لا اله الا أنا الهك واله آبائك وقد اورثتك هذه الارض المقدسة وذريتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت فيكم الكتاب والحكم والنبوة ثم سار الى خاله ليا بن تويل وكانت له بنتان لايا وراحيل فتزوجهما

اسرائيل فأخذ زمري بن شالوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها موسى وقال له أظنك تقول هذا حرام فوالله لا أطيعك ثم أدخلها خيمته فوقع عليها فأنزل الله عليهم الطاعون وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر عمه موسى غائبا فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني اسرائيل وأخبر الخبر وكان ذا قوة وبطش فقصد زمري فرآه وهو مضاجع المرأة فطعنهما بحربة في يده فانتظمهما ورفع الطاعون وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفا وقيل سبعون ألفا فأنزل الله في بلعم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ثم ان موسى قدم يوشع الى اريحاء في بني اسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس الغروب فخشي ان يدركهم الليل فيعجزوه فدعا الله تعالى ان يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى فأقام بها ما شاء الله ان يقيم وقبضه الله اليه لا يعلم بقبره أحد من الخلق وأما من زعم ان موسى كان قد توفي قبل ذلك فقال ان الله أمر يوشع بالمسير الى مدينة الجبارين فسار ببني اسرائيل ففارقه رجل يقال له بلعم بن باعورا وكان يعرف الاسم الاعظم وساق من حديثه نحو ما تقدم فلما ظفر يوشع بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت فدعا الله فرد الشمس عليه وزاد في النهار ساعة فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع غنائمهم ليأخذها القربان فلم تأت النار فقال يوشع فيكم غلول فبايعوني فبايعوه فلصقت يده في يد من غل فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلتهما وقيل بل حصرها ستة أشهر فلما كان السابع تقدموا الى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا فيهم فأكثروا ثم اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك الى غار فأمرهم يوشع بن نون فقتلوا وصلبوا ثم ملك الشام جميعه فصار لبني اسرائيل وفرق عماله فيه ثم توفاه الله فاستخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا وكان عمر يوشع مائة وستا وعشرين سنة وكان قيامه بالامر بعد موسى سبعا وعشرين سنة وأما من بقي من الجبارين فان افريقش بن قيس بن صيفي بن سبا بن كعب بن زيد بن حمير بن سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان مر بهم متوجها الى افريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم افريقية فافتتحها وقتل ملكها جرجير واسكنهم اياها فهم البرابرة وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة فهم فيهم الى اليوم

(ذكر أمر قارون)

وكان قارون بن يصهر بن قاهث وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى والاول أصح وكان عظيم المال كثير الكنوز قيل ان مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا فبغى على قومه بكثرة ماله فوعظوه ونهوه وقالوا له ما قص الله تعالى في كتابه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين فأجابهم جواب معترض لله عنه فقال انما أوتيته يعني المال والخزائن على علم

أجزاء الحسن وواحد للناس وكان يأكل الفواكه والبقول الخضر ونحوها حين تردد بها في حالة وصدره حتى تصل الى بطنه وكان اذا مشى في أزقة مصر يتلألأ نوره ووجهه على الجدران ويدخل الضوء من الطاقات كما ترى الشمس والماء في الجدران وأما معجزاته في تعبير الرؤيا فمشهورة وانه جاءه ابنا أمير ضمنا فدعاهما الى الاسلام فقالا لا نؤمن حتى تخضر هذه الشجرة فدعا يوسف عليه السلام فاخضرت الشجرة من ساعتها وأتوه بولد من أولاد كبرائهم وكان أعمى فقالوا ان أبصر هذا الولد نؤمن بك فدعا الله تعالى فأجابه فزال عماه باذن الله تعالى * واختلف في معنى يوسف فقالوا هو اسم عبراني وقيل يوسف الاسف وفي اللغة الحزن والاسف العبد واجتمعا فيه وولد يوسف لما كان ليعقوب من العمر احدى وتسعون سنة وكان سنه في الوقت الذي رأى الرؤيا سبع سنين وكان منزلهم بالقريات من ارض فلسطين بغور الشام وكانوا أهل بادية ومواشي وكان يعقوب يؤثر يوسف بزيادة المحبة على اخوته وكانت اخوته يحسدونه على ذلك فلما بلغهم الرؤيا تزايد حسدهم وأرادوا قتله فكان منهم ما ذكره الله تعالى بقوله فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب قيل هو بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب قيل أوحى اليه في الصغر كما أوحى الى يحيى عليه السلام وكان عمره اذ ذاك سبع عشرة سنة وكان الوحي قوله تعالى لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وكان من دعائه حين ألقوه في الجب ما لقنه جبريل عليه السلام حين هبط اليه وأجلسه على الصخرة يا عالما بالسر من غير شيء على ما حكاه

اقبض روحه فلطمه ففقأ عينه فعاد وقال يارب أرسلتني الى عبد لا يحب الموت قال الله ارجع له وقل له يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده سنة وخيره بين ذلك وبين ان يموت الآن فأتاه ملك الموت وخيره فقال له فما بعد ذلك قال الموت قال فالآن اذا فقبض روحه وهذا القول صحيح قد صح النقل به عن النبي صلى الله عليه وسلم فكان موته في التيه أيضا وقيل بل هو الذي فتح مدينة الجبارين على ما ذكره وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة من ذلك في ملك افريدون عشرون وفي ملك منوجهر مائة سنة وكان ابتداء أمره منذ بعثه الله الى ان قبضه في ملك منوجهر ثم نبي بعده يوشع بن نون فكان في زمن منوجهر عشرين سنة وفي زمن افراسياب سبع سنين

(ذكر يوشع بن نون عليه السلام وفتح مدينة الجبارين)

لما توفي موسى بعث الله يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام نبيا الى بني اسرائيل وأمره بالمسير الى أريحاء مدينة الجبارين واختلف العلماء في فتحها على يد من كان فقال ابن عباس ان موسى وهرون توفيا في التيه وتوفي فيه كل من دخله وقد جاوز العشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فلما انقضى أربعون سنة أوحى الله الى يوشع بن نون فامره بالمسير اليها وفتحها ففتحها ومثله قال قتادة والسدي وعكرمة وقال آخرون ان موسى عاش حتى خرج من التيه وسار الى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون ففتحها وهو قول ابن اسحق قال ابن اسحق سار موسى بن عمران الى أرض كنعان لقتال الجبارين فقدم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران فلما بلغوها اجتمع الجبارون الى بلعم بن باعورا وهو من ولد لوط فقالوا له ان موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا فادع الله عليهم وكان بلعم يعرف اسم الله الاعظم فقال لهم كيف ادعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم فاتوا امرأته واهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوا اليها ان تحسن لزوجها ان يدعو على بني اسرائيل فقالت له في ذلك فامتنع فلم تزل به حتى قال استخير الله فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام فاخبرها بذلك فقالت راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد اليه جواب فقالت لو أراد ربك لنهاك ولم تزل تخدعه حتى اجابهم فركب حمارا له متوجها الى جبل مشرف على بني اسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم فما سار عليه الا قليلا حتى ربض الحمار فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه فسار به قليلا فبرك ففعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتد ضربه في الثالثة انطقه الله فقال له ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردني فلم يرجع فاطلق الله الحمار حينئذ فسار عليه حتى أشرف على بني اسرائيل فكان كلما اراد ان يدعو عليهم ينصرف لسانه الى الدعاء لهم واذا أراد ان يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له في ذلك فقال هذا شيء غلبنا الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة وأمرهم ان يزينوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن الى العسكر ولا تمتنع امرأة نفسها ممن يريدها وقال ان زنى منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بني

ما انفت فلكت الروم وهم ولد العيص هذا المقدار فاول ملكهم اياهم خراب بيت المقدس آخر بوه واستعبدوا بني اسرائيل الى زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان خمسمائة وخمسين سنة ولقد قيل ان يعقوب والعيص ماتا في يوم واحد وقيل عاش يعقوب عليه السلام في ارض مصر بعد أن اجتمع بولده يوسف سبع عشرة سنة وكان عمره مائة وسبعا واربعين سنة وتوفي بمصر وحمله ابنه يوسف ودفنه عند قبر أبيه ابراهيم عليه السلام (وذكر اهل التاريخ) ان الانبياء كلهم من اولاد يعقوب الا أحد عشر نبيا وهم نوح وهود وصالح ولوط وأيوب وشعيب وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومحمد صلى الله عليه وسلم

(الفصل الثاني عشر في ذكر يوسف الصديق عليه السلام)

سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم فهو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام كان أبيض اللون حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق غليظ الساقين والساعدين والعضدين خميص البطن أقنى الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال اسود وكان بين عينيه شامة بيضاء كأنها البدر ليلة تمامه وكانت أهداب عينيه شبه قوادم النسور وكان اذا تبسم يرى النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور من بين ثناياه ولا يقدر أحد من بني آدم على وصف يوسف عليه السلام لان الله تعالى أعطاه ثلث الجمال وقسم بين العباد الثلثين وقيل اعطى ليوسف عليه السلام تسعة

بعض الحروب وطرد افراسياب التركى عن مملكة فارس حتى ردّه الى الترك بعد حروب جرت بينهما فكانت غلبة افراسياب على أقاليم بابل ومملكة الفرس اثنتى عشرة سنة من لدن توفى منوجهر الى ان أخرجه عنها زو وكان اخراجه عنها فى زوزابان من شهرابان ماه فاتخذ لهم هذا اليوم عيدا وجعلوه الثالث لعيديهم النوروز والمهرجان وكان زو محمودا فى ملكه محسنا الى رعيته وأمر باصلاح ما كان افراسياب أفسده من مملكتهم وبعمارة الحصون واخراج المياه التى غوّر طرقها حتى عادت البلاد الى احسن ما كانت ووضع عن الناس الخراج سبع سنين فعمرت البلاد فى ملكه وكثرت المعايش واستخرج بالسواد نهرا وسماه الزاب وبنى عليه مدينة وهى التى تسمى العتيقة وجعل لها طسوج الزاب الاعلى وطسوج الزاب الاوسط وطسوج الزاب الاسفل وكان اوّل من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وبامناف الاطعمة وأعطى جنوده ما غنم من الترك وغيرهم وكان جميع ملكه الى ان انقضت مدته ثلاث سنين وكان كرشاسب بن انوط وزيره فى ملكه ومعينه فيه وقيل كان شريكه فى الملك والاوّل اصح وكان عظيم الشأن فى فارس الا انه لم يملك

(ذكر ملك كيقباذ)

ثم ملك بعد زو كيقباذ بن راع بن ميسرة بن نوذر بن منوجهر وقد رسم الانهار والعيون لشرب الارض وسمى البلاد بأسمائها وحدّها بحدودها وكوّر الكور وبين حيز كل كورة وأخذ العشر من غلاتها الارزاق الجند وكان فيما ذكر كيقباذ حريصا على عمارة البلاد ومنعها من العدو كثير الكنوز وقيل ان الملوك الكيانية وأبناءهم من نسله وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة فكان مقيما بالقرب من نهر بلخ وهو يجهدون امنع الترك من تطرق شئ من بلاده وكان ملكه مائة سنة

(ذكر الاحداث فى بنى اسرائيل فى عهد زو وكيقباذ ونبوّة حزقيل)

لما توفى يوشع بن نون قام بأمر بنى اسرائيل بعده كالب بن يوفنا ثم حزقيل بن نورى وهو الذى يقال له ابن العجوز وانما قيل له ذلك لان أمه سألت الله الولد وقد كبرت فوهبه الله لها وهو الذى دعا للقوم الموتى فأحياهم الله وكان سبب ذلك ان قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها ونزلوا ناحية فهلك أكثر من بقى بالقرية وسلم الآخرون فلما ارتفع الطاعون رجعوا فقال الذين بقوا اصحابنا هؤلاء كانوا احزم منا ولو صنعنا كما صنعوا بقينا فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وهم بضعة وثلاثون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وقيل أربعة آلاف وقيل غير ذلك حتى نزلوا ذلك المكان فصاح بهم ملك فماتوا ونخرت عظامهم فمر بهم حزقيل فلما رآهم جعل يتفكر فيهم فأوحى الله اليه أتريد ان أريك كيف أحييهم قال نعم فقيل ناد فنادى يا أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعى فجعلت العظام تطير بعضها الى بعض حتى صارت اجسادا من عظام ثم نادى يا أيتها العظام ان الله يأمرك ان تكتسى فاكتست لحما ودما وثيابها التى ماتت فيها ثم نادى يا أيتها الارواح ان الله يأمرك أن تعودى الى أجسادك فعادت وقامت الاجساد أحياء وقالوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم أحياء

اليها متحيرا متحيرا وكان فى المدة بين عمره سبعة ايام فنادى بأعلى صوته يا ..ان

بين كما أخبر الله تعالى عنه انه كان قميصه قد من قبل الآية فلما ظهر له براءة يوسف وخيانتها قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم قال الزمخشرى ما كان العزيز الا حليما وقيل كان قليل الغيرة قال الشيخ أثير الدين أبو حيان فى تفسيره وتربة اقليم مصر اقتضت قلة الغيرة ثم لما اشتهرت هذه القضية قال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا وهو لا يرضى بها ولا يميل اليها انا لنراها فى ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا واترجا وقالت بحقى عليكن الا ما أطعمتن يوسف اذا امرتكن الساعة فقلن سمعا وطاعة ثم انها زينت يوسف بأوفى زينة وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه فى اعينهن وقال ابن عباس أعظمنه وأخذهن من الدهش وقيل حضن وقطعن أيديهن بحسن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الما لاشتغال قلوبهن بحسنه قال وهب كن أربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا به وكمدا عليه وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم نزل علينا من السماء فلما رأت زليخا حال النسوة قالت فذلكن الذى لمتننى فيه اى فى حبه ثم بعد ذلك ما زالت تشكو الى زوجها وتقول قد فضحنى بين الناس وهو يقول أنت راودتيه عن نفسه فحبسه زوجها ودام فى

مل ل اللبس سبع سنين ثم أخرجه فرعون مصر بسبب تعبيره الرؤيا التى رآها وأبان منامه وقلده سيفه وفوض

عندي قيل على خبر ومعرفة مني وقيل لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا فلم يرجع عن غيه ولكنه تمادى في طغيانه حتى خرج على قومه في زينته وهي انه ركب برذونا أبيض بمراكب الارجوان المذهبة وعليه الثياب المعصفرة وقد حمل معه ثلثمائة جارية على مثل برذونه وأربعة آلاف من أصحابه وبنى داره وضرب عليها صفائح الذهب وعمل لها بابا من ذهب فتمنى أهل الغفلة والجهل مثل ماله فنهاهم أهل العلم بالله وأمره الله تعالى بالزكاة فجاء الى موسى من كل ألف دينار دينار وعلى هذا من كل ألف شيء شيء فلما عاد الى بيته وجده كثيرا فجمع نفرا يثق بهم من بني اسرائيل فقال ان موسى أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم ان تحضروا فلانة البغي فتجعلوا لها جعلا فتقذفه بنفسها ففعلوا ذلك فاجابتهم اليه ثم أتى موسى فقال ان قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم فقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كانت له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت فقال نعم قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة الا صدقت أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت لا كذبوا ولكن جعلوا لي جعلا على ان أقذفك فسجد ودعا عليهم فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت تطعك فقال يا أرض خذيهم وقيل ان هذا الامر بلغ موسى فدعا الله تعالى عليه فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت تطعك فجاء موسى الى قارون فلما دخل عليه عرف الشر في وجهه فقال له يا موسى ارحمني فقال موسى يا ارض خذيهم فاضطربت داره وساخت بقارون واصحابه الى الكعبين وجعل يقول يا موسى ارحمني قال يا ارض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم فلم يزل يستعطفه وهو يقول يا ارض خذيهم حتى خسف بهم فأوحى الله الى موسى ما افظك أما وعزتي لو اياي نادى لاجبته ولا اعيد الارض تطيع احدا ابدا بعدك فهو يخسف به كل يوم قامة فلما انزل الله نقمته بعد المؤمنون الله وعرف الذين تمنوا مكانه بالامس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا

(ذكر من ملك من الفرس بعد منوجهر)

أما ملك منوجهر ملك فارس سار افراسياب بن فشنج بن رستم ملك الترك الى مملكة الفرس واستولى عليها وسار الى أرض بابل وأكثر المقام بها وبمهرجان فقذف وأكثر الفساد في مملكة فارس وعظم ظلمه وأخرب ما كان عامرا ودفن الانهار والقنى وقحط الناس سنة خمس من ملكه الى ان خرج عن مملكة فارس ولم يزل الناس منه في أعظم البلية الى ان ملك زو بن طهماسب وكان منوجهر قد سخط على ولده طهماسب ونفاه عن بلاده فأقام في بلاد الترك عند ملك اسمه يقال له وامن وتزوج ابنته فولدت له زو بن طهماسب وكان المنجمون قد قالوا لابيها ان ابنته تلد ولدا يقتله فحبسها فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها ثم ان منوجهر رضي عن طهماسب وأحضره اليه فاحتال في اخراج زوجته وابنه زو من حبسهما فوصلت اليه ثم ان زو قتل بعد ذلك جده وامن في

اللهم يا مؤنس كل غريب ويا صاحب كل وحيد ويا ملجأ كل خائف ويا كاشف كل كربة ويا عالم كل نجوى ويا منتهى كل شكوى يا حاضر كل ملا يا حي يا قيوم اسالك أن تقذف رجاءك في قلبي حتى لا يكون لي شغل غيرك وان تجعل لي من أمري فرجا ومخرجا انك على كل شيء قدير وأقام في الجب ثلاثة أيام فمرت به السيارة فاخرجته من الجب وأخذوه معهم وجاء يهودا الى الجب بطعام ليوسف فلم يجده ورآه عند تلك السيارة وأخبر يهودا اخوته بذلك فأتوا الى السيارة وقالوا هذا عبد لنا أبق منا وخافهم يوسف فلم يذكر حاله فاشتروه من اخوته بثمن بخس قيل عشرون درهما وقيل أربعون وذهبوا به الى مصر فباعها سيده فاشتراه الذي على خزائن مصر واسمه قطفير وكان فرعون مصر حينئذ الريان بن الوليد رجلا من العماليق من ولد عملاق ابن سام بن نوح قال وهب بن منبه ترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه زنته ذهبا وزنته فضة وزنته مسكا وحريرا وكان وزنه أربعمائة رطل ولما اشترى العزيز يوسف هويته امرأته زليخا وراودته عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك وفي معناها سبعة أقوال أصحها ما قاله الكسائي هي لغة لاهل حوران معناها بالقبطية هلم فابى يوسف وهرب منها ولحقته من خلفه فتشبثت بثوبه فاخرقته وصادفها زوجها قطفير عند الباب ففزعت منه فقالت ما جزاء من أراد باهلك سوأ يعني الزنا ثم خافت على يوسف ان يقتل فقالت الا أن يسجن أو عذاب أليم أي ضرب بالسياط فلما سمع يوسف كلامها قال هي راودتني عن نفسي فجعل ينظر العزيز مرة الى يوسف ومرة بعض

بأصنامهم فدعوها فلم يستجب لهم ولم يفرج عنهم فقالوا لالياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم بالفرج وأن يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس وعظمت وهم ينظرون ثم أرسل الله منها المطر فحييت بلادهم وفرج الله عنهم ما كانوا فيه من البلاء فلم ينزعوا ولم يراجعوا الحق فلما رأى ذلك الياس سأل الله ان يقبضه فيريحه منهم فكساه الله الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فصار ملكيا انسيا سماويا أرضيا وسلط الله على الملك وقومه عدوا فظفر بهم وقتل الملك وزوجته بذلك البستان وألقاهما فيه حتى بليت لحومهما

(ذكر نبوّة اليسع عليه السلام وأخذ التابوت من بني اسرائيل)

فلما انقطع الياس من بني اسرائيل بعث الله اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله وعظمت فيهم الاحداث وعندهم التابوت يتوارثونه فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت الا هزم الله العدو وكانت السكينة شبه رأس هر فاذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح ثم خلف فيهم ملك يقال له ايلاق وكان الله يمنعهم ويحميهم فلما عظمت أحداثهم نزل بهم عدو فخرجوا اليه وأخرجوا التابوت فاقتتلوا فغلبهم عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا فلما علم ملكهم ان التابوت أخذ مات كمدا ودخل العدو أرضهم فنهب وسبى وعاد فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف وكانوا يتمادون احيانا في غيهم فيسلط الله عليهم من ينتقم منهم فاذا راجعوا التوبة كف الله عنهم شر عدوهم فكان هذا حالهم من لدن توفي يوشع بن نون الى ان بعث الله اشمويل وملكهم طالوت ورد عليهم التابوت وكانت مدة ما بين وفاة يوشع الذي كان يلي أمر بني اسرائيل بعضها القضاة وبعضها الملوك وبعضها المتغلبون الى ان ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة الى اشمويل أربعمائة سنة وستين سنة فكان أول من سلط عليهم رجل من نسل لوط يقال له كوشان فقهرهم وأذلهم ثماني سنين ثم أنقذهم من يده أخ لكالب الاصغر يقال له عتنيل فقام بأمرهم أربعين سنة ثم سلط عليهم ملك يقال له عجلون فملكهم ثماني عشرة سنة ثم استنقذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له أهوذ وقام بأمرهم ثمانين سنة ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يابين فملكهم عشرين سنة واستنقذهم منه امرأة من بني أنبيائهم يقال لها دبورا ودبر الامر رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط فملكوهم سبع سنين واستنقذهم رجل يقال له جدعون بن يواش من ولد نفتالي بن يعقوب فدبر أمرهم أربعين سنة وتوفي ودبر أمرهم بعده ابنه أبيمالخ ثلاث سنين ثم دبرهم بعده فولع بن فوا ابن خال أبيمالخ ويقال انه ابن عمه ثلاثا وعشرين سنة ثم دبر أمرهم بعده رجل يقال له يائير اثنتين وعشرين سنة ثم ملكهم قوم من أهل فلسطين بني عمون ثماني عشرة سنة ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ثم دبرهم بعده يحسون سبع سنين ثم بعده آلون عشر سنين ثم بعده اقرون ويسميه بعضهم عكرون ثماني سنين ثم قهرهم أهل فلسطين وملكوهم أربعين سنة ثم وليهم شمسون عشرين سنة ثم بقوا بعده

اليه بالقميص فأخبره انه حي فأفرحه كما أحزنه فسار ثمانين فرسخا في سبعة أيام فلما فارق عريش مصر قال أبوهم لولده اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون أي تسفهون وفي الخبر ان الريح استأذنت ربها في ان تأتي يعقوب عليه السلام بريح يوسف فأذن لها فأتته ذكر الواحدي في تفسيره الوسيط ان الريح التي أتت بريح يوسف الى يعقوب عليه السلام هي ريح الصبا قال ولذلك ترى العشاق يكثرون من ذكرها في أشعارهم الغرامية ويروى ان يعقوب سأل البشير كيف تركت يوسف فقال ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة مالي ما أكافئك به على بشارتك الا الدعاء هوّن الله عليك سكرات الموت ولا جعل لك الى بخيل حاجة فلما ألقى القميص على وجهه ارتد بصيرا بعدما كان أعمى وقويا بعد أن كان ضعيفا فلما دنا يعقوب من مصر خرج يوسف والملك في أربعمائة ألف من الجند فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ترجل يوسف فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وعانق كل واحد منهما صاحبه وبكى يعقوب ويوسف فقال يوسف يا أبت بكيت حتى ذهب بصرك اما تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خفت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك قال وهب بن منبه دخل يعقوب الى مصر وولده وهم اثنان وسبعون انسانا من رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى وهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى والزمنى

يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد كفنا دسما ثم ماتوا ثم مات حزقيل ولم تذكر مدّته في بني اسرائيل وقيل كانوا قوم حزقيل فلما أن ماتوا بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا فقال الله أتحب ان احييهم قال نعم قال فاني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا

(ذكر الياس عليه السلام)

لما توفي حزقيل كثرت الاحداث في بني اسرائيل وتركوا عهد الله وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العزار بن هرون بن عمران نبيا وكان الانبياء في بني اسرائيل بعد موسى بن عمران يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة وكان الياس مع ملك من ملوكهم يقال له اخاب وكان يسمع منه ويصدقه وكان الياس يقيم له أمره وكان بنو اسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه يقال له بعل فجعل الياس يدعوهم الى الله وهم لا يسمعون الا من ذلك الملك وكان ملوك بني اسرائيل متفرقة كل ملك قد تغلب على ناحية يأكلها فقال ذلك الملك الذي كان الياس معه والله ما ارى الذي تدعو اليه الا باطلا لاني أرى فلانا وفلانا يعدّ ملوك بني اسرائيل قد عبدوا الاوثان فلم يضرّهم ذلك شيأ يأكلون ويشربون ويتمتعون ما ينقص ذلك من دنياهم وما نرى لنا عليهم من فضل ففارقه الياس وهو يسترجع فعبد ذلك الملك الاوثان أيضا وكان للملك جار صالح مؤمن يكتم ايمانه وله بستان الى جانب دار الملك والملك يحسن جواره وللملك زوجة عظيمة الشرّ والكفر فقالت له ليأخذ بستان الرجل فلم يفعل فكانت تخلف زوجها اذا سار عن بلده وتظهر للناس فغاب مرّة فوضعت امرأته على صاحب البستان من شهد عليه أنه سب الملك فقتلته وأخذت بستانه فلما عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره فقالت فات أمره فأوحى الله الى الياس يأمره ان يقول للملك وامرأته ان يردّا البستان على ورثة صاحبه فان لم يفعلا غضب عليهما وأهلكهما في البستان ولم تتمتعا به الا قليلا فأخبرهما الياس بذلك فلم يراجعا الحق فلما رأى الياس أنّ بني اسرائيل قد أبوا الا الكفر والظلم دعا عليهم فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين فهلكت الماشية والطيور والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا واستخفى الياس خوفا من بني اسرائيل فكان يأتيه رزقه ثم انه أوى ليلة الى امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضرّ شديد فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع الياس وكان معه وصحبه وصدّقه وكان الياس قد كبر فأوحى الله اليه انك قد أهلكت كثيرا من الخلق من البهائم والدواب والطير وغيرها ولم يعص سوى بني اسرائيل فقال الياس أي رب دعني اكن انا الذي أدعو لهم وأتيح بالفرج لعلهم يرجعون فجاء الياس اليهم وقال لهم انكم قد هلكتم وهلكت الدواب بخطاياكم فان أحببتم ان تعلموا انّ الله ساخط عليكم بفعلكم وأنّ الذي أدعوكم اليه هو الحق فاخرجوا بأصنامكم وادعوها فان استجابت لكم فذلك الحق كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرّج عنكم قالوا انصفت فخرجوا

اليه الامر بجمعه ثم لما مات العزيز استوزره مكانه وتزوج يوسف امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء في دنيا واسعة وكان زوجي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وجمالك فغلبتني نفسي ولما دخل بها وجدها عذراء فولدت له ولدين أحدهما افرايم والآخر منشا وابنة يقال لها رحمة وهي زوجة أيوب عليه السلام روى انه أحبها أضعاف ما كانت تحبه في أول مرة وهي لا تلتفت اليه كما كانت فقال لها ما شأنك لا تحبينني كما كنت تحبينني أول مرة فقالت له لما ذقت محبة الله شغلتني عن كل شئ سواه وكانت قد أسلمت على يديه هي والملك ريان وخلق كثير فعدل يوسف عليه السلام في الاحكام وأحبه الناس والعام ودبر أمورهم في السنين المخصبة حتى دخلت السنون المجدبة وكان القحط قد نزل بأرض يعقوب فلما سمع اخوته باعطائه الميرة بمصر استأذنوا أباهم فأرسلهم يعقوب عليه السلام فحين دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون لانه كان بين رميهم له في الجب وبين قدومهم سبعون سنة وقيل ثمانون سنة فلما عرفوه استحيوا منه واعتذروا اليه عما وقع منهم في حقه فقال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ثم قال لهم ما حال أبي بعدي قالوا ذهبت عيناه من البكا فقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين فقال يهودا أنا ذهبت اليه بالقميص ملطخا بالدم وأنا أذهب باصنامهم

و ياقوت وزبرجد وأما البقية فهى عصا موسى ورضاضة الالواح فحملته الملائكة واتت به الى طالوت نهارا بين السماء والارض والناس ينظرون فاخرجه طالوت اليهم فاقروا بملكه ساخطين وخرجوا معه كارهين وهم ثمانون ألفا فلما خرج قال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى وهو نهر فلسطين وقيل الاردن فشربوا منه الا قليلا وهم اربعة آلاف فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب منه الا غرفة روى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه لقيهم جالوت وكان ذا بأس شديد فلما رأوه رجع أكثرهم وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ولم يبق معه غير ثلثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر فلما رجع من رجع قالوا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وكان فيهم ايشا ابو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابنا وكان داود اصغر بنيه وقد خلفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام وكان قد قال لابيه ذات يوم يا أبتاه ما أرمى بقذافتى شيأ الا صرعته ثم قال له لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبت عليه واخذت باذنيه فلم أخفه ثم أتاه يوما آخر فقال انى لامشى بين الجبال فأسبح فلا يبقى جبل الا سبح معى قال له أبشر فان هذا خير اعطاكه الله فارسل الله الى النبى الذى مع طالوت قرنا فيه دهن وتنورا من حديد فبعث به الى طالوت وقال له ان صاحبكم الذى يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلى حتى يسيل من القرن ولا يجاوز رأسه الى وجهه ويبقى على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه فدعا طالوت بنى اسرائيل فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأحضر داود من رعيه فمر فى طريقه بثلاثة أحجار فكلمته وقالت خذنا يا داود تقتل بنا جالوت فأخذهن فجعلهن فى مخلاته وكان طالوت قد قال من قتل جالوت زوجته ابنتى وأجريت خاتمه فى مملكتى فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه فغلى حتى ادهن منه ولبس التنور فملأه وكان داود مسقاما ازرق مصفارا فلما دخل فى التنور تضايق عليه حتى ملأه وفرح اشمويل وطالوت وبنو اسرائيل بذلك وتقدموا الى جالوت وتصافوا للقتال وخرج داود نحو جالوت وأخذ الاحجار ووضعها فى قذافته ورمى بها جالوت فوقع الحجر بين عينيه فنقب رأسه فقتله ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ منه الى غيره فانهزم عسكر جالوت باذن الله ورجع طالوت فأنكح ابنته داود وأجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود وأحبوه فحسده طالوت وأراد قتله غيلة فعلم ذلك داود ففارقه وجعل فى مضجعه زق خمر وسجاه ودخل طالوت الى منام داود وقد هرب داود فضرب الزق ضربة خرقه فوقعت قطرة من الخمر فى فيه فقال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر فلما أصبح طالوت علم أنه لم يصنع شيأ فخاف داود أن يغتاله فشدد حجابه وحراسه ثم ان داود أتاه من القابلة فى بيته وهو نائم فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فقال يرحم الله داود هو خير منى ظفرت به وأردت قتله وظفر بى فكف عنى وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به وركب طالوت يوما فرأى داود فركض فى أثره فهرب داود منه واختفى فى غار فى الجبل فعمى الله أثره على طالوت ثم ان طالوت قتل العلماء حتى لم يبق أحد الا امرأة كانت تعرف اسم الله الاعظم فسلمها الى

فقتله ايامه ثم يخرج من بنى اسرائيل نبى من ولد اخى لاوى اسمه موسى بن عمران عليه السلام فينجيكم الله على يديه وكان ابو يوسف عليه السلام ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف يستقيم أمركم مادام هذا الديك يصرخ فيكم فحين يولد هذا الجبار يسكت ولا يصرخ مدة ولايته فاذا أذن الله تعالى بمولد هذا النبى عاد الديك الى صراخه فذلك علامة انقضاء مدة ذلك الجبار وظهور نبى الله فى الارض فما زالوا يراعون الحال الى ان ظهر المآل وقبض الله تعالى يوسف وله من العمر مائة وعشرون سنة ولما أرادوا دفنه تشاجر أهل مصر فى مكان القبر فكل يحب ان يدفن فى محلتهم واجتمعوا وهموا بالقتال ثم رأوا أن يدفنوه فى النيل حيث يتفرق الماء لاهل مصر ليمر الماء عليه حتى يكونوا كلهم شركاء ففعلوا ذلك وجعلوه فى تابوت من الرخام وسدوه بالرصاص وطلى بالاطلية الدافعة للهواء والماء ووضع فى وسط النيل نحو مدينة منف وهناك مسجد فلما سار موسى من مصر بعد غرق فرعون ببنى اسرائيل الى التيه نبش يوسف وحمله معه فى التيه حتى مات موسى وحمله يوشع فدفنه بالقرب من نابلس وقيل عند قبر ابراهيم عليه السلام

(الفصل الثالث عشر فى ذكر موسى بن منشا عليه السلام)

وهو موسى بن منشا بن يوسف الصديق عليه السلام غير موسى ابن عمران وذلك لما توفى يعقوب ويوسف عليهما السلام فى الامر الى الاسباط فكثروا ونموا وظهر منهم ملوك وغيروا السنن وأفسدوا فى الارض وفشا فيهم السحر

عشر سنين بغير مدبر ولا رئيس ثم قام بأمرهم بعد ذلك عالى الكاهن وفي أيامه غلب أهل فلسطين على التابوت في قول فلما مضى من وقت قيامه اربعون سنة بعث اشمويل نبيا فدبرهم عشر سنين ثم سألوا اشمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتل بهم أعداءهم

(ذكر حال اشمويل وطالوت)

كان من خبر اشمويل بن بالى ان بنى اسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم الاعداء وأخذ التابوت منهم فصاروا بعده لا يلقون ملكا الا خائفين فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين فظفر بهم فضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله ان يبعث لهم نبيا يقاتلون معه وكان سبط النبوة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها في بيت خيفة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فولدت غلاما سمته اشمويل ومعناه سمع الله دعائى وسبب هذه التسمية انها كانت عاقرا وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة الاولاد فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولدا فرحم الله انكسارها وحاضت لوقتها وقرب منها زوجها فحملت فلما انقضت مدة الحمل ولدت غلاما فسمته اشمويل فلما كبر اسلمته في بيت المقدس يتعلم التوراة وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ أن يبعثه الله نبيا أتاه جبريل وهو يصلى فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ فجاء اليه فقال ما تريد فكره ان يقول لم ادعك فيفزع فقال ارجع فنم فرجع فعاد جبريل لمثلها فجاء الى الشيخ فقال له يا بنى عد فاذا دعوتك فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل وأمره بانذار قومه واعلامهم ان الله بعثه رسولا فدعاهم فكذبوه ثم أطاعوه واقام يدبر أمرهم عشر سنين وقيل أربعين سنة وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم في بني اسرائيل حتى كادوا يهلكونهم فلما رأى بنو اسرائيل ذلك قالوا ابعث لنا ملكا يقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فدعا الله فأرسل اليه عصا وقرنا فيه دهن وقيل له ان صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا واذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى في القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن رأسه به وملكه عليهم فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت دباغا وقيل كان سقاء يسقى الماء ويبيعه فضل حماره فانطلق يطلبه فلما اجتاز بالمكان الذى فيه اشمويل دخل يسأله ان يدعو له ليرد الله حماره فلما دخل نش الدهن فقاسوه بالعصا فكان مثلها فقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وهو بالسريانية شاول بن قيس بن افمار بن ضرار بن يحرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق فقالوا له ما كنت قط أكذب منك الساعة ونحن من سبط المملكة ولم يؤت طالوت سعة من المال فنتبعه فقال اشمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فقالوا ان كنت صادقا فأت بآية فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة والسكينة رأس هر وقيل طشت من ذهب يغسل فيه قلوب الانبياء وقيل غير ذلك وفيه الالواح وهى من در

وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف

ويقال ان السبب في استرقاق يوسف وبيعه اياه ان ابراهيم عليه السلام دخل مصر في بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى أربع فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم عليه السلام فأوحى الله اليه انك ان تنزل لعبادى وهم يمشون معك لاعاقبنك بأن يباع ولد من اولادك في هذه المدينة ويروى أنه أتاه ملك الموت يوما ليزوره فقال له يا ملك الموت ناشدتك الله هل قبضت روح يوسف قال لا قال أجئتنى زائرا أم قابضا فقال له يا نبى الله جئتك زائرا فان الله تبارك وتعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان في الصخرة التى عليها قرار الارض وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال فأعلمنى يا عزرائيل قال هل تذكر الجارية التى اشتريتها لرضاع يوسف وفرقت بينها وبين ولدها ابكثر الحليب لولدك قال نعم قال فلذلك ابتليت بفقد ولدك وأقام يوسف مع اخوته وأبيه سبع عشرة سنة مجتمعين ومات يعقوب بمصر وسار به يوسف الى بيت المقدس ودفنه عند أبيه كما تقدم ولما حضر يوسف الوفاة جمع اليه قومه من بنى اسرائيل وهم ثمانون رجلا فاعلمهم بنزول أمر الله فقالوا يا نبى الله الى من يؤل أمرنا من بعدك فعين لهم مكانه يهودا وقال لهم أمركم يستقيم على ما أنتم عليه الى ان ينشأ رجل عات جبار من القبطية تدعى الربوبية وهو فرعون اللعين يقهركم ويذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب

ويا ورث

بين الناس ويوما يخلو فيه للعبادة ويوما يخلو فيه مع نسائه وكان له تسع وتسعون امرأة
وكان يحسد فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال اي رب ارى الخير قد ذهب به آبائي
فاعطني مثل ما اعطيتهم فأوحى الله اليه ان اباءك ابتلوا ابتلاء فصبروا ابتلى ابراهيم بذبح
ابنه وابتلى اسحق بذهاب بصره وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف فقال رب ابتلني بمثل
ما ابتليتهم وأعطني مثل ما اعطيتهم فأوحى الله اليه انك مبتلى فاحترس وقيل كان سبب
البلية أنه حدث نفسه انه يطيق ان يقطع يوما بغير مقارفة سوء فلما كان اليوم الذي يخلو
فيه للعبادة عزم على ان يقطع ذلك اليوم بغير سوء واغلق بابه واقبل على العبادة فاذا هو
بحمامة من ذهب فيها كل لون حسن قد وقعت بين يديه فاهوى ليأخذها فطارت غير بعيد
من غير ان ييأس من أخذها فما زال يتبعها وهي تفر منه حتى أشرف على امرأة تغتسل
فأعجبه حسنها فلما رأت ظله في الارض جللت نفسها بشعرها فاستترت به فزاده ذلك رغبة
فسأل عنها فأخبر أن زوجها بثغر كذا فبعث الى صاحب الثغر بأن يقدم اوريا بين يدي
التابوت في الحرب وكان كل من يتقدم بين يدي التابوت لا ينهزم اما ان يظفر او يقتل ففعل
ذلك به فقتل وقيل ان داود لما نظر الى المرأة فاعجبته سأل عن زوجها فقيل انه في جيش
كذا فكتب الى صاحب الجيش ان يبعثه في سرية الى عدو كذا ففعل ذلك ففتح الله عليه
فكتب الى داود فأمر ان يرسله ايضا الى عدو كذا اشد منه ففعل فظفر فامر داود ان يرسل
الى عدو ثالث ففعل فقتل اوريا في المرة الثالثة فلما قتل تزوج داود امرأته وهي ام سليمان
في قول قتادة وقيل ان خطيئة داود كانت انه لما بلغه حسن امرأة اوريا تمنى أن تكون له
حلالا فاتفق ان اوريا سار الى الجهاد فقتل فلم يجد له من الهم ما وجد لغيره فبينما داود في
المحراب يوم عبادته وقد اغلق الباب اذ دخل عليه ملكان ارسلهما الله اليه من غير الباب
فراعه ذلك فقالا لا تخف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط
واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها
وعزني في الخطاب اي قهرني وأخذ نعجتي فقال للآخر ما تقول قال صدق اني اردت ان
أكمل نعاجي مائة فأخذت نعجته فقال داود اذا لا ندعك وذاك فقال الملك ما أنت بقادر
عليه قال داود فان لم ترد عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا وأومأ الى انفه وجبهته قال يا داود
انت أحق ان يضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة
واحدة فلم تزل به حتى قتل وتزوجت امرأته ثم غابا عنه فعرف ما ابتلي به وما وقع فيه فخر
ساجدا اربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها وادام البكاء حتى نبت من دموعه عشب
غطى رأسه ثم نادى يا رب قرح الجبين وجمدت العين وداود لم يرجع اليه في خطيئته بشئ
فنودي اجائع فتطعم ام مريض فتشفى ام مظلوم فتنصر قال فنحب نحبة هاج ما كان نبت
فعند ذلك قبل الله توبته وأوحى اليه ارفع رأسك فقد غفرت لك قال يا رب كيف اعلم انك قد
غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء اذا جاء اوريا يوم القيامة آخذا رأسه
بيمينه تشخب اوداجه دما قبل عرشك يقول يا رب سل هذا فيم قتلني فأوحى الله اليه اذا
كان ذلك دعوته وأستوهبك منه فيهبك لي فاهبه بذلك الجنة قال يا رب الآن علمت انك

الارض وبقي سقف الدار قائما بغير عمد فأسلم كل من كان في تلك الدار وكان في أرض قريبة منه تراب فسألوه ان يكون
التراب ماء فسأل الله تعالى فأجابه
فصار التراب ماء وبعثه الله الى
أهل البثنية من الجولان من بلاد
دمشق والجابية وكان كثير المال
والولد فابتلاه الله تعالى في ماله
وولده ونفسه حتى فصل جسمه
وسبب ابتلائه أن ابليس اللعين
حسده وقال يا الهي لو سلطتني
عليه لكفر بك وأطاعني فسلطه
عليه ليظهر صبره وكذب ابليس ثم
ان ابليس فرق عفاريته في المال
فافناه فلما رآه لا يلتفت الى المال
سأل الله تعالى ان يسلطه على ولده
فجاء اليهم وزلزل قصرهم فوقعت
الحيطان عليهم فقتلوا عن آخرهم
فلما بلغه ذلك فقال فصبر جميل
فحينئذ سأل ابليس ان يسلطه على
جسده وقال لا سلطان لك على قلبه
ولسانه وعقله فأتاه وهو ساجد
فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها
جسده ووقعت فيه حكة قال
الكسائي صار جميع بدنه
كالجدري وورم واسود وامتلأ
قيحا ووقع فيه الدود وسال منه
الصديد ووقع فيه الحكاك فجعل
يحكه حتى سقطت أظافيره وتقطع
لحمه وانتن فاخرجه أهل القرية
وجعلوه على كناسة وجعلوا له
عريشا وفي كشف الاسرار انه
سلط على بدنه اثنا عشر الف فروج
من الدود وان الدود لما تناثرت
منه صعدت الى الشجر فخرج من
لعابها الابريسم فصار اشرف اللباس
ببركة أيوب عليه السلام فرفضه
الناس غير امرأته رحمة فكانت تخدمه وقد وقع به بلاء لو سلط على جبل لضعف عن حمله حتى تقطعت اصابعه وما يقدر أن يرفع

رجل يقتلها فرجمها وتركها واخفى أمرها ثم ان طالوت ندم وأراد التوبة وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس فكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي ويقول أنشد الله عبدا علم لى توبة الا أخبرني بها فلما أكثر ناداه مناد من القبور يا طالوت اما رضيت قتلتنا احياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد بكاء وحزنا فرحمه الرجل الذى أمره بقتل تلك المرأة فقال له ان دللتك على عالم املك تقتله قال لا فأخذ عليه العهود والمواثيق ثم أخبره بتلك المرأة فقال سلها هل لى من توبة فحضر عندها وسألها هل له من توبة فقالت ما اعلم له من توبة ولكن هل تعلمون قبر نبي قالوا نعم قبر يوشع بن نون فانطلقت وهم معها فدعت فخرج يوشع فلما رآهم قال ما لكم قالوا جئنا نسألك هل لطالوت من توبة قال ما أعلم له توبة الا أن يتخلى من ملكه ويخرج هو وولده فيقاتلون في سبيل الله حتى تقتل أولاده ثم يقاتل هو حتى يقتل فعسى ان يكون له توبة ثم سقط ميتا ورجع طالوت أحزن مما كان يخاف ان لا يتابعه ولده فبكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فسأله بنوه عن حاله فأخبرهم فتجهزوا للغزو فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم قاتل هو بعدهم حتى قتل وقيل ان النبي الذى بعث لطالوت حتى أخبره بتوبته اليسع وقيل اشمويل والله أعلم وكانت مدة ملك طالوت الى ان قتل اربعين سنة

(ذكر ملك داود)

هو داود بن ايشا بن عوفيد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رام بن حصرون ابن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وكان قصيرا أزرق قليل الشعر فلما قتل طالوت أتى بنو اسرائيل داود فاعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم وقيل ان داود ملك قبل ان يقتل جالوت وسبب ملكه حينئذ أن الله أوحى الى اشمويل ليأمر طالوت بغزو مدين وقتل من بها فسار اليها وقتل من بها الا ملكهم فانه أخذه أسيرا فأوحى الله الى اشمويل قل لطالوت آمرك بأمر فتركته لانزعن الملك منك ومن بنيك ثم لا يعود فيكم الى يوم القيامة وأمر اشمويل بتمليك داود فملكه وسار الى جالوت فقتله والله أعلم فلما ملك بنى اسرائيل جعله الله نبيا وملكا وانزل عليه الزبور وعلمه صنعة الدروع وهو أول من عملها والان له الحديد وأمر الجبال والطير يسبحون معه اذا سبح ولم يعط الله أحدا مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وانها المصيخة تسمع صوته وكان شديد الاجتهاد كثير العبادة والبكاء وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر وكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف وكان يأكل من كسب يده وفي ملكه مسخ اهل أيلة قردة وسبب ذلك أنهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيرا فاذا كان غير يوم السبت لا يجيء اليهم منها شيء فعملوا على جانب البحر حياضا كبيرة وأجروا اليها الماء فاذا كان آخر نهار يوم الجمعة يحولوا الماء الى الحياض فدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج عنها فيأخذونها يوم الاحد فنهاهم بعض أهلها فلم ينتهوا فمسخهم الله قردة وبقوا ثلاثة ايام وهلكوا

(ذكر فتنته بزوجة أوريا)

ثم ان الله ابتلاه بزوجة اوريا وكان سبب ذلك انه قد قسم زمانه ثلاثة ايام يوما يقضي فيه

والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن منشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله تعالى وأداء أمره واقامة سنته وذلك قبل مولد موسى بن عمران بأتى سنة فاطاعه قوم منهم وعصاه آخرون وزعم أهل التوراة انه صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسى بن عمران فلبث في بنى اسرائيل ما شاء الله تعالى ان يقيم ثم مات على ما ذكره أصحاب التواريخ

(الفصل الرابع عشر في ذكر أيوب عليه السلام)

كان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والحاجبين قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو أيوب بن اموص بن رزاح ابن روم بن العيص بن اسحق عليه السلام وكانت أمه بنت لوط عليه السلام وأبوه ممن آمن بابراهيم عليه السلام وتزوج رحمة بنت افرايم بن يوسف عليه السلام وكانت رحمة من أشبه الناس بجدها يوسف فرزقه الله عز وجل منها اثنى عشر بطنا في كل بطن ذكر وأنثى وكان الله تعالى قد اصطفاه وحباه وبسط عليه الدنيا وكان غنيا كثير الضيافة وله أصناف من الاموال الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة ومال وولد وكان يكفل الارامل واليتامى وما كان يشبع حتى يشبع الجائع ومن معجزاته انه دعا أمير بلده الى الاسلام فقال اريد ان تتم سقف داري بلا جدار فدعا الله تعالى فأجابه وسقطت الحيطان الى

بين

والجن والشياطين والطير والريح فكان اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس وقيل انما سخر له الريح والجن والشياطين والطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه وأعاده الله سبحانه اليه على ما ذكره وكان ابيض جسيما كثير الشعر يلبس البياض وكان أبوه يستشيره في حياته ويرجع الى قوله فمن ذلك ما قصه الله في كتابه في قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية وكان خبره ان غنما دخلت كرما نأكلت عناقيده وافسدته فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان او غير ذلك ان يسلم الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها الى أن يعود كرمه الى حاله ثم يأخذ كرمه ويدفع الغنم الى صاحبها فأمضى داود قوله وقال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال بعض العلماء في هذا دليل على ان كل مجتهد في الاحكام الفروعية مصيب فان داود أخطأ الحكم الصحيح عند الله تعالى وأصابه سليمان فقال الله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما وكان سليمان يأكل من كسب يده وكان كثير الغزو وكان اذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون اليه ثم أمر الريح فحملته فسارت في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك وكان له ثلثمائة زوجة وسبعمائة سرية وأعطاه الله انه لا يتكلم أحد بشيء الا حملته الريح اليه فيعلم ما يقول

(ذكر ما جرى له مع بلقيس)

نذكر أولا ما قيل في نسبها وملكها ثم ما جرى له معها فنقول قد اختلف العلماء في اسم أبيها فقيل انها هي بلقمة ابنة ايليشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان وقيل هي بلقمة ابنة الهدهاد واسمه ايلشرح بن تبع ذي الاعذار بن تبع ذي المنار بن تبع الرايش وقيل في نسبها غير ذلك لا حاجة الى ذكره وقد اختلف الناس في التبابعة وتقديم بعضهم على بعض والزيادة في عددهم والنقصان اختلافا لا يحصل الناظر فيه على طائل وكذا أيضا اختلفوا في نسبها اختلافا كثيرا وقال كثير من الرواة ان أمها جنية ابنة ملك الجن واسمها رواحة بنت السكر وقيل اسم أمها يلقمة بنت عمرو بن عمير الجني وانما نكح أبوها الى الجن لانه قال ليس في الانس لي كفؤ فخطب الى الجن فزوجوه واختلفوا في سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم فقيل انه كان لهجا بالصيد فربما اصطاد الجن على صور الظباء فيخلي عنهن فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فانكحه على ان يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين الى عدن وقيل ان أباها خرج يوما متصيدا فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فأمر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء فأفاقت فاطلقها وعاد الى داره وجلس منفردا فاذا معه شاب جميل فذعر منه فقال له لا تخف أنا الحية التي احييتني والاسود الذي قتلته غلام لنا تمرد علينا وقتل عدة من اهل بيتي وعرض على ابيها المال وعلم الطب فقال اما المال فلا حاجة لي به واما الطب فهو قبيح بالملك ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه على شرط ان لا يغير عليها شيئا تعمله ومتى غير فارقته فاجابه الى ذلك

كله وايوب تبصرها فنظرت فاذا برجل فهابت ان تساله فانتهت الى أيوب عليه السلام فقال لها ما تريدين يا امة الله فبكت ثم قالت يا عبد الله أين المبتلى الذي كان ههنا لعل الذئاب ذهبت به فقال ويحك انا أيوب فقالت اتق الله ولا تسخر بي فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت نعم ومالي لا أعرفه فتبسم وقال أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته قال ابن عباس فو الذي نفسي بيده ما فارقته من عناقه حتى رد الله عليهما كل مال لهما وولدهما فذلك قوله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم واختلفوا في مدة ابتلائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث أيوب في بلائه ثمان عشرة سنة وكان له اندران أحدهما للقمح والآخر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين احداهما أفرغت الذهب على اندر القمح وأفرغت الاخرى الورق على اندر الشعير وقيل ان الله تعالى أمطر عليه جرادا من ذهب وأحيا الله أولاده بأعيانهم وآتاه مثلهم وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة وقيل ثلاثا وتسعين سنة وقيل مائتين وعشرين سنة ودفن في المكان الذي ابتلي فيه وقبره مشهور هناك يزار ويتبرك به صلوات الله عليه

(الفصل الخامس عشر في ذكر ذي الكفل عليه السلام)

اسمه بشر بن أيوب عليه السلام بعثه الله تعالى بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكعوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره ان نعصي الله ورسوله فلو سألت الله تعالى ان يطيل

قد غفرت لى قال فما استطاع داود بعدها ان يملأ عينه من السماء حياء من ربه حتى قبض ونقش خطيئته فى يده فكان اذا رآها اضطربت يده وكان يؤتى بالشراب فى الاناء ليشربه فكان يشرب نصفه او ثلثه فيذكر خطيئته فينتحب حتى تكاد مفاصله يزول بعضها من بعض ثم يملأ الاناء من دموعه وكان يقال ان دمعة داود تعدل دموع الخلائق وهو يجئ يوم القيامة وخطيئته مكتوبة بكفه فيقول يارب ذنبي قدمني فيتقدم فلا يأمن فيقول يارب أخرني فلا يأمن وازالت الخطيئة طاعة داود عن بنى اسرائيل واستخفوا بأمره ووثب عليه ابن له يقال له ايشا وامه ابنة طالوت فدعا الى نفسه فكثر اتباعه من أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما تاب الله على داود اجتمع اليه طائفة من الناس فحارب ابنه حتى هزمه ووجه اليه بعض قواده وأمره بالرفق به والتلطف له لعله يأسره ولا يقتله وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فقتله فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر لذلك القائد

(ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود عليه السلام)

قيل أصاب الناس فى زمان داود طاعون جارف فخرج بهم الى موضع بيت المقدس وكان يرى الملائكة تعرج منه الى السماء فلهذا قصده ليدعو فيه فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى فى كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا وكان الشروع فى بنائه لاحدى عشرة سنة مضت من ملكه وتوفى قبل ان يستتم بناءه وأوصى الى سليمان باتمامه وقتل القائد الذى قتل اخاه ايشا بن داود فلما توفى داود ودفنه سليمان تقدم بانفاذ امره فقتل القائد واستتم بناء المسجد بناه بالرخام وزخرفه بالذهب ورصعه بالجواهر وقوى على ذلك جميعه بالجن والشياطين فلما فرغ اتخذ ذلك اليوم عيدا عظيما وقرب قربانا فتقبله الله منه وكان ابتداؤه أولا ببناء المدينة فلما فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد وقد اكثر الناس فى صفة البناء مما يستبعد ولا حاجة الى ذكره وقيل ان سليمان هو الذى ابتدأ بعمارة المسجد وكان داود أراد ان يبنيه فأوحى الله اليه ان هذا بيت مقدس وانك قد صبغت يدك فى الدماء فلست بانيه ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء فلما ملك سليمان بناه ثم ان داود توفى وكان له جارية تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح فيقوم الى عبادته فأغلقتها ليلة فرأت فى الدار رجلا فقالت من أدخلك الدار فقال انا الذى ادخل على الملوك بغير اذن فسمع داود قوله فقال أنت ملك الموت قال نعم قال فهلا أرسلت الى لاستعد للموت قال قد أرسلت اليك كثيرا قال من كان رسولك قال اين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك قال ماتوا قال فهم كانوا رسلى اليك لانك تموت كما ماتوا ثم قبضه فلما مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوته وكان له تسعة عشر ولدا فورثه سليمان دونهم وكان عمر داود لما توفى مائة سنة صح ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وكانت مدة ملكه أربعين سنة

(ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام)

لما توفى داود ملك بعده ابنه سليمان على بنى اسرائيل وكان ابن ثلاث عشرة سنة وآتاه مع الملك النبوة وسأل الله ان يؤتيه ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاستجاب له وسخر له الامر

اللقمة الى فيه الا برنج يده بجهد فلم يرفعان فيه الا بابا بهد ونساقط لحم رأسه فكان ترى من وسط اذنه الاذن الاخرى وان دماغه سال من فمه وتقطعت امعاؤه فكان الطعام يخرج كما دخل وذهبت قوة رجليه فما كان يطيق مجاوزة او وقع الدار على أولاده فماتوا بجمعهم وذهب ماله وماتت ماشيته فصار يسأل الناس فيطعمه من كان اجيرا عنده فصبر على جميع ذلك فلما أقال الله عثرته وكان نهارا الجمعة هبط عليه جبريل عليه السلام وقال أبشر يا ايوب ان الله تعالى قد شفاك ووهب لك كل شئ ذهب منك فركض برجله بأمر ربه فانفجرت له عين ماء فدخل فيها واغتسل وشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج وكسى حلة فاخرة والعين مشهورة ببلاد نوى والجولان والحجر الذى كان يأوى اليه فى حال بلائه فى ذلك المسجد وكان يقول اللهم ان كان هذا من رضاك فشدده وان كان من سخطك فاغفر وسبب سؤاله العافية انه كان له اخوان فاتياه يوما فوجدا منه رائحة منكرة فقالا لو علم الله من هذا خيرا ما بلغ به هذا فما سمع شيأ اشد عليه من ذلك فقال اللهم ان كنت تعلم انى لم أبت ليلة وأنا شبعان وأنا اعلم مكان جائع فصدقنى وهما يسمعان اللهم ان كنت تعلم انى لم البس قميصا وأنا اعلم مكان عار فصدقنى ثم سجد قال اللهم لا ارفع رأسى حتى تكشف ما بى وكان ذلك فى ثامن صفر فلما اذهب الله عنه البلاء خرج من مكانه فجلس واقبلت امرأته فالتمسته فى مضجعه فلم تجده فقامت متفكرة كالوالهة وهى تبكى وذلك وابلس

وقالوا غير ذلك وذكروا من أمر عرشها ما يناسب كثرة حبيشها فلا نطول بذكره وقد تواطؤا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم وانما ذكرنا هذا على قبحه ليقف بعض من كان يصدق به عليه فينتهي الى الحق وما سبب مجيئها الى سليمان واسلامها فانه طلب الهدهد فلم يره وانما طلبه لان الهدهد يرى الماء من تحت الارض فيعلم هل في تلك الارض ماء أم لا وهل هو قريب أم بعيد فبينما سليمان في بعض مغازيه اذا احتاج الى الماء فلم يعلم أحد ممن معه بعده فطلب الهدهد ليسأله عن ذلك فلم يره وقيل بل نزلت الشمس الى سليمان فنظر ليرى من أين نزلت لان الطير كانت تظله فرأى موضع الهدهد فارغا فقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين وكان الهدهد قد مرّ على قصر بلقيس فرأى بستانا لها خلف قصرها فمال الى الخضرة فرأى فيه هدهدا فقال له أين أنت عن سليمان وما تصنع ههنا فقال له ومن سليمان فذكر له حاله وما سخر له من الطير وغيره فعجب من ذلك فقال له هدهد سليمان وأعجب من ذلك ان كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجعلوا الشكر لله ان يسجدوا للشمس من دونه وكان عرشها سريرا من ذهب مكللا بالجواهر النفيسة من اليواقيت والزبرجد واللؤلؤ ثم ان الهدهد عاد الى سليمان فأخبره بعذره في تأخيره فقال له اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم فأتاها وهي في قصرها فألقاه في حجرها فأخذته وقرأته وأحضرت قومها وقالت اني ألقي الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين يا أيها الملأ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين قالت اني مرسلة اليهم بهدية فان قبلها فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى وان لم يقبلها فهو نبي من الله فلما جاءت الهدية الى سليمان قال للرسل أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم الى قوله وهم صاغرون فلما رجع الرسل اليها سارت اليه وأخذت معها الاقيال من قومها وهم القواد وقدمت عليه فلما قاربته وصارت منه على نحو فرسخ قال لاصحابه أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يعني قبل أن تقوم في الوقت الذي تقعد فيه بيتك للغداء قال سليمان أريد أسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وكان يعرف اسم الله الاعظم أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وقال له انظر الى السماء وادم النظر فلا ترد طرفك حتى احضره عندك وسجد ودعا فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريره فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر اذ أتاني به قبل أن يرتد الي طرفي أم أكفر اذ جعل تحت يدي من هو أقدر مني على احضاره فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ولقد تركته في حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء الى ههنا فقال سليمان للشياطين ابنوا لي صرحا تدخل على فيه بلقيس فقال بعضهم ان سليمان قد سخر له ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية أبدا وكانت امرأة شعراء الساقين فقال الشياطين ابنوا له بنيانا يرى ذلك منها فلا يتزوجها فبنوا له صرحا من قوارير خضر وجعلوا له طوابق من قوارير

وكان ضريرا ثم ردّ الله بصره في آخر عمره ومن معجزاته انه كان في ارض مدين رمل عظيم يقاسون منه عناء شديدا فدعا الله تعالى فاجابه وامره بان يشير الى الرمل فأشار اليه فانتقل منه الرمل الى مكان آخر وكان في أرضه حجارة كثيرة فانقلبت بدعائه نحاسا فصار قومه أغنياء بذلك النحاس وكان شعيب عليه السلام اذا أراد أن يصعد الجبل انخفض له حتى يعلو عليه ثم يقوم الجبل كأنه يسير برك حتى علا عليه وكان كما كان وكان قوم شعيب كفارا وكان أرضهم مدين وهي ما بين أرض مصر وأرض الشام وكان غالبهم تجارا عليهم ممر الناس من مصر الى الشام فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان وذلك انهم كانوا يجلسون على الطريق ويبيعون بالكيل والميزان الناقص وكانوا عشارين يقطعون الطريق فلما طال تماديهم في الغي والكفر وايس شعيب من صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين فأجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم الله بالرجفة وهي الزلزلة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فأرسل عليهم رمضا وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وأنضجهم الحر فخرجوا الى البرية فبعث الله تعالى عليهم سحابة وأظلتهم ووجدوا لها بردا وريحا طيبة فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله تعالى عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا وصاروا رمادا وذلك قوله تعالى

حملت منه فولدت له غلاما فالقته في النار فجزع لذلك وسكت للشرط ثم حملت منه فولدت جارية فالقتها الى كلبة فاخذتها فعظم ذلك عليه وصبر للشرط ثم انه عصى عليه بعض اصحابه فجمع عسكره فسار اليه ليقاتله وهي معه فانتهى الى مفازة فلما توسطها راى جميع ما معهم من الزاد يخلط بالتراب واذا الماء يصب من القرب والمزاود فايقنوا بالهلاك وعلموا انه من فعال الجن عن امر زوجته فضاق ذرعا عن حمل ذلك فاتاها وجاس واوما الى الارض وقال يا ارض صبرت لك على احراق ابني واطعام الكلبة ابنتي ثم انت الآن قد فجعتنا بالزاد والماء وقد اشرفنا على الهلاك فقالت المرأة لو صبرت لكان خيرا لك وسأخبرك ان عدوك خدع وزيرك فجعل السم في الازواد والمياه ليقتلك واصحابك فمر وزيرك ليشرب ما بقي من الماء ويأكل من الزاد فامره فامتنع فقتله ودلتهم على الماء والميرة من قريب وقالت اما ابنك فدفعته الى حاضنة تربيه وقد مات واما ابنتك فهي باقية واذا بجويرية قد خرجت من الارض وهي بلقيس وفارقته امرأته وسار الى عدوه فظفر به وقيل في سبب نكاحه اليها غير ذلك والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة واما ملكها اليمن فقيل ان أباها فوض اليها الملك فملكت بعده وقيل بل مات عن غير وصية بالملك لاحد فأقام الناس ابن أخ له وكان فاحشا خبيثا فاسقا لا يبلغه عن بنت قيل ولا ملك ذات جمال الا أحضرها وفضحها حتى انتهى الى بلقيس بنت عمه فأراد ذلك منها فوعدته ان يحضر عندها الى قصرها واعدّت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل اليها وانفرد بها فلما دخل اليها وثبا عليه فقتلاه فلما قتل أحضرت وزراءه فقرعتهم فقالت أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه فقالوا لا نرضى بغيرك فملكوها وقيل ان أباها لم يكن ملكا وانما كان وزير الملك وكان الملك خبيثا قبيح السيرة يأخذ بنات الاقيال والاعيان والاشراف وانها قتلته فملكها الناس عليهم وكذلك أيضا عظموا ملكها وكثرة جندها فقيل كان تحت يدها أربعمائة ملك كل ملك منهم على كورة مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل وكان لها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها وكان لها اثنا عشر قائدا يقود كل قائد منهم اثني عشر ألف مقاتل وبالغ آخرون مبالغة تدل على سخف عقولهم وجهلهم قالوا كان لها اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل مع كل مقاتل سبعون ألف جيش في كل جيش سبعون ألف مبارز ليس فيهم الا ابن خمس وعشرين سنة وما اظن الساعة راوي هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله ولو عرف مبلغ العدد لاقصر عن اقدامه على هذا القول السخيف فان أهل الارض لا يبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساؤهم هذا العدد فكيف ان يكونوا ابناء خمس وعشرين سنة فياليت شعري كم يكون غيرهم ممن ليس من أسنانهم وكم تكون الرعية وأرباب الحرف والفلاحة وغير ذلك وانما الجند بعض أهل البلاد وان كان الحاصل من اليمن قد قل في زماننا فان رقعة أرضه لم تصغر وهي لا تسع هذا العدد قياما كل واحد الى جانب الآخر ثم انهم قالوا أنفقت على كوة بيتها التي تدخل الشمس منها فتسجد لها ثلثمائة ألف أوقية من الذهب

وجاهد أعداءه فقال بشر بن ايوب لقد سألتموني شيأ عظيما وكلفتموني شططا بحسبها أعمارنا ولا يميتنا الا اذا اشتهيناه ثم قام وصلى ودعا وقال الهي امرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وامرتني ان اجاهد اعداءك وانت تعلم اني لا املك الا نفسي وان قومي قد سألوني فيما انت اعلم به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري فأوحى الله تعالى اليه يا بشر اني سمعت مقالة قومك واني قد اعطيتهم ما سألوني وطولت اعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم بذلك فبلغهم بشر رسالة الله تعالى واخبرهم بما اوحي اليه وتكفل لهم كما امره الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم توالدوا وتناسلوا وكثروا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت عليهم معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا ان يدعو الله تعالى ان يردهم الى آجالهم فردهم الى اعمارهم فماتوا آجالهم فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا درهم خمسة اسداسها الروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن العيص ابن اسحق وكان بشر عليه السلام مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وسبعين سنة وقبره في قرية كفل حارس من اعمال نابلس

(الفصل السادس عشر في ذكر شعيب عليه السلام)

اختلف العلماء في نسبه قال ابن الجوزي هو شعيب بن عيفا بن نويب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وامه ميكيل بنت لوط عليه السلام ويقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه بعثه الله تعالى الى اهل مدين واصحاب الايكة والايكة الشجرة الملتفة وكان اصحابه عربا

وقالوا

يوما في هوى امراة قال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ماقلت الا عن شئ بلغك
ودخل داره وكسر الصنم وعاقب تلك المراة وجواريها ثم امر بثياب الطهارة فاتي بها
وهي ثياب تغزلها الابكار اللاتي لم يحضن ولم تمسها امراة ذات دم فلبسها وخرج الى
الصحراء وفرش الرماد ثم اقبل تائبا الى الله وتمعك في الرماد بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا
وبكى واستغفر يومه ذلك ثم عاد الى داره وكانت ام ولد له لا يثق الا بها يسلم خاتمه اليها وكان
لا ينزعه الا عند دخول الخلاء واذا اراد ان يصيب امراة يسلمه اليها حتى يتطهر وكان ملكه في
خاتمه فدخل في بعض تلك الايام الخلاء وسلم خاتمه اليها فاتاها شيطان اسمه صخر الجني في
صورة سليمان فاخذ الخاتم وخرج الى كرسي سليمان وهو في صورة سليمان فجلس عليه
وعكفت عليه الانس والجن والطير وخرج سليمان وقد تغيرت حاله وهيئته فقال خاتمي
فقالت ومن انت قال انا سليمان قالت كذبت لست بسليمان قد جاء سليمان واخذ خاتمه منى
وهو جالس على سريره فعرف سليمان خطيئته فخرج وجعل يقول لبني اسرائيل انا سليمان
فيحثون عليه التراب فلما رأى ذلك قصد البحر وجعل ينقل سمك الصيادين ويعطونه كل يوم
سمكتين يبيع احداهما بخبز ويأكل الاخرى فبقي كذلك اربعين يوما ثم ان آصف وعظماء
بني اسرائيل انكروا حكم الشيطان المتشبه بسليمان فقال آصف يا بني اسرائيل هل رأيتم
من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم قال أمهلوني حتى أدخل على نسائه واسألهن
هل أنكرن ما انكرنا منه فدخل عليهن وسألهن فذكرن اشد مما عنده فقال انا لله وانا اليه
راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج الى بني اسرائيل فأخبرهم فلما رأى الشيطان
انهم قد علموا به طار من مجلسه ومر بالبحر فالقى الخاتم فيه فابتلعته سمكة واصطادها صياد وعمل
له سليمان يومه ذلك فاعطاه سمكتين تلك السمكة احداهما فأخذهما فشق بطنها وأراد ان يشويها فلما
فرأى خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في اصبعه وخر لله ساجدا وعكفت عليه الانس
والجن والطير واقبل عليه الناس ورجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وبعث
الشياطين في احضار صخر الذي أخذ الخاتم فاحضروه فنقب له صخرة وجعله فيها وسد
النقب بالحديد والرصاص والقاه في البحر وكان مقامه في الملك اربعين يوما بقدر عبادة
الصنم في دار سليمان وقيل كان السبب في ذهاب ملكه ان امرأة له كانت ابر نسائه عنده
تسمى جرادة ولا يأتمن على خاتمه سواها فقالت له ان أخي بينه وبين فلان حكومة وانا
أحب ان تقضي له فقال افعل ولم يفعل فابتلي واعطاها خاتمه ودخل الخلاء فخرج
الشيطان في صورته فاخذه وخرج سليمان بعده فطلب الخاتم فقالت ألم تاخذه قال
لا وخرج من مكانه تائها وبقي الشيطان اربعين يوما يحكم بين الناس ففطنوا له واحدقوا
به ونشروا التوراة فقرؤها فطار من بين أيديهم والقى الخاتم في البحر فابتلعه حوت
ثم ان سليمان قصد صيادا وهو جائع فاستطعمه وقال انا سليمان فكذبه وضربه فشجه
فجعل يغسل الدم فلام الصيادون صاحبهم واعطوه سمكتين احداهما التي ابتلعت الخاتم
فشق بطنها وأخذ الخاتم فرد الله اليه ملكه فاعتذروا اليه فقال لا أحمدكم على عذركم ولا
ألومكم على ما كان منكم وسخر الله له الجن والشياطين والريح ولم يكن سخرها له قبل ذلك

عسكر ذي القرنين الاكبر الذي كان في ايام ابراهيم عليه السلام وبلغ معه نهر الحياة فشرب منه وهو لا يعلم به فخلد وهو حي
الى الآن والى يوم ينفخ في الصور
فهو نبي معمر محجوب عن الابصار
وروى محمد بن المتوكل ان الخضر
من أولاد فارس والياس من بني
اسرائيل وهما حيان يلتقيان في
كل عام بالموسم وأكلهما الكرفس
والكمأة فالياس في البر والخضر
في البحر عليهما السلام

*(الفصل الثامن عشر في ذكر موسى الكليم * عليه أفضل الصلاة والتسليم)*

كان موسى عليه السلام رجلا
طويلا جعد الشعر آدم اللون
وكان بلسانه عقدة وثقل وكان فيه
سرعة وعجلة وهو موسى بن عمران
ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب
عليه السلام ولما أراد الله تعالى
ان يفرج عن بني اسرائيل
وينجيهم من فرعون وقومه بعث
موسى عليه السلام وكان من
أمره انه لما ولدته امه كان فرعون
مصر يومئذ الوليد بن مصعب
الريان بن مروان بن علاق بن
لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام
وقد امر بقتل الاطفال لسبب
رؤيا رآها فهالته فخافت عليه
أمه وألقى الله تعالى في قلبها ان
تلقيه في النيل فجعلته في تابوت
وألقته فالتقطته آسية امرأة
فرعون وربته وسمته موسى لانه
وجد بين الماء والشجر فان الماء
بلغتهم المو وسا الشجر فسمي بصفة
المكان الذي وجد فيه فلما كبر
وبلغ أشده رفع عن بني اسرائيل كثيرا
من الظلم فبينما هو يمشي في بعض
الايام اذ وجد اسرائيليا وقبطيا يختصمان فوكز القبطي فقتله ثم اشتهر ذلك وخاف موسى من فرعون فهرب من مصر الى مدين

بيض فبقي كأنه الماء وجعلوا تحت الطوابيق صور دواب البحر من السمك وغيره ووضع سليمان على كرسي ثم أمر فأدخلت بلقيس عليه فلما أرادت ان تدخله ورأت صور السمك ودواب الماء حسبته لجة ماء فكشفت عن ساقيها لتدخل فلما رآها سليمان صرف نظره عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير فقالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فاستشار سليمان في شيء يزيل الشعر ولا يضر الجسد فعمل له الشياطين النورة فهي أول ما عملت النورة ونكحها سليمان وأحبها حبا شديدا وردها الى ملكها باليمن فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام وقيل انه أمرها ان تنكح رجلا من قومها فامتنعت وانفت من ذلك فقال لا يكون في الاسلام الا ذلك فقالت ان كان ولا بد من ذلك فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على الملك وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستعملهم ذو تبع فعملوا له عدة حصون باليمن منها سلحين ومراوح وفليون وهنيدة وغيرها فلما مات سليمان لم يطيعوا ذا تبع وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل بل بقيا وقيل ان بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وانه دفنها بتدمر واخفى قبرها

(ذكر غزوته اباه زوجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم في داره وأخذ خاتمه وعوده اليه)

قيل سمع سليمان بملك في جزيرة من جزائر البحر وشدة ملكه وعظم شانه وانه لم يكن للناس اليه سبيل فخرج سليمان الى تلك الجزيرة وحملته الريح حتى نزل بجنوده بها فقتل ملكها وغنم ما فيها وغنم بنتا للملك لم ير الناس مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على قلة رغبة فيه واحبها حبا شديدا وكانت لا يذهب حزنها ولا تزال تبكي فقال لها ويحك ما هذا الحزن والدمع الذي لا يرقأ قالت اني اذكر ابي وملكه وما اصابه فيحزنني ذلك قال فقد ابدلك الله ملكا خيرا من ملكه وهداك الى الاسلام قالت انه كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما ترى فلو امرت الشياطين فصوروا صورته في داري اراها بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزني فامر الشياطين فعملوا لها مثل صورته لا ينكر منها شيئا وألبستها ثيابا مثل ثياب ابيها وكانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في جواريها فتسجد له ويسجدن معها وتروح عشية ويرحن فتفعل مثل ذلك ولا يعلم سليمان بشيء من امرها اربعين صباحا وبلغ الخبر آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد من منازل سليمان اي وقت اراد من ليل او نهار سواء كان سليمان حاضرا او غائبا فاتاه فقال يا نبي الله قد كبرسني ودق عظمي وقد حان مني ذهاب بعمري وقد احببت ان اقوم مقاما اذكر فيه انبياء الله واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض ما يجهلون قال افعل فجمع له سليمان الناس فقام آصف خطيبا فيهم فذكر من مضى من الانبياء واثنى عليهم حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احلمك في صغرك وابعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فلئ سليمان غضبا فارسل اليه وقال له يا آصف لما ذكرتني جعلت تثني علي في صغري وسكت عما سوى ذلك فما الذي احدثت في آخر امري قال ان غير الله ليعبد في دارك اربعين

فاخذهم عذاب يوم الظلة وقال أبو عبدالله البجلي ابجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت اسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب كلمن فقالت اخته وهي تبكي

كلمن قد هد ركني * هلكه وسط المحله

سيد القوم اتاه الحتف نار وسط ظله * جعلت نارا عليهم دارهم كالمضمحله

وقد رثاهم المنتصر بن المنذر بشعر يقول

ملوك بني حطي وسعفص ذي الندى * وهوز ارباب المقام مع الحجر

هم ملكوا ارض الحجاز باوجه * كمثل شعاع الشمس او صورة البدر

وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا * قصورا وشادوا المكارم والفخر

ولهؤلاء الملوك اخبار عجيبة من حروب وسير تركناها طلب الاختصار ولما اصاب قوم شعيب ما اصاب لحق شعيب عليه السلام والذين آمنوا معه مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا وقيل ان شعيبا توفي في قرية حطين من اعمال صفد وله قبر هناك يزار ويتبرك به وكان عمره مائة واربعين سنة

(الفصل السابع عشر في ذكر الخضر عليه السلام)

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وانما لقب بالخضر لانه حيثما جلس اخضر حوله وقيل اسمه الخضر بن منشا ابن افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام قال ابن اسحق كان الخضر نبيا بعثه الله الى بني اسرائيل بعد شعيب وكان يتكلم على الغيب وهو صاحب موسى عليه السلام وذكر المسعودي في كتابه اخبار الزمان ومن اباده الحدثان ان هذا الخضر ابن خالة الاسكندر وكان على مقدمة

الى رستم الشديد بن داستان بن نريمان بن جوذنك بن كرشاسب وكان اصبهبد سجستان وما يليها وجعله عنده ليربيه فاحسن تربيته وعلمه العلوم والفروسية والآداب وما يحتاج الملوك اليه فلما كمل ما أراد حمله الى أبيه فلما رآه سر به صورة ومعنى وكان ابوه كيكاوس قد تزوج ابنة افراسياب ملك الترك وقيل انها ابنة ملك اليمن فهويت سياوخش ودعته الى نفسها فامتنع فسعت به الى أبيه حتى أفسدته عليه فسأل سياوخش رستم الشديد ان يخاطب أباه لينفذه الى محاربة افراسياب بسبب منعه بعض ما كان قد استقر بينهما وأراد البعد عن أبيه لما من كيد امرأته ففعل ذلك رستم فسيره أبوه وضم اليه جيشا كثيفا فسار الى بلاد الترك للقاء افراسياب فلما سار الى تلك الناحية جرى بينهما صلح فكتب سياوخش الى ابيه يعرفه ما جرى بينه وبين افراسياب من الصلح فكتب اليه والده يأمره بمناهضة افراسياب ومحاربته وفسخ الصلح فاستقبح سياوخش الغدر وانف منه فلم ينفذ ما أمره به ورأى ان ذلك من فعل زوجة والده ليقبح فعله فراسل افراسياب في الامان لنفسه لينتقل اليه فاجابه افراسياب الى ذلك وكان السفير في ذلك فيران بن وكسعان ودخل سياوخش الى بلاد الترك فاكرمه افراسياب وانزله واجرى عليه وزوجه بنتا له يقال لها وسفافريد وهي ام كيخسرو وظهر له من ادب سياوخش ومعرفته بالملك وشجاعته ما خاف على ملكه منه وزاد الفساد بينهما بسعي ابني افراسياب واخيه كند وحسدا منهم لسياوخش فامرهم افراسياب بقتله فقتلوه ومثلوا به وكانت زوجته ابنة افراسياب حاملة منه بابنه كيخسرو فطلبوا الحيلة في اسقاط ما في بطنها فلم يسقط فانكر فيران الذي كان امان سياوخش على يده قتله وحذر عاقبته والاخذ بثاره من والده كيكاوس ومن رستم وأخذ زوجة سياوخش اليه لتضع ما في بطنها او يقتله فلما وضعت رق فيران لها وللمولود ولم يقتله وستر أمره حتى بلغ فسير كيكاوس الى بلاد الترك من كشف أمره وأخذه اليه وحين بلغ خبر قتله الى فارس لبس شادوس بن جودرز السواد حزنا وهو أول من لبسه ودخل على كيكاوس فقال له ما هذا فقال ان هذا اليوم يوم ظلام وسواد ثم ان كيكاوس لما علم بقتل ابنه سير ابابوش مع رستم الشديد وطوس اصبهبد اصبهان لمحاربة افراسياب فدخلا بلاد الترك فقتلا واسرا واثخنا فيها وجرى لهما مع افراسياب حروب شديدة قتل فيها ابنا افراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سياوخش وزعمت الفرس ان الشياطين كانت مسخرة له وانها بنت له مدينة طولها في زعمهم ثلثمائة فرسخ وبنوا عليها اسوارا من صفر وسورا من شبه وسورا من فضة وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والارض وان كيكاوس لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث فيها ثم ان الله أرسل الى المدينة من يخربها فعجزت الشياطين عن المنع عنها فقتل كيكاوس جماعة من رؤسائهم وقال بعض العلماء باخبار المتقدمين ان الذي سخر له فعل الشياطين بامر سليمان بن داود وكان مظفرا لا يناويه أحد من الملوك الا ظهر عليه فلم يزل كذلك حتى حدثته نفسه بالصعود الى السماء فسار من خراسان الى بابل واعطاه الله تعالى قوة ارتفع بها هو ومن معه حتى بلغوا السحاب ثم سلبهم الله تلك القوة فسقطوا

شيأ الا أحرقته تمر بالصخرة التي مثل الجمل فتبلعها حتى يرى ان الصخور في جوفها تتمضغ وتمر بالشجرة العظيمة فتقضمها بانيابها او تحطمها او تبلعها وسمعت [illegible] كانها تطلب شيأ تأكله رجعنا الى القصة فلما سار موسى من مدين الى مصر يريد اخراج أمه واخيه وكان في زمن الشتاء اخطأ الطريق وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق في ليلة مظلمة شاتية فاصابا وأراد ان يقدح فلم يظهر له نار ولا ضوء من العصا واخذ يتأمل فرفعت له نار من جانب الطور فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او شهاب قبس لعلكم تصطلون فلما دنا منها رأى نورا ممتدا من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب وقيل من العليق ليس لها دخان تلتهب وتشتعل من جوف الشجرة الخضراء ولا تزداد الشجرة الا خضرة ونضرة فتحير موسى وخاف وأراد ان يرجع فنودي منها يا موسى انى أنا الله رب العالمين فلما رأى تلك الهيئة علم انه ربه فخفق قلبه ولما عاد عقله اليه نودي ان اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى قيل وكان السبب في خلع نعليه على ما رواه عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت نعلاه من جلد حمار ميت غير مدبوغ ثم قال الله تعالى [illegible] ايناسا له وتسكينا لقلبه وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها الآية فقال الله تعالى القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى فولى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين خذها ولا تخف [illegible] سيرتها الاولى اي نردها ا

وهو أشبه بظاهر القرآن وهو قوله تعالى قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد وقيل في سبب زوال ملكه غير ذلك والله أعلم

(ذكر وفاة سليمان)

لما رد الله الى سليمان الملك لبث فيه مطاعا والجن تعمل له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من شاء ويطلب من شاء حتى اذا دنا أجله وكان عادته اذا صلى كل يوم رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شئ أنت فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو قد صلى ذات يوم ان رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت الخروبة فقال لها لاي شئ أنت قالت لخراب هذا البيت يعني بيت المقدس فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب البيت وقلعها ثم قال اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب وكان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر يدخل طعامه وشرابه فادخله في المرة التي توفي فيها فبينما هو قائم يصلي متوكئا على عصاه أدركه أجله فمات ولا تعلم به الشياطين ولا الجن وهم في ذلك يعملون خوفا منه فاكلت الارضة عصاه فانكسرت فسقط فعلموا انه قد مات وعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب ولو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ومقاساة الاعمال الشاقة ولما سقط أراد بنو اسرائيل ان يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا يوما وليلة فاكلت منها فحسبوا بنسبته فكان أكل تلك العصا في سنة ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب لاتيناك باطيب الشراب ولكنا سننقل لك الماء والطين فهم ينقلون اليها حيث كانت ألم تر الى الطين يكون في وسط الخشبة فهو ما ينقلونه اليها قيل ان الجن والشياطين شكوا ما يلحقهم من التعب والنصب الى بعض أولي التجربة منهم وقيل كان ابليس فقال لهم ألستم تنصرفون باحمال وتعودون بغير احمال قالوا بلى قال فلكم في ذلك راحة فحملت الريح الكلام فالقته في اذن سليمان فامر الموكلين بهم انهم اذا جاؤا بالاحمال والالات التي يبنى بها الى موضع البناء والعمل يحملهم من هناك في عودهم ما ينقلونه من المواضع التي فيها الاعمال ليكون أشق عليهم وأسرع في العمل فاجتاز ولذلك الذي شكوا اليه حالهم فاعلموه حالهم فقال لهم انتظروا الفرج فان الامور اذا تناهت تغيرت فلم تطل مدة سليمان بعد ذلك حتى مات وكان مدة عمره ثلاثا وخمسين سنة وملكه اربعين سنة

(ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباذ)

لما توفي كيقباذ ملك بعده ابنه كيكاوس بن كينية بن كيقباذ فلما ملك حمى بلاده وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له وكان يسكن بنواحي بلخ وولد له ولد سماه سياوخش وضمه

وبينهما مسيرة عشر ليال واتصل بشعيب عليه السلام وزوجه ابنته صفورا وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين وأعطاه العصا وكانت من آس الجنة على قول أكثر العلماء وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام وكان حملها آدم عليه السلام لما هبط الى الارض واتصلت الى شعيب واما صفتها والمآرب التي فيها لموسى عليه السلام فانها كان لها شعبتان ومحجن في احدى الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى عليه السلام اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضيء شعبتاها كالشمعتين واذا احتاج الى الماء أدلاها في البئر فجعلت تمتد على مقدار قعر البئر ويصير في رأسها المحجن شبه الدلو واذا جاع ضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل واذا اشتهى فاكهة غرسها في الارض فتثمر له من ساعتها واذا أراد عبور نهر او بحر من غير سفينة ضرب بها فتفرق الماء باذن الله تعالى ويبدو له طريق متسع يمشي فيه وكان يشرب احيانا من احدى شعبتيها لبنا ومن الاخرى عسلا واذا أعيا في الطريق ركبها فتحمله الى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك رجل وكانت تدله على الطريق وكان اذا احتاج الى الطيب فاح منها الطيب فيطيب ثوبه واذا أراد قتل عدو القاها فترى انها انقلبت حية كاعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم وتصير شعبتاها فمها وفيه اثنا عشر نابا وضرسا الها صريف يخرج منها لهب النار وعيناها تلمعان كالبرق ويلتهب من فيها ريح السموم لا تصيب

الى

واقتتلوا قتالا شديدا اربعة ايام ثم انهزمت الترك وتبعهم الفرس يقتلونهم ويأسرون وادركوا ابن افراسياب فقتلوه وجمع افراسياب بالحادثة وقتل ابنه فاقبل فيمن عنده من العساكر فلقي كيخسرو فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله واشتد الامر فانهزم افراسياب وكثر القتل في الترك فقتل منهم مائة الف وجد كيخسرو في طلب افراسياب ولم يزل يهرب من بلد الى بلد حتى بلغ اذربيجان فاستتر وظفر به واتي به الى كيخسرو فاحضر عنده سأله عن غدره بابيه فلم يكن له حجة ولا عذر فامر بقتله فذبح كما ذبح سياوخش ثم انصرف من اذربيجان مظفرا منصورا فرحا فلما قتل افراسياب ملك الترك بعده اخوه كي سوامف فلما توفي ملك بعده ابنه جرزاسف وكان جبارا عاتيا فلما فرغ كيخسرو من الاخذ بثار ابيه واستقر في ملكه زهد في الدنيا وترك الملك وتنسك واجتهد اهله واصحابه ليلازم الملك فلم يفعل فقالوا له فاعهد الى من يقوم بالملك بعدك فعهد الى لهراسب وفارقهم كيخسرو وغاب عنهم فلا يدرى ما كان منه ولا اين مات وبعض يقول غير ذلك وكان ملكه ستين سنة وملك بعده لهراسب

(ذكر امر بني اسرائيل بعد سليمان)

قيل ثم ملك بعد سليمان على بني اسرائيل ابنه رحبعم بن سليمان وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم افترقت ممالك بني اسرائيل بعد رحبعم فملك افيا بن رحبعم سبط يهوذا وبنيامين دون سائر الاسباط وذلك ان سائر الاسباط ملكوا عليهم يوربعم بن نابط عبد سليمان بسبب القربان الذي كانت جرادة زوجة سليمان قربته في داره للصنم فتوعده الله تعالى ان ينزع بعض الملك عن ولده فكان ملك افيا بن رحبعم ثلاث سنين ثم ملك اسا بن افيا امر السبطين اللذين كان ابوه يملكهما احدى واربعين سنة وكان رجلا صالحا وكان اعرج

(ذكر محاربة اسا بن افيا وزرح الهندي)

قيل كان اسا بن افيا رجلا صالحا وكان ابوه قد عبد الاصنام ودعا الناس الى عبادتها فلما ملك ابنه اسا امر مناديا فنادى الا ان الكفر قد مات واهله وعاش الايمان واهله فليس كافر في بني اسرائيل يطلع راسه بكفر الا قتلته فان الطوفان لم يغرق الدنيا واهلها ولم يخسف بالقرى ولم تمطر الحجارة والنار من السماء الى الارض الا بترك طاعة الله والعمل بمعصيته وشدد في ذلك فاتى بعضهم ممن كان يعبد الاصنام ويعمل بالمعاصي الى ام اسا الملك وكانت تعبد الاصنام فشكوا اليها فجاءت اليه ونهته عما كان يفعله وبالغت في زجره فلم يصغ الى قولها بل تهددها على عبادة الاصنام واظهر البراءة منها فحينئذ ايس الناس منه وانتزح من كان يخافه وساروا الى الهند وكان بالهند ملك يقال له زرح وكان جبارا عاتيا عظيم السلطان قد اطاعه اكثر البلاد وكان يدعو الناس الى عبادته فوصل اليه اولئك النفر من بني اسرائيل وشكوا اليه ملكهم ووصفوا له البلاد وكثرتها وقلة عسكرها وضعف ملكها واطمعوه فيها فارسل الجواسيس فاتوه باخبارها فلما تيقن ذلك جمع العساكر وسار الى الشام في البحر وقال له بنو اسرائيل ان لاسا صديقا ينصره ويعينه قال فاين اسا وصديقه من كثرة عساكري وجنودي وبلغ خبره الى اسا فتضرع الى الله تعالى

من ذي الحجة مبكرا الى شاطئ البحر ليلتقي في تلك الساعة بموسى فخرج هرون واقبل موسى فالتقيا قبل طلوع الشمس قال السدي بلغني ان موسى أتى مصر ليلا فنزل في دار أمه واجتمع بامه وأخيه هرون فقال موسى لهرون انطلق معي الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه قال هرون سمعا وطاعة لامر الله تعالى فانطلقا اليه ودعاه موسى فأجاب كما أخبر الله تعالى في القرآن وأراه موسى عصاه ثعبانا فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض قدر ميل وقامت على ذنبها وأرادت أن تبلع القصر مع ما فيه حتى خاف منه فرعون وأحدث في ثيابه ثم أدخل موسى يده في جيبه وأخرجها وهي بيضاء لها نور تكل منه الابصار فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها الى جيبه وكان من أمرهما مع فرعون ما ذكره الله تعالى في كتابه ثم أحضر لهما السحرة من مدائن الصعيد وكانت سبع مدائن وعدتهم سبعون ألفا وكان اجتماعهم بالاسكندرية وجاؤا بسحر عظيم فحين ألقى موسى عصاه سدت الارض من عظمها وبلغ ذنبها من وراء السحرة فابتلعت جميع ما ألقوا وقصدت القوم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفا فآمن به السحرة فقتلهم فرعون عن آخرهم ولما آمنت السحرة ورجع فرعون وقومه فلوا ادعا عليهم موسى عليه السلام فأرسل الله عليهم الطوفان والجراد

١٣ والقمل والضفادع والدم وأول ما أرسل عليهم السماء بالمطر فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى

وهلكوا وافلت بنفسه واحدث يومئذ وهذا جيعه من اكاذيب الفرس الباردة ثم ان كيكاوس بعد هذه الحادثة تمزق ملكه وكثرت الخوارج عليه وصاروا يغزونه فيظفر مرة ويظفرون أخرى ثم غزا بلاد اليمن وملكها يومئذ ذو الاذعار بن ابرهة ذى المنار بن الرايش فلما ورد اليمن خرج اليه ذو الاذعار وكان قد اصابه الفالج فلم يكن يغزو فلما وطئ كيكاوس بلاده خرج اليه بنفسه وعساكره وظفر بكيكاوس فاسره واستباح عسكره وحبسه فى بئر واطبق عليه فسار رستم من سجستان الى اليمن وأخرج كيكاوس وأخذه وأراد ذو الاذعار منعه فجمع العساكر وأراد القتال ثم خاف البوار فاصطلحا على أخذ كيكاوس والعود الى بلاد الفرس فاخذه وأعاده الى ملكه فاقطعه كيكاوس سجستان وزابلستان وهى أعمال غزنة وأزال عنه اسم العبودية ثم توفى كيكاوس وكان ملكه مائة وخمسين سنة

(ذكر ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس)

لما مات كيكاوس ملك بعده ابن ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس وامه وسفافريد ابنة افراسياب ملك الترك فلما ملك كتب الى الاصبهبذين جميعهم ان يأتوا بعساكرهم جميعا فلما اجتمعوا جهز ثلاثين ألفا مع طوس وأمره بدخول بلاد الترك وان لا يمر بقرية ولا مدينة لهم الا قتل كل من فيها الا مدينة من مدنهم كان بها اخ له اسمه فرود بن سياوخش كان أبوه قد تزوج أمه فى بعض مدائن الترك فاجتاز طوس بها فجرى بينه و بين فرود حرب قتل فيها فرود فبلغ خبره كيخسرو فعظم عليه وكتب الى عم له كان مع طوس يأمره بالقبض على طوس وارساله مقيدا والقيام بامر الجيش ففعل ذلك وسار بالعسكر نحو افراسياب فسير افراسياب العساكر اليه فاقتتلوا قتالا شديدا كثرت فيه القتلى وانحازت الفرس الى رؤس الجبال وعادوا الى كيخسرو فوبخ عمه ولامه واهتم بغزو الترك فامر بجمع العساكر بجميعها وان لا يتخلف أحد فلما اجتمعوا اعلمهم انه يريد قصد بلاد الترك من أربعة وجوه فسير جودرز فى أعظم العساكر وأمره بالدخول الى بلاد الترك مما يلى بلخ واعطاه درفش كابيان وهو العلم الاكبر الذى لهم وكانوا لا يرسلونه الا مع بعض أولاد الملوك لامر عظيم وسير عسكرا آخر من ناحية الصين وسير عسكرا آخر مما يلى الخزر وعسكرا آخر بين هذين العسكرين فدخلت العساكر بلاد الترك من كل جهاتها واخربتها الا سيما جودرز فانه قتل واخرب وسبى وتبعه كيخسرو بنفسه فى طريقه فوصل اليه وقد قتل جماعة كثيرة من أهل افراسياب واثخن فيهم وراه قد قتل خمسمائة الف ونيفا وستين الفا واسر ثلاثين ألفا وغنم مالا يعد ولا يحصى وعرض عليه من قتل من أهل افراسياب وطراخنته فعظم جودرز عنده وشكره واقطعه اصبهان وجرجان ووردت عليه الكتب من عساكره الداخلة من تلك الوجوه الى الترك بما قتلوا وغنموا واخربوا وانهم هزموا لافراسياب عسكرا بعد عسكر فكتب اليهم ان يجدوا فى محاربتهم ويوافوه بموضع سماه لهم فلما بلغ افراسياب قتل من قتل من طراخنته وأهله وعساكره عظم ذلك عليه فسقط فى يديه ولم يكن بقى عنده من أولاده الا ولده شيده فوجهه فى جيش نحو كيخسرو فسار اليه

واقتتلوا

كما كانت وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فادخل يده فى جيبه ثم اخرجها فاذا هى نور تلتهب بكل عنة البصر ثم ردها فرجعت كما كانت فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك ثم قال اذهب الى فرعون انه طغى الى قوله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى ويقال ان الله تعالى كلمه فى تلك المدة بمائة الف وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة وقتلت نفسا بغير حق وسئل موسى من اين عرفت ان الذى يكلمك هو ربك تعالى فقال لان كلام المخلوق يسمع بحاسة واحدة وهى السمع وانى كنت اسمع كلام الله من جميع الجهات بجوارحى كلها فلما أمر الله تعالى موسى عليه السلام بابلاغ الرسالة ولم يمكنه الاجتماع مع أهله وكان قلبه مشتغلا بولده واراد ان يراه فامر الله تعالى ملكا فقدّ بيده وجاء به ملفوفا بخرقة وناوله لموسى فاخذ حجرين وجعل يحك أحدهما بالآخر حتى حدده كالسكين وختن به ابنه ثم عالج الملك الولد المختون حتى برئ من ساعته باذن الله تعالى ثم ردّه الملك الى موضعه وسار موسى ولم يزل أهل موسى مقيمين فى ذلك الموضع لا يدرون ما فعل بموسى حتى مر راع من اهل مدين فعرفهم واحتملهم وردّهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى عليه السلام بعد ما اغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى موسى فلما قرب موسى من مصر أوحى الله تعالى الى هرون أخيه يبشره بقدوم موسى الى مصر ويخبره انه قد جعله وزيرا ورسولا معه الى فرعون وأمره ان يسير يوم السبت لعشر خلت

ان صاحب شعيا في هذه القصة اسمه صدقيا على ما يرد ذكره

(ذكر شعيا والملك الذى معه من بنى اسرائيل ومسير سنحاريب الى بنى اسرائيل)

قيل كان الله تعالى قد أوحى الى موسى ما ذكر في القرآن وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا فكثر في بنى اسرائيل الاحداث والذنوب وكان الله يتجاوز عنهم متعطفا عليهم وكان من أول ما أنزل الله عليهم عقوبة لذنوبهم ان ملكا منهم يقال له صدقيا وكانت عادتهم اذا ملك عليهم رجل بعث الله اليه نبيا يرشده ويوحى اليه ما يريد ولم يكن لهم شريعة غير التوراة فلما ملك صدقيا بعث الله تعالى ليه شعيا وهو الذى بشر بعيسى ومحمد عليه السلام فلما قارب أن ينقضى ملكه عظمت الاحداث في بنى اسرائيل فارسل الله عليهم سنحاريب ملك بابل في عساكر يغص بها الفضاء فسار حتى نزل بيت المقدس وأحاط به وملك بنى اسرائيل مريض في ساقه قرحة فأتاه النبي شعيا وقال له ان الله يأمرك أن توصى وتعهد فانك ميت فأقبل الملك على الدعاء والتضرع فاستجاب الله له وأوحى الله الى شعيا انه قد زاد في عمر الملك صدقيا خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك زال عنه الالم وجاءته الصحة ثم ان الله أرسل على عساكر سنحاريب ملكا صاح بهم فماتوا غير ستة نفر منهم سنحاريب وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر في قول بعضهم فخرج صدقيا وبنو اسرائيل الى معسكرهم فغنموا ما فيه والتمسوا سنحاريب فلم يجدوه فأرسل الطلب في أثره فوجدوه ومعه أصحابه فأخذوهم وقيدوهم وحملوهم اليه فقال لسنحاريب كيف رأيت صنع ربنا بك فقال قد أتانى خبر ربكم ونصره اياكم فلم أسمع ذلك فطاف بهم حول بيت المقدس ثم حبسهم وأوحى الله الى شعيا بأمر الملك باطلاق سنحاريب ومن معه فاطلقهم فعادوا الى بابل وأخبروا قومهم بما فعل الله بهم وبعساكرهم وبقى بعد ذلك سبع سنين ثم مات وقد زعم بعض أهل الكتاب ان بنى اسرائيل سار اليهم قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل يقال له كفروح ان بختنصر ابن عمه وكاتبه وان الله أرسل عليهم ريحا فاهلكت جيشه وأفلت هو وكاتبه وان هذا البابلى قتله ابن له وان بختنصر غضب لصاحبه فقتل ابنه الذى قتله وان سنحاريب سار بعد ذلك وكان ملكه بنينوى وغزا مع ملك اذربيجان يومئذ بنى اسرائيل فاوقع بهم ثم اختلف سنحاريب وملك اذربيجان وتحاربا حتى تفانى عسكراهما فخرج بنو اسرائيل وغنموا ما معهم وقيل كان ملك سنحاريب الى أن توفى تسعا وعشرين سنة وكان ملك بنى اسرائيل الذى حصره سنحاريب حزقيا فلما توفى حزقيا ملك بعده ابنه منشا خمسا وخمسين سنة ثم ملك بعده امون الى أن قتله أصحابه

الشمس قبل أن يؤدى ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا ولما أراد الله تعالى هلاك فرعون وخلاص بنى اسرائيل من هذه الشدة أمر الله تعالى موسى ان يتخذ عيدا هو وقومه وان يستعيروا العيدهم من آل فرعون الحلى وأنواع الزينة لان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام في زمانه أيام القحط فبقى ذلك في يد القبط وأراد الله تعالى ان يورثه لبنى اسرائيل فامر فرعون أهله بان يعيروا لبنى اسرائيل جميع ما في خزائنه من أنواع الحلى وما في يد قومه حتى بقى في يد موسى وقومه أفضل أموال أعدائه ومسخ ما بقى عندهم حجارة حتى الحمصة والعدسة وأخرج الله كل ولد زنا كان في بنى اسرائيل من القبط حتى رجع كل الى أبيه وأمر موسى عليه السلام ان يسرى بقومه من مصر ليلا وألقى الله الموت في ابكار القبط فماتت كلهن في تلك الليلة وكن سبعين ألف بكر فلما أصبحوا اشتغلوا بدفنهن وبما نالهم من حزنهن وسرى موسى بقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين لصغره وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن بناتهم وبلغهم خروج بنى اسرائيل تبعهم فرعون على مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف رجل وكان بين يدى فرعون مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب سرابيه مائة ألف أصحاب أعمدة فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة فنظروا فاذا هم بفرعون وقومه فبقوا

واظهر الضعف والعجز عن الهندي وسال الله النصرة عليه فاستجاب الله له وأراه في المنام
انى سأظهر من قدرتي في رزح الهندي وعساكره ما أكفيك شرهم وأغنمكم أموالهم
حتى يعلم أعداؤك ان صديقك لا يطاق وليه ولا ينهزم جنده ثم سار رزح حتى أرسى
بالساحل وسار الى بيت المقدس فلما صار على مرحلتين منه فرق عساكره فامتلأت منهم
تلك الارض وملأت قلوب بني اسرائيل رعبا وبعث اسا العيون فعادوا وأخبروه من
كثرتهم بما لم يسمع بمثله وسمع الخبر بنو اسرائيل فصاحوا وبكوا وودع بعضهم بعضا
وعزموا على أن يخرجوا الى رزح ويستسلموا اليه وينقادوا له فقال لهم ملكهم
ان ربي قد وعدني بالظفر ولا خلف لوعده فعاودوا الدعاء والتضرع ففعلوا ودعوا بجمعهم
وتضرعوا ففزعوا ان الله أوحى اليه يا اسا ان الحبيب لا يسلم حبيبه وأنا الذى أكفيك
عدوك فانه لا يهون من توكل على ولا يضعف من تقوى بي وقد كنت تذكرني في الرخاء
فلا أسلمك في الشدة وسأرسل بعض الزبانية يقتلون أعداءك فاستبشر وأخبر بني اسرائيل
فاما المؤمنون فاستبشروا واما المنافقون فكذبوه وأمره الله بالخروج الى رزح في
عساكره فخرج في نفر يسير فوقفوا على رابية من الارض ينظرون الى عساكره فلما رآهم
رزح احتقرهم واستصغرهم وقال انما خرجت من بلادى وجمعت عساكرى وأنفقت
أموالي لهذه الطائفة ودعا النفر من بني اسرائيل الذين قصدوه وابلوا اسير الذين
أرسلهم ليختبروا له وقال كذبتموني وأخبرتموني بكثرة بني اسرائيل حتى جمعت العساكر
وفرقت أموالي ثم أمر بهم فقتلوا وأرسل الى اسا يقول له أين صديقك الذى ينصرك
ويخلصك من سطوتي فأجابه اسا يا شقي انك لا تعلم ما تقول أتريد ان تغالب الله بقوتك أم
تكاثره بقلتك وهو معي في موقفي هذا وان يغلب أحد كان الله معه وستعلم ما يحل بك
فغضب رزح من قوله وصف عساكره وخرج الى قتال اسا وأمر الرماة فرموهم بالسهام
فبعث الله من الملائكة مددا لبني اسرائيل فأخذوا السهام ورموا بها الهنود فقتلت كل
انسان منهم نشابته فقتل جميع الرماة فضج بنو اسرائيل بالتسبيح والدعاء وتراءت
الملائكة للهنود فلما رآهم رزح ألقى الله الرعب في قلبه وسقط في يده ونادى في عساكره
يأمرهم بالحملة عليهم ففعلوا وقتلتهم الملائكة ولم يبق منهم غير رزح وعبيده ونسائه فلما
رأى ذلك ولى هاربا وهو يقول قتلني صديق اسا فلما رآه اسا مدبرا قال اللهم انك ان
تمهله كان استنفر علينا ثانيه وبلغ رزح ومن معه الى البحر فركبوا السفن فلما سارت
بهم أرسل الله عليهم الرياح فغرقتهم أجمعين ثم ملك بعد اسا ابنه ساقاط الى أن هلك خمسا
وعشرين سنة ثم ملكت عزليا بنت عمرم أخت اخزيا وكانت قتلت أولاد ملوك بني
اسرائيل ولم يبق منهم الا يواش بن اخزيا وهو ابن ابنها فانه ستر عنها ثم قتلها يواش وأصحابه
وكان ملكها سبع سنين ثم ملك يواش أربعين سنة ثم قتله أصحابه وهو الذى قتل جدته ثم
ملك عوزيا بن امصيا بن يواش ويقال له عوزيا الى أن توفي اثنتين وخمسين سنة ثم ملك يوثام
ابن عوزيا الى أن توفي ست عشرة سنة ثم ملك حزقيا بن احاز الى أن توفي فيقال انه صاحب
شعيا الذى أعلمه شعيا انقضاء عمره فتضرع الى ربه فزاده وأمر شعيا باعلامه ذلك وقيل

جلس منهم غرق مع ان بيوتهم مختلطة ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة فتضرعوا الى موسى عليه السلام
ووعدوه ان كشف عنهم ليؤمنوا
فدعا فكشف عنهم فرجعوا الى
طغيانهم فأرسل الله عليهم الجراد
فأكل جميع ما بأيديهم حتى الابواب
وسقوف البيوت ومسامير الحديد
حتى وقعت دورهم وابتلوا
بالجوع ولم يصب بني اسرائيل
شئ من ذلك فتضرعوا الى
موسى عليه السلام كما سبق فدعا
فكشف عنهم فرجعوا الى
كفرهم فارسل الله عليهم القمل
وقد اختلفوا في القمل فمنهم من
قال القمل باسكان الميم وقيل
السوس وقيل الدبا فأكل شعورهم
وابشارهم ولزم جلودهم ومنعهم
النوم ولم يصابوا بشئ أشد منه
فصاحوا الى موسى فدعا
فكشف عنهم فعادوا الى ضلالهم
فارسل عليهم الضفادع وكانت
تدخل في فرشهم وثيابهم واذا
أراد الرجل أن يتكلم أو يأكل
دخلت في فمه وتلقى نفسها في
طعامهم وقدورهم وهي تغلى
فقالوا ادع لنا ربك ان يكشفها
عنا فدعا فكشفت فرجعوا الى
غيهم فبعث الله عليهم الدم فرجع
ماؤهم الى الدم فصاروا يشربون
دما وقيل سلط عليهم الرعاف وكان
مكث كل عذاب سبعة أيام من
السبت الى السبت ويكشف
عنهم مقدار شهر ثم يعود غيره فلم
يؤمنوا وكان فرعون قد استعبد
بني اسرائيل اى اتخذ رجالهم
خدما والنساء يغزلن الكتان
وينسجن والضعفاء والشيوخ العاجزون عن الخدمة جعل عليهم ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه

ان

عند اخبار سابور ذي الاكتاف ان من جملة الاسباب الموجبة لعزوة العرب هذا القول والله أعلم ثم ان بشتاسب أحضر زرادشت وهو ببلخ فلما قدم عليه شرع له دينه فأعجبه واتبعه وقهر الناس على اتباعه وقتل منهم خلقا كثيرا حتى قبلوه ودانوا به وأما المجوس فيزعمون ان أصله من اذربيجان وانه نزل على الملك من سقف ايوانه وبيده كبة من نار يلعب بها ولا تحرقه وكل من أخذها من يده لم تحرقه وانه اتبعه الملك ودان بدينه وبنى بيوت النيران في البلاد وأشعل من تلك النار في بيوت النيران فيزعمون ان النيران التي في بيوت عباداتهم من تلك الى الآن وكذبوا فان النار التي للمجوس طفئت في جميع البيوت لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان ظهور زرادشت بعد مضي ثلاثين سنة من ملك بشتاسب وأتاه بكتاب زعم انه وحي من الله تعالى وكتب في جلد اثني عشر ألف بقرة حفرا ونقشا بالذهب فجعله بشتاسب في موضع باصطخر ومنع من تعليمه العامة وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون بدين الصابئة وسنرد باقي اخباره

(ذكر مسير بختنصر الى بني اسرائيل)

قد اختلف العلماء في الوقت الذي أرسل فيه بختنصر على بني اسرائيل فقيل كان في عهد أرميا النبي ودانيال وحننيا وعزاريا وميشائيل وقيل انما أرسله الله على بني اسرائيل لما قتلوا يحيى بن زكريا والاول أكثر وكان ابتداء أمر بختنصر ما ذكره سعيد بن جبير قال كان رجل من بني اسرائيل يقرأ الكتب فلما بلغ الى قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد قال أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني اسرائيل على يده فأرى في المنام مسكينا يقال له بختنصر ببابل فسار على سبيل التجارة الى بابل وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم حتى دلوه على بختنصر فأرسل من يحضره فرآه صعلوكا مريضا فقام عليه في مرضه يعالجه حتى برأ فلما برأ أعطاه نفقة وعزم على السفر فقال له بختنصر وهو يبكي فعلت معي ما فعلت ولا أقدر على مجازاتك قال الاسرائيلي بلى تقدر عليه تكتب لي كتابا ان ملكت أطلقتني فقال أتستهزئ بي فقال انما هذا أمر لا محالة كائن ثم ان ملك الفرس أحب أن يطلع على أحوال الشام فأرسل انسانا يثق به ليتعرف له اخباره وحال من فيه فسار اليه ومعه بختنصر فقيرا لم يخرج الا للخدمة فلما قدم الشام رأى أكثر بلاد الله خيلا ورجالا وسلاحا فغث ذلك في ذرعه فلم يسأل عن شئ وجعل بختنصر يجالس مجالس أهل الشام فيقول لهم ما يمنعكم ان تغزوا بابل فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شئ فكلهم يقول له لا نحسن القتال ولا نراه فلما عادوا أخبر الطليعة بما رأوا من الرجال والسلاح والخيل وأرسل بختنصر الى الملك يطلب اليه ان يحضره ليعرفه جلية الحال فأحضره فأخبره بما كان جميعه ثم ان الملك أراد أن يبعث عسكرا الى الشام أربعة آلاف راكب جريدة واستشار فيمن يكون عليهم فأشار بعض أصحابه فقال لا بل بختنصر فجعله عليهم فساروا فغنموا وأوقعوا ببعض البلاد وعادوا سالمين ثم ان لهراسب استعمله اصبهبذا على ما بين الاهواز الى أرض الروم من غربي دجلة وكان السبب في مسيره الى بني اسرائيل انه لما استعمله لهراسب كما ذكرنا سار الى الشام فصالحه أهل دمشق

مشهورة القمل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم فلما شمت الخيل ريحها اقتحموا البحر في اثرها وجاء ميكائيل في ساقة القوم يستحثهم حتى لم يبق منهم احد فلما هم اولهم ان يخرج وآخرهم قد دخل امر الله تعالى البحران يأخذهم فالتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم اجمعين وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل الآية فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين قال فجعل جبريل عليه السلام يدس في فيه حما البحر وخاف ان يعيد بقالة الشهادة او يقول كلمة يرحمه الله بها فلما سمعت بنوا اسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ما هذه الرجة قال لهم ان الله تعالى قد اهلك فرعون ومن كان معه غرقا فلم يصدقوا بموت فرعون فامر الله البحر فالقاه على ساحل البحر حتى نظر اليه بنوا اسرائيل كلهم وكان غرقه في اليوم الثالث من جمادي الآخرة فلما اغرق الله تعالى فرعون وقومه ونجا موسى ومن معه ولم يبق في مدائن فرعون الا النساء والصبيان والمرضى استخلف عليهم رجل منهم وسار موسى ومن معه من بني اسرائيل الى الارض المقدسة ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فذهب موسى عليه السلام لميقات ربه واتاهم بالتوراة وهي مكتوبة بالذهب على تسعة الواح من زمرد اخضر فابوا ان يقبلوها لان شريعته كانت ثقيلة فامر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين وهو الطور فانقلع من اصله وارتفع حتى قام على رؤسهم وبعث نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر من خلفهم وقيل لهم خذوا

اثنتي عشرة سنة ثم ملك ابنه يوشيا الى ان قتله فرعون مصر الاعرج احدى وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابنه ياهو احاز بن يوشيا فعزله فرعون الاعرج واستعمل بعده يوياقيم بن ياهو احاز ووظف عليه خراجا يحمله اليه وكان ملكه اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه يوياحين فغزاه بختنصر واشخصه الى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه وملك بعده يقونيا ابن عمه وسماه صدقيا وخالفه فغزاه وظفر به وحمله الى بابل وذبح ولده بين يديه وسمل عينيه وخرب بيت المقدس والهيكل وسبى بني اسرائيل وحملهم الى بابل فمكثوا الى ان عادوا اليه على ما نذكره ان شاء الله وكان جميع ملك صدقيا احدى عشرة سنة وقيل ان شعيا أوحى الله اليه ليقوم في بني اسرائيل يذكرهم بما يوحي الله على لسانه لما كثرت فيهم الاحداث ففعل فعدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها وأخذ الشيطان بهدب ثوبه وأراه بني اسرائيل فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه في وسطها وقيل في أسماء ملوكهم غير ذلك تركناه كراهة التطويل ولعدم الثقة بصحة النقل به

(ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهور زرادشت)

قد ذكرنا ان كيخسرو لما حضرته الوفاة عهد الى ابن عمه لهراسب بن كيوجي بن كيكاووس فهو ابن ابن كيكاووس فلما ملك اتخذ سريرا من ذهب وكلله بانواع الجواهر وبنيت له بارض خراسان مدينة بلخ وسماها الحسناء ودون الدواوين وقوى ملكه بانتخاب الجنود وعمر الارض وجبى الخراج لارزاق الجند واشتدت شوكة الترك في زمانه فنزل مدينة بلخ لقتالهم وكان محمودا عند أهل مملكته شديد القمع لاعدائه المجاورين له شديد التفقد لاصحابه بعيد الهمة عظيم البنيان وشق عدة أنهار وعمر البلاد وحمل اليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج وكاتبوه بالتمليك هيبة له وحذرا منه ثم انه تنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه بشتاسب في الملك وكان ملكه مائة وعشرين سنة وملك بعده ابنه بشتاسب وفي أيامه ظهر زرادشت بن سفيمان الذي ادعى النبوة وتبعه المجوس وكان زرادشت فيما يزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض تلامذة أرميا النبي خاصا به فخانه وكذب عليه فدعا الله عليه فبرص ولحق ببلاد اذربيجان وشرع بها دين المجوس وقيل انه من العجم وصنف كتابا وطاف به الارض فما عرف أحد معناه وزعم انه لغة سماوية خوطب بها وسماه اشتا فسار من اذربيجان الى فارس فلم يعرفوا ما فيه ولم يقبلوه فسار الى الهند وعرضه على ملوكها ثم أتى الصين والترك فلم يقبله أحد وأخرجوه من بلادهم وقصد فرغانة فاراد ملكها ان يقتله فهرب منها وقصد بشتاسب بن لهراسب فامر بحبسه فحبس مدة وشرح زرادشت كتابه وسماه زند ومعناه التفسير ثم شرح الزند بكتاب سماه بازند يعني تفسير التفسير وفيه علوم مختلفة كالرياضات واحكام النجوم والطب وغير ذلك من اخبار القرون الماضية وكتب الانبياء وفي كتابه تمسكوا بما جئتكم به الى ان يجيئكم صاحب الجمل الاحمر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك على رأس ألف سنة وستمائة سنة وبسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب ثم يذكر

مشرقين وقالوا انا لمدركون قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعادت ترمي بموج كالجبال من اشتداد غضب الله تعالى والبحر هو بحر القلزم فقال له يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت وقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى من ههنا فخاض يوشع بن نون وجاز البحر فما ابتل حافر دابته وكذلك حزقيل مؤمن آل فرعون جاز البحر فاراد القوم ان يصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فصار موسى ولم يدر كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب فانفرق في البحر اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق ثم أرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا اعلمكم الكلمات التي تكلم بهن موسى عليه السلام حين جاز البحر بنو اسرائيل قلنا بلى يا رسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فخاضت بنو اسرائيل في البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء جامدا كالجبال الضخمة لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد غرق اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان اشتبكي فصار الماء مشتبكا فكان ينظر بعضهم بعضا حتى جاوزوا البحر سالمين ولما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر ووصلت مقدمة عسكر فرعون راوا البحر منفلقا فهاب قومه ان يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون انثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس انثى

بعثك بالحق ما أعلم كرامة يؤتيها أحد من الناس الى ذوى رحمه الا وقد آتيتها اليهم وأفضل
من ذلك فلم يزدادوا الا سوء سيرة فقال ارجع الى أهلك واحسن اليهم فقام الملك من عنده
فلبث أياما ونزل بختنصر على بيت المقدس با كثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل
وقال ملكهم لارميا اين ما وعدك ربك فقال انى بربى واثق ثم ان الملك الذى ارسله الله
بسبقى أرميا عاد اليه وهو قاعد على جدار بيت المقدس فقال مثل قوله الاول وشكا
اهله وجورهم وقال له يانبى الله كل شئ كنت أصبر عليه قبل اليوم لان ذلك كان فيه
سخطى وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم من سخط الله تعالى فلو كانوا على ما كانوا عليه
اليوم لم يشتد عليهم غضبى وانما غضبت اليوم لله وانيتك لاخبرك خبرهم وانى أسألك بالله
الذى بعثك بالحق الا ما دعوت الله عليهم ان يهلكوا فقال ارميا يامالك السموات
والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم
فلما خرجت الكلمة من فيه أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس والتهب مكان
القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ
الرماد على رأسه وقال يامالك السموات والارض يا أرحم الراحمين أين ميعادك يارب
الذى وعدتنى به فأوحى الله اليه انه لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك التى أفتيت رسولنا
فاستيقن انها فتياه وان السائل كان من عند الله وخرج أرميا حتى خالط الوحش ودخل
بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت
المقدس وأمر جنوده فملؤا التراب وألقوه فيه حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى بابل
وأخذ معه سبايا بنى اسرائيل وأمرهم فجمعوا من كان فى بيت المقدس كلهم فاجتمعوا
واختار منهم مائة ألف صبى فقسمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه وكان من أولئك
الغلمان دانيال النبى وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقسم بنى اسرائيل ثلاث فرق فقتل ثلثا
وأقر بالشام ثلثا وسبى ثلثا ثم عمر الله بعد ذلك أرميا فهو الذى روئى بفلوات الارض
والبلدان ثم ان بختنصر عاد الى بابل وأقام فى سلطانه ما شاء الله ان يقيم ثم رأى رؤيا فبينما
هو قد أعجبه ما رأى اذ رأى شيأ أنساه ما رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل
وقال أخبرونى عن رؤيا رأيتها فانسيتها وائن لم تخبرونى بها وبتأويلها الانزعن أكتافكم
فخرجوا من عنده ودعوا الله وتضرعوا اليه وسألوه ان يعلمهم اياها فاعلمهم الذى سألهم
عنه فجاؤا الى بختنصر فقالوا رأيت تمثالا قال صدقتم قالوا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه
وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد فبينما أنت
تنظر اليه قد اعجبك ارسل الله عليه صخرة من السماء فدقته وهى التى انستك الرؤيا قال
صدقتم فما تأويلها قالوا اريت ملك الملوك فبعضهم كان الين ملكا من بعض وبعضهم
كان احسن ملكا من بعض وبعضهم اشد وكان اول الملك الفخار وهو اضعفه والينه ثم
كان فوقه النحاس وهو افضل منه واشد ثم كان فوق النحاس الفضة وهى افضل من
ذلك واحسن ثم كان فوقها الذهب وهو احسن من الفضة وافضل ثم كان الحديد وهو
ملكك فهو اشد الملك واعز وكانت الصخرة التى رايت ان ارسل الله ملكا من السماء فدق

اهزأته وقال لها انظرى الى من اتوا لمحاربتنا ونزلوا بارضنا ثم اخرجهم من الحزمة وطرحهم بين يديها فتغلرتهم ونجيت
من اطاقة ابدانهم فاراد عوج ان
يطحنهم برجله فمنعته زوجته وقالت
دعهم حتى يرجعوا الى قومهم
ويخبروهم بما راوا فتركهم عوج
فساروا فى المدينة واسمها اريحا
وهى الارض المقدسة يسكنها يومئذ
العمالقة وهم من ولد عملاق بن
لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام
وجعلوا ينظرون الى الجبارين
وما هم عليه من عظيم خلقتهم
وشدة القوة والمنعة وراوا فاكهتهم
واذا العنقود من العنب تحمله
خمسة رجال فى خشبة والرمانة اذا
نزع حبها يسع قشرها اربعة
رجال من بنى اسرائيل فهالهم ذلك
ورجعوا فلما بلغ الجبارين نزول
عسكر موسى قالوا لملكهم ياتى
ابن صافون هنا رجل يقال له بلعام بن
باعورا بن عارب بن لوط عليه السلام
ساكن بقرية من قرى البلقاء مجاب
الدعوة فاسأله ان يدعو عليهم فلم يزل
الملك وقومه يتضرعون اليه وهو يا
على يهم حتى فتنوه بامراة وبذلوا له
الاموال فافتتن وركب اتانه واراد
ان يسير فربضت به الاتان فضربها
فلم تتحرك فاذن الله تعالى لها فى
الكلام فقالت ويحك يا بلعام اين
اذهب ألا ترى الملائكة امامى وهم
يردونى ويحك يا بلعام تذهب الى
كليم الله وبنى اسرائيل لتدعو عليهم
فتركت الاتان وسار حتى صعد على
جبل يقال له حسبان وهو مشرف
على القوم فدعا عليهم فلم يتأت
منه وعجز فجعل لا يدعو عليهم بشئ
من الشر الا صرف الله به لسانه
الى قومه فنسى الاسم الاعظم واندلع لسانه فبقى على صدره وكان ذلك فى سادس المحرم فقال لهم قد ذهب منى الآن الدين والدنيا

ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه ١٠٢ وفعلتم ما امرتم به والا طحنتكم بهذا الجبل واغرقتكم في هذا البحر واحرقتكم بهذه

النار فلما راوا ان لا مهرب لهم منها
سجدوا على شق وجوههم وجعلوا
يلاحظون الجبل وهم سجود
فصارت سنة في اليهود وكان نزول
موسى بالالواح ثامن عشر جمادى
الاولى وقال قتادة مكث موسى
عليه السلام بعد ما اغشاه نور رب
العالمين لا يراه احد الامات حتى اتخذ
على وجهه برقعا وفي الحديث كان بعد
ذلك يبصر دبيب النملة في الليلة المظلمة
على الصفا من مسيرة عشر فراسخ
وكان اذا غضب اشتعلت قلنسوته
نارا لشدة غضبه وقصة موسى مع
الخضر عليهما السلام مشهورة
تركناها لطولها واشتهارها
ولما همّا ان يفترقا قال له الخضر
لو صبرت لاتيت على الف عجب كل
اعجب مما رايت فبكى موسى على
فراقه قال ابو حامد الاندلسي رايت
سمكة عند مجمع البحرين طولها
اكثر من ذراع وعرضها شبر واحد
جنبها شوك وعظام وجلد رقيق
ولها عين واحدة ونصف راس فمن
رآها من هذا الجانب يحسب انها
ماكولة منه ونصفها الاخر صحيح
والناس يتبركون بها وهو من
نسل الحوت الذى اكل منه موسى
وفتاه يوشع فلما قطر عليه قطرة من
وجه موسى حين التوضى احياه الله
تعالى ولما امر الله تعالى موسى
عليه السلام بمحاربة الجبارين نزل
ارض كنعان ومعه بنو اسرائيل
وبعث اثنى عشر نقيبا ليتجسسوا
له اخبار الجبارين فلما رجعوا
لقيهم في طريقهم عوج بن عناق وكان يحتطب فاخذهم جميعا وجعلهم في حزمة الحطب وحملها ثم انطلق الى

وبيت المقدس فعادتهم وأخذ رهائنهم فلما عاد من القدس الى طبرية وثب بنو اسرائيل
على ملكهم الذى صالح بختنصر فقتلوه وقالوا داهنت أهل بابل وخذلتنا فلما سمع بختنصر
قتل الرهائن الذين معه وعاد الى القدس فأخربه وقيل ان الذى استعمله انما كان الملك
بهمن بن بشتاسب بن لهراسب وكان بختنصر قد خدم جده وأباه وخدمه وعمر عمرا
طويلا فأرسل بهمن رسلا الى ملك بنى اسرائيل ببيت المقدس فقتلهم الاسرائيلى فغضب
بهمن من ذلك واستعمل بختنصر على أقاليم بابل وسيره في الجنود الكثيرة ففعل بهم
ما نذكره هذه الاسباب الظاهرة وانما السبب الكلى الذى أحدث هذه الاسباب الموجبة
للانتقام من بنى اسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره وكانت سنة الله تعالى في
بنى اسرائيل انه اذا ملك عليهم ملكا أرسل معه نبيا يرشده ويهديه الى أحكام التوراة
فلما كان قبل مسير بختنصر اليهم كثرت فيهم الاحداث والمعاصى وكان الملك فيهم يقونيا
ابن يوياقيم فبعث الله اليه أرميا قيل هو الخضر عليه السلام فأقام فيهم يدعوهم الى الله
وينهاهم عن المعاصى ويذكرهم نعمة الله عليهم باهلاك سنحاريب فلم يرعووا فأمره الله
أن يحذرهم عقوبته وانهم ان لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم من يقتلهم ويسبى ذراريهم
ويخرب مدينتهم ويستعبدهم ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة فلم يراجعوها
فأرسل الله اليه لاقيضن لهم فتنة تذر الحليم حيران ويضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة
الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه
عدد مثل سواد الليل وعساكر مثل قطع السحاب يهلك بنى اسرائيل وينتقم منهم ويخرب
بيت المقدس فلما سمع أرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وتضرع
الى الله في رفع ذلك عنهم في أيامه فأوحى الله اليه وعزتى لا أهلك بيت المقدس وبنى
اسرائيل حتى يكون الامر من قبلك في ذلك ففرح أرميا وقال لا والذى بعث موسى
وأنبياءه بالحق لا آمر بهلاك بنى اسرائيل أبدا وأتى ملك بنى اسرائيل فأعلمه بما أوحى اليه
فاستبشر وفرح ثم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين ولم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر
وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحى حيث لم يكونوا هم يتذكرون فقال لهم ملكهم يا بنى
اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يأتيكم عذاب الله فلم ينتهوا فالقى الله في قلب بختنصر
ان يسير الى بنى اسرائيل ببيت المقدس فسار في العساكر الكثيرة التى تملأ الفضاء وبلغ ملك
بنى اسرائيل الخبر فاستدعى أرميا النبى فلما حضر عنده قال له يا أرميا أين ما زعمت ان ربك
أوحى اليك ان لا يهلك بيت المقدس حتى يكون الامر منك فقال أرميا ان ربى لا يخلف
الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وأراد الله اهلاكهم أرسل الله
ملكا في صورة آدمى الى أرميا وقال له استفته فأتاه وقال له يا أرميا انا رجل من بنى
اسرائيل استفتيك في ذوى رحمى وصلت أرحامهم بما أمرنى الله به وآتيت اليهم حسنا
وكرامة فلا تزيدهم كرامتى اياهم الا سخطا لى وسوء سيرة معى فافتنى فيهم فقال له احسن
فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله به ان تصله فانصرف عنه الملك ثم عاد اليه بعد أيام
في تلك الصورة فقال له أرميا اما طهرت اخلاقهم وما رأيت منهم ما تريد فقال والذى

بعثك

وملك عليهم رجلا من آل داود وامره ان يعمر بيت المقدس فرجعوا وعمروه وكان ارميا بن حزقيا من سبط هرون بن عمران فلما وطئ بختنصر الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم قد فارق البلاد واختلط بالوحش فلما عاد بختنصر الى بابل اقبل ارميا على حمار له معه عصير عنب وفي يده سلة تين فرأى بيت المقدس خرابا فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم امات حماره واعمى عنه العيون فلما أن عمر بيت المقدس احيا الله من ارميا عينيه ثم احيا جسده وهو ينظر اليه وقيل له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قيل بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ويتغير وانظر الى حمارك فنظر الى عظام حماره وهي تجتمع بعضها الى بعض ثم كسي لحما ثم قام حيا باذن الله ونظر الى المدينة وهي تبنى وقد كثر فيها بنو اسرائيل وتراجعوا اليها من البلاد وكان عهدها خرابا وأهلها ما بين قتيل وأسير فلما رآها عامرة قال أعلم ان الله على كل شيء قدير وقيل ان الذي اماته الله مائة عام ثم أحياه كان عزيرا فلما عاش قصد منزله من بيت المقدس على وهم منه فرأى عنده عجوزا عمياء زمنة كانت جارية له ولها من العمر مائة وعشرون سنة فقال لها هذا منزل عزير قالت نعم وبكت وقالت ما ارى احدا يذكر عزيرا غيرك فقال انا عزير فقالت ان عزيرا كان مجاب الدعوة فادع الله لي بالعافية فدعا لها فعاد بصرها وقامت ومشت فلما رأته عرفته وكان لعزير ولد وله من العمر مائة وثلاث عشرة سنة وله اولاد شيوخ فذهبت اليهم الجارية واخبرتهم به فجاؤا فلما رأوه عرفه ابنه بشامة كانت في ظهره وقيل ان عزيرا كان مع بني اسرائيل بالعراق فعاد الى بيت المقدس فجدد لبني اسرائيل التوراة لانهم عادوا الى بيت المقدس ولم يكن معهم التوراة لانها كانت قد أخذت فيما أخذوا وأحرقت وعدمت وكان عزير قد أخذ مع السبي فلما عاد عزير الى بيت المقدس مع بني اسرائيل جعل يبكي ليلا ونهارا وانفرد عن الناس فبينما هو كذلك في حزنه اذ أقبل اليه رجل وهو جالس فقال يا عزير ما يبكيك فقال ابكي لان كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا انعدم قال فتريد أن يرده الله عليكم قال نعم قال فارجع وصم وتطهر والميعاد بيننا غدا هذا المكان ففعل عزير ذلك وأتى المكان فانتظره وأتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله في صورة رجل فسقاه من ذلك الاناء فتمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها فاحبوه حبا شديدا لم يحبوا شيأ قط مثله واصلح أمرهم واقام عزير بينهم ثم قبضه الله اليه على ذلك وحدثت فيهم الاحداث حتى قال بعضهم عزير ابن الله ولم يزل بنو اسرائيل ببيت المقدس وعادوا وكثروا حتى غلبت عليهم الروم زمن ملوك الطوائف فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة وقد اختلف العلماء في أمر بختنصر وعمارة بيت المقدس اختلافا كثيرا تركنا ذكره اختصارا

(ذكر غزو بختنصر العرب)

قيل أوحى الله الى برخيا بن حننيا يأمره ان يقول لبختنصر ليغزو العرب فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم عقوبة لهم على كفرهم فقال برخيا لبختنصر

فاستجاب الله دعاءه فاوحى الله اليه اني قد امرت الارض بالطاعة لك وسلطتك عليه فاقبل موسى عليه السلام حتى دخل على قارون ثم قال يا عدو الله أنت بعثت الى امرأة وتقيمها على رؤس الاشهاد وتريد فضيحتي يا ارض خذيه قال فساخت داره في الارض ذراعا وسقط قارون عن سريره فاخذته الارض الى ركبتيه ثم قال يا ارض خذيه فاخذته الارض الى حقويه وساخت داره على قدر ذلك فقال يا موسى يا موسى فقال يا عدو الله لم لا تتعظ بهلاك الامم الماضية وهلاك فرعون ثم قال يا ارض خذيه فاخذته الارض الى عنقه فلم يقدر على الكلام وجعل موسى يكرر ذلك حتى اضطربت به الارض اضطرابا شديدا وخسف به وبداره فاوحى الله تعالى الى موسى فقال يا موسى استغاث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لاغثته

(في ذكر عوج بن عناق وما فيه من الخلاف والشقاق)

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان طول عوج بن عناق ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا بذراع الملك وعمره ثلاثة آلاف وستمائة سنة وكان ممن ولد في دار آدم عليه السلام وكانت امه من بنات آدم عليه السلام وكانت من احسن النساء واجملهن وكانت اسمها عناق ويقال انها أول من بغى على وجه الارض وكانت أصابع يديها كل اصبع ثلاثة اذرع في عرض ذراعين في كل اصبع ظفران كالمناجل فلما أراد الله اهلاكها بعث الله عليها أسودا كالفيلة وذئابا كالابل ونسورا كالخيل فافترسوها وقتلوها وأكلوا لحمها

ذلك جميعه نبيا يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الامر اليه فلما عبر دانيال ومن معه رؤيا بختنصر قربهم وادناهم واستشارهم في امره فحسدهم اصحابه وسعوا بهم اليه وقالوا عنهم ما اوحشه منهم فامر بحفر لهم اخدودا والقاهم فيه وهم ستة رجال والقى معهم سبعا ضاريا ليأكلهم ثم قال اصحاب بختنصر انطلقوا فلنأكل ولنشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يخدش منهم احدا ووجدوا معهم رجلا سابعا فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فمسخه وصار في الوحش في صورة اسد وهو مع ذلك يعقل ما يعقله الانسان ثم رده الله الى صورة الانس واعاد عليه ملكه فلما عاد الى ملكه كان دانيال واصحابه اكرم الناس عليه فعاد الفرس وسعوا بهم الى بختنصر وقالوا له في سعايتهم ان دانيال اذا شرب الخمر لا يملك نفسه من كثرة البول وكان ذلك عندهم عارا فصنع لهم بختنصر طعاما واحضره عنده وقال للبواب انظر اول من يخرج ليبول فاقتله وان قال لك انا بختنصر فقل له كذبت بختنصر امرني بقتلك واقتله فحبس الله عن دانيال البول وكان اول من قام من الجمع بختنصر فقام مدلا انه الملك لئلا يقدم أحد عليه وكان ذلك ليلا فلما رآه البواب شد عليه ليقتله فقال له انا بختنصر فقال له كذبت أن بختنصر امرني بقتلك وقتله وقيل في سبب قتله ان الله ارسل عليه بعوضة فدخلت في منخره وصعدت الى راسه فكان لا يقر ولا يسكن حتى يدق راسه فلما حضره الموت قال لاهله شقوا راسي فانظروا ما هذا الذي قتلني فلما مات شقوا راسه فوجدوا البعوضة بام راسه ليري الله العباد قدرته وسلطانه وضعف بختنصر المتجبر قتله باضعف مخلوقاته تبارك الذي بيده ملكوت كل شئ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واما دانيال فانه اقام بارض بابل وانتقل عنها ومات ودفن بالسوس من اعمال خوزستان ولما اراد الله تعالى ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس كان بختنصر قد مات فانه عاش بعد تخريب بيت المقدس اربعين سنة في قول بعض اهل العلم وملك بعده ابن له يقال له اولمردخ فملك الناحية ثلاثا وعشرين سنة ثم هلك وملك ابن له يقال له بلتاصر سنة فلما ملك تخلط في امره فعزله ملك الفرس حينئذ وهو يختلف فيه على ما ذكرناه واستعمل بعده داريوش على بابل والشام وبقي ثلاثين سنة ثم عزله واستعمل مكانه اخشويرش فبقي اربع عشرة سنة ثم ملك ابنه كيرش الاعلى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان قد تعلم التوراة ودان باليهودية وفهم عن دانيال ومن معه مثل حنانيا وعزاريا وغيرهما فسألوه ان يأذن لهم في الخروج الى بيت المقدس فقال لو كان بقي منكم الف نبي ما فارقتكم وولى دانيال القضاء وجعل اليه جميع امره وامره ان يقسم ما غنمه بختنصر من بني اسرائيل عليهم وامره بعمارة بيت المقدس فعمر في ايامه وعاد اليه بنو اسرائيل وجملة المدة لهؤلاء الملوك معدودة من خراب بيت المقدس منسوبة الى بختنصر وكان ملك كيرش اثنتين وعشرين سنة وقيل ان الذي امر بعود بني اسرائيل الى الشام بشتاسب بن لهراسب وكان قد بلغه خراب بلاد الشام وانها لم يبق بها من بني اسرائيل احد فنادى في ارض بابل من شاء من بني اسرائيل ان يرجع الى الشام فليرجع

فلم يبق الا المكر والخديعة والحيلة فاشار على الملك ان يرسلوا الحسان من النساء نحو العسكر ولا يمنعن نفوسهن فانه ان زنى واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فأقبلت النساء العسكر فمرت امرأة من الكنعانيين برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري ابن شالوم فاخذها وزنى بها فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا وسمع بهما رجل يقال له فنحاص بن العيزار ابن هرون عليه السلام صاحب امر موسى عليه السلام فاخذ حربته وكانت كلها من حديد ودخل عليهما وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج رافعا بهما الى السماء وهو يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون من وقته وكانا في الحربة كما هما في حالة الزنا فنعوذ بالله من سوء الخاتمة ونسأله العفو والمغفرة بمنه وكرمه

(قصة قارون وما حاز من الفنون)

وكان لموسى ابن عم يقال له قارون ابن يصهب وكان في نهاية الفقر فلما اوحى الله تعالى الى موسى ان يحلي التابوت بالذهب وعلمه صنعة الكيمياء فصنعه فنظر قارون واراد ان يتعلمه وكانت كلثم اخت موسى عليه السلام تعلمت الصنعة من اخيها فعلمتها القارون فخرج قارون وقد تعلم الكيمياء واتخذ ما اراد حتى كثر ماله بحيث انه كان يحمل مفاتيح كنوزه على اربعين بغلا وكان موسى يأمره باعطاء الزكاة فلم يأت وعلم امرأة بغية بان تتهم موسى بالزنا فلما سمع بذلك موسى عليه السلام غضب غضبا شديدا وقال يارب ان قارون قد بغى علي فانصرني عليه ومال

والتفت هنالك وخاف آباء اهراسب ببلخ شيخا قد اطاله الكبر وترك بها خزائنه واولاده ونساءه فبلغت الاخبار الى ملك الترك خرزاسف فلما تحققه جمع عساكره وحشده وسار الى بلخ وانتهز الفرصة بغيبة بشتاسب عن مملكته ولما بلغ بلخ ملكها وقتل اهراسب وولدين لبشتاسب والهرابذة واحرق الدواوين وهدم بيوت النيران وارسل السرايا الى البلاد فقتلوا وسبوا واخربوا وسبى ابنتين لبشتاسب احداهما خماني وأخذ علمهم الاكبر المعروف بدرفش كابيان وسار متبعا لبشتاسب وهرب بشتاسب من بين يديه فتحصن بتلك الجبال مما يلي فارس وضاق ذرعا بما نزل به فلما اشتد عليه الامر أرسل الى ابنه اسفنديار مع عالمهم جاماسب فاخرجه من محبسه واعتذر اليه ووعده ان يعهد اليه بالملك من بعده فلما سمع اسفنديار كلامه سجد له ونهض من عنده وجمع من عنده من الجند وبات ليلته مشغولا بالتجهز وسار من الغد نحو عسكر الترك وملكهم والتقوا واقتتلوا والتحمت الحرب وحمى الوطيس وحمل اسفنديار على جانب من العسكر فاثر فيه ووهنه وتابع الحملات وفشا في الترك ان اسفنديار هو المتولي لحربهم فانهزموا لا يلوون على شئ وانصرف اسفنديار وقد ارتجع درفش كابيان فلما دخل على أبيه استبشر به وأمره باتباع الترك ووصاه بقتل ملكهم ومن قدر عليه من أهله ويقتل من الترك من أمكنه قتله وان يستنقذ السبايا والغنائم التي أخذت من بلادهم فسار اسفنديار ودخل بلاد الترك وقتل وسبى وأخرب وبلغ مدينتهم العظمى ودخلها عنوة وقتل الملك واخوته ومقاتلته واستباح أمواله وسبى نساءه واستنقذ أختيه ودوخ البلاد وانتهى الى آخر حدود بلاد الترك والى التبت وأقطع بلاد الترك وجعل كل ناحية الى رجل من وجوه الترك بعد أن امنهم ووظف عليهم خراجا يحملونه كل سنة الى أبيه بشتاسب ثم عاد الى بلخ فحسده ابوه بما ظهر منه من حفظ الملك والظفر بالترك واسر ذلك في نفسه وامره بالتجهز والمسير الى قتال رستم الشديد بسجستان وقال له هذا رستم متوسط بلادنا ولا يعطينا الطاعة لان الملك كيكاوس اعتقه فاقطعه اياها وقد ذكرنا ذلك في ملك كيكاوس وكان غرض بشتاسب ان يقتله رستم أو يقتل هو رستم فانه كان أيضا شديد الكراهة لرستم فجمع العساكر وسار الى رستم لينزع سجستان منه فخرج اليه رستم وقاتله فقتل اسفنديار قتله رستم ومات بشتاسب وكان ملكه مائة سنة واثنتي عشرة سنة وقيل مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين سنة وقيل انه جاءه رجل من بني اسرائيل زعم انه نبي أرسل اليه واجتمع به ببلخ فكان يتكلم بالعبري وزرادشت نبي المجوس يعبر عنه وجاماسب العالم هو حاضر معهم يترجم أيضا عن الاسرائيلي وكان بشتاسب ومن قبله من آبائه وسائر الفرس يدينون بدين الصابئة قبل زرادشت

(ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاوس الى أيام بهمن بن اسفنديار)

قد مضى ذكر الخبر عمن زعم ان كيكاوس كان في عهد سليمان بن داود وقد ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت ايلشرح وصار الملك بعد بلقيس الى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له انعم الانعامة قال أهل اليمن انه سار غازيا

اربعين سنة فلبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ تائهين وكان يوم دخولهم في التيه ثامن عشر جمادى الآخرة وكانوا ستمائة الف مقاتل سوى الاهل والاولاد وكانوا يسيرون جادين اذا اصبحوا حتى اذا امسوا نزلوا فاذا هم في المكان الذي ارتحلوا منه فطلبوا من موسى عليه السلام ماء يشربون منه فضرب موسى بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين فطلبوا الظل فظلل عليهم الغمام فطلبوا ماياً كلون فانزل الله عليهم المن والسلوى وطلبوا اللباس فكانت ثيابهم لا تبلى ولا تتمزق حتى مات أولئك الذين قالوا انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فكان هلاكهم في عشرين سنة وهي العشرون الاولى ونشأت أولادهم في العشرين الاخرى وهم الذين ساروا مع يوشع عليه السلام الى بلد اريحا وقاتلوا الجبارين

(الفصل التاسع عشر في ذكر هرون عليه السلام)

هو شقيق موسى عليهما السلام من ابيه وامه وكان أكبر من موسى عليه السلام بثلاث سنين وقيل باربع سنين وكان فصيح اللسان جميل الصورة وكان اطول من موسى واكثر لحما وابيض جسما واغلظ ألواحا وكانت في جبهته شامة وكان محببا الى بني اسرائيل وكان موسى عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شئ لا يملك الرفق في شئ مما يخالف الشرع فلذلك سأل ربه ان يشرك هرون معه في أمره فاتفق انه سار يوما هو واخوه يتجولان بالتيه فرأوا فيه كهوفا كثيرة واذا بكهف يسطع منه النور فبادروا اليه فلما دخلوا الى الكهف نظروا سريرا

ما أمر به فابتدأ بمن في بلاده من تجار العرب فأخذهم وبنى لهم حيرا بالنجف وحبسهم فيه ووكل بهم وانتشر الخبر في العرب فخرجت اليه طوائف منهم مستأمنين فقبلهم وعفا عنهم فأنزلهم السواد فابتنوا الانبار وخلى عن أهل الحيرة فاتخذوها منزلا حياة بختنصر فلما مات انضموا الى أهل الانبار وهذا أول سكنى العرب السواد بالحيرة والانبار وسار الى العرب بنجد والحجاز فأوحى الله الى برخيا وأرميا يأمرهما أن يسيرا الى معد بن عدنان فيأخذاه ويحملاه الى حران ويعلماه انه يخرج من نسله محمد صلى الله عليه وسلم الذي يختم به الانبياء فسارا فطويت لهما المنازل والارض حتى سبقا بختنصر الى معد فحملاه الى حران في ساعتهما ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة وسار بختنصر فلقي بجموع العرب فقاتلهم فهزمهم وأكثر القتل فيهم وسار الى الحجاز فجمع عدنان العرب والتقى هو وبختنصر بذات عرق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عدنان وتبعه بختنصر الى حصون هناك واجتمع عليه العرب وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه فكمن بختنصر كمينا وهو أول كمين عمل وأخذتهم السيوف فنادوا بالويل ونهى عدنان عن بختنصر وبختنصر عن عدنان فافترقا فلما رجع بختنصر خرج معد بن عدنان مع الانبياء حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج وحج معه الانبياء وخرج معد حتى أتى ريسوب وسأل عمن بقي من ولد الحرث بن مضاض الجرهمي فقيل له بقي جوشم بن جلهمة فتزوج معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد

(ذكر بشتاسب والحوادث في ملكه وقتل أبيه لهراسب)

لما ملك بشتاسب بن لهراسب ضبط الملك وقرره وأتقنه وابتنى بفارس مدينة فسا ورتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب وملك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته ثم انه أرسل الى ملك الترك واسمه خرزاسف وهو أخو افراسياب وصالحه واستقر الصلح على ان يكون لبشتاسب دابة واقفة على باب ملك الترك لا تزال على عادتها على أبواب الملوك فلما جاء زرادشت الى بشتاسب واتبعه على ما ذكرناه أشار زرادشت على بشتاسب بنقض الصلح مع ملك الترك وقال أنا أعين لك طالعا تسير فيه الى الحرب فتظفر وهذا أول وقت وضعت الاختيارات للملوك بالنجوم وكان زرادشت عالما بالنجوم جيد المعرفة بها فأجابه بشتاسب الى ذلك فأرسل الى الدابة التي بباب ملك الترك والى الموكل بها فصرفها فغضب ملك الترك وأرسل اليه يتهدده وينكر عليه ذلك ويأمره بانفاذ زرادشت اليه وان لم يفعل غزاه وقتله وأهل بيته فكتب اليه بشتاسب كتابا غليظا يؤذنه فيه بالحرب وسار كل واحد منهما الى صاحبه والتقيا واقتتلا قتالا شديدا فكانت الهزيمة على الترك وقتلوا قتلا ذريعا ومروا منهزمين وعاد بشتاسب الى بلخ وعظم أمر زرادشت عند الفرس وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله وكان أعظم الناس غنى في هذه الحرب اسفنديار بن بشتاسب فلما انجلت الحرب سعى الناس بين بشتاسب وابنه اسفنديار وقال يريد الملك لنفسه فندبه لحرب بعد حرب ثم أخذه وحبسه مقيدا ثم ان بشتاسب سار الى ناحية كرمان وسجستان وسار الى جبل يقال له طميدر لدراسة دينه

وكان عوج يتناول الحوت من قعر البحر فيشويه بعين الشمس ويأكله وكان يحك رأسه بالسحاب وكان يمشي يوم الطوفان مع السفينة ويشرب من طوله وكان اذا غضب على أهل بلد بال عليهم فغرقوا في بوله وكان جبارا عنيدا ولما نزل موسى عليه السلام وبنو اسرائيل بارض كنعان لمحاربة الجبابرة وجهه ملكهم بالق بن صافون اليهم عوج فنظر الى مقدار نزول العسكر فكان فرسخا في فرسخ فانطلق الى جبل من جبال الشام فقطع منه صخرة على مقدار عسكر موسى عليه السلام ثم حملها على رأسه وأقبل نحوهم ليلقيها عليهم ويقتلهم جميعا فسلط الله على تلك الصخرة وهي على رأسه الهدهد وسائر الطيور فجعلت تنقر تلك الصخرة حتى تقورت * ذكر الكسائي ان الله تعالى أراد اظهار قدرته لبني اسرائيل فأرسل هدهدا وفي منقاره حجر من السماء فضربه وسط الحجر الذي معه ضربة واحدة فانخرق ونزل في عنقه كهيئة الطوق فاقبل اليه موسى بعصاه وكان طول موسى عشرة اذرع وطول عصاه عشرة اذرع واعطاه الله من القوة ان وثب في السماء عشرة اذرع وضربه بالعصا فلم تلحق الا كعبه فانصرع الى الارض قتيلا * ولما رجع النقباء من مدينة الجبارين وأخبروا قومهم بما رأوا من عظم خلقتهم وشدة قوتهم فقالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون الآية فأوحى الله تعالى الى موسى اني حرمت عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولأتيهنهم في هذه البرية

والتسلك

لامورهم ثم ملكت بعده ابنته خماني ملكوها حبا لابيها واعقلها وفروسيتها وكانت تلقب بشهرزاد وقيل انما ملكت لانها حين حملت منه دارا الاكبر سألته ان يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك ففعل بهمن وعقد التاج عليه وهو في بطنها وساسان بن بهمن رجل يتصنع للملك فلما رأى فعل ابيه لحق باصطخر وتزهد ولحق برؤس الجبال واتخذ غنما وكان يتولاها بنفسه فاستبشعت العامة ذلك منه وهلك بهمن وابنه دارا في بطن أمه فملكوها ووضعته بعد أشهر من ملكها فانفت من اظهار ذلك وجعلته في تابوت وجعلت معه جواهر واجرته في نهر الكر من اصطخر وقيل بنهر بلخ وسار التابوت الى طحان من أهل اصطخر ففرح لما فيه من الجوهر فحضنته امرأته ثم ظهر أمره حين شب فاقرت خماني باساءتها فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون ابناء الملوك فحولت التاج اليه وسارت الى فارس وبنت مدينة اصطخر وكانت قد أوتيت ظفرا واغزت الروم وشغلت الاعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيتها الخراج وكان ملكها ثلاثين سنة وقيل ان خماني أم دارا حضنته حتى كبر فسلمت الملك اليه وعزلت نفسها فضبط الملك بشجاعة وحزم *ونرجع الى ذكر بني اسرائيل ومقابلة تاريخ أيامهم الى حين تصرمها ومدة من كان في ايامهم من ملوك الفرس قد ذكرنا فيما مضى سبب انصراف من انصرف الى بيت المقدس من سبايا بني اسرائيل الذين كان بختنصر سباهم وكان ذلك في أيام كيرش بن اخشويرش وملكه ببابل من قبل بهمن واربع سنين بعد وفاته في ملك ابنته خماني وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر مائة سنة كل ذلك في أيام بهمن بعضه وفي أيام ابنته خماني بعضه وقيل غير ذلك وقد تقدم ذكر الاختلاف وقد زعم بعضهم ان كيرش هو بشتاسب وانكر عليه قوله ولم يملك كيرش منفردا قط ولما عمر بيت المقدس ورجع اليه أهله كان فيهم عزير وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس اما رجل منهم واما رجل من بني اسرائيل الى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم بسبب غلبة الاسكندر على الناحية حين قتل دارا بن دارا وكان جملة مدة ذلك فيما قيل ثمانيا وثمانين سنة

(ذكر خبر دارا الاكبر وابنه دارا الاصغر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين)

وملك دارا بن بهمن بن اسفنديار وكان يلقب جهرازاد يعني كريم الطبع فنزل ببابل وكان ضابطا لملكه قاهرا لمن حوله من الملوك يؤدون اليه الخراج وبنى بفارس مدينة سماها دارا بجرد وحذف دواب البرد ورتبها وكان معجبا بابنه دارا ومن حبه له سماه باسم نفسه وصير له الملك بعده وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده ابنه دارا وبنى بارض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة دارا وهي مشهورة الى الآن واستوزر انسانا لا يصلح لها فافسد قلبه على أصحابه فقتل رؤساء عسكره واستوحش منه الخاصة والعامة وكان شابا غرا جميلا حقودا جبارا سيء السيرة في رعيته وكان ملكه أربع عشرة سنة

(ذكر الاسكندر ذي القرنين)

كان فيلقوس أبو الاسكندر اليوناني من أهل بلدة يقال لها مقدونية كان ملكا عليها

صلى الله عليه وسلم بقوله مررت على موسى ليلة أسري بي وهو قائم يصلي في قبره ١٠٩ عند الكثيب الاحمر *وفي كتاب الانس بسنده الى محمد بن اسحق يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اطلع أحد على قبر موسى عليه السلام الا الرخمة فنزع الله عقلها لئلا تدل عليه أحدا وجعلها ابكم واصم وانما سأل الدنو من الارض المقدسة لشرفها ولم يسأل مكانا معروفا خوفا من ان يعبد وتكثر الاحداث عنده قال الحافظ ضياء الدين المقدسي ان القبر الذي اشتهر أنه قبره شرقي بيت المقدس بالقرب من اريحا وعنده كثيب احمر الى جانبه طريق مسلوك وقبره مقصود بالزيارة الى يومنا هذا وعلى القبر الشريف قبة مبنية بناها الملك الظاهر بيبرس بعد سنة ستين وستمائة واما الاشباح التي ترى على قبره بالوان مختلفة فمنهم صفة الراكب ومنهم صفة الماشي ومنهم من على كتفه رمح وغير ذلك من الصفات فللناس في ذلك أقوال مختلفة فيقال انهم من الملائكة ويقال انهم الصالحون وينظرهم كل الناس واذا دخل المسجد امرأة حائض او فعل احد حول المسجد شيأ من المعاصي يثور هواء في تلك البرية حتى لا يرى الرجل من الى جانبه وغير ذلك من الخوارق الباهرات التي يستدل بها على أنه مدفون في هذا المكان والله اعلم

(الفصل العشرون في ذكر يوشع عليه السلام)

وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام وهو فتى موسى المذكور في قصة الخضر بعثه الله نبيا بعد موسى الى مدينة اريحا قال ابن اسحق حولت النبوة الى يوشع بن نون في حياة

نحو المغرب حتى بلغ واديا يقال له وادى الرمل ولم يبلغه أحد قبله فلما انتهى اليه لم يجد وراءه مجازا لكثرة الرمل فبينما هو مقيم عليه اذ انكشف الرمل فامر رجلا يقال له عمرو ان يعبر هو وأصحابه فعبروا فلم يرجعوا فلما رأى ذلك أمر بنصب صنم نحاس فصنع ثم نصب على صخرة على شفير الوادى وكتب على صدره بالمسند هذا الصنم لياسر انعم الحميرى ليس وراءه مذهب فلا يتكلفن أحد ذلك فيعطب وقيل ان وراء ذلك الرمل قوما من أمة موسى وهم الذين عنى الله بقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والله أعلم ثم ملك بعده تبع وهو تبان وهو أسعد وهو أبو كرب بن ملكيكرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع وهو ذو الاذعار بن ابرهة تبع ذى المنار بن الرايش بن قيس بن صيفى بن سبا وكان يقال له الرائد وكان تبع هذا فى أيام بشتاسب واردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب وانه شخص متوجها من اليمن فى الطريق الذى سلكه الرايش حتى خرج على جبلى طئ ثم سار يريد الانبار فلما انتهى الى موضع الحيرة تحير وكان ليلا فاقام بمكانه فسمى ذلك المكان بالحيرة وخلف به قوما من الازد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فبنوا وأقاموا به ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طئ وكلب والسكون وبلحرث بن كعب واياد ثم توجه الى الموصل ثم الى اذربيجان فلقى الترك فهزمهم فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم عاد الى اليمن فهابته الملوك واهدوا اليه وقدمت عليه هدية ملك الهند وفيها تحف كثيرة من الحرير والمسك والعود وسائر طرف الهند فرأى مالم ير مثله فقال للرسول كل هذا فى بلدكم فقال أكثره من بلد الصين ووصف له بلد الصين فحلف ليغزونها فسار بحمير حتى أتى الى الركايك وأصحاب القلانس السود ووجه رجلا من أصحابه يقال له ثابت نحو الصين فى جمع عظيم فأصيب فسار تبع حتى دخل الصين فقتل مقاتلتها واكتسح ماوجد فيها وكان مسيره ومقامه ورجعته فى سبع سنين ثم انه خلف بالتبت اثنى عشر ألف فارس من حمير فهم أهل التبت ويزعمون انهم عرب وألوانهم ألوان العرب وخلقهم هكذا ذكر وقد خالف هذه الرواية كثير من أصحاب السير والتواريخ وكل واحد منهم خالف الآخر وقدم بعضهم من أخره الآخر فلم يحصل منهم كثير فائدة ولكن ننقل ماوجدنا مختصرا

(ذكر خبر اردشير بهمن وابنته خمانى)

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه اردشير بهمن بن اسفنديار وكان مظفرا فى مغازيه وملك أكثر من أبيه وقيل انه ابتنى بالسواد مدينة وسماها اباوان اردشير وهى القرية المعروفة بهمينا بالزاب الاعلى وابتنى بكور دجلة الابلة وسار الى سجستان طالبا بثار أبيه فقتل رستم وأباه دستان وابنه فرامرز وبهمن هو أبو دارا الاكبر وأبو ساسان أبى ملوك الفرس الاخر اردشير بن بابك وولده وأم دارا خمانى ابنة بهمن فهى اخته وأمه وغزا بهمن رومية الداخلة فى ألف ألف مقاتل وكانت ملوك الارض يحملون اليه الاتاوة وكان أعظم ملوك الفرس شأنا وأفضلهم تدبيرا وكانت أم بهمن من نسل بنيامين بن يعقوب وأم ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود وكان ملك بهمن مائة وعشرين سنة وقيل ثمانين سنة وكان متواضعا مرضيا فيهم وكانت كتبه تخرج من عبد الله خادم الله السائس

من ذهب عليه أنواع الفرش مكتوب على حافة السرير بالعبرانية هذا السرير لمن كان طوله فصعد موسى على السرير فلما تمدد له فضل من طوله فنزل موسى عنه وصعد هرون واضطجع عليه فاذا هو على طوله فهم أن ينزل فاذا هو بملك الموت فقبض روحه ثم رجع موسى باكيا حزينا الى بنى اسرائيل فاخبرهم بموته فاتهموه بانه الذى قتل هرون لانه كان محببا اليهم فلما ألحوا بتهمته حتى دعا الله تعالى فى براءة امره فانزل الله تعالى السرير وعليه هرون عليه السلام وقال لهم انى مت ولم يقتلنى موسى فحزنت عليه بنو اسرائيل حزنا شديدا فخاف من بعده ابنه العيزار فاعطاه الله تعالى وقار هرون وخلقه ولم يحدث لموسى ولا لهرون شئ من الشيب وقبض هرون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة قال المسعودى انه دفن فى جبل حران من نحو جبل الشراة مما يلى الطور وقبره مشهور فى مغارة عادية يسمع منها فى بعض الليالى دوى عظيم يجزع منه كل ذى روح وروى انه تبع جنازته اربعون الفا وكلهم يسمون هرون من بنى اسرائيل سوى سائر الناس ومات موسى وهرون عليهما السلام فى التيه على اصح الروايات وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة واختلف فى قبر موسى عليه السلام قال فى الصحيحين ان موسى عليه السلام قال يارب أدننى من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو انى عنده لاريتكم قبره الى جنب الطريق عند الكثيب الاحمر والمراد بهذه الطريق التى سلكها صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به من مكة الى بيت المقدس كما اشار اليه لاموركم

الخزر وقيل بلاد الجزيرة عند دارا وكان ملك الروم قبل الاسكندر متفرقا فاجتمع وملك فارس مجتمعا فتفرق وحمل الاسكندر كتبا وعلوما لاهل فارس من علوم ونجوم وحكم ونقلها الى الرومية وقد ذكرنا قول من قال ان الاسكندر أخو دارا لابيه واما الروم وكثير من أهل الانساب فيزعمون انه الاسكندر بن فيلقوس وقيل فيلبوس بن مطربوس وقيل ابن مصريم بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نوبه ابن سرحون بن روميط بن زنط بن توقيل بن رومي بن الاصفر بن ايلفر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم فجمع بعد هلاك دارا ملك دارا فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة وعرض جنده فوجدهم على ماقيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل منهم من جنده ثمانمائة ألف رجل ومن جند دارا ستمائة ألف رجل وتقدم بهدم حصون فارس وبيوت النيران وقتل الهرابذة واحرق كتبهم واستعمل على مملكة فارس رجالا وسار قدما الى أرض الهند فقتل ملكها وفتح مدنها وخرب بيوت الاصنام وأحرق كتب علومهم ثم سار منها الى الصين فلما وصل اليها أتاه حاجبه في الليل وقال هذا رسول ملك الصين فاحضره فسلم وطلب الخلوة ففتشوه فلم يروا معه شيأ فخرج من كان عند الاسكندر فقال انا ملك الصين جئت أسألك عن الذي تريده فان كان مايمكن عمله عملته وتركت الحرب فقال له الاسكندر ما الذي آمنك مني قال علمت أنك عاقل حكيم ولم يكن بيني وبينك عداوة ولا ذحل وأنت تعلم انك ان قتلتني لم يكن قتلي سببا لتسليم أهل الصين ملكي اليك ثم انك تنسب الى الغدر فعلم انه عاقل فقال له أريد منك ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف الارتفاع لكل سنة قال قد أجبتك ولكن اسألني كيف حالي قال قل كيف حالك قال أكون أول قتيل لمحارب واول أكلة لمفترس قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين قال يكون حالي أصلح قليلا قال فان قنعت منك بارتفاع سنة قال يبقى ملكي وتذهب لذاتي قال وانا اترك لك مامضى وآخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك قال يكون السدس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد والسدس لي والثلث للعسكر والثلث لك قال قد قنعت منك بذلك فشكره وعاد وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط بعسكر الاسكندر فركب الاسكندر والناس فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج فقال له الاسكندر أغدرت قال لا ولكني أردت ان تعلم اني لم اطعك من ضعف ولكني لما رأيت العالم العلوي متقبلا عليك أردت طاعته بطاعتك والقرب منه بالقرب منك فقال له الاسكندر لا يسام مثلك الجزية فما رأيت بيني وبينك من يستحق الفضل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما أردته منك وانا منصرف عنك فقال له ملك الصين فلست تخسر وبعث اليه بضعف ما كان قرره معه وسار الاسكندر عنه من يومه ودانت له عامة الارضين في الشرق والغرب وملك التبت وغيرها فلما فرغ من بلاد المغرب والمشرق ومابينهما قصد بلاد الشمال وملك تلك البلاد ودان له من بها من الامم المختلفة الى أن اتصل بديار يأجوج ومأجوج وقد اختلفت الاقوال فيهم والصحيح انهم نوع من الترك لهم شوكة وفيهم

ملقنا باخواهم وقد حوم الهوى * فلو باعه دنا طيرها وهي وقع
فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس بدت من جانب الخدر تطلع
فوالله ما ادري أأحلام نائم * ألمت بنا ام كان في الركب يوشع

ثم تتبع ملوك الشام فاستباح منهم واحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على ملوك الشام وصارت الشام كلها لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها فسار الى نابلس الى المكان الذي اودع فيه يوسف عليه السلام وكان اودعه موسى هنالك لما استخرج يوسف من نيل مصر فاستمر مودعا اربعين سنة وهم في التيه فلما فرغ يوشع من اريحا سار به ودفنه عند أجداده بجيرون ولما استولت بنو اسرائيل على الارض المقدسة وصفت لهم اقام يوشع عليه السلام يدبر أمرهم ثمانية وعشرين سنة وتوفي وعمره مائة وعشرون سنة ودفن في جبل افرايم وقيل بقرية قدس من اعمال صفد وله قبر هنالك يزار ويتبرك به وقيل بمدينة معرة النعمان *(ذكر كالب بن يوفنا ابن فارض بن يهودا عليه السلام)* استخلفه يوشع عليه السلام وهو الرجل الذي أنعم الله عليه فاحسن الخلافة والقيام بامر بني اسرائيل حتى قبضه الله تعالى واستخلف ولده يوشانوس وكان شبيها بيوسف وحسنه وجماله وكان الناس يأتونه وينظرون اليه فكادوا أن يفتتنوا من شغفهم به فلما بالغوا في النظر اليه خاف على نفسه من الفتنة فسأل الله تبارك وتعالى ان يغير صورته مع سلامة حواسه فاصابه الجدري فصار وجهه مجدورا فلبث في بني اسرائيل ألف سنة ثم قبضه الله تعالى

وعلى بلاد أخرى فصالح دارا على خراج يحمله اليه في كل سنة فلما هلك فيلقوس ملك بعده ابنه الاسكندر واستولى على بلاد الروم أجمع فقوى على دارا فلم يحمل اليه من الخراج شيأ وكان الخراج الذي يحمله بيضا من ذهب فسخط عليه دارا وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه في ترك حمل الخراج وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيز من سمسم وكتب اليه انه صبي وانه ينبغي له ان يلعب بالصولجان والكرة ويترك الملك وان لم يفعل ذلك واستعصى عليه بعث اليه من يأتيه به في وثاق وان عدة جنوده كعدة حب السمسم الذي بعث به اليه فكتب اليه الاسكندر انه قد فهم ما كتب به وقد نظر الى ما ذكر في كتابه اليه من ارساله الصولجان والكرة وتيمن به لالقاء الملقي الكرة الى الصولجان واحترازه اياها ويشبه الارض بالكرة وانه يجر ملك دارا الى ملكه وتيمنه بالسمسم الذي بعث كتيمنه بالصولجان والكرة لدسمه وبعده من المرارة والحرافة وبعث اليه بصرة فيها خردل وأعلمه في ذلك أن ما بعث به اليه قليل ولكنه مر حريف وان جنوده مثله فلما وصل كتابه الى دارا تأهب لحاربته وقد زعم بعض العلماء بأخبار الاولين ان الاسكندر الذي حارب دارا بن دارا هو أخو دارا الاصغر الذي حاربه وان أباه دارا الاكبر كان تزوج أم الاسكندر وهي ابنة ملك الروم فلما جاءت اليه وجد نتن ريحها وسهكها فامر ان يحتال لذلك منها فاجتمع رأى اهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية سندر فغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ولم يذهب كله وانتهت نفسه عنها فردها الى أهلها وقد علقت منه فولدت في أهلها غلاما فسمته باسم الشجرة التي غسلت بمائها مضافا الى اسمها وقد هلك أبوها وملك الاسكندر بعده فمنع الخراج الذي كان يؤديه جده الى دارا فارسل يطالبه وكان بيضا من ذهب فاجابه اني قد ذبحت الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض واكلت لحمها فان أحببت وادعناك وان أحببت ناجزناك ثم خاف الاسكندر من الحرب فطلب الصلح فاستشار دارا أصحابه فاشاروا عليه بالحرب لفساد قلوبهم عليه فعند ذلك ناجزه دارا القتال فكتب الاسكندر الى حاجبي دارا وحكمهما على الفتك بدارا فاحتكما شيأ ولم يشترطا أنفسهما فلما التقيا للحرب طعن دارا حاجباه في الوقعة وكانت الحرب بينهما سنة فانهزم أصحاب دارا ولحقه الاسكندر وهو بآخر رمق وقيل بل فتك به رجلان من حرسه من أهل همذان حبا للراحة من ظلمه وكان فتكهما به لما رأيا عسكره قد انهزم عنه ولم يكن ذلك بأمر الاسكندر وكان قد أمر الاسكندر مناديا ينادي عند هزيمة عسكر دارا ان يؤسر دارا ولا يقتل فاخبر بقتله فنزل اليه ومسح التراب عن وجهه وجعل رأسه في حجره وقال له انما قتلك أصحابك واني لم أهم بقتلك قط ولقد كنت أرغب بك يا شريف الاشراف ويا ملك الملوك وحر الاحرار عن هذا المصرع وأوص بما أحببت فاوصاه دارا ان يتزوج ابنته روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها ويستبقي احرار فارس ويأخذ له بثاره ممن قتله ففعل الاسكندر ذلك أجمع وقتل حاجبي دارا وقال لهما انكما تشترطا انفسكما فقتلهما بعد أن وفى لهما بما ضمن لهما وقال ليس ينبغي ان يستبقى قاتل الملوك الا بذمة لا تخفر وكان التقاؤهما بناحية خراسان مما يلي

موسى وهرون فلما انقضت لبني اسرائيل الاربعون سنة في التيه بعث الله تعالى يوشع بن نون فسار ببني اسرائيل الى اريحا فلما وصلوا الى نهر الشريعة بالغور وهو نهر الاردن وكان عاشر نيسان من السنة التي توفي فيها موسى عليه السلام فلم يجد للعبور سبيلا فامر يوشع حامل صندوق الشهادة الذي فيه الالواح بان ينزلوا به الى حافة النهر فلما وضعوه زال الماء حتى انكشفت ارضه فلما عبر بنو اسرائيل عادت الشريعة الى ما كانت عليه ونزل يوشع بني اسرائيل اريحا وحاصرها وصار كل يوم يدور حولها ولم يجد للدخول اليها سبيلا الى ستة ايام وفي اليوم السابع امر بني اسرائيل ان يطوفوا حول اريحا سبع مرات وان يكبروا فعند ذلك هبطت أسوار المدينة وانطمست الخنادق وتساوت الارض كذا قاله صاحب المختصر في أخبار البشر وقيل انه حاصرها ستة أشهر فلما كان الشهر السابع ثلموا ثلمة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوا وقتلوا الجبارين قتلا ذريعا فكان الجماعة من بني اسرائيل يجتمعون على الرجل منهم حتى يطرحوه على الارض ويضربوا عنقه وكان القتال يوم الجمعة وقد بقي من الجبارين بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فدعا الله تعالى يوشع عليه السلام فقال اللهم اردد على الشمس حتى أنتقم من اعدائك فاستجاب الله دعاءه ورجعت الشمس مقدار ساعة وفصل اثني عشر درجة فقتلهم اجمعين وكان ذلك في سادس جمادى الاولى وما احسن قول ابي تمام حبيب بن اوس في رد الشمس ليوشع حيث قال

ا الزد

آخر رب حريص على سكوتك اذلا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك اذلا تتكلم
وقال آخر كم اماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت وقال آخر وكان صاحب كتب
الحكمة قد كنت تأمرني ان لا ابعد عنك فاليوم لا اقدر على الدنو منك وقال آخر هذا
يوم عظيم أقبل من شره ما كان مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من
زال ملكه فليبك وقال آخر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب
وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذباب وقال آخر يا من ضاقت عليه الارض طولا
وعرضا ليت شعري كيف حالك بما احتوى عليك منها وقال آخر اعجبوا ممن كان هذا سبيله
كيف شهر نفسه بجمع الاموال الحطام البائد والهشيم النافد وقال آخر أيها الجمع
الحافل والملقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح
والرشاد من الغي والفساد وقال آخر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل
الغمام كيف انجلى وقال آخر يا من كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت وقال آخر قد
رأيتم هذا الملك الماضي فليتعظ به هذا الملك الباقي وقال آخر ان الذي كانت الآذان
تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال آخر سيلحق بك من سره موتك كما لحقت
بمن سرك موته وقال آخر مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل بملك الارض
بل مالك لا ترغب عن ضيق المكان الذي أنت فيه وقد كنت ترغب عن رحب البلاد
وقال آخر ان دنيا يكون هذا فى آخرها فالزهد أولى ان يكون فى أولها وقال صاحب
مائدته قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا أرى عميد القوم وقال صاحب بيت ماله قد
كنت تأمرني بالادخار فالى من أدفع ذخائرك وقال آخر هذه الدنيا الطويلة العريضة قد
طويت منها فى سبعة أشبار ولو كنت بذلك موقنا لم تحمل على نفسك فى الطلب وقالت
زوجته روشنك ما كنت احسب ان غالب دارا يغلب فان الكلام الذي سمعت منكم فيه
شماتة فقد خلف الكاس الذي شرب به ليشرب به الجماعة وقالت امه حين بلغها موته لئن
فقدت من ابني أمره لم يفقد من قلبي ذكره فهذا كلام الحكماء فيه مواعظ وحكم حسنة
فلهذا أثبتناه ومن حيل الاسكندر فى حروبه انه لما حارب دارا خرج الى بين الصفين وأمر
مناديا فنادى يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم الينا وما كتبنا اليكم من الامان فمن كان
منكم على الوفاء فليعتزل فانه يرى منا الوفاء فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا ومن
حيله انه لما لقي ملك الهند بالفيلة فنفرت خيل أصحابه عنها فعاد عنه وأمر باتخاذ فيلة من
نحاس وألبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها ثم عاد الى الهند فخرج اليهم ملك
الهند فامر الاسكندر بتلك الفيلة فملئت بطونها من النفط والكبريت وجرت على العجل
الى وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه فلما انشبت الحرب أمر باشعال النار فى تلك الفيلة
فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت
هاربة راجعة على الهند فانهزموا بين يديها ومن حيله انه نزل على مدينة حصينة وكان
بها كثير من الاقوات وبها عيون ماء فعاد عنها فارسل اليها قوما على هيئة التجار ومعهم
امتعة يبيعونها وأمرهم بشراء الطعام والمغالاة فى ثمنها فاذا صار عندهم أحرقوه وهربوا

فانها توجد اليوم تلك الرائحة فى ذلك السبط من اليهود»

(الفصل الثانى والعشرون فى ذكر الياس عليه السلام)»

وهو الياس بن ياسين بن فنحاص
ابن العيزار بن هرون عليه السلام
بعثه الله تعالى الى اهل بعلبك
وكانوا يعبدون صنما اسمه بعل
وكان طوله عشرين ذراعا
وملكهم يومئذ اسمه اجب
واسم امرأته اربيل وكان
يستخلفها على ملكه اذا غاب
فتحكم بين الناس وكانت كافرة
قتالة للانبياء وقد قتلت منهم خلقا
كثيرا وهى التى قتلت يحيى بن زكريا
عليه السلام وكانت بنت ملك
صيدا وعمرت دهرا طويلا
وتزوجها سبعة من ملوك بنى
اسرائيل وما ملك الا وتقتله
بالاغتيال وولدت سبعين ولدا
فلما تمادى قومه فى الطغيان دعا
عليهم الياس عليه السلام فامسك
الله تعالى الغيث عنهم ثلاث
سنين حتى هلكت مواشيهم
ودوابهم فسألوه أن يدعو لهم فدعا
لهم فجاءهم المطر فقالوا ليس
عندنا من الحبوب ما نزرعه فاوحى
الله الى الياس ان يبذر والملح
فى الارض ففعلوا فانبت الله لهم
الحمص فلما رأوا ذلك لم يؤمنوا
ولم يرجعوا عن كفرهم فلما رأى
الياس عليه السلام ذلك منهم
سأل ربه ان يخرجه من بينهم
فاوحى الله تعالى اليه ان انتظر
يوم كذا فما جاءك من شئ فاركبه
ولا تهبه فخرج الياس عليه
السلام فى ذلك اليوم ومعه تلميذه
اليسع عليه السلام فاذا بفرس

١٥ ملى لى من نار بين يديه فركبه الياس عليه السلام فانطلق به الفرس طائرا فى الجو فناداه اليسع وهو فى الجو يا

شرّوهم كثيرون وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الارض ويخربون ماقدروا عليه من البلاد ويؤذون من يقرب منهم فلما رأى أهل تلك البلاد الاسكندر شكوا اليه من شرّهم كما أخبر الله عنهم في قوله ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدّين وهما جبلان منقابلان لا يرتقي فيهما وليس لهما مخرج الامن الفرجة التي بينهما فلما بلغ الى تلك وقارب السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما يقول مامكني فيه ربي خير من خرجكم ولكن أعينوني بالقوة والقوة الفعلة والصناع والآلة التي يبني بها فقال آتوني زبر الحديد أي قطع الحديد فاتوه بها فحفر الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل الحديد والحطب صفوفا بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما جبلان اشعل النار في الحطب فحمي الحديد وافرغ عليه القطر وهو النحاس المذاب فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد فبقي كأنه برد محبر من حمرة النحاس وسواد الحديد وجعل أعلاه شرفا من الحديد فامتنعت يأجوج ومأجوج من الخروج الى البلاد المجاورة لهم قال الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فلما فرغ من أمر السد دخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي والشمس جنوبية فلهذا كانت ظلمة والافليس في الارض موضع الا تطلع الشمس عليه أبدا فلما دخل الظلمات أخذ معه أربعمائة من أصحابه يطلب عين الخلد فسار فيها ثمانية عشر يوما ثم خرج ولم يظفر بها وكان الخضر على مقدمته فظفر بها وسبح فيها وشرب منها والله أعلم ورجع الى العراق فمات في طريقه بشهرزور وبعلة الخوانيق وكان عمره ستا وثلاثين سنة في قول ودفن في تابوت من ذهب مرصع بالجوهر وطلي بالصبر لئلا يتغير وحمل الى أمه بالاسكندرية وكان ملكه أربع عشرة سنة وقتل دارا في السنة الثالثة من ملكه وبنى اثنتي عشرة مدينة منها أصبهان وهي التي يقال لها جي ومدينة هراة ومرو وسمرقند وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا وبارض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية فلما مات الاسكندر أطاف به من معه من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم فكان يجمعهم ويستريح الى كلامهم فوقفوا عليه فقال كبيرهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا ووضع يده على التابوت وقال أصبح آسر الاسراء أسيرا وقال آخر هذا الملك كان يخبأ الذهب فقد صار الذهب يخبؤه وقال آخر ما أزهد الناس في هذا الجسد وما أرغبهم في التابوت وقال آخر من أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال آخر هذا الذي جعل أجله ضمارا وجعل امله عيانا هلا باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك بل هلا حققت من املك بالامتناع من وفور اجلك وقال آخر أيها الساعي المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج اليه فغودرت عليك أوزاره وفارقت آثامه فجمعت لغيرك وإثمه عليك وقال آخر قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك فمن كان له معقول فليعقل ومن كان معتبرا فليعتبر وقال آخر رب هائب لك يخافك من ورائك وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك وقال آخر

(الفصل الحادي والعشرون في ذكر حزقيل وما وقع لبني اسرائيل) وهو حزقيل بن بوري لما قبض الله تعالى يوشانوس بعث حزقيل نبيا الى بني اسرائيل وهو الذي أحيا الله له الموتى وهم القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف كانوا بقرية واسط فوقع بها الطاعون فخرج جميع من في القرية وساروا حتى نزلوا واديا وهم يبتغون النجاة فقال الله تعالى لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم واختلف العلماء في عددهم قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا اربعة آلاف وقال ابن مالك كانوا ثلاثين الفا وقال ابن أبي رباح كانوا سبعين ألفا واتى عليهم حين من الدهر حتى بليت اجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم حزقيل عليه السلام يوما ووقف عليهم متفكرا ومتعجبا لما حل بهم فبكى بكاء شديدا وقال يارب قوم كانوا يعبدونك ويذكرونك فامتهم جميعا وقد بقيت وحيدا فريدا ولو شئت أحييتهم فيعمرون بلادك ويعبدونك فاوحى الله تعالى اليه أتحب ذلك قال نعم قال الله تعالى قد جعلت حياتهم على يديك قال فوقف حزقيل وناداهم وقال ايتها العظام البالية ان الله تبارك وتعالى يأمرك ان تكتسي لحما وجلدا ودما وعروقا وعصبا ثم نادى أيتها الارواح ان الله تعالى يأمرك ان تعودي الى أجسادك فقام الاموات جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وهم يكبرون الله تعالى ورجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا حتى ماتوا الآجالهم وكانوا يعرفون انهم كانوا أمواتا وسحنة الموت على وجوههم قال ابن عباس رضي الله عنهما

اغسطوس ستاوخمسين سنة فلما مضى من ملكه اثنتان واربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام وقيل كان بين مولده وقيام الاسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين

(ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف)

لما مات الاسكندر ملك بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف وقد تقدم ذكر السبب في تملكهم وقيل كان السبب في ذلك ان الاسكندر لما ملك بلاد الفرس ووصل الى ما أراد كتب الى ارسطاطاليس الحكيم انى قد وترت جميع من في بلاد المشرق وقد خشيت ان يتفقوا بعدى على قصد بلادنا وايذاء قومنا وقد هممت ان اقتل اولاد من قتلت من الملوك والحقهم بآبائهم فما ترى فكتب اليه انك ان قتلت أبناء الملوك افضى الملك الى السفل والاندال والسفل اذا ملكوا قدروا واذا قدروا طغوا وبغوا وظلموا وما يخشى من معرتهم اكثر والرأى ان تجمع ابناء الملوك فتملك كل واحد منهم بلدا واحدا وكورة واحدة فان كل واحد منهم يقوم في وجه الآخر ويمنعه عن بلوغ غرضه خوفا على ما بيده فتتولد العداوة بينهم فيشتغل بعضهم ببعض فلا يتفرغون الى من بعدهم ففندها قسم الاسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف ونقل عن بلادهم النجوم والحكمة وكان من حالهم بعد الاسكندر ما ذكره ارسطاطاليس واشتغلوا عن قصد اليونان وكان ارسطاطاليس من أفضل الحكماء وأعلمهم وكان الاسكندر يصدر عن رأيه وأخذ الحكمة عن افلاطون تلميذ سقراط وسقراط تلميذ اوسيلاوس في الطبيعيات دون غيرها ومعناه راس السباع وكان اوسيلاوس تلميذ انكساغورس الا ان ارسطاطاليس خالف استاذه في عدة مسائل فلما قيل له في ذلك قال افلاطون صديق والحق صديق الا ان الحق اولى بالصداقة منه وقد اختلف العلماء في الملك الذى كان بسواد العراق بعد الاسكندر وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا اقليم بابل فقال هشام بن الكلبي وغيره ملك بعد الاسكندر بلاقس سلبقيس ثم انطيخس وهو الذى بنى مدينة انطاكية وكان في ايدى هؤلاء الملوك سواد الكوفة اربعا وخمسين سنة وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الاهواز وفارس

(ذكر ملك اشك بن اشكان)

ثم خرج رجل يقال له اشك وهو من ولد دارا الاكبر وكان مولده ومنشؤه بالرى فجمع جمعا كبيرا وسار يريد انطيخس وزحف اليه انطيخس والتقيا ببلاد الموصل فقتل انطيخس وملك اشك السواد وصار بيده من الموصل الى الرى واصبهان وعظمته سائر ملوك الطوائف لسنه وشرفه وفضله وبدءوا به في كتبهم وسموه ملكا من غير ان يعزل احدا منهم ثم ملك بعده ابنه سابور بن اشك

(ذكر ملك جوذرز)

ثم ملك بعد سابور جوذرز بن اشكان وهو الذى غزا بنى اسرائيل في المرة الثانية وبسبب تسليط الله اياه عليهم قتلهم يحيى بن زكريا فاكثر القتل فيهم فلم يعد لهم جماعة كجماعتهم الاولى ورفع الله منهم النبوة وأنزل بهم الذل وقيل ان الذى غزا بنى اسرائيل طيطوس بن اسفيانوس ملك الروم فقتلهم وسباهم وخرب بيت المقدس وقد كانت الروم غزت بلاد

والده وهي عجوز عقيم بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل بعد ان رفع الياس عليه السلام فآمنوا به وحكم فيهم بما أمره الله تعالى الى ان قبض وعاش اربعمائة سنة وستين ودفن بقرية تستر من اعمال اذرع ولم يزل امر بنى اسرائيل في ادبار لكثرة التخاليط وسلط الله عليهم ملكا أخذ منهم التابوت وحمله الى بابل (في ذكر السكينة والتابوت * وما اودع فيهما من سر ذى الملكوت) ورد في الخبر ان الله تبارك وتعالى لما اهبط آدم عليه السلام الى الدنيا اهبط عليه تابوتا من الجنة فيه بيوت الانبياء من ذريته على عدد الانبياء والرسل عليهم السلام كل نبي قائم واسمه مكتوب على جبهته وفي آخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم واذا هو قائم يصلى وعلى يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبهته أبو بكر الصديق وعن يساره عمر الفاروق مكتوب على جبهته لا تأخذه في الله لومة لائم ومن ورائه عثمان بن عفان مكتوب على جبهته بار من البررة وبين يديه علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين شاهرا سيفه على عاتقه مكتوب على جبينه هذا أخوه وابن عمه المؤيد بنصر من الله عز وجل وحوله اعمامه واصحابه نور حوافر خيولهم مثل نور الشمس وكان طول التابوت ثلاثة اذرع في عرض ذراعين وكان من خشب الشمشار وهو محلى بالذهب قال السدى ان موسى عليه السلام لذ ضرب التابوت من ذهب من ستمائة ألف مثقال وسبعمائة مثقال وكان في التابوت طشت من ذهب كان تغسل فيه قلوب الانبياء

فقعلوا ذلك وهربوا اليه فانفذ اسرايا الى سواد تلك المدينة وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى فهربوا ودخلوا البلد ايحتموا به فسار الاسكندر اليهم فلم يمتنعوا عليه وكتب الى ارسطاطاليس يذكر له ان من خاصة الروم جماعة لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة وانه يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنة فكتب اليه ارسطاطاليس فهمت كتابك فان ما ذكرت من بعد هممهم فان الوفاء من بعد الهمة وكبر النفس والغدر من دناءة النفس وخبثها واما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرفهه في معيشته واخصصه بحسان النساء فان رفاهية العيش تميت الشجاعة وتحبب السلامة واياك والقتل فانه زلة لا تستقال وذنب لا يغفر وعاقب بدون القتل تكن قادرا على العفو فما احسن العفو من القادر وليحسن خلقك تخلص لك النيات بالمحبة ولا تؤثر نفسك على اصحابك فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المواساة بغضة وكتب الى ارسطاطاليس أيضا المماليك بلاد فارس يذكر له انه رأى بايران شهر رجالا ذوي رأي وصرامة وشجاعة وجمال وانساب رفيعة وانه انما ملكهم بالحظ والاتفاق وانه لا يأمن ان سافر عنهم ففارقهم وثوبهم وانه لا يكفي شرهم الا بيوارهم فكتب اليه قد فهمت كتابك في رجال فارس فاما قتلهم فهو من الفساد والبغي الذي لا يؤمن عاقبته ولو قتلتهم لانبت أهل البلد امثالهم وصار جميع اهل البلد اعداءك بالطبع واعداء عقبك لانك تكون قد وترتهم في غير حرب واما اخراجك اياهم من عسكرك فمخاطرة بنفسك واصحابك ولكني اشير عليك برأي هو ابلغ من القتل وهو ان تستدعي منهم اولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كل واحد منهم ملكا برأسه فتتفرق كلمتهم ويقع بأسهم بينهم ويجتمعون على الطاعة والمحبة لك ويرون انفسهم صنيعتك ففعل الاسكندر ذلك فهم ملوك الطوائف وقيل في ملوك الطوائف غير هذا السبب ونحن نذكره ان شاء الله

(ذكر من ملك من قومه بعد الاسكندر)

لما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه الاسكندروس فأبى واختار العبادة فملكت اليونان فيما قيل بطلميوس بن لاغوس وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ملك بعده بطلميوس فيلاذفوس وكان ملكه اربعين سنة ثم ملك بعده بطلميوس اوراغاطس اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطلميوس فيلافطرا احدى وعشرين سنة ثم ملك بعده بطلميوس افيفانس اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده بطلميوس اوراغاطس تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطلميوس ساطرس سبع عشرة سنة ثم ملك بعده بطلميوس الاخشندراس احدى عشرة سنة ثم ملك بعده بطلميوس الذي اختفى عن ملكه ثماني سنين ثم ملكت بعده قالوبطرى سبع عشرة سنة وكانت من الحكماء وهؤلاء كلهم من اليونان وكل من كان بعد الاسكندر كان يدعى بطلميوس كما كانت تدعى ملوك الفرس اكاسرة وملوك الروم قياصرة وقد ذكر بعض العلماء ان بطلميوس صاحب المجسطي وغيره من الكتب لم يكن من هؤلاء الملوك وانما كان ايام ملوك الروم على ما نذكره ان شاء الله تعالى ثم ملك الشام فيما بعد قالوبطرى ملوك الروم فكان أول من ملك منهم جايوس يولوس خمس سنين ثم ملك بعده

اغسطوس

الياس عبا ذا أمرني فقذف اليه كساءه من الصوف فكان ذلك علامة استخلافه على بني اسرائيل ورفع عن الياس لذة المأكل والمشرب وكساه الله تعالى ريشا وجعله أرضيا وسماويا ملكيا يطير مع الملائكة حيث شاء وسلط الله على الملك وزوجته عدوا فقتلهما ولم يوجد من يدفنهما ولم تزل جيفتهما ملقاة على الارض حتى بليت لحومهما وتمزقت أوصالهما وذكر محمد بن جرير الطبري انه يعيش الى يوم ينفخ في الصور ويجتمع في كل موسم بالخضر عليهما السلام روى الحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ونزلنا منزلا فاذا برجل في الوادي يقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة قال فاشرفت عليه فاذا برجل طوله ثلثمائة ذراع فقال من انت قلت أنس خادم النبي عليه السلام قال وأين هو قلت ذا يستمع منك كلامك فجاء ونعانقا وقعدا يتحدثان فقال يارسول الله اني انما آكل في السنة يوما واحدا وهذا يوم فطري فآكل أنا وأنت فنزل عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحوت وكرفس فأكلا واطعماني وصلينا العصر ثم ودعه ثم رأيته في السحاب نحو السماء وروى ان الابدال يجتمعون به وسئل الياس هل يوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يوح الي

(الفصل الثالث والعشرون في ذكر اليسع بن اخطوب وما لقي من اخطوب ٣) فهو اليسع بن اخطوب كان تلميذ الالياس عليه السلام وهو يعرف بابن العجوز لان امه

اربعين سنة ثم هرمز بن بلاش بن اشكان سبع عشرة سنة ثم اردوان الاكبر بن اشكان اثنتي عشرة سنة ثم كسرى بن اشكان اربعين سنة ثم اردوان الاصغر ابن بلاش ثلاث عشرة سنة وكان اعظم ملوك الاشكانية واظهرهم واعزهم قهر الملوك ثم ملك اردشير ابن بابك وجمع مملكة الفرس على ما نذكره ان شاء الله وقد عد بعضهم في اسماء الملوك غير ما ذكرنا لا حاجة الى الاطالة بذكره وقد ذكرنا بعض ما قيل عند ملك اردشير بن بابك

(ذكر الاحداث ايام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام)

انما جمعنا هذين الامرين العظيمين في هذه الترجمة لتعلق أحدهما بالآخر فنقول كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود وكان آل ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وكان متزوجا بحنة بنت فاقوذ وكان زكريا بن برخيا متزوجا باختها ايشاع وقيل كانت ايشاع اخت مريم بنت عمران وكانت حنة قد كبرت وعجزت ولم تلد ولدا فبينما هي في ظل شجرة ابصرت طائرا يزق فرخا له فاشتهت الولد فدعت الله ان يهب لها ولدا ونذرت ان رزقها ولدا أن تجعله من سدنة بيت المقدس وخدمته فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو وكان المحرر عندهم ان يجعل للكنيسة يقوم بخدمتها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير فان أحب ان يقيم فيها أقام وان أحب ان يذهب ذهب حيث شاء ولم يكن يحرر الا الغلمان لان الاناث لا يصلحن لذلك لما يصيبهن من الحيض والاذى ثم هلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي أنثى فقالت عند ذلك رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها واني سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة ثم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يلون من بيت المقدس ما يلي بنو شيبة من الكعبة وقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا انا احق بها لان خالتها عندي فقالوا لكنا نقترع عليها فالقوا اقلامهم في نهر جار قيل هو نهر الاردن فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فاخذها وكفلها وضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى كبرت فبنى لها غرفة في المسجد لا يرقى اليها الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فيقول أنى لك هذا فتقول هو من عند الله فلما رأى زكريا ذلك منها دعا الله تعالى وربما الولد حيث رأى فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فقال ان الذي فعل هذا بمريم قادر على ان يصلح زوجتي حتى تلد فقال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فبينما هو يصلي في المذبح الذي لهم فاذا هو برجل شاب هو جبريل ففزع زكريا منه فقال له ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى ابن مريم عليه السلام ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان أمه كانت حاملا به فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى فقالت لها يا مريم احامل أنت فقالت لماذا تسألينى قالت لما اني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه وقيل صدق المسيح عليه

حتى بدعوة الياس عليه السلام ثم ان الله تبارك وتعالى بعث يونس الى اهل نينوى وهي مقابلة الموصل بينهما دجلة وكان لهم ملك يقال له ملعب بن الارشاد وكانوا يعبدون الاصنام فاقام يونس عليه السلام يدعوهم الى الاسلام تسع سنين فلم يؤمنوا وسألوه بان يظهر نارا من ماء ويوقدها بالحطب ففعل فلم يؤمنوا وقيل اقام يدعوهم ثلاثا وثلاثين سنة لم يؤمن به الا رجلان فلما يئس من ايمانهم اتاه جبريل عليه السلام فقال له يا يونس انطلق الى اهل نينوى وانذرهم ان العذاب قد حضرهم فاخبرهم بذلك فلم يرجعوا فلما كان الليل خرج يونس وزوجته وولداه فاصبحوا ولم يجدوا يونس فتيقنوا العذاب فتابوا ورجعوا الى الله تعالى وفرقوا بين كل والدة وولدها فلبسوا المسوح وردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر الذي كان اغتصبه ووضعه في الاساس فيقلعه ويرده الى صاحبه وهم يقولون اين انت يا يونس فانا لا نعود الى مثل فعلك فلم يجدوا بدا من الايمان فقالوا ان يكن يونس قد غاب عنا فان الهه لا يغيب فخرجوا الى ظاهر البلد يبكون ويتضرعون الى الله تعالى وقالوا الهنا انا قد آمنا بك وبنبيك يونس وبجميع الانبياء والمرسلين فاغفر لنا ذنوبنا واكشف عنا العذاب ثم خروا بأجمعهم ساجدين لله تعالى فلما فعلوا ذلك اوحى الله تعالى الى ملائكة العذاب ان ارجعوا فقد حق القول مني ان لا اعذب قوما وحدوني فرجعوا الى المدينة مؤمنين آمنين واختلف في وقوع العذاب والاصح انه لم يقع بهم العذاب وانما رأوا العلامة

فارس بطليون ثار انطيخس وملك بابل حينئذ بلاش ابو اردوان الذى قتله اردشير بن
بابك فكتب بلاش الى ملوك الطوائف يعلمهم ما جمعت امة الروم من غزو بلادهم وما
حشدوا وجمعوا وانه ان عجز عنهم ظفروا بهم جميعا فوجه كل ملك من ملوك الطوائف الى
بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته فاجتمع عنده اربعمائة ألف رجل فولى عليهم
صاحب الحضر وكان له ما بين السواد والجزيرة فلقى الروم وقتل ملكهم واستباح
عسكرهم وذلك الذى هيج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية اليها وكان
الذى انشأها قسطنطين الملك وهو اول من تنصر من ملوك الروم وأجلى من بقى من بنى
اسرائيل من فلسطين والشام لقتلهم عيسى بزعمهم واخذ الخشبة التى يزعمون انهم
صلبوا المسيح عليها فعظمها الروم وادخلوها خزائنهم وهى عندهم الى اليوم ولم يزل ملك
فارس متفرقا حتى ملك اردشير بن بابك ولم يبين هشام مدة ملكهم وقال غيره من اهل العلم
بأخبار فارس ملك بلادهم بعد الاسكندر ملوك من غير الفرس كانوا يطيعون كل من ملك
بلاد الجبل وهم الاشغانيون الذين يدعون ملوك الطوائف وكان ملكهم مائتى سنة وقيل
كان ملكهم ثلثمائة وأربعين سنة ملك من هذه السنين اشك بن اشكان عشرين سنة ثم
ابنه سابور ستين سنة وفى احدى وأربعين سنة من ملكه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه
السلام وان تيطوس بن اسفيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع المسيح
بنحو من اربعين سنة فملك المدينة وقتل وسبى وأخرب المدينة ثم ملك جوذرز بن اشغان
الاكبر عشر سنين ثم ملك بيزن الاشغانى احدى وعشرين سنة ثم ملك جوذرز الاشغانى
تسعا وخمسين سنة ثم ملك نرسى الاشغانى اربعين سنة ثم ملك هرمز الاشغانى سبع عشرة
سنة ثم ملك اردوان الاشغانى اثنتين وعشرين سنة ثم ملك كسرى الاشغانى اربعين سنة
ثم ملك بلاش الاشغانى اربعا وعشرين سنة ثم ملك اردوان الاصغر ثلاث عشرة سنة ثم
ملك اردشير بن بابك وقال بعضهم ملك بلاد الفرس بعد الاسكندر ملوك الطوائف الذين
فرق الاسكندر المملكة بينهم وتفرد بكل ناحية من ملك عليها من حين ملكه عليها ما خلا
السواد فانه كان اربعا وخمسين سنة بعد هلاك الاسكندر فى يد الروم وكان فى ملوك
الطوائف رجل من نسل الملوك قد ملك الجبال واصبهان ثم غلب ولده بعد ذلك على
السواد وكانوا ماهو كاعليها وعلى الماهات والجبال واصبهان كالرئيس على سائر ملوك
الطوائف لان العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده ولذلك قصد لذكرهم فى كتب سير الملوك
فاقتصرنا على ذكرهم دون غيرهم فكانت مدة ملوك الطوائف مائتى سنة وستين سنة وقيل
ثلاثمائة واربعا واربعين سنة وقيل خمسمائة وثلاثا وعشرين سنة والله اعلم فمن الملوك
الذين ملكوا الجبال ثم تهيأت بعد أولادهم الغلبة على السواد اشك بن جزه وهو من ولد
اسفنديار بن بشتاسب فى قول وبعض الفرس زعم ان اشك بن دارا وقال بعضهم اشك بن
أشكان الكبير هو من ولد كيكاوس وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده اشك ابنه
احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه سابور ثلاثين سنة ثم ملك ابنه جوذرز عشر سنين ثم ملك
ابنه تيرى احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه جوذرز الاصغر تسع عشرة سنة ثم ابنه نرسه

ومكسرات الالواح وكان من زمرد اخضر فيها كتابة من الذهب وعصا موسى ونعله وعمامة هرون وذلك قوله تعالى
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون
الآية واختلفوا ان السكينة التى
فى التابوت ما هى قال على بن ابى
طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله
وجهه ان السكينة ريح خجوج
هفافة أى سريعة المرور فى هبوبها
وقيل انها حيوان له رأس ووجه
كوجه الانسان وسائرها خلق رقيق
كالريح والهواء وقال ابن عباس
رضى الله عنهما هى روح من الله
تعالى يتكلم اذا اختلف بنو
اسرائيل فى شئ من امورهم
فيخبرهم بشأن ما يريدون ويحكم
بينهم واذا أرادوا قتال عدوهم
اقاموه بين أيديهم فينتصرون
على عدوهم

*(الفصل الرابع والعشرون فى
ذكر يونس عليه السلام)*

وهو يونس بن متى وهو ذو النون
واختلف فى زمان مبعثه فقيل
بعث بعد سليمان عليه السلام وقيل
بعد الياس وقيل بعد شعيب عليه
السلام وكان متى رجلا من أهل
بيت النبوة وقيل متى اسم امه
قال القرطبى فى تفسيره وهو ابن
العجوز الذى نزل عندها الياس
عليه السلام فاستخفى عندها من
قومه ستة اشهر ويونس صبى
يرضع وكانت ام يونس تخدم الياس
بنفسها ثم ان الياس عليه السلام
ضاق صدره ولحق بالجبال ومات
ابن المرأة يونس فخرجت فى اثر
الياس تطوف الجبال حتى وجدته
فسألته ان يدعو الله تعالى لها لعله
يحيي ولدها فجاء الياس الى الصبى بعد اربعة عشر يوما من موته فتوضأ وصلى ودعا الله تعالى فاحيا الله يونس بن

اربعين

بنت امرأته فنهاه يحيى عن ذلك فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى فارسل اليه فقتله
واحضر رأسه فى طست وهو يقول له لا تحل لك فبقى دمه يغلى فطرح عليه تراب حتى بلغ
سور المدينة فلم يسكن الدم فسلط الله عليهم بختنصر فى جمع عظيم فحصرهم فلم يظفر بهم
فاراد الرجوع فاتته امرأة من بنى اسرائيل فقالت بلغنى انك تريد العود قال نعم قد طال
المقام وجاع الناس وقلت الميرة بهم وضاق عليهم فقالت ان فتحت لك المدينة أتقتل من
آمرك بقتله وتكف اذا آمرتك قال نعم قالت اقسم جندك أربعة أقسام على نواحى
المدينة ثم ارفعوا أيديكم الى السماء وقولوا اللهم انا نستفتحك على دم يحيى بن زكريا ففعلوا
فخرب سور المدينة فدخلوها فأمرتهم العجوز ان يقتلوا على دم يحيى بن زكريا حتى يسكن
فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفا وسكن الدم فامرته بالكف وكف وخرب بيت المقدس
وامر ان تلقى فيه الجيف وعاد ومعه دانيال وغيره من وجوه بنى اسرائيل منهم عزريا
وميشائيل ورأس الجالوت فكان دانيال اكرم الناس عليه فحسدهم المجوس وسعوا بهم
الى بختنصر وذكر نحو ما تقدم من القائهم الى السبع ونزول الملك عليهم ومسخ بختنصر
ومقامه فى الوحش سبع سنين وهذا القول وما لم نذكره من الروايات من ان بختنصر هو
الذى خرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا باطل عند أهل السير
والتاريخ وأهل العلم بامور الماضين وذلك انهم أجمعون مجمعون على ان بختنصر غزا بنى
اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا فى عهد أرميا بن حلقيا وبين عهد ارميا وقتل يحيى اربعمائة
سنة واحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى ويذكرون ان ذلك فى كتبهم وأسفارهم
مبين وتوافقهم المجوس فى مدة غزو بختنصر بنى اسرائيل الى موت الاسكندر وتخالفهم
فى مدة ما بين موت الاسكندر ومولد يحيى فيزعمون ان مدة ذلك كانت احدى وخمسين سنة
(واما ابن اسحق) فانه قال الحق ان بنى اسرائيل عمروا بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل
وكثر واثم عادوا يحدثون الاحداث ويعود الله سبحانه عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا
يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكريا وابنه يحيى وعيسى بن مريم
عليهم السلام فقتلوا يحيى وزكريا فابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له جودرس
فسار اليهم حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم بيت المقدس قال لقائد عظيم من عسكره
اسمه نبوزاذان وهو صاحب الفيل انى كنت حلفت انى ان اظفرت ببنى اسرائيل لاقتلنهم
حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا ان لا أجد من أقتله وأمره ان يدخل المدينة
ويقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم فدخل نبوزاذان المدينة فاقام فى المدينة التى يقربون فيها
قربانهم فوجد فيها دما يغلى فقال يا بنى اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلى فقالوا هذا دم
قربان لنا لم يقبل فلذلك هو يغلى فقال ما صدقتمونى الخبر فقالوا انه قد انقطع منا الملك
والنبوة فلذلك لم يقبل منا فذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤسهم
فلم يهدأ فأمر بسبعمائة من علمائهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم
يا بنى اسرائيل أصدقونى واصبروا على امر ربكم فقد طال ما ملكتم فى الارض تفعلون
ما شئتم قبل ان لا أدع منكم نافخ نار ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه

من المدحضين اى المغلوبين فانطلقوا به الى صدر السفينة ليلقوه فى البحر فاذا بحوت عظيم اقبل من بلاد الهند
فاتحا فاه ثم جاؤا به الى جانب آخر
فاذا بالحوت فاتحا فاه كالاول فلما
رأى ذلك القى بنفسه فالتقمه
الحوت وهو مليم يعنى يلوم نفسه
وكان ذلك فى جوف الليل قال ابن
مسعود رضى الله عنه فابتلع
الحوت حوت آخر فصار فى ظلمات
ثلاث وهو يسمع تسبيح الحصى
الذى فى قعر البحر ذكر الشيخ عبد
القادر الكيلانى فى معراج لطيف
المعانى ان الله تعالى أوحى اليه
وقال يا يونس من اشتغل بغيرى
اسرته بحزيل خيرى واعتبر
بقارون حين استغاث بموسى فلقى
حنقا ويونس فنادى فى الظلمات
الثلاث المذكورات لا اله الا انت
سبحانك انى كنت من الظالمين
فلما سمعت الملائكة صوته قالت
الهنا هذا صوت يونس ولا ندرى
فى اى موضع هو قال هو فى قعر
البحر فى بطن الحوت قالت الهنا
هل فعل ذنبا قال لا الا انى ادبته
وعلى عجائب قدرتى وملكوتى
فرجته وهو يسبحنى ويقدسنى
وكان نودى فى سره يا يونس يكون
لك هى خلوة فى قرار البحر ما نالها
أحد غيرك قال ومن يعملنى الى
قرار البحر يا ذا العزة والجبروت
قال يحملك بقدرتى الحوت قال
كعب الاحبار كان هذا البحر بحر
الروم له سبعمائة الف باب الى
البحار كلها فادخل الحوت يونس
الى هذه الابواب كلها وهو
يقول له هذا باب كذا وهذا باب
كذا ويونس يسمع لغات الحيتان وخلائق الماء ويسمع تسبيحهم بلغات مختلفة ويقال ان الله عز وجل رقق له جلد

اسلام وله ثلاث سنين وسماه الله تعالى ولم يكن قبله من تسمى هذا الاسم قال الله تعالى لم نجعل له من قبل سميا وقال تعالى والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا قيل اوحش ما يكون ابن آدم في هذه الايام الثلاثة فسلمه الله تعالى من وحشتها وانما ولد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين وقيل بستة أشهر وكان لا يأتي النساء ولا يلعب مع الصبيان قال رب أنى يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وكان عمره اثنتين وتسعين سنة وقيل مائة وعشرين سنة وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة فقيل له كذلك الله يفعل ما يشاء وانما قال ذلك استخبارا هل يرزق الولد من امرأته العاقر أم غيرها لا انكارا لقدرة الله تعالى قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا قال امسك الله لسانه عقوبة لسؤاله الآية والرمز الاشارة فلما ولد رآه أبوه حسن الصورة قليل الشعر قصير الاصابع مقرون الحاجبين دقيق الصوت قويا في طاعة الله منذ كان صبيا قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل انه قال له يوما الصبيان امثاله يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وكان يأكل العشب وأوراق الشجر وقيل كان يأكل خبز الشعير وحضر به ابليس ومعه رغيف شعير فقال أنت تزعم انك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير فقال يحيى يا ملعون هو القوت فقال ابليس ان الاقل من القوت يكفي لمن يموت فاوحى الله اليه اعقل ما يقول لك وبني صغيرا فكان يدعو الناس الى عبادة الله ولبس الشعر فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن اليه أين ما جنه الليل أقام ولم يكن له عبد ولا أمة واجتهد في العبادة فنظر يوما الى بدنه وقد نحل فبكى فاوحى الله اليه يا يحيى ابكي لما نحل من جسمك وعزتي وجلالي لو اطلعت في النار اطلاعة لتدرعت الحديد عوض الشعر فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فبلغ ذلك امه فدخلت عليه واقبل زكريا ومعه الاحبار فقال يا بني ما يدعوك الى هذا قال انت امرتني بذلك حيث قلت ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله فقال فابك واجتهد اذن فصنعت له امه قطعتي لبد على خديه توارى اضراسه فكان يبكي حتى بلهما وكان زكريا اذا أراد أن يعظ الناس نظر فان كان يحيى حاضرا لم يذكر جنة ولا نارا وبعث الله عيسى رسولا نسخ بعض أحكام التوراة فكان مما نسخ انه حرم نكاح بنت الاخ وكان الملك واسمه هيرودس بنت أخ تعجبه يريد ان يتزوجها فنهاه يحيى عنها وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها فلما بلغ ذلك امها قالت لها اذا سألك الملك ما حاجتك فقولي ان تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه وسألها ما حاجتك قالت أريد أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلي غير هذا قالت ما أسألك غيره فلما أبت دعا بيحيى ودعا بطست فذبحه فلما رأت الرأس قالت اليوم قرت عيني فصعدت الى سطح قصرها فسقطت منه الى الارض ولها كلاب ضارية تحته فوثبت الكلاب عليها فاكلتها وهي تنظر وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر فلما قتل بدرت قطرة من دمه على الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم فالقى الله في قلبه ان يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن فقتل منهم سبعين ألفا حتى سكن الدم وقال السدي نحو هذا غير انه قال اراد الملك ان يتزوج

التي تدل على العذاب ولو عاينوا شيأ منه لما نفعهم الايمان وذلك انهم رأوا غيما اسود هائلا بدخان شديد حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم وقام يونس لينظر الى اخبار المدينة وبما نزل بقومه من العذاب فلقيه ابليس في صورة شيخ فقال له يونس أيها الشيخ من اين اقبلت قال من بلد نينوى قال فما نزل بهم اليوم فقال كان يونس قد وعدنا بالعذاب ولم يكن وعلمنا انه كاذب قال فغضب يونس وقال لا اعود الى قوم كذبوني وكان معه زوجته وولداه فبلغ شاطئ دجلة فاخذ ولده الاكبر وعبر به الماء ثم رجع فاخذ ولده الاصغر فلما صار في وسط الدجلة ازداد الماء حتى غرق الولد وجاء ذئب فحمل ولده الذي كان عبر به الماء فخرج يونس من الماء وجعل يعدو خلف الذئب فالتفت الذئب اليه وقال ارجع يا يونس لا سبيل لك الى ولدك فرجع ولم يجد زوجته فجلس باكيا حزينا وسار على وجهه حتى لحق بالبحر فاذا هو بسفينة مارة فلوح اليهم فرحموه وحملوه فسار واغير بعيد اذ جاءهم ريح عاصف كادت السفينة ان تغرق فاجتمع اهل السفينة فقالوا هذه بخطيئة أحدكم فقال يونس ان فيها عبدا آبقا من ربه وانها لن تسكن حتى تلقوه في البحر فبينماهم كذلك اذ رفع حوت عظيم رأسه اليهم واراد أن يبتلع السفينة فقال لهم يونس هذا من أجلي فاطرحوني في البحر لتسلموا ولتذهب الريح عنكم قالوا لا نطرحك حتى نتساهم فمن وقعت عليه المساهمة رميناه في البحر قال فتساهموا ثلاث مرات فوقعت عليه فذلك قوله تعالى فساهم فكان

(ذكر ولادة المسيح عليه السلام ونبوته الى آخر أمره)

كانت ولادة المسيح أيام ملوك الطوائف قالت المجوس كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وبعد احدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين وقالت النصارى ان ولادته كانت لمضي ثلثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الاسكندر على ارض بابل وزعموا ان مولد يحيى كان قبل مولد المسيح بستة أشهر وان مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشرين وان عيسى عاش الى ان رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما وان مريم عاشت بعده ست سنين فكان جميع عمرها احدى وخمسين سنة وان يحيى قتل قبل ان يرفع المسيح وأتت المسيح النبوة والرسالة وعمره ثلاثون سنه وقد ذكرنا حال مريم في خدمة الكنيسة وكانت هي وابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة وكان يوسف حكيما نجارا يعمل بيديه ويتصدق بذلك وقالت النصارى ان مريم كان قد تزوجها يوسف ابن عمها الا انه لم يقربها الا بعد رفع المسيح والله أعلم وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف ابن عمها أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبرائيل نفد ماؤها فقالت ليوسف ليذهب معها الى الماء فقال عندي من الماء ما يكفيني الى غد فأخذت قلتها وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت جبرائيل قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثني اليك لأهب لك غلاما زكيا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي مطيعا لله وقيل هو اسم رجل بعينه وتحسبه رجلا قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا أي زانية قال كذلك قال ربك الى قوله أمرا مقضيا فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح وملأت قلتها وعادت وكان لا يعلم في أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار وكان معها وهو أول من أنكر حملها فلما رأى الذي بها استعظمه ولم يدر على ماذا يضع ذلك منها فاذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذي بها فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه لها ان قال لها انه قد وقع من أمرك شيء قد حرصت على ان أميته وأكتمه فغلبني فقالت قل قولا جميلا فقال حدثيني هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه قالت نعم قال فهل يكون ولد بغير ذكر قالت له نعم ألم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه بغير بذر الم تعلم ان الله خلق الشجر من غير مطر وانه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منها وحده أو تقول ان يقدر الله على ان ينبت حتى يستعين بالبذر والمطر قال يوسف لا أقول هكذا ولكني أقول ان الله يقدر على ما يشاء انما يقول لذلك كن فيكون قالت له ألم تعلم ان الله خلق آدم وحواء من غير ذكر ولا انثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء من الله لا يسعه ان يسألها عنه لما رأى من كتمانها له وقيل انها خرجت الى جانب الحجرات لبعض أصابها فاتخذت من دونهم حجابا من الجدران فلما

سوريا امغموما يبكي لفقدهما فاوحى الله اليه يا يونس انك تبكي على قطينة لم تزرعها وعلى يقطينة لم تزرعها ولم تحزن على مائة ألف أو يزيدون من اولاد ابراهيم عليه السلام فعند ذلك هبط عليه ملك وأتاه بحلتين فالبسهما وقال له قم يا يونس الى قومك فانهم يتمنون ان يروك فسار يونس عليه السلام حتى وصل الى قرية فرأى رجلا ومعه امرأة وهو ينادي من يحمل هذه المرأة الى بلاد نينوى ويسلمها الى زوجها يونس بن متى وله مائة مثقال من الذهب فنظر يونس عليه السلام الى المرأة فعرفها فاذا هي امرأته فقال أيها الرجل ما قصة هذه المرأة فقال ان هذه كانت جالسة على شاطئ البحر تنتظر زوجها فمر بها ملك من ملوك هذه البلاد فاحملها الى منزله واراد ان يفجر بها فأيبس الله تعالى يديه ورجليه فسألها ان تدعو له ولا يعود الى ذلك ابدا فدعت له فعافاه الله تعالى فدفعها الي ومائة مثقال من الذهب الاحمر على ان احملها الى بلد نينوى واسلمها الى زوجها يونس ابن متى فقال يونس انا احملها فاعطاه الرجل الذهب وسلم اليه المرأة فسار فرحين حتى دخل قرية أخرى واذا هو برجل راكب دابة ومن ورائه غلام فنظر اليه يونس فاذا هو ولده الصغير الذي غرق فأخذه واعتنقه فقال له الرجل من انت قال انا يونس بن متى وهذا ولدي فسلم الرجل اليه ولده فسأله يونس عن قصة هذا الغلام قال انا رجل صياد وكنت قد ألقيت الشبكة في طرف دجلة فوقع هذا الغلام في الشبكة وهو حي فأخذته واذا بهاتف يقول اسقط هذا الغلام حتى

الخبر وقالوا هذا نبي كان ينهانا عن كثير مما يسخط الله ويخبرنا بخبركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه فقال ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني لمثل هذا انتقم ربكم منكم وخر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من ههنا من جيش جودرس فعملوا وخلا في بني اسرائيل ثم قال للدم يا يحيى قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ باذن الله قبل ان لا يبقى من قومك أحد فسكن الدم ورفع نبوزاذان القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وايقنت انه لا رب غيره ثم قال لبني اسرائيل ان جودرس امرني ان اقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم في عسكره واست استطيع ان اعصيه قالوا افعل فأمرهم ان يحفروا حفيرة وأمر بالخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والابل فذبحها حتى كثر الدم واجرى عليه ماء فسال الدم في العسكر فامر بالقتلى الذين كان قتلهم فالقوا فوق المواشي فلما نظر جودرس الى الدم قد بلغ عسكره ارسل الى نبوزاذان ان ارفع القتل عنهم فقد انتقمت منهم بما فعلوا وهي الوقعة الاخيرة التي أنزل الله ببني اسرائيل يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وعسى من الله حق وكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده ثم رد الله سبحانه لهم الكرة ثم كانت الوقعة الاخيرة جودرس وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسائهم يقول الله تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا وزعم بعض أهل العلم ان قتل يحيى كان أيام أردشير بن بابك وقيل كان قتله قبل رفع المسيح عليه السلام بسنة ونصف والله أعلم

(ذكر قتل زكريا)

لما قتل يحيى وسمع أبوه بقتله فر هاربا فدخل بستانا عند بيت المقدس فيه اشجار فارسل الملك في طلبه فمر زكريا بالشجرة فنادته هلم الي يا نبي الله فلما أتاها انشقت فدخلها فانطبقت عليه وبقي في وسطها فأتى عدو الله ابليس فاخذ هدب ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم ثم لقي الطلب فاخبرهم فقال لهم ما تريدون فقالوا نلتمس زكريا فقال انه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها قالوا لا نصدقك قال فان لي علامة تصدقوني بها فاراهم طرف ردائه فاخذوا الفؤس وقطعوا الشجرة باثنتين وشقوها بالمنشار فمات زكريا فيها فسلط الله عليهم أخبث أهل الارض فانتقم به منهم وقيل ان السبب في قتله ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف زكريا بمريم وقال لهم ما احبلها غيره وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوه فهرب ونذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدم

بطن الحوت حتى ينظر الى جميع ما في البحر فلم يزل الحوت يطوف به البحار كلها وكان سجوده على كبد الحوت

روى الطبراني من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى حبس يونس في بطن الحوت اوحى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما اني لم اجعله لك رزقا ولكن جعلت بطنك له وعاء ومسجدا وفي معراج لطيف المعاني للشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ان زوج تلك الحوتة قصدها للجماع فقالت اني حاملة وديعة وامانة فلا اشتغل بالشهوات والخيانة فمكث في بطن الحوت على اصح الروايات اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس منه يونس عليه السلام فلما وصل الحوت الى الموضع الذي ابتلعه فيه ناداه ملك ان اقذفه من بطنك أيها الحوت فتقدم الى الساحل فقذفه وكان حين خرج من بطن الحوت كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش وهو قطعة لحم لم ينقص من خلقه شيء فانبت الله عليه شجرة اليقطين وكان يوم خروجه من بطن الحوت سابع المحرم ثم امر الله تعالى ظبية فاقبلت اليه ووقفت بين يدي يونس وكلمته باذن الله تعالى وامرته ان يمص من لبنها ليتقوى به فيامص ويشرب فقوي فلم يزل على ذلك اربعين يوما فنام يوما ثم انتبه فرأى اليقطينة قد يبست والظبية غابت عنه فجلس

(ذكر

منكوسة على رؤسها وفزعت الشياطين فجاؤا الى ابليس فلما رأى جماعتهم سألهم فاخبروه فقال قد حدث فى الارض حادث فطار عند ذلك وغاب عنهم فمر بالمكان الذى ولد فيه عيسى فرأى الملائكة محدقين به فعلم ان الحدث فيه ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى فعاد الى اصحابه واعلمهم بذلك وقال لهم ما ولدت امرأة الا وانا حاضر وانى لارجو ان اضل به اكثر ممن يهتدى واحتملته مريم الى أرض مصر فمكثت اثنتى عشرة سنة تكتمه من الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد فى منكبيها قلت والقول الاول فى ولادته بارض قومها والقرآن اصح لقول الله تعالى فاتت به قومها تحمله وقوله كيف نكلم من كان فى المهد صبيا وقيل ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهى الربوة التى ذكرها الله تعالى وقيل الربوة دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك فكان سبب ذلك الخوف من ملك بنى اسرائيل وكان من الروم واسمه هيردوس فان اليهود اغروه بقتله فساروا الى مصر واقاموا بها اثنتى عشرة سنة الى ان مات ذلك الملك وعادوا الى الشام وقيل ان هيردوس لم يرد قتله ولم يسمع به الا بعد رفعه واغا خلقوا اليهود عليه والله اعلم

(ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته)

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان وكانت داره يأوى اليها الفقراء والمساكين فسرق له مال فلم يتهم المساكين فحزنت مريم فلما رأى عيسى حزن امه قال أتريدين ان أدله على ماله قالت نعم قال انه أخذه الاعمى والمقعد اشتركا فيه حمل الاعمى المقعد فاخذه فقيل للاعمى احمل المقعد فأظهر العجز فقال له المسيح كيف قويت على حمله البارحة لما أخذتما المال فاعترفا واعاداه ونزل بالدهقان أضياف ولم يكن عنده شراب فاهتم لذلك فلما رآه عيسى دخل بيتا للدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشى فامتلأت شرابا وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة وكان فى الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أهلوهم وبما كانوا يأكلون قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبى فضربه على رجله فقتله فالقاه بين رجلى المسيح متلطخا بالدم فانطلقوا به الى الحاكم فى ذلك البلد فقالوا قتل صبيا فسأله الحاكم فقال ما قتلته فارادوا ان يبطشوا به فقال ائتونى بالصبى حتى أسأله من قتله فتعجبوا من قوله واحضروا عنده القتيل فدعا الله فأحياه فقال من قتلك فقال قتلنى فلان يعنى الذى قتله فقال بنو اسرائيل للقتيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم ثم مات الغلام من ساعته وقال عطاء سلمت مريم عيسى الى صباغ يتعلم عنده فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة فقال للمسيح هذه ثياب مختلفة الالوان وقد جعلت فى كل ثوب منها خيطا على اللون الذى يصبغ به فاصبغها حتى أعود من حاجتى هذه فاخذها المسيح وألقاها فى حب واحد فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب فقال صبغتها فقال أين هى قال فى هذا الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدتها على أصحابها وتغيظ عليه فقال له المسيح لا تعجل وانظر اليها وقام وأخرجها كل ثوب منها على اللون الذى أراد صاحبه فتعجب الصباغ منه وعلم ان ذلك من الله تعالى ولما عاد

وركب معه جميع اهل المدينة وخرجوا بين يديه وساروا فاذا هم بيونس عليه السلام فلما رآهم بكى بكاء شديدا ثم استقلوه فادخلوه المدينة واجلسه الملك مكانه ووقف بين يديه وفرح اهل المدينة بذلك فرحا شديدا فأقام يونس فيهم زمانا يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى ان مات الملك فدعا يونس بالغلام الراعى فاستخلفه مكان الملك (ذكر القطب) الربانى الشيخ عبد القادر الكيلانى فى سراج لطيف المعانى قال ابن عباس رضى الله عنهما ان نبيين من الانبياء حصل لهما خلوتان احدهما يونس فى بطن الحوت والثانى محمد صلى الله عليه وسلم على بساط القرب من الملكوت وكان السبب فى المراجين ان بعض الكفار قال ان السماء لله والارض والبحار لغير الله فأراد الله ان يجعل معراج يونس فى البحر فى وسط الماء ومعراج محمد صلى الله عليه وسلم فوق السماء وخرج يونس عليه السلام ومعه سبعون رجلا من العباد والزهاد حتى وصل الى جبل صهيون فكانوا هناك يعبدون الله تعالى الى ان مات يونس عليه السلام ودفن فى جبل صهيون وقيل دفن بأرض الموصل وله قبر هناك يزار ويتبرك به قال الامام ابو الفتح فى كتابه قبر يونس عليه السلام بالقرية المعروفة بحلحول على طريق بلدة الخليل عليه السلام وله قبر هناك يزار ويتبرك به وقد زرته وقيل ان قبره بالكوفة فى ناحية طبرية

(الفصل الخامس والعشرون فى ذكر شمويل عليه السلام) وقيل اسمه اشماويل وهو بالعربية اسمعيل وهو ابن هلقامن ولد قاهث ابن لاوى بن يعقوب عليه

طهرت اذا برجل معها وذكر الآيات فلما حملت أتتها خالتها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا اني حبلى فقالت لها مريم وانا أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك وولدت امرأة زكريا يحيى (وقد اختلف) في مدة حملها فقيل تسعة أشهر وهو قول النصارى وقيل ثمانية أشهر فكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية اشهر غيره وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا عقبه بالفاء فلما أحست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي فاتت اقصاه فاجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا يعني نسي ذكري واثري فلا يرى لي اثر ولا عين قالت مريم كنت اذا خلوت حدثني عيسى وحدثته فاذا كان عندنا انسان سمعت تسبيحه في بطني فناداها جبرائيل من تحتها أي من أسفل الجبل لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير اجراه تحتها فمن قرأ من تحتها بكسر الميم جعل المنادي جبرائيل ومن فتحها قال انه عيسى انطقه الله وهزي اليك بجذع النخلة كان جذعا مقطوعا فهزته فاذا هو نخلة وقيل كان مقطوعا فلما اجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضر وارطب فقيل لها وهزي اليك بجذع النخلة فهزته فتساقط الرطب فقال لها كلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي فلما ولدته ذهب ابليس فاخبر بني اسرائيل ان مريم قد ولدت فاقبلوا يشتدون بدعوتها فاتت به قومها تحمله وقيل ان يوسف النجار تركها في مغارة أربعين يوما ثم جاء بها الى أهلها فلما رأوها قالوا لها يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فما بالك أنت وكانت من نسل هرون أخي موسى كذا قيل قلت انها ليست من نسل هرون انما هي من سبط يهودا بن يعقوب من نسل سليمان بن داود وانما كانوا يدعون بالصالحين وهرون من ولد لاوي بن يعقوب قالت لهم ما أمرها الله به بعد ذلك فلما ارادوها بعد ذلك على الكلام أشارت اليه فغضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فتكلم عيسى فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فكان اول ما تكلم به العبودية ليكون أبلغ في الحجة على من يعتقد انه اله وكان قومها قد اخذوا الحجارة ليرجموها فلما تكلم ابنها تركوها ثم لم يتكلم بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان وقال بنو اسرائيل ما احبلها غير زكريا فانه هو الذي كان يدخل عليها ويخرج من عندها فطلبوه ليقتلوه ففر منهم ثم ادركوه فقتلوه وقيل في سبب قتله غير ذلك وقد تقدم ذكره وقيل انه لما دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك فانهم ان ظفروا بك عيروك وقتلوا ولدك فاحتملها يوسف النجار وسار بها الى ارض مصر فلما وصلا الى تخوم مصر ادركها المخاض فلما وضعت وهي محزونة قيل لها لا تحزني الآية الى انسيا فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء واصبحت الاصنام

يجيء الملك ابوه يونس بن متى فادفعه اليه وسار يونس حتى بلغ قريبا من بلد نينوى فاذا هو بغلام يرعى غنما على قارعة الطريق وهو يقول اللهم اردد علي والدي فرآه يونس فاذا هو ولده الكبير فتعانقا وبكيا جميعا ثم قال يا ابت ان هذه الاغنام لرجل في هذه القرية فسر معي حتى نرد غنمه عليه فمضيا حتى دخلا القرية واذا الشيخ كبير جالس على باب داره فأخبره الغلام ان هذا ابي فقام الشيخ الى يونس وقبل يديه فقال له يونس هل تعرف قصة هذا الغلام قال نعم انا رجل كنت ارعى هذه الغنم واذا أنا بهذا الغلام على ظهر الذئب فألقاه بين يدي وكلمني باذن الله تعالى وقال يا راعي احفظ هذا الغلام فاذا جاءك يونس بن متى فادفعه اليه فهو ابنه ثم سار يونس حتى قرب من المدينة فاذا هو براع يرعى غنما فوقف عليه وطلب منه لبنا فقال الراعي يا هذا ما ذقنا لبنا منذ غاب عنا نبينا يونس عليه السلام قال يونس للغلام ائتني بنعجة فأتاه بها فمسح ضرعها فدرت باذن الله تعالى حليبها فتعجب الراعي فقال ان كان يونس حيا فهو انت قال انا يونس فانكب الغلام على رجليه فقبلهما ثم قال يا غلام اذهب الآن الى المدينة واخبر الناس انك رأيتني فقال يا نبي الله اخشى ان يكذبوني فقال يونس خذ معك هذه الاغنام فانها تشهد لك قال فمضى الراعي بغنمه حتى توسط المدينة ثم قال أيها الناس ابشروا فقد رجع الينا نبينا يونس وقد رأيته فكذبوه فقال انا والله صادق وهذه الاغنام تشهد لي بصدقي قال فشهدت له الاغنام باذن الله تعالى فتعجبوا واتصل الخبر بالملك فوثب من سريره

الى شيء لم يروا مثله ولم يجد واريحا أطيب من ريحها فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة فقال المسيح لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة انما هو شيء خلقه الله بقدرته فقال لهم كلوا مما سألتم فقالوا له كل أنت يا روح الله فقال معاذ الله أن آكل منها فلم يأكل ولم يأكلوا منها فدعا المرضى والزمنى والفقراء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة فشبعوا وهي بحالها لم تنقص فصح المرضى والزمنى واستغنى الفقراء ثم صعدت وهم ينظرون اليها حتى توارت وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها وقيل انها كانت تنزل أربعين يوما كانت تنزل يوما وتنقطع يوما وأمر الله عيسى أن يدعو اليها الفقراء دون الاغنياء ففعل ذلك فاشتد على الاغنياء وجحدوا نزولها وشككوا في ذلك وشككوا غيرهم فيها فأوحى الله الى عيسى انى شرطت ان اعذب المكذبين عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا فاصبحوا خنازير فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا وبكى عيسى على الممسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى بكوا وطافوا به وهو يدعوهم بأسمائهم ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا

(ذكر رفع المسيح الى السماء ونزوله الى امه وعوده الى السماء)

قيل ان عيسى استقبله ناس من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وامه فسمع ذلك ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير فلما رأى ذلك رأس بني اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله فاجتمعوا عليه فسألوه فقال يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته وثاروا اليه ليقتلوه فبعث اليه جبريل فأدخله في خوخة الى بيت فيها روزنة في سقفها فرفعه الى السماء من تلك الروزنة فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه اسمه ططيانوس ان يدخل اليه فيقتله فدخل فلم ير أحدا وألقى الله عليه شبه المسيح فخرج اليهم فظنوه عيسى فقتلوه وصلبوه وقيل ان عيسى قال لاصحابه أيكم يحب أن يلقى عليه شبهي وهو مقتول فقال رجل منهم أنا يا روح الله فالقى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب رجل اسرائيلي اسمه يوشع أيضا وقيل لما أعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت فدعا الحواريين فصنع لهم طعاما فقال احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا أخذ يغسل أيديهم بيده ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك وكرهوه فقال من يرد على الليلة شيأ مما أصنع فليس مني فأقروه حتى فرغ من ذلك ثم قال اما ما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لي اسوة ولا يتعاظم بعضكم على بعض واما حاجتي التي أستغيثكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء أخذهم النوم حتى ما يستطيعون الدعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون لي ليلة قالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نقدر عليه الليلة وكلما نريد الدعاء أحيل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعي وتتفرق الغنم وجعل ينعى نفسه ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات

فوقك في شيء قال ثم أنا راع للغنم فاذا جاءها الاسد أو النمر أو الذئب وأخذ الشاة فأقوم اليه منزعا فم الشاة وافتح فاه عنها وأخلصها وأخرق فاه الى قفاه ورأيت يوما أسدا رابضا فقبضت على عنقه فقتلته من غير سلاح فتعجب طالوت من كلامه ثم سار مع العسكر حتى وقف بين يدي جالوت وكان جالوت رجلا جبارا اشد الناس بأسا وأقواهم بطشا وكان يهزم الجيش وحده وكانت له بيضة لرأسه ينقلها ثلاثون رجلا وكان له فرس أبلق خلقه الله تعالى له ما كان مثله في الخلق والقوة ولم يحمله غيره فلما قرب داود عليه السلام الى جالوت أخرج ثلاثة احجار كانوا في مخلاته فوضعها في المقلاع فقال له جالوت انت أتيتني لتقاتلني بالحجر الذي في المقلاع كما يؤتى الكلب فقال نعم وأنت أشر من الكلب قال المسعودي فصارت الثلاثة الاحجار حجرا واحدا في المقلاع بقدرة الله تعالى ثم قال داود بسم الله اله الخلق ورمى بالمقلاع الحجر وقصد به بيضة جالوت فأصاب الحجر بارادة الله تعالى دماغه فخرق البيضة ودماغه وخرج من نقرة قفاه وتقطع الحجر باذن الله تعالى على عدد جنود جالوت وتفرق عليهم فلم يبق منهم أحد الا وأصابه من ذلك الحجر قطعة أهلكته وان داود عليه السلام حز رأس جالوت وانتزع خاتمه من اصبعه وجعل يجره من رجله حتى ألقاه بين يدي طالوت وكان موضع القتل بيسان من أرض الغور ففرح المسلمون بقتلهم ورفع الله ذكر داود عليه السلام وأخذ ذكر طالوت فزوج بنته لداود عليه السلام وأجرى حكمه في الملك فحسد طالوت داود عليه السلام

عيسى وأمه الى الشام نزلوا بقرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى فأقام الى ان بلغ ثلاثين سنة فاوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله تعالى ويداوى المرضى والزمنى والاكمه والابرص وغيرهم من المرضى ففعل ما أمر به واحبه الناس وكثر اتباعه وعلا ذكره وحضر يوما طعاما لبعض الملوك وكان دعا الناس اليه فقعد على قصعة يأكل منها ولا تنقص فقال الملك من أنت قال انا عيسى بن مريم فنزل الملك عن ملكه واتبعه فى نفر من أصحابه فكانوا الحواريين وقيل ان الحواريين هم الصباغ الذى تقدم ذكره وأصحابه له وقيل كانوا صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين والله اعلم وكانت عدتهم اثنى عشر رجلا وكانوا اذا جاعوا أو عطشوا قالوا يا روح الله قد جعنا وعطشنا فيضرب يده الى الارض فيخرج لكل انسان منهم رغيفان وما يشربون فقالوا من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا وسقيتنا فقال افضل منكم من يأكل من كسب يده فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة ولما أرسله الله أظهر من المعجزات انه صور من الطين صورة طائر ثم نفخ فيه فيصير طائرا باذن الله قيل هو الخفاش وكان غالب على زمانه الطب فاتاهم بما أبرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى تعجيزا لهم فمن أحياه عازر وكان صديقا لعيسى فمرض فارسلت اخته الى عيسى ان عازر يموت فسار اليه وبينهما ثلاثة ايام فوصل اليه وقد مات منذ ثلاثة أيام فاتى قبره فدعا له فعاش وبقى حتى ولد له وأحيا امرأة وعاشت وولد لها وأحيا سام بن نوح كان يوما مع الحواريين يذكرون نوحا والغرق والسفينة فقالوا لو بعثت لنا من شهد ذلك فاتى تلا وقال هذا قبر سام بن نوح ثم دعا الله فعاش وقال قد قامت القيامة فقال المسيح لا ولكن دعوت الله فاحياك فسألوه فاخبرهم ثم عاد ميتا وأحيا عزيرا النبى قال له بنو اسرائيل احى لنا عزيرا والا أحرقناك فدعا الله فعاش فقالوا ما تشهد لهذا الرجل قال اشهد انه عبد الله ورسوله واحيا يحيى بن زكريا واحيا غيرهم من ذكرناه وكان يمشى على الماء

(ذكر نزول المائدة)

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة وسبب ذلك ان الحواريين قالوا له يا عيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فدعا عيسى فقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا فانزل الله المائدة عليها خبز ولحم يأكلون منها ولا تنفد فقال لهم انها مقيمة ما لم تدخروا منها فما مضى يومهم حتى ادخروا وقيل أقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقيل كان عليها من ثمار الجنة وقيل كانت تمد بكل طعام الا اللحم وقيل كانت سمكة فيها طعم كل شئ فلما أكلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا نشهد انك رسول الله ثم تفرقوا فحدثوا بذلك فكذب به من لم يشهده وقالوا سحر اعينكم فافتتن بعضهم وكفر فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبى فبقوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا وقيل كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون اليها تنزل حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة واليهود ينظرون

السلام بعثه الله تعالى نبيا الى العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين فمكث فيهم عشرين سنة وكان جالوت ملك العمالقة ظاهرا على بنى اسرائيل وتغلب على ارضهم وسبى كثيرا من ذراريهم وضرب عليهم الجزية فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فأخبرهم ان الله تعالى بعث لكم طالوت ملكا وهو من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام وكان دباغا وقيل كان سكنا راعى حمير اهل البلد وسمى طالوت لطوله وكان اجمل بنى اسرائيل وأعلمهم فملكه الله عليهم فقالوا فيه ما قالوا ولم يقبلوه وأخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيهم التابوت الذى انتزع منكم وكان أخذه البابليون ومكث عندهم عشر سنين فسمعوا عند الفجر خفيق أجنحة الملائكة تحمل التابوت بين السماء والارض وبنو اسرائيل ينظرون اليه حتى وضعوه بين يدى طالوت فآمنوا حينئذ بنبوة شمويل وبملك طالوت واشتد سلطانه وكثرت عساكره وخرج طالوت لقتال جالوت ومعه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وفيهم ايشا والد داود عليه السلام ومعه بنوه وهم ثلاثة عشر ولدا فكان داود عليه السلام أصغرهم فأوحى الله الى شمويل ان فى ولد ايشا من يقتل جالوت وانما اريد ان اجعله خليفة فى الارض فقال شمويل لايشا أعرض على اولادك فعرض عليه أولاده الا داود فطلبه فرآه رجلا قصيرا مصفرا فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتى وأجرى حكمك فى ملكى فقال نعم قال له طالوت فهل جربت

الى

بطرس وبولس فصلبهما منكسين اربع عشرة سنة ثم ملك بعده بوطلايس اربعة اشهر ثم ملك اسفسيانوس وهذا الذي وجه ابنه طيطوس الى البيت المقدس فهدمه وقتل من بني اسرائيل غضبا للمسيح ثم ملك ابنه طيطوس ثم ملك اخوه دومطيانوس ست عشرة سنة ثم ملك بعده نارواس ست سنين ثم ملك من بعده طرايانوس تسع عشرة سنة ثم ملك بعده هدريانوس احدى وعشرين سنة ثم ملك من بعده انداونيوس بن بطيانوس اثنتين وعشرين سنة ثم ملك مرقوس وأولاده تسع عشرة سنة ثم ملك بعده قومودوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك من بعده فرطينا بجوس ستة اشهر ثم ملك بعده سيوادروش أربع عشرة سنة ثم ملك بعده انطينانوس سبع سنين ثم ملك من بعده مرقيانوس ست سنين ثم ملك من بعده انطينانوس اربع سنين وفي ملكه مات جالينوس الطبيب ثم ملك الخسندروس ثلاث عشرة سنة ثم ملك مكسيمانوس ثلاث سنين ثم ملك جورديانوس ست سنين ثم فيلقوس سبع سنين ثم ملك داقيوس ست سنين ثم ملك قالوس ست سنين ثم ملك والريانوس وقاليتوس خمس عشرة سنة ثم ملك قلوديوس سنة ثم ملك قريطاليوس شهرين ثم ملك أورليانوس خمس سنين ثم ملك طيقطوس ستة اشهر ثم ملك فلورنوس خمسة وعشرين يوما ثم ملك فروبوس ست سنين ثم دقلطيانوس ست سنين ثم ملك مخسميانوس عشرين سنة ثم قسطنطين ثلاثين سنة ثم ملك يليانوس سنتين ثم ملك يويانوس سنة ثم ملك والنطيانوس وغرطيانوس عشر سنين ثم ملك غرطيانوس ووالنطيانوس الصغير سنة ثم ملك تيداسيس الاكبر سبع عشرة سنة ثم ارقاديوس وانوريوس عشرين سنة ثم ملك تيداسيس الاصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة ثم ملك مرقيانوس سبع سنين ثم لاون ست عشرة سنة ثم ملك زانون ثماني عشرة سنة ثم ملك انسطاس سبعا وعشرين سنة ثم ملك يوسطنيانوس تسع سنين ثم ملك يوسطنيانوس الشيخ عشرين سنة ثم ملك يوسطينس اثنتي عشرة سنة ثم ملك طيباريوس ست سنين ثم هرمقيس وتاداسيس ابنه عشرين سنة ثم ملك فوقا الذي قتل سبع سنين وستة أشهر ثم هرقل الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين فمن لدن عمر البيت المقدس بعد ان أخربه بختنصر الى الهجرة على قولهم ألف سنة ونيف ومن ملك الاسكندر اليها تسعمائة ونيف وعشرون سنة فمن ذلك من وقت ظهوره الى مولد عيسى عليه السلام ثلثمائة سنة وثلاث سنين ومن مولده الى ارتفاعه اثنان وثلاثون سنة ومن وقت ارتفاعه الى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر هذا الذي ذكره أبو جعفر من عدد ملوك الروم وقد أخلى ذكرهم عن شيء من الحوادث التي كانت في ايامهم وقد سطرها غيره من العلماء بالتاريخ وخالفه في كثير منها ووافقه في الباقي مع مخالفة الاسم وأضاف الى اسمائهم ذكر شيء من الحوادث في أيامهم وانا اذكره مختصرا ان شاء الله

* (ذكر ملوك الروم وهم ثلاث طبقات فالطبقة الاولى الصابئون) *

ذكر غير واحد من علماء التاريخ ان الروم غلبت اليونان وهم ولد صوفير والاسرائيليون يدعون ان صوفير هو الاصفر بن نفر بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانوا ينزلون رومية

والان الله له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين فكان يصرفه كيف يشاء من غير ادخاله في النار وكان يتخذ الدروع ويبيع كل درع باربعة آلاف درهم فيأكل منه ويطعم عياله ويتصدق بالباقي (روى) ان لقمان الحكيم دخل عليه ذات يوم فرآه يعمل حلقا صغارا من حديد ويضعها في قصعة فاراد ان يسأله فمنعته الحكمة فصبر حتى امتلأت القصعة وكان ذلك عياره فقام على قدميه وصبها عليه وهزا كتافه فلم يقع شيء من ذلك الحلق على الارض بل اشتبكت بعضها ببعض فصارت درعا فقال لقمان لما رأى ذلك نعم الدرع للحرب وقال داود عليه السلام نعم الرجل الصابر أنت وكان لداود عليه السلام تسع وتسعون امرأة فلما ارتكب الخطيئة بزواج امرأة اوريا عاتبه الله تعالى بسبب ذلك فمكث ساجدا ولم يرفع رأسه أربعين يوما وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وأكلت الارض جبهته وهو يسأل التوبة وقيل بكى على خطيئته ثلاثين سنة وكان بكاؤه ودموعه يعادل بكاء أهل الارض ودموعهم حتى تاب الله عليه قال أبو عبد الله الحلبي ما رفع داود عليه السلام رأسه الى السماء بعد الخطيئة حتى مات وكان يوصي ولده سليمان عليه السلام ويقول يا بني اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب فانه يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله تعالى وطاعته فانهما يغلبان كل شيء واياك وكثرة الغيرة على أهلك فان ذلك يورث ظن السوء بالناس واقطع طمعك عما في أيدي الناس وعود نفسك ولسانك الصدق وتوفي داود عليه السلام وعمره مائة سنة وستة اشهر ودفن في كنيسة صهيون ببيت المقدس وكانت مدة خلافته

وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأ كان ثمن خرجوا وثفرة واو وكانت اليهود تطلبه فأخذوا اشمعون أحد الحواريين وقالوا هذا صاحبه واختلف العلماء فيه وقيل رفعه الى السماء فقيل رفع ولم يمت وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ثم أحياه ورفعه ولما رفع الى السماء قال الله له انزل فلما قالوا اشمعون عن المسيح جحد وقال ما أنا صاحبه فتركوه وفعلوا ذلك ثلاثا فلما سمع صياح الديك بكى وأحزنه ذلك وأتى أحد الحواريين الى اليهود فدلهم على المسيح وأعطوه ثلاثين درهما فأتى معهم الى البيت الذي فيه المسيح فدخله فرفع الله المسيح وألقى شبهه على الذي دلهم عليه فأخذوه وأوثقوه وقادوه وهم يقولون له أنت كنت تحيي الموتى وتفعل كذا وكذا فهلا تنجي نفسك وهو يقول أنا الذي دللتكم عليه فلم يصغوا الى قوله ووصلوا به الى الخشبة وصلبوه عليها وقيل ان اليهود لما دلهم عليه الحواري اتبعوه وأخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه فأظلمت الارض وأرسل الله ملائكة فحالوا بينهم وبينه وألقى شبه المسيح على الذي دلهم عليه فأخذوه ليصلبوه فقال أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه فقتلوه وصلبوه عليها ورفع الله المسيح اليه بعد ان توفاه ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم أحياه ورفعه ثم قال له انزل الى مريم فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن أحد حزنها فنزل عليها بعد سبعة أيام فاشتعل الجبل حين هبط نورا وهي عند المصلوب تبكي ومعها امرأة كان ابرأها من الجنون فقال ما شأنكما تبكيان قالتا عليك قال اني رفعني الله اليه ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم وأمرها فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض رسلا عن الله وأمرهم ان يبلغوا عنه ما أمره الله به ثم رفعه الله اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا فتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التي اهبطه الله فيها هي التي تدخن فيها النصارى وتعدى اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيردوس وكانوا تحت يده وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان في بني اسرائيل وكان يفعل الآيات من احياء الموتى وخلق الطير من الطين والاخبار عن الغيوب فعدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم انه رسول الله فقال الملك ويحكم ما منعكم ان تذكروا هذا من أمره فوالله لو علمت ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايدي اليهود وسألهم عن دين عيسى فاخبروه وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذي شبه لهم فغيبه وأخذ الخشبة التي صلب عليها فاكرمها وصانها وعدا على بني اسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة فمن هنالك كان أصل النصرانية في الروم وقيل كان هذا الملك هيردوس ينوب عن ملك الروم الاعظم الملقب قيصر واسمه طيباريوس وكان هذا أيضا يسمى ملكا وكان ملك طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة منها الى ارتفاع المسيح ثماني عشرة سنة وأياما

(ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح الى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

زعموا ان ملك الشام بعد ما صار بعد طيباريوس الى ولده جايوس وكان ملكه اربع سنين ثم ملك بعده ابن له آخر اسمه قلوديوس أربع عشرة سنة ثم ملك بعده نيرون الذي قتل

وأراد قتله فهرب منه داود ثم بعد ذلك ندم طالوت ١٢٦ على ما هم به من قتل داود عليه السلام وتاب الى الله تعالى فخرج من ملكه وقاتل في سبيل الله ومعه اولاده الثلاثة عشرة حتى قتلوا كلهم وورث الله تعالى داود عليه السلام ملك طالوت ونبوة اشماويل وكان مدة ملك طالوت فيما حكاه محمد بن جرير الطبري اربعين سنة وأما اشمويل فعاش اثنتين وخمسين سنة قبره باميال عن بيت المقدس وأما قبر طالوت ففي دمشق بسفح جبل قاسيون شرقي الصالحية قريب من الركنية

(الفصل السادس والعشرون في ذكر داود عليه السلام)

وهو داود بن ايشا بن عويل من ولد يهودا عليه السلام وكان قصيرا ازرق العينين مصفر اللون دقيق القامة سبط الشعر طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت طيب الخلق طاهر القلب نقيا وقد وهبه الله القوة والبطش وجعله خليفة في الارض وآتاه الله الملك والحكمة وكان بيت المقدس دار ملكه وانزل الله عليه الزبور خمسين صحيفة بالعبرانية وكان يقرأ الزبور على اثنين وسبعين صوتا بين روابي البرية فيقوم الانس والجن والوحوش والطيور لاستماع قراءته وبركد الماء الجاري وتسكن الرياح وتجاوبه الجبال قال الحكماء ما صنعت المزامير والاوتار والنغمات الا على الحان داود عليه السلام وصوته (عن ابن عباس) رضي الله عنهما قال كان داود عليه السلام اذا سبح الله تعالى سبح معه الحجر والمدر وكان يصوم يوما ويفطر يوما وكان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه في كل ليلة أربعة آلاف رجل

بحارس

فالماضي من ملكه ثمان سنين عمره أيضا وسماه أبليا فيق الاسم عليه فكان قبل ذلك
يسمى اورشلم وأسكن المدينة جماعة من الروم واليونان وبنى هيكلا عظيما للزهرة وكان
عالي البنيان فهدم من أعلاه كثير وهو باق الى يومنا هذا وهو سنة ثلاث وستمائة وقد رأيته
وهو محكم البناء ولا أدري كيف نسب الى داود وقد بني بعده بدهر طويل على أني سمعت
بالبيت المقدس من جماعة يذكرون ان داود بناه وكان يتفرغ فيه لعبادته وفي أيام هذا
الملك كان ساقيدس الفيلسوف الصامت ثم ملك انطنينس بيوس اثنتين وعشرين سنة
وفي أيامه كان بطليموس صاحب المجسطي والجغرافيا وغيرهما وقيل انه من ولد قلوديوس
ولهذا قيل له القلوذي نسبة اليه وهو السادس من ملوك الروم ودليل كونه في هذا الزمان
وليس من ملوك اليونان انه ذكر في كتاب المجسطي انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة
ثمانمائة وثمانين لبختنصر وكان من ملك بختنصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع
وعشرون سنة وثلثمائة وستة عشر يوما ومن قتل دارا الى زوال ملك قلوبطرا الملكة آخر
ملوك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وست وثمانون سنة ومدة غلبة أوغسطس الى
انطنينوس مائة وسبع وستون سنة فمن ملك بختنصر الى ادريانوس ثمانمائة وثلاث وثمانون
سنة تقريبا وهذا موافق لما حكاه بطليموس قال ومن زعم انه ابن قلوبطرة آخر ملوك
اليونانيين فقد ابطل ذكره هذا بعض العلماء بالتاريخ وعد ملوك اليونان وذكر مدة ملكهم
على ما قال واما أبو جعفر الطبري فانه ذكر في مدة ملكهم مائتي سنة وسبعا وعشرين
سنة على ما تقدم ذكره ثم ملك بعده مرقس ويسمى اوراليوس تسع عشرة سنة وفي ملكه
أظهر ابن ديصان مقالته وكان اسقفا بالرها وهو من القائلين بالاثنين ونسب الى نهر على
باب الرها يسمى ديصان وجد عليه منبوذا وبنى على هذا النهر كنيسة ثم ملك قومودوس
اثنتي عشرة سنة وفي أيامه كان جالينوس قد أدرك بطليموس القلوذي وكان دين النصرانية
قد ظهر في أيامه وذكرهم في كتابه في جوامع كتاب افلاطون في السياسة ثم ملك برطيناقس
ثلاثة أشهر ثم ملك يوليانوس شهرين ثم ملك سيوارس سبع عشرة سنة وشمل اليهود
والنصارى في أيامه القتل والتشريد وبنى بالاسكندرية هيكلا عظيما سماه هيكل الآلهة ثم
ملك انطونينوس ست سنين ثم ملك مقرينوس سنة وشهرين ثم ملك انطونينوس الثاني
اربع سنين ثم ملك الاكسندروس ويلقب ماماس ثلاث عشرة سنة ثم ملك مقسيميانوس
ثلاث سنين ثم ملك مقسيموس ثلاثة أشهر ثم ملك غرديانوس ست سنين ثم ملك فيلبوس ست
سنين وتنصر وترك دين الصابئين وتبعه كثير من أهل مملكته واختلف الملك وكان فيمن
خالفه بطريق يقال له داقيوس فقتل فيلبوس واستولى على الملك ثم ملك بعد فيلبس
داقيوس سنتين وتتبع النصارى فهرب منه أصحاب الكهف الى غار في جبل شرقي مدينة
افسوس وقد خربت المدينة وكان لبثهم فيه مائة وخمسين سنة وهذا باطل لانه على هذا
السياق من حين رفع المسيح الى الآن نحو مائتي سنة وخمس عشرة سنة وكان لبث أصحاب
الكهف على ما نطق به القرآن المجيد ثلثمائة وتسع سنين وازدادوا تسعا فذلك خمسمائة
سنة وأربع وعشرون سنة فعلى هذا يكون ظهورهم قبل الاسلام بنحو ستين سنة وقد

الشياطين والطيور تظلهم بأجنحتها من حر الشمس فاذا أراد المسير الى الغزو وغيره ركب البساط ومعه أهله وخدمه
وجنوده بآلة الحرب والدواب
وما يحتاجون اليه من مأكول
ومشروب ومعه مخابز وتنانير
من حديد وقدور عظام كل قدر
منها تسع تسع عشرة جزورا من
الابل واتخذ على البساط
اصطبلات للدواب وأماكن
للطباخين والخبازين وكان له على
البساط قصر عجيب اتخذه صخر
الجني من صفاء القوارير يكاد
البصر لا يدركه من شدة لمعانه يرى
ما وراءه ظاهره وسقوفه وأبوابه
ايضا من القوارير طوله خمسة
آلاف ذراع وعرضه مثله وجعل
فيه بيوتا ومجالس وغرفا للرجال
مفردا وللنساء مفردا فاذا أراد
المسير الى جهة من الجهات أمر
الريح الرخاء فتدخل تحت البساط
وترفعه بما عليه باذن الله تعالى
بين السماء والارض ويسير بغير
انزعاج ولم يتحرك بالريح ولم يتحركه
وكان غدوها شهرا ورواحها شهرا
ولا يقف على مدينة الا قصها فاذا
كان وقت الغداء نزل البساط على
مواضع الماء وتغدى وعلامة نزول
البساط أن سليمان عليه السلام
كان اذا رفع رأسه الى الطير ضمت
أجنحتها وسكنت الريح ويدور
البساط رويدا حتى يصير الى
الارض وكان اذا تكلم أحد من
الناس جاءت به الريح اليه فتخبره
بذلك روى أن سليمان عليه
السلام غزا أهل نصيبين فأصاب
منهم ألف فرس من الخيل الجياد
١ مل ل السراع فهو في ذات يوم صلاة الظهر وجلس على كرسيه وأمر بعرض الخيل فعرض عليه منها تسعمائة فرس

أربعين سنة (وعن وهب) انه قال شيع جنازة داود عليه السلام اربعون الف راهب سوى سائر الناس وكان
في يوم صائف فاذاهم حر الشمس
فنادى سليمان عليه السلام الطير
وامرها ان تظل الناس فتراص
بعضها الى بعض من كل جهة حتى
اعتمت ومنعت الريح وكاد الناس
ان يهلكوا فخرج سليمان فنادى
الطير اظلي من ناحية الشمس وتنحي
عن ناحية الريح ففعلت ذلك باذن
الله تعالى

(الفصل السابع والعشرون في ذكر سليمان عليه السلام)

كان رجلا ابيض جسيما جميلا
حسنا كثير الشعر منتصب القامة
اسود العينين مع شدة بياضهما وكان
النور يسطع من جبينه وكان يلبس
من الثياب البياض وكان خاشعا
متواضعا وكان أبوه يشاوره في كثير
من أموره مع صغر سنه لوفور عقله
وكثرة علمه واعطاه الله عز وجل من
الملك مالم يعطه لاحد غيره من
خلقه حتى ملك الارض جميعا وكان
عمره حين اتاه الملك ثلاث عشرة سنة
فابتدأ بنيان بيت المقدس فلما
استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو
موضع القمامة وهي الكنيسة
العظمى في وقتنا هذا وكان له ثلثمائة
منكوحة وسبعمائة سرية قال
صاحب العرائس مما أنعم الله
تعالى على سليمان عليه السلام ان
نسجت له الشياطين بساطا من ذهب
في حرير طوله فرسخ في عرض فرسخ
وكان ينصب في صدر البساط منبرا
من الذهب فيجلس عليه سليمان عليه
السلام ويوضع عن يمينه ألف
كرسي من ذهب وعن شماله كذلك
من فضة فيجلس عليهم علماء بني اسرائيل ويجلس حول الكراسي الانس وخلف الانس الجن ومن خلف الجن
فلما

قبل غلبتهم على اليونان وكانوا يدينون قبل النصرانية بمذهب الصابئين ولهم اصنام
يعبدونها على عادة الصابئين فكان أول ملوكهم برومية غاليوس وكان ملكه ثماني عشرة
سنة وقيل كان ملك قبله روملس وارمانوس وهما بنياها واليهما انسبت وأضيف الروم
اليها وانما غاليوس اول من يعد في التاريخ لشهرته ثم ملك بعده يوليوس اربع سنين
وأربعة اشهر ثم ملك أوغسطس ومعناه الصباه وهو اول من سمي قيصر وتفسير ذلك
انه شق عنه بطن أمه لانها ماتت وهي حامل به فأخرج من بطنها ثم صار ذلك لقبا لملوكهم
وكان ملكه ستا وخمسين سنة وخمسة اشهر وأكثر المؤرخين يبتدئون باسمه لانه اول
من خرج من رومية وسير الجنود برا وبحرا وغزا اليونانيين واستولى على ملكهم وقتل
قلوبطرة آخر ملوكهم واستولى على الاسكندرية ونقل ما فيها الى رومية وملك الشام
واضمحل ملك اليونانيين ودخلوا في الروم واستخلف على البيت المقدس هيردوس بن
انطيقوس ولاثنتين وأربعين سنة من ملكه كانت ولادة المسيح وهو الذي بنى
قيسارية ثم ملك بعده طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وهو الذي بنى مدينة طبرية
فأضيفت اليه وعربها العرب وفي ملكه رفع المسيح عليه السلام وملك بعد رفعه
ثلاث سنين ثم ملك بعده ابنه غايوس أربع سنين وهو الذي قتل اصطفنوس رئيس
الشمامسة عند النصارى ويعقوب أخا يوحنا بن زبدى وهما من الحواريين وقتل خلقا
من النصارى وهو أول الملوك من عباد الاصنام قتل النصارى ثم ملك قلوديوس بن
طيباريوس أربع عشرة سنة وفي ملكه حبس شمعون الصفا ثم خلص شمعون من الحبس
وسار الى انطاكية فدعا الى النصرانية ثم سار الى رومية فدعا أهلها ايضا فاجابته زوجة
الملك وسارت الى البيت المقدس واخرجت الخشبة التي تزعم النصارى ان المسيح صلب
عليها وكانت في ايدي اليهود فاخذتها وردتها الى النصارى ثم ملك نيرون ثلاث عشرة سنة
وثلاثة اشهر وفي آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكسين وفي ايامه
ظفرت اليهود بيعقوب بن يوسف وهو اول الاساقفة بالبيت المقدس فقتلوه واخذوا
خشبة الصليب فدفنوها وفي ايامه كان ماريتوس الحكيم صاحب كتاب الجغرافيا في
صورة الارض ثم ملك بعده غلباس سبعة اشهر ثم ملك اوثون ثلاثة اشهر ثم ملك بيطاليس
احد عشر شهرا ثم ملك اسباسيانوس سبع سنين وسبعة أشهر وفي ايامه خالف اهل البيت
المقدس قيصر فحصرهم وافتتح المدينة عنوة وقتل كثيرا من اهلها من اليهود والنصارى
وعمهم الاذى في ايامه ثم ملك ابنه طيطوس سنتين وثلاثة اشهر وفي أيامه اظهر مرقيون
مقالته بالاثنين وهما الخير والشر وبعد ثالث بينهما واليه ينسب المرقونية وهو من أهل
حران ثم ملك ذومطيانش بن اسباسيانوس خمس عشرة سنة وعشرة اشهر ولتسع سنين من
ملكه نفى يوحنا الحواري كاتب الانجيل الى جزيرة في البحر ثم رده ثم ملك نرواس سنة
وخمسة اشهر ثم ملك طرايانوس تسع عشرة سنة وفي السادسة من ملكه توفي يوحنا كاتب
الانجيل بمدينة افسوس ثم ملك ايليا اندريانوس عشرين سنة وقتل من اليهود
والنصارى خلقا كثيرا لخلاف كان منهم عليه واخرب البيت المقدس وهو آخر خرابه

الاسكندرية وفي السنة السابعة من ملكه صارت أمه هيلانا الرهاوية كان أبوه سباها
من الرها فأولدها هذا الملك فصارت الى البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم
النصارى ان المسيح صلب عليها وجعلت ذلك اليوم عيدا فهو عيد الصليب وبنت
الكنيسة المعروفة بقمامة وتسمى القيامة وهي الى وقتنا هذا يحجها أنواع النصارى
وقيل كان مسيرها بعد ذلك لان ابتداء دانته بالنصرانية في قول بعضهم بعد عشرين سنة من
ملكه وفي السنة الحادية والعشرين من ملكه طبق جميع ممالكه بالبيع هو وأمه منها
كنيسة حمص وكنيسة الرها وهي من العجائب ثم ملك بعده قسطنطين انطاكية أربعا
وعشرين سنة بعهد من أبيه اليه وسلم اليه القسطنطينية والى أخيه قسطنس انطاكية
والشام ومصر والجزيرة والى أخيه قسطوس رومية وما يليها من بلاد الفرنج
والصقالبة وأخذ عليهما المواثيق بالانقياد لاخيهما قسطنطين ثم ملك بعده يوليانوس ابن
اخيه سنتين وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفي ذلك فلما ملك أظهرها وخرب البيع وقتل
النصارى وهو الذي سار الى العراق ايام سابور بن اردشير فقتل بسهم غرب وقد ذكر أبو
جعفر خبر هذا الملك مع سابور ذي الاكتاف وهو بعد سابور بن اردشير ثم ملك بعده يوبيانوس
سنة اظهر دين النصرانية ودان بها وعاد عن العراق ثم ملك بعده ولنطيوس اثنتي
عشرة سنة وخمسة أشهر ثم ملك والنس ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم ملك والنطيانوس ثلاث
سنين ثم ملك تدوس الكبير ومعناه عطية الله تسع عشرة سنة وفي ملكه كان السنهودس
الثاني بمدينة القسطنطينية اجتمع فيه مائة وخمسون اسقفا لعنوا مقدونس واشياعه وكان
فيه بطرق الاسكندرية وبطرق انطاكية وبطرق البيت المقدس والمدن التي يكون
فيها كراسي البطرق أربع احداها رومية وهي لبطرس الحواري والثاني الاسكندرية
وهي لمرقس أحد أصحاب الاناجيل الاربعة والثالثة القسطنطينية والرابعة انطاكية
وهي لبطرس أيضا ولثمان سنين من ملكه ظهر أصحاب الكهف ثم ملك بعده ارقاديوس
ابن تدوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك تدوس الصغير ابن تدوس الكبير اثنتين وأربعين
سنة ولاحدى وعشرين سنة من ملكه كان السنهودس الثالث بمدينة افسوس وحضر
هذا الجمع مائتا اسقف وكان سببه ما ظهر من نسطورس بطرق القسطنطينية وهو رأس
النسطورية من النصارى من مخالفة مذهبهم فلعنوه ونفوه فسار الى صعيد مصر فأقام
ببلاد اخميم ومات بقرية يقال لها سيصلح وكثر اتباعه وصار بسبب ذلك بينهم وبين مخالفيهم
حروب وقتال ثم دثرت مقالته الى ان احياها برصوما مطران نصيبين قد عاد ومن العجائب
ان الشهرستاني مصنف كتاب نهاية الاقدام في الاصول ومصنف كتاب الملل والنحل في
ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة ذكر فيه ان نسطور كان أيام المأمون وهذا
تفرد به ولا أعلم له في ذلك موافقا ثم ملك بعده مرقيان ست سنين وفي أول سنة من ملكه
كان السنهودس الرابع على ديسقرس بطرق القسطنطينية اجتمع فيه ستمائة وثلاثون
أسقفا وفي هذا الجمع خالفت اليعقوبية سائر النصارى ثم ملك ليون الكبير ست عشرة
سنة ثم ملك ليون الصغير سنة وكان يعقوبي المذهب ثم ملك زينون سبع سنين وكان

ولما افتتن كان كلما وضع الخاتم في اصبعه سقط من يده فلما رآه وزيره آصف بن برخيا قال انك مفتون بذنبك ففر الى الله تعالى وأنا أقوم مقامك الى ان يتوب الله عليك ويردك الى ملكك فخرج سليمان عليه السلام هاربا الى الله تعالى وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وأقام مقامه أربعة عشر يوما الى ان تاب الله عليه ورجع الى منزله ورد الله عليه ملكه وأعاد الخاتم الى يده فأما ما ذكر ان الجسد هو صخر الجني واستولى على ملكه وعلى أهل بيته فما كان الله تعالى ليسلط الشياطين على أنبيائه وكان مستقر سليمان عليه السلام بمدينة تدمر واسيلت له عين القطر ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بأرض اليمن وغالب ما ينتفع به الناس اليوم مما أخرجه الله تعالى لسليمان عليه السلام وعلمه الله منطق الطير والوحوش حتى النمل

(ذكر قصة بلقيس وكيفية الاتيان بعرشها)

وهي بلقيس بنت هدهاد من ولد يعرب بن قحطان ملك اليمن كلها فأراد ان يتزوج فلم يجد له كفؤا فتزوج بامرأة من الجن يقال لها ريحانة فولدت بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها فلما مات أبوها ملكوها عليهم فاتخذت عرشا عظيما وقصرا بمدينة سبا ولما فرغ سليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس عزم للحج ومعه من العساكر ما بلغ مقدار مائة فرسخ تحملهم الريح فأقام بمكة ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر كل يوم طول مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة ثم خرج من مكة صباحا بعد ان قضى نسكه

ذكرنا أن من لدن ظهورهم الى الهجرة زيادة على مائتي سنة فهذه الجملة أكثر من الفترة بين المسيح والنبي عليهما الصلاة والسلام الا ان هذا الناقل قد ذكران غيبتهم كانت مائة وخمسين سنة على ما نراه مذكورا وفيه مخالفة للقرآن ولولا نص القرآن لكان استقام له ما يريد ثم ملك بعده غليوس سنتين وكان شريكه في الملك يوليانوس ملك خمس عشرة سنة ثم ملك قلوديوس (٣) ثم ملك ابنه أورليانوس ست سنين ثم ملك طافسطوس وأخوه فورس تسعة اشهر ثم بروبس تسع سنين ثم ملك قاروس سنتين وخمسة اشهر ثم ملك دقلطيانوس سبع عشرة سنة ثم ملك مقسيمانوس وشاركه مقسنطيوس ثم اقتتلا فاقتسما الملك فملك الاب على الشام وبلاد الجزيرة وبعض الروم وملك الابن رومية وما اتصل بها من ارض الفرنج وملكا تسع سنين وغلب عليهما قسطنس أبو قسطنطين بلاد بوزنطيا وما يليها وهي نواحي القسطنطينية ولم تكن بنيت حينئذ ثم مات قسطنس وملك بعده ابنه قسطنطين المعروف بامه هيلانا وهو الذي تنصر قال ومن أول ملوك الروم الى ههنا كانوا شبيهين بملوك الطوائف لا ينضبط عددهم وقد اختلف الناس فيهم كاختلافهم في ملوك الطوائف وانما الذي يعول عليه من قسطنطين الى هرقل الذي بعث محمد صلى الله عليه وسلم في أيامه ولقد صدق قائل هذا فان فيه من الاختلاف والتناقض ما ذكرنا بعضه عند ذكر دقيوس وأصحاب الكهف ولهذه العلة لم يذكر الطبري أصحاب الكهف في زمان أي الملوك كانوا وانما ذكرناه نحن لما في أيام الملوك من الحوادث

(الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة)

ثم ملك قسطنطين المعروف بامه هيلانا في جميع بلاد الروم وجرى بينه وبين مقسيمانوس وابنه حروب كثيرة فلما ماتا استولى على الملك وتفرد به وكان ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وهو الذي تنصر من ملوك الروم وقاتل عليها حتى قبلها الناس ودانوا بها الى هذا الوقت وقد اختلفوا في سبب تنصره فقيل انه كان به برص وأرادوا نزعه فأشار عليه بعض وزرائه ممن كان يكتم النصرانية باحداث دين يقاتل عليه ثم حسن له النصرانية يساعده من دان به ففعل ذلك فتبعه النصارى من الروم مع أصحابه وخاصته فقوي بهم وقهر من خالفه وقيل انه سير عساكر على أسماء اصنامهم فانهزمت العساكر وكان لهم سبعة أصنام على اسماء الكواكب السبعة على عادة الصابئين فقال له وزيره يكتم النصرانية في هذا وازرى بالاصنام وأشار عليه بالنصرانية فأجابه فظفر ودام ملكه وقيل غير ذلك وهو الذي بنى مدينة القسطنطينية لثلاث سنين خلت من ملكه بمكانها الآن اختاره لحصانته وهي على الخليج الآخذ من البحر الاسود الى بحر الروم والمدينة على البر المتصل برومية وبلاد الفرنج والاندلس والروم تسميها استنبول يعني مدينة الملك ولعشرين سنة مضت من ملكه كان السنهودس الاول بمدينة نيقية من بلاد الروم ومعناه الاجتماع فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفا فاختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا متفقين غير مختلفين فحرموا اداريوس الاسكندراني الذي يضاف اليه الاريوسية من النصارى ووضع شرائع النصرانية بعد ان لم تكن وكان رئيس هذا الجمع بطرق الاسكندرية

واذا بالشمس قد غربت وفاتته صلاة العصر فاغتم لذلك غما شديدا فقال ردوها علي فأمر قبها بالسيف وقربها لله تعالى فبقي منها مائة فرس التي لم تعرض عليه فما في ايدي الناس من الخيل فهي من نسل تلك المائة الفرس قال كعب الاحبار كانت الافراس التي عرقبت أربعة عشر فرسا وسلب الله تعالى ملك سليمان ٢ أربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أمر الله تعالى الشمس فردت حتى صلى العصر في وقتها واختلفوا في سبب زوال ملكه وأخذ خاتمه قبل قتله الخيل وقال سعيد بن المسيب انه احتجب من الناس ثلاثة أيام ولم ينظر في أمور العباد وقيل غير ذلك وكان ملكه في خاتمه وكان خاتمه من ياقوتة حمراء آتاه بها جبريل عليه السلام من الجنة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان لا يمسه الا وهو طاهر وفي كتاب تاج السلاطين في معرفة الابالسة والشياطين ان أصل خاتم سليمان كان لآدم عليه السلام فلما عصى آدم طار من اصبعه واستجار بركن من أركان العرش عليه كتابة نورية من غير نقش وهو لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الجانب الآخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وعلى الجانب الثالث له الملك والكبرياء والعزة والعظمة والسلطان لمن سليمان وعلى الجانب الرابع تبارك الله أحسن الخالقين والمالمس سليمان الخاتم بعد له من كان حوله من أول النهار الى آخره ولم يمكن أحد من النظر الى الخاتم من شدة نوره ولمعانه

بعده لونطش ثلاث سنين أيام عبد الملك ثم ترك الملك وترهب ثم ملك السمين المعروف بالطرسوسي سبع سنين فقصده اسطينان ومعه برجان وجرى بينهم حروب كثيرة وظفر به اسطينان وخلعه وعاد الى ملكه فكان ذلك أيام الوليد بن عبد الملك واستقر اسطينان وكان قد شرط لملك برجان ان يحمل اليه خراجا كل سنة فعسف الروم وقتل بهم اخلاقا كثيرا فاجتمعوا عليه وقتلوه فكان ملكه الثاني سنتين ونصفا وكان قتله أول دولة سليمان بن عبد الملك ثم ملك انسطاس بن فيلفوس وكان في أيامه اختلاف بين الروم فخلعوه ونفوه ثم ملك تيدوس المعروف بالارمني في أيام سليمان بن عبد الملك أيضا وهو الذي حصره مسلمة ابن عبد الملك ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين لضعفه عن الملك وضمن اليون للروم رد المسلمين عن القسطنطينية فملكوه فكان ملكه ستا وعشرين سنة ومات في السنة التي بويع فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم ملك بعده ابنه قسطنطين احدى وعشرين سنة وفي أيامه انقرضت الدولة الاموية وتوفي لعشر سنين مضت من أيام منصور ثم ملك بعده ابنه اليون تسع عشرة سنة وأربعة أشهر بقية أيام منصور وتوفي في خلافة المهدي ثم ملك بعده ريني امرأة اليون بن قسطنطين ومعها ابنها قسطنطين بن اليون وهي تدبر الامر بقية أيام المهدي والهادي وصدرا من خلافة الرشيد فلما كبر ابنها أفسدت ما بينه وبين الرشيد وكانت أمه مهادنة له فقصده الرشيد وجرى له معه وقعة فانهزم وكاد يؤخذ وكحلته أمه وانفردت بالملك بعده خمس سنين وهادنت الرشيد ثم ملك بعدها نقفور وأخذ الملك منها وكان ملكه سبع سنين وثلاثة أشهر وهو نقفور بن استبراق وكنت قد رأيته مضبوطا بكثير من الكتب بسكون القاف حتى رأيت رجلا زعم ان اسمه نقفور بفتح القاف وعهد نقفور الى ابنه استبراق بالملك بعده وهو أول من فعل ذلك في الروم ولم يكن يعرف قبله وكانت ملوك الروم قبل نقفور يحلقون لحاهم وكذلك ملوك الفرس فلم يفعله نقفور وكانت ملوك الروم قبله تكتب من فلان ملك النصرانية فكتب نقفور من فلان ملك الروم وقال است ملك النصرانية كلها وكانت الروم تسمي العرب سارقيوس يعني عبيد سارة بسبب هاجر أم اسمعيل فنهاهم عن ذلك وجرى بين نقفور وبين برجان حروب سنة ثلاث وتسعين ومائة فقتل فيها ثم ملك بعده ابنه استبراق بعهد من أبيه اليه وكان ملكه شهرين ثم ملك بعده ميخائيل بن جرجس وهو ابن عم نقفور وقيل ابن استبراق وكان ملكه سنتين في أيام الامين وقيل أكثر من ذلك فوثب به اليون المعروف بالبطريق وغلب على الامر وحبسه ثم ملك بعده اليون البطريق سبع سنين وثلاثة أشهر فوثب به أصحاب ميخائيل في خلاص صاحبهم وقتل اليون ثم فتح لهم ذلك وعاد ميخائيل الى الملك وقيل انه كان قد ترهب أيام اليون وكان ملكه هذه الدفعة الثانية تسع سنين وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده ابنه توفيل بن ميخائيل أربع عشرة سنة وهو الذي فتح زبطرة وسار المعتصم بسبب ذلك وفتح عمورية وكان موته أيام الواثق ثم ملك بعده ابنه ميخائيل ثمانيا وعشرين سنة وكانت أمه تدبر الملك معه وأرادت قتلها فترهبت وخرج عليه رجل من اهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يعرف بابن بقراط فلقيه ميخائيل ومن عنده من أسارى المسلمين

خبرها وكانت كاتبة قارئة عربية فقرأت الكتاب فلما رأت الخاتم ارتعدت وجمعت الملأ من قومها واستشارتهم وأرادت دفعه عن ملكها وكتبت الى سليمان كتابا وأرسلته مع رجل من أشراف قومها مع هدية فلم يقبلها سليمان عليه السلام ورد الهدية كلها وقال ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها فلما رجع رسول بلقيس اليها وأخبرها بما رآه بعثت الى سليمان اني قادمة عليك حتى أنظر ما تدعو اليه من دينك قال ابن عباس رضي الله عنهما كان سليمان عليه السلام جالسا على سرير ملكه بالشام على أصح الروايات فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس فأقبل حينئذ سليمان على جنوده فقال أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين والسبب في احضار عرشها أن يريها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه قال عفريت من الجن وهو المارد القوي أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك الذي تقضي فيه فقال سليمان اريد أسرع من هذا فقال آصف بن برخيا وكان يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك يروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عليه السلام طرفه نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله تعالى الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتى انخرقت الارض وظهر السرير بين يدي سليمان عليه السلام واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف عند

يعقوبيا فزهد في الملك فاستخلف ابناله فهلك فعاد الى الملك ثم ملك نسطاس سبعا وعشرين سنة وكان يعقوبي المذهب وهو الذي بنى عمورية فلما حفر أساسها أصاب فيه مالا وفى بالنفقة على بنائها وفضل منه شئ بنى به بيعا وديرة ثم ملك يوسطين سبع سنين وأكثر القتل في اليعقوبية ثم ملك يوسطانوس تسعا وعشرين سنة وبنى بالرها كنيسة عجيبة وفى أيامه كان السنهدوس الخامس بالقسطنطينية فحرموا اوريجا أسقف منبج لقوله بتناسخ الارواح في أجساد الحيوان وان الله يفعل ذلك جزاء لما ارتكبوه وفي أيامه كان بين اليعاقبة والملكية ببلاد مصر فتن وفى أيامه ثار اليهود بالبيت المقدس وجبل الخليل على النصارى فقتلوا منهم خلقا كثيرا وبنى الملك من البيع والديرة شيأ كثيرا ثم ملك يوسطينوس ثلاث عشرة سنة وفى أيامه كان كسرى انوشروان ثم ملك طباريوس ثلاث سنين وثمانية أشهر وكان بينه وبين انوشروان مراسلات ومهاداة وكان مغرى بالبناء وتحسينه وتزويقه ثم ملك موريق عشرين سنة وأربعة أشهر وفى أيامه ظهر رجل من أهل مدينة حماة يعرف بمارون اليه تنسب المارونية من النصارى وأحدث رايا يخالف من تقدمه وتبعه خلق كثير بالشام ثم انهم انقرضوا ولم يعرف الآن منهم أحد وهذا موريق هو الذي قصده كسرى ابرويز منهزما من بهرام جوبين فزوجه ابنته وامده بعساكره وأعاده الى ملكه على ما نذكره ان شاء الله ثم ملك بعده فوقاس وكان من بطارقة موريق فوثب به فاغتاله فقتله وملك الروم بعده وكان ملكه ثمان سنين وأربعة أشهر ولما ملك تتبع ولد موريق وحاشيته بالقتل فلما بلغ ذلك ابرويز غضب وسير الجنود الى الشام ومصر فاستولى عليهما وقتلوا من النصارى خلقا كثيرا وسيرد ذلك عند ذكر ابرويز ثم ملك هرقل وكان سبب ملكه ان عساكر الفرس لما فتكت في الروم سار واحتى نزلوا على خليج القسطنطينية وحصروها وكان هرقل يحمل الميرة في البحر الى أهلها فحضر موقع ذلك من الروم وبانت شهامته وشجاعته وأحبه الروم فحملهم على الفتك بفوقاس وذكرهم سوء آثاره ففعلوا ذلك وقتلوه وملكوا عليهم هرقل

(ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة)

وأولهم هرقل وقد ذكر سبب ملكه وكان مدة ملكه خمسا وعشرين سنة وقيل احدى وثلاثين سنة وفى أيامه كان النبي صلى الله عليه وسلم ومنه ملك المسلمون الشام ثم ملك بعده ابنه قسطنطين وقيل هو ابن أخيه قسطنطين وكان ملكه تسع سنين وستة أشهر وسيرد خبره عند ذكر غزاة الصواري ان شاء الله وفى أيامه كان السنهدوس السادس على لعن رجل يقال له قورس الاسكندرى خالف الملكية ووافق المارونية ثم ملك بعده ابنه قسطا خمس عشرة سنة في خلافة علي عليه السلام ومعاوية ثم ملك هرقل الاصغر بن قسطنطين أربع سنين وثلاثة أشهر ثم ملك قسطنطين بن قسطا ثلاث عشرة سنة بعض أيام معاوية وأيام يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك ثم ملك اسطينان المعروف بالاخرم تسع سنين أيام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا انفه وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر واستنجده فلم ينجده فانتقل الى ملك برجان ثم ملك

وسار على البساط نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسنة فنزل ليصلي ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان دليله على الماء الهدهد لانه يرى الماء من باطن الارض كما يراه الانسان في باطن الزجاج فلما اشتغل سليمان عليه السلام بالنزول ارتفع الهدهد نحو السماء فرأى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فهبط عليه فاذا هو بهدهد من هداهد اليمن فقال له من أين أقبلت والى أين تريد قال أقبلت من الشام مع سليمان عليه السلام فقال له من أين أنت قال أنا من هذه البلاد ووصف له ملك بلقيس وان تحت يدها اثنى عشر ألف قائد تحت يد كل قائد ألف مقاتل فمضى معه ونظر الى بلقيس وعرشها وما رجع الى سليمان الا بعد العصر ولما افتقد سليمان الهدهد ولم يعلم خبره غضب وقال لاعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فلما قرب الهدهد بين يدى سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان عليه السلام فلما دنا منه أخذ سليمان برأسه يجره اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله عز وجل فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله عن سبب غيبته فأخبره بأمر بلقيس وعرشها قال سليمان عليه السلام سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم كتب سليمان عليه السلام كتابا وختمه بخاتمه وارسله مع الهدهد فحمله بمنقاره وطار حتى وقف على رأس بلقيس فرفرف ساعة حتى رفعت المرأة رأسها اليه فالقى الكتاب في

ألفا فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم الروم واستولى الترك على المدينة وخربوها بعد ان اكثروا القتل فيها والسبي والنهب ثم ساروا الى القسطنطينية وحصروها أربعين يوما وأغاروا على بلاد الروم واتصلت غاراتهم الى بلاد الافرنج ثم عادوا راجعين

(ذكر وصول قبائل العرب الى العراق ونزولهم الحيرة)

قال ابن الكلبي لما مات بختنصر انضم الذين اسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الانبار وبقيت الحيرة خرابا دهرا طويلا وأهلها بالانبار لا يطلع عليهم قادم من العرب فلما كثر اولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب وضيقتهم الحروب خرجوا يطلبون الريف فيما يليهم من اليمن ومشارف الشام واقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين وبها جماعة من الازد وكان الذين اقبلوا من تهامة مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم بن اسد بن وبرة بن قضاعة ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم في جماعة من قومهم والحيقاد بن الحنق بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان في قنص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن افصى بن دعمى بن اياد بن نزار بن معد بن عدنان وغيره من اياد فاجتمع بالبحرين قبائل من العرب وتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التناصر والتساعد فصاروا يدا واحدة وضمهم اسم تنوخ وتنخ عليهم طوائف من نمارة بن لخم ودعا مالك بن زهير جذيمة الابرش بن مالك بن فهم بن غانم بن اوس الازدي الى التنوخ معه وزوجه أخته لميس فتنخ جذيمة وكان اجتماعهم أيام ملوك الطوائف وانما سموا ملوك الطوائف لان كل ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة من الارض قال ثم تطامحت أنفس من كان بالبحرين الى ريف العراق فطمعوا في ان يغلبوا الاعاجم فيما يلي بلاد العرب أو مشاركتهم فيه لاختلاف بين ملوك الطوائف فاجمعوا على المسير الى العراق فكان أول من يطلع منهم الحيقاد بن الحنق في جماعة من قومه واختلاط من الناس فوجدوا الارمانيين وهم الذين ملكوا أرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل يقاتلون الاردوانيين وهم ملوك الطوائف وهو ما بين نفر وهي قرية من سواد العراق الى الابلة فدفعوهم عن بلادهم والارمانيون من بقايا ارم فلهذا سموا الارمانيين وهم نبط السواد ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله وغيرهم من تنوخ الى الانبار على ملك الارمانيين وطلع نمارة ومن معه الى نفر على ملك الاردوانيين وكان لا يدينون للاعاجم حتى قدمها تبع وهو اسعد ابو كرب بن ملكيكرب في جيوشه فخلف بها من لم يكن فيه قوة من عسكره وسار تبع ثم رجع اليهم فاقرهم على حالهم ورجع الى اليمن وفيهم من كل القبائل ونزلت تنوخ من الانبار الى الحيرة في الاخبية لا يسكنون بيوت المدر وكان أول من ملك منهم مالك بن فهم وكان منزله مما يلي الانبار ثم مات مالك فملك بعده أخوه عمرو بن فهم بن غانم بن دوس الازدي ثم مات فملك بعده جذيمة الابرش بن فهم وقيل ان جذيمة من العادية الاولى من بني دمار بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام والله أعلم

(ذكر جذيمة الابرش)

قال وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا وابعدهم مغارا واشدهم نكاية وأول من

عداة الحيوان ومات في حياته وقد ورد في الخبر ان سليمان عليه السلام اراد ان يصفو له يوم واحد من الدهر من الكدر فأمر الجن ببناء صرح فبنوه له فلما دخله متفقدا رأى فيه شابا فقال له كيف دخلت من غير استئذان قال اذن لي ربي ان أدخل هذا البيت فعلم انه ملك الموت فقال سبحان الله طلبت يوما في الدنيا الصفاء فقيل طلبت شيئا لم يخلق في الدنيا فاعلمه ملك الموت انه بقي من عمره ساعة واحدة وكان قد بقي لعمارة مسجد بيت المقدس مقدار سنة كاملة فقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وليتم العمارة فقام يصلي وهو متكئ على عصاه فقبضت روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى أكلت الارضة نفرتها فعلموا انه قد مات وعاش سليمان عليه السلام اثنتين وخمسين سنة وقيل مائة وعشرين سنة ودفن عند قبر ابراهيم عليه السلام

(الفصل الثامن والعشرون في ذكر لقمان عليه السلام)

وهما اثنان (أحدهما) لقمان الحكيم وهو لقمان بن عنقاء وكان نوبيا وقيل كان حبشيا مولى للقين بن حسر قال مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين مشقق القدمين وكان عبدا صالحا من الله عليه بالحكمة ولم يكن نبيا في قول أكثر الناس وروي انه تلمذ لالف نبي وتلمذه ألف نبي وفي أنوار التنزيل ان لقمان كان من ولد آزر وعاش ألف سنة حتى أدرك زمان داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان خياطا وقيل كان راعيا وروي انه

ظفر به ميخائيل فقتل به ثم خرج عليه بسيل الصقلبي فاستولى على الملك وقتل ميخائيل سنة ثلاث وخمسين ومائتين ثم ملك بعده بسيل الصقلي عشرين سنة أيام المعتز والمهتدى وصدرا من ايام المعتمد وكانت امه صقلبية فنسب اليها وقد غلط عزة الاصفهانى فيه فقال عند ذكر ميخائيل ثم انتقل الملك عن الروم وصار فى الصقالب فقتله بسيل الصقلبي ظنا منه ان أباه كان صقلبيا ثم ملك بعده ابنه اليون بن بسيل ستا وعشرين سنة أيام المعتمد والمعتضد والمكتفى وصدرا من ايام المقتدر وقيل ان وفاته كانت سنة سبع وتسعين ومائتين ثم ملك اخوه الاسكندروس سنة وشهرين ومات بالدبيلة وقيل انه اغتيل لسوء سيرته ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون وهو صبى وتولى الامر له بطريق بطريق البحر واسمه ارمانوس وشرط على نفسه شروطا منها انه لا يطلب الملك ولا يلبس التاج لا هو ولا أحد من أولاده فلم يمض غير سنتين حتى خوطب هو وأولاده بالملك وجلس مع قسطنطين على السرير وكان له ثلاثة من الولد فخص أحدهم وجعله بطرقا ليأمن من المنازعة فان البطرق يحكم على الملك فبقى على حاله الى سنة ثلاثين وثلثمائة من الهجرة فاتفق ابناه مع قسطنطين الملك على ازالة أبيهما فدخلا عليه وقبضاه وسيراه الى ديره فى جزيرة بالقرب من القسطنطينية واقام ولداه مع قسطنطين خمسة وأربعين يوما وأرادا الفتك به فسبقهما الى ذلك وقبض عليهما وسيرهما الى جزيرتين فى البحر فوثب أحدهما بالموكل به فقتله وأخذه أهل تلك الجزيرة فقتلوه وأرسلوا رأسه الى قسطنطين الملك فجزع لقتله وأما ارمانوس فانه مات بعد أربع سنين من ترهبه ودام ملك قسطنطين بقية أيام المقتدر والقاهر والراضى والمستكفى وبعض أيام المطيع ثم خرج على قسطنطين هذا قسطنطين ابن اندرونقس وكان أبوه قد توجه الى المكتفى سنة أربع وتسعين ومائتين واسلم على يده وتوفى فهرب ابنه هذا على طريق ارمينية واذربيجان الى بلاد الروم فاجتمع عليه خلق كثير وكثر اتباعه فسار الى القسطنطينية ونازع الملك قسطنطين فى ملكه وذلك سنة احدى وثلثمائة فظفر به الملك فقتله وخرج عن طاعته أيضا صاحب رومية وهى كرسى ملك الافرنج وتسمى بالملك ولبس ثياب الملوك وكان قبل ذلك يطيع ملوك الروم أصحاب القسطنطينية ويصدرون عن أمرهم فلما كان سنة أربعين وثلثمائة قوى ملك رومية وخرج عن طاعته فأرسل اليه قسطنطين العساكر يقاتلونه ومن معه من الفرنج فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الروم وعادت الى القسطنطينية منكوبة فكف حينئذ قسطنطين عن معارضته ورضى بالمسالمة وجرى بينهما مصاهرة فزوج قسطنطين ابنه ارمانوس بابنة ملك رومية ولم يزل أمر الافرنج بعد هذا يقوى ويزداد ويتسع ملكهم كالاستيلاء على بعض بلاد الاندلس على ما نذكره وكأخذهم جزيرة صقلية وبلاد ساحل الشام والبيت المقدس على ما نذكره وفى آخره الامر ملكوا القسطنطينية سنة احدى وستمائة على ما نذكره ان شاء الله ومما ينبغى ان يلحق بهذا ان الطوائف من الترك اجتمعت منهم الخزلخ والختلى وغيرهما وقصدوا مدينة للروم قديمة تسمى ولندر سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وحصروها فبلغ خبرهم الى ارمانوس فسير اليهم عسكرا كثيفا فيهم من المتنصرة اثنا عشر

يا حى يا قيوم وقيل انه قال يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ايتنى بعرشها وقال مجاهد يا ذا الجلال والاكرام

(صفة عرش بلقيس)

اى سريرها كان مقدمه من ذهب أحمر مفصص بالياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بأنواع الجواهر له أربع قوائم من ياقوت أحمر وكان عرضه ثمانين ذراعا وطوله فى الهواء كذلك فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مارب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف قال هذا من فضل ربى ثم قال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها اى زيدوا فيه وانقصوا منه ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو وشبهته به ثم ان سليمان عليه السلام دعاها الى الاسلام فاجابت وحسن اسلامها وقيل تزوجها سليمان عليه السلام وكان دخوله بها يوم عاشوراء بعد اربع عشرة سنة خلت من ملكه وأحبها حبا شديدا وقيل ردها الى ملكها وهو الاصح وكان سليمان عليه السلام يزورها فى كل شهر مرة يتكرر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام قال وهب بل اقامت بلقيس عند سليمان ولم ترجع الى ملكها مدة سبع سنين وتسعة أشهر

يوفيت ودفنت ليلا فى حائط مدينة تدمر ولم يطلع على دفنها أحد وولد لسليمان منها ولد سماه داود كافى

القا

زقها فقال عمرو بن عدى

صددت الكاس عنا ام عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة ام عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

فسألاه عن نفسه فقال ان تنكرانى وتنكرا نسبى فانى أنا عمرو بن عدى ابن تنوخية اللخمى وغدا ماتريانى فى تمارة غير معمى فنهضا وغسلا رأسه وأصلحا حاله والبساه ثيابا وقالا ما كانا نهدى لجذيمة انفس من ابن اخته فخرجا به الى جذيمة فسر به سرورا شديدا وقال لقد رأيته يوم ذهب وعليه طوق فما ذهب من عينى وقلبى الى الساعة وأعادوا عليه الطوق فنظر اليه وقال كبر عمرو عن الطوق وارسلها مثلا وقال لمالك وعقيل ما حكمكما قالا حكمنا منادمتك ما بقينا وبقيت فهما ندمانا جذيمة اللذان يضرب بهما المثل وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقى من عاملة العمالقة فتحارب هو وجذيمة فقتل عمرو وانهزمت عساكره وعاد جذيمة سالما وملكت بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة وكان جنود الزباء بقايا العماليق وغيرهم وكان لها من الفرات الى تدمر فلما استجمع لها امرها واستحكم ملكها اجمعت لغزو جذيمة تطلب بثأر أبيها فقالت لها اختها ربيبة وكانت عاقلة ان غزوت جذيمة فانما هو يوم له ما بعده والحرب سجال وأشارت بترك الحرب واعمال الحيلة فأجابتها الى ذلك وكتبت الى جذيمة تدعوه الى نفسها وملكها وكتبت اليه انها لم تجد ملك النساء الا قبحا فى السماع وضعفا فى السلطان وانها لم تجد لملكها ولا لنفسها كفؤا غيره فلما انتهى كتاب الزباء اليه استخفه ما دعته اليه وجمع اليه ثقاته وهو ببقة من شاطئ الفرات فعرض عليهم ما دعته اليه واستشارهم فاجمع رأيهم على ان يسير اليها ويستولى على ملكها وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد من لخم وكان سعد تزوج أمة لجذيمة فولدت له قصيرا وكان اديبا حازما ناصحا لجذيمة قريبا منه فخالفهم فيما أشاروا به عليه وقال رأى فاتر وعدو حاضر فذهبت مثلا وقال لجذيمة اكتب اليها فان كانت صادقة فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير وقال له لا ولكنك امرؤ رأيك فى الكن لا فى الضح فذهبت مثلا ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان نمارة قومى مع الزباء ولو رأوك صاروا معك فاطاعه فقال قصير لا يطاع لقصير أمر وقالت العرب ببقة أبرم الامر فذهبتا مثلا واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وعمرو بن عبد الجن على خيوله معه وسار فى وجوه أصحابه فلما نزل الفرضة قال لقصير ما الرأى قال ببقة تركت الرأى فذهبت مثلا واستقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال يا قصير كيف ترى قال خطر يسير وخطب كبير فذهبت مثلا وستلقاك الخيول فان سارت امامك فان المرأة صادقة وان أخذت جنبيك وأحاطت بك فان القوم غادرون فاركب العصا وكانت فرسا لجذيمة لا تجارى فانى راكبها ومسايرك عليها فلقيته الكتائب

ابلغ الغاية اهريق على فأساق معه الى نار بيتهم ولما مات دفن ما بين مسجد الرملة وموضع سوقها (والثانى) لقمان بن عاد صاحب النسور وهو بقية عاد الاولى بعثه عاد مع الوفد الى الحرم يستسقون فدعوا وسأل هو البقاء واختار عمر سبعة انسر كلما هلك نسر أخذ مكانه آخر يأخذ النسر وهو فرخ فيربيه الى ان يموت وقد اختلف الناس فى عمر النسر وعامتهم على انه يعيش خمسمائة سنة فعلى هذا ان لقمان عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ولم يبلغ هذا العمر من بنى آدم احد غيره وغير عوج بن عناق وقيل انه عاش ثلاثة آلاف وثمانمائة سنة لانه كان له قبل ان يأخذ النسور ثلثمائة سنة والله أعلم

(الفصل التاسع والعشرون فى ذكر شعيا النبى عليه السلام)

وهو شعيا بن امصيا وهو الذى بشر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعيسى بن مريم عليه السلام قال رأيت راكبين اضاءت لهما الارض أحدهما على حمار والآخر على جمل فراكب الحمار عيسى عليه السلام وراكب الجمل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولما كثر فى بنى اسرائيل الاحداث والبدع وكان لهم ملك يدعى صدقيا من ولد سليمان بن داود عليهما السلام فبعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فاقبل حتى نزل حول بيت المقدس فبلغ ذلك ملك بنى اسرائيل وهو مريض فأوحى الله تعالى الى شعيا عليه السلام ان ائت ملك بنى اسرائيل واخبره بأن يوصى ويستخلف من يشاء فأتاه شعيا

استجمع له الملك بأرض العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش وكان به برص فكنت العرب عنه فقيل الوضاح والابرش اعظاما له وكان منازله ما بين الحيرة والانبار وبقة وهيت وعين التمر واطراف البر الى الغمير وخفية وتجبى اليه الاموال وتفد اليه الوفود وكان غزا طسما وجديسا في منازلهم من اليمامة فاصاب حسان بن تبع اسعد ابي كرب قد أغار عليهم فعاد بمن معه وأصاب حسان سرية لجذيمة فاجتاحها وكان له صنمان يقال لهما الضيزنان وكانت اياد بعين أباغ فذكر لجذيمة غلام من لخم في اخواله من اياد يقال له عدي بن نصر بن ربيعة له جمال وظرف فغزاهم جذيمة فبعثت اياد من سرق صنميه وحملهما الى اياد فارسلت اليه ان صنميك اصبحا فينا زهدا فيك فان أوثقت لنا ان لا تغزونا دفعناهما اليك قال وتدفعون معهما عدي بن نصر فأجابوه الى ذلك وأرسلوه مع الصنمين فضمه الى نفسه وولاه شرابه فأبصرته رقاش اخت جذيمة فعشقته وراسلته ليخطبها الى جذيمة فقال لا اجترئ على ذلك ولا أطمع فيه قالت اذا جلس على شرابه فاسقه صرفا واسق القوم مزوجا فاذا أخذت الخمر فيه فاخطبني اليه فلن يردك فاذا زوجك فأشهد القوم ففعل عدي ما أمرته فاجابه جذيمة واملكه اياها فانصرف اليها فاعرس بها من ليلته وأصبح بالخلوق فقال له جذيمة وانكر ما راى به ما هذه الآثار يا عدي قال آثار العرس قال أي عرس قال عرس رقاش قال من زوجكها ويحك قال الملك فندم جذيمة وأكب على الارض متفكرا وهرب عدي فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر فأرسل اليها جذيمة

خبريني وأنت لا تكذبيني * أبحر زنيت أم بهجين

ام بعبد فأنت أهل لعبد * ام بدون فانت اهل لدون

فقالت لا بل أنت زوجتني امرأ عربيا حسيبا ولم تستأمرني في نفسي فكف عنها وعذرها ورجع عدي الى اياد فكان فيهم فخرج يوما مع فتية متصيدين فرمى به فتى منهم فيما بين جبلين فتكسر فمات فحملت رقاش فولدت غلاما فسمته عمرا فلما ترعرع وشب البسته وعطرته وازارته خاله فلما رآه احبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا باهله وولده في سنة خصيبة فاقام في روضة ذات زهر وغدر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكماة فكانوا اذا أصابوا كماة جيدة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها فانصرفوا الى جذيمة يتعادون وعمرو يقول هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده في فيه فضمه جذيمة اليه والتزمه وسر بقوله وأمر فجعل له حلي من فضة وطوق فكان أول عربي البس طوقا فبينا هو على أحسن حالة اذ استطارته الجن فطلبه جذيمة في الآفاق زمانا فلم يقدر عليه ثم أقبل رجلان من بلقين قضاعة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك من الشام يريدان جذيمة واهديا له طرفا فنزلا منزلا ومعهما قينة لهما تسمى ام عمرو فقدمت طعاما فبينما هما يأكلان اذ اقبل فتى عريان قد تلبد شعره وطالت اظفاره وساءت حاله فجلس ناحية عنهما ومد يده يطلب الطعام فناولته القينة كراعا فأكلها ثم مد يده ثانية فقالت لا تعط العبد الكراع فيطمع في الذراع فذهبت مثلا ثم سقتهما من شراب معها واوكت

زقها

لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلانا الراعي فبم بلغت هذه المنزلة قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني قيل ان لقمان جمع في الحكمة اربعمائة الف كلمة واختار منها اربع كلمات ثنتين منها لا ينساهما ولا يذكرهما اللسان وهما الله تعالى والموت وثنتين منها ينسى ولا يذكروهما الاحسانك الى الخلق واساءة الخلق اليك قال وهب قرأت من حكمته نحوا من عشرة آلاف باب لم يسمع الناس كلاما احسن منه ثم نظرت فرأيت الناس قد ادخلوه في كلامهم واستعانوا به في خطبهم ومن حكمته ان مولاه دعاه يوما وأراد ان يجربه فقال اذبح لي شاة وأتني باطيب مضغتين منها فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان ثم قال مولاه اذبح شاة أخرى وأتني بأخبث مضغتين منها فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان فسأله عن ذلك فقال انهما اطيب شئ اذا طابا وأخبث شئ اذا خبثا ودخل يوما مسهده الخلاء وأطال الجلوس فناداه ان لا تطل الجلوس في الخلاء فانه يجع الكبد ويورث البواسير روى انه لما قال لابنه واسمه باران وهو يعظه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة الآية انفطرت مرارته من هيبتها ومات فكانت آخر كلمة حكمة قالها وبقي وعمه سبعون نبيا في يوم واحد من الجوع ودفن بفلسطين ذكر ان لقمان لما احتضر بكى وقال ما أبكي على الدنيا انما ابكي على ما امامي شقة بعيدة ومفازة ضيقة وعقبة كؤد وزاد قليل وحمل ثقيل فما ادري ايحط عني ذلك الحمل حين

والطرف وغير ذلك اعل الله يمكنك من الزباء فتصيب ثارك وتقتل عدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك كله الى الزباء فعرضه عليها فأعجبها وسرها وازدادت به ثقة ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته به فى المرة الاولى فسار حتى قدم العراق وحمل من عند عمرو حاجته ولم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه ثم عاد الثالثة فأخبر عمرا الخبر وقال اجمع لى ثقاة أصحابك وجندك وهيئ لهم الغرائر وهو أول من عملها وحمل كل رجلين على بعير فى غرارتين وجعل معقد رؤسهما من باطنهما وقال له اذا دخلت مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة فمن قاتلهم قاتلوه وان أقبلت الزباء تريد نفقها قتلتها ففعل عمرو ذلك وساروا فلما كانوا قريبا من الزباء تقدم قصير اليها فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل من الثياب والطرائف وسألها ان تخرج وتنظر الى الابل وما عليها وكان قصير يكمن النهار ويسير الليل وهو أول من فعل ذلك فخرجت الزباء فابصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ فى الارض فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا * اجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

ودخلت الابل المدينة فلما توسطتها أنيخت وخرج الرجال من الغرائر ودل عمرو على باب النفق وصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريد الخروج من النفق فلما أبصرت عمرا قائما على باب النفق فعرفته بالصورة التى عملها المصور فمصت سما كان فى خاتمها فقالت بيدى ولا بيد عمرو فذهبت مثلا وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة ثم عاد الى العراق وصار الملك بعد جذيمة لابن اخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن سعود بن مالك بن غنم بن نمارة ابن لخم وهو أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب فلم يزل ملكا حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة وثمانى عشرة سنة منها ايام ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة وايام اردشير بن بابك اربع عشرة سنة واشهر وايام ابنه سابور بن اردشير ثمان سنين وشهران وكان منفردا بملكه يغزو المغازى ولا يدين لملوك الطوائف الى ان ملك اردشير بن بابك اهل فارس ولم يزل الملك فى ولده الى ان كان آخرهم النعمان بن المنذر الى ايام ملوك كندة على ما نذكره ان شاء الله وقيل فى سبب مسير ولد نصر بن ربيعة الى العراق غير ما تقدم وهو رؤيا ربيعة وسيرد ذكرها عند امر الحبشة ان شاء الله تعالى

(ذكر طسم وجديس وكانوا ايام ملوك الطوائف)

كان طسم بن لود بن ازهر بن سام بن نوح وجديس بن عامر بن ازهر بن سام ابنى عم وكانت مساكنهم موضع اليمامة وكان اسمها حينئذ جوا وكانت من اخصب البلاد واكثرها خيرا وكان ملكهم ايام ملوك الطوائف عمليق وكان ظالما قد تمادى فى الظلم والغشم والسيرة الكثيرة القبح وان امرأة من جديس يقال لها هزيلة طلقها زوجها واراد اخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق وقالت ايها الملك حملته تسعا ووضعته دفعا وارضعته شفعا حتى اذا تمت اوصاله ودنا فصاله اراد ان يأخذه منى كرها ويتركنى بعد ورها فقال زوجها ايها

سبع سنين ثم مات واستخلف بختنصر وكان ابن ابنته وسار بسيرته ثم بعد ذلك قبض الله تعالى صدقيا ملك بنى اسرائيل وهو آخر من ملك من آل داود وكان اقام الملك فى آل داود أربعمائة وخمسين سنة ووقع الخلاف بينهم حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغى والفساد فلا يقبلون كلام نبيهم ولا يرجعون اليه فلما ازداد بغيهم أوحى الله تعالى الى شعيا عليه السلام أن قم خطيبا فيهم فقام واطلق الله لسانه فبالغ فى التحذير والانذار فلما فرغ من كلامه اجتمعوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فتبعوه وأثروا فاتته شجرة فانفلقت فدخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فانضمت الشجرة عليه فوضعوا المنشار فنشروها ونشروه معها

(الفصل الثلاثون فى ذكر ارميا عليه السلام)

وهو ارميا بن حلقيا قال صاحب العرائس استخلف الله بعد شعيا ارميا عليهما السلام وزعم ابن اسحق انه الخضر عليه السلام فلما كثر فى بنى اسرائيل الاحداث ولم يطيعوا نبيهم ولم يتوبوا الى ربهم أوحى الله تعالى الى ارميا انى مهلك بنى اسرائيل ومسلط عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل لا يبقى منهم والدا ولا ولدا فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وتضرع الى الله تعالى ثم انهم لبثوا بعد ذلك ثلاث سنين ولم يزدادوا الا معصية وتماديا فى الشر فسلط الله تعالى عليهم بختنصر فخرج من بابل فى ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس وارسل الله تعالى صاعقة على بيت

خالات بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة موليا على متنها فقال
ويل امه حزما على متن العصا * فذهبت مثلا وقال ما ضل من تجري به العصا فذهبت مثلا
وجرت به الى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة فبني عليها برجا يقال له برج
العصا وقالت العرب خير ما جاءت به العصا مثل تضرب وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيول
حتى دخل على الزباء فلما رأته تكشفت فاذا هي مضفورة الاسب والاسب بالباء الموحدة
هو شعر الاست وقالت له يا جذيمة ادأب عروس ترى فذهبت مثلا فقال بلغ المدى وجف
الثرى وأمر غدر أرى فذهبت مثلا فقالت له أما والهي ما بنا من عدم مواس ولا قلة أواس
ولكنها شيمة ما اناس فذهبت مثلا وقالت له انبئت ان دماء الملوك شفاء من الكلب ثم
أجلسته على نطع وأمرت بطست من ذهب فأعدّ له وسقته الخمر حتى أخذت منه مأخذها
ثم أمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطست وقد قيل لها ان قطر من دمه شيء في غير
الطست طلب بدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الرقبة الا في قتال تكرمة للملك فلما
ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه في غير الطست فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة
دعوا دما ضيعه أهله فذهبت مثلا فهلك جذيمة وخرج قصير من الحي الذين هلكت العصا
بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة فوجده قد اختلف هو وعمرو بن عبد
الجن فأصلح بينهما واطاع الناس عمرو بن عدي وقال له قصير تهيأ واستعد ولا تطل دم
خالك فقال كيف لي بها وهي امنع من عقاب الجو فذهبت مثلا وكانت الزباء سألت كهنة
عن امرها وهلاكها فقالوا لها نرى هلاكك بسبب عمرو بن عدي ولكن حتفك بيدك
فحذرت عمرا واتخذت نفقا من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها ثم قالت ان فجأني
أمر دخلت النفق الى حصني ودعت رجلا مصورا حاذقا فارسلته الى عمرو بن عدي
متنكرا وقالت له صوّره جالسا وقائما ومنفصلا ومتنكرا ومتسلحا بهيئته ولبسه ولونه ثم
أقبل الي ففعل المصور ما وصته الزباء وعاد اليها وارادت ان تعرف عمرو بن عدي فلا تراه
على حال الا عرفته وحذرته وقال قصير لعمرو اجدع انفي واضرب ظهري ودعني واياها
فقال عمرو ما انا بفاعل فقال قصير خل عني اذا وخلاك ذم فذهبت مثلا فقال عمرو فانت
أبصر فجدع قصير أنفه ودق ظهره وخرج كأنه هارب وأظهر ان عمرا فعل ذلك به وسار
حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأمرت به فأدخل عليها فاذا أنفه قد جدع
وظهره قد ضرب فقالت لامر ما جدع قصير أنفه فذهبت مثلا قالت ما الذي أرى بك
يا قصير قال زعم عمرو اني غدرت خاله وزينت له المسير اليك ومالأتك عليه ففعل بي ما ترين
فأقبلت اليك وعرفت اني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فأكرمته وأصابت عنده
بعض ما أرادت من الحزم والرأي والتجربة والمعرفة بأمور الملك فلما عرف انها قد
استرسلت اليه ووثقت به قال لها ان لي بالعراق أموالا كثيرة ولي بها طرائف وعطر
فابعثيني لأحمل مالي واحمل اليك من طرائفها وصنوف ما يكون بها من التجارات
فتصيبين ارباحا وبعض ما لا غنى للملوك عنه فسرحته ودفعت اليه أموالا وجهزت معه
عيرا فسار حتى قدم العراق وأتى عمرو بن عدي متخفيا وأخبره الخبر وقال جهزني بالبز

عليه السلام فقال له ان ربك قد أوحى الي ان آمرك ان توصي وتستخلف من شئت على ملكك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا
لصدقيا بكى وتضرع وابتهل الى الله
تعالى فاستجاب الله تعالى دعاءه
فأوحى الله تعالى الى شعيا وأمره
ان يخبر ملك بني اسرائيل ان ربه
قد استجاب له وقبل دعاءه وقد
اخر أجله خمس عشرة سنة وانجاه
من عدوه فأتاه شعيا عليه
السلام واخبره بذلك فقال ذهب
الوجع وانقطع الحزن وخر
ساجدا لله تعالى فلما أصبح جاءه
صارخ فصرخ على باب المدينة
يا ملك بني اسرائيل قد كفاك الله
شر عدوك فاخرج فانهم أصبحوا
كلهم موتى الا ملكهم سنحاريب
وخمسة أنفار من اصحابه فخرج
صدقيا الملك يلتمس سنحاريب
واصحابه بين الموتى فلم يجده فبعث
في طلبه فأدركه مع خمسة احدهم
بختنصر فجعلوهم في الغل والقيد
ثم اتوا بهم الى صدقيا الملك فلما
رآهم خر ساجدا لله تعالى من وقت
طلوع الشمس الى بعد العصر ثم
قال لسنحاريب كيف رأيت
فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله
وقوته فقال سنحاريب انه قد
بلغني امر نصركم قبل ان اخرج
من بلادي ولكن الشقاوة غلبت
علي وعلى من معي ثم ان ملك بني
اسرائيل وضع في رقابهم الاغلال
وطاف بهم سبعين يوما حول بيت
المقدس وعين لكل رجل منهم
في كل يوم رغيفين من خبز شعير
فضاق عليهم عيشهم حتى تمنوا
الموت واراد قتلهم فأوحى الله
تعالى الى شعيا عليه السلام ان يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم فلما قدموا بابل ابث سنحاريب والطرف

مسيرة ثلاث واني أخاف ان تنذر القوم بك فمر أصحابك فليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها امامه فأمرهم حسان بذلك فنظرت اليمامة فأبصرتهم فقالت لجديس لقد سارت اليكم حمير قالوا وما ترين قالت أرى رجلا في شجرة معه كتف يتعرقها أو نعل يخصفها وكان كذلك فكذبوها فصبحهم حسان فأبادهم وأتى حسان باليمامة ففقأ عينيها فاذا فيها عروق سود فقال ما هذا قالت حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الاثمد وكانت أول من اكتحل به وبهذه اليمامة سميت اليمامة وقد أكثر الشعراء ذكرها في اشعارهم ولما هلكت جديس هرب الاسود فاتى الى جبلي طيء فأقام بهما وذلك قبل ان تنزلهما طيء وكانت طيء تنزل الجرف من اليمن وهو الآن لمراد وهمدان وكان يأتي الى طيء بعير ازمان الخريف عظيم السمن ويعود عنهم ولم يعلموا من أين يأتي ثم انهم اتبعوه يسيرون بسيره حتى هبط بهم على اوجا وسلمى جبلي طيء وهما بقرب فيد فرأوا فيهما النخل والمراعي الكثيرة ورأوا الاسود بن عفار فقتلوه وأقامت طيء بالجبلين بعده فهم هناك الى الآن وهذا أول مخرجهم اليهما

(ذكر أصحاب الكهف وكانوا أيام ملوك الطوائف)

كان أصحاب الكهف أيام ملك اسمه دقيوس ويقال دقيانوس وكانوا بمدينة للروم اسمها افسوس وملكهم يعبد الاصنام وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى فقال أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا والرقيم خبرهم كتب في لوح وجعل على باب الكهف الذي أووا اليه وقيل كتبه بعض أهل زمانهم وجعله في البناء وفيه أسماؤهم وفي أيام من كانوا وسبب وصولهم الى الكهف وقيل كتبه الملك الذي ظهر عليهم وبنى الكنيسة عليهم وكانت عدتهم فيما ذكر ابن عباس سبعة وثامنهم كلبهم وقال انا من القليل الذين يعلمونهم وقال ابن اسحق كانوا ثمانية فعلى قوله يكون تاسعهم كلبهم وكانوا من الروم وكانوا يعبدون الاوثان فهداهم الله وكانت شريعتهم شريعة عيسى عليه السلام وزعم بعضهم انهم كانوا قبل المسيح وان المسيح أعلم قومه بهم وان الله بعثهم من رقدتهم بعد رفع المسيح والاول أصح وكان سبب ايمانهم انه جاء حواري من أصحاب عيسى الى مدينتهم فأراد ان يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد حتى يسجد له فلم يدخلها وأتى حماما قريبا من المدينة فكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام البركة وعلقه الفتية فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيره الحواري فاستحيا ثم رجع مرة اخرى فعيره فسبه وانتهره ودخل الحمام ومعه المرأة فماتا في الحمام فقيل للملك ان الذي بالحمام قتلهما فطلبه فلم يوجد فقيل من كان يصحبه فذكر الفتية فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم في زرع له فذكروا له أمرهم فسار معهم وتبعهم الكلب الذي له حتى آواهم الليل الى الكهف فقالوا نبيت هاهنا حتى نصبح ثم نرى رأينا فدخلوه فرأوا عنده عين ماء وثمارا فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء فلما جنهم الليل ضرب الله على آذانهم ووكل بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الارض

بختنصر أرض بابل مسخه الله أسدا ثم مسخه نسرا ثم مسخه ثورا وكان مسخه سبع سنين وقلبه في ذلك كله قلب انسان وهو في ذلك كله يعقل عقل الانسان فكان ملكه قائما ثم رده الله تعالى الى بشريته فدعا الى توحيد الله تعالى ولكن اختلفوا في ايمانه فقال بعضهم قتل الانبياء وأخرب بيت المقدس وأحرق كتاب الله تعالى فغضب الله عليه فلم يقبل منه التوبة ودخلت بعوضة في منخره حتى أكلت من دماغه فمات وكان عمره حين مسخ ألفا وخمسمائة سنة وخمسين يوما ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى ارميا الى عامر بيت المقدس وكان بمصر فاخرج اليه فخرج ارميا من مصر على حماره ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى أتى ايليا ووقف عليها ورأى خرابها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ثم ربط حماره فألقى الله عليه النوم وكان وقت الضحى فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وأمات حماره والعصير والتين عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد ومنع الله الطير والسباع عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة ارسل الله تعالى ملكا من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره فانتدب في ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة عامل وجعلوا يعمرونه وكان قد نجا دانيال وعزير ومن بقي من بني اسرائيل ولم يمت ببابل منهم احد وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيه وعمروه في ثلاثين سنة وكثروا واحسن كانوا احسن ما كانوا عليه فلما مضت لمائة سنة احيا الله تعالى من أرميا عينيه وبقي سائر جسده ميتا ثم احيا جسده وهو ينظر ثم نظر

الملك انها اعطيت مهرها كاملا ولم اصب منها طائلا الا وليدا خاملا فاعمل ما كنت فاعلا فامر الملك بالغلام فصار فى غلمانه وان تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها فقالت هزيلة

اتينا اخا طسم ليحكم بيننا * فانفذ حكما فى هزيلة ظالما
لعمرى لقد حكمت لا متورعا * ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما
ندمت ولم اندم وانى بعثرتى * واصبح بعلى فى الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها امر ان لا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها حتى يفترعها فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلا ولم يزل يفعل ذلك حتى زوجت الشموس وهى عفيرة بنت عباد اخت الاسود فلما ارادوا حملها الى زوجها انطلقوا بها الى عمليق لينالها قبله ومعها الفتيان فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها فخرجت الى قومها فى دمائها وقد شقت درعها من قبل ودبر والدم يبين وهى فى اقبح منظر تقول

لا احد أذل من جديس * اهكذا يفعل بالعروس
يرضى بذا يا قوم بعل حر * اهدى وقد اعطى وسيق المهر

وقالت أيضا تحرض قومها

ايجمل ما يؤتى الى فتياتكم * وانتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشى فى الدماء عفيرة * جهارا وزفت فى النساء الى بعل
ولو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقر لذا الفعل
فموتوا كراما او أميتوا عدوكم * وذبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا * الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الاذى * وللموت خير من مقام على الذل
وان انتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تعيب من الكحل
ودونكم طيب النساء فانما * خلقتم لاثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للذى ليس دافعا * ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

فلما سمع اخوها الاسود قولها وكان سيدا مطاعا قال لقومه يا معشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم فى داركم الا بملك صاحبهم علينا وعليهم ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لانتصفنا منه فأطيعونى فيما آمركم فانه عز الدهر وقد حمى جديس لما سمعوا من قولها فقالوا نطيعك ولكن القوم أكثر منا قال فانى أصنع للملك طعاما وادعوه وأهله اليه فاذا جاؤا يرفلون فى الحلل أخذنا سيوفنا وقتلناهم فقالوا افعل فصنع طعاما فأكثر وجعله بظاهر البلد ودفن هو وقومه سيوفهم فى الرمل ودعا الملك وقومه فجاؤا يرفلون فى حللهم فلما أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم يأكلون أخذت جديس سيوفهم من الرمل وقتلوهم وقتلوا ملكهم وقتلوا بعد ذلك السفلة ثم ان بقية طسم قصدوا حسان بن تبع ملك اليمن فاستنصروه فسار الى اليمامة فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم ان لى أختا متزوجة فى جديس يقال لها اليمامة تبصر الراكب من

مسيرة

المقدس فالتهب مكان الرهبان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ارمياء ذلك طار حتى خرج من المدينة وخالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم بعد ان قتل أربعين الف رجل ممن قرأ التوراة وتقدم فى العلم وأخرب بيت المقدس ونهب ما فيه ثم أمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس حتى ردموه بالتراب وأخذ من الذهب والفضة وأنواع اليواقيت الذى كان وضعه سليمان عليه السلام فى عمارة المسجد حين بناه مالا يحصيه الا الله تعالى ونقل ذلك كله الى بابل واختار من الصبيان سبعين الفا فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلمان فكان من تلك الغلمان دانيال وعزريا وميشائيل وهم من ذرارى الانبياء فى قسمة بختنصر وجمع من سبايا بنى اسرائيل فكان سبعة آلاف من أهل بيت داود عليه السلام واحد عشر الفا من سبط يوسف وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط شمعون وأربعة آلاف من سبط يالون وأربعة آلاف من سبط يهوذا وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى وهم اولاد يعقوب عليه السلام جعلهم ثلاث فرق فثلثا بالشام ابقاهم وثلثا افناهم وثلثا سباهم وسارت من بنى اسرائيل طائفة الى مصر واجتمعوا بملكها فسار بختنصر الى ملك مصر فاقتتلا فظفر به بختنصر فأسره وقتل جنوده واسر كل من كان عنده من بنى اسرائيل ثم رجع ولحق ببابل فلما قدم

ورأى الملك تابوتا من نحاس مختوما بخاتم ففتحه فرأى فيه لوحا من رصاص مكتوبا فيه أسماء الفتية وانهم هربوا من دقيانوس الملك مخافة على نفوسهم ودينهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم دقيانوس بمكانهم بالكهف سدّه عليهم فليعلم من يقرأ كتابنا هذا شأنهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم هذه الآية للبعث ورفعوا أصواتهم بالتحميد والتسبيح وقيل ان الملك ومن معه دخلوا على الفتية فرأوهم احياء مشرقة وجوههم والوانهم لم تبل ثيابهم واخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس واعتنقهم الملك وقعدوا معه يسبحون الله ويذكرونه ثم قالوا له نستودعك الله ورجعوا الى مضاجعهم كما كانوا فعمل الملك لكل رجل منهم تابوتا من الذهب فلما نام رآهم في منامه وقالوا انا لم نخلق من الذهب انما خلقنا من التراب واليه نصير فعمل لهم حينئذ توابيت من خشب وحجبهم الله بالرعب وبنى الملك على باب الكهف مسجدا وجعل لهم عيدا عظيما واسماء الفتية مكسلمينا وتمليخا ومرطوس ونيرويس وكسطومس ودينموس وريطونس وقالوس ومحسيلمينيا وهذه تسعة أسماء وهي أتم الروايات والله اعلم وكلبهم قطمير

(ذكر يونس ابن متى)

وكان أمره من الاحداث ايام ملوك الطوائف قيل لم ينسب احد من الانبياء الى امه الا عيسى ابن مريم ويونس ابن متى وهي امه وكان من قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعثه الله اليهم بالنهي عن عبادتها والامر بالتوحيد فاقام فيهم ثلاثا وثلاثين سنة يدعوهم فلم يؤمن غير رجلين فلما أيس من ايمانهم دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على عبادي ارجع اليهم فادعهم اربعين يوما فدعاهم سبعة وثلاثين يوما فلم يجيبوه فقال لهم ان العذاب يأتيكم الى ثلاثة ايام وآية ذلك ان ألوانكم تتغير فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا قد نزل بكم ما قال يونس ولم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم فأمنوا من العذاب وان لم يبت فاعلموا ان العذاب يصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين ايقن يونس بنزول العذاب فخرج من بين اظهرهم فلما كان الغد تغشاهم العذاب فوق رؤسهم فخرج عليهم غيم اسود هائل يدخن دخانا شديدا ثم نزل الى المدينة فاسودت منه سطوحهم فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا يونس فلم يجدوه فالهمهم الله التوبة فاخلصوا النية في ذلك وقصدوا شيخا وقالوا له قد نزل بنا ما ترى فما نفعل فقال آمنوا بالله وتوبوا وقولوا يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى يا حي لا اله الا أنت فخرجوا من القرية الى مكان رفيع في براز من الارض وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله واستقالوه وردوا المظالم جميعا حتى ان كان احدهم ليقلع الحجر من بنائه فيرده الى صاحبه فكشف الله عنهم العذاب وكان يوم عاشوراء يوم الاربعاء وقيل للنصف من شوال يوم الاربعاء وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به مار فقال ما فعل أهل القرية فقال تابوا الى الله فقبل منهم واخر عنهم العذاب فغضب يونس عند ذلك فقال والله لا ارجع كذابا ولم تكن قرية رد الله عنهم العذاب بعد ما غشيهم الا قوم يونس ومضى مغاضبا لربه وكان فيه حدة وعجلة وقلة صبر ولذلك نهى النبي صلى الله

بابل ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة افزعته فسأل عنها الكهنة والسحرة فعجزوا عن تعبيرها وكان دانيال مع اصحابه في السجن فأخبر السجان بختنصر بقصة دانيال فقال له علي به وكان لا يدخل عليه أحد الا سجد له فأتوا به فقام بين يديه ولم يسجد فقال له ما الذي منعك من السجود لي فقال ان لي ربا آتاني الحكمة والعلم وأمرني أن لا أسجد لغيره فخشيت أن أسجد لغيره فينزع مني علمه الذي آتاني ويهلكني فأعجب به وقال نعم ما فعلت حيث وفيت نعمه ثم اخبره برؤياه التي رآها قبل ان يخبره الملك وعبرها له فجعل يكرمه واصحابه ويستشيره في اموره حتى كان اكرم الناس عليه واحبهم اليه فحسده المجوس وذهبوا الى اهلاكه فنجاه الله تعالى ولما هلك بختنصر رجع الى بيت المقدس مع اصحابه وقيل بقي بأرض بابل الى ان مات بالسوس من قرى خوزستان وعن ابي الزناد انه قال رأيت في يد ابي بردة بن ابي موسى الاشعري خاتم فضة نقش عليه أسدان بينهما رجل وهما يلحسان الرجل قال ابو بردة هذا خاتم دانيال اخذه والي حين وجده يوم حفر قبره قالوا في سبب هذا النقش ان بختنصر اخذ في تتبع الصبيان وقتلهم وكان دانيال صغيرا في ذلك الوقت اخذته امه والقته في غيضة رجاء ان ينجو منه فقيض الله تعالى له اسدا يحفظه ولبوة ترضعه وهما يلحسانه فلما كبر صور ذلك في خاتمه حتى لا ينسى نعمة الله عليه

(الفصل الثاني والثلاثون في ذكر عزير عليه السلام) وهو عزير بن شرخيا من ولد هرون عليه السلام قال الشيخ الاكبر

أجسادهم وكانت الشمس تطلع عليهم وسمع الملك دقيانوس خبرهم فخرج فى أصحابه يتبعون أثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف وأمر أصحابه بالدخول اليهم واخراجهم فكلما أراد رجل ان يدخل ارعب فعاد فقال بعضهم اليس لو كنت ظفرت بهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ففعل فبقوا زمانا بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت غنمى فيه ففتحه فرد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا فبعثوا أحدهم بورق ليشترى لهم طعاما واسمه تمليخا فلما أتى باب المدينة رأى ما أنكره حتى دخل على رجل فقال بعنى بهذه الدراهم طعاما فقال فمن أين لك هذه الدراهم قال خرجت أنا وأصحاب لى امس فلما أصبحنا ارسلونى لاشترى لهم طعاما فقال هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلانى فرفعه الى الملك وكان ملكا صالحا فسأله عنها فاعاد عليه حالهم فقال الملك وأين أصحابك قال انطلقوا معى فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف فقال دعونى ادخل الى أصحابى قبلكم لئلا يسمعوا أصواتكم فيخافوا اظنا منهم ان دقيانوس قد علم بهم فدخل عليهم وأخبرهم الخبر فسجدوا واشكروا الله وسألوه ان يتوفاهم فاستجاب لهم فضرب على اذنه وآذانهم وأراد الملك الدخول عليهم فكانوا كلما دخل عليهم رجل أرعب فلم يقدروا ان يدخلوا عليهم فعاد عنهم فبنوا عليهم كنيسة يصلون فيها قال عكرمة لما بعثهم الله كان الملك حينئذ مؤمنا وكان قد اختلف أهل مملكته فى الروح والجسد وبعثهما فقال قائل يبعث الله الروح دون الجسد وقال قائل يبعثان جميعا فشق ذلك على الملك فلبس المسوح وسأل الله ان يبين له الحق فبعث الله أصحاب الكهف بكرة فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض قد اغفلنا هذه الليلة عن العبادة فقاموا الى الماء وكان عند الكهف عين وشجرة فاذا العين قد غارت والاشجار قد يبست فقال بعضهم لبعض ان أمرنا لعجب هذه العين غارت وهذه الاشجار يبست فى ليلة واحدة والقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا فدخل احدهم يشترى الطعام فلما رأى السوق عرف طرقها وأنكر الوجوه ورأى الايمان ظاهرا بها فأتى رجلا يشترى منه فانكر الدراهم فرفعه الى الملك فقال الفتى اليس ملككم فلان فقال الرجل لا بل فلان فعجب لذلك فلما أحضر عند الملك اخبره بخبر أصحابه فجمع الملك الناس وقال لهم انكم قد اختلفتم فى الروح والجسد وان الله قد بعث لكم آية هذا الرجل من قوم فلان يعنى الملك الذى مضى فقال الفتى انطلقوا بى الى أصحابى فركب الملك والناس معه فلما انتهى الى الكهف قال الفتى للملك ذرونى اسبقكم الى أصحابى اعرفهم خبركم لئلا يخافوا اذا سمعوا وقع حوافر دوابكم واصواتكم فيظنوكم دقيانوس فقال افعل فسبقهم الى أصحابه ودخل على أصحابه فأخبرهم الخبر فعلموا حينئذ مقدار لبثهم فى الكهف وبكوا فرحا ودعوا الله ان يميتهم ولا يراهم أحد ممن جاءهم فماتوا لساعتهم فضرب الله على اذنه وآذانهم معه فلما استبطؤه دخلوا الى الفتية فاذا أجسادهم لا ينكرون منها شيأ غير انها لا أرواح فيها فقال الملك هذه آية لكم

الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح فسمع وتادى السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودى أن اكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ثم أقبل ملك يمشى حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فنهق باذن الله تعالى فكان التين كأنه قطع من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته وعاش أرميا ثلثمائة سنة .

(الفصل الحادى والثلاثون فى ذكر دانيال عليه السلام)

وهما اثنان احدهما دانيال الاكبر وكان بين هود وصالح عليهما السلام ذكر ابن الجوزى فى كتابه سلوة الاحزان ان الله تعالى اوحى اليه أن احفر لى نهرين عظيمين وهما دجلة والفرات فقال يارب كيف أحفر قال له خذ سكة من حديد وعرضها واجعلها فى خشبة وألقها خلف ظهرك فانى باعث اليك ملائكة يعينونك على حفرهما ففعل كما أمر وكان من بقايا قوم عاد وهو الذى وجد المسلمون قبره بالعراق فى زمن الفتوح مع أبى موسى الاشعرى وذكروا ان أنفه كان طوله ذراعا وذلك فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين فتح بلاد العراق فكتب ابو موسى بذلك الى عمر بن الخطاب فأمره ان يخرجه ويكفنه ويصلى عليه فأخرجه وكفنه وصلى عليه ودفنه وهو الذى كان يستمطر به اهل فارس فى زمن كسرى واما دانيال الاصغر فانه كان فى زمن بختنصر وهو الذى تفرد فى علم النجوم والرمل وكان ذهب به بختنصر مع اطفال من اولاد الانبياء عليهم السلام الى ورأى

فغضب وانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست قال فساهم واقسم فجاءت الحوت فنودي الحوت انا لم نجعل يونس من رزقك انما جعلناه لك حرزا فالتقمه الحوت وانطلق به من ذلك المكان حتى مرّ به على الابلة ثم انطلق به على دجلة حتى القاه بنينوى

(ومما كان من الاحداث ايام ملوك الطوائف)

ارسال الله تعالى الرسل الثلاثة الى مدينة انطاكية وكانوا من الحواريين اصحاب المسيح ارسل اولا اثنين وقد اختلف في اسمائهما فقدما انطاكية فرأيا عندها شيخا يرعى غنما وهو حبيب النجار فسلما عليه فقال من انتما قالا رسولا عيسى ندعوكم الى عبادة الله تعالى قال معكما آية قالا نعم نحن نشفي المرضى ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال حبيب ان لي ابنا مريضا منذ سنين واتى بهما منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخس يعبد الاصنام فبلغ اليه خبرهما فدعاهما فقال من انتما قالا رسولا عيسى ندعوك الى الله تعالى قال فما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله فقال قوما حتى ننظر في امركما فقاما فضربهما العامة وقيل انهما قدما المدينة فبقيا مدة لا يصلان الى الملك فخرج الملك يوما فكبرا وذكرا الله فغضب وحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث المسيح شمعون رأس الحواريين لينصرهما فدخل البلد متنكرا وعاشر حاشية الملك فرفعوا خبره الى الملك فاحضره ورضي عشرته وأنس به وأكرمه فقال له يوما ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى دينهما فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك ان يحضرهما حتى نسمع كلامهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء ولا شريك له قال فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون فما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضعهما كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر وأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك لذلك فقال ان قدر الهكما الذي تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا ان الهنا قادر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا منذ سبعة أيام لم ندفنه حتى يرجع أبوه وهو غائب فاحضر الميت وقد تغيرت ريحه ودعوا الله تعالى علانية وشمعون يدعو سرا فقام الميت فقال لقومه اني مت مشركا وأدخلت في أودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن هم فقال هذا واومأ الى شمعون وهذان واشار اليهما فعجب الملك فحينئذ دعا شمعون الملك الى دينه فآمن قومه وكان الملك فيمن آمن وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا النجار وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة الله وطاعة المرسلين وذلك قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث وهو شمعون فاضاف الله تعالى الارسال الى نفسه وانما ارسلهم المسيح لانه ارسلهم باذن الله تعالى فلما كذبهم اهل

واشبههم وابن العزير شيخ ابن مائة وثمان عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فاقبل الناس اليه وقال انا ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فاذا هي كما قال وقال السدي لما رجع عزير الى بيت المقدس ورأى ان بختنصر قد احرق التوراة ولم يبق من يحفظها بكى عزير على التوراة فأتاه ملك من الله عز وجل باناء فيه ماء فشرب منه فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه فقال أنا عزير فلم يصدقوه فقال اني انا عزير اماتني الله تعالى مائة عام ثم بعثني اليكم اجدد لكم توراتكم فقالوا أملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقال رجل حدثني ابي عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فلان فأخرجوها فوجدوها كما أخبر ولم يغادر منها آية ولا حرفا فقالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله تعالى الله وتقدس عن الصاحبة والولد وكان الله تعالى امات عزيرا وهو ابن اربعين سنة وبعثه وهو ابن مائة واربعين سنة فكان اولاده وأولاد أولاده شيوخا وهو شاب اسود الرأس واللحية وعن وهب بن منبه قال ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب أصحاب الكهف وحمار عزير الذي أماته الله واحياه وذكر اهل التاريخ ان في آخر أيام عزير زال ملك الفرس عن الشام وصار لليونانيين والروم وتوفي عزير عليه السلام ودفن في جبل المنور شرقي بيت المقدس

(الفصل الثالث والثلاثون في ذكر شمعون عليه السلام)

عليه وسلم ان يكون مثله فقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت ولما مضى ظن ان الله لا يقدر عليه اي يقضي عليه العقوبة وقيل يضيق عليه الحبس فسار حتى ركب في سفينة فأصاب اهلها عاصف من الريح وقيل بل وقفت فلم تسر فقال من فيها هذا بخطيئة أحدكم فقال يونس هذا بخطيئتي فالقوني في البحر فابوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم فساهم فكان من المدحضين فلم يلقوه وفعلوا ذلك ثلاثا ولم يلقوه فالقى نفسه في البحر وذلك تحت الليل فالتقمه الحوت فاوحى الله الى الحوت ان يأخذه ولا يخدش له لحما ولا يكسر له عظما فاخذه وعاد الى مسكنه من البحر فلما انتهى اليه سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد له كل يوم عمل صالح فشفعوا له عند ذلك فنادى في الظلمات ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل ان لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وكان قد سبق له من العمل الصالح فانزل الله فيه فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وذلك ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر فنبذناه بالعراء وهو سقيم القى على جانب البحر وهو كالصبي المنفوس ومكث في بطن الحوت أربعين يوما وقيل عشرين يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام والله أعلم وانبت عليه شجرة من يقطين وهو القرع يقطر اليه منه اللبن وقيل هيأ الله له اروية وحشية فكانت ترضعه بكرة وعشية حتى رجعت اليه قوته وصار يمشي فرجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها قد يبست فحزن وبكى عليها فعاتبه الله وقيل له أتبكي وتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف و زيادة اردت ان تهلكهم ثم ان الله أمره ان يأتي قومه فيخبرهم ان الله قد تاب عليهم فعمد اليهم فلقي راعيا فسأله عن قوم يونس فاخبره انهم على رجاء ان يرجع اليهم رسولهم قال فاخبرهم انك قد لقيت يونس قال لا استطيع الا بشاهد فسمى له عنزا من غنمه والبقعة التي كانا فيها وشجرة هنالك وقال كل هذه تشهد لك فرجع الراعي الى قومه فاخبرهم انه راى يونس فهموا به فقال لا تعجلوا حتى أصبح فلما أصبح غدا بهم الى البقعة التي لقي فيها يونس فاستنطقها فشهدت له وكذلك الشاة والشجرة وكان يونس قد اختفى هنالك فلما شهدت الشاة قالت لهم ان اردتم نبي الله فهو بمكان كذا وكذا فاتوه فلما رأوه قبلوا يديه ورجليه وأدخلوه المدينة بعد امتناع فمكث مع اهله وولده أربعين يوما وخرج سائحا وخرج الملك معه يصحبه وسلم الملك الى الراعي فاقام يدبر أمرهم أربعين سنة بعد ذلك ثم ان يونس أتاهم بعد ذلك وقال ابن عباس وشهر بن حوشب كانت رسالة يونس بعدما نبذه الحوت وقالا كذلك أخبر الله تعالى في سورة الصافات فانه قال فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة الف او يزيدون وقال شهر ان جبريل أتى يونس فقال له انطلق الى اهل نينوى فانذرهم العذاب فانه قد حضرهم قال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك قال التمس حذاء قال الامر اعجل من ذلك قال

فغضب

في مسامرة الاشيا لم يكن عزير نبيا وكان من علما بني اسرائيل ونقل ايضا عن ابي الفتوح نصر بن ابي الفرج الحنبلي انه قال كان عزير قد اكثر المناجاة في بيت المقدس في القدر فمحي اسمه من الانبياء فلا يذكر فيهم وذهب بعض العلماء ان الذي اماته الله مائة عام ثم بعثه هو عزير قال فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل بدير هرقل على شط دجلة فطاف بالقرية فلم ير فيها احدا ورأى عامة اشجارها حاملة فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل الفاكهة في سلة والعصير في زق فلما راى خراب القرية قال انى يحيي هذه الله بعد موتها قالها متعجبا لا شاكا فاماته الله بعدما اماته مائة سنة فركب حماره وقصد بيت المقدس حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها من العمر مائة وعشرون سنة كانت امة لهم وكان عزير قد خرج عنهم وهي ابنة عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما رأيت احدا منذ كذا وكذا سنة ذكر عزيرا قال فاني انا عزير وان الله عز وجل قد اماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان مستجاب الدعوة فان كنت عزيرا فادع الله تعالى ان يرد بصري حتى اراك واعرفك فدعا ربه عز وجل ومسح بيده على عينيها فابصرت من ساعتها ثم اخذ بيدها وقال قومي باذن الله عز وجل فقامت صحيحة ونظرت اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم

ثم دعاه الملك الى عبادة صنمه وقال له لو كان ربك ملك الملكوت لرؤي عليك أثره كما ترى على من حولي من ملوك قومي فاجابه جرجيس بتعظيم أمر الله وتمجيده وقال له تعبد افلون الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يغني من رب العالمين أم تعبد الذي قامت بامره السموات والارض أم تعبد طرقلينا عظيم قومك من الناس عليه السلام فانه كان آدميا يأكل ويشرب فاكرمه الله بان جعله انسيا ملكيا أم تعبد عظيم قومك مخليطيس أيضا وما قال بولاية عيسى عليه السلام وذكر من معجزاته وما خصه الله به من الكرامة فقال له الملك انك أتيتنا بأشياء لا نعلمها ثم خيره بين العذاب والسجود للصنم فقال جرجيس ان كان صنمك هو الذي رفع السماء وعدد أشياء من قدرة الله عز وجل فقد أصبت ونصحت والا فاخسأ أيها الملعون فلما سمع الملك أمر بحبسه وبشط جسده بامشاط الحديد حتى تقطع لحمه وعروقه وينضح بالخل والخردل فلم يمت فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فاحميت حتى صارت نارا ثم سمر بها رأسه فسال دماغه فحفظه الله تعالى فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى جعله نارا ثم أدخله فيه وأطبق عليه حتى برد فلما رأى ذلك لم يقتله دعاه وقال له ألم تجد ألم هذا العذاب قال ان الهي حمل عني عذابك وصبرني ليحتج عليك فايقن الملك بالشر وخافه على نفسه وملكه فاجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال الملأ من قومه انك ان تركته في السجن طليقا يكلم الناس ويميل بهم عليك ولكن يعذب بعذاب يمنعه من الكلام فامر به فبطح في السجن على وجهه ثم أوتد في يديه ورجليه أوتادا من حديد ثم أمر باسطوان من رخام حمله ثمانية عشر رجلا فوضع على ظهره فظل يومه ذلك تحت الحجر فلما أدركه الليل أرسل الله اليه ملكا وذلك أول ما أيد بالملائكة فاول ما جاءه الوحي فقلع عنه الحجر ونزع الاوتاد وأطعمه وأسقاه وبشره وعزاه فلما أصبح أخرجه من السجن فقال له الحق بعدوك فجاهده فاني قد ابتليتك به سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات في كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كانت القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعر الملك الا وقد وقف جرجيس على رأسه يدعوه الى الله فقال له أجرجيس قال نعم قال من أخرجك من السجن قال أخرجني من سلطانه فوق سلطانك فلما غيظا ودعا باصناف العذاب ومدوه بين خشبتين ووضعوا على رأسه سيفا ثم أشروه حتى سقط بين رجليه وصار جزلتين ثم قطعوه قطعا وكان له سبعة أسد ضارية في جب فالقوا جسده اليها فلما رأته خضعت برؤسها وقامت على براثنها لا تألوا أن تقيه الأذى الذي تحتها فظلت يومها تحته ميتا وكان أول ميتة ذاقها فلما أدركه الليل جمع الله جسده وسواه ورد فيه روحه وأخرجه من قعر الجب فلما أصبحوا أقبل جرجيس وهم في عيد لهم صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما نظروا اليه مقبلا قالوا ما أشبه هذا بجرجيس قال الملك هو هو قال جرجيس أنا هو حقا بئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فرد الله روحي الي هلموا الى عذاب هذا الرب العظيم الذي أراكم قدرته فقالوا ساحر سحر أعينكم وأيديكم عنه فجمعوا من بلادهم من السحرة فلما جاؤا قال الملك لكبيرهم اعرض علي من سحرك ما يسري به عني فدعا بثور فنفخ في أذنيه فاذا هو ثوران ودعا ببذر فبذره فحرث وزرع وحصد

وهي بالغتهم العبادة والزاهدة والخادمة وكانت مريم أجمل النساء وأفضلهن في وقتها ثم قالت أم مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وعن قتادة رضي الله عنه كل آدمي يخلق فان الشيطان يطعنه في جنبه حين يولد الا عيسى وأمه مريم جعل الله بينهما وبين الشيطان حجابا فطعنهما ابليس فأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما شيء ببركة دعائها فلما ولدت مريم أخذتها امها ولفتها في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار أبناء هرون فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بخدمتها منكم وعندي خالتها فقال له الاحبار لو تركت في الناس لكانت أمها أحق بها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر الاردن فألقوا أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء فوقف قلم زكريا وارتفع فوق الماء وانحدرت بقية الاقلام ورسبت في الماء فعند ذلك كفلها زكريا أي ضمها الى خالتها وأقام بأمرها وتكلمت وهي صغيرة وقال الحسن لم ترضع ثديا قط وكان رزقها يأتيها من الجنة فلما بلغت بني لها غرفة في المسجد لا يرقى اليها الا بسلم وكان لا يصعد اليها غيره وكان زكريا اذا خرج غلق الباب عليها فاذا رجع وجد عندها رزقا أي فاكهة في غير وقتها فيقول لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب وذهب بعضهم الى انها نبية واحتجوا بقوله تعالى واذ كرفي

المدينة حبس الله عنهم المطر فقال اهلها الرسل انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة وقيل لنقتلنكم وليمسنكم منا عذاب اليم فلما حضر حبيب وكان مؤمنا يكتم ايمانه وكان يجمع كسبته كل يوم وينفق على عياله نصفه ويتصدق بنصفه فقال ياقوم اتبعوا المرسلين فقال قومه وانت مخالف لربنا ومؤمن باله هؤلاء فقال ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون فلما قال ذلك قتلوه فاوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وأرسل الله عليهم صيحة فماتوا

(ومما كان من الاحداث شمسون)

وكان من قرية من قرى الروم قد آمن وكانوا يعبدون الاصنام وكان على اميال من المدينة وكان يغزوهم وحده ويقاتلهم بلحى جمل فكان اذا عطش انفجر له من الحجر الذى فيه ماء عذب فيشرب منه وكان قد أعطى قوة لا يوثقه حديد ولا غيره وكان على ذلك يجاهدهم ويصيب منهم ولا يقدرون منه على شئ فجعلوا لامرأته جعلا لتوثقه لهم فأجابتهم الى ذلك فاعطوها حبلا وثيقا فتركته حتى نام وشدت يديه فاستيقظ وجذبه فسقط الحبل من يديه فارسلت اليهم فاعلمتهم فارسلوا اليها بجامعة من حديد فتركتها فى يديه وعنقه وهو نائم فاستيقظ وجذبها فسقطت من عنقه ويديه فقال لها انك فى المرتين ما حملك على ما صنعت فقالت اريد أن اجرب قوتك وما رايت مثلك فى الدنيا فهل فى الارض شئ يغلبك قال نعم شئ واحد فلم تزل تساله عنه حتى قال لها ويحك لا يضبطنى الاشعرى فلما نام اوثقت يديه بشعر رأسه وكان كثيرا فارسلت اليهم فجاؤا فاخذوه فجدعوا انفه واذنيه وفقؤا عينيه واقاموه للناس وجاء الملك لينظر اليه وكانت المدينة على اساطين فدعا الله شمسون عليهم فامر ان يأخذ عودين من عمد المدينة فيجذبهما ويرد اليه بصره وما اصابوا من جسده وجذب العودين فوقعت المدينة بالملك والناس وهلك من فيها هدما وكان شمسون ايام ملوك الطوائف

(ومما كان من الاحداث ايضا جرجيس)

قيل كان بالموصل ملك يقال له داذانه وكان جبارا عاتيا وكان جرجيس رجلا صالحا من اهل فلسطين يكتم ايمانه مع أصحاب له صالحين وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فأخذوا عنهم وكان جرجيس كثير التجارة عظيم الصدقة وربما نفد ماله فى الصدقة ثم يعود يكتسب مثله ولولا الصدقة لكان الفقر أحب اليه من الغنى وكان يخاف بالشام ان يفتتن عن دينه فقصد الموصل ومعه هدية الملك لئلا يجعل لاحد عليه سبيلا فجاءه وحين قد جاء أحضر عظماء قومه وأوقد نارا واعد اصنافا من العذاب وأمر بصنم له يقال له افلون فنصب فمن لم يسجد له عذبه وألقى فى النار فلما رأى جرجيس ما يصنع استعظمه وحدث نفسه بجهاده فعمد الى المال الذى معه فقسمه فى أهل ملته وأقبل عليه وهو شديد الغضب فقال له اعلم أنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك شيأ وان فوقك ربا هو الذى خلقك ورزقك فاخذ فى ذكر عظمة الله تعالى وعيب صنمه فاجابه الملك بان يسأله من هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن أمته من التراب خلقت واليه أعود

وهو من نسل هرون وهو الذى تولى رياسة بنى اسرائيل ببيت المقدس بعد عزير *(الفصل الرابع والثلاثون فى ذكر زكريا عليه السلام)* وهو زكريا ابن برخيا من ولد داود عليه السلام وقيل من ولد سليمان عليه السلام وكان نجارا وفى بغية الغواص كان يعمل بالطين قال محمد بن اسحق لما رجعت بنو اسرائيل من ارض بابل الى بيت المقدس بعد ان استأسرهم بختنصر تغيرت امورهم وكانوا يحدثون الاحداث فبعث الله تعالى زكريا عليه السلام فنهاهم عن المعصية ووضع لهم الحدود وهو الذى كان يقرب القربان ويفتح باب المسجد فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول وكان زكريا وعمران متزوجين باختين وهو عمران بن ماثان ابو مريم وليس بعمران أبى موسى لان بينهما ألفا وثمانمائة سنة

(فى ذكر قصة مريم عليها السلام)

ولما حملت حنة زوجة عمران بمريم دعت ربها قالت رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم الآية فكان من دأبهم اذا نذر أحدهم ولدا يجعله فى الكنيسة يخدمها ولا يرجع الى أهله حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ فله الخيار ان اختار الاقامة أقام وان شاء رجع الى أهله ولم يكن ينذر الا الغلمان فمات عمران وزوجته حامل بمريم فلما وضعتها اذا هى أنثى قالت اعتذارا الى الله تعالى رب انى وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى فى خدمة الكنيسة لعورتها وما يعتريها من الحيض والحيض وسمتها مريم

فدعاه

طعام ولا شراب فلما جاع قال للعجوز هل عندك طعام أو شراب قالت لا والذي يحلف به ما لنا عهد بالطعام من كذا وكذا وسأخرج فالتمس لك شيئا فقال لها هل تعبدين الله قالت لا فدعاها فآمنت وانطلقت تطلب له شيأ وفي بيتها دعامة خشبة يابسة تحمل خشب البيت فدعا الله فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت كل فاكهة تؤكل وتعرف فظهر للدعامة فروع من فوق البيت تظله وما حوله وعادت العجوز وهو يأكل رغدا فلما رأت الذي في بيتها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم ان يشفي ابني قال أدنيه مني فأدنته فبصق في عينيه فأبصر ونفث في أذنيه فسمع قالت له اطلق لسانه ورجليه قال لها أخريه فان له يوما عظيما ورأى الملك الشجرة فقال أرى شجرة ما كنت أعهدها قالوا تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت ان تعذبه بالجوع وقد شبع منها وأشبعت العجوز وشفي لها ابنها فأمر بالبيت فهدم وبالشجرة ان تقطع فلما هموا بقطعها ايبسها الله وتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأمر بعجل فأوقروا سطوانا وجعل في أسفل العجل خناجر وشفارا ثم دعا بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع ثم أمر بقطعه فأحرقت حتى صارت رمادا وبعث بالرماد مع رجال فذروه في البحر فلم يبرحوا حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر ان الله يأمرك ان تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده فأرسل الرياح فجمعته كما كان قبل أن يذروه والذين ذروه قيام لم يبرحوا وخرج جرجيس سالما فرجعوا ورجع معهم وأخبروا خبر الصوت والرياح فقال له الملك هل لك فيما هو خير لي ولك ولولا أن يقال انك غلبتني لآمنت بك ولكن اسجد لصنمي سجدة واحدة أو اذبح له شاة واحدة وأنا أفعل ما يسرك فطمع جرجيس في اهلاك الصنم حين يراه وايمان الملك عند ذلك فقال له افعل فخدعه فسجد وادخلني على صنمك اسجد له واذبح ففرح الملك بذلك وقبل يديه ورجليه وطلب منه أن يكون يومه وليلته عنده ففعل فأخلى له الملك بيتا ودخله جرجيس فلما جاء الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان حسن الصوت فلما سمعته امرأة الملك استجابت له وآمنت به وكتمت ايمانها فلما أصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها وقيل للعجوز ان جرجيس قد افتتن وطمع في الملك بعد الملك فخرجت تحمل ابنها على عاتقها في اعراضها توبخ جرجيس فلما دخل بيت الاصنام نظر فاذا العجوز وابنها أقرب الناس اليه فدعا ابنها فأجابه وما تكلم قبل ذلك قط ثم نزل عن عاتق أمه يمشي على قدميه سويين وما وطئ الارض قط فلما وقف بين يدي جرجيس قال له ادع لي هذه الاصنام وهي على منابر من ذهب واحد وسبعون صنما وهم يعبدون الشمس والقمر معها فدعاها فأقبلت تتدحرج اليه فلما انتهت اليه ركض برجله الارض فخسف بها وبمنابرها فقال له الملك يا جرجيس خدعتني وأهلكت أصنامي فقال له فعلت ذلك عمدا لتعتبر وتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت مني فلما قال هذا قالت امرأة الملك وأظهرت اسلامها وعددت عليهم افعال جرجيس وقالت ما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فتهلكون كما هلكت أصنامكم فقال الملك ما أسرع ما أضلك هذا الساحر ثم أمر بها فعلقت على خشبة ثم مشط لحمها بأمشاط الحديد فلما آلمها العذاب قالت

الزلة في ملكوت السموات والارض فنزل جبريل عليه السلام من ساعته وقال يا زكريا ان الله تعالى يقول لو قلت مرة اخرى آه لمحوت اسمك من ديوان الانبياء عليهم السلام فعض زكريا شفته حتى شق نصفين وروي عن يحيى بن معاذ الرازي انه ناجى في ليلة فقال الهي ان طلبتك اتعبتني وان هربت منك احرقتني وان اسمعتك قتلتني فلا منك قرار ولا معك قرار وكان قتل زكريا بعد ولادة المسيح وعمره مائة سنة ودفن في مغارة الارواح تحت قبة الصخرة ببيت المقدس

(الفصل الخامس والثلاثون في ذكر يحيى بن زكريا عليهما السلام)

كان حسن الوجه والصوت لين الجناح قصير الاصابع طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت وكان قويا في طاعة الله تعالى نبئ وهو صغير ولما ولد رفع الى السماء وغسل بأنهار الجنة وطعم بثمارها ثم انزل فكان يضيء البيت لنور وجهه وروي انه لما نظر الى الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف وهم يجتهدون في العبادة فقال يا اماه انسجي لي مدرعة حتى اعبد الله مع الاحبار والرهبان فنسجت له فتدرع وأقبل يعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان حتى اكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر يوما الى ما نحل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى اتبكي على ما نحل من جسمك وعزتي وجلالي لو اطلعت على النار لتدرعت بالحديد فضلا عن المسوح قال فبكى حتى اكلت الدموع لحم خديه وكان يضع قدميه في الماء من العطش ولم

الكتاب منهم قال الله تعالى ذكرها في عدد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأرسل اليها جبريل عليه السلام

ودق وذرى وطحن وخبزوا كل في ساعته فقال له الملك هل تقدر أن تمسخه كلبا قال ادع لي بقدح من ماء فاتي به فنفث فيه الساحر ثم قال لجرجيس اشربه فشربه جرجيس حتى أتى على آخره فقال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت عطشان فلطف الله بي فسقاني وأقبل الساحر على الملك وقال لو كنت تقاسي جبارا مثلك لغلبته انما تقاسي جبار السماء والارض وكانت أتت جرجيس امرأة من الشام وهو في أشد العذاب فقالت له انه لم يكن لي مال الا ثور أعيش به من حرثه فمات وجئتك لترحمني وتسأل الله ان يحيي ثوري فاعطاها عصا وقال اذهبي الى ثورك فاضربيه بهذه العصا وقولي له احي باذن الله فاخذت العصا وأتت مصرع الثور فرأت روقيه وشعر ذنبه فجمعتها ثم قرعتها بالعصا وقالت ما امرها به جرجيس فعاش ثورها وجاء الخبر بذلك فلما قال الساحر ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم بعد الملك اسمعوا مني قالوا نعم قال انكم قد وضعتم أمره على السحر وانه لم يعذب ولم يقتل فهل رأيتم ساحرا قط قدر على أن يدفع عن نفسه الموت أو أحيا ميتا وذكر الثور واحياءه فقالوا له ان كلامك كلام رجل قد أصغى اليه فقال قد آمنت به وأشهد الله اني بريء مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقطعوا لسانه بالخناجر فلم يلبث ان مات وقيل اصابه الطاعون فاعجله قبل ان يتكلم وكتموا شأنه فكشفه جرجيس للناس فاتبعه اربعة آلاف وهو ميت فقتلهم الملك بانواع العذاب حتى أفناهم وقال له رجل من عظماء اصحاب الملك يا جرجيس انك زعمت ان الهك بدأ الخلق ثم يعيده واني سائلك امرا ان فعله الهك آمنت به وصدقتك وكفيتك قومي هذه تحتنا اربعة عشر منبرا ومائدة واقداح وصحاف من خشب يابس وهو من اشجار شتى فادع ربك ان يعيدها خضرا كما بدأها يعرف كل عود بلونه وورقه وزهره وثمره قال جرجيس قد سألت امرا عزيزا علي وعليك وانه على الله يسير ودعا الله فما برحوا حتى اخضرت وساخت عروقها وتشعبت ونبت ورقها وزهرها حتى عرفوا كل عود باسمه فقال الذي سأله هذا انا اتولى عذابه فعمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور مجوف ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا وادخل جرجيس في وسطها ثم اوقد تحت الصورة النار حتى التهبت وذاب كل شيء فيها واختلط ومات جرجيس في جوفها فلما مات ارسل الله ريحا عاصفا ورعدا وبرقا وسحابا مظلما واظلم ما بين السماء والارض وبقوا اياما متحيرين فارسل الله ميكائيل فاحتمل تلك الصورة فلما اقلها ضرب بها الارض ففزع من روعتها كل من سمعها وانكسرت وخرج منها جرجيس حيا فلما وقف وكلمهم انكشفت الظلمة واسفر ما بين السماء والارض قال له عظيم من عظمائهم ادع الله بان يحيي موتانا من هذه القبور فامر جرجيس بالقبور فنبشت وهي عظام رفات ثم دعا فما برحوا حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية وفيهم شيخ كبير فقال له جرجيس متى مت فقال في زمان كذا وكذا فاذا هو اربعمائة عام فلما رأى ذلك الملك قال لم يبق من عذابكم شيء الا وقد عذبتموه واصابه الا الجوع والعطش فعذبوه به فعمدوا الى بيت عجوز فقيرة وكان لها ابن اعمى ابكم مقعد مقصر وفيه فلا يصل اليه

كما قال تعالى فارسلنا اليها روحنا وهذا دليل على انها نبية لكن يخالف نص الكتاب وهو قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم ويؤيده قول علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه لو كانت الخلافة تصلح لامرأة لكانت عائشة تستحق الخلافة ولان النبوة والرسالة توجب الاشتهار بالدعوة واظهار المعجزة ولزوم الاقتداء والانوثة توجب الستر وبينهما تناف ولانها ناقصة العقل والدين والنبي يجب ان يكون أعقل أهل زمانه في أمر الدين وتدبير اعلاء كلمته قال كعب الاحبار ولما سمع زكريا عليه السلام أن ابنه يحيى قد قتل انطلق هاربا حتى سلك في واد كثير الاشجار عند بيت المقدس فأرسل الملك في طلبه فمر زكريا عليه السلام بشجرة فنادته هلم الي يا نبي الله فلما أتاها انشقت فدخلها وانطبقت عليه وبقي في وسطها فأتى عدو الله ابليس فأخذ هدب ردائه منها فاخرجه من الشجرة فمر به بنو اسرائيل وقالوا له يا راعي هل رأيت رجلا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له ودخل فيها وهذا طرف ردائه فنشروا الشجرة وفلقوها به فلقتين طولا فلما بلغ المنشار الى رأسه اراد ان يئن فأوحى الله تعالى اليه اما ان تكف عن انينك والا اسقطت

اسمك من ديوان الانبياء وصبر حتى نشر نصفين وفي السبعيات لما بلغ المنشار رأسه صاح وقال آه فوقعت

طعام

(الطبقة الثالثة الاشغانية)

وهم الذين استولوا على العراق والجبال وكان سائر ملوك الطوائف يعظمونهم فاوّل ملوك الاشغانيين أيام ملوك الطوائف اشك ملك اثنتين وخمسين سنة ثم ملك ابنه شابور بن اشك أربعا وعشرين سنة ثم ملك ابنه جوذرز بن شابور وهو الذى غزا بنى اسرائيل بعد قتل يحيى بن زكريا خمسين سنة ثم ملك ابن اخيه ويجن بن بلاش احدى وعشرين سنة ثم ملك جوذرز بن ويجن تسع عشرة سنة ثم ملك أخوه نرسه ثلاثين سنة ثم ملك عمه هرمزان بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة ثم ملك ابنه فيروز بن هرمزان اثنتى عشرة سنة ثم ملك ابنه خسرو أربعين سنة ثم ملك أخوه بلاش بن فيروز أربعا وعشرين سنة ثم ملك ابنه اردوان ابن بلاش خمسا وخمسين سنة وقد ذكر بعضهم انه ملك بعد هرمزان بن بلاش اردوان الاكبر اثنتى عشرة سنة وقيل فى عدد ملوك الطوائف غير ذلك والفرس تعترف باضطراب التاريخ عليهم فى أيام ملوك الطوائف وملك بيوراسف وملك افراسياب التركى لانهم زال الملك عنهم ولم يمكن ضبطه

(الطبقة الرابعة الساسانية)

فاوّلهم اردشير بن بابك

(ذكر اخبار اردشير بن بابك وملوك الفرس)

قيل لما مضى من لدن ملك الاسكندر أرض بابل فى قول النصارى وأهل الكتاب الاوّل خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة وفى قول المجوس مائتان وست وستون وثب اردشير ابن بابك بن ساسان الاصغر بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن اسفنديار بن بشتاسب وقيل فى نسبه غير ذلك يريد الاخذ بثأر الملك دارا بن دارا ورد الملك الى أهله والى ما لم يزل عليه أيام سلفه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف وجمعه لرئيس واحد وذكر ان مولده كان بقرية من قرى اصطخر يقال لها طيرووه من رستاق اصطخر وكان جده ساسان شجاعا مغرى بالصيد وتزوج امرأة من نسل ملوك فارس يعرفون بالبادرنجيين وكان قيما على بيت نار باصطخر يقال له بيت نار هيد فولدت له بابك فلما كبر قام بأمر الناس بعد أبيه ثم ولد له ابنه اردشير وكان ملك اصطخر يومئذ رجلا من البادرنجيين يقال له جوزهر وكان له خصى اسمه تيرى قد صيره ارجبذا بدارابجرد فلما أتى لاردشير سبع سنين قدمه أبوه الى جوزهر وسأله ان يضمه الى تيرى ليكون ربيبا له وارجبذا بعده فى موضعه فأجابه وأرسله الى تيرى فقبله وتبناه فلما هلك تيرى تقلد اردشير الامر وحسن قيامه به وأعلمه قوم من المنجمين صلاح مولده وانه يملك فازداد فى الخير ورأى فى منامه ملكا جالسا عند رأسه فقال له ان الله يملكك البلاد فقويت نفسه قوة لم يعهدها وكان أوّل ما فعل انه سار الى موضع من دارابجرد يسمى خوبابان فقتل ملكها واسمه فاسين ثم سار الى موضع يقال له كوسن فقتل ملكها واسمه منوجهر ثم الى موضع يقال له لروين فقتل ملكها واسمه دارا وجعل فى هذه المواضع قوما من قبله وكتب الى أبيه بما كان منه وأمره بالوثوب بجوزهر وهو بالبيضاء ففعل ذلك وقتل جوزهر وأخذ

راودها عن نفسها فأبى عليه حتى يعطيها ما تسأله فان اعطاها سؤلها أطلب أن يؤتى برأس يحيى عليه السلام فى طست فلما راودها طلبت منه ذلك فقال الملك ويحك سألتنى امرا اعطيها فاطلبى غير هذا فقالت له لا اسألك غيره فبعث الى يحيى عليه السلام وهو قائم يصلى فى محراب داود عليه السلام فضرب عنقه فاتى برأسه والراس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فحفر له فى بيته حفيرة عميقة ودفن الراس فيها فغلى الدم حتى امتلأ البيت ثم خرج الى ساحة الدار الى الازقة فلما اصبح امر بتراب فالقى عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك كله يغلى ويفور نخسف الله تعالى بالملك وبالبنت وامها وبوابهم عقوبة لهم وفى الخبر ان الشمس بكت على يحيى عليه السلام اربعين صباحا وكان بكاؤها ان طلعت وغربت كانت حمراء ولم ير فيها قبل ويروى ان يحيى عليه السلام سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة ولما قتل يحيى قالت الملائكة الهنا وسيدنا باى ذنب قتل يحيى ولا هم بذنب قط فقال الله تعالى ما اذنب يحيى ولا هم بذنب قط ولكنه احبنى وانا افعل بمن يحبنى هكذا عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا ويلقى الله تعالى وقد هم بخطيئة أو عملها الا يحيى عليه السلام فانه لم يهم بها ولم يعملها فلما قتل يحيى عليه السلام وخسف بالملك وبوابه بعث الله ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش لينتقم منهم فسار الى بيت المقدس فاستباح المدينة

بجرجيس ادع الله أن يخفف عني الالم فقال انظري فوقك فنظرت فضحكت فقال لها الملك مايضحكك قالت أرى على رأسي ملكين معهما تاج من حلي الجنة ينتظرون خروج روحي ليزيناني به ويصعدان بها الى الجنة فلما ماتت أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم اكرمتني بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء وهذا آخر أيامي فاسألك أن تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك وعقوبتك مالا قبل لهم به فأمطر الله عليهم النار فاحرقتهم فلما احترقوا بحرها عمدوا اليه فضربوه بالسيوف فقتلوه وهي القتلة الرابعة فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها ارتفعت من الارض وجعل عاليها سافلها فلبثت زمانا يخرج من تحتها دخان منتن وكان جميع من آمن به وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك

(ذكر خالد بن سنان العبسي)

وممن كان في الفترة خالد بن سنان العبسي قيل كان نبيا وكان من معجزاته ان نارا ظهرت بارض العرب فافتتنوا بها وكادوا يتمجسون فأخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسطها ففرقها وهو يقول بدا بدا كل هاد مؤد الى الله الاعلى لادخلنها وهي تلظى ولاخرجن منها وثيابي تندى ثم انها طفئت وهو في وسطها فلما حضرته الوفاة قال لاهله اذا دفنت فانه ستجيء عانة من حمير يقدمها عير أبتر فيضرب قبري بحافره فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فاني ساخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات ودفنوه رأوا ما قال فارادوا نبشه فكره ذلك بعضهم قالوا نخاف ان نبشناه أن تسبنا العرب بانا نبشنا ميتا لنا فتركوه فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذلك نبي ضيعه قومه وأتت ابنته النبي صلى الله عليه وسلم فآمنت به كذا قيل انه آخر الحوادث أيام ملوك الطوائف ولا وجه له فان من أدركت ابنته النبي صلى الله عليه وسلم يكون بعد اجتماع الملك لاردشير بن بابك بدهر طويل ونرجع الى اخبار ملوك الفرس لسياق التاريخ ونقدم قبل ذكرهم عدد الملوك الاشغانية من ملوك الطوائف وطبقات ملوك الفرس ان شاء الله تعالى

(ذكر طبقات ملوك الفرس)

الطبقة الاولى الفيشدادية ملوك الارض بعد جيومرث أوشهنج وملك فيشداذا أربعين سنة ومعنى فيشداذا أول حاكم ملك بعده طهمورث بن نوجهان ثلاثين سنة ثم ملك أخوه جمشيد سبعمائة وست عشرة سنة ثم ملك بيوراسف بن ارونداسف ألف سنة ثم ملك افريدون بن اثفيان خمسمائة سنة ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ثم ملك افراسياب التركي اثنتي عشرة سنة ثم ملك زو بن تهماسف ثلاث سنين ثم ملك كرشاسب تسع سنين

(الطبقة الثانية الكيانية)

ثم ملك كيقباذ مائة وستا وعشرين سنة ثم ملك كيكاوس مائة وخمسين سنة ثم ملك كيخسرو ثمانين سنة ثم ملك كيلهراسب مائة وعشرين سنة ثم ملك كي بشتاسب مائة وعشرين سنة ثم ملك كي بهمن مائة واثنتي عشرة سنة ثم ملك خماني جهرازاد ثلاثين سنة ثم ملك اخوها دارا بن بهمن اثنتي عشرة سنة ثم ملك ابنه دارا بن دارا أربع عشرة سنة وهو الذي أخذ الاسكندر الملك منه وكان ملك الاسكندر بعده أربع عشرة سنة

يشرب لانه قال وعزتك لا أذوق بارد الشراب حتى اعلم اين مصيري الى الجنة ام الى النار فبكى ابواه وسالاه ان يأكل قرصا من شعير كان معهما ويشرب من الماء ففعل وكفر عن يمينه فقال له ابوه يابني ما يدعوك الى هذا البكاء وانما سالت الله عز وجل ان يقرعيني بك فقال له انت امرتني بذلك قال متى امرتك فقال الست القائل ان بين الجنة والنار عقبة لا يقطعها الا البكاؤن من خشية الله فقال بلى فاتخذت امه قطعتين من لبد لتغطي بهما ما اكل الدموع من خدوده فلما وضعتهما بكى حتى استنقعا ثم اخذتهما فعصرتهما وكانت دموعه تجري على ذراع امها وضعت اللبد فنظر زكريا الى دموع يحيى فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان هذا ابنك وهذه دموع عينيه وانت ارحم الراحمين وذكر الاقفهسي في كتابه كشف الاسرار سئل يحيى عليه السلام لم لا تتزوج ولا تشتري حمارا ولا دارا فقال لا أريد ان يقال لي سيد الدار ولا سيد الحمار ولا سيد فلانة ولا اريد اسم السيادة فلما ترك السيادة وتواضع سماه الله سيدا وحصورا لانه لا ياتي النساء مع القدرة وكان لبني اسرائيل ملك يسمى اجب يكرم يحيى عليه السلام غاية الاكرام ولا يفعل شيأ بغير امره وقد هوي بنت امرأته فشاور يحيى عليه السلام فنهاه عن ذلك فبلغ ذلك ام البنت وكانت كافرة قتالة للانبياء فحقدت على يحيى عليه السلام فعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبست بنتها من انواع الحلي وزينتها وطيبتها وارسلتها الى الملك لتسقيه الخمر فاذا

*(الطبقة

ثم الى جرجان ثم الى نيسابور ومرو وبلخ وخوارزم وعاد الى فارس ونزل جور وجاءه رسل ملك كوسان وملك طوران وملك مكران بالطاعة ثم سار من جور الى البحرين فاضطر ملكها الى ان رمى نفسه من حصنه فهلك وعاد الى المدائن فتوج ابنه سابور بتاجه في حياته وبنى ثمان مدن منها مدينة الخط بالبحرين ومدينة بهرسير مقابل المدائن وكان اسمه به آردشير فعربت بهرسير واردشير خرة وهي مدينة فيروزاباذ سماها عضد الدولة بن بويه كذلك وبنى بكرمان مدينة اردشير أيضا فعربت بردشير وبنى بهمن اردشير على دجلة عند البصرة والبصريون يسمونها بهمن شير وفرات ميسان أيضا وبنى رامهرمز بخوزستان وبنى سوق الاهواز وبالموصل بوداردشير وهي حزة ولم يزل محمود السيرة مظفرا منصورا لا ترد له راية ومدن المدن وكور الكور ورتب المراتب وعمر البلاد وكان ملكه من قتله اردوان الى ان هلك أربع عشرة سنة وقيل أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ولما استولى اردشير على العراق كره كثير من تنوخ المقام في مملكته فخرج من كان منهم من قضاعة الى الشام ودان له أهل الحيرة والانبار وقد كانت الحيرة والانبار بنيتا زمن بختنصر فخربت الحيرة لتحول أهلها الى الانبار وعمرت الانبار خمسمائة سنة وخمسين سنة الى ان عمرت الحيرة زمن عمرو بن عدي فعمرت خمسمائة وبضعا وثلاثين سنة الى ان وضعت الكوفة ونزلها أهل الاسلام

(ذكر ملك سابور بن اردشير بن بابك)

ولما هلك اردشير بن بابك قام بالملك بعده ابنه سابور وكان اردشير قد أسرف في قتل الاشكانية حتى أفناهم بسبب ألية التي آلاها جده ساسان بن اردشير بن بهمن فانه أقسم انه ان ملك يوما من الدهر لم يستبق من نسل اشك بن حرة أحدا وأوجب ذلك على عقبه فكان أول من ملك من عقبه اردشير فقتلهم جميعا نساءهم ورجالهم غير ان جارية وجدها في دار المملكة فاعجبته وكانت ابنة للملك المقتول فسألها عن نسبها فذكرت انها خادم لبعض نساء الملك فسألها أبكر أم ثيب فاخبرته انها بكر فاتخذها لنفسه وواقعها فاشتملت منه فلما أمنت منه بحبلها أخبرته انها من ولد اشك فنفر منها ودعا هرجبذ بن سام وكان شيخا مسنا فاخبره انها قال له لتقتلها لم يبر قسم جده فأخذها الشيخ ليقتلها فاخبرته انها حبلى فأتى بالقوابل فشهدن بحبلها فاودعها سربا من الارض ثم قطع مذاكيره ووضعها في حق وختم عليه وحضر عند الملك فقال ما فعلت فقال استودعتها بطن الارض ودفع الحق اليه وسأله ان يختمه بخاتمه ويودعه بعض خزائنه ففعل ثم وضعت الجارية غلاما فكره الشيخ ان يسمى ابن الملك دونه وخاف أن يعلمه به وهو صغير فاخذ له الطالع وسماه شاهبور ومعناه ابن الملك فيكون اسما وصفة وهو أول من يسمى بهذا الاسم وبقي اردشير لا يولد له فدخل عليه الشيخ الذي عنده الصبي يوما فوجده محزونا فقال له ما يحزن الملك فقال ضربت بسيفي ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت وصفا لي ملك آبائي ثم هلكت وليس لي عقب فيه فقال له الشيخ سرك الله أيها الملك وعمرك لك عندي ولد طيب نفيس فادع لي بالحق الذي استودعتك أراك برهان ذلك فدعا اردشير

عنهم الى بابل وقد افنى بني اسرائيل فلم تقم لهم بعد ذلك راية وضربت عليهم الذلة والاحتقار قال صاحب كتاب الانس بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما قال اوحى الله تعالى الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا واني قاتل بابن بنتك سبعين ألفا وبقي بيت المقدس خرابا يسكنه بعض اناس من الروم الى أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فلما فتحه على يد ابي عبيدة عمره المسلمون بأمره قال في اتحاف الاخصاء نقلا عن زيد بن واقد انه قال وكلني الوليد بن عبد الملك بن مروان في بناء جامع دمشق فوجدت فيه مغارة فعرفت الوليد بذلك فلما كان الليل جاءنا والشموع بين يديه فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في ثلاثة فوجد فيها صندوقا ففتحه فاذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام مكتوب على السفط هذا رأس يحيى بن زكريا عليه السلام وكانت البشرة على رأسه لم تتغير فرده الى مكانه وأمر بان يجعلوا العمودين الذين فوقه مغايرين للاعمدة كي يعرف فجعلا على سقط الرأس وبنى عليه قبرا يزار ويتبرك به وجسده مدفون ببيت المقدس وقيل بمدينة فلسطين

(الفصل السادس والثلاثون في ذكر عيسى عليه السلام)

كان زكريا امر يحيى ان يسل الى المياش

٢٥ ل ل سريوع القامة سبط الرأس غير الجسد افرق الشعر وكان عيسى سائحا لم يتخذ بيتا ولا حرفة ولا سائمة ولا متاعا

تاجه وكتب الى اردوان ملك الجبال وما يتصل بها يتضرع اليه ويسأله في تتويج ابنه سابور بتاج بوزهر فنهاه من ذلك وهدده فلم يحفل بابك بذلك وهلك في ثلاثة أيام فتوج سابور بن بابك بالتاج وملك مكان أبيه وكتب الى اردشير يستدعيه فامتنع فغضب سابور وجمع جموعا وسار بهم نحوه ليحاربه وخرج من اصطخر وبها عدة من أصحابه واخوانه وأقاربه وفيهم من هو أكبر سنا منه فأخذوا التاج والسرير وساروا الى اردشير فتتوج وافتتح أمره بجد وقوة وجعل له وزيرا ورتب موبذا موبذان وأحس من اخوته وقوم كانوا معه بالفتك به فقتل جماعة كثيرة منهم وعصى عليه أهل دارابجرد فعاد اليهم فافتتحها وقتل جماعة من أهلها ثم سار الى كرمان وبها ملك يقال له بلاش فاقتتلا قتالا شديدا وقاتل اردشير بنفسه وأسر بلاش فاستولى على المدينة وجعل فيها ابنا له اسمه اردشير أيضا وكان في سواحل بحر فارس ملك اسمه اسبون يعظم فسار اليه اردشير فقتله وقتل من معه واستخرج له أموالا عظيمة وكتب الى جماعة من الملوك منهم مهرك صاحب ابرساس من اردشير خرة يدعوهم الى الطاعة فلم يفعلوا فسار اليهم فقتل مهرك ثم سار الى جور فأسسها وبنى الجوسق المعروف بالطوبال وبيت نار هناك فبينما هو كذلك اذ ورد عليه رسول اردوان بكتاب فجمع الناس فقرأه عليهم فاذا فيه انك عدوت قدرك واجتلبت حتفك أيها الكردي من أذن لك في التاج والبلاد ومن أمرك ببناء المدينة وأعلمه انه قد وجه اليه ملك الاهواز ليأتيه به في وثاق فكتب اليه ان الله حباني بالتاج وملكني البلاد وأنا أرجو ان يمكنني منك فأبعث برأسك الى بيت النار الذي أسسته وسار اردشير نحو اصطخر وخلف وزيره ابرسام باردشير خره فلم يلبث الا قليلا حتى ورد عليه كتاب برسام بموافاة ملك الاهواز وعوده منكوبا ثم سار الى اصبهان فملكها وقيل ملكها وعاد الى فارس وتوجه الى محاربة نيروفر صاحب الاهواز وسار الى ارجان والى ميسان وطاسار ثم الى سرق فوقف على شاطئ دجيل فظفر بالمدينة وابتنى مدينة سوق الاهواز وعاد الى فارس بالغنائم ثم عاد من فارس الى الاهواز على طريق خرة وكازرون وقتل ملك ميسان وبنى هنالك كرخ ميسان وعاد الى فارس فأرسل الى اردوان يؤذنه بالحرب ويقول له ليعين موضعا للقتال فكتب اليه اردوان اني أوافيك في صحراء هرمزجان لانسلاخ مهرماه فوافاه اردشير قبل الوقت وخندق على نفسه واحتوى على الماء ووافاه اردوان وملك الارمانيين وكانا يتحاربان على الملك فاصطلحا على اردشير وحارباه وهما متساندان يقاتله هذا يوما وهذا يوما فاذا كان يوم بابا ملك الارمانيين لم يقم له اردشير واذا كان يوم اردوان لم يقم لاردشير فصالح اردشير بابا ملك الارمانيين على أن يكف عنه ويفرغ اردشير لاردوان فلم يلبث ان قتله واستولى على ما كان له وأطاعه بابا وسمي اردشير شاهنشاه ثم سار الى همذان فافتتحها والى الجبل وأذربيجان وارمينية والموصل فافتتحها عنوة وسار الى السواد من الموصل فملكه وبنى على شاطئ دجلة قبالة طيسفون وهي المدينة التي في شرق المدائن مدينة غربية وسماها به اردشير وعاد من السواد الى اصطخر وسار منها الى سجستان

فغلقوا دونه ابواب المدينة وتحصنوا واشتد عليهم المقام فخرجت اليه عجوز من عجائز بني اسرائيل فقالت ايها الملك ان كنت تبغي دخول هذه المدينة فاقسم جندك اذا أصبحت اربعة اقسام حول سور المدينة في كل ناحية قسم ثم ارفعوا اصواتكم فنادوا اللهم انا نستفتحك هذه المدينة بدم يحيى بن زكريا فانه سوف يتساقط سور المدينة فلما اصبحوا فعلوا مثل ما قالت العجوز فتساقط سور المدينة ودخلوا من حيث شاؤا وانطلقت العجوز بهم الى دم يحيى عليه السلام واتتهم اياه وهو يغلي ويفور فلما رآه الملك قال اني حلفت بالله الا آلهة اذا ظهرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم من المدينة الى مكان نزول العسكر فعند ذلك امر رجلا من رؤساء جنده يدعى بزوزادان يذبح حتى يسيل الدم الى وسط العسكر فخرج الملك الى منزله وامر بزوزادان رسوله ان يغلقوا ابواب المدينة فذبح سبعين ألف رجل ثم قام فوقف عند راس يحيى عليه السلام وقال يا يحيى قد علم ربي وربك ما ذبحت من أجلك فاهدأ باذن الله والا ما أبقيت من قومك أحدا فهدأ الدم بقدرة الله تعالى فرفع عنهم القتل وجمع الباقي من بني اسرائيل وقال لهم ان الملك امرني ان اذبح منكم حتى تسيل دماؤكم الى وسط عسكره واني لا استطيع ان اعصيه قالوا افعل ما أمرت فامرهم ان يحفروا خندقا عظيما وامر بان يحضروا مواشيهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحت وطرحت اجسادها في الخندق حتى سال الدم الى أن وصل الى العسكر وامر بالقتلى الذين ذبحوا قبل ذلك فطرحوهم على

ثم

المانوية وكان ملكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقيل احدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة أيام

(ذكر ملك ابنه هرمز بن سابور بن اردشير بن بابك)

وكان يشبه في خلقه باردشير غير لاحق به في تدبيره وكان من البطش والجراءة على أمر عظيم وكانت امه من بنات مهرك الملك الذي قتله اردشير وتتبع نسله فقتلهم لان المنجمين اخبروه انه يكون من نسله من يملك فهربت امه الى البادية وأقامت عند بعض الرعاء وخرج سابور متصيدا فاشتد به العطش وارتفعت له الاخبية التي فيها ام هرمز فقصدها وطلب الماء فناولته المرأة فرأى منها جمالا فائقا فلم يلبث ان حضر الرعاء فسألهم سابور عنها فقال بعضهم انها ابنته فتزوجها وسار بها الى منزله وكسيت ونظفت فارادها فامتنعت عليه مدة فلما طال عليه سألها عن سبب ذلك فاخبرته انها ابنة مهرك وانها تفعل ذلك ابقاء عليه من اردشير فعاهدها على ستر أمرها ووطئها فولدت له هرمز فستر أمره حتى صار له سنون فركب اردشير يوما الى منزل ابنه سابور واشتهى أراد ذكره فدخل منزله فاجأة فلما استقر خرج هرمز وبيده صولجان وهو يصيح في أثر الكرة فلما رآه اردشير أنكره ووقف على المشابه التي فيه من حسن الوجه وعبالة الخلق وامور غيرها فاستدناه اردشير وسأل عنه سابور فخرج متنكرا على سبيل الاقرار بالخطا واخبر أباه اردشير الخبر فسر واخبره انه قد تحقق الذي ذكره المنجمون في ولد مهرك وان ذلك قد سلى ما كان في نفسه واذهبه فلما ملك سابور ولى هرمز خراسان وسيره اليها فقهر الاعداء واستقل بالامر فوشى به الوشاة الى سابور وانه على عزم ان يأخذ الملك منه وسمع هرمز بذلك فقيل انه قطع يده وارسلها الى ابيه فكتب اليه بما بلغه وانه فعل ذلك ازالة للتهمة لان رسمهم انهم كانوا لا يملكون ذا عاهة فلما وصلت يده الى سابور تقطع أسفا وارسل الى هرمز يعلمه ما ناله لذلك وعقد له على الملك وملكه ولما ملك عدل في رعيته وكان صادقا وسلك سبيل ابائه وكور كورة رامهرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام

(ذكر ملك ابنه بهرام بن هرمز بن سابور)

وكان حليما متأنيا حسن السيرة وقتل ماني الزنديق وسلخه وحشا جلده تبنا وعلق على باب من أبواب جنديسابور يسمى باب ماني وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وكان عامل سابور بن اردشير وابنه هرمز وبهرام بن هرمز بعد مهلك عمرو بن عدى على ربيعة ومضر وسائر من بادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن لعمرو بن عدى يقال له امرؤ القيس الكندى وهو أول من تنصر من آل نصر بن ربيعة وعمال الفرس وعاش ملكا في عمله مائة سنة واربع عشرة سنة منها في زمن سابور بن اردشير ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وفي زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام وفي زمن بهرام ثلاث سنين وثلاثة اشهر وثلاثة أيام وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز ثماني عشرة سنة

(ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير)

وكان ملكه حسنا وكان عالما بالامور فلما عقد له التاج وعدهم بحسن السيرة واختلاف

قالت مريم كنت اذا خلوت انا وولدى عيسى وهو في بطني يحدثني واحدثه فاذا جاءا احد ركني وسبح في بطني وانا اسمعه واختلف العلماء في مدة حملها قال صاحب مسامرة الاخيار نقلا عن الحسن انها حملت به تسع ساعات ووضعته من يومها وقيل حملت به العادة فلما دنا وقت ولادته خرجت في جوف الليل فاحتملها يوسف على حماره فادركها النفاس شرقي بيت المقدس بمكان يعرف ببيت لحم قال صاحب مثير الغرام صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام فالجأها ذلك الى ظل نخلة يابسة وكان زمن الشتاء فجلست تحتها فاخضرت النخلة من ساعتها وصار لها سعف وتكللت بحملها بقدرة الله تعالى واجرى الله تعالى في أصل تلك النخلة عينا من الماء فهزت النخلة وهي تقول ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا واحتوشته الملائكة وكانوا اصطفوا محدقين فاراد ابليس ان يأتيه من فوقه فاذا فوقه رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم اراد ان يأتيه من تحت الارض فاذا اقدام الملائكة راسية فاراد ان يدخل من بينهم فنعوه من ذلك فرجع ابليس وقال لاعوانه ما ولد مولود اشد على من هذا المولود فلما ولد عيسى عليه السلام اصبحت الاصنام في جميع الارض منكوسة على رؤسها فلما وضعته ذهب ابليس فاخبر بنى اسرائيل ان مريم قد ولدت فاقبلوا يشدون ويدعونها وكان بين مولده والهجرة ستمائة واحدى وثلاثون سنة وقامت مريم من موضع ولادتها وحملت عيسى على صدرها حتى اقبلت على بنى اسرائيل

بالدق وفتحه فوجد فيه مذاكير الشيخ وكتابا فيه لما أخبرتني ابنة اشك التي علقت من ملك الملوك حين امر بقتلها لم أستحل اتلاف زرع الملك الطيب فاودعتها بطن الارض كما أمر وتبرأنا اليه من انفسنا لئلا يجد علينا سبيلا فامره اردشير ان يجعل مع سابور مائة غلام وقيل ألف غلام من اشباهه في الهيئة والقامة ثم يدخلهم عليه جميعا لا يفرق بينهم زي ففعل الشيخ فلما نظر اليهم اردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم ثم اعطوا صوالجة وكرة فلعبوا بالكرة وهو في الايوان فدخلت الكرة الايوان فهاب الغلمان ان يدخلوه واقدم سابور من بينهم ودخل فاستدل باقدامه مع ما كان من قبوله له حين رآه انه ابنه فقال له اردشير ما اسمك قال شابور فلما ثبت عنده انه ابنه شهر أمره وعقد له التاج من بعده وكان عاقلا بليغا فاضلا فلما ملك ووضع التاج على رأسه فرق الاموال على الناس من قرب ومن بعد وأحسن اليهم فبان فضل سيرته وفاق جميع الملوك وبنى مدينة نيسابور ومدينة سابور بفارس وبنى فيروز سابور وهي الانبار وبنى جنديسابور وقيل انه حاصر الروم بنصيبين وفيها جمع من الروم مدة ثم أتاه من ناحية خراسان ما احتاج الى مشاهدته فسار اليها وأحكم أمرها ثم عاد الى نصيبين فزعموا ان سورها تصدع وانفرجت منه فرجة دخل منها وقتل وسبى وغنم وتجاوزها الى بلاد الشام فافتتح من مدائنها مدنا كثيرة منها فالوقية وقدوقية وحاصر ملكا للروم بانطاكية فاسره وحمله وجماعة كثيرة معه فاسكنهم مدينة جنديسابور

(ذكر خبر مدينة الحضر)

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وكان بها ملك يقال له الساطرون وكان من الجرامقة والعرب تسميه الضيزن وهو من قضاعة وكان قد ملك الجزيرة وكثر جنده وانه تطرق بعض السواد اذ كان سابور بخراسان فلما عاد سابور أخبر بما كان منه فسار اليه وحاصره أربع سنين وقيل سنتين لا يقدر على هدم حصنه ولا الوصول اليه وكان للضيزن بنت تسمى النضيرة فحاضت فأخرجت الى ربض المدينة وكذلك كان يفعل بالنساء وكانت من اجمل النساء وكان سابور من أجمل الناس فرأى كل واحد منهما صاحبه فتعاشقا فارسلت اليه ما تجعل لي ان دللتك على ما تهدم به سور المدينة فقال احكمك وارفعك على نسائي فقالت عليك بحمامة ورقاء مطوقة فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ارسلها فانها تقع على سور المدينة فيخرب وكان ذلك طلسم ذلك البلد ففعل وتداعت المدينة فدخلها عنوة وقتل الضيزن وأصحابه فلم يبق منهم أحد يعرف اليوم واخرب المدينة واحتمل النضيرة فاعرس بها بعين التمر فلم تزل ليلتها تتضور فالتمس ما يؤذيها فاذا ورقة آس ملتزقة بعكنة من عكن بطنها فقال لها ما كان يغذوك به أبوك قالت بالزبد والمخ وشهد الابكار من النحل وصفو الخمر فقال وأبيك لانا احدث عهدا وآثر لك من أبيك فامر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب غدائرها بذنبه ثم استركضها فقطعها قطعا وقد اكثر الشعراء ذكر الضيزن في أشعارهم وفي أيام سابور ظهر ماني الزنديق وادعى النبوة وتبعه خلق كثير وهم الذين يسمون المانوية

ولا اثاثا ولا اسبابا ولا ثيابا الا ما يستره وقوت يومه وكان سياحا في الارض اينما غابت الشمس بات في ذلك المكان واستمر يصلي حتى يصبح وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله تعالى وكان يخبر قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وكان يمشي على وجه الماء والبحر فلم تبتل قدماه ولما أراد الله تعالى ظهور عيسى عليه السلام انطلقت مريم ذات يوم وحدها لتملأ الماء فلما دخلت المغارة وجدت عندها جبريل في صورة شاب امرد مليح الوجه فلما رأته قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا فلما سمعت استسلمت لقضاء الله تعالى فنفخ في كم درعها فوصلت النفخة الى جوفها فحملت بعيسى عليه السلام في وقتها وهي بنت عشر سنين وكانت حاضت حيضتين ويقال ان زكريا عليه السلام في ذلك الوقت اجتمع مع امرأته فحملت منه بيحيى عليه السلام فلما اجتمعتا قالت لها يا مريم أشعرت اني حبلى قالت لها مريم وانت ايضا شعرت اني حبلى فقالت لها ام يحيى اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك وقيل ان أول من علم بحمل مريم ابن خالتها يوسف فقال يا مريم هل ينبت زرع من غير بذر قالت لا قال فهل يولد ولد من غير أب قالت نعم آدم من غير أب وأم قال صدقت قال هذا الولد الذي في بطنك من أبوه قالت هذا هبة ربي لي ومثله كمثل آدم خلقه من تراب قال فنطق عيسى من بطن امه فقال يا يوسف ما هذه الامثال التي تضرب بها الامر فاشتغل بصلاتك واستغفر لذنبك مما وقع في قلبك فقام يوسف متحيرا وتركها

وقصد بكر وتغلب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل من وجد منهم وسار الى
قرب المدينة ففعل كذلك وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتل الى ان هلك فسمي سابور
ذا الاكتاف لهذا وانتقلت اياد حينئذ الى الجزيرة وصارت تغير على السواد فجهز سابور
اليهم الجيوش وكان لقيط الايادي معهم فكتب الى اياد

سلام في الصحيفة من لقيط * الى من بالجزيرة من اياد
بأن الليث كسرى قد أتاكم * فلا يشغلكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون ألفا * يزجون الكتائب كالجراد

فلم يقبلوا منه وداموا على الغارة فكتب اليهم أيضا

أبلغ ايادا وطوّل في سراتهم * اني أرى الرأي ان لم اعص قد نصعا

وهي قصيدة مشهورة من اجود ما قيل في صفة الحرب فلم يحذروا وأوقع بهم سابور وأبادهم قتلا الا من لحق بأرض الروم فهذا فعله بالعرب وأما الروم فان سابور كان هادن ملكهم وهو قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوك الروم وسنذكر سبب تنصره عند الفراغ من ذكر سابور ان شاء الله ومات قسطنطين وفرق ملكه بين ثلاثة بنين كانوا له فهلكوا وملكت الروم عليهم رجلا من أهل بيت قسطنطين يقال له اليانوس وكان على ملة الروم الاولى ويكتم ذلك فلما ملك أظهر دينه وأعاد ملة الروم وأخرب البيع وقتل الاساقفة ثم جمع جموعا من الروم والخزر وسار نحو سابور واجتمعت العرب للانتقام من سابور فاجتمع في عسكر اليانوس منهم خلق كثير وعادت عيون سابور اليه فاختلفوا في الاخبار فسار سابور بنفسه مع جماعة من ثقاته نحو الروم فلما قرب من يوسانوس وهو على مقدمة اليانوس اختفى وأرسل بعض من معه الى الروم فأخذوا وأقر بعضهم على سابور فأرسل يوسانوس اليه سرا ينذره فارتحل سابور الى عسكره وتحارب هو والعرب والروم فانهزم عسكره وقتل منهم مقتلة عظيمة وملكت الروم مدينة طيسفون وهي المدائن الشرقية وملكوا أيضا أموال سابور وخزائنه وكتب سابور الى جنوده وقواده يعلمهم ما لقي من الروم والعرب ويحثهم على المسير اليه فاجتمعوا اليه وعاد واستنقذ مدينة طيسفون ونزل اليانوس مدينة بهرسير واختلفت الرسل بينهما فبينما اليانوس جالس أصابه سهم لا يعرف راميه فقتله فسقط في أيدي الروم ويئسوا من الخلاص من بلاد الفرس فطلبوا من يوسانوس ان يملك عليهم فلم يفعل وأبى الا ان يعودوا الى النصرانية فأخبروه انهم على ملته وانما كتموا ذلك خوفا من اليانوس فملك عليهم وأرسل سابور الى الروم يتهددهم ويطلب الذي ملك عليهم ليجتمع به فسار اليه يوسانوس في ثمانين رجلا فتلقاه سابور وتساجدا وطعما وقوّى سابور أمر يوسانوس بجهده وقال للروم انكم أخربتم بلادنا وأفسدتم فيها فاما ان تعطونا قيمة ما أهلكتم واما ان تعوضونا نصيبين وكانت قديما للفرس فغلبت الروم عليها فدفعوها اليه وتحول أهلها عنها فحول اليها سابور اثني عشر ألف بيت من أهل اصطخر واصبهان وغيرها وعادت الروم الى بلادها وهلك ملكهم بعد ذلك بيسير وقيل ان سابور سار الى حد الروم وأسلم

الظهور عيسى عليه السلام فبعث الله عز وجل ملكا الى يوسف فأخبره بما أراده هيرودس وأمره ان يحملها الى مصر فاذا مات الملك يرجع بهما الى مكانهما قال فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار حتى وردوا مصر فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في اثر الحصادين ويوسف يحتطب الحطب ويبيعه في السوق وكان عيسى عليه السلام يكبر في اليوم مثل الشهر وفي الشهر مثل السنة وقيل ان مريم وعيسى حملتهما الملائكة من بيت المقدس الى مدينة دمشق وأقاما بالربوة فذلك قوله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وعن أبي سعيد الخدري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام أرسلته أمه الى الكتاب ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال له عيسى عليه السلام وما معناه قال لا أدري قال فان كنت لا تدري فاسألني حتى أفسره لك فسأله قال الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملك الله * قال الكسائي انطلقت مريم ذات يوم الى صباغ هناك لتسلمه عيسى عليه السلام ليتعلم الصنعة فأخذه منها وقال يا عيسى خذ هذه الجرة واملأ هذه المغارات كلها فتركه الصباغ وخرج الى منزله فعمد عيسى الى مغار واحد فملأه ماء وأخذ جميع تلك الثياب وجعلها فيه وانصرف الى أمه فلما كان من الغد ورد الصباغ الى الحانوت فنظر الى ما فعله عيسى فقال يا عيسى أفسدت على ثياب الناس فقال عيسى عليه السلام يا صباغ ماذا تريد فقال [illegible] فقال قل لا اله الا الله واني عيسى روح الله

فى سنى ملكه فقيل ثمانى عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة والله أعلم

(ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور)

فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء فأحسن الرد وكان قبل ان يفضى اليه الامر ملكا على سجستان وكان ملكه أربع سنين

(ذكر ملك نرسى بن بهرام)

وهو أخو بهرام الثالث فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه الاشراف والعظماء فدعوا له فوعدهم خيرا وسار فيهم بأعدل السيرة وقال ان نضيع شكر ما انعم الله به علينا وكان ملكه تسع سنين

(ذكر ملك هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز)

وكان الناس قد وجلوا منه لفظاظته فاعلمهم انه قد علم بما كانوا يخافون من شدة ولايته وان الله قد أبدل ما كان فيه من الفظاظة رقة ورأفة وساسهم أرفق سياسة وكان حريصا على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل ثم هلك ولا ولد له فشق ذلك على الناس فسألوا عن نسائه فذكر لهم ان بعضهن حبلى وقيل ان هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل وولدت المرأة سابور ذا الاكتاف وكان ملك هرمز ست سنين وخمسة أشهر وقيل سبع سنين وخمسة اشهر واسماء الملوك من سابور بن اردشير الى ههنا لم يحذف منها شئ

(ذكر ملك ابنه سابور ذى الاكتاف)

وهو سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير بن بابك قيل ملك بوصية ابيه له فاستبشر الناس بولادته وبثوا خبره فى الآفاق وتقلد الوزراء والكتاب ما كانوا يعملونه فى ملك ابيه وسمع الملوك ان ملك الفرس صغير فى المهد فطمعت فى مملكتهم الترك والعرب والروم وكانت العرب أقرب الى بلاد فارس فسار جمع عظيم منهم فى البحر من عبد القيس والبحرين الى بلاد فارس وسواحل اردشير خرة وغلبوا اهلها على مواشيهم ومعايشهم واكثروا الفساد وغلبت اياد على سواد العراق واكثروا الفساد فيهم فمكثوا حينا لا يغزوهم أحد من الفرس لصغر ملكهم فلما ترعرع سابور وكبر كان أول ما عرف من حسن فهمه انه سمع فى السحر ضوضاة واصواتا فسأل عن ذلك فقيل ان الناس يزدحمون فى الجسر الذى على دجلة مقبلين ومدبرين فأمر بعمل جسر آخر يكون أحدهما للمقبلين والآخر للمدبرين فاستبشر الناس بذلك فلما بلغ ست عشرة سنة وقوى على حمل السلاح جمع رؤساء أصحابه فذكر لهم ما اختل من أمرهم وانه يريد الذب عنهم ويشخص الى بعض الاعداء فدعا له الناس وسألوه ان يقيم بموضعه ويوجه القواد والجنود ليكفوه ما يريد فأبى واختار من عسكره ألف رجل فسألوه الازدياد فلم يفعل وسار بهم ونهاهم عن الابقاء على أحد من العرب وقصد بلاد فارس فاوقع بالعرب وهم غارون فقتل واسر وأكثر ثم قطع البحر الى الخط فقتل من بالبحرين لم يلتفت الى غنيمة وسار الى هجر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس فقتل منهم حتى سالت دماؤهم على الارض وأباد عبد القيس وقصد اليمامة وأكثر فى أهلها القتل وغور مياه العرب

وهم مجتمعون وزكريا معهم فلما نظروا اليها وعيسى فى حجرها بكوا من شدة الغيرة وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من اتقياء بنى اسرائيل وليس بهرون أخى موسى كما ص فلما سألوا مريم وقالوا من أين لك هذا الولد وأخذوا الحجارة ليرجموها فأشارت اليه أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فتنحنح عيسى عليه السلام وقال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ثم لم يتكلم بعد ذلك حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان فلما سمع ذلك احبار بنى اسرائيل من عيسى عليه السلام علموا انه لا ابا له وان الله عز وجل خلقه كما خلق آدم فقال زكريا الحمد لله الذى برأنا من كلام الفساق ولما تم لعيسى عليه السلام ثمانية ايام من مولده ختن وسموه اليسوع فلما بلغ عمره ثلثين سنة جاءه الوحى داخل مسجد بيت المقدس وبنو اسرائيل يتبايعون فيه فجعل يضربهم ويقول يا بنى اولاد الحيات والافاعى اتخذتم مساجد الله اسواقا وانزل الله عليه الانجيل ونزل عليه جبريل عشر مرات وكانت الرياسة فى ذلك الوقت بالشام ونواحيها القيصر ملك الروم وقيل اسم الملك قسطنطين وكان الملك الذى قبله هردوس واراد ان يقتل عيسى ومريم وذلك انهم نظروا الى نجم قد طلع فاستدلوا منه وقصد

(ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذي الاكتاف)

وكان يلقب كرمان شاه لان أباه ملكه كرمان في حياته فكتب الى القواد كتابا يحثهم على الطاعة وكان محمودا في أموره وبنا بكرمان مدينة وثار به ناس من الفتاك فقتله أحدهم بنشابة وكان ملكه احدى عشرة سنة

(ذكر ملك يزدجرد الاثيم بن بهرام بن سابور ذي الاكتاف)

ومن أهل العلم من يقول ان يزدجرد هذا هو أخو بهرام كرمان شاه بن سابور لا ابنه وكان فظا غليظا ذا عيوب كثيرة يضع الشئ في غير موضعه كثير الريبة في الصغائر واستعمل كل ما عنده في المواربة والدهاء والمخاتلة مع فطنة بجهات الشر وعجب به وكان على الناس يئ الخلق لا يغفر الصغيرة من الزلات ولا يقبل شفاعة أحد من الناس وان كان قريبا منه كثير التهمة ولا يأتمن احدا على شئ ولم يكن يكافئ أحدا على حسن البلاء وان هو أولى الخسيس من العرف استعظمه واذا بلغه ان أحدا من أصحابه صافى أحدا من أهل صناعته نحاه عن خدمته وكان فيه مع ذلك ذكاء ذهن وحسن أدب وقد مهر في صنوف من العلم واستوزر نرسى حكيم زمانه وكان فاضلا قد كمل أدبه ولقبه هزار بنده فأمل الناس ان يصلح نرسى منه فكان ما أملوه بعيدا فلما استوى له الملك واشتدت شوكته هانه الاشراف والعظماء وحمل على الضعفاء فأكثر من سفك الدماء فلما ابتليت الرعية به شكوا ما نزل بهم منه الى الله تعالى وسألوه تعجيل انقاذهم منه فزعموا انه كان بجرجان فرأى ذات يوم في قصره فرسا عائرا لم ير مثله فأخبر به فأمر ان يسرج ويلجم ويدخل عليه فلم يقدر أحد على ذلك فاعلم بذلك فخرج اليه بنفسه وألجمه بيده واسرجه فلما رفع ذنبه ليثفره رمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه وملأ الفرس فروجه جريا ولم يعلم له خبر وكان ذلك من صنع الله ورأفته بهم وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوما وأما العرب فقيل انه لما هلك عمرو بن امرئ القيس الكندى بن عمرو بن عدى في عهد سابور استخلف سابور على عمله اوس بن قلام وهو من العماليق فملك خمس سنين وقيل في عهد بهرام بن سابور فاستخلف بعده في عمله امرأ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الكندى فبقي خمسا وعشرين سنة وهلك أيام يزدجرد الاثيم فاستخلف بعده في عمله ابنه النعمان وأمه شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وهو صاحب الخورنق وسبب بنائه اياه ان يزدجرد الاثيم كان لا يبقى له ولد فسأل عن منزل برئ صحيح فدل على ظاهر الحيرة فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا وأمره ببناء الخورنق مسكنا له وأمره باخراجه الى بوادى العرب وكان الذى بنى الخورنق رجلا اسمه سنمار فلما فرغ من بنائه تعجبوا منه فقال لو علمت أنكم توفوني أجرى لعملته يدور مع الشمس فقال وانك لتقدر على ما هو أفضل منه ثم أمر به فالقى من رأس الخورنق فهلك فضربت العرب بجزائه المثل وهو مذكور في اشعارها وغزا النعمان هذا الشام مرارا واكثر المصائب في أهلها وسبى وغنم وجعل معه ملك فارس كتيبتين يقال لاحداهما دوس وهي لتنوخ وللاخرى الشهباء وهي لفارس فكان يغزو بهما الشام ومن لم يطعه من العرب ثم انه جلس يوما في مجلسه من الخورنق

فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى فلما خرج الرجل ظنوا انه عيسى فصلبوه وتوفى الله تعالى عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء وهو قوله تعالى يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى الآية فلما صلب الذى هو شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كانت بها عاهة فدعا لها فبرئت ووقفتا تبكيان عند المصلوب فجاءهن عيسى فقال لهن على من تبكيان فقالتا عليك فقال لهما ان الله تعالى قد رفعنى ولم يصلبنى وان هذا الرجل شبه لهم قال وهب لما رفع عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة أيام ثم قال الله له انزل الى أصحابك وأوصهم فاهبطه الله على جبل فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريون وهم اثنا عشر رجلا ففرقهم في الارض يدعون الى توحيد الله تعالى واجتمع بأمه مريم وأخبرها بمكانه وأسر لرجلين منهم يقال لاحدهما شمعون والآخر يحيى وأمرهما ان يكرما أمه ولا يفارقاها ثم رفعه الله اليه وكساه الريش وألبسه النور ووضع عنه لذة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا سماويا أرضيا وتفرق الحواريون حيث أمرهم في تلك الليلة فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث اليهم وذكر ان شمعون الصفا نبي مرسل بعثه الله تعالى الى أهل انطاكية بعد يحيى ويونس وانطلق شمعون ويحيى ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وأمر بقتل شمعون فقتل وصلب منكوسا وفي كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات انه مدفون في مدينة رومية الكبرى في كنيستها العظمى في تابوت

وأدخل يدك في هذا التغار وأخرج كل ثوب على لون ما تريد ففعل فآمن الصباغ وما تبدد في التغار فأخرج كل ثوب

اصحابه انه على قصد الروم محققا لمعرفة أحوالهم واخبار مدنهم وسار اليهم فجال فيهم حينا وبلغه ان قيصر أولم وجمع الناس فحضر بزي سائل لينظر الى قيصر على الطعام ففطن به وأخذ وادرج في جلد ثور وسار قيصر بجنوده الى أرض فارس ومعه سابور على تلك الحال فقتل وأخرب حتى بلغ جنديسابور فتحصن أهلها وحاصرها فبينما هو يحاصرها اذ غفل الموكلون بحراسة سابور وكان بقربه قوم من سبي الاهواز فأمرهم ان يلقوا على القد الذي عليه زيتا كان بقربهم ففعلوا ولان الجلد وانسل منه وسار الى المدينة وأخبر حراسها فادخلوه فارتفعت اصوات أهلها فاستيقظ الروم وجمع سابور من بها وعباهم وخرج الى الروم سحر تلك الليلة فقتلهم وأسر قيصر وغنم أمواله ونساءه وأثقله بالحديد وأمره بعمارة ما أخرب وألزمه بنقل التراب من بلد الروم ليبني به ما هدم المنجنيق من جنديسابور وان يغرس الزيتون مكان النخل ثم قطع عقبه وبعث به الى الروم على حمار وقال هذا جزاؤك ببغيك علينا فأقام مدة ثم غزا فقتل وسبى سبايا أسكنهم مدينة بناها بناحية السوس سماها ايرانشهرسابور وبنى مدينة نيسابور بخراسان في قول وبالعراق بزرج سابور وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة وهلك في ايامه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي عامله على العرب فاستعمل ابنه عمرو بن امرئ القيس فبقي في عمله بقية ملك سابور وجميع أيام أخيه اردشير بن هرمز وبعض أيام سابور بن سابور وكانت ولايته ثلاثين سنة وأما سبب تنصر قسطنطين فانه كان قد كبر سنه وساء خلقه وظهر به وضح كبير فارادت الروم خلعه وترك ماله عليه فشاور نصحاءه فقالوا له لا طاقة لك بهم فقد أجمعوا على خلعك وانما تحتال عليهم بالدين وكانت النصرانية قد ظهرت وهي خفية وقالوا له استمهلهم حتى تزور البيت المقدس فاذا زرته دخلت في دين النصرانية وحملت الناس عليه فانهم يفترقون فتقاتل من عصاك بمن أطاعك وما قاتل قوم على دين الا نصروا ففعل ذلك فاطاعه عالم عظيم وخالفه خلق كثير وأقاموا على دين اليونانية فقاتلهم وظفر بهم فقتلهم فاحرق كتبهم وحكمتهم وبنى القسطنطينية ونقل الناس اليها وكانت رومية دار ملكهم وبقي ملكه عليه وغلب على الشام وكان الاكاسرة قبل سابور ذي الاكتاف ينزلون طيسفون وهي المدينة الغربية من المدائن فلما نشأ سابور بنى الايوان بالمدائن الشرقية وانتقل اليه وصار هو دار الملك وهو باق الى الآن ونحن في سنة خمس وعشرين وستمائة

(ذكر ملك اردشير بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن سابور بن اردشير بن بابك أخي سابور)

فلما ملك واستقر له الملك عطف على العظماء وذوي الرياسة فقتل منهم خلقا كثيرا فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه

(ذكر ملك سابور بن سابور ذي الاكتاف)

فلما ملك بعد خلع عمه استبشر الناس بعود ملك أبيه اليه وكتب الى العمال بالعدل والرفق بالرعية وأمر بذلك وزراءه وحاشيته وأطاعه عمه المخلوع واحبه رعيته ثم ان العظماء وأهل الشرف قطعوا اطناب خيمة كان فيها فسقطت عليه فقتلته وكان ملكه خمس سنين

على لون ما أراد وبقي على ايمانه مع عيسى عليه السلام فهو من جملة الحواريين فاخبر الصباغ ما رآه لبعض أصحابه فلما رأوه آمنوا بعضهم فهم الحواريون وكانوا اثنى عشر رجلا وتبعوا عيسى عليه السلام فكانوا اذا جاعوا أخبروا عيسى عليه السلام فيضرب بيده الارض فيخرج لكل رجل منهم رغيفان فيأكلون وكذلك اذا عطشوا يضرب الارض فيخرج منها الماء فيشربون ولما مات ملك الشام رجعت مريم وعيسى ويوسف ومن آمن معهم بعد اثنى عشر سنة الى بلاد الشام وسكنوا بقرية يقال لها ناصرة من أعمال صفد وبها سميت النصارى ويروى ان عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال من هؤلاء قالوا له قوم طلبوا القضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال لهم أنتم العلماء والحكماء الاخيار امسحوا وجوهكم بأيديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميع مبصرون فلما شاع خبر عيسى عليه السلام خاف اليهود على أنفسهم من دعوة عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل فرفعه من روزنة كانت في سقف بيته الى السماء قال صاحب مثير الغرام ان عيسى عليه السلام رفعه الله تعالى من طور زيتا فأمر رئيس اليهود رجلا يدخل على عيسى ليقتله فلما دخل عليه لم يجده في البيت فأبطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيه (ذكر

ماتشير به وسار المنذر بعد هو وحوابى من عنده بيوم فى ثلاثين ألفا من فرسان العرب الى مدينتى الملك بهرام فجمع الناس وصعد بهرام على منبر من ذهب مكلل بالجوهر وتكلم عظماء الفرس فذكروا فظاظة يزدجرد ابى بهرام وسوء سيرته وكثرة قتله واخراب البلاد وانهم لهذا السبب صرفوا الملك عن ولده فقال بهرام لست أكذبكم ومازلت زاريا عليه ذلك ولم أزل أسأل الله ان يملكنى لاصلح ما أفسد ومع هذا فاذا أتى على ملكى سنة ولم اف بما أعد تبرأت من الملك طائعا وانا راض بان تجعلوا التاج وزينة الملك بين اسدين ضاريين فمن تناولهما كان الملك له فاجابوه الى ذلك ووضعوا التاج والزينة بين أسدين وحضر موبذ موبذان فقال بهرام لكسرى دونك التاج والزينة فقال كسرى أنت أولى لانك تطلب الملك بوراثة وأنا فيه مغتصب فحمل بهرام جرزا وتوجه نحو التاج فبدر اليه أحد الاسدين فوثب بهرام فعلا ظهره وعصر جنبى الاسد بفخذيه وجعل يضرب رأسه بالجرز الذى معه ثم وثب الاسد الآخر عليه فقبض أذنيه بيده ولم يزل يضرب رأسه برأس الاسد الآخر الذى تحته حتى دمغهما ثم قتلهما بالجرز الذى معه وتناول بعد ذلك التاج والزينة فكان أول من اطاعه كسرى وقال جميع من حضر قد اذعنا لك ورضينا بك ملكا وان العظماء والوزراء والاشراف سألوا المنذر ليكلم بهرام فى العفو عنهم فسأل المنذر الملك بهرام ذلك فاجابه وملك بهرام وهو ابن عشرين سنة وأمر ان يلزم رعيته راحة ودعة وجلس للناس بعدهم بالخير ويأمرهم بتقوى الله ولم يزل مدة ملكه يؤثر اللهو على ماسواه حتى طمع فيه من حوله من الملوك فى بلاده وكان أول من سبق الى قصده خاقان ملك الترك فانه غزاه فى مائتى ألف وخمسين ألفا من الترك فعظم ذلك على الفرس ودخل العظماء على بهرام وحذروه فتمادى فى لهوه ثم تجهز وسار الى اذربيجان ليتنسك فى بيت نارها ويتصيد بارمينيته فى سبعة رهط من العظماء وثلثمائة من ذوى البأس والنجدة واستخلف اخاه نرسى فشك الناس فى انه هرب من عدوه فاتفق رأى جمهورهم على الانقياد الى خاقان وبذل الخراج له خوفا على نفوسهم وبلادهم فبلغ ذلك خاقان فامن ناحيتهم وسار بهرام من اذربيجان الى خاقان فى تلك العدة فثبت للقتال وقتل خاقان بيده وقتل جنده وانهزم من سلم من القتل وامعن بهرام فى طلبهم يقتل ويأسر ويغنم ويسبى وعاد وجنده سالمون وظفر بتاج خاقان واكليله وغلب على طرف من بلاده واستعمل عليها مرزبانا وأتاه رسل الترك خاضعين مطيعين وجعلوا بينهم حدا لا يعدونه وارسل الى ماوراء النهر قائدا من قواده فقتل وسبى وغنم وعاد بهرام الى العراق وولى اخاه نرسى خراسان وأمره ان ينزل مدينة بلخ واتصل به ان بعض رؤساء الديلم جمع جمعا كثيرا واغار على الرى واعمالها فغنم وسبى وخرب البلاد وقد عجز اصحابه فى الثغر عن دفعه وقد قرروا عليهم اتاوة يدفعونها اليه فعظم ذلك عليه وسير مرزبانا الى الرى فى عسكر كثيف وامره ان يضع على الديلمى من يطمعه فى البلاد ويغريه بقصدها ففعل ذلك فجمع الديلمى جموعه وسار الى الرى فارسل المرزبان الى بهرام جور يعلمه خبره فكتب اليه يأمره بالمسير نحو الديلمى والمقام بموضع سماه له ثم سار بجريدة فى نفر من

وهو الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه يقطر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويسكن الروحاء حاجا ومعتمرا ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك فى زمانه أهل الاديان كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله تعالى ويهلك الله فى زمانه المسيخ الدجال ويقتل على يديه وعلى يد أصحابه ويقع الامن فى الارض حتى ترتع الاسد مع الابل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ولا تضرهم ثم يلبث فى الارض أربعين سنة ثم يتزوج امرأة من غسان ويولد له أولاد ثم يتوفى فى المدينة ويدفن الى جانب قبر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فطوبى لابى بكر وعمر يحشران بين نبيين وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهلك امة انا فى أولها وعيسى فى آخرها والشهداء من أهل بيتى فى وسطها وروى الحافظ أبو نعيم قال يمكث الناس بعد يأجوج ومأجوج فى الرخاء والخصب والدعة عشر سنين حتى ان الرجلين ليحملان الرمانة الواحدة بينهما ويحملان عنقود العنب ثم يبعث الله تعالى ريحا طيبة فلا تدع مؤمنا ولا مؤمنة الا قبضت روحه ثم يبقى الناس بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر فى المروج حتى يأتى امر الله تعالى (وفى مسامرة الاخيار) ينزل عيسى عليه السلام عند انفجار الصبح بين مهرودتين عند المنارة البيضاء بشرقى دمشق فيصلى بالناس ويطلب الدجال فيقتله بباب لد

إ٢ مل لى

* (الفصل السابع والثلاثون فى ذكر

فاشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والانهار في يوم من ايام الربيع فاعجبه ذلك فقال لوزيره هل رأيت مثل هذا المنظر قط قال لا لو كان يدوم قال فما الذي يدوم قال ما عند الله في الآخرة قال فبم ينال ذلك قال بترك الدنيا وعبادة الله فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح وخرج هاربا بالليل فاصبح الناس فلم يروه وكان ملكه الى ان تركه وساح تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر من ذلك في أيام يزدجرد خمس عشرة سنة وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأما علماء الفرس فانهم يقولون غير هذا وسيرد ذكره

(ذكر ملك بهرام بن يزدجرد الاثيم)

لما ولد يزدجرد بهرام جور اختار لحضانته العرب فدعا بالمنذر بن النعمان واستحضنه بهرام وشرفه وكرمه وملكه على العرب فسار به المنذر واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات اجسام صحيحة واذهان ذكية وآداب حسنة من بنات الاشراف منهن عربيتان وعجمية فارضعنه ثلاث سنين فلما بلغ خمس سنين أحضر له مؤدبين فعلموه الكتابة والرمي والفقه بطلب من بهرام بذلك وأحضر حكيما من حكماء الفرس فتعلم ووعى كل ما علمه بأدنى تعليم فلما بلغ اثنتي عشرة سنة تعلم كل ما أفيد وفاق معلميه فامرهم المنذر بالانصراف وأحضر معلمي الفروسية فأخذ عنهم كل ما ينبغي له ثم صرفهم ثم أمر فأحضرت خيل العرب للسباق فسبقها فرس أشقر للمنذر وأقبل باقي الخيل بداد فقرب المنذر الفرس بيده اليه فقبله وركبه يوما للصيد فبصر بعانة حمر وحش فرمى عليها وقصدها واذا هو بأسد قد أخذ عيرا منها فتناول ظهره بفيه فرماه بهرام بسهم فنفذ في الاسد والعير ووصل الى الارض فساخ السهم الى ثلثه فرآه من معه فعجبوا منه ثم أقبل على الصيد واللهو والملذات فمات أبوه وهو عند المنذر فتعاهد العظماء وأهل الشرف على ان لا يملكوا أحدا من ذرية يزدجرد لسوء سيرته فاجتمعت الكلمة على صرف الملك عن بهرام لنشوه في العرب وتخلقه باخلاقهم ولانه من ولد يزدجرد وملكوا رجلا من عقب اردشير بن بابك يقال له كسرى فانتهى هلاك يزدجرد وتمليك كسرى الى بهرام فدعا بالمنذر وابنه النعمان وناس من أشراف العرب وعرفهم احسان والده اليهم وشدته على الفرس وأخبرهم الخبر فقال المنذر لا يهولنك ذلك حتى الطف الحيلة فيه وجهز عشرة آلاف فارس ووجههم مع ابنه النعمان الى طيسفون وبهرسير مدينتي الملك وأمره أن يعسكر قريبا منهما ويرسل طلائعه اليهما وان يقاتل من قاتله ويغير على البلاد ففعل ذلك وأرسل عظماء فارس جوابي صاحب رسائل يزدجرد الى المنذر يعلمه أمر النعمان فلما ورد جوابي قال له الق الملك بهرام فدخل عليه فراعه ما رأى منه فاغفل عن السجود دهشا فعرف بهرام ذلك فكلمه ووعده أحسن الوعد ورده الى المنذر وقال له أجبه فقال له ان الملك بهرام أرسل النعمان الى ناحيتكم حيث ملكه الله بعد أبيه فلما سمع جوابي مقالة المنذر وتذكر ما رأى من بهرام علم ان جميع من تشاور في صرف الملك عن بهرام محجوج فقال للمنذر سر الى مدينة الملك وتجمع اليك الاشراف والعظماء وتشاور واني ذلك فلن تخالفوا

من فضة معلق بسلاسل في سقف الهيكل وقيل انه مدفون بقرية روحين من أعمال حلب وله قبر يزار هناك ويتبرك به فلما قتل شمعون هربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب وخافا فانشقت لهما الارض فغابا فيها فلم يبصروهما وفي اتحاف الاخصاء ان مريم عاشت بعد رفع عيسى عليه السلام ست سنين وكان عمرها ثلاثا وخمسين سنة ثم ماتت ودفنت بالكنيسة المعروفة بالجسمانية وهو الموضع الذي يعرف بمهد عيسى عليه السلام وذكر أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين ان مريم ماتت قبل ان يرفع عيسى عليه السلام وان عيسى تولى دفنها بنفسه وأما الثلاثة أصحاب القرية المذكورة في القرآن قال وهب كانوا ثلاثة أنبياء صادق وصدوق وسلوم بعثوا الى أهل انطاكية وكانوا من الحواريين وملك انطاكية حينئذ انطيخس وأما الذي جاء من أقصى المدينة فآمن به فاسمه حبيب النجار كان بانطاكية وكان اجذم فبرئ فلما بلغهم أنه آمن وطئوه بأرجلهم حتى مات فاحياه الله فأدخله الجنة وأهلك أهل قريته بصيحة من السماء فخمدوا وذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه الى قوله تعالى فاذاهم خامدون وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة وامهاتهم شتى ودينهم واحد واني اولى الناس بعيسى عليه السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك ان ينزل فيكم ويحكم حكما عدلا وانه نازل على أمتي وهو خليفتي عليكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع القامة ماشيه

اخاه بالرى وكانا من ام واحدة وقيل لم يقتله وانما اسره واخذ الملك منه وكان الروم منعوا الخراج عن يزدجرد فوجه اليهم نرسى فى العدة التى انفذه ابوه فيها فبلغ ارادته وكان ملك يزدجرد ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وقيل تسع عشرة سنة

(ذكر ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام بعد ان قتل اخاه هرمز وثلاثة من أهل بيته)

ولما ظفر فيروز باخيه وملك اظهر العدل واحسن السيرة وكان يتدين الا انه كان محدودا مشؤما على رعيته وقحطت البلاد فى زمانه سبع سنين متوالية وغارت الانهار والقنى وقل ماء دجلة ومحلت الاشجار وهاجت عامة الزروع فى السهل والجبل من بلاده وماتت الطيور والوحوش وعم أهل البلاد الجوع والجهد الشديد فكتب الى جميع رعيته انه لا خراج عليهم ولا جزية ولا مؤنة وتقدم اليهم بان كل من عنده طعام مذخور يواسى به الناس وان يكون حال الغنى والفقير واحدا واخبرهم انه ان بلغه ان انسانا مات جوعا بمدينة أو قرية عاقبهم ونكل بهم وساس الناس سياسة لم يعطب احد جوعا ما خلا رجلا واحدا من رستاق أردشير خرة وابتهل فيروز الى الله بالدعاء فازال ذلك القحط وعادت بلاده الى ما كانت عليه فلما حيى الناس والبلاد وانخن فى اعدائه سار يريد حرب الهياطلة فلما سمع اخشنوار ملكهم خافه فقال له بعض أصحابه اقطع يدى ورجلى وألقنى على الطريق واحسن الى عيالى لاحتال على فيروز ففعل ذلك واجتاز به فيروز فسأله عن حاله فقال له انى قلت لاخشنوار لا طاقة لك بفيروز ففعل بى هذا وانى ادلك على طريق لم يسلكها ملك وهى اقرب فاغتر فيروز بذلك وتبعه فسار به وبجنده حتى قطع بهم مفازة بعد مفازة حتى اذا علم انهم لا يقدرون على الخلاص اعلمهم حاله فقال اصحاب فيروز لفيروز حذرناك فلم تحذر فليس الا التقدم على كل حال فتقدموا امامهم فوصلوا الى عدوهم وهم هلكى عطشى وقتل العطش منهم كثيرا فلما اشرفوا على تلك الحال صالحوا اخشنوار على ان يخلى سبيلهم الى بلادهم على ان يحلف له فيروز انه لا يغزو بلاده فاصطلحا وكتب فيروز كتابا بالصلح وعاد فلما استقر فى مملكته حملته الانفة على معاودة اخشنوار فنهاه وزراؤه عن نقض العهد فلم يقبل وسار نحوه فلما تقارب امرا اخشنوار فحفر خلف عسكره خندقا عرضه عشرة أذرع وعمقه عشرون ذراعا وغطاه بخشب ضعيف وتراب ثم عاد وراءه فلما سمع فيروز بذلك اعتقده هزيمة فتبعه ولا يعلم عسكر فيروز بالخندق فسقط هو وأصحابه فيه فهلكوا وعاد اخشنوار الى عسكر فيروز وأخذ كل ما فيه واسر نساءه وموبذان موبذ ثم استخرج جثة فيروز ومن سقط معه فجعلها فى النواويس وقيل ان فيروز لما انتهى الى الخندق الذى حفره اخشنوار ولم يكن مغطى عقد عليه قناطر وجعل عليها اعلاما له ولاصحابه يتقصدونها فى عودهم وجاز الى القوم فلما التقى العسكران احتج عليه اخشنوار بالعهود التى بينهما وحذره عاقبة الغدر فلم يرجع فنهاه اصحابه فلم ينته فضعفت نياتهم فى القتال فلما ابى الا القتال رفع اخشنوار نسخة العهد على رمح وقال اللهم خذ بما فى هذا الكتاب وقلده بغيه فقاتله فانهزم فيروز وعسكره

الرماد فجمعته وقذفته الى الساحل فرده الله تعالى من ذلك الرماد خلقا سويا كما كان فانصرف حتى دخل على الملك وهو يدعوه الى الله تعالى فلما رآه فزع منه وخاف على نفسه وملكه واجمع رأيه وامر بأن يضرب اربعة اوتاد من حديد وان يسطح على الارض ويربط يداه ورجلاه ويوضع على صدره اسطوانة من الرخام ففعلوا فلما كان الليل اتاه الملك واطلقه فدخل على الملك ودعاه الى الله تعالى فتحير الملك فى امره فقال رجل من جلساء الملك يا جرجيس انت تقول ان الهك يحيى ويميت فادع لنا ربك ان يحيى لنا من فى هذه القبور وكان هناك بعض قبور فدعا جرجيس وتضرع فما استتم كلامه حتى تفطرت وتشققت الارض وقام من القبور سبعون انسانا ينفضون التراب عن رؤسهم فقالوا نشهد ان لا اله الا الله وان جرجيس نبى الله فمنهم خمس نسوة وثلاثة صبيان والباقى رجال وفيهم شيخ كبير قال له كم لك ميت قال اربعمائة سنة فعند ذلك رجعوا الى رقدتهم قال صاحب السبيات قتل جرجيس سبعين مرة ثم احياه الله تعالى ولم يؤمن الملك فاشتاق جرجيس الى الجنة فقال اللهم انى اسألك ان تقبضنى اليك وان تنزل نقمتك وسطوتك على الظالمين فلما فرغ من دعائه امطر الله على الذين كفروا نارا من السماء فلما رأوا ذلك هجموا بالسيوف على جرجيس فقتلوه ونزلت النار فاحرقت المدينة بمن فيها وصارت رمادا ومكث زمانا يخرج من تحتها دخان منتن وكان جملة من آمن منهم اربعة وثلاثون الفا وكان ذلك كله فى

خواصه فادرك عسكره بذلك المكان والديلمي لا يعلم بوصوله وهو قد قوى طمعه لذلك فعبى بهرام أصحابه وسار نحو الديلم فلقيهم وباشر القتال بنفسه فاخذ رئيسهم اسيرا وانهزم عسكره فامر بهرام بالنداء فيهم بالامان لمن عاد اليه فعاد الديلم جميعهم فامنهم ولم يقتل منهم أحدا واحسن اليهم وعادوا الى احسن طاعة وأبقى على رئيسهم وصار من خواصه وقيل كانت هذه الحادثة قبل حرب الترك والله أعلم ولما ظفر بالديلم أمر ببناء مدينة سماها فيروز بهرام فبنيت له هي ورستاقها واستوزر نرسى فاعلمه انه ماض الى الهند متخفيا فسار الى الهند وهو لا يعرفه احد غير ان الهنديرون شجاعته وقتله السباع ثم ان فيلا ظهر وقطع السبيل وقتل خلقا كثيرا فاستدل عليه فسمع الملك خبره فارسل معه من يأتيه بخبره فانتهى بهرام والهندي معه الى الاجمة فصعد الهندي شجرة ومضى بهرام فاستخرج الفيل وخرج وله صوت شديد فلما قرب منه رماه بسهم بين عينيه كاد يغيب وقذه بالنشاب واخذ مشفره ولم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه فاحتز رأسه واخرجه واعلم الهندي ملكهم بما رأى فاكرمه واحسن اليه وسأله عن حاله فذكر ان ملك فارس سخط عليه فهرب الى جواره وكان لهذا الملك عدو فقصده فاستسلم الملك واراد أن يطيع ويبذل الخراج فنهاه بهرام واشار بمحاربته فلما التقوا قال لاساورة الهندي احفظوا الى ظهري ثم حمل عليهم فجعل يضرب في اعراضهم ويرميهم بالنشاب حتى انهزموا وغنم أصحاب بهرام ما كان في عسكر عدوه فاعطى بهرام الديبل ومكران وانكحه ابنته فامر بتلك البلاد فضمت الى مملكة الفرس وعاد بهرام مسرورا واغزى نرسى بلاد الروم في اربعين ألفا وأمره ان يطلب ملك الروم بالاتاوة فسار الى القسطنطينية فهادنه ملك الروم فانصرف بكل ما اراد الى بهرام وقيل انه لما فرغ من خاقان والروم سار بنفسه الى بلاد اليمن ودخل بلاد السودان فقتل مقاتلتهم وسبى منهم خلقا كثيرا وعاد الى مملكته ثم انه في آخر ملكه خرج الى الصيد فشد على عنز فامعن في طلبه فارتطم في جب فغرق فبلغ والدته ذلك فسارت الى ذلك الموضع وامرت باخراجه فنقلوا من الجب طينا كثيرا حتى صار آكاما عظاما ولم يقدروا عليه وكان ملكه ثماني عشرة سنة وعشرة اشهر وعشرين يوما وقيل ثلاثا وعشرين سنة هكذا ذكر ابو جعفر في اسم بهرام جور ان اباه اسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم وذكر عند يزدجرد الاثيم انه سلم ابنه بهرام الى النعمان بن امرئ القيس ولاشك ان بعض العلماء قال هذا وبعضهم قال ذلك الا انه لم ينسب كل قول الى قائله

(ذكر ملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور)

لما لبس التاج جلس للناس ووعدهم وذكر اباه ومناقبه واعلمهم انهم ان فقدوا منه طول جلوسه لهم فان خلوته في مصالحهم وكيد اعدائهم وانه قد استوزر نرسى صاحب ابيه وعدل في رعيته وقمع اعداءه واحسن الى جنده وكان له ابنان يقال لاحدهما هرمز وللآخر فيروز وكان لهرمز سجستان فغلب على الملك بعد هلاك ابيه يزدجرد فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة واستنجد ملكهم فامده بعد ان دفع اليه الطالقان فاقبل بهم فقتل

جرجيس عليه السلام)* كان رجلا صالحا من اهل فلسطين قد ادرك بعض الناس من الحواريين واخذ عنهم قال الكسائي لم يكن نبيا ولكن كان عابدا مستجاب الدعوة وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان بالموصل ملك جبار وملك الشام يقال له وادنه قد ترك دين آبائه وعبد صنما يقال له افلون فمن سجد له ابقاه ومن ابى في النار القاه فعمد جرجيس الى امواله فانفقها في سبيل الله وقصد الموصل ان يأتي الملك ويدعوه الى خلع الاصنام وتوحيد الملك العلام ثم اقبل حتى دخل عليه فصادف يوم عيدهم فقال له ايها الجبار العاتي اتق الله ولا تتخذ معه الها آخر فلما سمع الملك ذلك غضب غضبا شديدا فامر بخشبة فنصبت له وربطه فيها ثم أمر بامشاط حديد فخدش بها جلده ولحمه حتى لم يبق الا العروق والعظام ونضح عليه الملح والخل والخردل وامر بمسامير من حديد فاحميت بالنار وسمر بها رأسه حتى سال منها دماغه ورفعه على خشبة فوقفه في الشمس فلم يجد لذلك الما ولا وجعا فلما كان الليل بعث الله ملكا اليه فامر يده على بدنه فعاد جسده كما كان ونزع المسامير من رأسه ولم يضره شئ وامره الله بالعود اليه وان يدعوه الى الله تعالى فلما اصبح دخل على الملك ووقف بين يديه ودعاه الى الله تعالى فقال له الملك بلغ من سحرك انك سحرت اعيننا فقال جرجيس ان الله تعالى أحياني عبرة لك وحجة عليك فعند ذلك أمر بحرقه حتى صار رمادا فالقى الرماد في البحر فامر الله البحران يحفظ الرماد الذي ذرى فيه وامر الريح ان تجمع اجزاءه

(ذكر ملك بلاش بن فيروز بن يزدجرد)

ثم ملك بعد فيروز ابنه بلاش فجرى بينه وبين اخيه قباذ منازعة استظهر فيها قباذ وملك فلما ملك بلاش اكرم سوخرا واحسن اليه لما كان منه ولم يزل حسن السيرة حريصا على العمارة وكان لا يبلغه ان بيتا خرب وجلا أهله الا عاقب صاحب تلك القرية على تركه سد فاقتهم حتى لا يضطروا الى مفارقة اوطانهم وبنى مدينة ساباط بقرب المدائن وكان ملكه أربع سنين

(ذكر ملك قباذ بن فيروز بن يزدجرد)

وكان قباذ قبل ان يصير الملك اليه قد سار الى خاقان مستنصرا به على أخيه بلاش فمر في طريقه بحدود نيسابور ومعه جماعة من أصحابه متنكرين وفيهم زرمهر بن سوخرا فتاقت نفسه الى النكاح فشكا ذلك الى زرمهر وطلب منه امرأة فسار الى امرأة صاحب المنزل وكان من الاساورة وكان له بنت حسناء فخطبها امها واطمعها وزوجها فزوجها فدخل بها قباذ من ليلته فحملت بانوشروان وأمر لها بجائزة سنية وردها وسألها أمها عن قباذ وحاله فذكرت انها لا تعرف من حاله شيأ غير ان سراويله منسوجة بالذهب فعلمت انه من ابناء الملوك ومضى قباذ الى خاقان واستنصره على أخيه فاقام عنده أربع سنين وهو يعده ثم أرسل معه جيشا فلما صار بالقرب من الناحية التي بها أم ولده سأل عنها فاحضرت ومعها أنوشروان واعلمته انه ابنه وورد الخبر اليه بذلك المكان ان أخاه بلاش قد هلك فتيمن بالمولود وحمله وأمه على مراكب نساء الملوك واستوثق له الملك وخص سوخرا وشكر لولده خدمته وتولى سوخرا الامر فمال الناس اليه وتهاونوا بقباذ فلم يحتمل ذلك فكتب الى سابور الداري وهو اصبهبذ ديار الجبل ويقال للبيت الذي هو منه مهران فاستقدمه ومعه جنده فقدم اليه فاعلمه عزمه على قتل سوخرا وأمره بكتمان ذلك فاتاه يوما سابور وسوخرا عنده قباذ فالقى في عنقه وهقا واخذه وحبسه ثم خنقه قباذ وارسله الى اهله وقدم عوضه سابور الداري وفي أيامه ظهر مزدك وابتدع ووافق زرادشت في بعض ما جاء به وزاد ونقص وزعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم الخليل حسبما دعا اليه زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء حتى لا يكون لاحد على أحد فضل في شيء البتة فكثر اتباعه من السفلة والاغتام فصاروا عشرات الوف فكان مزدك يأخذ امرأة هذا ويسلمها الى الآخر وكذا في الاموال والعبيد والاماء وغيرها من الضياع والعقار فاستولى وعظم شأنه وتبعه الملك قباذ فقال يوما لقباذ اليوم نوبتي من امرأتك أم انوشروان فاجابه الى ذلك فقام انوشروان اليه ونزع خفيه بيده وقبل رجليه وشفع اليه حتى لا يتعرض لامه وله حكمه في سائر ملكه فتركها وحرم ذباحة الحيوان وقال يكفي في طعام الانسان ما تنبته الارض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن فعظمت البلية به على الناس فصار الرجل لا يعرف ولده والولد لا يعرف اباه فلما مضى عشر سنين من ملك قباذ اجتمع موبذان موبذ والعظماء وخلعوه وملكوا عليهم أخاه جاماسب

فقطع ذلك الحبل وقال لزوجته لم فعلت هذا فقالت فعلته لأختبر به قوتك فما رأيت مثلك فلما خرج شمسون اتاها اولئك فاخبرتهم بذلك فمضوا واتوها بجامعة من الحديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في يديه الى عنقه واعلمينا فمضوا اعنها فلما اتى شمسون على حسب عادته ونام جعلت الحديد في يديه الى عنقه فلما استيقظ جذبها فزالت من يده وعنقه وقال لها ايضا لم فعلت ذلك فقالت اختبر به قوتك والآن فما بقيت اخاف عليك فهل شيء في الارض يغلبك اذا اوثقت به فقال شيء واحد فقالت وما هو فسكت فلم تزل تردد عليه حتى قال لا يمسكني الا شعري وكان له ذوائب طوال فلما نام اوثقت يديه الى عنقه بشعره وسارت مسرعة الى القوم واخبرتهم بذلك فجاؤا اليه واوثقوه واخذوه وجدعوا انفه وسملوا عينيه وجعلوه على عامود فجعل الناس ينظرون اليه فرفع شمسون رأسه الى السماء ودعا الله تعالى ان يكشف عنه ما به فاستجاب الله دعاءه ورد الله عليه بصره وعافاه من كل ما فعلوا به واطلق يديه وكانت المدينة على اعمدة فامره الله تعالى ان يأخذ بعمودين من اعمدة المدينة ويجذبهما فلما جذب العمودين سقطت المدينة على اهلها فهلكوا جميعا هلكوا وهلكت امرأته معهم

(الفصل التاسع والثلاثون فيمن كان في الفترة بين عيسى ونبينا محمد رفع الله قدره)

ذكر الكواشي والزمخشري وغيرهما انه كان بين محمد وعيسى عليهما السلام أربعة من الانبياء ثلاثة من بني اسرائيل

فضلوا عن مواضع القناطر فسقطوا في الخندق فهلك فيروز وأكثر عسكره وغنم اخشنوار أموالهم ودوابهم وجميع ما معهم وغلب اخشنوار على عامة خراسان فسار اليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا وكان فيهم عظيما وخرج كالمحتسب وقيل بل كان فيروز استخلفه على ملكه لما سار وكان له سجستان فلقي صاحب الهياطلة فاخرجه من خراسان واستعاد منه كل ما أخذ من عسكر فيروز مما هو في عسكره موجودا من السبي وغيره وعاد الى بلاده فعظمته الفرس الى غاية لم يكن فوقه الا الملك وكانت مملكة الهياطلة طخارستان فكان فيروز قد اعطى ملكهم لما ساعده على حرب اخيه الطالقان وكان ملك فيروز ستا وعشرين سنة وقيل احدى وعشرين سنة

(ذكر الاحداث في العرب أيام يزدجرد وفيروز)

كان يخدم ملوك حمير ابناء الاشراف من حمير وغيرهم وكان ممن يخدم حسان بن تبع عمرو ابن حجر الكندي سيد كندة فلما قتل عمرو بن تبع اخاه حسان بن تبع اصطنع عمرو بن حجر وزوجه ابنة اخيه حسان ولم يطمع في التزوج الى ذلك البيت أحد من العرب فولدت الحرث بن عمرو وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مثوب وانما ملكوه لان أولاد عمرو كانوا اصغارا وكان الجن قبل ذلك قد استهامت تبع بن حسان وكان عبد كلال على دين النصرانية الاولى ويكتم ذلك ورجع تبع بن حسان من استهامته وهو اعلم الناس بما كان قبله فملك اليمن وهابته حمير فبعث ابن اخته الحرث بن عمرو بن حجر في جيش الى الحيرة فسار الى النعمان بن امرئ القيس وهو ابن الشقيقة فقاتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وافلت المنذر بن النعمان الاكبر وامه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط فذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون قاله بعضهم وقال ابن الكلبي ملك بعد النعمان المنذر بن النعمان بن المنذر بن النعمان أربعا واربعين سنة من ذلك في زمن بهرام جور ثماني سنين وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة ثم ملك بعده الاسود بن المنذر عشرين سنة منها في زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين وفي زمن بلاش بن فيروز اربع سنين وفي زمن قباذ بن فيروز ست سنين وهكذا ذكر ابو جعفر ههنا ان الحرث بن عمرو قتل النعمان بن امرئ القيس واخذ بلاده وانقرض ملك اهل بيته وذكر فيما تقدم ان المنذر ابن النعمان أو النعمان على الاختلاف المذكور هو الذي جمع العساكر وملك بهرام جور على الفرس ثم ساق فيما بعد ملوك الحيرة من أولاد النعمان هذا الى آخرهم ولم يقطع ملكهم بالحرث بن عمرو وسبب هذا ان اخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة فقال كل واحد ما نقل اليه من غير تحقيق وقيل غير ذلك وسنذكره في مقتل حجر بن عمرو والد امرئ القيس في أيام العرب ان شاء الله والصحيح ان ملوك كندة عمرو والحرث كانوا بنجد على العرب واما اللخميون ملوك الحيرة المناذرة فلم يزالوا عليها الى ان ملك قباذ الفرس وازالهم واستعمل الحرث بن عمرو الكندي على الحيرة ثم اعاد انوشروان الحيرة الى اللخميين على ما نذكره ان شاء الله تعالى

وقبر جرجيس بقرب الرملة وعنده من اربعين نبيا من بني اسرائيل هلكوا بالجوع حين اخرجوا من بيت المقدس وقيل قبره بالموصل وقيل بالسوس من بلاد خوزستان هكذا ذكره عدة من المؤرخين

(الفصل الثامن والثلاثون في ذكر شمسون عليه السلام)

كان رجلا صالحا من بني اسرائيل ذا قوة وبطش شديد بحيث لا يوثقه احد بيد وكان يحفظ الانجيل وهو من قرية من قرى الروم وكان أهل قريته يعبدون الاوثان ولم يزل شمسون يغزوهم وحده ويقاتلهم ويجاهدهم في الله حق جهاده وكان اذا قاتل قومه وعطش يفجر له من أي حجر كان بين يديه ماء عذب فيروى منه فجاهد الف شهر (عن ابن أبي نجيح) عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عنده شمسون انه لبس السلاح وجاهد في سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تبارك وتعالى انا انزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التي لبس شمسون فيها السلاح وقاتل في سبيل الله وكان شمسون يصيب من الكفار وهم لا يقدرون عليه فاحتالوا على قتله من قبل امرأته فأقبلوا اليها وسألوها ان توثق لهم زوجها وجعلوا لها على ذلك جعلا فاجابتهم الى ذلك وقالت انا اوثقه لكم اعطوني حبلا وثيقا فاعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فاوثق يديه الى عنقه بهذا الحبل ومضوا عنها قال فلما أتى شمسون الى داره ونام ربطت امرأته يديه فلما استيقظ وجد يديه مربوطة الى عنقه (ذكر

انى انما قدمت لاتزوج بك ومعى اربعة آلاف تابوت مملوءة ذهبا وفضة انا ادفعها اليك وامضى الى الصين فان ملكت كنت امرأتى وان هلكت كان المال لك فلما بلغتها الرسالة قالت قد اجبته فليبعث المال فارسل اربعة آلاف تابوت فى كل تابوت رجلان واسمرقند اربعة ابواب ولكل باب القار جل وجعل العلامة بينهم ان يضرب بالجرس فلما دخلوا البلد صاح شمر فى الناس وضرب بالجرس فخرجوا وملكوا الابواب ودخل المدينة فقتل أهلها وحوى مافيها وسار الى الصين فهزم الترك ودخل بلادهم ولقى حسان بن تبع قد سبقه اليها بثلاث سنين فاقاما بها حتى ماتا وكان مقامهما فيها قيل احدى وعشرين سنة وقيل عادا فى طريقهما حتى قدما على تبع بالغنائم والسبى والجواهر ثم انصرفوا الى بلادهم ومات تبع باليمن فلم يخرج أحد من اليمن غازيا بعده وكان ملكه مائة واحدى وعشرين سنة وقيل تهوّد قال ابن اسحق كان تبع الآخر وهو تبان اسعد أبو كرب حين أقبل من المشرق بعد ان ملك البلاد جعل طريقه على المدينة وكان حين مر بها فى بدايته لم يهيج اهلها وخلف عندهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها عازما على تخريبها واستئصال أهلها فجمع له الانصار حين سمعوا ذلك ورئيسهم عمرو بن الطلة احد بنى عمرو بن مبذول من بنى النجار وخرجوا لقتاله وكانوا يقاتلونه نهارا ويقرونه ليلا فبينما هو على ذلك اذ جاءه حبران من بنى قريظة عالمان فقالا له قد سمعنا ماتريد ان تفعل وانك ان ابيت الا ذلك حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال ولم ذلك فقالا انها مهاجر نبى من قريش تكون داره فانتهى عما كان يريد واعجبه ما سمع منهما فاتبعهما على دينهما واسمهما كعب واسد وكان تبع وقومه أصحاب اوثان وسار من المدينة الى مكة وهى طريقه فكسا الكعبة الوصائل والملاء وكان أول من كساها وجعل لها ابوابا ومفتاحا وخرج متوجها الى اليمن فدعا قومه الى اليهودية فابوا عليه حتى حاكموه الى النار وكانت لهم نار تحكم بينهم فيما يختصمون تأكل الظالم ولاتضر المظلوم فقال لقومه انصفتم فخرج قومه باوثانهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى اعناقهما حتى قعدوا عند مخرج النار فخرجت النار فغشيتهم وأكلت الاوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران تعرق جباههما لم يضرهما فاطبقت حمير على دينه وكان قدم على تبع قبل ذلك شافع بن كليب الصدفى وكان كاهنا فقال له تبع هل تجد لقوم ملكا يوازى ملكى قال لا الا ملك غسان قال فهل تجد ملكا يزيد عليه قال اجده لبار مبرور ورائد بالقهور ووصف فى الزبور وفضلت امته فى السفور يفرج الظلم بالنور احمد النبى طوبى لامته حين يجىء احد بنى لؤى ثم أحد بنى قصى فنظر تبع فى الزبور فاذا هو يجد صفة النبى صلى الله عليه وسلم ثم ملك بعد تبع هذا وهو تبان اسعد ابو كرب بن ملكيكرب ربيعة بن نصر اللخمى فلما هلك ربيعة رجع الملك باليمن الى حسان بن تبان اسعد فلما ملك ربيعة رأى رؤيا هالته فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا الا احضره وقال لهم رأيت رؤيا هالتنى فأخبرونى بتأويلها فقالوا اقصصها علينا فقال ان اخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم بتأويلها فلما قال ذلك قال له رجل منهم ان كان الملك يريد ذلك

كان بأرض الرس بلاد أذربيجان جبل عظيم يقال له فخ صاعد فى السماء قدر ميل وكان به طيور عظيمة منها طائر اسمه عنقاء وهى عظيمة الخلقة لها وجه كوجه الانسان ولها أربعة أجنحة من كل جانب وفيها اشبه من كل حيوان قال القزوينى انها أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة تختطف الفيل كما تختطف الحدأة الفأرة وعند طيرانها يسمع لاجنحتها دوى كدوى الرعد وتعيش ألف سنة وكانت تختطف الصبيان والبنات فشكوا ذلك لنبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فذهب الله تعالى بها الى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء وهى جزيرة لاتصل الناس اليها وفيها حيوان كثير كالفيل والكركند والجاموس والبقر والوحوش وسميت العنقاء لطول عنقها ويقال لها مغرب لانها تكون عند مغرب الشمس وتبيض بيضا كالقبة ويظهر بها ألم شديد وقت بيضها ثم ان اهل الرس قتلوا نبيهم حنظلة فاهلكهم الله تعالى وقال بعض العلماء انه كان رسان أحدهما أهل بدو وأصحاب مواش وغنم فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولى فقتلوا الرسول وجاهدهم الولى حتى افحمهم وكانوا يقولون الهنا فى البحر وكانوا يسكنون ساحل البحر وكان يخرج اليهم من البحر شيطان فى كل شهر مرة فيذبحون عنده ويتخذون ذلك اليوم عيدا فقال لهم الولى أرأيتم ان خرج الذى تعبدونه واطاعنى تجيبونى الى ما ادعوكم اليه فقالوا بلى فاعطاه على

وقالوا له انك قد اثمت باتباعك مزدك وبما عمل أصحابه بالناس وليس ينجيك الا اباحة نفسك ونساءك وارادوه على ان يسلم نفسه اليهم ليذبحوه ويقربوه الى النار فامتنع من ذلك فحبسوه وتركوه لا يصل اليه أحد فخرج زرمهر بن سوخرا فقتل من المزدكية خلقا واعاد قباذ الى ملكه وازال اخاه جاماسب ثم ان قباذ قتل بعد ذلك زرمهر وقيل لما حبس قباذ وتولى أخوه دخلت اخت لقباذ عليه كأنها تزوره ثم لفته في بساط وحمله غلام فلما خرج من السجن سأله السجان عما معه فقالت هو فرش كنت أحيض فيه فلم يمس البساط فمضى الغلام بقباذ وهرب قباذ فلحق بملك الهياطلة يستجيشه فلما صار بايرانشهر وهي نيسابور نزل برجل من أهلها له ابنة بكر حسنة جميلة فنكحها وهي أم كسرى أنوشروان فكان نكاحه اياها في هذه السفرة لا في تلك في قول بعضهم وعاد ومعه أنوشروان فغلب أخاه جاماسب على الملك وكان ملك جاماسب ست سنين وغزا قباذ بعد ذلك الروم ففتح مدينة آمد وبنى مدينة ارجان ومدينة حلوان ومات فملك ابنه كسرى أنوشروان بعده فكان ملك قباذ مع سني أخيه جاماسب ثلاثا واربعين سنة فتولى انوشروان ما كان أبوه أمره به وفي ايامه خرجت الخزر فاغارت على بلاده فبلغت الدينور فوجه قباذ قائدا من عظماء قواده في اثني عشر الفا فوطئ بلاد اران وفتح ما بين النهر المعروف بالرس الى شروان ثم ان قباذ لحق به فبنى باران مدينة البيلقان ومدينة البرذعة وهي مدينة الثغر كله وغيرهما وبنى الخزر ثم بنى سد اللان فيما بين أرض شروان وباب اللان وبنى على السد مدنا كثيرة خربت بعد بناء باب الابواب

(ذكر حوادث العرب أيام قباذ)

لما ملك الحرث بن عمرو بن حجر الكندى العرب وقتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس كما ذكرناه بعث اليه قباذ انه قد كان بيننا وبين الملك الذى كان قبلك عهد وأحب لقاءك وكان قباذ زنديقا يظهر الخير ويكره الدماء ويدارى أعداءه فخرج اليه الحرث والتقيا واصطلحا على ان لا يجوز الفرات أحد من العرب فطمع الحرث الكندى فامر أصحابه ان يقطعوا الفرات ويغيروا على السواد فسمع قباذ فعلم انه من تحت يد الحرث فاستدعاه فحضر فقال له ان لصوصا من العرب صنعت كذا وكذا فقال ما علمت ولا استطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود وطلب منه شيأ من السواد فاعطاه ستة طساسيج وارسل الحرث بن عمرو الى تبع وهو باليمن يطمعه في بلاد العجم فسار تبع حتى نزل الحيرة وارسل ابن اخيه شمرا ذا الجناح الى قباذ فحاربه فهزمه شمر حتى لحق بالري ثم أدركه بها فقتله ثم وجه تبع شمرا الى خراسان ووجه ابنه حسان الى السغد وقال ايكما سبق الى الصين فهو عليها وكان كل واحد منهما في جيش عظيم يقال كانا في ستمائة ألف واربعين الفا وارسل ابن اخيه يعفر الى الروم فنزل على القسطنطينية فاعطوه الطاعة والاتاوة ومضى الى رومية فحاصرها فاصاب من معه طاعون فوثب الروم عليهم فقتلوهم ولم يفلت منهم أحد وسار شمر ذو الجناح الى سمرقند فحاصرها فلم يظفر بها وسمع ان ملكها أحمق وان له ابنة وهي التي تقضى الامور فارسل اليها هدية عظيمة وقال لها

وواحد من العرب وهو (خالد بن سنان العبسى عليه السلام) يقال انه نبى البرزخ فبعث لمن مات طفلا وقال الطبرى كان نبيا وكان من معجزاته ان نارا ظهرت من أرض العرب كانت تخرج من مغارة على الناس فتأكل الناس والدواب ولا يستطيعون ردها فافتتنوا بها وكادوا يتمجسون فخرج خالد ومعه راعى غنم يقال له ابن راعية المعزى فقال له خالد امسك ثيابي فأخذ خالد عصاه ودخل النار حتى توسطها ففرقها وهو يقول بدا بدا كل هدى لله مؤدى لاسفلنها وهي تتلظى ولاخرجن منها وثيابي تندى ثم انها طفئت وهو في وسطها فلما حضرته الوفاة قال لاهله اذا دفنت فانه ستجىء عانة من حمر الوحش يقدمها عير ابتر فيضرب قبري بحافره فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عنى فاني سأخرج اليكم واخبركم بجميع ما هو كائن بعد الموت وأحوال البرزخ والقبر فلما مات ودفنوه رأوا ما قال فابى أولاده نبشه فقالوا نخاف ان يشيع بين العرب انا نبشنا ميتنا فتركوه وقيل اتت ابنته رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه فاطمأنت وقال لها أهلا بابنة نبي ضيعه قومه فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قل هو الله أحد فقالت كان أبي يقول هذا وقبره شرقي حلب بمكان يعرف بمشهد خالد يزار ويتبرك به هنالك وقيل غير ذلك والله أعلم (ومنهم حنظلة بن صفوان عليه السلام) كان نبيا في الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام مبعوثا لاهل الرس قال

انفي

واما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الاله لذى رعين

ثم ختمها وأتى بها عمرا فقال ضع هذه عندك ففعل فلما بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه وقبائل اليمن قال لعمرو

يا عمرو لا تعجل على منيتى * فالملك تأخذه بغير حشود

فأبى الا قتله فقتله بموضع رحبة مالك فكانت تسمى فرضة نعم فيما قيل ثم عاد الى اليمن فمنع النوم منه فسأل الاطباء وغيرهم عما به وشكا اليهم السهر فقال له قائل منهم ما قتل احد أخاه أو ذا رحم بغيا الا منع منه النوم فلما سمع ذلك قتل كل من اشار عليه بقتل اخيه حتى خلص الى ذى رعين فلما أراد قتله قال ان لى عندك براءة قال وما هى قال اخرج الكتاب الذى استودعتك فاخرجه فاذا فيه البيتان فكف عن قتله ولم يلبث عمرو أن هلك فتفرقت حمير عند ذلك قلت هذا الذى ذكره ابو جعفر من قتل قباذ بالرى وملك تبع البلاد من بعد قتله من النقل القبيح والغلط الفاحش وفساده اشهر من ان يذكر فلولا انا شرطنا ان لا نترك ترجمة من تاريخه الا ونأتى بمعناها من غير اخلال بشئ لكان الاعراض عنه أولى ووجه الغلط فيه انه ذكر ان قباذ قتل بالرى ولا خلاف بين أهل النقل من الفرس وغيرهم ان قباذ مات حتف انفه فى زمان معلوم وكان ملكه مدة معلومة كما ذكرناه قبل ولم ينقل أحد انه قتل الا فى هذه الرواية ولما مات ملك ابنه كسرى انوشروان بعده وهذا أشهر من قفا نبك ولو كان ملك الفرس انتقل بعد قباذ الى حمير كيف كان يملك ابنه بعده وتمكن فى الملك حتى اطاعه ملوك الامم وحملت الروم اليه الخراج ثم ذكر أيضا ان تبعا وجه ابنه حسان الى الصين وشمرا الى سمرقند وابن أخيه الى الروم وانه ملك القسطنطينية وسار الى رومية فحاصرها فياليت شعرى ما هو اليمن وحضرموت حتى يكون بهما من الجنود وما يكون بعضهم فى بلادهم لحفظها وجيش مع تبع وجيش مع حسان يسير بهم الى مثل الصين فى كثرة عساكره ومقاتلته وجيش مع ابن أخيه تبع يلقى به مثل كسرى ويهزمه ويملك بلاده ويحاصر به مثل سمرقند فى كبرها وعظمها وكثرة أهلها وجيش مع يعفر يسير بهم الى ملك الروم ويملك القسطنطينية والمسلمون مع كثرة ممالكهم واتساعها وكثرة عددهم قد اجتهدوا ان يأخذوا القسطنطينية وما يجاورها واليمن من أقل بلادهم عددا وجنودا فلم يقدروا على ذلك فكيف يقدر عليه بعض عساكر اليمن مع تبع هذا مما تأباه العقول وتمجه الاسماع ثم انه قال ان ملك تبع بلاد الفرس والروم والصين وغيرها كان بعد قتل قباذ يعنى أيام ابنه انوشروان ولا خلاف ان مولد النبى صلى الله عليه وسلم كان فى زمن انوشروان وكان ملكه سبعا وأربعين سنة ولا خلاف أيضا ان الحبشة لما ملكت اليمن انقرضت ملوك حمير منه وكان آخر ملوكهم ذا نواس وكان ملك حمير قد اختل قبل ذى نواس وانقطع نظامه حتى طمعت الحبشة فيه وملكته وكان ملكهم اليمن أيام قباذ وكيف يمكن ان يكون ملك الحبشة الذى هو مقطوع به ايام قباذ ويكون تبع هو الذى ملك اليمن قد قتل قباذ وملك بلاده قبل ان تملك الحبشة اليمن هذا من دون المحال وقوعه وكان ملك الحبشة اليمن سبعين سنة وقيل اكثر من ذلك وكان

ثم احدثوا فاحشة فكان الرجل يدعو بنته وأخته وزوجته فيجامعها جاره وصديقه ويلتمس بذلك البر والصلة ثم تركوا ذلك فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء فسلط الله عليهم صاعقة فى أول الليل وخسفا فى آخر الليل وصيحة عظيمة مع الشمس فلم يبق منهم باقية واختلف أهل التفسير فى اصحاب الرس فمنهم من قال هم بقية ثمود وهم أصحاب البئر التى ذكرها الله تعالى فى القرآن فى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بارض اليمامة والله أعلم *(ذكر من آمن فى الفترة)* واختلف فى ايمانهم *(فمنهم)* اسعد أبو كرب الحميرى وكان آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسنين وأنشأ يقول

شهدت على أحمد انه
رسول الاله وبارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم

وهو أول من كسا الكعبة الانطاع والبرود *(ومنهم)* قس بن ساعدة الايادى وكان حكيم العرب مقرا بالبعث والحساب وكان سبطا من اسباط العرب صحيح النسب فصيحا اذا خطب ذا شيبة حسنة عمر ستمائة سنة عاش حتى ادرك رأس الحواريين سمعان وكان مقرا لله تعالى بالوحدانية تضرب بحكمته الامثال وتكشف به الاهوال كان يتسيح على منهاج المسيح يقفر القفار ولا تكنه دار ولما قدم الجارود بن عبد الله على النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عنه فقال هلك فقال رحمه الله فهل فيكم يا معشر المهاجرين والانصار من يحفظ لنا منه شيئا فوثب أبو بكر رضي الله عنه قائما فقال أنا

فليبعث الى سطيح وشق فهما يخبرانك عما سألت واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن غسان وكان يقال له الذئبي نسبة الى ذئب بن عدى وشق بن مصعب بن يشكر بن انمار فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق فلما قدم عليه سطيح سأله عن رؤياه وتأويلها فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض بهمة فاكلت منها كل ذات جمجمة قال له الملك ما اخطأت منها شيئاً فما عندك فى تأويلها فقال احلف بما بين الحرتين من حنش ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين ابين الى جرش قال الملك وابيك ياسطيح ان هذا لغائظ موجع فمتى يكون أفى زمانى ام بعده قال بل بعده بحين ستين سنة أو سبعين يمضين من السنين قال هل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين يمضين من السنين ثم يقتلون بها اجمعون ويخرجون منها هاربين قال الملك ومن الذى يلى ذلك قال يليه ارم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال فيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع قال بل ينقطع يقطعه نبى زكى يأتيه الوحى من العلى وهو رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال احق ما تخبرنا يا سطيح قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق ثم قدم عليه شق فقال ياشق انى رأيت رؤيا هالتنى فاخبرنى عنها وعن تأويلها وكتمه ما قال سطيح لينظر هل يتفقان ام يختلفان قال نعم رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة واكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فلما سمع الملك ذلك قال ما اخطأت شيئاً فما تأويلها قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن ارضكم السودان وليملكن ما بين ابين الى نجران قال الملك وابيك ياشق ان هذا لغائظ فمتى هو كائن قال بعدك بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم اشد الهوان وهو غلام ليس بدنى ولا مزن يخرج من بيت ذى يزن قال فهل يدوم سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم تجزى فيه الولاة ويدعى من السماء بدعوات ويسمع منها الاحياء والاموات ويجمع فيه الناس للميقات فلما فرغ من مسئلتهما جهز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم فمن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ذلك الملك فلما هلك ربيعة بن نصر واجتمع ملك اليمن الى حسان بن تبان بن أبى كرب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو ذى الاذعار كان مما هيج أمر الحبشة وتحول الملك عن حمير ان حسان سار باهل اليمن يريدان يطأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل فلما كان بالعراق كرهت قبائل العرب من اليمن المسير معه فكلموا اخاه عمرا فى قتل حسان وتمليكه فاجابهم الى ذلك الا ما كان من ذى رعين الحميرى فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فعمد ذو رعين الى صحيفة فكتب فيها

الا من يشترى سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين

ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة ثور راكبا على اربعة أثوار وله عنق مستطيلة وعلى رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا سجدا فخرج الولى وناداه فقال اتسجدون طوعا أو كرها بسم الله الكريم فاتى به السلطان حتى افضوا به الى السرير يجرونه ويجرهم فلما رأوا ذلك كذبوه ونقضوا العهد فارسل الله عليهم ريحا فقذفتهم فى البحر مع جميع ما يملكونه وانقطع نسلهم واما الآخر فهم قوم كان لهم نهر يسمى الرس ينسبون اليه وهذا النهر بين اذربيجان وارمينية فما كان من جانب أهل ارمينية يعبدون الاوثان وما كان من اهل اذربيجان يعبدون النيران فبعث الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا فى شهر واحد فقتلوهم جميعا ثم بعث الله اليهم نبيا وايده بنصره وابعث الله تعالى النهر الى البحر وسد عنهم وبعث الله خمسمائة الف من الملائكة اعوانا له فغرفوا ما فى أسفل النهر من الماء ثم امر الله تعالى جبريل عليه السلام فلم يدع فى ارضهم عينا ولا نهرا الا يبس باذن الله تعالى وكان ذلك أوان الزرع وكانوا احوج ما يكونون الى الماء واماتت الله مواشيهم بليلة واحدة فاما ما كان من دراهم وحلى وسائر الامتعة فان الله تعالى امر الارض فابتلعته فاصبحوا ولم يبق عندهم شئ فآمن منهم أحد وعشرون رجلا واربع نسوة وصبيان وكان عدة الباقين ستمائة الف فماتوا جوعا وعطشا ولم يبق منهم باقية وبقيت منازلهم ما أتى عام لم يسكنها احد ثم أتى الله تعالى بقرن بعد ذلك فنزلوا بها وكانوا قوما صالحين واما

منهم وكان امرأ فاسقا يزعمون انه كان يعمل عمل قوم لوط فكان اذا سمع بغلام من ابناء الملوك انه قد بلغ أرسل اليه فوقع عليه في مشربة لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع الى حرسه وجنده وقد أخذ سواكا في فيه يعلمهم انه قد فرغ منه ثم يخلي سبيله فيفضحه

(ذكر الملك ذي نواس وقصة اصحاب الاخدود)

كان من أبناء الملوك زرعة ذو نواس بن تبان اسعد بن كرب وكان صغيرا حين أصيب أخوه حسان فشب غلاما جميلا ذا هيئة فبعث اليه لخنيعة ليفعل به ما كان يفعل بغيره فأخذ سكينا لطيفا فجعله بين نعله وقدمه ثم انطلق اليه مع رسوله فلما خلا به في المشربة قتله ذو نواس بالسكين ثم احتز رأسه فجعله في كوة مشربته التي يطلع منها ثم أخذ سواكه فجعله في فيه ثم خرج فقالوا له ذو نواس رطب أم يابس فقال سل نخماس استرطبان ذو نواس لا باس فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال فاذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجت حمير والحرس في اثر ذي نواس حتى ادركوه فملكوه حيث اراحهم من لخنيعة واجتمعوا عليه وكان بهم وديان بنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على استقامة لهم رئيس يقال له عبد الله بن الثامر وكان أصل النصرانية بنجران قال وهب بن منبه ان رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيميون وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا لا يعرف بقرية الا خرج منها الى غيرها وكان لا ياكل الا من كسب يده وكان يعمل الطين ويعظم الاحد لا يعمل فيه شيأ ويخرج الى الصحراء يصلي جميع نهاره فنزل قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن به رجل اسمه صالح فاحبه حبا شديدا وكان يتبعه حيث ذهب لا يفطن به فيميون حتى خرج مرة يوم الاحد الى الصحراء واتبعه صالح وفيميون لا يعلم فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي اذ أقبل نحوه تنين فلما رآه فيميون دعا عليه فمات ورآه صالح ولم يدر ما أصابه فخاف على فيميون فصاح يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى امسى وعرف ان صالحا عرفه فكلمه صالح وقال له يعلم الله اني ما احببت شيأ حبك قط وقد أردت صحبتك حيثما كنت قال افعل فلزمه صالح وكان اذا ما جاءه العبد به ضر شفي اذا دعا له واذا دعي الى أحد به ضر لم ياته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فجعل ابنه في حجرة القى عليه ثوبا ثم قال لفيميون قد أردت ان تعمل في بيتي عملا فانطلق اليه لاشارطك عليه فانطلق معه فلما دخل الحجرة القى الرجل الثوب عن ابنه وطلب اليه ان يدعو له فدعا له فابصر وعرف فيميون انه قد عرف بالقرية فخرج هو وصالح ومر بشجرة عظيمة بالشام فناداه رجل وقال مازلت أنتظرك لا تبرح حتى تقوم علي فاني ميت قال فمات فواراه فيميون وانصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب وأخذهما بعض العرب فباعوهما بنجران وأهل نجران على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة تعلق عليها كل ثوب حسن وحلي جميل فعلقوا عليها يوما فابتاع رجل من اشرافهم فيميون وابتاع رجل صالحا فكان فيميون اذا قام من الليل يصلي في بيته استسرج له البيت حتى يصبح عن غير مصباح فلما راى سيده ذلك أعجبه

وعابها فأولع به عمر بن الخطاب وسلط عليه سفهاء مكة فآذوه فسكن كهفا بجبل حراء وكان يدخل مكة سرا وسار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق فمات *(ومنهم)* أمية بن الصلت الثقفي وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه بعض اناس من أهل الكتاب فقرأ عليهم وعلم ان نبيا سيبعث من العرب وكان يقول اشعارا يصف فيها السموات والارض وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله تعالى ويوحده ويمجده وهو أول من كتب باسمك اللهم *(ومنهم)* ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة الكبرى زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب المنزلة ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبي عليه السلام وانه نبي هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي اثبت على ما انت عليه فوالذي نفس ورقة بيده انك لنبي هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولئن ادركت يومك لانصرنك نصرا مؤزرا *(ومنهم)* بحيرا الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى ابن مريم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب الى الشام في تجارة وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومعه ابو بكر وبلال رضي الله عنهما فمروا ببحيرا الراهب وهو في صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وكان الغمام يظلله حيثما جلس فانزلهم بحيرا واكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع

انقراض ملكهم في آخر ملك أنوشروان والخبر في ذلك مشهور وحديث سيف ذي يزن في ذلك ظاهر ولم تزل اليمن بعد الحبشة في يد الفرس الى ان ملكه المسلمون فكيف يستقيم ان ينقضي ملك تبع الذي هو ملك بلاد فارس ومن بعده من ملوك حمير وملك الحبشة وهو سبعون سنة في ملك أنوشروان وكان ملكه نيفا وأربعين سنة وهذا أعجب ان مدة بعضها سبعون سنة تنقضي قبل مضي نيف وأربعين سنة ولو افتكر أبو جعفر في ذلك لاستحيا من نقله وأعجب من هذا أنه قال ثم ملك بعد تبع هذا ربيعة بن نصر اللخمي وهذا ربيعة هو جد عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة وكان ملك عمرو والحيرة بعد خاله جذيمة أيام ملوك الطوائف قبل ملك أردشير بن بابك بخمس وتسعين سنة وملك أيضا أيام أردشير وبين أردشير وقباذ ما يقارب عشرين ملكا وكيف يكون جد عمرو وقد ملك بعد قباذ وهو قبله بهذا الدهر الطويل ولو لم يترجم أبو جعفر على هذه الحادثة بقوله ذكر الحوادث أيام قباذ لكان يحتمل تأويلا فيه ثم ما قنع بذلك حتى قال بعد ان قص مسير تبع وقتل قباذ وملك البلاد وأما ابن اسحق فانه قال ان الذي سار الى المشرق من التبابعة هو تبع الأخير ويعني بقوله تبع الأخير انه آخر من سار الى المشرق وملك البلاد فان ابن اسحق وغيره يقولون ان الذي ملك البلاد المشرقية الماوقي ملك بعده عدة تبابعة ثم اختل أمرهم زمانا طويلا حتى طمعت الحبشة فيهم وخرجت الى اليمن فليت شعري اذا كان هذا تبع في أيام قباذ فلا شك ان تبعا الأخير الذي أخذ منه اليمن يكون في زمن بني أمية ويكون ملك الحبشة اليمن بعد مدة من ملك بني العباس ويكون أول الاسلام من ثمانمائة سنة من ملكهم أيضا عما بعدها حتى يستقيم هذا القول ثم انه قال ان عمر بن طلحة الانصاري خرج الى تبع وعمر هذا قيل انه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم شيخا كبيرا ومات عند مرجعه من غزوة بدر ومن الدليل على بطلانه أيضا ان المسلمين لما قصدوا بلاد الفرس ما زالت الفرس تقول لهم عند مراسلاتهم ومحاوراتهم في حروبهم كنتم أقل الأمم وأذلها وأحقرها والعرب تقر لهم بذلك ولو كان ملك تبع قريب العهد لقالت العرب انا بالأمس قتلنا ملككم وملكنا بلادكم واستبحنا حريمكم وأموالكم فسكوت العرب عن ذلك واقرارها للفرس دليل على بعد عهده أو عدمه على ان الفرس لا تقر بذلك لا في قديم الزمان ولا في حديثه فانهم يزعمون ان ملكهم لم ينقطع من عهد جيومرث الذي هو آدم في قول بعضهم الى ان جاء الاسلام الا أيام ملوك الطوائف وكان لملوك الفرس طرف من البلاد في ذلك الزمان لم ينقطع انقطاعا كليا على ان أصحاب السير قد اختلفوا في تبع الذي سار وملك البلاد اختلافا كثيرا فقيل شمر بن افريقش وقيل تبع أسعد وانه بعث الى سمرقند شمرا ذا الجناح الى غير ذلك من الاختلافات التي لا طائل فيها وهذا القدر كاف في كشف الحال فيه

(ذكر ملك لخنيعة)

فلما هلك عمرو وتفرقت حمير وثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فملكهم في قول ابن اسحق فقتل خيارهم وعاث ببيوت أهل المملكة

يارسول الله كأني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا واذا وعيتم شيئا فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وأرزاق وأقوات جمع وأشتات وآيات بعد آيات ان في السماء لخبرا وان في الأرض لعبرا نجوم تمور وبحار تفور وسقف مرفوع ومهاد موضوع أقسم بالله قسما لا حانثا ولا آثما ان لله دينا أحب من دينكم الذي أنتم عليه ونبيا قد أظلكم أوانه وأدرككم ابانه فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا يامعشر بني آدم أين الآباء والأجداد وأين المريض والعواد طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول

في الذاهبين الأولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * تمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي الي * ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا * لة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اني لأرجو ان يبعثه الله أمة واحدة *(ومنهم)* زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يرغب في دين الاسلام ويعرض عن عبادة الأصنام

منهم

ويقول ما الذي ابطأ بك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له اذا أتيت المعلم فقل حبسني أبي واذا أتيت اباك فقل حبسني المعلم وكان في ذلك البلد حية عظيمة قطعت طريق الناس فرجها الغلام فرماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها وأتى الراهب فاخبره فقال له الراهب ان لك لشأنا وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدلن علي وصار الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي الناس وكان للملك ابن عم أعمى فسمع بالغلام وقتل الحية فقال ادع الله ان يرد علي بصري فقال الغلام ان رد الله عليك بصرك تؤمن به قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فعاد بصره ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وسأله فلم يخبره والح عليه فدله على الغلام فجيء به فقال له لقد بلغ من سحرك ما أرى فقال أنا لا اشفي احدا انما يشفي الله من يشاء فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء به فقيل ارجع عن دينك فابى فامر به فوضع المنشار على رأسه فشق نصفين ثم جيء بابن عم الملك فقال ارجع عن دينك فابى فشقه قطعتين ثم قال للغلام ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا فان رجع والا فاطرحوه من رأسه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم فرجف بهم الجبل وهلكوا ورجع الغلام الى الملك فسأله عن أصحابه فقال كفانيهم الله فغاظه ذلك وارسله في سفينة الى البحر ليلقوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم فغرقوا ونجا وجاء الى الملك فقال اقتلوه بالسيف فضربوه فنبا عنه وفشا خبره في اليمن فاعظمه الناس وعلموا انه على الحق فقال الغلام للملك انك لن تقدر على قتلي الا ان تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل ذلك فقتله فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك قد نزل بك ما تحذر فاغلق أبواب المدينة وخد اخدودا وملأه نارا وعرض الناس فمن رجع عن دينه تركه ومن لم يرجع ألقاه في الاخدود فاحرقه وكانت امرأة مؤمنة وكان لها ثلاثة بنين احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي والا قتلتك انت وأولادك فابت فألقى ابنيها الكبيرين فأبت ثم أخذ الصغير ليلقيه فهمت بالرجوع فقال لها الصغير يا اماه لا ترجعي عن دينك لا بأس عليك فالقاه والقاها في اثره وهذا الطفل احد من تكلم صغيرا وقيل حفر رجل خربة بنجران في زمن عمر بن الخطاب فرأى عبد الله ابن التامر واضعا يده على ضربة في رأسه فاذا رفعت عنها يده جرت دما واذا أرسلت يده ردها اليها وهو قاعد فكتب فيه الى عمر فأمر بتركه على حاله

(ذكر ملك الحبشة اليمن)

قيل لما قتل ذو نواس من قتل من أهل اليمن في الاخدود لاجل العود عن النصرانية افلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان حتى أعجز القوم فقدم على قيصر فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما فعل بهم فقال له قيصر بعدت بلادك عنا ولكن سأكتب الى النجاشي ملك الحبشة وهو على هذا الدين وقريب منكم فكتب قيصر الى ملك الحبشة يأمره بنصره فأرسل معه ملك الحبشة سبعين ألفا وأمر عليهم رجلا يقال له ارياط وفي جنوده ابرهة الاشرم فساروا في البحر حتى نزلوا بساحل اليمن وجمع ذو نواس جنوده

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت من آدم في نكاح لم يصبني عهر الجاهلية عن المطلب بن أبي وداعة قال قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم (٣) وقد بلغه ما يقول الناس فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال من أنا قالوا انت رسول الله قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيركم بيتا وأنا خيركم نفسا وقال عليه السلام أنا محمد وانا أحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي وقال أنا سيد المرسلين اذا بعثوا وسائقهم اذا وردوا ومبشرهم اذا ايسوا وامامهم اذا سجدوا واقربهم مجلسا اذا اجتمعوا أتكلم فيصدقني واشفع فيشفعني واسأل فيعطيني بيدي لواء الحمد وبي يثاب ويعاقب وانا اكرم ولد آدم ولا فخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما خلق الله اكرم نفسا عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله حلف بحياة أحد غيره فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون بعثه الله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وجعل امته خير الامم واصحابه أفضل الناس بعد الانبياء وفي سلوة الاحزان نقلا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فضلت على جميع الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا

وساله عن دينه فأخبره وعاب دين سيده وقال له لو دعوت الهي الذي أعبد لاهلك
النخلة فقال افعل فانك ان فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه فصلى فيمون ودعا
الله تعالى فارسل الله عليها ريحا فجففتها والقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه
فحملهم على شريعة من دين عيسى ودخل عليهم بعد ذلك الاحداث التي دخلت على
اهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كان اصل النصرانية بنجران وقال محمد بن كعب
القرظي كان اهل نجران يعبدون الاوثان وكان في قرية من قراها ساحر كان اهل
نجران يرسلون أولادهم اليه يعلمهم السحر فلما نزلها فيمون وهو رجل كان يعبد الله على
دين عيسى بن مريم عليه السلام فاذا عرف في قرية خرج منها الى غيرها وكان مجاب
الدعوة يبرئ المرضى وله كرامات فوصل نجران فسكن خيمة بين نجران وبين الساحر
فارسل التامر ابنه عبد الله مع الغلمان الى الساحر فاجتاز بفيمون فرأى ما عجبه من
صلاته فجعل يجلس اليه ويستمع منه فأسلم معه ووحد الله تعالى وعبده وجعل يسأله
عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه اياه وقال ان تحتمله والتامر يعتقد ان ابنه يختلف
الى الساحر مع الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن عليه بالاسم الاعظم عمد
الى قداح فكتب عليها أسماء الله جميعها ثم القاها في النار واحدا واحدا حتى اذا
القى القدح الذي عليه الاسم الاعظم وثب منها فلم تضره شيأ فأخذه وعاد الى صاحبه
فاخبره الخبر فقال له امسك على نفسك وما اظن ان تفعل فكان عبد الله لا يلقى أحدا اذا
أتى نجران به ضر الا قال يا عبد الله اتدخل في ديني حتى أدعو الله فيعافيك مما انت فيه
من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له عبد الله فيشفى حتى لم يبق احد من أهل
نجران ممن به ضر الا أتاه واتبعه ودعا له فعوفي فرفع شأنه الى ملك نجران فدعاه فقال له
أفسدت على اهل قريتي وخالفت ديني لامثلن بك فقال لا تقدر على ذلك فجعل يرسله الى
الجبل الطويل فيلقى من رأسه فيقع على الارض ليس به بأس فارسله الى مياه نجران وهي
بحور لا يقع فيها شئ الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال عبد الله بن التامر
انك لا تقدر على قتلي حتى توحد الله وتؤمن كما آمنت فانك اذا فعلت قتلتني فوحد الله
الملك ثم ضربه بعصا بيده فشجه شجة غير كبيرة فقتله فهلك الملك مكانه واجتمع اهل نجران
على دين عبد الله بن التامر قال فسار اليهم ذو نواس بجنوده فجمعهم ثم دعاهم الى اليهودية
وخيرهم بينها وبين القتل فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف
حتى قتل قريبا من عشرين ألفا وهم الذين أنزل الله فيهم قتل اصحاب الاخدود وقال ابن
عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له ذو نواس واسمه يوسف بن شرحبيل وكان
قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك
اني كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما اسمه عبد الله بن التامر ليعلمه
فجعل يختلف الى الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة فقعد اليه الغلام فاعجبه
أمره فكان اذا جاء الى المعلم يدخل الى الراهب فيقعد عنده فاذا جاء من عنده الى المعلم
ضربه وقال له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه دخل الى الراهب فضربه أبوه

يده على موضعه وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم واعلم ابا بكر وبلالا بقضيته وما يكون من أمره وسنذرهما عليه
من أهل الكتاب وباهلها ان
يرجعا به فرجعا برسول الله صلى الله
عليه وسلم الى مكة وأعلما قريشا
بما أظهر الله تعالى من دلائل نبوته
وعلامات رسالته صلى الله عليه
وسلم

*(الفصل الاربعون في ذكر محمد
عليه الصلاة والتسليم وهو آخر
الانبياء والمرسلين وانه كان نبيا
وآدم بين الماء والطين)*

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن
غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان
قال المسعودي في مروج الذهب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى
ان يتجاوز في نسبه عن معد فقد ثبت
ان يوقف في النسب على معد بن
عدنان فقط فالواجب الوقوف
عند أمره ونهيه صلى الله عليه
وسلم وأمه آمنة بنت وهب قد
اعطاها الله تعالى من الجمال
والكمال ما أعطاها وما كانت تدعى
الا حكيمة قومها وعن العباس
رضي الله عنه أن ليلة بنى عبد الله
بآمنة اصبنا ما بقي امرأة من بني
مخزوم وعبد شمس وعبد مناف
متن وخرجن من الدنيا ولم يتزوجن
اسفا على ما فاتهن من عبد الله
وفي نزهة النواظر ان اول من
سمى محمدا وأحمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأول عين تنظر
الى الله عز وجل هو النبي عليه السلام وهو اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفي عيون الاخبار رفعه

ويروى

في أهل الحاجة وكان سبب قتلهم ان قباذ كان كماذكرنا قد اتبع مزدك على دينه فيما دعاه اليه واطاعه في كل ما يأمره به من الزندقة وغيرها مما ذكرنا أيام قباذ وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى ذلك فابى فدعا الحرث بن عمرو الكندي فاجابه فسدد له ملكه وطرد المنذر عن مملكته وكانت أم انوشروان يوما بين يدي قباذ فدخل عليه مزدك فلما رأى ام انوشروان قال لقباذ ادفعها الى لاقضي حاجتي منها فقال دونكها فوثب اليه انوشروان ولم يزل يسأله ويتضرع اليه ان يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها فكان ذلك في نفسه وهلك قباذ على تلك الحال وملك انوشروان فجلس للملك ولما بلغ المنذر هلاك قباذ أقبل الى انوشروان وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه واتباع مزدك فان انوشروان كان منكرا لهذا المذهب كارها له ثم ان انوشروان أذن للناس اذنا عاما ودخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر فقال انوشروان اني كنت تمنيت امنيتين ارجو ان يكون الله عز وجل قد جمعهما لي فقال مزدك وما هما أيها الملك قال تمنيت ان املك واستعمل هذا الرجل الشريف يعني المنذر وان أقتل هذه الزنادقة فقال مزدك اوتستطيع ان تقتل الناس كلهم فقال وانك ههنا يا ابن الزانية والله ماذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قبلت رجلك الى يومي هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل منهم ما بين جازر الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم وسمي يومئذ أنوشروان وطلب انوشروان الحرث بن عمرو فبلغه ذلك وهو بالانبار فخرج هاربا في صحابته وماله وولده فمر بالثوية فتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء فلحق بأرض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فقدموا بهم على المنذر فضرب رقابهم بجفر الاميال في ديار بني مرين العباديين بين دير بني هند والكوفة فذلك قول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

ملوك من بني حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

ولما قتل انوشروان مزدك وأصحابه أمر بقتل جماعة ممن دخل على الناس في اموالهم ورد الاموال الى أهلها وامر بكل مولود اختلفوا فيه ان يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف ابوه وان يعطى نصيبا من ملك الرجل الذي يسند اليه اذا قبله الرجل وبكل امرأة غلبت على نفسها ان يؤخذ مهرها من الغالب ثم تخير المرأة بين الاقامة عنده وبين فراقه الا ان يكون لها زوج فترد اليه وامر بعيال ذوي الاحساب الذين مات قيمهم فانكح بناتهم الاكفاء وجهزهن من بيت المال وانكح نساءهم من الاشراف واستعان بابنائهم في اعماله وعمر الجسور والقناطر واصلح الخراب وتفقد الاساورة وأعطاهم وبنى في الطرق

رفع اصبعه كالمتضرع المبتهل ووجهه كالبدر وريحه يسطع كالمسك وهو مختون مسرور وكان ذلك في نهار الاثنين ثاني عشر ربيع الاول عام الفيل يوم عشرين لنيسان في شعب بني هاشم وفي شواهد النبوة انه لما وقع على الارض رفع رأسه وقال بلسان فصيح لا اله الا الله واني رسول الله ولما خافوا عليه من وباء مكة دفعوه الى حليمة السعدية ترضعه ولان النشو في البلاد المعروفة بطيب الهواء وقلة الرطوبة وعذوبة الماء له مدخل عظيم وتأثير بليغ في فصاحة المولود وكان ذلك عادة قريش ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أنا اعربكم انا من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر وكانت مشهورة بين العرب بكمال الجود وتمام الشرف فمكث عندها خمس سنين وكان يقبل على الثدي الايمن فيشرب منه ما شاء ويأبى اذا حولته حليمة الى الايسر فالهمه الله تعالى ان له شريكا فالهمه العدل وفي المنتقى قالت حليمة من العجائب انه ما رأيته بال ولا تغوط قط وكانت له طهارة ونظافة وفي السنة الثالثة من مولده وقع شق صدره المبارك وبقي اثر الشق ما بين مفرق صدره الى منتهى عانته وكان صلى الله عليه وسلم مقدما منعما بدنا أو وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم سهل الخدين واسع الجبين ضليع الفم مفلج الاسنان كأنها بياض اللؤلؤ كأن عنقه في صفاء الفضة عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين طويل الزندين رحب الراحة ششن الكفين والقدمين وداعة يديه الى الحال شعرة سوداء كثيرا

فاجتمعوا ولم يكن حرب غير انه ناوش شيأ من قتال ثم انهزموا ودخلها ارياط فلما رأى
ذو نواس ما نزل به وبقومه اقتحم البحر بفرسه فغرق ووطئ ارياط اليمن فقتل ثلث رجالها
وبعث الى النجاشي بثلث سباياهم ثم اقام بها واذل اهلها وقيل ان الحبشة لما خرجوا
الى المندب من ارض اليمن كتب ذو نواس الى اقيال اليمن يدعوهم الى الاجتماع على
عدوهم فلم يجيبوه وقالوا يقاتل كل رجل عن بلاده فصنع مفاتيح وحملها على عدة من
الابل ولقي الحبشة وقال هذه مفاتيح خزائن الاموال باليمن فهي لكم ولا تقتلوا
الرجال والذرية فأجابوه الى ذلك وساروا معه الى صنعاء فقال لكبيرهم وجه أصحابك
لقبض الخزائن فتفرق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح وكتب الى الاقيال بقتل كل ثور
اسود فقتلت الحبشة ولم ينج منهم الا الشريد فلما سمع النجاشي جهز اليهم سبعين ألفا مع
ارياط والاشرم فملك البلاد واقام بها سنين ونازعه ابرهة الاشرم وكان في جنده فمال اليه
طائفة منهم وبقي ارياط في طائفة وسار احدهما الى الآخر وارسل ابرهة انك ان
تصنع بان تلقى الحبشة بعضها على بعض شيأ فيهلكوا ولكن ابرز الي فأينا قهر صاحبه
استولى على جنده فتبارزا فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت على
رأسه فشرمت انفه وعينه فسمي الاشرم وحمل غلام لابرهة يقال له عتودة كان قد
تركه كمينا من خلف ارياط على ارياط فقتله واستولى ابرهة على الجند والبلاد وقال
لعتودة احتكم فقال لا تدخل عروس على زوجها من اليمن حتى أصيبها قبله فاجابه الى
ذلك فبقي يفعل بهم هذا الفعل حينا ثم عدا عليه انسان من اليمن فقتله فسر ابرهة بقتله
وقال لو علمت انه يحتكم هذا لم احكمه ولما بلغ النجاشي قتل ارياط غضب غضبا شديدا
وحلف لا يدع ابرهة حتى يطأ ارضه ويجز ناصيته فبلغ ذلك ابرهة فارسل الى النجاشي من
تراب اليمن وجز ناصيته وأرسلها ايضا وكتب اليه بالطاعة وارسال شعره وترابه ليبر قسمه
بوضع التراب تحت قدميه فرضي عنه واقره على عمله فلما استقر باليمن بعث الى أبي مرة
ذي يزن فاخذ زوجته ريحانة بنت ذي جدن ونكحها فولدت له مسروقا وكانت قد
ولدت لذي يزن ولدا اسمه معديكرب وهو سيف فخرج ذو يزن من اليمن فقدم الحيرة على
عمرو بن هند وسأله ان يكتب له الى كسرى كتابا يعلمه محله وشرفه وحاجته فقال اني اوفد
الى الملك كل سنة وهذا وقتها فأقام عنده حتى وفد معه ودخل الى كسرى معه فاكرمه
وعظمه وذكر حاجته وشكا ما يلقون من الحبشة واستنصره عليهم وأطمعه في اليمن
وكثرة مالها فقال له كسرى انوشروان اني لاحب ان أسعفك بحاجتك ولكن المسالك
اليها صعبة وسأنظر وأمر بانزاله فأقام عنده حتى هلك ونشأ ابنه معديكرب بن ذي يزن
في حجرة ابرهة وهو يحسب انه أبوه فسبه ابن لابرهة وسب أباه فسأل أمه عن أبيه فصدقته
وأقام حتى مات ابرهة وابنه يكسوم وسار عن اليمن ففعل ما نذكره ان شاء الله

(ذكر ملك كسرى انوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الاثيم)

لما لبس التاج خطب الناس فحمد الله واثنى عليه وذكر ما ابتلوا به من فساد أمورهم
ودينهم وأولادهم واعلمهم انه يصلح ذلك ثم أمر برؤس المزدكية فقتلوا وقسمت اموالهم

وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبوة وفي مسامرة الاخيار نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان
من دلائل الحمل بمحمد صلى الله
عليه وسلم ان كل دابة كانت
لقريش نطقت تلك الليلة وقالت
حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يبق في الدنيا كاهن ولا كاهنة
الا نزع علم الكهانة منهما ولم يبق
سرير ملك من ملوك الدنيا الا واصبح
منكوسا والملك مخرسا لا ينطق
يومه ومرت وحوش الشرق الى
وحوش الغرب بالبشارات وكذا
دواب البحر يبشر بعضهم بعضا
وفي كل شهر من شهور حمله ينادى
نداء في السماء ان أبشروا فقد آن
لابي القاسم ان يخرج الى الارض
ميمونا مباركا وكانت آمنة اذا
مشت في الدار كان الحجر يلين تحت
قدميها وغمامة النور تظلل على
رأسها والطيور تنزل من الجو تتبرك
بفؤادها وكانت اذا أرادت ان
تستقي من البئر يطلع الماء الى فم
البئر ويجري قدامها قالت آمنة
اتاني آت في المنام وقال لي يا آمنة
قد حملت بخير الرسل طرا فاذا
وضعتيه فقولي
اعيذه بالواحد * من شر كل حاسد
وقائم وقاعد * يأخذ بالمراصد
في طرق الموارد * وسميه محمدا فبقي
صلى الله عليه وسلم في بطن أمه
تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولا
مغصا ولا تحس بثقل ولا تشكو الحمل
قالت امنة لما جاءني المخاض جعلت
انظر الى النجوم تدلى علي حتى قلت
يقعن علي فلما وضعته خرج مني نور
أضاء له البيت وارتفع الى السماء
وامتلأ ما بين المشرق والمغرب حتى رأيت قصور بصرى ومدائن الروم فلما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد

في

وأمر فبنيت لهم مدينة الى جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة انطاكية واسكنهم اياها وهي التي تسمى الرومية وكوّرها خمسة طساسيج طسوج النهروان الاعلى وطسوج النهروان الاوسط وطسوج النهروان الاسفل وطسوج بادرايا وطسوج باكسايا واجرى على السبي الذين نقلهم اليها من انطاكية الارزاق وولى القيام بأمرهم رجلا من نصارى الاهواز ليستأنسوا به لموافقته في الدين وأما سائر مدن الشام ومصر فان غطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها اليه وضمن له فدية يحملها اليه كل سنة على ان لا يغزو بلاده فكانوا يحملونها كل عام وسار انوشروان من الروم الى الخزر فقتل منهم وغنم وأخذ منهم بثار رعيته ثم قصد اليمن فقتل فيها وغنم وعاد الى المدائن وقد ملك ما دون هرقلة وما بينه وبين البحرين وعمان وملك النعمان بن المنذر على الحيرة وأكرمه وسار نحو الهياطلة ليأخذ بثار جده فيروز وكان انوشروان قد صاهر خاقان قبل ذلك ودخل كسرى بلادهم فقتل ملكهم واستأصل اهل بيته وتجاوز بلخ وما وراء النهر وانزل جنوده فرغانة ثم عاد الى المدائن وغزا البرجان ثم رجع وأرسل جنده الى اليمن فقتلوا الحبشة وملكوا البلاد وكان ملكه ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر ملكه وقيل ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله لاربع وعشرين سنة مضت من ملك انوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين واربعين من ملكه قال هشام بن الكلبي ملك العرب من قبل ملوك الفرس بعد الاسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان سبع سنين ثم ملك بعده النعمان بن الاسود أربع سنين ثم استخلف ابو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي اللخمي ثلاث سنين ثم ملك المنذر بن امرئ القيس الكندي ولقب ذا القرنين لضفيرتين كانتا له وامه ماء السماء وهي ماوية ابنة عمرو بن جشم بن النمر بن قاسط تسعا وأربعين سنة ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر ست عشرة سنة قال ولثماني سنين وثمانية اشهر من ولايته ولد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أيام أنوشروان عام الفيل فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه الى سرنديب من بلاد الهند وهي ارض الجوهر قائدا من قواده في جند كثيف فقاتل ملكها فقتله واستولى عليها وحمل الى كسرى منها أموالا عظيمة وجواهر كثيرة ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى فجاءت اليها من بلاد الترك في ملك كسرى انوشروان فشق عليه ذلك واحضر موبذان موبذ وقال له قد بلغنا تساقط هذه السباع الى بلادنا وقد تعاظمنا ذلك فاخبرنا برأيك فيها فقال سمعت فقهاءنا يقولون متى لم يغلب العدل الجور في البلاد بل جار أهلها غزاهم أعداؤهم واتاهم ما يكرهون فلم يلبث كسرى ان اتاه ان فتيانا من الترك قد غزوا أقصى بلاده فأمر وزراءه وعماله ان لا يتعدوا فيما هم بسبيل العدل ولا يعملوا في شيء منها الا به ففعلوا ما أمرهم فصرف الله ذلك العدو عنهم من غير حرب

(ذكر ما فعله انوشروان بارمينية واذربيجان)

كانت ارمينية واذربيجان بعضها للروم وبعضها للخزر فبنى قباذ سورا ما بين بعض تلك الناحية فلما توفي وملك ابنه انوشروان وقوي أمره وغزا فرغانة والبرجان وعاد بنى مدينة

وبدت الابرة وقالت حليمة مرضعة النبي عليه السلام كانت تستضيء بوجهه بالليل من غير مصباح ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لا ظل له لانه نور كله قال القاضي في الشفاء كان صلى الله عليه وسلم لا ظل له في شمس ولا قمر ولا يقع الذباب على جسده ولا يمص دمه البعوض ولا أذاه قمل واذا أراد أن يتغوط انشقت له الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة وفي الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم اني لاراكم من خلفي كما أراكم من امامي تحريضا على تسوية الصفوف واذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وكان يعرف ذلك منه وكان اذا مشى مع الطويل طاله واذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين وكان اذا ركب دابة لا تروث ولا تبول وهو راكبها ولم يكن اقدمه اخمص وكانت الارض تطوى له اذا مشى وكان صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله الا كحبة رمل من رمال الدنيا وكان اذا نامت عيناه لا ينام قلبه وانه لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا ولا احتلم قط ولا تثاءب قط وشق قلبه في زمن الصبا مرتين وذلك لاستخراج حظ الشيطان وهو العلقة السوداء وغسله من أثرها حتى يكون طاهر القلب من نزغات الشيطان ومن اخلاقه الحميدة انه كان صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ غليظ ولا فحاش ولا صخاب ولا عتاب ولا قداح ولا عياب طعاما

القصور والحصون وتخير الولاة والعمال والحكام واقتدى بسيرة اردشير وارتجع بلادا كانت مملكة الفرس منها السند وسندوست والرخج وزابلستان وطخارستان وأعظم القتل في البازور وأجلى بقيتهم عن بلاده واجتمع الخزر وبخر وبلنجر واللان على قصد بلاده فقصدوا ارمينية للغارة على أهلها وكان الطريق سهلا فامهلهم كسرى حتى توغلوا في البلاد وأرسل اليهم جنودا فقاتلوهم فأهلكوهم ما خلا عشرة آلاف رجل أسروا فاسكنوا اذربيجان وكان لكسرى انوشروان ولد هو اكبر اولاده اسمه انوشزاد فبلغه عنه انه زنديق فسيره الى جنديسابور وجعل معه جماعة يثق بدينهم ليصلحوا دينه وادبه فبينما هم عنده اذ بلغه خبر مرض والده لما دخل بلاد الروم فوثب بمن عنده فقتلهم واخرج أهل السجون فاستعان بهم وجمع عنده جموعا من الاشرار فأرسل اليه نائب ابيه بالمدائن عسكرا فحصروه بجنديسابور وأرسل الخبر الى كسرى فكتب اليه يأمره بالجد في أمره واخذه اسيرا فاشتد الحصار حينئذ عليه ودخل العساكر المدينة عنوة فقتلوا بها خلقا كثيرا وأسروا انوشزاد فبلغه خبر جدته لامه الداور الرازى فوثب بعامل سجستان وقاتله فهزمه العامل فالتجأ الى مدينة الرخج وامتنع بها ثم كتب الى كسرى يعتذر ويسأله ان ينفذ اليه من يسلم له البلد ففعل وآمنه وكان الملك فيروز قد بنى بناحية صول واللان بناء يحصن به بلاده وبنى عليه ابنه قباد زيادة فلما ملك كسرى انوشروان بنى في ناحية صول وجرجان بناء كثيرا وحصونا حصن بها بلاده جميعها وان سجيور خاقان قصد بلاده وكان أعظم الترك واستمال الخزر والخز وبلنجر فاطاعوه فاقبل في عدد كثير وكتب الى كسرى يطلب منه الاتاوة ويتهدده ان لم يفعل فلم يجبه كسرى الى شئ مما طلب لتحصينه بلاده وان ثغر ارمينية قد حصنه فصار يكتفي بالعدد اليسير فقصد خاقان بلاده فلم يقدر على شئ منها وعاد خائبا وهذا خاقان هو الذى قتل وزر ملك الهياطلة وأخذ كثيرا من بلادهم

(ذكر ملك كسرى بلاد الروم)

كان بين كسرى انوشروان وبين غطيانوس ملك الروم هدنة فوقع بين رجل من العرب كان ملكه غطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من لخم كان ملكه كسرى على عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز يقال له المنذر بن النعمان فتنة فاغار خالد على ابن النعمان فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أمواله فكتب كسرى الى غطيانوس يذكره ما بينهما من العهد والصلح ويعلمه مالقى المنذر من خالد وسأله ان يأمر خالدا برد ما غنم الى المنذر ويدفع له دية من قتل من أصحابه وينصفه من خالد وانه ان لم يفعل انتقض الصلح ووالى الكتب الى غطيانوس في انصاف المنذر فلم يحفل به فاستعد كسرى وغزا بلاد غطيانوس في بضعة وسبعين الفا وكان طريقه على الجزيرة فاخذ مدينة دارا ومدينة الرها وعبر الى الشام فملك منبج وحلب وانطاكية وكانت أفضل مدائن الشام وفامية وحمص ومدنا كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى على ما فيها من الاموال والعروض وسبى اهل مدينة انطاكية ونقلهم الى أرض السواد

متواليات وقد افاد الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه انه لم يبعث الله نبيا الا وقد كانت له شامة النبوة في يده اليمنى الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة بين كتفيه وكان صلى الله عليه وسلم يمشي هونا واذا التفت التفت جميعا وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت احدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له وانا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث وكان لا ينطق في غير حاجة واذا تكلم يتكلم بجوامع الكلم واذا أشار اشار بكفه كلها وجل ضحكه التبسم وكان اذا جلس الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ولم يجعل له موضعا يعرف به قال انس بن مالك رضي الله عنه ما رأيت كفا ألين من كف النبي صلى الله عليه وسلم ولا شممت ريحا وعرقا اطيب منه ريحا وعرقا وفي صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم نام على فراش أم سليم وعرق واستنقع عرقه على نطع وكان كثير العرق فجعلت تاخذ العرق في قواريرها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنعين به يا ام سليم فقالت يا رسول الله عرقك نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب نرجو بركته لصبياننا فقال أصبت وفي مصدق المودة في شرح البردة نقلا عن جرير بن عبد الله قال كنت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فنظرت اليه والى البدر وكانت ليلة تمامه فوجدته رأيت وجهه أحسن من البدر وخاطت عائشة رضي الله عنها اشيا بليل فسقطت ابرتها او طفي سراجها فدخل صلي الله عليه وسلم فاضاء البيت من نوره حتى

وأمر

حتى انزله بالمغمس فلما انزله مات ابو رغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذي يرجم وبعث ابرهة الاسود بن مقصود الى مكة فساق أموال اهلها واصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ثم أرسل ابرهة حناطة الحميري الى مكة فقال سل عن سيد قريش وقل له اني لم آت لحربكم انما جئت اهدم هذا البيت فان لم تتعرضوا عنه فلا حاجة لي بقتالكم فلما بلغ عبد المطلب ما أمره قال له والله ما نريد حربه هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو يمنع بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع فقال له انطلق معي الى الملك فانطلق معه عبد المطلب حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان له صديقا فدل عليه وهو في محبسه فقال له هل عندك غناء فيما نزل بنا فقال وما غناء رجل اسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله ولكن أنيس سائس الفيل صديق لي فأوصيه بك واعظم حقك واسأله ان يستاذن لك على الملك فتكلمه بما تريد ويشفع لك عنده ان قدر قال حسبي فبعث ذو نفر الى أنيس فحضره وأوصاه بعبد المطلب واعلمه انه سيد قريش فكلم أنيس ابرهة وقال هذا سيد قريش يستأذن فأذن له وكان عبد المطلب رجلا عظيما جليلا وسيما فلما رآه ابرهة اجله وأكرمه ونزل عن سريره اليه وجلس معه على بساط واجلسه الى جنبه وقال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتي ان يرد على مائتي بعير أصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتني اتكلمني في ابلك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه قال عبد المطلب انا رب الابل وللبيت رب يمنعه قال ما كان ليمتنع مني وامر برد ابله فلما أخذها قلدها وجعلها هديا وبثها في الحرم لكي يصاب منها شيء فيغضب الله وانصرف عبد المطلب الى قريش واخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج معه من مكة والتحرز في رؤس الجبال خوفا من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

يارب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا فناكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمنع * رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
وان فعلت فانه * أمر تتم به فعالك
أنت الذي ان جاءبا * غ نرتجيك فذالك
ولوا ولم يحووا سوى * خزي وتهلكهم هنالك
لم اسمع يوما بار * جس منهم يبغوا قتالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكع * بتنا فأمر ما بدالك

عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت امها بنت تسمى فاطمة ماتت صغيرة وسافر صلى الله عليه وسلم الى الشام مع عمه أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ثم خرج مع ميسرة في تجارة خديجة وكان ابن خمس وعشرين سنة وبعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة وفي احاسن المحاسن لما ابتدأه الله تعالى بالنبوة كان اذا خرج لحاجته فلا يمر بحجر ولا شجر الا ويسلم عليه وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث واني لاعرفه الآن * (ومن معجزاته) * انشقاق القمر له نصفين نصفه فوق الجبل ونصفه دونه ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام القليل وحنين الجذع اليه واقرار الضب بنبوته ورسالته بين يديه ونزول العذق من النخلة مبادرا اليه وتظليل الغمامة عليه ومشي الشجرة اليه وتكليم الذراع المسمومة له واخباره بما كان وبما سيكون من الغيبيات واحتباس الشمس لاجله واحياء والديه واسلامهما والاسراء من مكة ليلا الى بيت المقدس الى السموات العلا حتى كان قاب قوسين او أدنى ووطؤه مكانا ما وطئه نبي مرسل ولا ملك مقرب واحياء الانبياء له وصلاته اماما بهم وبالملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني ربي ليلة أسري بي علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه وعلم خيرني فيه وعلم أمرني ان أبلغه فكان صلى الله عليه وسلم يسر الى ابي بكر وعمر وعثمان وعلي مما كان يسره الله به وفي مسامرة الاخبار انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه

الشابران ومدينة مسقط ومدينة الباب والابواب وانما سميت أبوابا لانها بنيت على طريق في الجبل واسكن المدن قوما سماهم السياسجين وبنى غير هذه المدن وبنى لكل باب قصرا من حجارة وبنى بارض جرزان مدينة سعدبيل وانزلها السغد وابناء فارس وبنى باب اللان وفتح جميع ما كان بايدي الروم من ارمينية وعمر مدينة اردبيل وعدة حصون وكتب الى ملك الترك يسأله الموادعة والاتفاق ويخطب اليه ابنته ورغب في صهره وتزويج كل واحد ابنة الآخر فاما كسرى فانه ارسل الى خاقان ملك الترك بنتا كانت قد تبنتها بعض نسائه وذكر انها ابنته وارسل ملك الترك ابنته واجتمعا فأمر أنوشروان جماعة من ثقاته ان يكبسوا اطرافا من عسكر الترك ويحرقوا فيه ففعلوا فلما أصبحوا شكا اليه ملك الترك ذلك فانكر ان يكون له علم به ثم أمر بمثل ذلك بعد ليال فضج التركي ثم رفق به انوشروان فاعتذر اليه ثم أمر انوشروان ان تلقى النار في ناحية من عسكره فيها اكواخ من حشيش فلما أصبح شكا الى التركي وقال كافأتني بالتهمة فحلف التركي انه لم يعلم بشيء من ذلك فقال انوشروان له ان جندنا قد كرهوا صلحنا لانقطاع العطاء والغارات ولا آمن ان يحدثوا حدثا يفسد قلوبنا فنعود الى العداوة والرأي ان تأذن لي في بناء سور يكون بيني وبينك نجعل عليه ابوابا فلا يدخل اليك الا من تريده ولا يدخل الينا الا من نريده فأجابه الى ذلك وبنى انوشروان السور من البحر والحقه برؤس الجبال وعمل عليه أبواب الحديد ووكل به من يحرسه فقيل لملك الترك انه خدعك وزوجك غير ابنته وتحصن منك فلم تقدر له على حيلة وملك انوشروان ملوكا رتبهم على النواحي فمنهم صاحب السرير وفيلان شاه والالكز ومسقط وغيرها ولم تزل ارمينية بأيدي الفرس حتى ظهر الاسلام فرفض كثير من السياسجين حصونهم ومدائنهم حتى خربت واستولى عليها الخزر والروم وجاء الاسلام وهي كذلك

(ذكر امر الفيل)

لما دام ملك ابرهة باليمن وتمكن بنى القليس بصنعاء وهي كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الارض ثم كتب الى النجاشي انى قد بنيت لك كنيسة لم ير مثلها ولست بمنته حتى اصرف اليها حاج العرب فلما تحدثت العرب بذلك غضب رجل من النسأة من بني فقيم فخرج حتى أتاها فقعد فيها وتغوط ثم لحق بأهله فأخبر بذلك ابرهة وقيل له انه فعل رجل من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة غضب لما سمع انك تريد صرف الحجاج عنه ففعل هذا فغضب ابرهة وحلف ليسيرن الى البيت فيهدمه وأمر الحبشة فتجهزت وخرج معه بالفيل واسمه محمود وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا وهي تتبع محمودا وانما وحد الله سبحانه الفيل لانه عنى كبيرها محمودا وقيل في عددهم غير ذلك فلما سار سمعت العرب به فاعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج عليه رجل من أشراف اليمن يقال له ذو نفر وقاتله فهزم ذو نفر وأخذ أسيرا فأراد قتله ثم تركه محبوسا عنده ثم مضى على وجهه فخرج عليه نفيل بن حبيب الخثعمي فقاتله فانهزم نفيل وأخذ أسيرا فضمن لابرهة ان يدله على الطريق فتركه وسار حتى اذا مر على الطائف بعثت معه ثقيف ابا رغال يدله على الطريق حتى

ا كان اذا اشتهاه أكله وان لم يشتهه تركه وكان رؤفا رحيما حليما لينا احيانا شفيقا رفيقا لطيفا واوصافه صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم من ان يحيط بها احد بوصفه ولكن ما وصفه من وصفه الا بقدر ما ظهر منه وذكر الترمذي في الشمائل نقلا عن قتادة رضي الله عنه قال ما بعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت فكان نبيكم صلى الله عليه وسلم أحسن الانبياء وجها وأحسن صوتا وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ما عددت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا اربع عشرة شعرة بيضاء عن أبي هريرة قال قالوا يا رسول الله نراك قد شبت قال شيبتني هود وأخواتها كذا في مصابيح المصابيح قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي معاوية رضي الله عنه اني قصرت من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة بمشقص فكان معاوية اول من قص من شعره الشريف وفي المظهر شرح المصابيح انه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه ثم دعا أبا طلحة الانصاري فأعطاه اياه فقال له اقسمه بين الناس وانما قسمه ليكون بركة باقية بين أظهرهم وتذكرة لهم ومعجزة باقية لانه لم تحرقه النار اذا ألقي فيها ذكر أهل التاريخ والسير انه صلى الله عليه وسلم اقام في بني سعد خمس سنين ومات أبوه عبد الله في المدينة وهو في بطن امه ثم توفيت أمه في الابواء وكفله جده عبد المطلب فتوفي فكفله عمه أبو طالب * (مسئلة) * هل كان للنبي صلى الله عليه وسلم أخ من أبيه وأمه فقيل لم يكن لعبد الله ولد الا هو منه ولد

عيناه فكان لا يبصر بهما شيئاً فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن

(ذكر عود اليمن الى حمير واخراج الحبشة عنه)

لما هلك يكسوم ملك اليمن أخوه مسروق بن ابرهة وهو الذي قتله وهرز فلما اشتد البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن وكنيته ابو مرة وقيل كنية ذي يزن ابو مرة حتى قدم على قيصر وشكى كسرى لابطائه عن نصرابه فانه كان قصد كسرى انوشروان لما أخذت زوجته يستنصره على الحبشة فوعده فأقام ذو يزن عنده فمات على بابه وكان ابنه سيف مع امه في حجر ابرهة وهو يحسب انه ابنه فسبه ولد لابرهة وسب أباه فسأل امه عن أبيه فأعلمته خبره بعد مراجعة بينهما فأقام حتى مات ابرهة وابنه يكسوم ثم سار الى الروم فلم يجد عند ملكهم ما يحب لموافقته الحبشة في الدين فعاد الى كسرى فاعترضه يوماً وقد ركب فقال له ان لي عندك ميراثاً فدعا به كسرى لما نزل فقال له من انت وما ميراثك قال أنا ابن الشيخ اليماني الذي وعدته النصرة فمات ببابك فتلك العدة حق لي وميراث فرق كسرى له وقال له بعدت بلادك عنا وقل خيرها والمسلك اليها وعر ولست اغرر بجيشي وأمر له بمال فخرج وجعل ينثر الدراهم فانتهبها الناس فسمع كسرى فسأله ما حمله على ذلك فقال لم آتك للمال وانما جئتك للرجال ولتمنعني من الذل والهوان وان جبال بلادنا ذهب وفضة فأعجب كسرى بقوله وقال يظن المسكين انه اعرف ببلاده مني واستشار وزراءه في توجيه الجند معه فقال له موبذان موبذ أيها الملك ان لهذا الغلام حقا بنزوعه اليك وموت أبيه ببابك وما تقدم من عدته بالنصرة وفي سجونك رجال ذوو نجدة وبأس فلو ان الملك وجههم معه فان أصابوا ظفرا كان للملك وان هلكوا فقد استراح واراح اهل مملكته منهم فقال كسرى هذا الرأي فأمر بمن في السجون فأحضروا فكانوا ثمانمائة فقود عليهم قائدا من اساورته يقال له وهرز وقيل بل كان من اهل السجون سخط عليه كسرى لحدث احدثه فحبسه وكان يقيد بألف اسوار وأمر بحملهم في ثماني سفن فركبوا البحر فغرق سفينتان وخرجوا بساحل حضرموت ولحق بابن ذي يزن بشر كثير وسار اليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحمير والاعراب وجعل وهرز البحر وراء ظهره واحرق السفن لئلا يطمع أصحابه في النجاة واحرق كل ما معهم من زاد وكسوة الا ما أكلوا وما على ابدانهم وقال لاصحابه انما أحرقت ذلك لئلا يأخذه الحبشة ان ظفروا بكم وان نحن ظفرنا بهم فسنأخذ أضعافه فان كنتم تقاتلون معي وتصبرون اعلموني ذلك وان كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي حتى يخرج من ظهري فانظروا ما حالكم اذا فعل رئيسكم هذا بنفسه قالوا بل نقاتل معك حتى نموت او نظفر وقال لسيف بن ذي يزن ما عندك قال ما شئت من رجل عربي وسيف عربي ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا او نظفر جميعا قال انصفت فجمع اليه سيف من استطاع من قومه فكان أول من لحقه السكاسك من كندة وسمع بهم مسروق بن ابرهة فجمع اليه جنده فعبى وهرز أصحابه وأمرهم أن يوتروا قسيهم وقال اذا أمرتكم بالرمي فارموا رشقا واقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاه وهو على فيل وعلى رأسه تاج وبين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة لا يرى دونها شيأ وكان وهرز كل بصره فقال أروني عظيمهم فقالوا هذا صاحب الفيل ثم ركب فرسا فقالوا ركب فرسا ثم انتقل الى بغلة

ثمانين سنة وهذا باب لا يحاط به خصوصا في انقلاب الاعيان ببركة لمسه * ومما يتعلق بصبره على الجوع واعراضه عن حطام الدنيا ما رواه الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه بأسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال صلى الله عليه وسلم يا أمين رب العالمين هل أمر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن أمر اسرافيل ان ينزل اليك حين سمع كلامك فأتاه فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرني ان أعرضها عليك وان أسير معك بجبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان شئت فكن نبيا ملكا وان شئت فكن نبيا عبدا فاومأ اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته العالية كيف عرضت عليه خزائن الارض فأعرض عنها وأباها مع انه لو أخذها لم ينفقها الا في طاعة الله لكنه اختار العبودية المحضة فناهيا من همة شريفة رفيعة ما أسناها ونفس زكية كريمة ما أبهاها

(ذكر شأن البردة النبوية والخاتم وغيره)

قال صاحب المواهب بسنده الى أبي عمرو بن العلاء ان كعب بن زهير لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته بانت سعاد رمى اليه بردة كانت عليه فلما كان

وسلم دحية الكلبي الى قيصر يدعوه الى توحيد ١٨٠ الله تعالى وكان بطريق بيت المقدس واقفا عند رأسه فذكر قصة الاسراء فقال البطريق قد عرفت تلك الليلة فنظر اليه قيصر وقال ما علمك بهذا قال كنت لا انام كل ليلة حتى اغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب كلها غير باب واحد فلم استطع ان أحركه فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا هذا باب سقط عليه النجاف والبنيان فلا نستطيع أن نحركه فتركت الباب مفتوحا فلما أصبحت غدوت عليه فاذا الحجر الذي من زاوية المسجد مثقوب واذا فيه أثر مربط الدابة قلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا لنبي يصلي فيه وكان الاسراء على أصح الاقوال حال اليقظة وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية اشهر وعشرين يوما فلا ينبغي ان ينكر لان خرق العادات أساس اثبات النبوات ومما برأ بكفه الشريف ان قتادة اصيبت عينه يوم أحد وسالت على وجنته فردها صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فالصقت واصيب يوم بدر خبيب بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه وجاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثعّ فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فبرئ ومما روي عن حبيب ان أباه فديك ابيضت *(ديه)

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل ابرهة بمكة اذا دخل فلما اصبح ابرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمودا وابرهة مجمع لهدم البيت والعود الى اليمن فلما وجهوا الفيل اقبل نفيل بن حبيب الخثعمي فمسك باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فالقى الفيل نفسه الى الارض واشتد نفيل فصعد الجبل فضربوا الفيل فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل كذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فسقط الى الارض وأرسل الله عليهم طيرا أبابيل من البحر امثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة احجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه فقذفتهم بها وهي مثل الحمص والعدس لا تصيب أحدا منهم الا هلك وليس كلهم أصابت وأرسل الله سيلا ألقاهم في البحر وخرج من سلم مع ابرهة هاربا يبتدرون الطريق الذي جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضا

الا حييت عنا يا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا
أتانا قابس منكم عشاء * فلم يقدر لقابسكم لدينا
ردينة لو رأيت ولا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت رأيي * ولم تأسي لما قد فات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن علي للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل منهل وأصيب ابرهة في جسده فسقطت اعضاؤه عضوا عضوا حتى قدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فلما هلك ملك ابنه يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى وذلت حمير واليمن له ونكحت الحبشة نساءهم وقتلوا رجالهم واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب ولما أهلك الله الحبشة وعاد ملكهم ومعه من سلم منهم ونزل عبد المطلب من الغد اليهم لينظر ما يصنعون ومعه ابو مسعود الثقفي لم يسمعا حسا فدخلا معسكرهم فرأيا القوم هلكى فاحتفر عبد المطلب حفرتين ملأهما ذهبا وجوهرا له ولابي مسعود ونادى في الناس فتراجعوا فأصابوا من فضلهما شيأ كثيرا فبقي عبد المطلب في غنى من ذلك المال حتى مات وبعث الله السيل فالقى الحبشة في البحر وقال كثير من أهل السير ان الحصبة والجدري أول ما رؤيا في العرب بعد الفيل وكذلك قالوا ان العشر والحرمل والشيح لم تعرف بارض العرب الا بعد الفيل وهذا مما لا ينبغي ان يعرج عليه فان هذه الامراض والاشجار قبل الفيل مذ خلق الله العالم ولما رد الله الحبشة عن الكعبة وأصابهم ما أصابهم عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل عنهم ثم مات يكسوم وملك بعده أخوه مسروق

مثل ما يعرف انا فهلوا فلنتفق على ائتلاف انا لا نعظم شيأ من الحل كما نعظم الحرم فانا اذا فعلنا ذلك استخفت العرب بنا وبحرمنا وقالوا قد عظمت قريش من الحل مثل ما عظمت من الحرم فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرى سائر العرب ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها وقالوا نحن أهل الحرم فلا نعظم غيره ونحن الحمس والحمس اهل الحماسة الشدة لانهم تشددوا في دينهم وجعلوا لمن ولد واحدة من نسائهم من العرب ساكني الحل مثل ما لهم بولادتهم ودخل معهم في ذلك كنانة وخزاعة وعامر لولادتهم ثم ابتدعوا فقالوا لا ينبغى للحمس ان يعملوا الاقط ولا يسلوا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا الا فى بيوت الادم ما كانوا حرما وقالوا ولا ينبغى لاهل الحل ان يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل فى الحرم اذا جاؤا حجاجا او عمارا ولا يطوفوا بالبيت طوافهم اذا قدموا الا فى ثياب الحمس فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة فان انف احد من عظمائهم ان يطوف عريانا اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه ألقاها اذا فرغ من الطواف ولا يمسها هو ولا أحد غيره وكانوا يسمونها اللقى فدانت العرب لهم بذلك فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم ويتركون ازوادهم التى جاؤا بها من الحل ويشترون من طعام الحرم ويأكلونه هذا فى الرجال واما النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلها الا درعها مفرجا ثم تطوف فيه وتقول

اليوم يبدو بعضه او كله * وما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فنسخه فافاض من عرفات وطاف الحجاج بالثياب التى معهم من الحل وأكلوا من طعام الحل فى الحرم أيام الحج وانزل الله تعالى فى ذلك ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم أراد بالناس العرب أمر قريشا ان يفيضوا من عرفات وانزل الله تعالى فى اللباس والطعام الذى من الحل وتركهم اياه فى الحرم يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا الى قوله لقوم يعلمون

(ذكر حلف المطيبين والاحلاف)

قد ذكرنا ما كان قصى اعطى ولده عبد الدار من الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ثم ان هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا بنى عبد مناف بن قصى رأوا انهم احق بذلك من بنى عبد الدار لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم وارادوا أخذ ذلك منهم فتفرقت عند ذلك قريش كانت طائفة مع بنى عبد مناف وطائفة مع بنى عبد الدار يرون انه لا يجوز ان يؤخذ منهم ما كان قصى جعله لهم اذ كان امر قصى فيهم شرعا متبعا لمعرفة منهم لفضله وتيمنا بأمره وكان صاحب أمر بنى عبد مناف بن قصى عبد شمس لانه كان أكبرهم وكان صاحب بنى عبد الدار الذى قام فى المنع عنهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فاجتمع بنو اسد بن عبد العزى بن قصى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر بن مالك بن النضر مع بنى عبد مناف واجتمع بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر من

كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين وعنها قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه من أدم حشوه ليف وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء وعمامته سوداء ولواؤه اسود كذا فى عيون التواريخ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة وكان فى يده ثم كان فى يد أبى بكر ثم عمر ثم فى يد عثمان حتى وقع فى بئر أريس نقشه محمد رسول الله وكان يتختم فى يمينه وكان اذا دخل الخلاء نزع خاتمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل قبل ان ينام بالاثمد ثلاثا فى كل عين وقال ان خيرا كحالكم الاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر

(فى ذكر ركابه وسلاحه)

كان له صلى الله عليه وسلم ثلاث نياق الجدعاء والعضباء والقصواء وستة افراس السكب والمرتجز والظرب واللحيف والورد واليعسوب وسيوفه ستة ذو الفقار والمخذم والرسوب والعضب والبتار والحتف وادراعه ثلاثة السعدية وفضة وذات الفضول وقسيه ثلاثة الروحاء والصفراء والبيضاء ورماحه ثلاثة لم يعلم اسمها الا احد وكان له ترس واحد وروى ابن سعد فى طبقاته ان النبى صلى الله عليه وسلم اهدى له ترس فيه تمثال كبش فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال واسم جبته الدكناء واسم عمامته السحاب واسم لوائه العقاب واسم قصعته الغراء وكان يحملها أربعة رجال فيها أربع

فقالوا اركب بغلك فقال وهرز ذل وذل ملكه وقال وهرز ارفعوا الى حاجبي وكانا قد سقطا على عينيه من الكبر فرفعوهما له بعصابة ثم جعل نشابة في كبد قوسه وقال اشيروا الى مسروق فأشاروا اليه فقال لهم سارميه فان رأيتم أصحابه وقوفا لم يتحركوا فاثبتوا حتى اوذنكم فاني قد اخطأت الرجل وان رأيتموهم قد استداروا ولاذوا به فقد اصبته فاحملوا عليهم ثم رماه فاصاب السهم بين عينيه ورمى أصحابه فقتل مسروق وجماعة من أصحابه فاستدارت الحبشة بمسروق وقد سقط عن دابته وحملت الفرس عليهم فلم يكن دون الهزيمة شيء وغنم الفرس من عسكرهم مالا يعد ولا يحصى وقال وهرز كفوا عن العرب واقتلوا السودان ولا تبقوا منهم أحدا وهرب رجل من الاعراب يوما وليلة ثم التفت فرأى في جعبته نشابة فقال لامك الويل ابعد طول مسير وسار وهرز حتى دخل صنعاء وغلب على بلاد اليمن وأرسل عماله في المخاليف وكان مدة ملك الحبشة اليمن اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ملوك ارياط ثم أبرهة ثم ابنه يكسوم ثم مسروق بن ابرهة وقيل كان ملكهم نحو اثنتين وثلاثين سنة وقيل غير ذلك والاول أصح فلما ملك وهرز اليمن أرسل الى كسرى يعلمه بذلك وبعث اليه بأموال وكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن وبعضهم يقول معديكرب بن سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها وفرض عليه كسرى جزية وخراجا معلوما في كل عام فملكه وهرز وانصرف الى كسرى واقام سيف على اليمن ملكا يقتل الحبشة ويبقر بطون الحبالى عن الحمل ولم يترك منهم الا القليل جعلهم خولا فاتخذ منهم جمازين يسعون بين يديه بالحراب فمكث غير كثير ثم انه خرج يوما والحبشة يسعون بين يديه بحرابهم فضربوه بالحراب حتى قتلوه فكان ملكه خمس عشرة سنة ووثب بهم رجل من الحبشة فقتل باليمن وافسد فلما بلغ ذلك كسرى بعث اليهم وهرز في أربعة آلاف فارس وأمره ان لا يترك باليمن اسود ولا ولد عربية من اسود ومن شرك فيه اسود قتله وأقبل حتى دخل اليمن ففعل ما أمره وكتب الى كسرى يخبره فأقره على ملك اليمن فكان يجبيها لكسرى حتى هلك وأمر بعده كسرى ابنه المرزبان بن وهرز حتى هلك ثم امر بعده كسرى التينجان بن المرزبان ثم أمر بعده خرخرة بن التينجان بن المرزبان ثم ان كسرى ابرويز غضب عليه فأحضره من اليمن فلما قدم تلقاه رجل من عظماء الفرس فالقى عليه سيفا كان لابي كسرى فأجاره كسرى بذلك من القتل وعزله عن اليمن وبعث باذان الى اليمن فلم يزل عليها حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل ان انوشروان استعمل بعد وهرز زرين وكان مسرفا اذا أراد ان يركب قتل قتيلا ثم سار بين أوصاله فمات انوشروان وهو على اليمن فعزله ابنه هرمز وقد اختلفوا في ولاة اليمن للاكاسرة اختلافا كثيرا لم أر لذكره فائدة

(ذكر ما أحدثته قريش بعد الفيل)

لما كان من أمر أصحاب الفيل ما ذكرناه عظمت قريش عند العرب فقالوا لهم أهل الله وقطنه يحامي عنهم فاجتمعت قريش بينها وقالوا نحن بنو ابراهيم عليه السلام وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنو مكة فليس لاحد من العرب مثل منزلتنا ولا يعرف العرب لاحد

مثل

زمن معاوية دفع لهم عشرة آلاف درهم قال فلما مات كعب بعث معاوية الى أولاده بعشرين الف درهم وأخذ منهم البردة وقد كانت هذه البردة لم تزل عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على اكتافهم في المواكب والاعياد جلوسا وركوبا وكانت على المستعصم لما خرج الا لقاء هلاكو كبير التتار وقضيب النبي صلى الله عليه وسلم بيده فأخذهما منه هلاكو وأحرقهما في طبق والقى رمادهما في دجلة وقال اني ما أحرقتهما استهانة بهما وانما أحرقتهما تطهيرا لهما كما سيأتي بيان ذلك في محله ان شاء الله تعالى وذكر الذهبي في تاريخه ان البردة التي كانت عند الخلفاء هي البردة التي اعطاها صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك لاهل أيلة مع كتابه الذي كتبه لهم بالامان فاشتراها أبو العباس السفاح بثلثمائة دينار وأفاق انها هي البردة التي وصلت لسلاطين بني عثمان فهي اليوم عندهم يتباركون بها ويسقون ماءها المريض فيبرأ باذن الله تعالى واتخذ لها المرحوم السلطان مراد خان تغمده الله بالرحمة والغفران صندوقا من ذهب زنته

مثقال فوضعها فيه تعظيما لها وأما البردة التي اشتراها معاوية ففقدت عند زوال ملك بني امية وقيل كفن فيها معاوية وعن عروة بن الزبير ان ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمي طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر فهو الذي كان عند الخلفاء وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخرجت الينا عائشة رضي الله عنها

وبهامش أصله بياض في كل النسخ

فهل نقال كسرى ما غلظ علينا امر نريد به اصلاح دولتنا من كلام كسرى الشكر والنعمة عدلان ككفتي الميزان أيهما رجح بصاحبه احتاج الاخف الى ان يزاد فيه حتى يعادل صاحبه فاذا كانت النعم كثيرة والشكر قليلا انقطع الحمد فكثير النعم يحتاج الى كثير من الشكر وكلما زيد فى الشكر ازدادت النعم وجاوزته ونظرت فى الشكر فوجدت بعضه بالقول وبعضه بالفعل ونظرت احب الاعمال الى الله فوجدته الشئ الذى اقام به السموات والارض وأرسى به الجبال واجرى به الانهار وبرأ به البرية وهو الحق والعدل ولزمته ورأيت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التى بها قوام الحياة للناس والدواب والطير وجميع الحيوانات ولما نظرت فى ذلك وجدت المقاتلة اجراء لاهل العمارة وأهل العمارة اجراء للمقاتلة فاما المقاتلة فانهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لدفعهم عنهم وجهادهم من ورائهم فحق على أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم فان العمارة والامن والسلامة فى النفس والمال لا يتم الا بهم ورأيت ان المقاتلة لا يتم لهم المقام والاكل والشرب وتثمير الاموال والاولاد الا بأهل الخراج والعمارة فأخذت للمقاتلة من أهل الخراج ما يقوم بأودهم وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم ما يقوم بمؤنتهم وعمارتهم ولم أجحف بواحدة من الجانبين ورايت المقاتلة واهل الخراج كالعينين المبصرتين واليدين المتساعدتين والرجلين على أيهما دخل الضرر تعدى الى الاخرى ونظرنا فى سير آبائنا فلم نترك منها شيأ يقترن بالثواب من الله والذكر الجميل بين الناس والمصلحة الشاملة للجند والرعية الا عمدناه ولا فسادا الا أعرضنا عنه ولم يدعنا الى حب ما لا خير فيه حب الآباء ونظرت فى سير أهل الهند والروم وأخذنا محمودها ولم تنازعنا أنفسنا الى ما تميل اليه اهواؤنا وكتبنا بذلك الى جميع أصحابنا ونوابنا فى سائر البلدان فانظر الى هذا الكلام الذى يدل على زيادة العلم وتوفر العقل والقدرة على منع النفس ومن كان هذا حاله استحق ان يضرب به المثل فى العدل الى أن تقوم الساعة وكان لكسرى أولاد متأدبون فجعل الملك من بعده لابنه هرمز وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وذلك لمضى اثنتين وأربعين سنة من ملكه وفى هذا العام كان يوم ذى جبلة وهو يوم من أيام العرب المذكورة

(ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال قيس بن مخرمة وقثاث بن اشيم وابن عباس وابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل قال ابن الكلبي ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربع وعشرين سنة مضت من سلطان كسرى انوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين واربعين من سلطانه وارسله الله تعالى لمضى اثنتين وعشرين من ملك كسرى ابرويز بن كسرى هرمز بن كسرى انوشروان وهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك ابرويز قال ابن اسحق ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وكان مولده بالدار التى تعرف بدار ابن يوسف قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها عقيل بن أبى طالب فلم تزل فى يده حتى توفى فباعها ولده من

والثانى زهراء والثالث طاهرة والرابع مطهرة والخامس فاطمة قالت عائشة كانت تخيط وتغزل وتنظم الابرة بالليل فى ضوء وجه فاطمة وقالت اذا أقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لا تحيض قط لانها خلقت من تفاح الجنة ولقد وضعت الحسن بعد العصر وطهرت من نفاسها فاغتسلت وصلت المغرب ولذلك سميت الزهراء وفى عيون الاخبار نقلا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر التقبيل لفاطمة رضى الله عنها فقالت له عائشة بأبى أنت وامى انى أراك تكثر تقبيل فاطمة فقال عليه السلام ان جبريل ليلة أسرى بى أدخلنى الجنة واطعمنى من جميع ثمارها فصار ذلك ماء فى صلبى فحملت منى خديجة بفاطمة فاذا اشتقت الى تلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من ريح تلك الثمار التى أكلتها * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما كانت الليلة التى زفت فيها فاطمة الى على بن ابى طالب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامها وجبريل عن يمينها وميكائيل عن شمالها وسبعون ألف ملك من خلفها يسبحون الله تعالى ويقدسونه حتى طلع الفجر * وعن النبى عليه السلام انه قال يا فاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك * وعن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا اهل الجمع نكسوا رؤسكم وغضوا ابصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط قال فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور

ذلك فلم يكونوا مع أحد الفريقين وعقد كل طائفة بينهم حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة فاخرجت بنو عبد مناف بن قصي جفنة مملوءة طيبا قيل ان بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها في المسجد وغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا وتعاقدوا ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا بذلك المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم من القبائل عند الكعبة على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف ثم تصافوا للقتال واجمعوا على الحرب فبينما هم على ذلك اذ تداعوا للصلح على ان يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وان تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار فاصطلحوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجزوا عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الاسلام وهم على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف في الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة ولا حلف في الاسلام فولي السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف لان عبد شمس كان كثير الاسفار قليل المال كثير العيال وكان هاشم موسرا جوادا وكان ينبغي ان نذكر هذا قبل الفيل وما احدثه قريش وانما أخرناه لالزوم تلك الحوادث بعضها لبعض

(ذكر ما فعله كسرى في أمر الخراج والجند)

كان ملوك الفرس يأخذون من غلات كورهم قبل ملك كسرى انوشروان في خراجها من بعضها الثلث ومن بعضها الربع وكذلك الخمس والسدس على قدر شربها وعمارتها ومن الجزية شيأ معلوما فأمر الملك قباذ بمسح الارضين ليصح الخراج عليها فمات قبل الفراغ من ذلك فلما ملك انوشروان أمر باستتمام ذلك ووضع الخراج على الحنطة والشعير والكرم والرطب والنخل والزيتون والارز على كل نوع من هذه الانواع شيأ معلوما ويؤخذ في السنة في ثلاثة انجم وهي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب وكتب كسرى الى القضاة في البلاد نسخة بالخراج ليمنع العمال من الزيادة عليه وأمر ان يوضع عمن أصابت غلته جائحة بقدر جائحته والزم الناس الجزية ما خلا العظماء وأهل البيوتات والجند والهرابذة والكتاب ومن في خدمة الملك كل انسان على قدره اثني عشر درهما وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم واسقطها عمن لم يبلغ عشرين سنة او جاوز خمسين سنة ثم ان كسرى ولي رجلا من الكتاب من الكفاة والنبلاء اسمه بابك عرض جيشه فطلب من كسرى التمكن من شغله الى ذلك فتقدم ببناء مصطبة موضع عرض الجيش وفرشها ثم نادى ان يحضر الجند بسلاحهم وكراعهم للعرض فحضروا فلم ير معهم كسرى امرهم بالانصراف ففعل ذلك يومين ثم امر فنودي في اليوم الثالث أن لا يتخلف احد ولا من اكرم بتاج وسرير فسمع كسرى فحضر وقد لبس التاج والسلاح ثم أتى بابك ليعرض عليه فرأى سلاحه تاما ما عدا وترين للقوس كان عادتهم ان يستظهروا بهما فلم يرهما بابك معه فلم يجز على اسمه وقال له هلم كلما يلزمك فذكر كسرى الوترين فتعلقهما ثم نادى منادي بابك وقال للكمي السيد الكماة أربعة آلاف درهم وأجاز على اسمه فلما قام عن مجلسه حضر عند كسرى يعتذر اليه من غلظته عليه وذكر له ان أمره لا يتم الا بما

حافر من حديد واسم بغلته دلدل واسم حماره يعفور وذكر ابن عساكر في تاريخه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه
وسلم خيبر اصاب حمارا اسود فكلم الحمار النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخرج الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا لا يركبهم الا نبي وقد كنت اتوقعك لتركبني ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وكنت عند رجل يهودي وكنت اعثر به لئلا يركبني فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا ولا يخفى على كل ذي لب ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الجمال وتناسب الاعضاء وسلامته من العيوب وما كان من العبادة والعلم والحلم وكل خصلة حميدة ولو تتبع ذلك لضاقت عن حصره الدفاتر وكلت دون مرماه الاقلام وجفت المحابر ولله در القائل

أيجيد مخلوق ثناءك بعدما
أثنى عليك الهنا الخلاق

(ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم)

الذكور القاسم وبه كان يكنى ثم الطيب ثم الطاهر وعبد الله وابراهيم والاناث منهم أكبرهن رقية ثم زينب ثم ام كلثوم ثم فاطمة وجميع أولاده من خديجة غير ابراهيم فانه من مارية القبطية سرية اهداها المقوقس ملك الاسكندرية

(ذكر فضائل فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها)

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها الانها كانت زاهدة عابدة وكانت تذكره من خديجة وكانت لها اسماء تدعى بها أحدها البتول

فعل

ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كان ابني
ينام قبل ذلك وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب منها ثم شرب حتى روي ثم
سقاني فشربت حتى شبعنا قالت يقول لي صاحبي تعلمين والله يا حليمة لقد أخذت نسمة
مباركة قالت والله لارجو ذلك قالت ثم خرجنا فركبت أتاني وحملته عليها فلم يلحق شيء من
حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لي يا ابنة ابي ذؤيب اربعي علينا أليست هذه أتانك التي
كنت خرجت عليها فأقول بلى والله انها هي فيقلن ان لها لشأنا ثم قدمنا منازلنا من بني
سعد وما اعلم ارضا من أرض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا شباعا
لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة ولا يجدها في ضرع حتى ان كان الحاضر من
قومنا ليقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب فتروح
أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة من لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف البركة من الله
والزيادة في الخير حتى مضت سنتان وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه
حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه عندنا لما كنا نرى من
بركته فكلمنا أمه في تركه عندنا فأجابت قالت فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به بأشهر
مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا اخوه يشتد فقال لي ولابيه ذلك أخي القرشي قد
جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه وشقا بطنه وهما يسوطانه قالت فخرجنا نشتد
فوجدناه قائما ممتقعا وجهه قالت فالتزمته أنا وأبوه وقلنا له ما لك يا بني قال جاءني رجلان
فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا به شيئا لا ادري ما هو قالت فرجعنا الى خبائنا وقال لي أبوه
والله لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك قالت
فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما اقدمك يا ظئر به وقد كنت حريصة على مكثه عندك
قالت قلت قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي وتخوفت عليه الاحداث فأديته اليك
كما تحبين قالت ما هذا بشأنك فاصدقيني ولم تدعني حتى أخبرتها قالت فتخوفت عليه
الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني لشأنا أفلا اخبرك قلت
بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من الشام ثم حملت به
فوالله ما رأيت من حمل قط كان اخف منه ولا أيسر ثم وقع حين وضعته وانه لواضع يديه
بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة * وكانت مدة رضاع رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنتين وردته حليمة الى أمه وجده عبد المطلب وهو ابن خمس سنين
في قول وقال شداد بن أوس بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شيخ من
بني عامر وهو مالك قومه وسيدهم شيخ كبير متوكئا على عصا فمثل قائما وقال يا ابن عبد
المطلب اني أنبئت انك تزعم انك رسول الله أرسلك بما ارسل به ابراهيم وموسى وعيسى
وغيرهم من الانبياء الا وانك فهت بعظيم الا وقد كانت الانبياء من بني اسرائيل وأنت ممن
يعبد هذه الحجارة والاوثان وما لك وللنبوة وان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولك وبدو
شأنك فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم مسائلته ثم قال يا أخا بني عامر اجلس فجلس فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ان حقيقة قولي وبدو شأني دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي

ان القمر وقع عليها من السماء فما مضى كثير حتى مات زوجها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم تزوج بعائشة)

وفي السمعيات انه تزوج بعائشة رضي الله عنها بعد وفاة خديجة (ومن ازواجه حفصة) بنت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه روي انه طلقها فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله يأمرك أن تراجع حفصة فانها صوامة قوامة فراجعها (وام سلمة) واسمها هند بنت أبي ابن المغيرة وهي آخر من مات من أزواجه بعده (ومنهن زينب) بنت جحش توفيت بالمدينة سنة عشرين وهي اولهن وفاة (ومنهن ام حبيبة) واسمها رملة بنت ابي سفيان (وزينب) بنت خزيمة وهي ام المساكين توفيت في حياته بالمدينة ولم تلبث عنده الا شهرين أو ثلاثة (ومنهن ميمونة) بنت الحرث وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل الواهبة نفسها خولة بنت حكيم (ومنهن جويرية) بنت الحرث سباها النبي عليه السلام في غزوة المريسيع وتزوجها (ومنهن صفية) بنت حيي بن أخطب سباها يوم خيبر فهؤلاء احدى عشرة امرأة دخل بهن النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف

(ذكر فضائل خديجة الكبرى ام المؤمنين رضي الله عنها)

كان يحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا شديدا وكان صلى الله عليه وسلم سافر لتجارتها مع عبدها ميسرة الى مدينة بصرى قبل ان يدخل بها وأنفق مالها في سبيل الله تعالى بعد ان تزوجها ولم يزل يذكرها بخير بعد وفاتها حتى اخذت عائشة منها الغيرة فقالت يوما يا رسول الله هل هي الا عجوز وقد بدلك

محمد بن يوسف اخي الحجاج فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف وادخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجدا يصلى فيه وقيل ولد لعشر خلون منه وقيل للياتين خلتا منه * قال ابن اسحق ان آمنة ابنة وهب ام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث انها أتيت في منامها لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع بالارض قولي أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من ارض الشام فلما وضعته أرسلت الى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه * وقال عثمان بن أبي العاص حدثتني امي انها شهدت ولادة امنة ابنة وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما شئ انظر اليه من البيت الا نور واني لانظر النجوم تدنو حتى اني لاقول لتقعن علي * واول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة مولاة ابي لهب بلبن ابن له يقال له مسروح وكانت قد ارضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي فكانت ثويبة تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فيكرمها وتكرمها خديجة فأرسلت الى أبي لهب ان يبيعها اياها لتعتقها فأبى فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أعتقها ابو لهب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث اليها بالصلة الى ان بلغه خبر وفاتها منصرفه من خيبر فسأل عن ابنها مسروح فقيل توفي قبلها فسأل هل لها من قرابة فقيل لم يبق لها أحد * ثم ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثويبة حليمة بنت ابي ذؤيب واسمه عبد الله بن الحرث بن شجنة من بني سعد بن بكر بن هوازن واسم زوجها الذي ارضعته بلبنه الحرث بن عبد العزى واسم اخوته من الرضاعة عبد الله وأنيسة وجذامة وهي الشيماء عرفت بذلك وكانت الشيماء تحضنه مع أمها حليمة وقدمت حليمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فاكرمها ووصلها وتوفيت قبل فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فلما فتح مكة قدمت عليه أخت لها فسألها عنها فاخبرته بموتها فذرفت عيناه فسألها عن خلفت فاخبرته فسألته نحلة وحاجة فوصلها وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كانت حليمة السعدية تحدث أنها خرجت من بلدها مع نسوة يلتمسن الرضعاء وذلك في سنة شهباء لم تبق شيأ قالت فخرجت على أتان لنا قمراء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلتنا اجمع من صبينا الذي معي من بكائه من الجوع وما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذوه ولكنا نرجو الغيث والفرج فلقد أدمت أتاني بالركب حتى شق عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك انا انما نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم فما عسى أن تصنع أمه وجده فما بقيت امرأة معي الا أخذت رضيعا غيري فلما اجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي وكان معي اني لاكره ان أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قال افعلي فعسى أن الله يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت فأخذته فلما اخذته ووضعته في حجري أقبل عليه

العين كر البرق وقد ورد في الخبر انها لما سمعت بأن اباها زوجها وجعل الدراهم مهرا لها فقالت يا رسول الله ان بنات الناس يتزوجن بالدراهم فما الفرق بيني وبينهن اسألك ان تردها وتدعو الله تعالى ان يجعل مهري الشفاعة في عصاة امتك فنزل جبريل عليه السلام ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من امة أبيها فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت وقالت اذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي وشفعت في عصاة امة ابي ولما احتضرت اغتسلت بنفسها وأوصت أن لا يغسلها احد فدفنها علي رضي الله عنه بغسلها ذلك كذا في كشف الغمة للشيخ عبد الوهاب الشعراني

بمحمد وبنته وبعلها
وابنيهما السبطين أعلام الهدى
فرج عن المكروب واكشف غمه
يا خير من رفع العباد له يدا

(ذكر ازواجه امهات المؤمنين) كانت عدة ازواجه خمس عشرة دخل باحدى عشرة منهن ولم يدخل بأربع وتوفيت في حياته اثنتان وقبض عليه السلام عن تسع (فأولهن خديجة) بنت خويلد كان صداقها عشرين بكرة لم ينكح عليها امرأة حتى ماتت وكان تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهور فهي أول من آمنت من النساء (وتزوج بعد وفاتها سودة) بنت زمعة بن قيس روى انها رأت في المنام ان النبي عليه السلام أتاها ووضع رجله على رقبتها فلما انتبهت أخبرت زوجها قال صدقت أنا أموت ويتزوجك محمد ورأت رؤيا أخرى

ثديائي

دينكم ويحلقن أمركم ولما أتيتكم بدين لم تسمعوا بمثله قط فانتزعتني ظئري منه وقالت لا أنت
ابنى واعتذر من ابنى هذا فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتليه ثم ردونى الى أهلى
فأصبحت مفزعا مما فعل بى وأثر الشق ما بين صدرى الى عانتى كأنه الشراك فذلك حقيقة
قولى وبدو شأنى يا أخا بنى عامر فقال العامرى اشهد بالله الذى لا اله الا هو ان امرك حق
أنبئنى بأشياء اسألك عنها قال سل قال اخبرنى ما يزيد فى العلم قال التعلم قال فما يدل على
العلم قال النبى صلى الله عليه وسلم السؤال قال فأخبرنى ماذا يزيد فى الشر قال التمادى
قال اخبرنى هل ينفع البر مع الفجور قال نعم التوبة تغسل الحوبة والحسنات يذهبن
السيآت واذا ذكر العبد الله عند الرخاء أعانه عند البلاء فقال العامرى فكيف ذلك
قال ذلك بأن الله عز وجل يقول وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا اجمع له خوفين
ان خافنى فى الدنيا أمنته يوم اجمع عبادى فى حظيرة القدس فيدوم له امنه ولا أمحقه فيمن
امحق وان هو أمننى فى الدنيا خافنى يوم اجمع فيه عبادى لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه
قال يا ابن عبد المطلب اخبرنى الى ما تدعو قال أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن
تخلع الانداد وتكفر باللات والعزى وتقر بما جاء من عند الله من كتاب ورسول وتصلى
الصلوات الخمس بحقائقهن وتصوم شهرا من السنة وتؤدى زكاة مالك يطهرك الله تعالى
بها ويطيب لك مالك وتحج البيت اذا وجدت اليه سبيلا وتغتسل من الجنابة وتؤمن
بالموت والبعث بعد الموت وبالجنة والنار قال يا ابن عبد المطلب فاذا فعلت ذلك فمالى فقال
النبى صلى الله عليه وسلم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى
فقال هل مع هذا من الدنيا شئ فانه يعجبنى الوطأة من العيش قال النبى صلى الله عليه وسلم
نعم النصر والتمكين فى البلاد فأجاب وأناب قال ابن اسحق هلك عبد الله بن عبد المطلب أبو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وام رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد
مناف بن زهرة حامل به قال هشام بن محمد توفى عبد الله أبو رسول الله بعد ما أتى على رسول
الله ثمانية وعشرون يوما وقال الواقدى أثبت عندنا ان عبد الله بن عبد المطلب أقبل من
الشام فى عير لقريش ونزل بالمدينة وهو مريض فأقام حتى توفى ودفن بدار النابغة الصغرى
قال ابن اسحق وتوفيت أمه آمنة وله ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة كانت قدمت به
المدينة على اخواله من بنى النجار تزيره اياهم فماتت وهى راجعة وقيل انها أتت المدينة
تزور قبر زوجها عبد الله ومعها رسول الله وام أيمن حاضنة رسول الله فلما عادت ماتت
بالابواء وقيل ان عبد المطلب زار أخواله من بنى النجار وحمل معه آمنة ورسول الله فلما
رجع توفيت بمكة ودفنت فى شعب ابى ذر والاول أصح ولما سارت قريش الى أحد هموا
باستخراجها من قبرها فقال بعضهم ان النساء عورة وربما أصاب محمد من نسائكم
فكفهم الله بهذا القول اكراما لام النبى صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وتوفى عبد
المطلب ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين وقيل ابن عشر سنين ولما مات
عبد المطلب صار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجر عمه أبى طالب بوصية من عبد
المطلب اليه بذلك لما كان يرى من بره وشفقته وحنوه عليه فيصبح ولد أبى طالب
غمصا رمصا ويصبح رسول الله صقيلا دهينا

رضى الله عنها قال حدثتنى المرأة الصادقة بنت الصديق حبيبة النبى 189 صلى الله عليه وسلم روى عن عمرو بن العاص
قالت قالت يا رسول الله أى الناس
أحب اليك فقال عائشة قالت
ومن الرجال قال ابوها قال عروة
ما رأيت احدا من الناس اعلم
بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال
ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث ولا
بنسب من عائشة رضى الله عنها
* عن حرب بن نوفل قال ارسل ازواج
النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة الى
النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذنت
فى الدخول عليه وهو مضطجع
مع عائشة فى مرطها فأذن لها
فقالت يا رسول الله ان أزواجك
ارسلننى اليك يسألنك العدل فى
ابنة ابن أبى قحافة فقال لها يا رسول
الله ألست تحبين ما احب قالت
بلى قال فأحبى هذه * وفى صحيح
البخارى عن عائشة قالت مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى
وتوفى ورأسه بين سحرى ونحرى
وفى رواية بين حاقنتى وذاقنتى
وجمع الله بين ريقه وريقى عند
موته وذلك لانها كانت تلين
السواك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم * قال عروة رأيت عائشة رضى
الله عنها تقسم سبعين ألف درهم
وترقع ثوبها قال مصعب بن سعد
فرض عمر رضى الله عنه لامهات
المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة
ألفين وقال انها حبيبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم * وكانت وفاتها
سنة ثمان وخمسين من الهجرة
بالمدينة ودفنت بالبقيع وصلى
عليها ابو هريرة وكان فى ايام معاوية
قد قاربت السبعين *(ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم)* قال صاحب المختصر فى اخبار البشر لما قدم رسول الله صلى الله عليه

عنى وكنت بكراً مى وحملتنى كأثقل ما تحمل النساء ثم رأت فى منامها ان الذى فى بطنها نور قالت فجعلت اتبع بصرى النور وهو يسبق بصرى حتى اضاءت لى مشارق الارض ومغاربها ثم انها ولدتنى فنشأت فلما نشأت بغضت الىّ الاوثان والشعر فكنت مسترضعا فى بنى سعد بن بكر فبينما انا ذات يوم منتبذا من اهلى مع أتراب من الصبيان اذ أتانا ثلاثة رهط معهم طست من ذهب مملوء ثلجا فأخذونى من بين اصحابى فخرج اصحابى هرابا حتى انتهوا الى شفير الوادى ثم أقبلوا على الرهط فقالوا ما أربكم الى هذا الغلام فانه ليس له أب وماردّ عليكم قتله فلما رأى الصبيان الرهط لا يردّون جوابا انطلقوا مسرعين الى الحىّ يؤذنونهم بى ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم فأضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وأنا انظر اليه لم اجد لذلك مسا ثم أخرج احشاء بطنى فغسلها بالثلج فانعم غسلها ثم اخرج قلبى فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة منه كأنه يتناول شيأ فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبى فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فتنحى عنى فأمر يده ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فانهضنى انهاضا لطيفا ثم قال للاول الذى شق بطنى زنه بعشرة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنته بأمته كلهم لرجح بهم ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينىّ ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرّت به عينك قال فبينا نحن كذلك اذ أنا بالحى قد جاؤا بحذافيرهم واذا ظئرى أمام الحى تهتف بأعلى صوتها وهى تقول يا ضعيفاه قال فانكبوا علىّ يعنى الرهط وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئرى يا وحيداه فانكبوا على فضمونى الى صدورهم وقبلوا ما بين عينى وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك ثم قالت ظئرى يا يتيماه استضعفت من بين اصحابك فقتلت لضعفك فانكبوا على وضمونى الى صدورهم وقبلوا ما بين عينى وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما يراد بك من الخير قال فوصلوا الى شفير الوادى فلما ابصرت بى ظئرى قالت يا بنى الا أراك حيا بعد فجاءت حتى انكبت على وضمتنى الى صدرها فو الذى نفسى بيده انى لفى حجرها وقد ضمتنى اليها وان يدى فى يد بعضهم فجعلت التفت اليهم وظننت ان القوم يبصرونهم يقول بعض القوم ان هذا الغلام أصابه لمم أو طائف من الجن انطلقوا به الى كاهننا حتى ينظر اليه ويداويه فقلت ما هذا ليس بى شئ مما يذكر ان ارادتى سليمة وفؤادى صحيح ليس فى قلبة فقال أبى من الرضاع ألا ترون كلامه صحيحا انى لارجو أن لا يكون بابنى بأس فاتفقوا على ان يذهبوا بى الى الكاهن فذهبوا بى اليه فلما قصوا عليه قصتى قال اسكتوا حتى اسمع من الغلام فانه أعلم بأمره منكم فقصصت عليه أمرى من أوله الى آخره فلما سمع قولى وثب الىّ وضمنى الى صدره ثم نادى بأعلى صوته يا للعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه فو اللات والعزى لئن تركتموه فأدرك ليبدلن

الله خيرا منها فقال لا والله ما عوضنى الله ١٨٨ خيرا منها آمنت بى والناس كذبونى وبذلت مالها دونى والناس منعونى فانها كانت وكانت قالت عائشة نويت ان لا اذكرها الا بخير * روى أبو هريرة قال أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتتك باناء فيه ادام وطعام وشراب فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب توفيت بمكة وعمرها اربع وستون سنة وشهور ودفنت فى المعلاة

(ذكر فضائل عائشة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها)

ذكر فى عيون الاخبار ان جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة بصورة عائشة فى حريرة وقال يأمرك ربك أن تتزوج بكرا هذه صورتها قالت عائشة رضى الله عنها تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت سبع ودخل بى وأنا بنت تسع سنين ومات وأنا بنت ثمانية عشرة سنة وذلك بعد الهجرة بسبعة اشهر وتسعة ايام وكان صداقها اربعمائة درهم * عن عروة عن ابيه قال كان الناس يقدمون هداياهم يوم عائشة فاجتمع زوجات النبى عليه السلام وقالوا لام سلمة قولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الناس أن يهدوا له حيث كان فذكرت ذلك ام سلمة للنبى عليه السلام فأعرض عنها ثم قال يا ام سلمة لا تؤذينى فى عائشة فانه والله ما نزل علىّ وحى وأنا فى لحاف امرأة غيرها وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لو كانت امرأة خليفة لكانت عائشة واذا حدث عن عائشة

دينكم

العرب شنوا الغارة على السواد فارسل هرمز بهرام خشنش ويعرف بجوبين في اثني عشر ألفا من المقاتلة اختارهم من عسكره فسار مجدا وواقع شابه ملك الترك فقتله برمية رماها واستباح عسكره ثم وافاه برموده بن شابه فهزمه أيضا وحصره في بعض الحصون حتى استسلم فارسله الى هرمز أسيرا وغنم ما في الحصن فكان عظيما ثم خاف بهرام ومن معه هرمز فخلعوه وساروا نحو المدائن وأظهروا ان ابنه ابرويز اصلح للملك منه وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز وكان غرض بهرام ان يستوحش هرمز من ابنه ابرويز ويستوحش ابنه منه فيختلفا فان ظفر ابرويز بأبيه كان أمره على بهرام سهلا وان ظفر أبوه نجا بهرام والكلمة مختلفة فينال من هرمز غرضه وكان يحدث نفسه بالاستقلال بالملك فلما علم ابرويز ذلك خاف أباه فهرب الى أذربيجان فاجتمع عليه عدة من المرازبة والاصبهبذين ووثب العظماء بالمدائن وفيهم بندويه وبسطام خالا ابرويز فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه تحرجا من قتله وبلغ ابرويز الخبر فاقبل من أذربيجان الى دار الملك وكان مملكة هرمز احدى عشرة سنة وتسعة أشهر وقيل اثنتي عشرة سنة ولم يسمل من ملوك الفرس غيره لا قبله ولا بعده * ومن محاسن السير ما حكي عنه أنه لما فرغ من بناء داره التي تشرف على دجلة مقابل المدائن عمل وليمة عظيمة وأحضر الناس من الاطراف وأكلوا ثم قال لهم هل رأيتم في هذه الدار عيبا فكلهم قال لا عيب فيها فقام رجل وقال فيها ثلاثة عيوب فاحشة احدها ان الناس يجعلون دورهم في الدنيا وأنت جعلت الدنيا في دارك فقد أفرطت في توسيع صحونها وبيوتها فتمكن الشمس في الصيف والسموم فيؤذي ذلك أهلها ويكثر فيها في الشتاء البرد والثاني ان الملوك يتوصلون في البناء على الانهار لتزول همومهم وافكارهم بالنظر الى المياه ويترطب الهواء وتضيء أبصارهم وأنت قد تركت دجلة وبنيتها في القفر والثالث أنك جعلت حجرة النساء مما يلي الشمال من مساكن الرجال وهو أدوم هبوبا فلا يزال الهواء يجيء بأصوات النساء وريح طيبهن وهذا ما تمنعه الغيرة والحمية فقال هرمز اما سعة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافر فيه البصر وشدة الحر والبرد يدفعان بالخيش والملابس والنيران وأما مجاورة الماء فكنت عند أبي وهو يشرف على دجلة فغرقت سفينة تحته فاستغاث من بها اليه وأبي يتأسف عليهم ويصيح بالسفن التي تحت داره ليلحقوهم فالى أن يلحقوهم غرق جميعهم فجعلت في نفسي أني لا أجاور سلطانا هو أقوى مني واما عمل حجرة النساء في جهة الشمال فقصدنا به ان الشمال أرق هواء وأقل وخامة والنساء يلازمن البيوت فعملنا لذلك وأما الغيرة فان الرجال لا يخلون بالنساء وكل من يدخل هذه الدار انما هو مملوك وعبد لقيم وأما أنت فما أخرج هذا منك الا بغض لي فأخبرني عن سببه فقال الرجل لي قرية ملك كنت أنفق حاصلها على عيالي فغلبني المرزبان فأخذها مني فقصدتك أتظلم منذ سنتين فلم أصل اليك فقصدت وزيرك وتظلمت اليه فلم ينصفني وأنا أؤدي خراج القرية حتى لا يزول اسمي عنها وهذا غاية الظلم ان يكون غيري يأخذ دخلها وأنا أؤدي خراجها فسأل هرمز وزيره فصدقه وقال خفت أن الملك فيؤذيني المرزبان فأمر هرمز أن يؤخذ من

الرفيق الاعلى فعلمت انه قد خير فلم يخترنا وكان يحدثنا انه لا يموت نبي حتى يخير في البقاء في الدنيا او اللحاق بالله تعالى واستأذن عليه ملك الموت ولم يستأذن على احد قبله * وفي حياة الحيوان ان اسماء بنت عميس زوجة الصديق وضعت يدها بين كتفيه فقالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رفع الخاتم من بين كتفيه وبه عرف موته صلى الله عليه وسلم لانه لم يتغير عما كان في حياته * وتوفي يوم الاثنين ضحوة النهار لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وتولى غسله حسبما أوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه والعباس والفضل وقثم ابنا العباس واسامة ابن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا يصبان الماء عليه من بئر أريس من وراء الستر واعينهم معصوبة لحديث علي رضي الله عنه لا يغسلني الا انت فانه لا يرى أحد عورتي الا طمست عيناه كذا في الشفاء * واختلفوا في نزع قميصه فسمعوا صوتا لا تنزعوا عنه قميصه وكان يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأبي انت وامي طبت حيا وميتا ولم ير منه ما يرى من ميت * وكفن في ثلاثة اثواب ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء انه اختلف المهاجرون والانصار في محل دفنه فمنهم من قال ندفنه بمكة بلده التي ولد فيها وقال آخرون بل بمسجده وقال آخرون بل بالبقيع وقال آخرون بل بيت المقدس مدفن الانبياء فما وجدوا عند احد من ذلك علما فقال ابو بكر الصديق سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي يقبض الا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه فرجعوا الى كلامه ودفنوه ليلة

(ذكر قتل تميم بالمشقر)

قال هشام ارسل وهرز باموال وطرف من اليمن الى كسرى فلما كانت ببلاد تميم صعصعة ابن ناجية دعا المجاشعي جد الفرزدق الشاعر بني تميم الى الوثوب عليها فابوا فقال كأني ببني بكر بن وائل وقد انتهبوا فاستعانوا بها على حربكم فلما سمعوا ذلك وثبوا عليها واخذوها وأخذ رجل من بني سليط يقال له النطف خرجا فيه جوهر فكان يقال اصاب كنز النطف فصار مثلا وصار أصحاب العير الى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فكساهم وحملهم وسار معهم حتى دخل على كسرى فاعجب به كسرى ودعا بعقد من در فعقد على راسه فمن ثم سمي هوذة ذا التاج وسأله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه وبينهم سلم فقال لا بيننا الا الموت قال قد أدركت ثأرك وأراد ارسال الجنود الى تميم فقيل له ان ماءهم قليل وبلادهم بلاد سوء وأشير عليه ان يرسل الى عامله بالبحرين وهو ازاد فيروز بن جشنس الذي سمته العرب المكعبر وانما سمي بذلك لانه كان يقطع الايدي والارجل فامره بقتل بني تميم ففعل ووجه اليه رسولا ودعا هوذة وجدد له كرامة وصلة وأمره بالسير مع رسوله فاقبلا الى المكعبر ايام اللقاط وكانت تميم تصير الى هجر للميرة واللقاط فامر المكعبر مناديا ينادي ليحضر من كان ههنا من بني تميم فان الملك قد أمر لهم بميرة وطعام فحضروا ودخلوا المشقر وهو حصن فلما دخلوا قتل المكعبر رجالهم واستبقى غلمانهم وقتل يومئذ قعنب الرياحي وكان فارس يربوع وجعل الغلمان في السفن وعبر بهم الى فارس قال هبيرة بن حدير العدوي رجع الينا بعدما فتحت اصطخر عدة منهم وشد رجل من بني تميم يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعها وخرج واستوهب هوذة من المكعبر مائة أسير منهم فاطلقهم (حدير بضم الحاء المهملة وفتح الدال)

(ذكر ملك ابنه هرمز بن أنوشروان)

وكانت أمه ابنة خاقان الاكبر لما ملك كسرى أنوشروان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة فملك بعده هرمز وكان هرمز بن كسرى أديبا ذا نية في الاحسان الى الضعفاء والحمل على الاشراف فعادوه وابغضوه وكان في نفسه مثل ذلك وكان عادلا بلغ من عدله أنه ركب ذات يوم الى ساباط المدائن فاجتاز بكروم فاطلع أسوار من أساورته في كرم وأخذ منه عناقيد حصرم فلزمه حافظ الكروم وصرخ فبلغ من خوف الاسوار من عقوبة كسرى هرمز أن دفع الى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب عوضا من الحصرم فتركه وقيل كان مظفرا منصورا لا يمد يده الى شيء الا ناله وكان داهيا ردي النية قد نزع الى اخواله الترك وانه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل ولم يكن له رأي الا في تألف السفلة وحبس كثيرا من العظماء واسقطهم وحط مراتبهم وحرم الجنود ففسد عليه كثير من كان حوله وخرج عليه شابه ملك الترك في ثلثمائة ألف مقاتل في سنة ست عشرة من ملكه فوصل هراة وباذغيس وارسل الى هرمز والفرس يأمرهم باصلاح الطرق ليجوز الى بلاد الروم ووصل ملك الروم في ثمانين ألفا الى الضواحي قاصدا له ووصل ملك الخزر الى الباب والابواب في جمع عظيم فان جماعة من

وسلم من حجة الوداع اقام بالمدينة وابتدأ مرضه لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة وهو في بيت زينب بنت جحش وكان يدور على نسائه فيهن وهو في بيت ميمونة بنت الحرث واستأذنهن في ان يمرض في بيت احداهن فأذن له ان يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فانتقل اليها وكان في ايام مرضه يصلي بالناس وانما انقطع ثلاثة ايام فأول ما انقطع قال مروا أبا بكر فليصل بالناس وكانت صلاة العشاء فلما صلى ابو بكر رضي الله عنه بعض الصلاة وجد في نفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة فدعا بعلي والعباس وانكب عليهما وخرج الى المسجد ففرح الناس بذلك فعرف ابو بكر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حضر الصلاة فنكص عن صلاته فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظهره وقال صل بالناس وجلس الى جنبه فصلى قاعدا وابو بكر قائما يقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة ابي بكر وروى نافع أنه صلى في مرضه ذلك خلف ابي بكر ولم يصل خلف احد غيره * ولما احتضر صلى الله عليه وسلم ورأى حزن بنته فاطمة رضي الله عنها قال لها أبشري أنك أول اهلي لحاقا بي وأنك تكونين سيدة نساء هذه الامة او نساء المؤمنين وكان عنده قدح فيه ماء يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعني على سكرات الموت وفي رواية ان للموت سكرات * قالت عائشة وثقل رأسه صلى الله عليه وسلم في حجري فنظرت في وجهه واذا بصره قد شخص وهو يقول بل

العرب

المدائن وخرج بهرام جوبين نحوه فجرى بينهما حرب شديدة فقتل فيها الفارس الرومى الذى يعد بالف فارس ثم انهزم بهرام جوبين وسار الى الترك وسار ابرويز من المعركة ودخل المدائن وفرق الاموال فى الروم فبلغت جملتها عشرين ألف ألف فاعادهم الى بلادهم واقام بهرام جوبين عند الترك مكرما فارسل ابرويز الى زوجة الملك واجزل لها الهدية من الجواهر وغيرها وطلب منها قتل بهرام فوضعت عليه من قتله فاشتد قتله على ملك الترك ثم علم ان زوجته قتلته فطلقها ثم ان ابرويز قتل بندويه واراد قتل بسطام فهرب منه الى طبرستان لحصانتها فوضع ابرويز عليه فقتله وأما الروم فانهم خلعوا ملكهم موريق بعد أربع عشرة سنة من ملك ابرويز وقتلوه وملكوا عليهم بطريقا اسمه فوقاس فأباد ذرية موريق سوى ابن له هرب الى كسرى ابرويز فارسل معه العساكر وتوجه وملكه على الروم وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قواده واساورته أما أحدهم فكان يقال له بوران وجهه فى جيش منها الى الشام فدخلها حتى انتهى الى البيت المقدس فاخذ خشبة الصليب التى تزعم النصارى ان المسيح عليه السلام صلب عليها فارسلها الى كسرى ابرويز وأما القائد الثانى فكان يقال له شاهين فسيره فى جيش آخر الى مصر فافتتحها وارسل مفاتيح الاسكندرية الى ابرويز واما القائد الثالث وهو أعظمهم فكان يقال له فرخان وتدعى مرتبته شهريراز وجعل مرجع القائدين الاولين اليه وكانت والدته مجيبة لا تلد الانجيبا فاحضرها ابرويز وقال لها انى أريد ان اوجه جيشا الى الروم استعمل عليه بعض بنيك فاشيرى على أيهم استعمل فقالت اما فلان فاروغ من ثعلب واحذر من صقر واما فرخان فهو انفذ من سنان واما شهريراز فهو أحلم من كذى فقال قد استعملت الحليم فولاه أمر الجيش فسار الى الروم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع أشجارهم وسار فى بلادهم الى القسطنطينية حتى نزل على خليجها القريب منها ينهب ويغير ويخرب فلم يخضع لابن موريق احد ولا اطاعه غير ان الروم قتلوا فوقاس لفساده وملكوا عليهم بعده هرقل وهو الذى أخذ المسلمون الشام منه ولما رأى هرقل ما أهم الروم من النهب والقتل والبلاء تضرع الى الله تعالى ودعاه فرأى فى منامه رجلا كث اللحية رفيع المجلس عليه بزة حسنة فدخل عليهما داخل فالقى ذلك الرجل من مجلسه وقال لهرقل انى قد أسلمته فى يدك فاستيقظ ولم يقص رؤياه فرأى فى الليلة الثانية ذلك الرجل جالسا فى مجلسه وقد دخل الرجل الثالث وبيده سلسلة فالقاها فى عنق ذلك الرجل وسلمه الى هرقل وقال قد دفعت اليك كسرى برمته فاغزه فانك مدال عليه وبالغ أمنيتك فى أعدائك فقص حينئذ هذه الرؤيا على عظماء الروم فاشاروا عليه ان يغزوه فاستعد هرقل واستخلف ابنا له على القسطنطينية وسلك غير الطريق الذى عليه شهريراز وسار حتى اوغل فى بلاد ارمينية وقصد الجزيرة فنزل نصيبين فارسل اليه كسرى جندا وأمرهم بالمقام بالموصل وأرسل الى شهريراز يستحثه على القدوم عليه ليتظافرا على قتال هرقل وقيل فى مسيره غير هذا وهو ان شهريراز سار الى بلاد الروم ووطئ الشام حتى وصل الى اذرعات والتقى بجيوش الروم بها فهزمها وظفر بها وسبى وغنم وعظم شأنه ثم ان فرخان اخا

هذه القصة وشعره لم يبليا وقد بلى دينه لكنهم لم تظن ان الامر ينتهى الى ما انتهى اليه وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا من الصحابة قال صاحب فردوس الاخبار يخرج نور النبى عليه السلام من قبره وهو النور الذى يراه الناس فيتلالا فوقه ثم ينقسم ستة وأربعين قسما فيصير كل قسم منه الى رجل من أمته فيصير عاشقا ولا يزال هكذا الى يوم القيامة وفى نزهة النواظر ان الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بان ينزل عليه سبعون ألف ملك كل يوم فى فجره يحفون بتربته الزكية الثناء ويصلون عليه الى المساء ثم يصعدون ويأتى مثلهم

٢ على نوبتهم فى الكرامة ابلا ونهارا الى يوم القيامة واختلف الصحابة فى ميراثه صلى الله عليه وسلم فما وجدوا عند أحد من ذلك علما

٣ فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة

الباب الثانى فى ذكر الخلفاء الراشدين والائمة المهديين رضوان الله عليهم أجمعين وفيه أربعة فصول

(الفصل الاول فى ذكر أبى بكر الصديق معدن الهدى والتصديق رضى الله عنه)

وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام مرضه وابن عمه الاعلى وصهره ووزيره وسيد اسلاق بعده وكان كبير الشان زاهدا خاشعا اماما حليما وقورا شجاعا صابرا رؤفا اسمه عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب القرشى التيمى يلتقى مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة

المرزبان ضعف ما أخذ وان يستخدمه صاحب القرية في أي شغل شاء سنتين وعزل وزيره
وقال في نفسه اذا كان الوزير يراقب الظالم فالحرى ان غيره يراقبه فأمر باتخاذ صندوق
وكان يقفله ويختمه بخاتم ويتركه على باب داره وفيه خرق يلقى فيه رقاع المتظلمين وكان
يفتحه كل اسبوع ويكشف المظالم فأفكر وقال اريد اعرف ظلم الرعية ساعة فساعة فاتخذ
سلسلة طرفها في مجلسه في السقف والطرف الآخر خارج الدار في روزنة وفيها جرس
وكان المتظلم يحرك السلسلة فيحرك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته

(ذكر مملكة كسرى ابرويز بن هرمز)

وكان من أشد ملوكهم بطشا وانفذهم رأيا وبلغ من البأس والنجدة وجمع الاموال ومساعدة الاقدار ما لم يبلغه ملك قبله ولذلك لقب ابرويز ومعناه المظفر وكان في حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين الى ابيه أنه يريد الملك لنفسه فلما علم ذلك سار الى أذربيجان سرا وقيل غير ذلك وقد تقدم فلما وصلها بايعه من كان بها من العظماء واجتمع من بالمدائن على خلع ابيه فلما سمع ابرويز بادر الوصول الى المدائن قبل بهرام جوبين فدخلها قبله ولبس التاج وجلس على السرير ثم دخل الى أبيه وكان قد سمل فأعلمه انه بريء مما فعل به وانما كان هربه للخوف منه فصدقه وسأله ان يرسل اليه كل يوم من يؤنسه وان ينتقم ممن خلعه وسمل عينيه فاعتذر بقرب بهرام منه في العساكر وانه لا يقدر على ان ينتقم ممن فعل به ذلك الا بعد الظفر ببهرام وسار بهرام الى النهروان وسار ابرويز اليه فالتقيا هنالك ورأى ابرويز من أصحابه فتورا في القتال فانهزم ودخل على أبيه وعرفه الحال فاستشاره فاشار عليه بقصد موريق ملك الروم وجهز ثانيا وسار في عدة يسيرة فيهم خالاه بندويه وبسطام وكردى أخو بهرام فلما خرجوا من المدائن خاف من معه أن بهرام يرد هرمز الى الملك ويرسل الى ملك الروم في ردهم فيردهم اليه فاستأذنوا ابرويز في قتل أبيه هرمز فلم يحر جوابا فانصرف بندويه وبسطام وبعض من معهم الى هرمز فقتلوه خنقا ثم رجعوا الى ابرويز وساروا مجدين الى ان جاوزوا الفرات ودخلوا ديرا يستريحون فيه فلما دخلوا غشيتهم خيل بهرام جوبين ومقدمها رجل اسمه بهرام بن سياوش فقال بندويه لابرويز احتل لنفسك قال ما عندي حيلة قال بندويه انا أبذل نفسي دونك وطلب منه بزته فلبسها وخرج ابرويز ومن معه من الدير وتواروا بالجبل ووافى بهرام الدير فرأى بندويه فوق الدير عليه بزة ابرويز فاعتقده هو وسأله ان ينظره الى غد ليصير اليه سلما ففعل ثم ظهر من الغد على حيلته فحمله الى بهرام جوبين فحبسه ودخل بهرام جوبين دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج فانصرفت الوجوه عنه لكن الناس اطاعوه خوفا وواطأ بهرام بن سياوش بندويه على الفتك ببهرام جوبين فعلم بهرام جوبين بذلك فقتل بهرام وافلت بندويه فلحق باذربيجان وسار ابرويز الى انطاكية وارسل أصحابه الى الملك فوعده النصرة وتزوج ابرويز ابنة الملك موريق واسمها مريم وجهز معه العساكر الكثيرة فبلغت عدتهم سبعين الفا فيهم رجل يعد بالف مقاتل فرتبهم ابرويز وسار بهم الى اذربيجان فوافاه بندويه وغيره من المقدمين والاساورة في أربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخراسان وسار الى

الاربعاء في حجرة عائشة تحت فراشه الذي مات عليه وهو موضع طينته التي خلق منها وحفر له ابو طلحة الانصاري ونزل في قبره علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابنا العباس *وعزى اهل بيته الخضر عليه السلام وصلى عليه جبريل وميكائيل وخازن الجنة ومعهم ألوف من الملائكة يسمع خفيق اجنحتهم وكثرة استرجاعهم ولا يرى منهم أحد وصلى الناس عليه أرسالا ولم يؤم الناس احد حتى اذا فرغ الرجال دخل الصبيان وفي شواهد النبوة سئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن سبب زيادة فهمه وحفظه قال لما غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع ماء في جفونه فرفعته بلساني وازدردته فأرى قوة حفظي منه ثم انهم لما فرغوا من دفنه صلى الله عليه وسلم خرجت فاطمة وقعدت تندب على قبر أبيها وتقول واأبتاه وارسول الله وانبي الرحمة الآن لا يأتي الوحي الآن ينقطع عنا جبريل اللهم ألحق روحي بروحه وأسعفني بالنظر الى وجهه ولا تحرمني اجره وشفاعته يوم القيامة وأخذت تربة من تراب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشمته ثم انشأت تقول

ماذا على من شم تربة احمد
أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها
صبت على الايام صرن لياليا

قال أنس بن مالك مررت على باب عائشة رضي الله عنها وكانت تندب النبي عليه السلام وتقول يا من لا يشبع من خبز الشعير يا من اختار الحصير على السرير يا من لم ينم الليل كله خوف السعير ولما صار من امر عثمان ما صار كانت عائشة تخرج قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعره وتقول المدائن

احضر أصحابه رجلا قد أخذوه من طريق الشام قد وطأه كسرى ومعه كتاب قد افتعله على لسان شهريراز الى كسرى يقول انى مازلت اخادع ملك الروم حتى اطمأن الى وجاز الى البلاد كما أمرتني فعرفني الملك في أى يوم يكون لقاؤه حتى اهجم انا عليه من ورائه والملك من بين يديه فلا يسلم هو ولا اصحابه وامره ان يتعمد طريقا يؤخذ فيها فلما قرأ ملك الروم الكتاب الثاني تحقق الخبر فعاد شبه المهزوم مبادرا الى بلاده ووصل خبر عودة ملك الروم الى شهريراز فاراد ان يستدرك ما فرط منه فعارض الروم فقتل منهم قتلا ذريعا وكتب الى كسرى انى عملت الحيلة على الروم حتى صاروا فى العراق وانفذ من رؤسهم شيأ كثيرا وفى هذه الحادثة انزل الله تعالى الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون يعنى بادنى الارض اذرعات وهى أدنى ارض الروم الى العرب وكانت الروم قد هزمت بها فى بعض حروبها وكان النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد ساءهم ظفر الفرس أولا بالروم لان الروم أهل كتاب وفرح الكفار لان المجوس أميون مثلهم فلما نزلت هذه الآيات راهن ابو بكر الصديق أبي بن خلف على ان الظفر يكون للروم الى تسع سنين والرهن مائة بعير فغلبه ابو بكر ولم يكن الرهن ذلك الوقت حراما فلما ظفرت الروم اتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية

(ذكر ما رأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

فمن ذلك ان كسرى ابرويز سكر دجلة العوراء وانفق عليها من الاموال ما لا يحصى كثرة وكان طاق مجلسه قد بنى بنيانا لم ير مثله وكان عنده ثلثمائة وستون رجلا من الحزاة من بين كاهن وساحر ومنجم وكان فيهم رجل من العرب اسمه السائب يعتف باذان من اليمن وكان كسرى اذا أحزنه امر جمعهم فقال انظروا فى هذا الامر ما هو فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى وقد انقصم طاق ملكه من غير ثقل وانخرقت دجلة العوراء فلما رأى ذلك احزنه وقال انقصم طاق ملكى وانخرقت دجلة العوراء شاه بشكست يقول الملك انكسر ثم دعا كهانه وسحاره ومنجميه وفيهم السائب فقال لهم انظروا فى هذا الامر فنظروا فى أمره فأخذت عليهم اقطار السماء واظلمت الارض فلم يمض لهم ما راموه وبات السائب فى ليلة ظلماء على ربوة من الارض ينظر فرأى برقا من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق فلما اصبح رأى تحت قدميه روضة خضراء فقال فيما يعتاف ان صدق ما ارى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عليه الارض كافضل ما اخصبت على ملك فلما خلص الكهان والمنجمون والسحار بعضهم الى بعض ورأوا ما اصابهم ورأى السائب ما رأى قال بعضهم لبعض والله ما حال بينكم وبين علمكم الا امر جاء من السماء وانه لنبى بعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم فاتفقوا على ان يكتموه الامر وقالوا له قد نظرنا فوجدنا ان وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع على النحوس فلما اختلف الليل والنهار وقعت النحوس مواقعها فزال كل ما وضع عليها وانا نحسب لك حسابا تضع عليه بنيانك فلا يزول فحسبوا وأمروه بالبناء فبنى دجلة العوراء فى ثمانية أشهر وانفق عليها اموالا جليلة حتى

الامور كلها وذلك ان قريشا لم يكن لها ملك ترجع اليه بل كان لهم فى كل قبيلة رئيس تكون الولاية له فكانت فى بنى هاشم السقاية والرفادة ومعنى ذلك انه لا يأكل ولا يشرب احد الا من طعامهم وشرابهم وكان من اعف الناس ولقد ترك هو وعثمان بن عفان رضى الله عنهما شرب الخمر فى الجاهلية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كلمت فى الاسلام أحدا الا أبى علىّ وراجعنى الكلام الا ابن ابى قحافة فانى لم اكلمه فى شئ الا قبله واستقام عليه وفى حديث رواه عبد الله التيمى قال ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر الا ابا بكر ما عتم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه قال العلماء صحب ابو بكر النبى صلى الله عليه وسلم ولبث الى ان توفى لم يفارقه سفرا ولا حضرا الا فيما اذن له وشهد المشاهد كلها اخرج البزار فى مسنده عن على رضى الله عنه انه قال اخبرونى من اشجع الناس قالوا أنت قال انى ما بارزت احدا الا انتصفت منه ولكن اخبرونى باشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر انه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون معه لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد الا ابو بكر شاهرا سيفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه احد الا هوى اليه فهذا اشجع الناس وانه أجود الصحابة قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى اجمعوا على انها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأخرج احمد عن أبى هريرة

شهريراز شرب الخمر يوما وقال لقد رأيت فى المنام كأنى جالس على سرير كسرى فبلغ الخبر
كسرى فكتب الى أخيه شهريراز يأمره بقتله فعاوده واعلمه شجاعته ونكايته فى العدو
فعاد كسرى وكتب اليه بقتله فراجعه فكتب اليه الثالثة فلم يفعل فكتب كسرى بعزل
شهريراز وولاية فرخان العسكر فاطاع شهريراز فلما جلس على سرير الامارة القى اليه
القاصد بولايته كتابا صغيرا من كسرى يأمر بقتل شهريراز فعزم على قتله فقال له شهريراز
امهلنى حتى اكتب وصيتى فامهله فاحضر درجا واخرج منه كتب كسرى الثلاثة واطلعه
عليها وقال انا راجعت فيك ثلاث مرات ولم اقتلك وانت تقتلنى فى مرة واحدة فاعتذر
اخوه اليه واعاده الى الامارة واتفقا على موافقة ملك الروم على كسرى فارسل شهريراز
الى هرقل ان لى اليك حاجة لا يبلغها البريد ولا تسعها الصحف فالقنى فى خمسين روميا
فانى القاك فى خمسين فارسيا فاقبل قيصر فى جيوشه جميعها ووضع عيونه تأتيه بخبر
شهريراز وخاف ان يكون مكيدة فاتته عيونه فاخبروه انه فى خمسين فارسيا فحضر عنده
فى مثلها واجتمعا وبينهما ترجمان فقال له انا واخى خربنا بلادك وفعلنا ما علمت وقد حسدنا
كسرى واراد قتلنا وقد خلعناه ونحن نقاتل معك ففرح هرقل بذلك واتفقا عليه وقتلا
الترجمان لئلا يفشى سرهما وسار هرقل فى جيشه الى نصيبين وبلغ كسرى ابرويز الخبر
فأرسل لمحاربة هرقل قائدا من قواده اسمه راهزار فى اثنى عشر ألفا وامره ان يقيم بنينوى
من أرض الموصل على دجلة يمنع هرقل من ان يجوزها واقام هو بدسكرة الملك فارسل
راهزار العيون فاخبروه ان هرقل فى سبعين ألف مقاتل فارسل الى كسرى يعرفه ذلك
وانه يعجز عن قتال هذا الجمع الكثير فلم يعذره وأمره بقتاله فاطاع وعبى جنده وسار هرقل
نحو جنود كسرى وقطع دجلة من غير الموضع الذى فيه راهزار فقصده راهزار ولقيه
فاقتتلوا فقتل راهزار وستة آلاف من اصحابه وانهزم الباقون وبلغ الخبر ابرويز وهو
بدسكرة الملك فهاله ذلك وعاد الى المدائن وتحصن بها للعجز عن محاربة هرقل وكتب الى
قواد الجند الذين انهزموا يتهددهم بالعقوبة فاحوجهم الى الخلاف عليه على ما نذكره
ان شاء الله وسار هرقل حتى قارب المدائن ثم عاد الى بلاده وكان سبب عوده ان كسرى لما
عجز عن هرقل أعمل الحيلة فكتب كتابا الى شهريراز يشكره ويثنى عليه ويقول له
أحسنت فى فعل ما أمرتك به من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد والآن فقد
اوغل وامكن من نفسه فتجئ انت من خلفه وانا من بين يديه ويكون اجتماعنا عليه يوم
كذا فلا يفلت منهم أحد ثم جعل الكتاب فى عكاز آبنوس واحضر راهبا فى دير عند
المدائن وقال له لى اليك حاجة فقال الراهب الملك اكبر من ان يكون له الى حاجة ولكنى
عبده قال ان الروم قد نزلوا قريبا منا وقد حفظوا الطرق عنا ولى الى أصحابى الذين
بالشام حاجة وانت نصرانى اذا جزت على الروم لا ينكرونك وقد كتبت كتابا وهو فى هذه
العكازة فتوصله الى شهريراز واعطاه مائتى دينار فاخذ الكتاب وفتحه وقرأه ثم اعاده
وسار فلما صار بالعسكر ورأى الروم والرهبان والنواقيس رق قلبه وقال انا شر الناس
ان اهلكت النصرانية فاقبل الى سرادق الملك وانهى حاله وأوصل الكتاب اليه فقرأه ثم

بقيه عتيق لعتقه من النار وقيل لعتاقة وجهه أى جماله ومن ذلك الخيل العتاق أى الحسان واجمعت الامة على تسميته
الصديق لانه بادر الى تصديق النبى
صلى الله عليه وسلم ولازم الصدق
وكان رجلا أبيض نحيف الجسم
خفيف العارضين اجنا لا يستمسك
ازاره يسترخى عن حقويه
معروق الوجه غائر العينين ناتئ
الجبهة عارى الاشاجع وكان
يخضب بالحناء والكتم ومولده قبل
النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين
ونصف وأمه بنت عم أبيه اسمها
سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب
تكنى أم الخير وهو اول من اسلم
من الرجال على أصح الاقوال ولله
در حسان حيث قال

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة
فاذكر اخاك ابابكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها
الا النبى واوفاها بما حملا
الثانى التالى المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا

خاتمة خاتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانت له فى الاسلام
المواقف الرفيعة منها قصة تصديقه
بالاسراء وجوابه الكفار فى ذلك
وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وترك عياله بين العدو
ومرافقته له فى الغار وسائر الطرق
وثباته حين وفاة النبى صلى الله
عليه وسلم وخطبته الناس
وتسكينهم ثم قتاله أهل الردة ومن
احسن مناقبه واجل فضائله
استخلافه على المسلمين عمر بن
الخطاب رضى الله عنه وكان
شأنه بمكة لا يخرج منها الا للتجارة
وكان ذا مال جزيل واحسان وتفضل فى قومه وكان من رؤساء قريش فى الجاهلية وأهل مشاورتهم فكان اليه

اسفر

فامره باحضارهم فكتب عدى فاحضرهم وانزلهم وكان يفضل اخوة النعمان عليه ويريهم انه لا يرجوا النعمان ويخلو بواحد واحد ويقول له اذا سألك الملك اتكفونني العرب فقولوا نكفيكهم الا النعمان وقال للنعمان اذا سألك الملك عن اخوتك فقل له اذا عجزت عن اخوتي فانا عن غيرهم اعجز وكان من بني مرينا رجل يقال له عدى بن أوس ابن مرينا وكان داهيا شاعرا وكان يقول للاسود بن المنذر قد عرفت انى ارجوك وميلي اليك وانى أريد ان تخالف عدى بن زيد فانه والله لا ينصح لك أبدا فلم يلتفت الى قوله فلما أمر كسرى عدى بن زيد ان يحضرهم احضرهم رجلا رجلا وسألهم كسرى اتكفونني العرب فقالوا نعم الا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلا دميما احمر ابرش قصيرا فقال له اتكفيني اخوتك والعرب قال نعم وان عجزت عن اخوتي فانا عن غيرهم أعجز فملكه وكساه والبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم فقال عدى بن مرينا للاسود دونك فقد خالفت الرأى ثم صنع عدى بن زيد طعاما ودعا عدى بن مرينا اليه وقال انى عرفت ان صاحبك الاسود كان أحب اليك ان يملك من صاحبي النعمان فلا تلمني على شئ كنت على مثله وانى احب ان لا تحقد على وان نصيبي من هذا الامر ليس باوفر من نصيبك وحلف لابن مرينا ان لا يهجوه ولا يبغيه غائلة أبدا فقام ابن مرينا وحلف انه لا يزال يهجوه ويبغيه الغوائل وسار النعمان حتى نزل الحيرة وقال ابن مرينا للاسود اذا فاتك الملك فلا تعجز ان تطلب بثارك من عدى فان معدا لا ينام مكرها وأمرتك بمعصيته فخالفتني واريد ان لا يأتيك من مالك شئ الا عرضته على ففعل وكان ابن مرينا كثير المال وكان لا يخلى النعمان يوما من هدية وطرفة فصار من اكرم الناس عليه وكان اذا ذكر عدى بن زيد وصفه وقال الا انه فيه مكر وخديعة واستمال اصحاب النعمان فمالوا اليه ووضعهم على ان قالوا للنعمان ان عدى بن زيد يقول انك عامله ولم يزالوا بالنعمان حتى اضغنوه عليه فارسل الى عدى يستزيره فاستأذن عدى كسرى في ذلك فاذن له فلما أتاه لم ينظر اليه حتى حبسه ومنع من الدخول عليه فجعل عدى يقول الشعر وهو في السجن وبلغ النعمان قوله فندم على حبسه اياه وخاف منه اذا أطلقه فكتب عدى الى أخيه أبي ابيات يعلمه بحاله فلما قرأ ابياته وكتابه كلم كسرى فيه فكتب الى النعمان وأرسل رجلا في اطلاق عدى وتقدم أخو عدى الى الرسول بالدخول الى عدى قبل النعمان ففعل ودخل على عدى واعلمه انه أرسل لاطلاقه فقال له عدى لا تخرج من عندى واعطنى الكتاب حتى ارسله فانك ان خرجت من عندى قتلني فلم يفعل ودخل أعداء عدى على النعمان فاعلموا الحال وخوفوه من اطلاقه فارسلهم اليه فخنقوه ثم دفنوه وجاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب فقال نعم وكرامة وبعث اليه باربعة الاف مثقال وجارية وقال اذا أصبحت ادخل اليه فخذه فلما أصبح الرسول غدا الى السجن فلم ير عديا وقال له الحرس انه مات منذ ايام فرجع الى النعمان واخبره انه رآه بالامس ولم يره اليوم فقال كذبت وزاده رشوة واستوثق منه ان لا يخبر كسرى الا انه مات قبل وصوله الى النعمان قال وندم النعمان على قتله واجترأ اعداء عدى على النعمان وهابهم هيبة

وكان من أفصح الناس واخطبهم وكان من اعلم الناس بالله واشدهم خوفا له وكان اشد الصحابة رأيا واكملهم عقلا واخرج تمام الرازى في فوائده وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل فقال ان الله يأمرك ان تستشير ابا بكر قال النووى في تهذيبه روى الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين واربعين حديثا وسبب قلة روايته قصر مدته وسرعة وفاته بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان الذين في زمنه من الصحابة لا يحتاج أحدهم ان ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم وفي نزهة الاسرار نقلا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء وقفت بين يدى رب العزة فقال يا أحمد على من تركت اهل ارضي فقلت على أبي بكر الصديق فقال اما انه احب عبادى الى بعدك فاقرئه منى السلام وكم للصديق من موقف واثر ومناقب وفضائل لم تخف اجمع اهل السنة على ان افضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم سائر العشرة ثم باقى اهل بدر ثم باقى اهل احد ثم باقى اهل البيعة ثم باقى الصحابة وفي الاوسط عن اسعد بن زرارة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس جبريل اخبرنى ان خير امتك بعدك ابو بكر واخرج ابن سعد عن الزهرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت هل قلت في ابي بكر شيأ قال نعم فقال قل وانا اسمع فقال

فرغ فقال لهم أجلس على سورها قالوا نعم فجلس في اساورته فبينما هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من تحته فلم يخرج الا بآخر رمق فلما اخرجوه جمع كهانه وسحاره ومنجميه فقتل منهم قريبا من مائة وقال قربتكم واجريت عليكم الارزاق ثم انتم تلعبون بي فقالوا أيها الملك أخطأنا كما اخطأ من قبلنا ثم حسبوا له وبناه وفرغ منه وأمروه بالجلوس عليه فخاف فركب فرسا وسار على البناء فبينما هو يسير انتسفته دجلة فلم يدرك الا بآخر رمق فدعاهم وقال لاقتلنكم أجمعين أو لتصدقونني فصدقوه الامر فقال ويحكم هلا بينتم لي فاري فيه رأيي قالوا منعنا الخوف فتركهم ولهى عن دجلة حين غلبته وكان ذلك سبب البطائح ولم تكن قبل ذلك وكانت الارض كلها عامرة فلما كان سنة ست من الهجرة ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى فزاد الفرات والدجلة زيادة عظيمة لم ير قبلها ولا بعدها مثلها فانبثقت البثوق وانتسفت ما كان بناه كسرى واجتهد ان يسكرها فغلبه الماء كما بينا ومال الى موضع البطائح فطما الماء على الزروع وغرق عدة طساسيج ثم دخلت العرب ارض الفرس وشغلتهم عن عملها بالحروب واتسع الخرق فلما كان زمن الحجاج تفجرت بثوق أخر فلم يسدها مضارة للدهاقين لانه اتهمهم مع ابن الاشعث فعظم الخطب فيها وعجز الناس عن عملها فبقيت على ذلك الى الآن وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بعث الله الى كسرى ملكا وهو في بيت ايوانه الذي لا يدخل عليه فيه فلم يرعه الا هو قائما على رأسه في يده عصا بالهاجرة في ساعته التي يقيل فيها فقال يا كسرى اتسلم او اكسر هذه العصا فقال بهل بهل وانصرف عنه فدعا بحراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال من ادخل هذا الرجل فقالوا ما دخل علينا أحد ولا رأيناه حتى اذا كان العام المقبل اتاه في تلك الساعة وقال له اتسلم او اكسر العصا فقال بهل بهل وتغيظ على حجابه وحراسه فلما كان العام الثالث اتاه فقال اتسلم او اكسر العصا فقال بهل بهل فكسر العصا ثم خرج فلم يكن الا تهور ملكه وانبعاث ابنه والفرس حتى قتلوه وقال الحسن البصري قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما حجة الله على كسرى فيك قال بعث اليه ملكا فاخرج يده اليه من جدار بيته تلألأ نورا فلما رآها فزع فقال له لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك قال سأنظر

(ذكر وقعة ذي قار وسببها)

ذكروا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى هذا أول يوم انتصفت العرب من العجم وبي نصروا وحفظ ذلك منه وكان يوم الوقعة قال هشام بن محمد كان عدي بن زيد التميمي وأخوه عمار وهو ابي وعمرو وهو سمي يكونون مع الاكاسرة ولهم اليهم انقطاع وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدي بن زيد وكان له غير النعمان احد عشر ولدا وكانوا يسمون الاشاهب لجمالهم فلما مات المنذر بن المنذر وخلف أولاده اراد كسرى ابن هرمز ان يملك على العرب من يختاره فاحضر عدي بن زيد وسأله عن اولاد المنذر فقال هم رجال

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال هل انا ومالي الا لك يا رسول الله وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه وكان له يوم أسلم اربعون ألف دينار انفقها في سبيل الله حتى تخلل بالعباءة واخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه الا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة واخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احد عندي اعظم يدا من أبي بكر واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته وانه اعلم الصحابة واذكاهم استدل العلماء على عظيم علمه باحاديث كثيرة منها ما ذكره ابو اسحق في طبقاته انه سئل ابن عمر رضي الله عنه من كان يفتي الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وعمر وما اعلم غيرهما وكان اقرأ الصحابة اي اعلمهم بالقرآن لانه صلى الله عليه وسلم قدمه اماما للصلاة بالصحابة مع قوله يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وهو أول من جمع القرآن بين اللوحين وسماه مصحفا واخرج الترمذي عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لقوم فيهم ابو بكر ان يؤمهم غيره وكان مع ذلك اعلمهم بالسنة كما رجع اليه الصحابة في غير موضع فتبرز عليهم بنقل سنن عن النبي عليه السلام يحفظها ويستحضرها عند الحاجة اليها ليست عندهم وكان يعبر الرؤيا في زمن النبي عليه السلام وكان اعبر هذه الامة بعد النبي عليه السلام

فامره

وماقوى عليه ثم لحق بجبلي طي وكان متزوجا اليهم وطلب منهم ان يمنعوه فابوا عليه خوفا
من كسرى فاقبل وليس احد من العرب يقبله حتى نزل فى ذى قار فى بنى شيبان سرا فلقى
هانئ بن مسعود بن عمرو الشيبانى وكان سيدا منيعا والبيت من ربيعة فى آل ذى الجدين
لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدين وكان كسرى قد اطعمه الابلة فكره
النعمان ان يدفع اليه أهله لذلك وعلم ان هانئا يمنعه مما يمنع منه اهله فأودعه أهله وماله
وفيه اربعمائة درع وقيل ثمانمائة درع وتوجه النعمان الى كسرى فلقى زيد بن عدى
على قنطرة ساباط فقال انج نعيم فقال انت يا زيد فعلت هذا أما والله لئن انفلت لافعلن بك
مافعلت بابيك فقال زيد امض نعيم فقد والله وضعت لك أخية لا يقطعها المهر الارن فلما
بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى خانقين حتى وقع الطاعون فمات فيه
قال والناس يظنون انه مات بساباط ببيت الاعشى وهو يقول

فذاك وما ينجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرزق

وكان موته قبل الاسلام فلما مات استعمل كسرى اياس بن قبيصة الطائى على الحيرة
وما كان عليه النعمان وكان كسرى اجتاز به لما سار الى ملك الروم فاهدى له هدية
فشكر ذلك له وارسل اليه فبعث كسرى بان يجمع ماخلفه النعمان ويرسله اليه فبعث
اياس الى هانئ بن مسعود الشيبانى يامره بارسال ما استودعه النعمان فأبى هانئ
ان يسلم ما عنده فلما ابى هانئ غضب كسرى وعنده النعمان بن زرعة التغلبى وهو
يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى امهلهم حتى يقيظوا ويتساقطون على ذى قار
تساقط الفراش فى النار فتأخذهم كيف شئت فصبر كسرى حتى جاؤا نحو ذى قار
فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم واحدة من ثلاث اما ان يعطوا بايديهم
واما ان يتركوا ديارهم واما ان يحاربوا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلى فاشار
بالحرب فآذنوا الملك بالحرب فأرسل كسرى اياس بن قبيصة الطائى أمير الجيش ومعه
مرازبة الفرس والهامرز التسترى وغيره من العرب تغلب واياد وقيس بن مسعود بن
قيس بن ذى الجدين وكان على طف سفوان فأرسل الخيول وكان قد بعث النبى صلى الله
عليه وسلم فقسم هانئ بن مسعود دروع النعمان وسلاحه فلما دنت الفرس من بنى شيبان
قال هانئ بن مسعود يامعشر بكر لاطاقة لكم فى قتال كسرى فاركبوا الى الفلاة
فسارع الناس الى ذلك فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلى وقال ياهانئ أردت نجاءنا فالقيتنا
فى الهلكة ورد الناس وقطع وضن الهوادج وهى الحزم للرحال فسمى مقطع الوضن
وضرب على نفسه قبة وأقسم ان لايفر حتى تفر القبة فرجع الناس واستقوا ماء لنصف
شهر فاتتهم العجم فقاتلتهم بالجنود فانهزمت العجم خوفا من العطش الى الجبابات فتبعتهم
بكر وعجل وابلت يومئذ بلاء حسنا اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت عجل
ثم حملت بكر فوجدت عجلا تقاتل وامرأة منهم تقول

ان تظفروا نحرز وافينا الغرل * ايها فداء لكم بنى عجل

فقاتلوهم ذلك اليوم ومالت العجم الى بطحاء ذى قار خوفا من العطش فارسلت اياد الى

الى الصلاة وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وسنه ثلاث وستون سنة

وافق عمره عمر النبى صلى الله عليه وسلم وكان اسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج الطبرانى عن الحسن بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال لما احتضر ابو بكر قال ياعائشة انظرى اللقحة التى كنا نشرب من لبنها والجفنة التى كنا نطبخ فيها والقطيفة التى كنا نلبسها فانا كنا ننتفع بذلك حين كنا فى أمر المسلمين فاذا مت فاردديه الى عمر فلما مات أبو بكر ارسلت به الى عمر رضى الله عنه فقال عمر رحمك الله يا ابا بكر لقد اتعبت من جاء بعدك فلما احتضر دعا عثمان رضى الله عنه بعد ان شاور اعيان الصحابة فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن ابى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب انى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وانى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى واياكم خيرا فان عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير اردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر الكتاب فختمه رضى الله تعالى عنه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر عمر خاليا فاوصاه بما اوصاه به ثم خرج من عنده فرفع ابو بكر يديه وقال اللهم انى ما اردت بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما انت أعلم به

شديدة فخرج النعمان في بعض صيده فرأى ابنا لعدي يقال له زيد فكلمه وفرح به فرحا شديدا واعتذر اليه من أمر ابيه وسيره الى كسرى ووصفه له وطلب اليه ان يجعله مكان أبيه ففعل كسرى وكان يلي ما يكتب الى العرب خاصة وسأله كسرى عن النعمان فأحسن الثناء عليه واقام عند الملك سنوات بمنزلة ابيه وكان يكثر الدخول على كسرى وكان للملوك الاعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم وكانوا يبعثون في طلب من يكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب فقال له زيد بن عدي اني أعرف عند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه اكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال فتكتب فيهن قال ايها الملك ان شر شيء في العرب وفي النعمان انهم يتكرمون بانفسهم عن العجم فانا اكره ان يغيبهن وان قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك فابعثني وابعث معي رجلا يفقه العربية فبعث معه رجلا جلدا فخرجا حتى بلغا الحيرة ودخلا على النعمان قال له زيد ان الملك احتاج الى نساء لاهله وولده واراد كرامتك فبعث اليك قال وما هؤلاء النسوة قال هذه صفتهن قد جئنا بها وكانت الصفة ان المنذر أهدى انوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحرث بن ابي شمر الغساني وكتب يصفها أنها معتدلة الخلق نقية اللون والثغر بيضاء وطفاء قرناء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء شمراء زجاء برجاء اسيلة الخد شهية المقبل جثلة الشعر عظيمة الهامة بعيدة مهوى القرط عيطاء عريضة الصدر كاعب الثدي ضخمة مشاشة المنكب والعضد حسنة المعصم لطيفة الكف سبطة البنان لطيفة طي البطن خميصة الخصر غرثى الوشاح رداح القبل رابية الكفل لفاء الفخذين ريا الروادف ضخمة المأكمتين عظيمة الركبة مفعمة الساق مشبعة الخلخال لطيفة الكعب والقدم قطوف المشي مكسال الضحى بضة المتجرد سموع للسيد ليست بخنساء ولا سفعاء ذليلة الانف عزيزة النفر لم تغذ في بؤس حيية رزينة زكية كريمة الخال تقتصر بنسب أبيها دون فصيلتها وبفصيلتها دون جماع قبيلتها قد احكمتها الامور في الادب فرأيها رأي اهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة صناع الكفين قطيعة اللسان رهوة الصوت تزين البيت وتشين العدو ان اردتها اشتهت وان تركتها انتهت تحملق عيناها وتحمر خداها وتذبذب شفتاها وتبادرك الوثب فقبلها كسرى وأمر باثبات هذه الصفة فبقيت الى أيام كسرى ابن هرمز فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان فشق ذلك عليه وقال لزيد والرسول يسمع ما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم فقال الرسول لزيد ما العين قال البقر وانزلهما يومين وكتب الى كسرى ان الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد اعذرني عنده فلما عاد الى كسرى قال لزيد أين ما كنت اخبرتني قال قد قلت للملك وعرفته بخلهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك لشقائهم وسوء اختيارهم وسل هذا الرسول عن الذي قال فاني اكرم الملك عن ذلك فسأل الرسول فقال انه قال ما في بقر السواد ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا فعرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه وقال رب عبد قد اراد ما هو اشد من هذا فصار امره الى التباب وبلغ هذا الكلام النعمان وسكت كسرى على ذلك اشهرا والنعمان يستعد حتى أتاه كتاب كسرى يستقدمه فلما وصل الكتاب أخذ سلاحه

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صعدا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال صدقت يا حسان هو كما قلت واخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وابو بكر وعمر احدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي واخرج ابو سعد عن ابن شهاب قال رأى صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على ابي بكر فقال رأيت كأني استبقت انا وانت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك الله الى مغفرته ورحمته واعيش بعدك سنتين ونصفا فكان كذلك وكان موته كمدا على وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال جسمه ينقص حتى مات واخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب ان أبا بكر والحرث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة اهديت لابي بكر فقال الحرث لابي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله ان فيها لسم سنة وانا وانت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة واخرج الواقدي والحاكم عن عائشة قالت كان أول بدء مرض أبي انه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج

(ذكر قتل كسرى ابرويز)

كان كسرى قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو ومساعدة الاقدار وشره على أموال الناس ففسدت قلوبهم وقيل كانت له اثنا عشر الف امرأة وقيل ثلاثة آلاف امرأة يطأهن والوف جوار وكان له خمسون ألف دابة وكان أرغب الناس في الجوهر والاواني وغير ذلك وقيل انه أمر ان يحصى ما جبى من خراج بلاده في سنة ثمان عشرة من ملكه فكان من الورق مائة ألف الف مثقال وعشرون الف الف مثقال وانه احتقر الناس وامر رجلا اسمه زاذان بقتل كل مقيد في سجونه فبلغوا ستة وثلاثين ألفا فلم يقدم زاذان على قتلهم فصاروا أعداءه وكان أمر بقتل المنهزمين من الروم فصاروا أيضا اعداءه واستعمل رجلا على استخلاص بواقي الخراج فعسف الناس فظلمهم ففسدت نياتهم ومضى ناس من العظماء الى بابل فاحضروا ولده شيرويه بن ابرويز فان كسرى كان قد ترك أولاده بها ومنعهم من التصرف وجعل عندهم من يؤدبهم فوصل اليهم شيرويه فدخلها ليلا فاخرج من كان في سجونها واجتمع اليه أيضا الذين كان كسرى أمر بقتلهم فنادوا قباذ شاهنشاه وساروا حين أصبحوا الى رحبة كسرى فهرب حرسه وخرج كسرى الى بستان قريب من قصره هاربا فاخذ اسيرا وملكوا ابنه فارسل الى أبيه يقرعه بما كان منه ثم قتلته الفرس وساعدهم ابنه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ولمضي اثنتين وثلاثين سنة وخمسة اشهر وخمسة عشر يوما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة قيل وكان لكسرى ابرويز ثمانية عشر ولدا وكان اكبرهم شهريار وكانت شيرين قد تبنته فقال المنجمون لكسرى انه سيولد لبعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس وذهاب الملك على يديه وعلامته نقص في بعض بدنه فمنع ولده عن النساء لذلك حتى شكا شهريار الى شيرين الشبق فارسلت اليه جارية كانت تحجمها وكانت تظن انها لا تلد فلما وطئها علقت بيزدجرد فكتمته خمس سنين ثم انها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر فقالت أيسرك ان ترى لبعض بنيك ولدا قال نعم فاتته بيزدجرد فاحبه وقربه فبيناهو يلعب ذات يوم ذكر ما قيل فأمر به فجرد من ثيابه فرأى النقص في احد وركيه فاراد قتله فمنعته شيرين وقالت ان كان الامر في الملك قد حضر فلا مرد له فامرت به فحمل الى سجستان وقيل بل تركته في السواد في قرية يقال لها خمانية ولما قتل كسرى ابرويز بن هرمز ملك ابنه شيرويه

(ذكر ملك كسرى شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن انوشروان)

لما ملك شيرويه بن ابرويز وامه مريم ابنة موريق ملك الروم واسمه قباذ دخل عليه العظماء والاشراف فقالوا لا يستقيم أن يكون لنا ملكان فاما ان تقتل كسرى ونحن عبيدك واما ان نخلعك ونطيعه فانكسر شيرويه ونقل أباه من دار الملك الى موضع آخر حبسه فيه ثم جمع العظماء وقال قد رأينا الارسال الى كسرى بما كان من اساءته ونوقفه على اشياء منها فارسل اليه رجلا يقال اسبادخشنش كان يلي تدبير المملكة وقال له قل لابينا الملك عن رسالتنا ان سوء أعمالك فعل بك ما ترى منها جرأتك على أبيك وسملك عينيه

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي يلتقي مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب وكان رجلا طويلا مشرفا على الناس كانه على دابة أصلع ابيض شديد الحمرة في عارضيه خفة سبلته كثيرة وامه حنتمة بنت هشام اخت ابي جهل ولي الخلافة بعهد من أبي بكر كما سبق يوم توفي صبيحة نهار الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وكان خاتمه خاتم النبي صلى الله عليه وسلم اسلم في ذي الحجة في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة وكان من اشراف قريش واليه كانت السفارة في الجاهلية فكانت قريش اذا وقع حربا او امر بينهم بعثوه سفيرا أي رسولا وهو أحد السابقين الاولين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وثاني الخلفاء الراشدين وأحد اصهار النبي عليه السلام واحد كبار علماء الصحابة وزهادهم وروى له عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثا واخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه واخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب واخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى

بكر وكانوا مع الفرس وقالوا لهم ان شئتم هربنا الليلة وان شئتم أقمنا وفررنا حين تلاقون الناس فقالوا بل تقيمون وتنهزمون اذا التقينا وقال زيد بن حسان السكوني وكان حليفا لبني شيبان اطيعوني واكمنوا لهم ففعلوا ثم تقاتلوا وحرض بعضهم بعضا وقالت ابنة القرين الشيبانية

ايها بني شيبان صفا بعد صف * ان تهزموا تصبغوا فينا القلف

فقطع سبعمائة من بني شيبان ايدي أقبيتهم من مناكبهم لتخف أيديهم لضرب السيوف فجالدوهم وبارزالهامرز فبرز اليه برد بن حارثة اليشكري فقتله برد ثم حملت ميسرة بكر وميمنتها وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم اياس بن قبيصة الطائي وولت اياد منهزمة كما وعدتهم فانهزمت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت الى سلب وغنيمة وقال الشعراء في وقعة ذي قار فاكثروا

(ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند)

قد ذكرنا من ملك من آل نصر بن ربيعة الى هلاك عمرو بن هند فلما هلك عمرو ملك موضعه أخوه قابوس بن المنذر أربع سنين من ذلك أيام انوشروان ثمانية أشهر وفي ايام هرمز ثلاث سنين واربعة اشهر ثم ولي بعد قابوس السهراب ثم ملك بعده المنذر بن النعمان اربع سنين ثم ولي بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة من ذلك في زمان هرمز سبع سنين وثمانية اشهر وفي زمان ابنه ابرويز أربع عشرة سنة واربعة اشهر ثم ولي اياس بن قبيصة الطائي ومعه النخيرجان في زمان كسرى ابن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية اشهر من ولاية اياس بعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم ولي ازادبه ابن ماهبيان الهمذاني سبع عشرة سنة من ذلك في زمان كسرى ابن هرمز اربع عشرة سنة وثمانية اشهر وفي زمان شيرويه ابن كسرى ثمانية أشهر وفي زمن اردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر وفي زمن بوران دخت ابنة كسرى شهرا ثم ولي المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذي يسميه العرب المغرور الذي قتل بالبحرين يوم جواثا وكانت ولايته الى ان قدم عليه خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر وكان آخر من بقي من آل نصر وانقرض ملكهم مع انقراض ملك فارس فجميع ملوك آل نصر فيما زعم هشام عشرون ملكا ملكوا خمسمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية اشهر

(ذكر المروزان وولايته اليمن من قبل هرمز)

قال هشام استعمل كسرى هرمز المروزان بعد عزل زرين عن اليمن وأقام باليمن حتى ولد له فيها ثم ان أهل جبل يقال له المصانع منعوا الخراج فقصدهم فرأى جبلهم لا يقدر عليه لحصانته وله طريق واحد يحميه رجل واحد وكان يحاذي ذلك الجبل جبل آخر وقد قارب هذا الجبل فاجرى فرسه فعبر به ذلك المضيق فلما رأوه سحر قالوا هذا شيطان وملكهم وادوا الخراج وأرسل الى كسرى بعمله فاستدعاه اليه فاستخلف ابنه خرخسره على اليمن وسار اليه فمات في الطريق وعزل كسرى خرخسره عن اليمن وولى باذان وهو آخر من قدم اليمن من ولاة العجم

واجتهدت اليهم رأيي فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليهم واحرصهم على ما ارشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اصلح لهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين واصلح رعيته عن عائشة رضي الله عنها قالت لما احتضر ابو بكر قال انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي احوج الى الجديد من الميت وفي اخبار الزمان ان أبا بكر اوصى ان تغسله زوجته اسماء بنت عميس وصلى عليه عمر رضي الله عنه بين الحجرة والمنبر وجعل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سرير عائشة وكان من خشبتين منسوجا بالليف وفي نزهة النواظر قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه لما حضرت ابا بكر الوفاة دعاني فقال يا علي غسلني بالكف الذي غسلت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفني بثوبي وأت باب البيت الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فان انفتحت الاقفال بغير مفاتيح فادخلوني وادفنوني والا ردوني الى مقابر المسلمين قال علي فلما غسلته وكفنته كنت أول من بادر الى الباب فوالله ثم والله لقد رأيت الاقفال انفتحت من غير مفاتيح وسمعت قائلا يقول ادخلوا الحبيب الى الحبيب فان الحبيب الى الحبيب مشتاق قال فدفناه معه وجعلنا رأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والصق اللحد بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مدة خلافته كما سبق سنتين ونصفا والله أعلم

(ذكر

ملكنا واذعن لنا الرعية بالطاعة ارسلنا الى نواحي بلادنا اصبهبذين وقامر وسائر فكفوا الاعداء واغاروا على بلادهم ووصل الينا غنائم بلادهم من اصناف الاموال والامتعة ما لا يعلمه الا الله تعالى وقد بلغنا انك هممت بتفريق هذه الاموال على رأى الاشرار المستوجبين للقتل ونحن نعلمك ان هذه الاموال لم تجتمع الا بعد الكد والتعب والمخاطرة بالنفوس فلا تفعل ذلك فانها كهف ملكك وبلادك وقوة على عدوك فلما انصرف اسبادخشنش الى شيرويه قص عليه جواب أبيه ثم ان عظماء الفرس عادوا الى شيرويه فقالوا اما ان تأمر بقتل ابيك واما ان نطيعه ونخلعك فامر بقتله على كره منه وانتدب لقتله رجال الامن وترهم كسرى ابرويز وكان الذى باشر قتله شاب يقال له مهرهرمز بن مردانشاه من ناحية نيمروذ فلما قتل شق شيرويه ثيابه وبكى ولطم وجهه وحملت جنازته وتبعها العظماء واشراف الناس فلما دفن أمر شيرويه بقتل مهرهرمز قاتل أبيه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ان شيرويه قتل اخوته فهلك منهم سبعة عشر اخا ذوى شجاعة وادب بمشورة وزيره فيروز وابتلى شيرويه بالامراض ولم يتلذذ بشئ من الدنيا وكان هلاكه بسكرة الملك وجزع بعد قتل اخوته جزعا شديدا ويقال انه لما كان اليوم الثانى من قتل اخوته دخلت عليه بوران وازرميدخت اختاه فاغلظتا له وقالتا حملك الحرص على الملك الذى لا يتم لك على قتل ابيك واخوتك فلما سمع ذلك بكى بكاء شديدا ورمى التاج عن رأسه ولم يزل مهموما مدنفا ويقال انه أباد من قدر عليه من أهل بيته وفشا الطاعون فى أيامه فهلك من الفرس اكثرهم ثم هلك هو وكان ملكه ثمانية أشهر

(ذكر ملك اردشير)

وكان عمره سبع سنين فلما توفى شيرويه ملك الفرس عليهم ابنه اردشير وحضنه رجل يقال له بهادرجشنس مرتبته رياسة أصحاب المائدة فاحسن سياسة الملك فبلغ من احكامه ذلك ما لم يحس معه بحداثة سن اردشير وكان شهريراز بثغر الروم فى جند ضمهم اليه كسرى ابرويز وكان قد صلح له بعد ما فعل بالروم مما ذكرناه وكان ينفذ اليه الخلع والهدايا وكان ابرويز وشيرويه يكاتبانه ويستشيرانه فلما لم يشاوره عظماء الفرس فى تمليك اردشير اتخذ ذلك ذريعة الى التعنت وبسط يده فى القتل وجعله سببا للطمع فى الملك احتقارا لاردشير لصغر سنه فاقبل بجنده نحو المدائن فتحول اردشير وبهادرجشنس ومن بقى من نسل الملك الى مدينة طيسفون فحاصرهم شهريراز ونصب عليهم المجانيق فلم يظفر بشئ فاتاها من قبل المكيدة فلم يزل يخدع رئيس الحرس واصبهبذ نيمروذ حتى فتحا له باب المدينة فدخلها وقتل جماعة من الرؤساء واخذ أموالهم وقتل بعض أصحابه اردشير فى ايوان خسروشاه قباذ بأمر شهريراز وكان ملكه سنة وستة أشهر

(ذكر ملك شهريراز)

ولم يكن من بيت الملك لما قتل اردشير جلس شهريراز واسمه فرخان على تخت المملكة فحين جلس ضرب عليه بطنه فاشتد ذلك ثم عوفى وتعاهد ثلاثة اخوة من أهل اصطخر على قتله غضبا لقتل اردشير وكانوا فى حرسه وكان الحرس يقفون سماطين اذا ركب الملك

وقال عبد الله بن عيسى كان فى وجه عمر خطان اسودان من البكاء وكان له كرامات جليلة لا تحصى منها ما ذكر فى تبصرة الادلة ودلائل النبوة ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ظهرت له كرامات فى العناصر الاربعة تصرف فى عنصر التراب وذلك انه وقعت زلزلة فى سنة عشرين من الهجرة فى خلافته فضرب برجله الارض وقال يا ارض اسكنى الم اعدل عليك فسكنت وفى النار فى قصة احتراق قرية رجل حين كلمه أن يخبر اسمه فابى وكان متعلقا بالنار كالشهاب والقبس والثاقب وفى الهواء فى قصة ندائه لسارية وهو على المنبر لما كشف له حاله وفى الماء فى قصة ارسال بطاقة الى نيل مصر لما بلغه عدم جريانه قال الحسن ان كان أحد يعرف الكذب اذا حدث به انه كذب فهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى أخرج اليهود من الحجاز الى الشام واخر مقام ابراهيم الى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت وأول من سمى أمير المؤمنين وأول من ضرب على الخمر ثمانين جلدة وأول من حرم المتعة وأول من نهى عن بيع امهات الاولاد وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز على أربع تكبيرات وهو اول من نصب القضاة فى الامصار واخرج البخارى فى تاريخه عن ابن المسيب قال اول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته فكتب ست عشرة من الهجرة بمشورة على رضى الله عنه واخرج ابن سعد عن شداد قال كان اول كلام تكلم به عمر حين ولى الخلافة

وقتلك اياه ومنها سوء صنيعك الينا معشر ابنائك في منعنا من مجالسة الناس وكل مالنا
نسعة ومنها اساءتك الى من خلدت في السجون ومنها اساءتك الى النساء تاخذهن
لنفسك وترك العطف عليهن ومنعهن عمن يعاشرهن ويرزقن منه الولد ومنها ما اتيت
الى رعيتك عامة من العنف والغلظة والفظاظة ومنها جمع الاموال في شدة وعنف من
اربابها ومنها تجميرك الجنود في ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين اهاليهم ومنها
غدرك بموريق ملك الروم مع احسانه اليك وحسن بلائه عندك وتزويجه اياك بابنته
ومنعك اياه خشبة الصليب التي لم يكن بك ولا باهل بلادك اليها حاجة فان كان لك حجة
تذكرها فافعل وان لم يكن لك حجة فتب الى الله تعالى حتى يامر فيك بامره قال فجاء الرسول
الى كسرى ابرويز فادى اليه الرسالة فقال ابرويز قل عني لشيرويه القصير العمر لا ينبغي
لاحد ان يتوب من أجل الصغير من الذنب الا بعد ان يتيقنه فضلا عن عظيمه ماذكرت
وكثرت منا ولو كنا كما تقول لم يكن لك أيها الجاهل ان تنشر عنا مثل هذا العظيم
الذي يوجب علينا القتل لما يلزمك في ذلك من العيوب فان قضاة أهل ملتك ينفون ولد
المستوجب للقتل من أبيه ويفونه من مضامة الاخيار ومجالستهم فضلا عن أن
يملك مع انه قد بلغ منا بحمد الله من اصلاحنا أنفسنا وابناءنا ورعيتنا ما ليس في شيء منه
تقصير ونحن نشرح الحال فيما لزمنا من الذنوب لتزداد علما بجهلك فن جوابنا ان الاشرار
اغروا كسرى هرمز والدنا بنا حتى اتهمنا فرأينا من سوء رأيه فينا ما تخوفنا منه فاعتزلنا
بابه الى أذربيجان وقد استفاض ذلك فلما انتهك منه ما انتهك نهضنا الى بابه فهجم المنافق
بهرام علينا فاجلانا عن المملكة فسرنا الى الروم وعدنا الى ملكنا واستحكم امرنا فبدأنا
باخذ الثار ممن قتل ابانا أو شرك في دمه واما ماذكرت في أبنائنا فانا كنا بكم
من يكفكم عن الانتشار فيما لا يعنيكم فتتأذى بكم الرعية والبلاد وكنا اقمنا لكم النفقات
الواسعة وجميع ما تحتاجون اليه واما أنت خاصة فان المنجمين قضوا في مولدك انك
مثرب علينا وان يكون ذلك بسببك وان ملك الهند كتب الينا كتابا واهدى لك هدية
فقرأنا الكتاب فاذا هو يبشرك بالملك بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكنا وقد ختمنا على
الكتاب وعلى مولدك وهما عند شيرين فان أحببت ان تقرأهما فافعل فلم يمنعنا ذلك عن
برك والاحسان اليك فضلا عن قتلك واما ماذكرت عمن خلدناه في السجون فجوابنا
تسالم فحبس الامن وجب عليه القتل أو قطع بعض الاطراف وقد كان الموكلون بهم
والوزراء يأمرون بقتل من وجب قتله قبل أن يحتالوا لانفسهم فكان يمنعنا الاستبقاء
وكراهتنا لسفك الدماء نتأنى بهم ونكل امرهم الى الله تعالى فان اخرجتهم من محبسهم
عصيت ربك وانجدت بعد ذلك وأما قولك انا جمعنا الاموال وأنواع الجواهر والامتعة
باعنف جمع وأشد الحاح فاعلم أيها الجاهل انه انما يقيم الملك بعد الله تعالى الاموال
والجنود وخاصة ملك فارس الذي قد اكتنفه الاعداء ولا يقدر على كفهم وردعهم عما
يريدونه الا بالجنود والاسلحة والعدد ولا سبيل الى ذلك الا بالمال وقد كان اسلافنا جمعوا
الاموال والسلاح وغير ذلك فاغار المنافق بهرام ومن معه على ذلك الا اليسير فلما ارتجعنا

الله عليه وسلم اول من يصافحه الحق عمر ٢٠٢ واول من يسلم عليه واخرج البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عمر سراج
أهل الجنة واخرج الطبراني
في الاوسط عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال جاء جبريل الى
النبي عليه السلام وقال اقرئ عمر
مني السلام واخبره ان غضبه عز
ورضاه حكم عن عثمان
ابن مظعون قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا غلق باب
الفتنة وأشار بيده الى عمر لا يزال
بينكم وبين الفتنة باب شديد
الغلق ما عاش هذا بين اظهركم
واخرج ابن عساكر عن
ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما في السماء ملك الا وهو
يوقر عمر ولا في الارض شيطان
الا وهو يفر من عمر وفي كتاب
فضائل الامامين لابي عبد الله
الشيباني قال وافق عمر ربه في
احد وعشرين موضعا قال قتادة
كان عمر يلبس وهو خليفة
جبة صوف مرقوعة بعضها بادم
ويطوف في الاسواق على عاتقه
الدرة يؤدب الناس بها ويمر
بالنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل
الناس فينتفعون به قال النخعي
كان عمر يتجر وهو خليفة فقام
بالامر أتم قيام وكثرت الفتوحات
في أيامه ففي سنة أربع عشرة
فتحت دمشق وحمص وبعلبك
صلحا والبصرة والابلة كلاهما
عنوة وفيها جمع الناس على صلاة
التراويح وقال عبد الله بن عامر
ابن ربيعة رأيت عمر أخذ تبنة من الارض فقال ياليتني كنت هذه التبنة ياليتني لم أك شيأ ليت امي لم تلدني

ما نذكره ان شاء الله في موضعه من فتوح المسلمين * هذا آخر ملوك الفرس ونذكر بعده التواريخ الاسلامية على سياقة سني الهجرة ونقدم قبل ذلك الايام المشهورة للعرب في الجاهلية ثم نأتي بعدها بالحوادث الاسلامية ان شاء الله تعالى

(ذكر أيام العرب في الجاهلية)

لم يذكر ابو جعفر من ايامها غير يوم ذي قار وجذيمة الابرش والزباء وطسم وجديس وماذكر ذلك الاحيث انهم ملوك فاغفل ما سوى ذلك ونحن نذكر الايام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد ولم اعرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير لانه يكثر ويخرج عن الحصر فنقول وبالله التوفيق

(ذكر حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين)

كان زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبي أحد من اجتمعت عليه قضاعة وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه وعاش مائتين وخمسين سنة اوقع فيها مائتي وقعة وقيل عاش اربعمائة وخمسين سنة وكان شجاعا مظفرا ميمون النقيبة وكان سبب غزاته غطفان ان بني بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا باجمعهم فتعرضت لهم صداء وهي قبيلة من مذحج فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون باهليهم واموالهم فقاتلوهم عن حريمهم فظهروا على صداء وفتكوا فيهم فعزت بغيض بذلك وأثرت وكثرت أموالها فلما رأوا ذلك قالوا والله لنتخذن حرما مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه فبنوا حرما ووليه بنو مرة بن عوف فلما بلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب قال والله لا يكون ذلك أبدا وانا حي ولا أخلي غطفان تتخذ حرما أبدا فنادى في قومه فاجتمعوا اليه فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم وقال ان اعظم مأثرة يدخرها هو وقومه ان يمنعوهم من ذلك فاجابوه فغزا بهم غطفان وقاتلهم ابرح قتال واشده وظفر بهم زهير واصاب حاجته منهم واخذ فارسا منهم في حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم ثم من على غطفان ورد النساء واخذ الاموال وقال زهير في ذلك

فلم تصبر لنا غطفان لما * تلاقينا واحرزت النساء
فلولا الفضل منا ما رجعتم * الى عذراء شيمتها الحياء
فدونكم دونا فاطلبوها * وأوتارا ودونكم اللقاء
فانا حيث لا يخفى عليكم * ليوث حين يحتضر اللواء
فقد اضحى لحى بني جناب * فضاء الارض والماء الرواء
نفينا نخوة الاعداء عنا * بارماح أسنتها ظماء
ولولا صبرنا يوم التقينا * لقينا مثل ما لقيت صداء
غداة تضرعوا لبني بغيض * وصدق الطعن للنوكى شفاء

واما حربه مع بكر وتغلب ابني وائل فكان سببها أن ابرهة حين طلع الى نجد اتاه زهير فاكرمه وفضله على من اتاه من العرب ثم أمره على بكر وتغلب ابني وائل فوليهم حتى اصابتهم سنة فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخراج فاقام بهم زهير في الحرب ومنعهم من

في وسطه ورسنه فتمكن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس فلم يزل هنالك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنى منه طعنه ثلاث طعنات وفي رواية اخرى كان عمر يقول أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر فجاء أبو لؤلؤة فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر وطعن معه ثلاثة عشر رجلا فمات منهم ستة وحمل عمر الى أهله وكادت الشمس تطلع وصلى بالناس عبد الرحمن بن عوف باقصر سورتين وأتى عمر بابن فشربه فخرج من جرحه فقال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام ثم قال لابنه يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا ونحوها فقال ان وفى مال آل عمر فاده من أموالهم والا فاسأل في بني عدي فان لم تف أموالهم فاسأل في قريش وقال اذهب الى أم المؤمنين عائشة فقل لها يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب اليها فقالت كنت أريده يعني المكان لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فأتى عبد الله فقال قد اذنت فحمد الله وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف قال ما ارى احدا أحق بهذا الامر من هؤلاء الستة فسماهم واصيب عمر يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الاحد مستهل المحرم وصلى عليه صهيب في المسجد ودفن بجنب صاحبيه والصق لحده بلحد الصديق ورأسه عند كتفي الصديق واختلفوا في سنه والاصح ستون سنة ورجحه الواقدي وكانت مدة خلافته عشر سنين

عليهم السلاح وبأيديهم السيوف والرماح فاذا حاذى الملك بعضهم وضع جبهته على ترسه فوق الترس كهيئة السجود فركب شهريراز يوما فوقف الاخوة الثلاثة بعضهم قريب من بعض فلما حاذاهم طعنوه فسقط ميتا فشدوا فى رجله حبلا وجروه وساعدهم بعض العظماء وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا اردشير وكان جميع ملكه أربعين يوما

(ذكر ملك بوران ابنة ابرويز بن هرمز بن انوشروان)

لما قتل شهريراز ملكت الفرس بوران لانهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلا يملكونه فلما ملكت أحسنت السيرة فى رعيتها وعدلت فيهم فاصلحت القناطر ووضعت ما بقى من الخراج وردت خشبة الصليب على ملك الروم وكانت مملكتها سنة وأربعة أشهر ثم ملك بعدها رجل يقال له خشنشبنده من بنى عم ابرويز الابعدين وكان ملكه أقل من شهر وقتله الجند لانهم أنكروا سيرته

(ذكر ملك ارزميدخت ابنة ابرويز)

لما قتل خشنشبنده ملكت الفرس ارزميدخت ابنة ابرويز وكانت من اجمل النساء وكان عظيم الفرس يومئذ فرخهرمز اصبهبذ خراسان فارسل اليها يخطبها فقالت ان التزوج للملكة غير جائز وغرضك انما قضاء حاجتك منى فصر الى وقت كذا ففعل وسار اليها تلك الليلة فتقدمت الى صاحب حرسها أن يقتله فقتله وطرح فى رحبة دار المملكة فلما اصبحوا رأوه قتيلا فغيبوه وكان ابنه رستم وهو الذى قاتل المسلمين بالقادسية خليفة أبيه بخراسان فسار فى عسكر حتى نزل بالمدائن وسمل عينى ارزميدخت وقتلها وقيل بل سمت وكان ملكها ستة أشهر قيل ثم أتى برجل يقال له كسرى بن مهر جسنس من عقب اردشير ابن بابك كان ينزل الاهواز فملكه العظماء ولبس التاج وقتل بعد ايام وقيل ان الذى ملك بعد ارزميدخت خرزادخسرو من ولد ابرويز وامه كردية اخت بسطام قيل وجد بحصن الحجارة بقرب نصيبين فملكت اياما يسيرة ثم خلعوه وقتلوه وكان ملكه ستة أشهر وقال الذين قالوا ملك كسرى بن مهر جسنس انه لما قتل طلب عظماء الفرس من له نسب بيت المملكة ولو من النساء فاتوا برجل كان يسكن ميسان يقال له فيروز بن مهران جسنس ويسمى أيضا جسنسنده امه صهار بخت ابنة يزدانزان بن انوشروان فملكوه وكان ضخم الرأس فلما توج قال ما اضيق هذا التاج فتطيروا من كلامه فقتلوه فى الحال وقيل كان قتله بعد ايام

(ذكر ملك يزدجرد بن شهريار بن ابرويز)

ثم ان الفرس اضطرب أمرهم ودخل المسلمون بلادهم فطلبوا أحدا من بيت المملكة ليملكوه ويقاتلوا بين يديه ويحفظوا بلادهم فظفروا بيزدجرد بن شهريار بن ابرويز باصطخر فاخذوه وساروا به الى المدائن فملكوه واستقر فى الملك غير ان ملكه كان كالخيال عند ملك أهل بيته وكان الوزراء والعظماء يدبرون ملكه لحداثة سنه وضعف أمر مملكة فارس واجترأ عليهم الاعداء وتطرقوا بلادهم وغزت العرب بلاده بعد ان مضى من ملكه سنتان وكان عمره كله الى أن قتل ثمانيا وعشرين سنة وبقى من أخباره

وصعد المنبر فقال اللهم انى شديد فلينى وانى ضعيف فقونى وانى بخيل فسخنى قال سعيد بن المسيب لما نفر عمر من منى اناخ بالابطح ثم استلقى ورفع يديه الى السماء وقال اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل قال كعب الاحبار اجدك فى التوراة تقتل شهيدا قال وأنى لى بالشهادة وانا بجزيرة العرب فقال اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك اخرجه البخارى وقال سعد بن أبى طلحة رضى الله عنه خطب عمر رضى الله عنه فقال رأيت كان ديكا نقرنى نقرة أو نقرتين وانى لااراه الاحضور اجلى وان قوما يأمروننى ان استخلف وان الله لم يكن ان يضيع دينه ولا خلافته فان عجل بى فامر الخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وقد جعلتها شورى فى عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وكان سبب وفاته انه كان للمغيرة عبد مجوسى اسمه ابو لؤلؤة وكان ضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر فجاء الى عمر يشتكى شدة الخراج وقال ما صنعتك قال حداد ونقاش ونجار قال ما خراجك بكثير فانصرف ساخطا ثم عاد بعد ايام فقال يا امير المؤمنين ان المغيرة زاد على فكلمه كى يخفف عنى فقال احسن الى مولاك ومن نية عمران يكلم المغيرة فيه فغضب وقال يسع الناس كلهم عدله غيرى واضمر قتله واتخذ خنجرا ذا رأسين نصابه

أعدى الناس للمرء ابن اخيه ثم شرب الخمر صرفا حتى مات وممن شرب الخمر صرفا حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبي وأبو عامر ملاعب الاسنة العامري

(ذكر يوم البردان)

فكان من حديثه ان زياد بن الهبولة ملك الشام وكان من سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أغار على حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندي ملك عرب نجد ونواحي العراق وهو يلقب آكل المرار وكان حجر قد اغار في كندة وربيعة على البحرين فبلغ زيادا خبرهم فسار الى أهل حجر وربيعة وأموالهم وهم خلوف ورجالهم في غزاتهم المذكورة فاخذ الحريم والاموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية وسمع حجر وكندة وربيعة بغارة زياد فعادوا عن غزوهم في طلب ابن الهبولة ومع حجر اشراف ربيعة عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وغيرهما فادركوا عمرا بالبردان دون عين أباغ وقد امن الطلب فنزل حجر في سفح جبل ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء يقال له حفير فتعجل عوف ابن محلم وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وقالا لحجر انا متعجلان الى زياد لعلنا ناخذ منه بعض ما اصاب منا فسارا اليه وكان بينه وبين عوف اخاء فدخل عليه وقال له يا خير الفتيان اردد على امرأتي امامة فردها عليه وهي حامل فولدت له بنتا أراد عوف ان يئدها فاستوهبها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال لعلها تلد أناسا فسميت أم أناس فتزوجها الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار فولدت عمرا ويعرف بابن ام اناس ثم ان عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد يا خير الفتيان اردد على ما اخذت من ابلي فردها عليه وفيها فحلها فنازعه الفحل الى الابل فصرعه عمرو فقال له زياد يا عمرو لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أنتم أنتم فقال له عمرو لقد اعطيت قليلا وسميت جليلا وجررت على نفسك ويلا طويلا ولتجدن منه ولا والله لا تبرح حتى اروي سناني من دمك ثم ركض فرسه حتى صار الى حجر فلم يوضح له الخبر فارسل سدوس بن شيبان بن ذهل وصليع ابن عبد غنم يتجسسان له الخبر ويعلمان علم العسكر فخرجا حتى هجما على عسكره ليلا وقد قسم الغنيمة وجيء بالشمع فاطعم الناس تمرا وسمنا فلما أكل الناس نادى من جاء بحزمة حطب فله قدرة تمر فجاء سدوس وصليع بحطب واخذا قدرتين من تمر وجلسا قريبا من قبته ثم انصرف صليع الى حجر فاخبره بعسكر زياد واراه التمر واما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه بامر جلي وجلس مع القوم يتسمع ما يقولون وهند امرأة حجر خلف زياد فقالت لزياد ان هذا التمر أهدى الى حجر من هجر والسمن من دومة الجندل ثم تفرق اصحاب زياد عنه فضرب سدوس يده الى جليس له وقال له من أنت مخافة ان يستنكره الرجل فقال انا فلان بن فلان ودنا سدوس من قبة زياد بحيث يسمع كلامه ودنا زياد من امرأة حجر فقبلها وداعبها وقال لها ما ظنك الآن بحجر فقالت ما هو ظن ولكنه يقين انه والله ان يدع طلبك حتى تعاين القصور الحمر يعني قصور الشام وكاني به في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونه وهو شديد الكلب تزبد شفتاه كانه بعير اكل مرارا فالنجاء

بالذي خلق فسوى قيل كان سبب اختلال امر الخلافة ووقوع الملاحم ولو لم يقع خاتمه صلى الله عليه وسلم في البئر لانتظم امر الخلافة في امته الى يوم القيامة ولكن كان امر الله قدرا مقدورا وكان مولده قبل النبي صلى الله عليه وسلم بست سنين اخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما زوج النبي عليه السلام بنته ام كلثوم لعثمان رضي الله عنه قال لها ان بعلك أشبه الناس بجدك ابراهيم الخليل عليه السلام وابيك محمد عن عبد الله بن حزم المازني قال رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فما رأيت قط ذكرا ولا أنثى احسن وجها منه قال ابن اسحق هو اول الناس اسلاما بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة فهو ثالث الخلفاء وزوج بنتي المصطفى صلى الله عليه وسلم تزوج رقية قبل النبوة وماتت في ليالي بدر عنده فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها باختها ام كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة ولذلك سمي ذا النورين ولم يعقبا أخرج ابن عساكر عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان لو ان لي اربعين بنتا لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة قال العلماء لا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره فهو من السابقين الاولين وأول المهاجرين واحد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهو الذي جمع القرآن روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا

النجعة حتى يؤذوا ما عليهم فكانت واشيهم تهلك فلما رأى ذلك ابن زيابة أحد بني تيم الله بن ثعلبة وكان فاتكا أتى زهيرا وهو نائم فاعتمد التيمي بالسيف على بطن زهير فخرقها حتى خرج من ظهره مارقا بين الصفاق وسلمت امعاؤه وما في بطنه وظن التيمي انه قد قتله وعلم زهير انه قد سلم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه فسكت فانصرف التيمي الى قومه فاعلمهم انه قتل زهيرا فسرهم ذلك ولم يكن مع زهير الا نفر من قومه فأمرهم أن يظهروا أنه ميت وان يستأذنوا بكرا وتغلب في دفنه فاذا أذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وساروا مجدين الى قومهم ففعلوا ذلك فاذنت لهم بكر وتغلب في دفنه فحفروا وعمقوا ودفنوا ثيابا ملفوفة لم يشك من رآها ان فيها ميتا ثم ساروا مجدين الى قومهم فجمع لهم زهير الجموع وبلغهم الخبر فقال ابن زيابة

طعنة ما طعنت في غلس الليـ * ـل زهيرا وقد توافى الخصوم
حين تحمى له المواسم بكر * أين بكر واين منها الحلوم
خانني السيف اذ طعنت زهيرا * وهو سيف مضلل مشؤم

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكرا وتغلب وكانوا علموا به فقاتلهم قتالا شديدا انهزمت به بكر وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت أيضا واسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتلى في بني تغلب وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم فقال زهير في ذلك من قصيدة

اين اين الفرار من حذر المو * ت اذ يتقون بالاسلاب
اذ أسرنا مهلهلا واخاه * وابن عمرو في القيد وابن شهاب
وسبينا من تغلب كل بيضا * ء رقود الضحى برود الرضاب
حين تدعو مهلهلا يا لبكر * ها أهذي حفيظة الاحساب
ويحكم ويحكم ابيح حماكم * يا بني تغلب أنا ابن رضاب
وهم هاربون في كل فج * كشريد النعام فوق الروابي
واستدارت رحا المنايا عليهم * بليوث من عامر وجناب
فهم بين هارب ليس يألو * وقتيل معفر في التراب
فضل العز عزنا حين نسمو * مثل فضل السماء فوق السحاب

واما حربه مع بني القين بن جسر فكان سببها ان اخت زهير كانت متزوجة فيهم فجاء رسولها الى زهير ومعه صرة فيها رمل وصرة فيها شوك قتاد فقال زهير انها تخبركم انه يأتيكم عدو كثير ذو شوكة شديدة فاحتملوا فقال الجلاح بن عوف السهمي لا نحتمل لقول امرأة فظعن زهير واقام الجلاح وصبحه الجيش فقتلوا عامة قوم الجلاح وذهبوا باموالهم وماله ومضى زهير فاجتمع مع عشيرته من بني جناب وبلغ الجيش خبره فقصدوه فقاتلهم وصبراهم فهزمهم وقتل رئيسهم فانصرفوا عنه خائبين ولما طال عمر زهير وكبرت سنه استخلف ابن أخيه عبد الله بن عليم فقال زهير يوما الا ان الحي ظاعن فقال عبد الله الا ان الحي مقيم فقال زهير من هذا المخالف علي فقالوا ابن أخيك عبد الله بن عليم فقال

وستة أشهر الا يوما واخرج سليمان بن يسار ان الجن ناحت على عمر عن سالم بن عبد الله بن عمر قال سمعت رجلا من الانصار يقول دعوت الله ان يريني عمر في المنام فرأيته بعد عشر سنين وهو يمسح العرق عن جبينه فقلت يا أمير المؤمنين ما فعل الله بك قال الآن فرغت ولولا رحمة ربي لهلكت وأخرج الطبراني عن طارق بن شهاب قال قالت ام ايمن يوم قتل عمر اليوم وهى الاسلام وعن عبد الرحمن بن يسار قال شهدت موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانكسفت الشمس يومئذ رضي الله تعالى عنه

(الفصل الثالث في ذكر عثمان ابن عفان خليفة التقى والايمان رضي الله عنه)

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الاموي يلتقي نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ويقال له أبو عمرو وابو عبد الله كان رجلا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه ابيض مشرب بحمرة وبوجهه نكتات جدري كبير اللحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين خدل الساقين طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه جعد الرأس اصلع أحسن الناس ثغرا يخضب الصفرة وكان قد شد أسنانه الذهب وأمه أروى بنت كريز وكان خاتمه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سقط في البئر اتخذ خاتما من فضة فنقش عليه لتصبرن أو لتندمن وقيل نقش عليه آمنت

كثير فكيف يستقيم ان يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه وحيث اطبقت رواة العرب على هذه الغزاة فلابد من توجيهها واصلح ما قيل فيه ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيسا على قوم أو متغلبا على بعض اطراف الشام حتى يستقيم هذا القول والله أعلم وقولهم أيضا ان حجرا عاد الى الحيرة لا يستقيم أيضا لان ملوك الحيرة من ولد عدى بن نصر اللخمى لم ينقطع ملكهم الا ايام قباذ فانه استعمل الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار كما ذكرناه قبل فلما ولى انوشروان عزل الحرث وأعاد اللخميين ويشبه ان يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا تعصبا والله أعلم ان أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح بل قال هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ولم يذكر عوده الى الحيرة فزال هذا الوهم * وسليح بفتح السين المهملة وكسر اللام وآخره حاء مهملة *

(ذكر قتل حجر أبى امرئ القيس والحروب الحادثة بقتله الى أن مات امرؤ القيس)

نذكر أولا سبب ملكهم العرب بنجد ونسوق الحادثة الى قتله وما يتصل به فنقول كان سفهاء بكر قد غلب على عقلائها وغلبوهم على الامر وأكل القوى الضعيف فنظر العقلاء فى أمرهم فرأوا ان يملكوا عليهم ملكا يأخذ للضعيف من القوى فنهاهم العرب وعلموا ان هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم لانه يطيعه قوم ويخالفه آخرون فساروا الى بعض تابعة اليمن وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين وطلبوا منه ان يملك عليهم ملكا فملك عليهم حجر بن عمرو آكل المرار فقدم عليهم ونزل ببطن عاقل واغار ببكر فانتزع عامة ما كان بايدى اللخميين من أرض بكر وبقى كذلك الى ان مات فدفن ببطن عاقل فلما مات صار عمرو بن حجر آكل المرار وهو المقصور ملكا بعد أبيه وانما قيل له المقصور لانه قصر على ملك أبيه وكان أخوه معاوية وهو الجون على اليمامة فلما مات عمرو ملك بعده ابنه الحرث وكان شديد الملك بعيد الصوت فلما ملك قباذ بن فيروز الفرس خرج فى أيامه مزدك فدعا الناس الى الزندقة كما ذكرناه فاجابه قباذ الى ذلك وكان المنذر بن ماء السماء عاملا للاكاسرة على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى الدخول معه فامتنع فدعا الحرث بن عمرو الى ذلك فاجابه فاستعمله على الحيرة وطرد المنذر عن مملكته وقيل فى تمليكه غير ذلك وقد ذكرناه أيام قباذ فبقوا كذلك الى ان ملك كسرى انوشروان بن قباذ بعد أبيه فقتل مزدك وأصحابه واعاد المنذر بن ماء السماء الى ولاية الحيرة وطلب الحرث بن عمرو وكان بالانبار وبها منزله فهرب باولاده وماله وهجانه وتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء فلحق بارض كلب فنجا وانتهبوا ماله وهجانه وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار فيهم عمرو ومالك ابنا الحرث فقدموا بهم على المنذر فقتلهم فى ديار بنى مرينا وفيهم يقول عمرو ابن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

ملوك من بنى حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا * ولكن فى ديار بنى مرينا

وقال لك من التقدم فى الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت

الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال نعم ثم خلا بعثمان فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه على وبقية المهاجرين والانصار وفى مسند احمد عن ابى وائل قال قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا قال ما ذنبى قد بدأت بعلى فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة ابى بكر وعمر فقال فيما استطعت ثم عرضت ذلك على عثمان فقال نعم وفى سنة ست وعشرين من الهجرة زاد عثمان فى المسجد الحرام ووسعه واشترى أماكن كثيرة للزيادة وزاد ايضا فى مسجد المدينة مما يلى القبلة ووسعه وجعل طوله مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين ذراعا وفتح فى أيامه فتوحات جليلة كثيرة حتى كثر الخراج وأتاه المال من كل وجه حتى اتخذ له الخزائن وادر الارزاق قال الزهرى وكان عثمان احب الى قريش من عمر بن الخطاب لان عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم وكان سبب قتله انه ولى عبد الله بن ابى سرح مدينة مصر فمكث عليها سنين ثم عزله بشكوى اهل مصر وولى مكانه محمد بن ابى بكر بطلبهم فلما سار وكان على مسيرة ثلاثة فراسخ من المدينة اذا هو بغلام اسود على بعير يسرع فى مشيه كأنه رجل يطلب او يطلب فسألوه فقال انا غلام امير المؤمنين وجهنى الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه

فالنجاء فان وراءك طالبا حثيثا وجمعا كثيفا وكيدا متينا ورأيا صليبا فرفع يده فلطمها ثم قال لها ما قلت هذا الا من عجبك به وحبك له فقالت والله ما ابغضت احدا بغضي له ولا رأيت رجلا احزم منه نائما ومستيقظا ان كان لتنام عيناه فبعض اعضائه مستيقظ وكان اذا أراد النوم امرني ان اجعل عنده عسا من لبن فبينا هو ذات ليلة نائم وانا قريب منه انظر اليه اذ اقبل أسود سالخ الى رأسه فنحى رأسه فمال الى يده فقبضها فمال الى رجله فقبضها فمال الى العس فشرب به ثم مجه فقلت يستيقظ فيشرب به فيموت فاستريح منه فانتبه من نومه فقال علي بالاناء فناولته فشمه ثم ألقاه فهريق فقال اين ذهب الاسود فقلت ما رأيته فقال كذبت والله وذلك كله بسمع سدوس فسار حتى اتى حجرا فلما دخل عليه قال

أتاك المرجفون بأمر غيب * على دهش وجئتك باليقين
فمن يك قد اتاك بأمر لبس * فقد آتى بأمر مستبين

ثم قص عليه ما سمع فجعل حجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا ولا يشعر انه يأكله من شدة الغضب فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حجر المرار فسمي يومئذ آكل المرار والمرار نبت شديد المرارة لا تأكله دابة الا قتلها ثم أمر حجر فنودي في الناس وركب وسار الى زياد فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم زياد وأهل الشام وقتلوا قتلا ذريعا واستنقذت بكر وكندة ما كان بايديهم من الغنائم والسبي وعرف سدوس زيادا فحمل عليه فاعتنقه وصرعه واخذه اسيرا فلما رآه عمرو بن ابي ربيعة حسده فطعن زيادا فقتله فغضب سدوس وقال قتلت اسيري وديته دية ملك فتحاكما الى حجر فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك واعانهم من ماله واخذ حجر زوجته هندا فربطها في فرسين ثم ركضهما حتى قطعاها ويقال بل احرقها وقال فيها

انّ من غرّه النساء بشيء * بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين والحديث ومرّ * كل شيء اجنّ منها الضمير
كل أنثى وان بدا لك منها * آية الحب حبها خيتعور

ثم عاد الى الحيرة (قلت) هكذا قال بعض العلماء ان زياد بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حجرا وهذا غير صحيح لان ملوك سليح كانوا باطراف الشام مما يلي البر من فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ومنهم اخذت غسان هذه البلاد وكلهم كانوا عمالا لملوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالا لملوك الفرس على البر والعرب ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال وقولهم ملك الشام غير صحيح وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارق الشام اقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل لان حجرا هو جد الحرث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بالعراق ايام قباذ ابي انوشروان وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة وقد ملكت غسان اطراف الشام بعد سليح ستمائة سنة وقيل خمسمائة سنة وأقل ما سمعت فيه ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وكانوا بعد سليح ولم يكن زياد آخر ملوك سليح فتزيد المدة زيادة اخرى وهذا تفاوت

كثير

اخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال الا استحي من رجل تستحي منه الملائكة

واخرج الترمذي عن عبد الرحمن ابن خباب قال شهدت النبي عليه السلام وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه يا رسول الله عليّ مائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش قال عثمان يا رسول الله عليّ مائتا بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله عليّ ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا عليّ ما ضرّ عثمان ما عمل بعد هذه وعن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعني عثمان بويع له بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليال وذلك ان الناس كانوا يجتمعون في تلك الايام الى عبد الرحمن بن عوف يشاورونه فقال عبد الرحمن اجعلوا امركم الى ثلاث من الستة فقال الزبير قد جعلت امري الى عليّ وقال سعد قد جعلت امري الى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت امري الى عثمان قال فخلا هؤلاء الثلاثة فقال عبد الرحمن انا لا اريد الخلافة فايكما يبرأ من هذا الامر ونجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم في نفسه وليحرصن على صلاح الامة فسكت علي وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه الي والله لا اعدل به عن افضلكم قالا نعم فخلا بعلي

يقض عليه فاوصى حجر ودفع كتابه الى رجل وقال له انطلق الى ابنى نافع وكان اكبر اولاده فان بكى وجزع فاتركه واستقرهم واحدا واحدا حتى تاتى امرأ القيس وكان اصغرهم فايهم لم يجزع فادفع اليه خيلى وسلاحى ووصيتى وقد كان بين فى وصيته من قتله وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته الى ابنه نافع فوضع التراب على رأسه ثم أتاهم كلهم ففعلوا مثله حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعب معه بالنرد فقال قتل حجر فلم يلتفت الى قوله وأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس اضرب فضرب حتى اذا فرغ قال ما كنت لافسد دستك ثم سأل الرسول عن امر أبيه كله فاخبره فقال له الخمر والنساء على حرام حتى اقتل من بنى اسد مائة واطلق مائة وكان حجر قد طرد امرأ القيس لقوله الشعر وكان يأنف منه وكانت ام امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب بن وائل وكان يسير فى احياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيد فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدمون من ارض اليمن فلما سمع الخبر قال

تطاول الليل علينا دمون * دمون انا معشر يمانون * واننا لقومنا محبون

ثم قال ضيعنى صغيرا وحملنى دمه كبيرا لاصحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا امر فذهبت مثلا ثم ارتحل حتى نزل ببكر وتغلب فسألهم النصر على بنى اسد فاجابوه فبعث العيون الى بنى اسد فنذروا به فلجؤا الى بنى كنانة وعيون امرئ القيس معهم فقال لهم علباء بن الحرث اعلموا ان عيون امرئ القيس قد عادوا اليه بخبركم وانكم عند بنى كنانة فارحلوا بليل ولا تعلموا بنى كنانة فارتحلوا واقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب وغيرهم حتى انتهى الى بنى كنانة وهو يظنهم بنى اسد فوضع السلاح فيهم وقال يالثارات الملك يالثارات الهمام فقيل له أبيت اللعن لسنا لك بثار نحن بنو كنانة فدونك ثارك فاطلبهم فان القوم قد ساروا بالامس فتبع بنى أسد ففاتوه ليلتهم فقال فى ذلك

الا يالهف هند اثر قوم * هموا كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببنى أبيهم * وبالاشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركنه صفر الوطاب

يعنى ببنى ابيهم كنانة فان اسدا وكنانة ابنى خزيمة هما اخوان وقوله ولو أدركنه صفر الوطاب قيل كانوا قتلوه واستاقوا ابله فصفرت وطابه من اللبن اى خلت وقيل كانوا قتلوه فخلا جلده وهو وطابه من دمه بقتله فسار امرؤ القيس فى آثار بنى اسد فادركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وهلكوا عطشا وبنو اسد نازلون على الماء فقاتلهم حتى كثرت القتلى بينهم وهربت بنو اسد فلما أصبحت بكر وتغلب ابوا ان يتبعوهم وقالوا قد أصبت ثارك فقال لا والله فقالوا بلى ولكنك رجل مشؤم وكرهوا قتالهم بنى كنانة فانصرفوا عنه ومضى الى ازدشنوأة يستنصرهم فابوا ان ينصروه وقالوا اخواننا وجيراننا فسار عنهم ونزل بقيل يدعى مرثد الخير بن ذى جدن الحميرى وكان بينهما قرابة فاستنصره على بنى اسد فامده بخمسمائة رجل من حمير ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس وملك بعده رجل من حمير يقال له قرمل فزود امرأ القيس ثم سير معه ذلك الجيش وتبعه شذاذ من العرب

حتى فيهم بقية لو نفي فلما اشتد عطشه اشرف على الناس فقال افيكم علي فقالوا لا فقال أفيكم سعد فقالوا لا فسكت ثم قال الا احد يبلغ عليا فيسقينا ماء فبلغ ذلك عليا فبعث اليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما وصل اليه حتى جرح بسببها عدة من بنى هاشم وبنى امية فلما بلغ عليا ان عثمان محاصر يراد قتله قام خارجا من منزله معتما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه وامامه ابنه الحسن وعبد الله بن عمر فى نفر من الصحابة والمهاجرين والانصار رضى الله عنهم ودخلوا على عثمان وهو محصور فقال له على كرم الله وجهه السلام عليك يا امير المؤمنين انك امام العامة وقد نزل بك ماترى وانى أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر احداهن اما ان تخرج فتقاتلهم ونحن معك وأنت على الحق وهم على الباطل واما ان تخرق بابا سوى الباب الذى هم عليه فتركب رواحلك وتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وأنت بها واما ان تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية فقال عثمان اما ان اخرج الى مكة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن اكون انا واما ان الحق بالشام فلن افارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا فأذن لنا ان نقاتلهم ونكشفهم عنك قال فلا أكون اول من يأذن فى محاربة امة محمد صلى الله عليه وسلم فخرج على وهو يسترجع وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل اليه وبعث الزبير ابنه وبعث

ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

واقام الحرث بديار كلب فتزعم كلب انهم قتلوه وعلماء كندة تزعم انه خرج متصيدا فتبع تيسا من الظباء فاعجزه فاقسم ان لا يأكل شيئا الا من كبده فطلبته الخيل فأتى به بعد ثلاثة وقد كاد يهلك جوعا فشوى له بطنه فاكل فلذة من كبده حارة فمات ولما كان الحرث بالحيرة أتاه اشراف عدة قبائل من نزار فقالوا انا في طاعتك وقد وقع بيننا من الشر بالقتل ما تعلم ونخاف الفناء فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض ففرق أولاده في قبائل العرب فملك ابنه حجرا على بني اسد بن خزيمة وغطفان وملك ابنه شرحبيل وهو الذي قتل يوم الكلاب على بكر بن وائل باسرها وعلى غيرها وملك ابنه معديكرب وهو غلفاء وانما قيل له غلفاء لانه كان يغلف رأسه بالطيب على قيس عيلان وطوائف غيرهم وملك ابنه سلمة على تغلب والنمر بن قاسط وبني سعد بن زيد مناة من تميم فبقي حجر في بني اسد وله عليهم جائزة وأتاوة كل سنة لما يحتاج اليه فبقي كذلك دهرا ثم بعث اليهم من يجبي ذلك منهم وكانوا بتهامة وطردوا رسله وضربوهم فبلغ ذلك حجرا فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة فأتاهم فأخذ سرواتهم وخيارهم وجعل يقتلهم بالعصا وأباح الاموال وسيرهم الى تهامة وحبس منهم جماعة من أشرافهم منهم عبيد بن الابرص الشاعر فقال شعرا يستعطفه لهم فرق لهم وارسل من يردهم فلما صاروا على يوم منه تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الاسدي فقال لهم من الملك الصلهب الغلاب غير المغلب في الابل كأنها الربرب هذا دمه يتثعب وهو غدا أول من يستلب قالوا ومن هو قال لولا تجيش نفس جاشية لاخبرتكم انه حجر ضاحية فركبوا كل صعب وذلول حتى بلغوا الى عسكر حجر فهجموا عليه في قبته فقتلوه وطعنه علباء بن الحرث الكاهلي فقتله وكان حجر قتل أباه فلما قتل قالت بنو أسد يا معشر كنانة وقيس أنتم اخواننا وبنو عمنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم فشدوا على هجائنه فانتهبوها ولفوه في ريطة بيضاء والقوه على الطريق فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا اسلابه واجار عمرو بن مسعود عياله وقيل ان حجرا لما رأى اجتماع بني اسد عليه خافهم فاستجار عوير بن شجنة احد بني عطارد بن كعب بن زيد مناة بن تميم لابنته هند بنت حجر وعياله وقال لبني اسد ان كان هذا شأنكم فاني مرتحل عنكم ومخليكم وشأنكم فوادعوه على ذلك وسار عنهم واقام في قومه مدة ثم جمع لهم جمعا عظيما واقبل اليهم مدلا بمن معه فتآمرت بنو اسد وقالوا والله لئن قهركم ليحكمن عليكم حكم الصبي فما خير العيش حينئذ فموتوا كراما فاجتمعوا وساروا الى حجر فلقوه فاقتتلوا قتالا شديدا وكان صاحب امرهم علباء بن الحرث فحمل على حجر فطعنه فقتله وانهزمت كندة ومن معهم واسر بنو أسد من اهل بيت حجر وغنموا حتى ملؤا ايديهم من الغنائم وأخذوا جواريه ونساءه وما معهم فاقتسموه بينهم وقيل ان حجرا أخذ أسيرا في المعركة وجعل في قبة فوثب عليه ابن اخت علباء فضربه بحديدة كانت معه لان حجرا كان قتل اباه فلم يجهز

فوجدوا معه كتابا ففتحوه فاذا فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وابطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي في ذلك ان شاء الله تعالى فلما قرأ الكتاب رجع الى المدينة مع من معه والغلام معه ودخل على عثمان ومعه علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال علي كرم الله وجهه هذا الغلام غلامك قال نعم والبعير بعيرك قال نعم قال فأنت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله تعالى ما كتبت هذا الكتاب ولا امرت به ولا علم لي به قال له علي والخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به فحلف بالله تعالى اني ما كتبت هذا الكتاب ولا امرت ولا وجهت هذا الغلام الى مصر قط وأما الخط فعرفوا انه خط مروان وشكوا في أمر عثمان وسألوه ان يدفع اليهم مروان فخاف ان يقتلوه فأبى وكان مروان عنده في الدار وعلموا ان عثمان لا يحلف بباطل وانه بريء من هذا الامر الا ان قوما قالوا لن يبرأ عثمان من قلوبنا الا ان يدفع الينا مروان حتى نباحثه ونعرف حال الكتاب فأبى عثمان من دفعه فحاصروه في داره ومنعوه الماء قال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه كنا مع عثمان رضي الله عنه وهو محصور في الدار فقال وبم يقتلونني وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بعد اسلام او زنى بعد احصان أو قتل نفسا بغير حق فيقتل بها فوالله ما أحببت لديني بدلا منذ هداني الله تعالى ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا قتلت نفسا بغير

السموأل ان يسلم اليه شيأ فقتل ابنه فقال السموأل فى ذلك

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ماذم اقوام وفيت
واوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم ياسموأل ما بنيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت استقيت

وقد ذكر الاعشى هذه الحادثة فقال

كن كالسموأل اذطاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار
اذسامه خطتى خسف فقال له * قل ماتشاء فانى سامع حار
فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر فما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك انى مانع جار

وهى أكثر من هذا

(يوم خزاز)

وكان من حديثه ان ملكا من ملوك اليمن كان فى يديه اسارى من مضر وربيعة وقضاعة فوفد عليه وفد من وجوه بنى معد منهم سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وعوف بن محلم ابن ذهل بن شيبان وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان وجشم بن ذهل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان فلقيهم رجل من بهراء يقال له عبيد بن قراد وكان فى الاسارى وكان شاعرا فسألهم ان يدخلوه فى عدة من يسألون فيه فكلموا الملك فيه وفى الاسارى فوهبهم لهم فقال عبيد بن قراد البهراوى

نفسى الفداء لعوف الفعال * وعوف ولابن هلال جشم
تداركنى بعد ما قد هويت * مستمسكا بعرا فى الوذم
ولولا سدوس وقد شمرت * بى الحرب زلت بنعلى القدم
وناديت بهراء كى يسمعوا * وليس بآذانهم من صمم
ومن قبلها عصمت قاسط * معدا اذا ما عزيز أزم

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة وقال للباقين ائتونى برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لى والاقتداء أصحابكم فرجعوا الى قومهم فاخبروهم الخبر فبعث كليب وائل الى ربيعة فجمعهم واجتمعت عليه معد وهو احد النفر الذين اجتمعت عليهم معد على ما نذكره فى مقتل كليب فلما اجتمعوا عليه سار بهم وجعل على مقدمته السفاح التغلبى وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن تغلب وأمرهم أن يوقدوا على خزاز نارا ليهتدوا بها وخزاز جبل بطخفة ما بين البصرة الى مكة وهو قريب من سالع وهو جبل أيضا وقال له ان غشيك العدو فاوقد نارين فبلغ مذحجا اجتماع ربيعة ومسيرها فاقبلوا بجموعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا اليهم فلما سمع اهل تهامة بمسير مذحج انضموا الى ربيعة ووصلت مذحج الى خزاز ليلا فرفع السفاح نارين فلما رأى كليب النارين اقبل اليهم بالجموع فصبحهم فالتقوا بخزاز فاقتتلوا قتالا شديدا أكثروا فيه القتل فانهزمت مذحج وانفضت جموعها فقال السفاح فى ذلك

وجاء الناس يهرعون اليه فقالوا انه لابد من امير فقال على والله انى لاستحى ان ابايع قوما قتلوا عثمان وانى لاستحى من الله تعالى ان ابايع وعثمان لم يدفن بعد فافترقوا ثم رجعوا فسألوه البيعة فقال اللهم انى مشفق مما اقدم عليه فقال لهم ليس ذلك اليكم انما ذلك لاهل بدر فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق احد من أهل بدر حتى أتى عليا فقالوا مانرى احدا أحق بها منك مديدك نبايعك فبايعوه فهرب مروان وولده وجاء على وسأل امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدرى دخل عليه محمد بن أبى بكر ومعه رجلان لا اعرفهما فدعا محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب والله دخلت عليه وانا أريد قتله فذكر لى أبى فقمت عنه وانا تائب الى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته فقالت امرأته صدق ولكنه أدخلهما عليه وكان قتل عثمان فى وسط أيام التشريق يوم الجمعة ثمان عشر بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء فى حش كوكب بالبقيع وهو أول من دفن به وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة وصلى عليه الزبير ودفنه *عن زيد بن أبى حبيب قال بلغنى ان عامة من أشار الى قتل عثمان جنوا *عن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذى نفسى بيده لايموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره عن ابن عباس

واستأجر غيرهم من قبائل اليمن فسار بهم الى بنى اسد وظفر بهم ثم ان المنذر طلب امرأ القيس ولج فى طلبه ووجه الجيوش اليه فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقة وتفرق عنه من كان معه من حمير وغيرهم فنجا فى جماعة من أهله ونزل بالحرث بن شهاب اليربوعى وهو أبو عتيبة بن الحرث فأرسل اليه المنذر يتوعده بالقتال ان لم يسلمهم اليه فسلمهم ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحرث وابنته هند ابنة امرئ القيس وادراعه وسلاحه وماله فخرج ونزل على سعد بن الضباب الايادى سيد قومه فأجاره ومدحه امرؤ القيس ثم تحول عنه ونزل على المعلى بن تيم الطائى فأقام عنده واتخذ ابلا هنالك فعدا قوم من جديلة يقال لهم بنو زيد عليها فأخذوها فأعطاه بنو نبهان معزى يحلبها فقال

اذا ما لم يكن ابل فمعزى * كأن قرون جلتها العصى

الابيات ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جوين فأراد ان يغلب امرأ القيس على ماله واهله فعلم امرؤ القيس بذلك فانتقل الى رجل من بنى ثعل يقال له حارثة بن مر فاستجاره فأجاره فوقعت بين عامر بن جوين والثعلى حرب وكانت امور كبيرة فلما رأى امرؤ القيس ان الحرب قد وقعت بين طئ بسببه خرج من عندهم فقصد السموأل بن عادياء اليهودى فأكرمه وانزله فأقام عنده امرؤ القيس ماشاء الله ثم طلب منه ان يكتب له الى الحرث ابن أبى شمر الغسانى ليوصله الى قيصر ففعل ذلك وسار الى الحرث واودع أهله وادراعه عند السموأل فلما وصل الى قيصر اكرمه فبلغ ذلك بنى اسد فأرسلوا رجلا منهم يقال له الطماح كان امرؤ القيس قتل اخاله فوصل الاسدى وقد سير قيصر مع امرئ القيس جيشا كثيفا فيهم جماعة من أبناء الملوك فلما سار امرؤ القيس قال الطماح لقيصر ان امرأ القيس غوى عاهر وقد ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها وقال فيها اشعارا أشهرها بها فى العرب فبعث اليه قيصر بحلة وشى منسوجة بالذهب مسمومة وكتب اليه انى أرسلت اليك حلتى التى كنت ألبسها تكرمة لك فالبسها واكتب الى بخبرك من منزل لمنزل فلبسها امرؤ القيس وسر بذلك فاسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمى ذا القروح فقال امرؤ القيس فى ذلك

لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسنى مما يلبس أبؤسا

فلو انها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط أنفسا

فلما وصل الى موضع من بلاد الروم يقال له أنقرة احتضر بها فقال رب خطبة مسحنفرة وطعنة مثعنجرة وجفنة مستحيرة حلت بأرض أنقره ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دفنت بجنب عسيب وهو جبل فقال

اجارتنا ان الخطوب تنوب * وانى مقيم ما أقام عسيب

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن الى جنب المرأة فقبره هنالك ولما مات امرؤ القيس سار الحرث بن ابى شمر الغسانى الى السموأل بن عادياء وطالبه بادراع امرئ القيس وكانت مائة درع وبماله عنده فلم يعطه فأخذ الحرث ابنا للسموأل فقال اما ان تسلم الادراع واما قتلت ابنك فأبى

السموأل

طلحة ابنه وبعث عدة من أصحابه محمدا بناءهم ينهون الناس ان يدخلوا على عثمان ويسألونه اخراج مروان فلما رأى ذلك محمد بن ابى بكر وقد رمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وغيره فخشى محمد ابن أبى بكر ان يغضب بنو هاشم لحال الحسن ويكشفوا الناس عن عثمان فأخذ بيد رجلين من أهل مصر فدخلوا من بيت كان بجواره لان كل من كان مع عثمان كانوا فوق البيوت ولم يكن فى الدار عند عثمان الا امرأته فنقبوا الحائط فدخل عليه محمد بن ابى بكر فوجده يتلو القرآن فأخذ بلحيته فقال له عثمان والله لو رآك أبوك لساءه فعلك فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فقتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا قيل جلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتى مات ووطئ عمير بن ضابئ على بطنه فكسر له ضلعين من اضلاعه وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان حول الدار من الناس وصعدت امرأته فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحا وانتثر الدم على المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذى أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وقال على لابنيه كيف قتل امير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب على صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله

واليمن والثالث وائل بن ربيعة وكان قائد معد يوم خزازى ففض جموع اليمن وهزمهم وجعلت له معد قسم الملك وتاجه وطاعته وبقي زمانا من الدهر ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه وكان يقول وحش ارض كذا في جواري فلا يصاد ولا يورد احد مع ابله ولا يوقد نار مع ناره ولا يمر احد بين بيوته ولا يحتبي في مجلسه وكانت بنو جشم وبنو شيبان اختلطا في دار واحدة ارادة الجماعة ومخافة الفرقة وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة وهي اخت جساس بن مرة وحمى كليب ارضا من العالية في أول الربيع وكان لا يقربها الا محارب ثم ان رجلا يقال له سعد بن شمس بن طوق الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس وهي التي ضربت العرب بها المثل فقال اشأم من سراب واشأم من البسوس فخرج كليب يوما يتعهد الابل ومراعيها فأتاها وتردد فيها وكانت ابله وابل جساس مختلطة فنظر كليب الى سراب فانكرها فقال له جساس وهو معه هذه ناقة جارنا الجرمي فقال لا تعد هذه الناقة الى هذا الحمى فقال جساس لا ترعى ابلي مرعى الا وهذه معها فقال كليب لئن عادت لاضعن سهمي في ضرعها فقال جساس لئن وضعت سهمك في ضرعها لاضعن سنان رمحي في لبتك ثم تفرقا وقال كليب لامرأته أترين ان في العرب رجلا مانعا مني جاره قالت لا أعلمه الا جساسا فحدثها الحديث وكان بعد ذلك اذا أراد الخروج الى الحمى منعته وناشدته الله ان يقطع رحمه وكانت تنهى أخاها جساسا ان يسرح ابله (٣) ثم ان كليبا خرج الى الحمى وجعل يتصفح الابل فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فانفذه فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها فلما رأى ما بها صرخ بالذل وسمعت البسوس صراخ جارها فخرجت اليه فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها ثم صاحت واذلاه وجساس يراها ويسمع فخرج اليها فقال لها اسكتي ولا تراعي وسكن الجرمي وقال لهما اني سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة سأقتل غلالا وكان غلال فحل ابل كليب لم ير في زمانه مثله وانما أراد جساس بمقالته كليبا وكان لكليب عين يسمع ما يقولون فاعاد الكلام على كليب فقال لقد اقتصر من يمينه على غلال ولم يزل جساس يطلب غرة كليب فخرج كليب يوما آمنا فلما بعد عن البيوت ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليبا فوقف كليب فقال له جساس يا كليب الرمح وراءك فقال ان كنت صادقا فاقبل الي من امامي ولم يلتفت اليه فطعنه فأرداه عن فرسه فقال يا جساس أغثني بشربة من ماء فلم يأته بشئ وقضى كليب نحبه فأمر جساس رجلا كان معه اسمه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان فجعل عليه احجارا لئلا تأكله السباع وفي ذلك يقول مهلهل بن ربيعة اخو كليب

قتيل ما قتيل المرء عمرو * وجساس بن مرة ذي ضريم
أصاب فؤاده بأصم لدن * فلم يعطف هناك على حميم
فان غدا وبعد غد لرهن * لامر ما يقام له عظيم
جسيما ما بكيت به كليبا * اذا ذكر الفعال من الجسيم

واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشميا وقد أسلمت وهاجرت وكنيته ابو الحسن وابو تراب وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وكان شيخا اصلع كثير الشعر ربعة الى القصر اقرب عظيم البطن عظيم اللحية جدا قد ملأت ما بين منكبيه بيضاء كأنها قطن آدم شديد الادمة وكان خاتمه من الورق ونقشه الملك لله وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين واحد السابقين الى الاسلام واحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين واحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اول خليفة من بني هاشم وهو اول من اسلم من الاولاد وعنه رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء وشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها الا تبوك فان النبي عليه السلام استخلفه على المدينة واعطاه اللواء في مواطن كثيرة خصوصا يوم خيبر واخبر ان الفتح يكون على يديه قال جابر بن عبد الله حمل علي الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها وانهم جروه بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون رجلا وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة حديث وست وثمانون حديثا اخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزل قوله تعالى ندع أبناءنا وأبناءكم دعا

وليلة بت اوقد في خزاز * هديت كتائبا متحيرات
ضللن من السهاد وكن لولا * سهاد القوم احسب هاديات

وقال الفرزدق يخاطب جريرا ويهجوه

لولا فوارس تغلب ابنة وائل * دخل العدو عليك كل مكان
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا * نارين أشرفتا على النيران

وقيل انه لم يعلم احد من كان الرئيس يوم خزاز لان عمرو بن كلثوم وهو ابن ابنة كليب يقول

ونحن غداة أوقد في خزاز * رفدنا فوق رفد الرافدينا

فلو كان جده الرئيس لذكره ولم يفتخر بانه رفد ثم جعل من شهد خزازا متساندين فقال

فكنا الايمنين اذا التقينا * وكان الايسرين بنوا بينا
فصالوا صولة فيمن يليهم * وصلنا صولة فيمن يلينا

فقالوا له استأثرت على اخوتك يعني مضر ولما ذكره في القصيدة قال

ومنا قبله الساعي كليب * فاي المجد الا قد ولينا

فلم يدع به الرياسة يوم خزاز وهي أشرف ما كان يفتخر به حبيب بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء أخرى موحدة

(ذكر مقتل كليب والايام بين بكر وتغلب)

وكان من حديث الحرب التي وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل بن هنب بن أفصى بن دعمي ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كليب واسمه وائل ابن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وانما لقب كليبا لانه كان اذا سار أخذ معه جرو كلب فاذا مر بروضة او موضع يعجبه ضربه ثم ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي فلا يسمع عواءه احد الا تجنبه ولم يقربه وكان يقال كليب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فغلب عليه وكان لواء ربيعة بن نزار للاكبر فالاكبر من ولده فكان اللواء في عنزة بن اسد بن ربيعة وكان سنتهم انهم يوفرون لحاهم ويقصون شواربهم فلا يفعل ذلك من ربيعة الا من يخالفهم ويريد حربهم ثم تحول اللواء في عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار وكانت سنتهم اذا شتوا تطعموا من شتمهم واذا تطعموا قتلوا من لطمهم ثم تحول اللواء في النمر بن قاسط بن هنب وكان لهم غير سنة من تقدمهم ثم تحول اللواء الى بكر بن وائل فساقوا غيرهم في فرخ طائر كانوا يوثقون الفرخ بقارعة الطريق فاذا علم مكانه لم يسلك احد ذلك الطريق ويسلك من يريد الذهاب والمجيء عن يمينه ويساره ثم تحول اللواء الى تغلب فوليه وائل ابن ربيعة وكانت سنته ما ذكرناه من جرو الكلب ولم يجتمع معد الا على ثلاثة نفر وهم عامر ابن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان وهو الناس ابن مضر بالنون وهو أخو الياس بن مضر وكان قائد معد حين تمذحجت مذحج وسارت الى تهامة وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن والثاني ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كليب وكان قائد معد يوم السلان بين أهل تهامة

واليمن

رضي الله عنهما قال لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء اخرج ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس رضي الله عنه ان لله سيفا مغمودا في غمده ما دام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد الى يوم القيامة اخرج ابن عساكر عن أبي خلدة قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول ان بني امية يزعمون اني قتلت عثمان لا والله الذي لا اله الا هو ما قتلت ولا مالأت ولقد نهيت فعصوني عن سمرة قال ان الاسلام كان في حصن حصين وانهم ثلموا في الاسلام ثلمة بقتلهم عثمان لا تسد الى يوم القيامة وان اهل المدينة كانت فيهم الخلافة فاخرجوها ولم تعد اليهم اخرج عبد الرزاق في مصنفه عن حميد بن هلال قال كان عبد الله بن سلام يدخل على محاصري عثمان فيقول لا تقتلوه فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقي الله اجذم لا يد له وان سيف الله لم يزل مغمودا وانكم والله ان قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمده عنكم ابدا وما قتل نبي قط الا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا قبل ان يجتمعوا وفي الروض النضر ان ملك الروم لما سمع بقتله تعجب وقال يقتلون خليفتهم ونحن نكرم خشبة زعموا ان المسيح صلب عليها وقالوا انه طلب الماء فساق فقال والله لو حضرته واستنصرني لنصرته وفي هذا كفاية لمن يعي واخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن ابن المهدي قال خصلتان لعثمان ليستا لابي بكر ولا لعمر صبره على نفسه حتى قتل وجمع الناس على المصحف ومحاسن مناقبه طاهرة وافرة

فعل جساس على وجدي به * قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فقئت عين سوى * اختها فانفقأت لم احفل
تحمل العين قذى العين كما * تحمل الام أذى ما تفتلي
يا قتيلا قوض الدهر به * سقف بيتي جميعا من عل
هدم البيت الذي استحدثته * وانثنى في هدم بيتي الاول
ورماني قتله من كثب * رمية المصمى به المستأصل
يا نسائي دونكن اليوم قد * خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى * من ورائي ولظى مستقبل
ليس من يبكي ليوميه كمن * انما يبكي ليوم مقبل
يشتفي المدرك بالثأر وفي * دركي ثأري ثكل المثكل
ليته كان دما فاحتلبوا * دررا منه دمي من اكحل
انني قاتلة مقتولة * ولعل الله ان يرتاح لي

واما مهلهل واسمه عدي وقيل امرؤ القيس وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي وانما لقب مهلهلا لانه أول من هلهل الشعر وقصد القصائد وأول من كذب في شعره بانه لما هما لم يرعها الا النساء يصرخن الان كليبا قتل فقال وهو أول شعر قيل في هذه الحادثة

كنا نغار على العواتق أن ترى * بالامس خارجة عن الاوطان
فخرجن حين ثوى كليب حسرا * مستيقنات بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلا * اذ حان مصرعه من الاكفان
يخمشن من أدم الوجوه حواسرا * من بعده ويعدن بالازمان
متسلبات نكدهن وقد ورى * اجوافهن بحرقة ورواني
ويقلن من للمستضيف اذا دعا * ام من لخضب عوالي المران
أم لا تسار بالجزور اذا غدا * ريح يقطع معقد الاشطان
أم من لاسباق الديات وجمعها * ولفادحات نوائب الحدثان
كان الذخيرة للزمان فقد أتى * فقدانه واخل ركن مكاني
يا لهف نفسي من زمان فاجع * القى علي بكلكل وجران
بمصيبة لا تستقال جليلة * غلبت عزاء القوم والنسوان
هدت حصونا كن قبل ملاوذا * لذوي الكهول معا وللشبان
اضحت واضحى سورها من بعده * متهدم الاركان والبنيان
فابكين سيد قومه واندبنه * شدت عليه قباطي الاكفان
وابكين للايتام لما اقحطوا * وابكين عند تخاذل الجيران
وابكين مصرع جيده متزملا * بدمائه فلذاك ما ابكاني
فلاتركن به قبائل تغلب * قتلى بكل قرارة ومكان
قتلى تعاورها النسور اكفها * ينهشنها وحواجل الغربان

غير طائعين ثم خرجا الى مكة وعائشة بها فاخذاها وخرجا الى البصرة يطلبون بدم عثمان فبلغ ذلك عليا فخرج الى العراق فالتقى بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة وقتل بها طلحة والزبير وغيرهما وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا واقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة ثم انصرف الى الكوفة ثم خرج عليه معاوية ابن أبي سفيان ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار اليه فالتقوا بصفين في سنة سبع وثلاثين ودام القتال بها أياما فرفع اهل الشام المصاحف يدعونه الى ما فيها مكيدة من عمرو ابن العاص فكره الناس الحرب وتداعوا الى الصلح وحكموا الحكمين فحكم علي أبا موسى الاشعري وحكم معاوية عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا على ان يوافوا رأس الحول باذرح فينظروا في أمر الامة فافترق الناس ورجع معاوية الى الشام وعلي الى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا لا حكم الا لله وعسكروا بحروراء فبعث اليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم فرجع منهم قوم كثير وثبت قوم وساروا الى النهروان فسار اليهم علي فقتلهم فاجتمع الناس للمحاكمة باذرح في شعبان من هذه السنة وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة فقدم عمرو بن العاص أبا موسى الاشعري مكيدة منه فتكلم فخلع عليا وتكلم عمرو فأمر معاوية وبايع له وتفرق الناس على هذا وصار علي في خلاف من أصحابه حتى صار يعض على اصبعه ويقول أعصى ويطاع معاوية وانخرج ابن

سأشرب كأسها صرفا وأسقى * بكأس غير منطقة مليم

ولما قتل جساس كليبا انصرف على فرسه يركضه وقد بدت ركبتاه فلما نظر أبوه مرة الى ذلك قال لقد اتاكم جساس بداهية ما رأيته قط بادي الركبتين الى اليوم فلما وقف على أبيه قال مالك يا جساس قال طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصا قال ومن طعنت لامك الثكل قال قتلت كليبا قال افعلت قال نعم قال بئس والله ما جئت به قومك فقال جساس

تأهب عنك أهبة ذى امتناع * فان الامر جل عن التلاحى
فانى قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

فلما سمع ابوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لائمته اياه فقال يجيبه

فان تك قد جنيت على حربا * تغص الشيخ بالماء القراح
جمعت بها يديك على كليب * فلا وكل ولا رث السلاح
سألبس ثوبها واذود عنى * بها عار المذلة والفضاح

ثم ان مرة دعا قومه الى نصرته فأجابوه وجلوا الاسنة وشحذوا السيوف وقوموا الرماح وتهيؤا للرحلة الى جماعة قومهم وكان همام بن مرة اخو جساس ومهلهل اخو كليب فى ذلك الوقت يشربان فبعث جساس الى همام جارية لهم تخبره الخبر فانتهت اليهما واشارت الى همام فقام اليها فاخبرته فقال له مهلهل ما قالت لك الجارية وكان بينهما عهد ان لا يكتم أحدهما صاحبه شيأ فذكر له ما قالت الجارية واحب ان يعلمه ذلك فى مداعبة وهزل فقال له مهلهل استاخيك اضيق من ذلك فاقبلا على شربهما فقال له مهلهل اشرب فاليوم خمر وغدا امر فشرب همام وهو حذر خائف فلما سكر مهلهل عاد همام الى اهله فساروا من ساعتهم الى جماعة قومهم وظهر أمر كليب فذهبوا اليه فدفنوه ولما دفن شقت الجيوب وخمشت الوجوه وخرجت الابكار وذوات الخدور العواتق اليه وقمن للمأتم فقال النساء لاخت كليب أخرجى جليلة أخت جساس عنا فان قيامها فيه شماتة وعار علينا وكانت امرأة كليب كما ذكرنا فقالت لها أخت كليب اخرجى عن مأتمنا فانت أخت قاتلنا وشقيقه واثرنا فخرجت تجر عطافها فلقيها أبوها مرة فقال لها ما وراءك يا جليلة فقالت ثكل العدد وحزن الابد وفقد خليل وقتل أخ عن قليل وبين هذين غرس الاحقاد وتفتت الاكباد فقال لها أو يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات فقالت أمنية مخدوع ورب الكعبة أبعد ان تدع لك تغلب دم ربها ولما رحلت جليلة قالت اخت كليب رحلة المعتدى وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها اسعد الله اختى الا قالت نفرة الحياء وخوف الاعداء ثم انشأت تقول

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا * تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا ما أنت تبينت الذى * يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان تكن اخت امرئ ليمت على * شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جساس فيا * حسرتا فيما انجلت أو تنجلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلى اخرج الترمذى عن أبى سريحة عن النبى عليه السلام قال من كنت مولاه فعلى مولاه وفى أكثرها زيادة اللهم وال من والاه وعاد من عاداه اخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه عن حبشى ابن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على منى وأنا من على اخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه جاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بينى وبين احد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أخى فى الدنيا والآخرة اخرج مسلم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبى الامى الى انه لا يحبنى الا مؤمن ولا يبغضنى الا منافق عن ام سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب عليا فقد أحبنى ومن احبنى فقد أحب الله ومن ابغض عليا فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله وفى حديث آخر يقول من سب عليا فقد سبنى وقد أخرج ابن سعد عن على كرم الله وجهه قال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ان ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا وليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت او بنهار فى سهل او فى جبل قال ابن سعد بويع على بالخلافة من الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة ويقال ان طلحة والزبير بايعا كارهين

فعل

ذلك اليوم آخذ من بني مرة ثم التقوا بالذنائب وهي أعظم وقعة كانت لهم فظفرت بنو تغلب وقتلت بكرا مقتلة عظيمة وقتل فيها شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان وهو جد الحوفزان وجد معن بن زائدة وقتل الحرث بن مرة بن ذهل بن شيبان وقتل من بني ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل وغيرهم من رؤساء بكر ثم التقوا يوم واردات فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت تغلب أيضا وكثر القتل في بكر فقتل همام بن مرة ابن ذهل بن شيبان أخو جساس لأبيه وأمه فمر مهلهل فلما رآه قتيلا قال والله ما قتل بعد كليب أعز علي منك وتالله لا تجتمع بكر بعدكما على خير أبدا وقيل انما قتل يوم القصيبات وقيل يوم قضة قتله ناشرة وكان همام قد التقطه ورباه وسماه ناشرة وكان عنده فلما شب علم انه تغلبي فلما كان هذا اليوم جعل همام يقاتل فاذا عطش جاء الى قربة له يشرب منها فتغفله ناشرة فقتله ولحق بقومه تغلب وكاد جساس يؤخذ فسلم فقال مهلهل

لو ان خيلي أدركتك وجدتهم * مثل الليوث بستر غب عرين

(ويقول فيها)

ولأوردن الخيل بطن أراكة * ولأقضين بفعل ذاك ديوني

ولأقتلن جحاجحا من بكركم * ولأبكين بها جفون عيون

حتى تظل الحاملات مخافة * من وقعنا يقذفن كل جنين

وقيل في ترتيب الأيام غير ما ذكرنا وسنذكره ان شاء الله تعالى وكان أبو نويرة التغلبي وغيره طلائع قومه وكان جساس وغيره طلائع قومهم والتقى بعض الليالي جساس وأبو نويرة فقال له أبو نويرة اختر اما الصراع أو الطعان أو المسايفة فاختار جساس الصراع فاصطرعا وأبطأ كل واحد منهما على أصحابه فطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان وقد كاد جساس يصرعه ففرقوا بينهما وجعلت تغلب تطلب جساسا أشد الطلب فقال له أبوه مرة الحق بأخوالك بالشام فامتنع فألح عليه أبوه فسيره سرا في خمسة نفر وبلغ الخبر الى مهلهل فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلا من شجعان أصحابه فساروا مجدين فأدركوا جساسا فقاتلهم فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبق منهم غير رجلين وجرح جساس جرحا شديدا مات منه وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضا فعاد كل واحد من السالمين الى أصحابه فلما سمع مرة قتل ابنه جساس قال انما يحزنني أن كان لم يقتل منهم أحدا فقيل له انه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم وقتل معه خمسة عشر رجلا ما شركه منا أحد في قتلهم وقتلنا نحن الباقين فقال ذلك مما يسكن قلبي عن جساس وقيل ان جساسا آخر من قتل في حرب بكر وتغلب وكان سبب قتله ان أخته جليلة كانت تحت كليب وائل فلما قتل كليب عادت الى أبيها وهي حامل ووقعت الحرب وكان من الفريقين ما كان ثم عادوا الى الموادعة بعدما كادت الفئتان تتفانى فولدت أخت جساس غلاما فسمته هجرسا ورباه جساس وكان لا يعرف أبا غيره فزوجه ابنته فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام فقال له البكري ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل الى أمه كئيبا حزينا فأخبرها الخبر فلما نام الى جنب امرأته رأت من همه وفكره ما أنكرته فقصت على أبيها

من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه منا اثنان فأديت الى عمر حقه وعرفت طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدل بي أحدا ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنبا الا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة منه لآثر بها ولده فبرئ منها الى رهط من قريش ستة أنا أحدهم فلما اجتمع الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدلوا بي أحدا فأخذ عبد الرحمن مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم أخذ بيد ابن عفان فضرب بيده على يده فنظرت في أمري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما أصيب نظرت في أمري فاذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي أخذ له الميثاق قد أصيب فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء ان ثلاثة نفر من الخوارج انتدبوا وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكير التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص فقال ابن ملجم

ثم انطلق الى المكان الذي قتل فيه كليب فرأى دمه وأتى قبره فوقف عليه ثم قال

ان تحت التراب حزما وعزما * وخصيما ألدّ ذا معلاق
حية في الوجار اربد لا ينـ * ـفع منه السليم نفث الراقي

ثم جز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه وارسل رجالا منهم الى بني شيبان فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو في نادي قومه فقالوا له انكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة وقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا نعرض عليك خلالا اربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع اما ان تحيي لنا كليبا أو تدفع الينا قاتله جساسا فنقتله به أو هماما فانه كفء له او تمكننا من نفسك فان فيك وفاء لدمه فقال لهم أما احيائي كليبا فلست قادرا عليه وأما دفعي جساسا اليكم فانه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا أدري اى بلاد قصد وأما همام فانه ابو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره وأما انا فهو الا ان تجول الخيل جولة فاكون أول قتيل فما اتعجل الموت ولكن لكم عندي خصلتان أما احداهما فهؤلاء ابنائي الباقون فخذوا ايهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم وأما الاخرى فاني أدفع اليكم الف ناقة سود الحدق حمر الوبر فغضب القوم وقالوا قد اسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب ونشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بابيها وقومها واعتزلت قبائل بكر الحرب وكرهوا مساعدة بني شيبان على القتال وأعظموا قتل كليب فتحولت لجيم ويشكر وكف الحرث بن عباد عن نصرهم ومعه اهل بيته وقال مهلهل عدة قصائد يرثي كليبا منها

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها * اذ انت خليتها فيمن يخليها
كليب أي فتى عز ومكرمة * تحت السفاسف اذ يعلوك سافيها
نعى النعاة كليبا لي فقلت لهم * مالت بنا الارض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته * ما كل آلائه يا قوم أحصيها
القائد الخيل تردي في أعنتها * زهوا اذا الخيل بحت في تعاديها
من خيل تغلب ما تلقى أسنتها * الا وقد خضبوها من أعاديها
يهززن من الخطي مدمجة * صما أنابيبها زرقا عواليها
ليت السماء على من تحتها وقعت * وانشقت الارض فانجابت عن فيها
لا اصلح الله منا من يصالحكم * مالاحت الشمس في أعلى مجاريها

فالتقوا أول قتال كان بينهم في أول يوم عنيزة وهي عند فلج وكانا على السواء فقال مهلهل

كأنا غدوة وبني ابينا * بجنب عنيزة رحيا مدير
ولولا الريح أسمع اهل حجر * صليل البيض تقرع بالذكور

فتفرقوا ثم بقوا زمانا ثم انهم التقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ويروى انه أول وقعة كانت بينهم وكان رئيس تغلب مهلهل ورئيس شيبان الحرث بن مرة وكانت الدائرة لبني تغلب وكانت الشوكة في بني شيبان واستحر القتال فيهم الا انه لم يقتل

عساكر عن الحسن قال لما قدم على البصرة قام اليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له الا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تتولى على الامة تضرب بعضهم ببعض أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده اليك فحدثنا فانت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال اما ان يكون عندي عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فلا والله ان كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عندي من النبي عليه السلام عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد الا بردتي هذه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة مكث في مرضه اياما وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني ولقد ارادت امرأة من نسائه ان تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال انتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله لديننا وكانت الصلاة أصل الاسلام وهي قوام الدين فبايعنا ابا بكر وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض ولم نقطع منه البراءة فأديت الى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ اذا أعطاني واغزو اذا اغزاني واضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض ولاها عمر فاخذ بسنة صاحبه وما يعرف

ذلك

عدى بجز ناصيته وتركه وقال فى ذلك

لهف نفسى على عدى ولم أعـــرف عديا اذا مكنتنى اليدان

وكانت الايام التى اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام يوم عنيزة تكافؤا فيه وتناصفوا ثم اليوم الثانى يوم واردات كان لتغلب على بكر ثم اليوم الثالث الحنو كان لبكر على تغلب ثم اليوم الرابع يوم القصيبات أصيب بكر حتى ظنوا انهم لن يستقلوا ثم اليوم الخامس يوم قضة وهو يوم التحالق وشهده الحرث بن عباد ثم كان بعد ذلك أيام دون هذه منها يوم النقية ويوم الفصيل لبكر على تغلب ثم لم يكن بينهم مزاحفة انما كان مغاورات ودامت الحرب بينهما أربعين سنة ثم ان مهلهلا قال لقومه قد رأيت ان تبقوا على قومكم فانهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوتركم فلو مرت هذه السنون فى رفاهية عيش لكانت تمل من طولها فكيف وقد فنى الحيان وثكلت الامهات ويتم الاولاد ونائحة لا تزال تصرخ فى النواحى ودموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن وسيوف مشهورة ورماح مشرعة وان القوم سيرجعون اليكم غدا بمودتهم ومواصلتهم وتتعطف الارحام حتى تتواسوا فى قتال القتل فكان كما قال ثم قال مهلهل اما أنا فما تطيب نفسى ان أقيم فيكم ولا أستطيع ان أنظر الى قاتل كليب وأخاف ان احملكم على الاستئصال وأنا سائر الى اليمن وفارقهم وسار الى اليمن ونزل فى جنب وهى حى من مذحج فخطبوا اليه ابنته فمنعهم فاجبروه على تزويجها وساقوا اليه صداقها جلودا من أدم فقال فى ذلك

أعـزز على تغلب بما لقيت * أخت بنى الاكرمين من جشم

انكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم

لو بابانين جاء يخطبها * ضرج ما انف خاطب بدم

الاراقم بطن من جشم بن تغلب يعنى حيث فقدت الاراقم وهم عشيرتها تزوجها رجل من جنب بادم ثم ان مهلهلا عاد الى ديار قومه فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة البكرى أسيرا بنواحى هجر فاحسن اساره فمر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر وكان صديقا لمهلهل فاهدى اليه وهو أسير زقا من خمر فاجتمع اليه بنو مالك فنحروا عنده بكرا وشربوا عند مهلهل فى بيته الذى أفرده له عمرو فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بما كان يقوله من الشعر وينوح به على أخيه كليب فسمع منه عمرو ذلك فقال انه لريان والله لا يشرب عندى ماء حتى يرد زبيب وهو فحل كان له لا يرد الا خمسا فى حمارة القيظ فطلب بنو مالك زبيبا وهم حراص على ان لا يهلك مهلهل فلم يقدروا عليه حتى مات مهلهل عطشا وقيل ان ابنة خال مهلهل وهى ابنة المجالل التغلبى كانت امرأة عمرو وأرادت ان تاتى مهلهلا وهو أسير فقال يذكرها

طفلة ما ابنة المجالل بيضا * ء لعوب لذيذة فى العناق

فاذهبى ما اليك غير بعيد * لا يؤاتى العناق من فى الوثاق

ضربت صدرها الى وقالت * يا عدى لقد وقتك الاواقى

فليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

وقيل ان عليا رضى الله عنه كان اذا رأى ابن ملجم يتمثل بهذا البيت

أريد حباءه ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مرادى

فقيل لعلى رضى الله عنه كأنك عرفته وعرفت ما يريد أولا تقتله قال كيف أقتل قاتلى أخرج ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز قال لما قتل على بن أبى طالب رضى الله عنه حملوه على جمل ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم فى المسير ليلا اذ ند الجمل الذى هو عليه فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه أحد ولذلك يقول أهل العراق هو فى السحاب وقال غيره ان البعير قد وقع فى بلاد طى فأخذوه ودفنوه وكان أوصى ان يخفى قبره لعلمه ان الامر يصير الى بنى أمية فلم يأمن ان يمثلوا بقبره وكان عمره ثلاثا وستين سنة وقيل أزيد وكان له تسع عشرة سرية ومدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ويوم واحد وكانت مدة اقامته بالمدينة أربعة أشهر ثم سار الى العراق وللناس خلاف فى مدة عمره وفى قدر خلافته

(الباب الثالث فى ذكر الحسن والحسين ابنى أمير المؤمنين وسبطى سيد المرسلين وأولادهما رضوان الله عليهم أجمعين)

(وفيه عدة فصول)

(الفصل الاول فى ذكر ريحانة النبى الكريم والمنن الامام أبى محمد الحسن رضى الله عنه)

ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أبو محمد سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته وآخر الخلفاء بنصه فهو الخامس خلفا كان أبيض اللون

جساس قصته فقال ثأر ورب الكعبة وبات على مثل الرضف حتى أصبح فاحضر الهجرس فقال له انما انت ولدى وانت منى بالمكان الذى تعلم وزوجتك ابنتى وقد كانت الحرب فى ابيك زمانا طويلا وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت ان تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق معى حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا فقال الهجرس انا فاعل فحمله جساس على فرس فركبه ولبس لامته وقال مثلى لا يأتى اهله بغير سلاحه فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس القصة واعلمهم ان الهجرس يدخل فى الذى دخل فيه جماعتهم وقد حضر ليعقد ما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال وفرسى واذنيه ورمحى ونصليه وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه وكان آخر قتيل فى بكر والاول اكثر ونرجع الى سياقة الحديث فلما قتل جساس أرسل ابو مرة الى مهلهل انك قد أدركت ثارك وقتلت جساسا فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والاسراف وأصلح ذات البين فهو اصلح للحيين وانكأ لعدوهم فلم يجب الى ذلك وكان الحرث بن عباد قد اعتزل الحرب فلم يشهدها فلما قتل جساس وهمام ابنا مرة حمل ابنه بجيرا وهو ابن عمرو ابن عباد أخى الحرث بن عباد فلما حمله على الناقة كتب معه الى مهلهل انك قد أسرفت فى القتل وأدركت ثارك سوى ما قتلت من بكر وقد أرسلت ابنى اليك فاما قتلته باخيك وأصلحت بين الحيين واما اطلقته واصلحت ذات البين فقد مضى من الحيين فى هذه الحروب من كان بقاؤه خيرا لنا ولكم فلما وقف على كتابه أخذ بجيرا فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فلما سمع ابوه بقتله ظن انه قد قتله باخيه ليصلح بين الحيين فقال نعم القتيل قتيلا اصلح بين ابنى وائل فقيل انه قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب عند ذلك الحرث بن عباد وقال

قربا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة منى * شاب رأسى وانكرتنى رجالى
لم أكن من جناتها علم الله * وانى بحرها اليوم صالى

فاتوه بفرسه النعامة ولم يكن فى زمانها مثلها فركبها وولى أمر بكر وشهد بهم وكان اول يوم شهده يوم قضة وهو يوم تحلاق اللمم وانما قيل له تحلاق اللمم لان بكرا حلقوا رؤسهم ليعرف بعضهم بعضا الا جحدر بن ضبيعة بن قيس ابو المسامعة فقال لهم انا قصير فلا تشينونى وانا اشترى لمتى منكم باول فارس يطلع عليكم فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله وكان يرتجز ذلك اليوم ويقول

ردوا على الخيل ان ألمت * ان لم اقاتلهم فجزوا لمتى

وقاتل يومئذ الحرث بن عباد قتالا شديدا فقتل فى تغلب مقتلة عظيمة وفيه يقول طرفة

سائلوا عنا الذى يعرفنا * بقوانا يوم تحلاق اللمم
يوم تبدى البيض عن اسوقها * وتلف الخيل افواج النعم

وفى هذا اليوم اسر الحرث بن عباد مهلهلا واسمه عدى وهو لا يعرفه فقال له دلنى على عدى وأنا اخلى عنك فقال له المهلهل عليك عهد الله بذلك ان دللتك عليه قال نعم قال فانا

انا لكم بعلى وقال البرك انا لكم بمعاوية وقال عمرو بن بكير انا اكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا على ذلك ليلة سبع عشرة من رمضان ثم توجه كل منهم الى المصر الذى فيه صاحبه فقدم ابن ملجم الكوفة فلقى أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريده الى ليلة الجمعة سابع عشرة رمضان سنة أربعين فاستيقظ على سحرا وقال لابنه الحسن رأيت الليلة النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود واللدد فقال لى ادع الله تعالى عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم خيرا لى منهم وابدلهم بى شرا لهم منى ودخل المؤذن فقال الصلاة فخرج على من الباب ينادى أيها الناس الصلاة الصلاة فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف فاصاب جبهته ووصل الى دماغه فشد عليه الناس من كل جانب فامسك واوثق وأقام على رضى الله تعالى عنه الجمعة والسبت وتوفى ليلة الاحد وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية وصلى عليه الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة ليلا واخفى قبره لئلا ينبشه الخوارج ثم قطعت اطراف ابن ملجم وجعل فى قوصرة واحرقوه بالنار واما البرك فانه ضرب معاوية فاصاب اوراكه وكان معاوية عظيم الاوراك فقطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك ولد فامر معاوية باتخاذ المقصورة فى الجوامع من ذلك الوقت وأما عمرو ابن بكير فانه رصد عمرو بن العاص بمصر فاشتكى عمرو بطنه فلم يخرج الى الصلاة فصلى بالناس رجل من بنى تميم يقال له خارجة فضربه ابن بكير فقتله واليه أشار ابن عبدون فى قصيدته الرائية

عدى

المنذر وأرسل اليه يقول له انا شيخان فلا تهلك جنودى وجنودك ولكن يخرج رجل من ولدى ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فنى أولادنا خرجت أنا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر الى رجل من شجعان أصحابه فأمره ان يخرج فيقف بين الصفين ويظهر انه ابن المنذر فلما خرج اخرج اليه الحرث ابنه ابا كرب فلما رآه رجع الى أبيه وقال ان هذا ليس بابن المنذر انما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه فقال يا بنى أجزعت من الموت ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه وقاتله فقتله الفارس والقى رأسه بين يدى المنذر وعاد فأمر الحرث ابنا له آخر بقتاله والطلب بثار أخيه فخرج اليه فلما واقفه رجع الى أبيه وقال يا ابت هذا والله عبد المنذر فقال يا بنى ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه فشد عليه فقتله فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفى وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر فقال أيها الملك ان الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام وقد غدرت بابن عمك دفعتين فغضب المنذر وأمر باخراجه فلحق بعسكر الحرث فاخبره فقال له سل حاجتك فقال له حلتك وخلتك فلما كان الغد عبى الحرث أصحابه وحرضهم وكان فى أربعين الفا واصطفوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل المنذر وهزمت جيوشه فامر الحرث بابنيه القتيلين فحملا على بعير بمنزلة العدلين وجعل المنذر فوقهما فردا وقال يا العلاوة دون العدلين فذهبت مثلا وسار الى الحيرة فانتهبها واحرقها ودفن ابنيه بها وبنى الغريين عليهما فى قول بعضهم وفى ذلك اليوم يقول ابن الرعلاء الضبابى

كم تركنا بالعين عين اباغ * من ملوك وسوقة اكفاء
امطرتهم سحائب الموت تترى * ان فى الموت راحة الاشقياء
ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

(يوم مرج حليمة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء)

لما قتل المنذر بن ماء السماء على ما تقدم ملك بعده ابنه المنذر وتلقب الاسود فلما استقر وثبت قدمه جمع عساكره وسار الى الحرث الاعرج طالبا بثار أبيه عنده وبعث اليه انى قد أعددت لك الكهول على الفحول فاجابه الحرث قد أعددت لك المرد على الجرد فسار المنذر حتى نزل بمرج حليمة فتركه من به من غسان للاسود وانما سمى مرج حليمة بحليمة ابنة الحرث الغسانى وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم ثم ان الحرث سار فنزل بالمرج أيضا فامر أهل القرى التى فى المرج ان يصنعوا الطعام لعسكره ففعلوا ذلك وحملوه فى الجفان وتركوه فى العسكر فكان الرجل يقاتل فاذا أراد الطعام جاء الى تلك الجفان فأكل منها فاقامت الحرب بين الاسود والحرث أياما ينتصف بعضهم من بعض فلما رأى الحرث ذلك قعد فى قصره ودعا ابنته هندا وأمرها فاتخذت طيبا كثيرا فى الجفان وطيبت به أصحابه ثم نادى يا فتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتى هندا فقال لبيد بن عمرو الغسانى لابيه يا ابت انا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة واست ارضى فرسى فاعطنى فرسك الزينة فاعطاه فرسه فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شد لبيد على الاسود فضربه ضربة فالقاه عن فرسه وانهزم أصحابه فى كل وجه

من المدينة الى مكة على قدميه وروى انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا على قدميه وان النجائب لتقاد بين يديه ولى الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فاقام فيها ستة أشهر وأياما ثم سار الى معاوية لتسليم الامر اليه على ان تكون له الخلافة من بعده وعلى ان لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ مما كان فى أيام أبيه وعلى ان يقضى عنه ديونه فاجابه معاوية الى ما طلب فاصطلحا على ذلك وظهرت المعجزة النبوية فى قوله صلى الله عليه وسلم يصلح الله به بين فئتين من المسلمين ونزل له عن الخلافة وذلك فى سنة احدى وأربعين فى شهر ربيع الاول فكان أصحابه يقولون له يا عار المؤمنين فيقول العار خير من النار ثم ارتحل الحسن عن الكوفة الى المدينة فاقام بها قال ابن الجوزى مات الحسن مسموما سمته زوجته جعدة بنت الاشعث دس اليها يزيد ابن معاوية ان تسمه ويتزوجها ففعلت فلما مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال انا لم نكن نرضاك للحسن أفترضاك لانفسنا فخسرت الدين والدنيا وكانت وفاته فى خامس ربيع الاول سنة خمسين وصلى عليه سعيد بن العاص وجهد به أخوه ان يخبره عمن سقاه فلم يخبره فقال الله أشد نقمة ان كان الذى أظن والا فلا يقتل بى برئ فلما توفى رضى الله عنه أدخله قبره أخوه الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس ودفن بالبقيع بعد ان أوصى ان يدفن عند جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمحت له عائشة بذلك ومنعه مروان فانه كان والى المدينة فابى الحسين ومن معه

وهى ابيات ذوات عدد فنقل شعره الى عمرو بن مالك فخاف عمرو ان لا يسقيه الماء حتى يرد زبيب فسأله الناس ان يورد زبيبا قبل و روده ففعل وأورده وسقاه حتى يتحال من عينه ثم انه سقى مهلهلا من ماء هنالك هو أوخم المياه فمات مهلهل (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)

(ذكر الحرب بين الحرث الاعرج و بنى تغلب)

قال أبو عبيدة ان بكرا وتغلب ابنى وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء وذلك بعد حربهم وكان الذى أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مرة بن همام فغزا بهم المنذر بنى آكل المرار وجعل على بنى بكر وتغلب ابنه عمرو بن هند وقال اغزا اخوالك فغزاهم فاقتتلوا فانهزم بنو آكل المرار وأسروا وجاؤا بهم الى المنذر فقتلهم ثم انتقضت تغلب على المنذر ولحقت بالشام ونحن نذكر سبب ذلك فى اخبار شيبان ان شاء الله وعادت الحرب بينهم و بين بكر فخرج ملك غسان بالشام وهو الحرث بن أبى شمر الغسانى فر بافاريق من تغلب فلم يستقبلوه و ركب عمرو بن كلثوم التغلبى فلقيه فقال له ما منع قومك ان يتلقونى فقال لم يعلموا بمرورك فقال لئن رجعت لاغزونهم غزوة تتركهم ايقاظا لقدومى فقال عمرو ما استيقظ قوم قط الا نبل رأيهم وعزت جماعتهم فلا توقظن نائمهم فقال كانك تتوعدنى بهم أما والله لتعلمن اذا نالت غطاريف غسان الخيل فى دياركم ان ايقاظ قومك سينامون نومة لا حلم فيها تجتث أصولهم و ينفى فلهم الى اليابس الجدد والنازح الثمد ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وقال

الا فاعلم ابيت اللعن أنا * ابيت اللعن ناد ما تريد
تعلم ان محملنا ثقيل * وان دبار كبتنا شديد
وانا ليس حى من معد * يقاومنا اذا لبس الحديد

فلما عاد الحرث الاعرج فغزا بنى تغلب فاقتتلوا واشتد القتال بينهم ثم انهزم الحرث وبنو غسان وقتل أخو الحرث فى عدد كثير فقال عمرو بن كلثوم

هلا عطفت على أخيك اذا دعا * بالثكل ويل أبيك يا ابن ابى شمر
فذق الذى جشمت نفسك واعترف * فيها اخاك وعامر بن ابى حجر

(يوم عين اباغ)

وهو بين المنذر بن ماء السماء و بين الحرث الاعرج بن أبى شمر جبلة وقيل أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحرث بن حجر بن النعمان بن الحرث الايهم بن الحرث بن مارية الغسانى وقيل فى نسبه غير هذا وقيل هو ازدى تغلب على غسان والاول اكثر واصح وهو الذى طلب ادراع امرئ القيس من السموأل بن عادياء وقتل ابنه وقيل غيره والله أعلم وسبب ذلك ان المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة فى معد كلها حتى نزل بعين أباغ بذات الخيار وأرسل الى الحرث الاعرج بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو مزيقياء ابن عامر الغسانى ملك العرب بالشام اما ان تعطينى الفدية فانصرف عنك بجنودى واما ان تاذن بحرب فارسل اليه الحرث انظرنا ننظر فى أمرنا فجمع عساكره وسار نحو

مشرب بحمرة ادعج العينين سهل الخدين كان عنقه ابريق فضة ليس بالطويل ولا بالقصير كان يخضب بالسواد جعد الشعر حسن البدن وكان شبيها برسول الله صلى الله عليه وسلم ونقش خاتمه العزة لله وحده أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سمت العرب بهما فى الجاهلية ولد الحسن فى نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة فلما ولد أتاه النبى صلى الله عليه وسلم فسره والبأه بريقه وقال اللهم انى أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم وسماه وعق عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر ان يتصدق بزنة شعره فضة أخرج الشيخان عن البراء قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه وهو يقول اللهم انى أحبه فأحبه أخرج الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اقبل النبى صلى الله عليه وسلم وقد حمل الحسن على رقبته فلقيه رجل فقال نعم المركب ركبت يا غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو كان الحسن رضى الله عنه سيدا حليما ذا سكينة ووقار وحشمة جوادا ممدوحا يكره الفتن والسيف وكان كثير التزوج مطلاقا للنساء واحصن تسعين امرأة عن على بن زيد بن جدعان قال خرج الحسن من ماله لله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى انه كان ليعطى نعلا ويمسك نعلا و يعطى خفا ويمسك خفا وله مناقب كثيرة وأما عبادته وزهادته فامر مشهور بين الناس مذكور نقل أبو نعيم فى الحلية انه قال انى لاستحيى من ربى ان القاه ولم أمش الى بيته فمشى عشرين مرة

تخشخش أبدان الحديد عليهم * كما خشخشت بين الحصاد جنوب
فلم ينج الاشطبة بلجامها * والاطمر كالقناة نجيب
والاكمى ذو حفاظ كانه * بما ابتل من حد الظبات خضيب
وفى كل حى قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من نداك ذنوب
فلا تحرمنى نائلا عن جناية * فانى امرؤ وسط القباب غريب

فلما بلغ الى قوله فحق لشأس من نداك ذنوب قال الملك اى والله واذنبة ثم اطلق شأسا وقال له ان شئت الحباء وان شئت اسراء قومك وقال لجلسائه ان اختار الحباء على قومه فلا خير فيه فقال ايها الملك ما كنت لاختار على قومى شيأ فاطلق له الاسرى من تميم وكساه وحباه وفعل ذلك بالاسرى جميعهم وزودهم زادا كثيرا فلما بلغوا بلادهم اعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا انت كنت السبب فى اطلاقنا فاستعن بهذا على دهرك فحصل له مال كثير من ابل وكسوة وغير ذلك (عبدة بفتح العين والباء الموحدة) وقيل فى قتله انه جمع عسكرا ضخما وسار حتى نزل الشام وسار ملك الشام وهو عند الاكثر الحرث بن أبى شمر فنزل مرج حليمة وهو ينسب الى حليمة بنت الملك ونزل الملك اللخمى فى مرج الصفر فسير الحرث فارسين طليعة أحدهما فارس خصاف وكانت فرسه تجرى على ثلاث فلا تلحق فسارا حتى خالطا القوم وقربا من الملك وامامه شمعة فقتلا حاملها ففزع القوم فاضطربوا باسيافهم فقتل بعضهم بعضا حتى اصبحوا وأتاهم رسل الحرث ملك غسان يبذل الصلح والاتاوة وقال انى باعث رؤس القبائل لتقرير الحال وندب أصحابه فانتدب له مائة غلام وقيل ثمانون غلاما فالبسهم السلاح وامر ابنته حليمة ان تطيبهم وتلبسهم ففعلت فلما مر بها لبيد بن عمرو فارس الزيتية قبلها فاتت أباها باكية فقال هو أسد القوم وان سلم لانكحنه اياك وأمره على القوم وساروا فلما قاربوا العسكر العراقى جمع الملك رؤس أصحابه وجاءت الغسانيون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس فلما تتاموا عند الملك أبدوا السلاح فقتلوا من وجدوا وقتل لبيد بن عمرو ملك العراقيين واحيط بالغسانيين فقتلوا الا لبيد بن عمرو فان فرسه لم تبرح فاستوى عليها وعاد فاخبر الملك فقال له قد انكحتك ابنتى حليمة فقال لا يتحدث الناس انى فل مائة ثم عاد الى القوم فقاتل فقتل وتفقد أهل العراق أشرافهم واذا بهم قد قتلوا فضعفت نفوسهم لذلك وزحفت اليهم غسان فانهزموا قلت قد اختلف النسابون وأهل السير فى مدة الايام وتقديم بعضها على بعض واختلفوا أيضا فى المقتول فيها فمنهم من يقول ان يوم حليمة وهو الذى قتل فيه المنذر بن ماء السماء ويوم اباغ هو اليوم الذى قتل فيه المنذر بن المنذر ومنهم من يقول بضد ذلك ومنهم من يجعل اليومين واحدا فيقول لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء واما ابنه المنذر فمات بالحيرة وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما فالصحيح ان المقتول هو المنذر ابن ماء السماء لا شك فيه واما ابنه ففيه خلاف كثير والاصح انه لم يقتل ومن اثبت قتله اختلفوا فى سببه على ما ذكرناه وانما ذكرت اختلافهم والحادثة واحدة لان كل سبب منها قد ذكره بعض العلماء فتى تركنا أحدهما ظن من ليس له معرفة ان كل سبب منها

قالت رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت فى حجرى فقال خيرا رأيت تلد فاطمة غلاما فيكون فى حجرك فولدت فاطمة الحسين فوضعته فى حجرى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حانت منى التفاتة فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تدمعان فقلت بابى أنت وامى يا رسول الله مالك قال أتانى جبريل فاخبرنى ان أمتى ستقتل ابنى هذا لطف وأتانى بتربة من تربته حمراء وقد جمع أهل الاثر فى صحائف السير ان أهل الكوفة لما بلغهم موت معاوية وولاية يزيد كتبوا كتابا الى الحسين رضى الله عنه يدعونه اليهم للبيعة فكتب جوابهم مع القاصد وسير معه ابن عمه مسلم بن عقيل فلما وصل اليهم اجتمع الشيعة عليه وأخذ عليهم البيعة للحسين ثم لما أراد الحسين المسير نهاه جماعة كابن عباس وابن عمر وغيرهما وحذروه غدر أهل العراق فلم ينته وتوجه الى العراق وبلغ الخبر الى يزيد فولى العراق عبيد الله بن زياد وأمره بقتال الحسين فدخل ابن زياد الكوفة قبل الحسين وظفر بمسلم بن عقيل فقتله وأرسل جيشا الى الحسين وأمر عليهم عمر بن سعد وأمره ان يحول بين الحسين وبين الماء ذكر الدميرى فى حياة الحيوان ان الحسين رضى الله عنه لما وصل الى كربلاء سأل عن اسم المكان فقيل له كربلاء فقال ذات كرب وبلاء ولقد مر ابى بهذا المكان عند مسيره الى صفين وأنا معه فوقف وسأل عن

هذا المكان وقال ههنا محط ركابهم وههنا مهراق دمائهم فسئل عن ذلك فقال نفر من آل محمد صلى الله عليه وسلم

ونزل فاحتز رأسه وأقبل به الى الحرث وهو على قصره ينظر اليهم فالقى الرأس بين يديه فقال له الحرث شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها فقال بل أنصرف فاواسي أصحابي بنفسي فاذا انصرف الناس انصرفت فرجع فصادف أخا الاسود وقد رجع اليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته فتقدم لبيد فقاتل فقتل ولم يقتل في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره وانهزمت لخم هزيمة ثانية وقتلوا في كل وجه وانصرفت غسان باحسن ظفر وذكر ان الغبار في هذا اليوم اشتد وكثر حتى ستر الشمس وحتى ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر لان الاسود سار بعرب العراق أجمع وسار الحرث بعرب الشام أجمع وهذا اليوم من أشهر أيام العرب وقد فخر به بعض شعراء غسان فقال

يوم وادى حليمة وازدلفنا * بالعناجيج والرماح الظماء
اذ شفينا أكفنا من رقاق * رقمن وقعها اسفا السحناء
وأتت هند بالخلوق الى من * كان ذا نجدة وفضل غناء
ونصبنا الجفان في ساحة المر * ج فلنا الى جفان ملاء

وقيل في قتله غير ما تقدم ونحن نذكره قال بعض العلماء وكان سببه ان الحرث بن أبي شمر جبلة بن الحرث الاعرج الغساني خطب الى المنذر بن المنذر اللخمي ابنته وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان فزوجه المنذر ابنته هندا وكانت لاتريد الرجال فصنعت بجلدها شبها بالبرص وقالت لابيها أناعلى هذه الحالة وتهديني الى ملك غسان فندم على تزويجها فامسكها ثم ان الحرث أرسل يطلبها فمنعها أبوها واعتل عليه ثم ان المنذر خرج غازيا فبعث الحرث بن أبي شمر جيشا الى الحيرة فانتهبها وأحرقها فانصرف المنذر من غزاته لما بلغه من الخبر فسار يريد غسان وبلغ الخبر الحرث فجمع أصحابه وقومه فسار بهم وتوافقوا بعين أباغ فاصطفوا للقتال فاقتتلوا واشتد الامر بين الطائفتين فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحرث وفيها ابنه فقتلوه وانهزمت الميسرة وحملت ميمنة الحرث على ميسرة المنذر فانهزم من بها وقتل مقدمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل ابن شيبان وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه وانهزم أصحابه في كل وجه فقتل منهم بشر كثير وأسر خلق كثير منهم من بني تميم ثم من بني حنظلة مائة أسير منهم شاس بن عبدة فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعر على الحرث يطلب اليه ان يطلق أخاه ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها

طحابك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفني ليلى وقد شط أهلها * وعادت عواد بيننا وخطوب
يقول فيها
فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أوقل ماله * فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث وجدنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب
ونالك من غسان أهل حفاظها * وهند وباس ماصنعت يشيب

السلاح حتى رده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب أمه ولم يكن للحسن عقب من أولاده الا من اثنين وهما الحسن وزيد وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام وهي تكملة ماذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من مدة الخلافة ثم تكون ملكا عضوضا ثم تكون جبروتا وفسادا في الارض فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وكان عمره سبعا وأربعين سنة

(الفصل الثاني في ذكر النجم الطالع من بني القمرين الامام أبو عبد الله الحسين رضي الله عنه)

ولد بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وكانت والدته المطهرة البتول فاطمة بنت الرسول علقت به بعد ان ولدت أخاه الحسن بخمسين ليلة هكذا صح النقل فلم يكن بينه وبين أخيه من التفاوت سوى هذه المدة المذكورة ومدة الحمل ولما ولد الحسين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم به فجاءه وأخذه وأذن في اذنه اليمنى وأقام في اذنه اليسرى وجاء جبريل عليه السلام فامره ان يسميه حسينا كما جاء في الحسن وقال لامه احلقي رأسه وتصدقي بوزنه فضة وفعل به كما فعل باخيه الحسن واعلم ان غالب فضائله قد وردت مشتركة بينه وبين أخيه الحسن فمن خواص الحسين رضي الله عنه مارواه الترمذي عن يعلى بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الاسباط وكان نقش خاتمه لكل أجل كتاب وروت أم الفضل ابن العباس انها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله رأيت حلما منكرا قال وما هو

تخذهش

زيد مناة بن تميم وجعل ابنه معديكرب ويعرف بغلفاء في قيس عيلان وقد تقدم هذا في قتل حجر ابي امرئ القيس وانما أعدناه ههنا للحاجة اليه فلما هلك الحرث تشتت امر اولاده وتفرقت كلمتهم ومشى بينهم الرجال وكانت المغاورة بين الاحياء الذين معهم وتفاقم امرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش فسار شرحبيل فيمن معه من الجيوش فنزل الكلاب وهو ماء بين البصرة والكوفة واقبل سلمة فيمن معه وفي الصنائع أيضا وهم قوم كانوا مع الملوك من شذاذ العرب فاقبلوا الى الكلاب وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب بن زهير فاقتتلوا اقتتالا شديدا وثبت بعضهم لبعض فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانهزموا وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب وصبرت تغلب ونادى منادي شرحبيل من أتاني برأس سلمة فله مائة من الابل ونادى منادي سلمة من اتاني برأس شرحبيل فله مائة من الابل فاشتد القتال حينئذ كل يطلب ان يظفر لعله يصل الى قتل احد الرجلين ليأخذ مائة من الابل فكانت الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة ومضى شرحبيل منهزما فتبعه ذو السنينة التغلبي فالتفت اليه شرحبيل فضربه على ركبته فاطن رجله وكان ذو السنينة اخا ابي حنش لامه فقال لاخيه قتلني الرجل وهلك ذو السنينة فقال أبو حنش لشرحبيل قتلني الله ان لم اقتلك وحمل عليه فادركه فقال يا أبا حنش اللبن اللبن يعني الدية فقال قد هرقت لبنا كثيرا فقال يا أبا حنش املكا بسوقة فقال ان اخي ملكي فطعنه فالقاه عن فرسه ونزل اليه فاخذ رأسه وبعث به الى سلمة مع ابن عم له فاتاه به والقاه بين يديه فقال سلمة لو كنت القيته ارفق من هذا وعرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه فهرب ابو حنش منه فقال سلمة

الا ابلغ أبا حنش رسولا * فمالك لا تجيء الى الثواب
لتعلم ان خير الناس طرا * قتيل بين احجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جعاسيس الرباب

فاجابه أبو حنش فقال

أحاذر ان أجيئك ثم تحبو * حباء أبيك يوم صنيعات
وكانت غدرة شنعاء تهفو * تقلدها أبوك الى الممات

وكان سبب يوم صنيعات ان ابا الحرث كان مسترضعا في تميم وبكر ولدغته حية فمات فاخذ خمسين رجلا من تميم وخمسين رجلا من بكر فقتلهم به ولما قتل شرحبيل قام بنو زيد مناة بن تميم دون أهله وعياله فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم ولما بلغ خبر قتله أخاه معديكرب وهو غلفاء قال يرثيه

ان جنبي عن الفراش لناب * كتجافي الاسر فوق الظراب
من حديث نمى الي فما تر * قأ عيني ولا أسيغ شرابي
مرة كالذعاف أكتمها النا * س على حر ملة كالشهاب
من شرحبيل اذ تعاوره الار * ماح من بعد لذة وشباب

نقتلوننا وبقي الحسين زمانا كلما انتهى اليه رجل منهم انصرف عنه وكره ان يتولى قتله وأتى بصبي صغير من أولاده اسمه عبد الله فحمله وقبله فرماه رجل من بني أسد فذبح ذلك الغلام فتلقى الحسين دمه في يده والقاه نحو السماء وقال يا رب ان تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير وانتقم من الظالمين واشتد العطش به فدنوه فحصل له شربة ماء فلما أهوى ليشرب رماه حصين بن نمير بسهم في حنكه فصار الماء دما ثم رفع يده الى السماء وهو يقول اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تذر على الارض منهم أحدا ثم حمل الرجال على الحسين رضي الله عنه من كل جانب وهو يجول فيهم يمينا وشمالا فضربه زرعة بن شريك على يده اليسرى وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان بن أنس بالرمح فوقع فنزل اليه الشمر فاحتز رأسه وسلمه الى خولي الاصبحي ثم انتهبوا سلبه حكى انه وجد بالحسين رضي الله عنه حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة وهم شمر الملعون عليه ما يستحق من الله بقتل علي الاصغر ابن الحسين وهو مريض فخرجت اليه زينب بنت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقالت والله لا يقتل حتى اقتل فكف عنه ثم ان عبيد الله بن زياد جهز علي بن الحسين ومن كان معه من حرمه بحيث تقشعر من ذكره الابدان وترتعد منه مفاصل الانسان الى البغيض يزيد بن معاوية وهو يومئذ بدمشق مع الشمر بن ذي الجوشن وساروا الى ان وصلوا الى دير في الطريق فنزلوا ليقيلوا به فوجدوا

حادث مستقل وقد أهملناه فأتينا بهما جميعا لذلك ونبهنا عليه

(ذكر قتل مضرط الحجارة)

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة وكان يلقب مضرط الحجارة لشدة ملكه وقوة سياسته وامه هند بنت الحرث بن عمرو المقصور بن آكل المرار وهي عمة امرئ القيس بن حجر بن الحرث وكان سبب قتله انه قال يوما لجلسائه هل تعلمون ان احدا من العرب من أهل مملكتي يأنف ان تخدم امه امي قالوا مانعرفه الا ان يكون عمرو بن كلثوم التغلبي فان امه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو فسكت مضرط الحجارة على ما في نفسه وبعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويأمره ان تزور امه ليلى ام نفسه هند بنت الحرث فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ومعه امه ليلى فنزل على شاطئ الفرات وبلغ عمرو بن هند قدومه فامر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وارسل الى وجوه اهل مملكته فصنع لهم طعاما ثم دعا الناس اليه وقرب اليهم الطعام على باب السرادق وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق ولامه هند قبة في جانب السرادق وليلى أم عمرو بن كلثوم معها في القبة وقد قال مضرط الحجارة لامه اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فنحي خدمك عنك فاذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشئ بعد الشئ ففعلت هند ما امرها به ابنها فلما استدعى الطرف فقالت هند لليلى ناوليني ذلك الطبق قالت لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فالحت عليها فقالت ليلى واذلاه يا آل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه وثار ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فاخذه ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله وخرج فنادى يا آل تغلب فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة فقال أفنون التغلبي

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا * لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا * وامسك من ندمانه بالمخنق

(يوم الكلاب الاول)

قال ابن الكلبي اول من اشتد ملكه من كندة حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندي فلما هلك ملك بعد أبيه عمرو ومثل ملك أبيه فسمي المقصور لانه قصر على ملك أبيه فتزوج عمرو أم اياس بنت عوف بن محلم الشيباني فولدت له الحرث فملك بعد أربعين سنة وقيل ستين سنة فخرج يتصيد فرأى عانة وهي حمر الوحش فشد عليها فانفرد منها حمارا فتبعه واقسم ان لا يأكل شيأ قبل كبده وهو بمسحلان فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته فأتى به وقد كاد يموت من الجوع فشوي على النار وأطعم من كبده وهي حارة فمات وكان الحرث فرق بنيه في قبائل معد فجعل حجرا في بني اسد وكنانة وهو أكبر ولده وجعل شرحبيل في بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبني أسيد بن عمرو بن تميم والرباب وجعل سلمة وهو أصغرهم في بني تغلب والنمر بن قاسط وبني سعد بن

يقتلون ههنا ثم أمر باثقاله فحطت في ذلك المكان فلما التقيا قال الحسين لعمر بن سعد ومن معه اختاروا مني واحدة من ثلاث اما ان تدعوني فالحق بالثغور أو اذهب الى يزيد أو انصرف من حيث جئت فقبل ذلك عمر بن سعد ولم يقبله ابن زياد وقال حتى يضع يده في يدي فقال الحسين لا يكون ذلك أبدا وروي ان عمر ابن سعد المذكور حال بين الحسين وأصحابه وبين الماء فخرج اليه من جماعة الحسين رضي الله عنه يزيد ابن حصين وكلمه فقال هذا الفرات تشرب منه الكلاب والدواب وهذا الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته يموتون عطشا وأنت تزعم انك تعرف الله ورسوله فاطرق عمر رأسه ولم يجبه وكان يزيد وعد لابن زياد ولاية الري اذا فرغ من قتال الحسين وفي بهجة المحاسن ان النبي عليه السلام رأى كان كلبا أبقع ولغ في دمه فاول ان رجلا يقتل الحسين ابن بنته فكان شمر قاتل الحسين رضي الله عنه ابرص فتأخرت الرؤيا بعده صلى الله عليه وسلم خمسين سنة فلما أصبح الصباح وكان يوم عاشوراء خرج عمر بن سعد ومن معه وتهيأ أصحاب الحسين وكانوا اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا فركب الحسين دابته وقال لهم هل يحل لكم قتلي وانا الذي سوى ألست ابن بنت نبيكم وابن ابن عمه فلم يكلموه وفي دون ساعة قتل أصحاب الحسين رضي الله عنه كلهم وفيهم بضعة عشر شابا من أهل بيته فأصاب ابنا للحسين وهو في حجره سهم فجعل يمسح الدم عنه ويقول اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا زيد

وقال عمرو يا زرارة ما تقول قال كذبت قد علمت عداوتهم فيك قال صدقت فلما جن الليل سار زرارة مجدا الى قومه ولم يلبث ان مرض فلما حضرته الوفاة قال لابنه يا حاجب ضم اليك غلاق في بني نهشل وقال لابن أخيه عمرو بن عمرو وعليك بعمرو بن ملقط فانه حرض علي الملك فقال له يا عماه لقد أسندت الي أبعدهما شقة وأشدهما شوكة فلما مات زرارة تهيأ عمرو بن عمرو في جمع وغزا طيأ فأصاب الطريفين طريف بن مالك وطريف بن عمرو وقتل الملاقط فقال علقمة بن عبدة في ذلك

ونحن جلبنا من ضرية خيلنا * نجنبها حد الاكام قطاقطا
أصبنا الطريف والطريف بن مالك * وكان شفاء لو أصبين الملاقطا

فلما بلغ عمرو بن المنذر وفاة زرارة غزا بني دارم وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة فسار يطلبهم حتى بلغ أوارة وقد أنذروا به فتفرقوا فأقام مكانه وبث سراياه فيهم فأتوه بتسعة وتسعين رجلا سوى من قتلوه في غاراتهم فقتلهم فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه فأخذه ليقتله ليتم مائة ثم قال ان الشقي وافد البراجم فذهبت مثلا وقيل انه نذر ان يحرقهم فلذلك سمي محرقا فأحرق منهم تسعة وتسعين رجلا واجتاز رجل من البراجم فشم قتار اللحم فظن ان الملك يتخذ طعاما فقصده فقال من انت فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم فقال ان الشقي وافد البراجم ثم أمر به فقذف في النار فقال جرير للفرزدق

أين الذين بنار عمرو أحرقوا * أم أين أسعد فيكم المسترضع

وصارت تميم بعد ذلك يعيرون بحب الاكل لطمع البرجمي في الاكل فقال بعضهم

اذا ما مات ميت من تميم * فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر * أو الشئ الملفف في البجاد
تراه ينقب البطحاء حولا * ليأكل رأس لقمان بن عاد

قيل دخل الاحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية ما الشئ الملفف في البجاد يا أبا بحر قال السخينة يا أمير المؤمنين والسخينة طعام تعير به قريش كما كانت تعير تميم بالملفف في البجاد قال فلم ير متمازحان أوقر منهما

(ذكر قتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحرث بن ظالم المري وذكر يوم الرحرحان)

كان زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس العبسي وهو والد قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء سيد قيس عيلان فتزوج اليه ملك الحيرة وهو النعمان بن امرئ القيس جد النعمان بن المنذر لشرفه وسودده فأرسل النعمان الى زهير يستزيره بعض أولاده فأرسل ابنه شأسا وكان أصغر ولده فأكرمه وحباه فلما انصرف الى أبيه كساه حللا وأعطاه مالا وطيبا فخرج شأس يريد قومه فبلغ ماء من مياه غني بن أعصر فقتله رياح بن الاشل الغنوي وأخذ ما كان معه وهو لا يعرفه وقيل لزهير ان شأسا أقبل من عند الملك وكان آخر العهد به ماء من مياه غني فسار زهير الى ديار غني وهم حلفاء في بني عامر بن صعصعة فاجتمعوا عنده فسألهم عن ابنه فحلفوا انهم

وسلم وذكر في الفصول المهمة ان الناس مكثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحيطان بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع وقد حكى أبو حباب الكلبي وغيره ان أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نوح الجن على الحسين رضي الله عنه وهم يقولون

مسح الرسول جبينه * فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش * جده خير الجدود

وتكلم رجل في الحسين بكلمة فرماه الله بكوكب من السماء أخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي نصف النهار أشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم فقلت بابي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا قال دم الحسين وأصحابه رضي الله عنهم لم أزل التقطه منذ اليوم فأحصي ذلك اليوم فوجده قتل يومئذ واختلفوا في مكان دفن فيه رأس الحسين رضي الله عنه وفي مسالك الابصار انه حمل جسد الحسين ورأسه الى المدينة المنورة حتى دفنوه عند قبر أخيه الحسن وقيل دفن الرأس بالقاهرة بالمشهد المعروف بباب القرافة وقيل انه دفن رأسه عند قبر امه بالمدينة المنورة والاصح انه دفن في جامع دمشق واستقر جسده بكربلاء وله مشهد عظيم يزار ويتبرك به وقال السيد الشريف الرضي

كربلا لازلت كربا وبلا * مالقي عندك أهل المصطفى
كم على تربك لما صرعوا * من دم سال ومن دمع جرى
ووجوه كالمصابيح فمن * قمر غاب وبدر قد هوى

وليس للحسين عقب من الذكور الا من

يا ابن امى ولو شهدتك اذتد * عوتميما وأنت غير مجاب
ثم طاعنت من ورائك حتى * يبلغ الرحب أو تبز ثيابى
احسنت وائل وعادتها الاحسان بالحبو يوم ضرب الرقاب
يوم فرت بنو تميم وولت * خيلهم يتقين بالاذناب

وهى طويلة ثم ان تغلب اخرجوا سلمة من بينهم فلجأ الى بكر بن وائل وانضم اليهم ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس اللخمى (الكلاب بضم الكاف أسد بن عمرو بضم الهمزة وفتح السين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وذو السنينة بضم السين المهملة تصغير سن والرباب بكسر الراء وتخفيف الباء الاولى الموحدة)

(يوم أوارة الاول)

وهو يوم كان بين المنذر بن امرئ القيس وبين بكر بن وائل وكان سببه ان تغلب لما أخرجت سلمة بن الحرث عنها التجأ الى بكر بن وائل كاذ كرناه آنفا فلما صار عند بكر أذعنت له وحشدت عليه وقالوا الا يملكنا غيرك فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فابوا ذلك فحلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم فى جموعه فالتقوا باوارة فاقتتلوا قتالا شديدا وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر يزيد بن شرحبيل الكندى فامر المنذر بقتله فقتل وقتل فى المعركة بشر كثير وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة فامر بهم فذبحوا على جبل أوارة فجعل الدم يجمد فقيل له أبيت اللعن لو ذبحت كل بكرى على وجه الارض لم يبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض وأمر بالنساء ان يحرقن بالنار وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعا الى المنذر فكلمه فى سبى بكر بن وائل فاطلقهن المنذر فقال الاعشى يفتخر بشفاعة القيسى الى المنذر فى بكر

ومنا الذى أعطاه بالجمع ربه * على فاقة وللملوك هباتها
سبايا بنى شيبان يوم أوارة * على النار اذ تجلى به فتياتها

(يوم أوراة الثانى)

كان عمرو بن المنذر اللخمى قد ترك ابنا له اسمه أسعد عند زرارة بن عدس التميمى فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرمى ضرعها فشد عليه ربها سويد أحد بنى عبد الله ابن دارم التميمى فقتله وهرب فلحق بمكة فحالف قريشا وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زرارة فأخفق فلما كان حيال جبلى طيئ قال له زرارة أى ملك اذا غزا لم يرجع ولم يصب فل على طيئ فانك بحيالها فمال اليهم فاسر وقتل وغنم فكانت فى صدور طيئ على زرارة فلما قتل سويد أسعد وزرارة يومئذ عند عمرو فقال له عمرو بن ملقط الطائى يعرض عمرا على زرارة

من مبلغ عمرا بان المرء لم يخلق صباره
ها ان عجزة امه * بالسفح أسفل من أواره
فاقتل زرارة لا أرى * فى القوم أوفى من زراره

مكتوبا على بعض جدرانه اترجو أمة قتلت حسينا ٢٣٨ * شفاعة جده يوم الحساب فسألوا الراهب عن السطر من كتبه فقال انه مكتوب ههنا من قبل ان يبعث نبيكم بخمسمائة عام وقيل ان الجدار انشق وظهر فيه كف مكتوب عليه هذا السطر فلما دخل زحر بن قيس على يزيد برأس الحسين رضى الله عنه وحكى له ما وقع دمعت عينا يزيد وقال كنت اقنع من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة اما والله لو انى صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين ولم يصله بشئ فلما وضع الرأس بين يديه بعد ما غسلوه وسرحوا لحيته وشعره وجعلوه فى طشت من ذهب فجعل يزيد ينكث ثناياه بقضيب فى يده فقال له أبو برزة الاسلمى أتنكت بقضيبك فى ثغر الحسين رضى الله عنه والذى لا اله الا هو لقد رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما اما انك يا يزيد تجئ يوم القيامة وابن زياد شفيعك ويجئ هذا ومحمد شفيعه ثم قام فولى ثم ان يزيد وجه الذرية صحبة على بن الحسين رضى الله عنه ووجه النعمان بن بشير مع ثلاثين رجلا يسيرا امامهم حتى انتهوا الى المدينة وكان النعمان يسأل عن حوائجهم ويتلطف بهم فقالت فاطمة لاختها زينب بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه لقد أحسن هذا الرجل الينا فهل لك ان تصليه بشئ فقالت والله ما معنا ما نصله به الا حلينا فاخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتا به اليه واعتذرتا فرد الجميع وقال ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه فقال

جندح بن البكاء وهو ابن امرأة خالد على زهير فقتله وهو وخالد يعتركان فثار خالد عنه وعادت هوازن الى منازلها وحمل بنو زهير اباهم الى بلادهم فقال ورقاء بن زهير في ذلك

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فاقبلت أسعى كالعجول أبادر
الى بطلين يعتركان كلاهما * يريد رياش السيف والسيف نادر
فشلت يميني يوم اضرب خالدا * ويمنعه مني الحديد المظاهر
فياليت اني قبل أيام خالد * وقبل زهير لم تلدني تماضر
لعمري لقد بشرت بي اذ ولدتني * فماذا الذي ردت عليك البشائر
فلا يدعني قومي صريحا بحرة * لئن كنت مقتولا ويسلم عامر
فطر خالدا ان كنت تسطيع طيرة * ولا تقعا الا وقلبك حاذر
اتتك المنايا ان بقيت بضربة * تفارق منها العيش والموت حاضر

وقال خالد يمن على هوازن بقتله زهيرا

ابلغ هوازن كيف تكفر بعدما * اعتقتهم فتوالدوا احرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الانوف وأكثر الاوتارا
وجعلت مهر نسائهم ودياتهم * عقل الملوك هجائنا وبكارا

وكان زهير سيد غطفان فعلم خالد ان غطفان ستطلبه بسيدها فسار الى النعمان بن امرئ القيس بالحيرة فاستجاره فاجاره فضرب له قبة وجمع بنو زهير لها هوازن فقال الحرث بن ظالم المري اكفوني حرب هوازن فانا أكفيكم خالد بن جعفر وسار الحرث حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما يأكلان تمرا فاقبل النعمان يسائله فحسده خالد فقال للنعمان أبيت اللعن هذا رجل لي عنده يد عظيمة قتلت زهيرا وهو سيد غطفان فصار هو سيدها فقال الحرث سأجزيك على يدك عندي وجعل الحرث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين اصابعه من الغضب فقال عروة لأخيه خالد ما أردت بكلامه وقد عرفته فتاكا فقال خالد وما يخوفني منه فوالله لو رآني نائما ما ايقظني ثم خرج خالد وأخوه الى قبتهما فشربا بها عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه فلما أظلم الليل انطلق الحرث الى خالد فقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة لئن تكلمت قتلتك ثم أيقظ خالدا فلما استيقظ قال اتعرفني قال أنت الحرث قال خذ جزاء يدك عندي وضربه بسيفه المعلوب فقتله ثم خرج من القبة وركب راحلته وسار وخرج عروة من القبة يستغيث وأتى باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر فبث الرجال في طلب الحرث قال الحرث فلما سرت قليلا خفت ان أكون لم أقتله فعدت متنكرا واختلطت بالناس ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقنت انه مقتول وعدت فلحقت بقومي فقال عبد الله بن جعدة الكلابي

ياجار لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعشا ولا معزالا
شقت عليه الجعفرية جيبها * جزعا وما تبكي هناك ضلالا
فانعوا أبا جزء بكل مجرب * حران يحسب في القناة هلالا
فليقتلن بخالد سرواتكم * وليجعلن لظالم تمثالا

الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال رضي الله عنه لا يدعو به أحد أصابه بلاء الا فرجه الله عنه ومن دعائه رضي الله عنه اللهم كما أسأت فاحسنت الي فاذا عدت فعد علي (حكي) انه لما حج هشام بن عبد الملك في حياة أبيه دخل الى الطواف وجهد ان يستلم الحجر الاسود فلم يصل اليه لكثرة ازدحام الناس عليه فنصب له منبر الى جانب زمزم وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام فبينا هو كذلك اذ أقبل زين العابدين يريد الطواف فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا الذي قد هابته الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة ان يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه فقال الشامي من هو فقال

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها
الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
في كل أمر ومختوم به الكلم
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من انكرت والعجم
يغضي حياء ويغضى من مهابته
فلا يكلم الا حين يبتسم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق بعسفان وقال الفرزدق يهجو هشاما وكان هشام

لم يعلوا اخبره قال لكنى اعلمه فقال له أبو عامر فما الذى يرضيك منا قال واحدة من ثلاث اما تحيون ولدى واما تسلمون الى غنيا حتى أقتلهم بولدى واما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم فقالوا اما جعلت لنا فى هذه مخرجا اما احياء ولدك فلا يقدر عليه الا الله واما تسليم غنى اليك فهم يمنعون مما يمتنع منه الاحرار واما الحرب بيننا فوالله انا لنحب رضاك ونكره سخطك ولكن ان شئت الدية وان شئت نطلب قاتل ابنك فنسلمه اليك او تهب دمه فانه لا يضيع فى القرابة والجوار فقال ما افعل الا ما ذكرت فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعدى زهير على اخواله من غنى قال والله ما رأينا كاليوم تعدى رجل على قومه فقال له زهير فهل لك ان تكون طلبتى عندك وأترك غنيا قال نعم فانصرف زهير وهو يقول

فلولا كلاب قد أخذت قرينتى * برد غنى أعبدا ومواليا
ولكن منهم عصبة عامرية * يهزون فى الارض القصار العواليا
مساعير فى الهيجا مصاليت فى الوغى * أخوهم عزيز لا يخاف الاعاديا
يقيمون فى دار الحفاظ تكرما * اذا ما فتى القوم أضحت خواليا

ثم انه أرسل امرأة وأمرها ان تكتم نسبها وأعطاها لحم جزور وسمنة وسيرها الى غنى لتبيع اللحم بطيب وتسأل عن حال ولده فانطلقت المرأة الى غنى وفعلت ما أمرها فانتهت الى امرأة رباح بن الاشل وقالت لها قد زوجت بنتا لى وابغى الطيب بهذا اللحم فاعطتها طيبا وحدثتها بقتل زوجها شأسا فعادت المرأة الى زهير واخبرته فجمع خيله وجعل يغير على غنى حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ووقعت الحرب بين بنى عبس وبنى عامر وعظم الشر ثم ان زهيرا خرج فى بنيه واهل بيته فى الشهر الحرام الى عكاظ فالتقى هو وخالد بن جعفر بن كلاب فقال له خالد لقد طال شرنا منك يا زهير فقال زهير اما والله ما دامت لى قوة ادركت بها ثارا فلا انصرام له وكانت هوازن توفى زهير بن جذيمة الاتاوة كل سنة بعكاظ وهو يسومها الخسف وفى أنفسها منه غيظ وحقد ثم عاد خالد وزهير الى قومهما فسبق خالد الى بلاد هوازن فجمع اليه قومه وندبهم الى قتال زهير فاجابوه وتأهبوا للحرب وخرجوا يريدون زهيرا وهم على طريقه وسار زهير حتى نزل على اطراف بلاد هوازن فقال له ابنه قيس انج بنا من هذه الارض فانا قريب من عدونا فقال له يا عاجز وما الذى تخوفنى به من هوازن وتتقى شرها فانا اعلم الناس بها فقال ابنه دع عنك اللجاج وأطعنى وسر بنا فانى خائف عاديتهم وكانت تماضر بنت الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية السلمية أم ولد زهير وقد أصاب بعض اخوتها دما فلحق ببنى عامر وكان فيهم فارسله خالد عينا ليأتيه بخبر زهير فخرج حتى أتاهم فى منزلهم فعلم قيس بن زهير حاله وأراده وأبوه ان يوثقوه ويأخذوه معهم الى ان يخرجوا من أرض هوازن فمنعت أخته فأخذوا عليه العهود ان لا يخبر بهم واطلقوه فسار الى خالد ووقف الى شجرة يخبرها الخبر فركب خالد ومن معه الى زهير وهو غير بعيد منهم فاقتتلوا قتالا شديدا والتقى خالد وزهير فاقتتلا طويلا ثم تعانقا فسقطا على الارض وشد ورقاء بن زهير على خالد وضربه بسيفه فلم يصنع شيأ لانه قد ظاهر بين درعين وحمل

(الفصل الثالث فى ذكر برج سرطان الراكعين الامام على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنه)

ولد بالمدينة فى أيام جده على بن أبى طالب رضى الله عنهما قبل وفاته بسنتين وكان أسمر رقيقا قصيرا نقش خاتمه وما توفيقى الا بالله كان اذا توضأ للصلاة يصفر لونه فقيل له ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أما ترون بين يدى من اريد ان اقف وكان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة وكان يتصدق سرا ويقول صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال محمد بن اسحق كان اناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم فلما مات على بن الحسين رضى الله عنه فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا الى منازلهم فعلموا ان معايشهم كانت من على بن الحسين رضى الله عنه وسقط ابن له فى بئر ففزع أهل المدينة لذلك حتى أخرجوه وكان قائما يصلى فى المحراب فما زال عن مكانه فقيل له فى ذلك فقال ما شعرت لانى كنت أناجى ربا عظيما وكان رضى الله عنه يقول لاولاده يا بنى اذا أصابتكم مصيبة من الدنيا أو نزل بكم فاقة أو أمر فادح فليتوضأ الرجل منكم وضوءه للصلاة وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا فرغ من صلاته فليقل يا موضع كل شكوى يا سامع كل نجوى يا شافى كل بلوى ويا عالم كل خفية ويا كاشف ما يشاء من كل بلية أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت قوته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله

فين معه من ناحية أخرى فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان وعادوا الى بلادهم ومعبد اسير مع بنى عامر فبقى معهم حتى مات وفى تلك الايام أيضا مات زرارة بن عدس وقيل فى استجارة الحرث ببنى تميم غير ذلك وهو ان النعمان طلب شيأ يغيظ به الحرث بعد قتل خالد وهربه فقيل له كان قصد الحيرة ونزل على عياض بن وهب التميمى وهو صديق له فبعث اليه النعمان فأخذ ابلاله فركب الحرث وأتى الحيرة متخفيا واستنقذ ماله من الرعاء وردّه عليه وطلب شيأ يغيظ به النعمان فرأى ابنه غضبان فضرب رأسه بالسيف فقتله وبلغ النعمان الخبر فبعث فى طلبه فلم يدركه فقال الحرث فى ذلك

أخصى حمار بات يكدم نجمة * اتؤكل جاراتى وجارك سالم
فان تك أذواد أصبت ونسوة * فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم
علوت بذى الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه الا الاكارم
فتكت به كما فتكت بخالد * وكان سلاحى تجتويه الجماجم
بدأت بتلك وانثنيت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم
حسبت اباقابوس انك مخفرى * ولما تذق ثكلا وانفك راغم

كذا قال بعضهم وقيل ان المقتول كان شرحبيل بن الاسود بن المنذر وكان الاسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن أبى حارثة المرى ترضعه زوجته فى هنالك كان لسنان مال كثير وكان ابنه هرم يعطى منه فجاء الحرث متخفيا فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان ثم اتى امرأة سنان فقال يقول بعلك ابعثى بشرحبيل بن الملك مع الحرث بن ظالم حتى يستأمن به ويتخفر به وهذا سرجه علامة فزينته ودفعته اليه فأخذه وقتله وهرب فغزا الاسود بنى ذبيان وبنى اسد بشطارب فقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى واستأصل الاموال وأقسم ليقتلن الحرث فسار الحرث متخفيا الى الحيرة ليفتك بالاسود فبينما هو فى منزله اذ سمع صارخة تقول أنا فى جوار الحرث بن ظالم وعرف حالها وكان الاسود قد أخذ لها صرمة من الابل فقال لها انطلقى غدا الى مكان كذا وأتاه الحرث فلما وردت ابل النعمان أخذ مالها فسلمه اليها وفيها ناقة تسمى اللقاع فقال الحرث فى ذلك

اذا سمعت حنة اللقاع * فادعى ابا ليلى فنعم الداعى
يمشى بعضب صارم قطاع * يفرى به مجامع الصداع

ثم اقبل يطلب مجيرا فلم يجره احد من الناس وقالوا من يجيرك على هوازن والنعمان وقد قتلت ولده فأتى زرارة بن عدس وضمرة بن ضمرة فاجاراه على جميع الناس ثم ان عمرو بن الاطنابة الخزرجى لما بلغه قتل خالد بن جعفر وكان صديقاله قال والله لو وجده يقظان ماأقدم عليه ولوددت انى لقيته وبلغ الحرث قوله وقال والله لآتينه فى رحله ولا القاه الا ومعه سلاحه فبلغ ذلك ابن الاطنابة فقال أبياتا منها

أبلغ الحرث بن ظالم المو * عد والناذر النذور علىّا
انما تقتل النيام ولا تقـ * ـتل يقظان ذا سلاح كميا

فبلغ الحرث شعره فسار الى المدينة وسأل عن منزل ابن الاطنابة فلما دنا منه نادى يا ابن

ابن على بن ابى طالب كرم الله وجهه فهو هاشمى من هاشميين وقال رضى الله عنه ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله الا حرم الله عز وجل وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة وما من شئ الا له جزاء الا الدمعة فان الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا ولو ان باكيا بكى فى أمة لحرم الله تلك الامة على النار وحدث بعضهم قال كنت بين مكة والمدينة فاذا أنا بشئ يلوح تارة ويختفى أخرى حتى قرب منى فتأملته فاذا هو غلام سباعى أو ثمانى فسلم علىّ فرددت عليه السلام فقلت من أنت قال رجل عربى قلت أين لى قال قرشى قلت أين لى قال علوى ثم أنشأ يقول

ونحن على الحوض روّاده
نذود ونسعد ورّاده
فما فاز من فاز الا بنا
وما خاب من حبنا زاده
فمن سرّنا نال منا السرور
ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبنا حقنا
فيوم القيامة ميعاده

ثم قال انا محمد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب ثم التفت فلم اره فلا ادرى نزل فى الارض

فاجابه الحرث

تالله قد نبهته فوجدته * رخو اليدين مواكلا عسقالا

فعلوته بالسيف اضرب راسه * حتى أفسل بسطه السربالا

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم فاجاره على النعمان وهوازن فلما علم النعمان ذلك جهز جيشا الى بنى دارم عليهم ابن الجس التغلبي وكان يطالب الحرث بدم أبيه لانه كان قتله ثم ان الاحوص بن جعفر أخا خالد جمع بنى عامر وسار بهم فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بنى دارم وساروا فلما صاروا بادنى مياه بنى دارم رأوا امرأة تجنى الكماة ومعها جمل لها فاخذها رجل من غنى وتركها عنده فلما كان الليل نام فقامت الى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بنى دارم وقصدت سيدهم زرارة بن عدس فاخبرته الخبر وقالت اخذنى امس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم قال فصفيهم لى قالت رأيت رجلا قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بخرقة صغير العينين وعن أمره يصدرون قال ذاك الاحوص وهو سيد القوم قالت ورأيت رجلا قليل المنطق اذا تكلم اجتمع القوم كما تجتمع الابل لفحلها أحسن الناس وجها ومعه ابنان له لا يزايلانه قال ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل قالت ورأيت رجلا جسيما كان لحيته مجرة معصفرة قال ذاك عوف بن الاحوص قالت ورأيت رجلا هلقاما جسيما قال ذاك ربيعة بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب قالت ورأيت رجلا اسود أخنس قصيرا قال ذاك ربيعة بن قرط بن عبد الله بن أبى بكر قالت ورأيت رجلا أقرن الحاجبين كثير شعر السبلة يسيل لعابه على لحيته اذا تكلم قال ذاك حندج بن البكاء قالت ورأيت رجلا صغير العينين ضيق الجبهة يقود فرسا معه جفير لا يفارق يده قال ذاك ربيعة بن عقيل بن كعب قالت ورأيت رجلا معه ابنان اصهبان اذا أقبلا رماهما الناس بابصارهم فاذا أدبرا كانا كذلك قال ذاك الصعق بن عمرو بن خويلد بن نفيل وابناه يزيد وزرعة قالت ورأيت رجلا لا يقول كلمة الا وهى أحد من شفرة قال ذاك عبد الله بن جعدة بن كعب وأمرها زرارة فدخلت بيتها وأرسل زرارة الى الرعاء يأمرهم باحضار الابل ففعلوا وأمرهم فحملوا الاهل والاثقال وساروا نحو بلاد بغيض وفرق الرسل فى بنى مالك بن حنظلة فاتوه فاخبرهم الخبر وأمرهم فوجهوا اثقالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين وأصبح بنو عامر وأخبرهم الغنوى حال الظعينة وهربها فسقط فى أيديهم واجتمعوا يريدون الرأى فقال بعضهم كانى بالظعينة قد أتت قومها فاخبرتهم الخبر فحذروا وأرسلوا أهاليهم وأموالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين لكم فى السلاح فاركبوا بنا فى طلب نعمهم وأموالهم فانهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا وننصرف فركبوا يطلبون ظعن بنى دارم فلما ابطأ القوم عن زرارة قال لقومه ان القوم قد توجهوا الى ظعنكم وأموالكم فسيروا اليهم فساروا مجدين فلحقوهم قبل ان يصلوا الى الظعن والنعم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتلت بنو مالك بن حنظلة ابن الجس التغلبى رئيس جيش النعمان وانهزمت بنو عامر معبد بن زرارة وصبر بنو دارم حتى انتصف النهار وأقبل قيس بن زهير

أحول فانشد يقول أيحبس بين المدينة والتى * اليها قلوب الناس يهوى منيبها يقلب رأسا لم يكن رأس سيد

وعينا له حولاء بادعيوبها

توفى زين العابدين رضى الله عنه سنة أربع وتسعين من الهجرة وله من العمر سبع وخمسون سنة وقيل مات مسموما سمه الوليد بن عبد الملك ودفن بالبقيع هكذا قيل فى تاريخ الخلفاء والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الرابع فى ذكر منبع الفضائل والمفاخر الامام محمد بن على الباقر رضى الله عنه)

وانما سمى بالباقر لانه بقر العلم وقيل لقب بالباقر لما روى عن جابر بن عبد الله الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجابر يوشك ان تلحق بولد من ولد الحسين اسمه كاسمى يبقر العلم بقرا أى يفجره تفجيرا فاذا رأيته فاقرأه منى السلام قال جابر فاخر الله مدتى حتى رأيت الباقر فاقرأته السلام عن جده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خليفة أبيه من بين اخوته ووصيه والقائم بالامامة من بعده وكان معتدل القامة اسمر اللون نقش خاتمه رب لا تذرنى فردا وقال ظنى بالله حسن وبالنبى المؤتمن وبالوصى ذى المنن وبالحسين والحسن ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والسنن وعلم القرآن والسير وفنون الادب ما ظهر عن أبى جعفر الباقر روى عنه فى معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفيه يقول القرطبى

ياباقر العلم لاهل التقى * وخير من لبى على الجبل ولد بالمدينة قيل قبل جده الحسين بثلاث سنين وامه فاطمة بنت الحسن فهو

بنت الخرشب وزمام زوجته فقالت فاطمة ام الربيع ما تريد يا قيس قال اذهب بكن الى مكة فلا يمكن بها بسبب درعى قالت وهى فى ضمانى وخلى عنا فخلى فلما جاءت الى ابنها قالت له فى معنى الدرع فحلف انه لا يرد الدرع فارسلت الى قيس اعلمته بما قال الربيع فاغار على نعم الربيع فاستاق منها اربعمائة بعير وسار بها الى مكة فباعها واشترى بها خيلا وتبعه الربيع فلم يلحقه فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء وقيل ان داحسا كان من خيل بنى يربوع وان اباه كان فرس الرجل من بنى ضبة يقال له انيف بن جبلة وكان الفرس يسمى السبط وكانت ام داحس لليربوعى فطلب اليربوعى من الضبى ان ينزى فرسه على حجره فلم يفعل فلما كان الليل عمد اليربوعى الى فرس الضبى فاخذه فانزاه على فرسه فاستيقظ الضبى فلم ير فرسه فنادى فى قومه فاجابوه وقد تعلق باليربوعى فاخبرهم الخبر فغضب ضبة من ذلك فقال لهم لا تعجلوا دونكم نطفة فرسكم فخذوها فقال القوم قد انصف فسطا عليها رجل من القوم فدس يده فى رحمها فاخذ ما فيها فلم تزد الفرس الا قلقا فنتجت مهرا فسمى داحسا بهذا السبب فكان عند اليربوعى ابنان له واغار قيس بن زهير على بنى يربوع فنهب وسبى ورأى الغلامين احدهما على داحس والآخر على الغبراء فطلبهما فلم يلحقهما فرجع وفى السبى ام الغلامين واختان لهما وقد وقع داحس والغبراء فى قلبه وكان ذلك قبل ان يقع بينه وبين الربيع ما وقع ثم جاء وفد بنى يربوع فى فداء الاسرى والسبى فاطلق الجميع الا ام الغلامين واختيهما وقال ان اتانى الغلامان بالمهر والفرس الغبراء والا فلا فامتنع الغلامان من ذلك فقال شيخ من بنى يربوع كان اسيرا عند قيس ابياتا وبعث بها الى الغلامين وهى

اتمهرا فدا الرباب وجملا * وسعادا خير مهر اناس
ادفعوا داحسا بهن سراعا * انها من فعالها الا كياس
دونها والذى يحج له الناس * س سبايا يبعن بالافراس
ان قيسا يرى الجواد من الخيـ * ـل حياة فى متلف الانفاس
يشترى الطرف بالجرائر الجيـ * ـاد ويعطى عفوا بغير مكاس

فلما انتهت الابيات الى بنى يربوع قادوا الفرسين الى قيس واخذوا النساء وقيل ان قيسا انزى داحسا على فرس له فجاءت بمهرة فسماها الغبراء ثم ان قيسا اقام بمكة فكان اهلها يفاخرونه وكان فخورا فقال لهم نحوا كعبتكم عنا وحرمكم وهاتوا ما شئتم فقال له عبد الله ابن جدعان اذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الآمن فبم نفاخرك فمل قيس مفاخرتهم وعزم على الرحلة عنهم وسر ذلك قريشا لانهم قد كانوا كرهوا مفاخرته فقال لاخوته ارحلوا بنا من عندهم اولا والا تفاقم الشر بيننا وبينهم والحقوا ببنى بدر فانهم اكفاؤنا فى الحسب وبنو عمنا فى النسب واشراف قومنا فى الكرم ومن لا يستطيع الربيع ان يتناولنا معهم فلحق قيس واخوته ببنى بدر وقال فى مسيره اليهم

اسير الى بنى بدر بامر * هم فيه علينا بالخيار
فان قبلوا الجوار بخير قوم * وان كرهوا الجوار فغير عار

العزيز ولئن شكرتم لازيدنكم واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله تعالى يقول استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية واذا احزنك امر من سلطان او غيره فاكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة وكان رضى الله عنه يقول لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وستره روى انه وقع الذباب على وجه المنصور مرارا كثيرة حتى اضجره فدخل عليه تلك الساعة جعفر بن محمد الصادق رضى الله تعالى عنه فقال يا ابا عبد الله لم خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة فسكت المنصور وروى عنه انه قال لمولاه نافذ اذا كتبت رقعة او كتابا فى حاجة واردت ان تنجح حاجتك فاكتب فى رأس الرقعة بقلم غير مديد بسم الله الرحمن الرحيم وعد الله الصابرين المخرج مما يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون جعلنا الله واياكم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال نافذ فكنت افعل ذلك فتقضى حوائجى ومناقبه كثيرة توفى فى سنة ثمان واربعين ومائة وله من العمر ثمان وستون سنة وقيل

الاطنابة أغشى فأتاه عمرو فقال من أنت قال رجل من بنى فلان خرجت اريد بنى فلان فعرض لى قوم قريبا منك فأخذوا ما كان معى فاركب معى حتى تستنقذه فركب معه ولبس سلاحه ومضى معه فلما ابعد عن منزله عطف عليه وقال أنائم انت ام يقظان فقال يقظان فقال أنا ابو ليلى وسيفى المغلوب فالق ابن الاطنابة سيفه وقيل رمحه وقال قد أعجلتنى فامهلنى حتى آخذ سيفى فقال خذه قال اخاف ان تعجلنى عن أخذه قال لك ذمة ظالم لا اعجلك عن اخذه قال فوذمة الاطنابة لا آخذه فانصرف الحرث وهو يقول ابياتا منها

بالغتنام قالة المرء عمرو * فالتقينا وكان ذاك بديا
فهممنا بقتله اذ برزنا * ووجدناه ذا سلاح كميا
غير نائم يروع بالقتل ولكن مقلدا مشرفيا
فمننا عليه بعد علو * بوفاء وكنت قدما وفيا

ثم ان الحرث لما علم ان النعمان قد جد فى طلبه وهوازن لا تقعد عن الطلب بثار خالد خرج متنكرا الى الشام واستجار بيزيد بن عمرو فأكرمه واجاره وكان ليزيد ناقة محماة فى عنقها مدية وزناد وملح ليمتحن بذلك رعيته فوسمت زوجة الحرث واشتهت شحما ولحما فأخذ الحرث الناقة فادخلها شعبا فذبحها وحمل الى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه وفقدت الناقة فطلبت فوجدت عقيرة بالوادى فارسل الملك الى كاهن فسأله عنها فذكر له ان الحرث نحرها فارسل امرأة بطيب تشترى من لحمها من امرأة الحرث فأدركها الحرث وقد اشترت اللحم فقتلها ودفنها فى البيت فسأل الملك الكاهن عن المرأة فقال قتلها من نحر الناقة واذا كرهت ان تفتش بيته فتأمر الرجل بالرحيل فاذا رحل فتشت بيته ففعل ذلك فلما رحل الحرث فتش الكاهن بيته فوجد المرأة وأحس الحرث بالشر فعاد الى الكاهن فقتله فاخذ الحرث وأحضر عند الملك فامر بقتله فقال انك قد أجرتنى فلا تغدر بى فقال ان غدرت بك مرة واحدة فقد غدرت بى مرارا فقتله

(أيام داحس والغبراء وهى بين عبس وذبيان)

وكان سبب ذلك ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسى سار الى المدينة ليتجهز لقتال عامر والاخذ بثار أبيه فاتى أحيحة بن الجلاح يشترى منه درعا موصوفة فقال له لا أبيعها ولولا أن تذمنى بنو عامر لوهبتها منك ولكن اشترها بابن لبون ففعل ذلك وأخذ الدرع وتسمى ذات الحواشى ووهبه أحيحة أيضا ادراعا وعاد الى قومه وقد فرغ من جهازه فاجتاز بالربيع بن زياد العبسى فدعاه الى مساعدته على الاخذ بثاره فاجابه الى ذلك فلما أراد فراقه نظر الربيع الى عيبته فقال ما فى حقيبتك قال متاع عجيب لو ابصرته لراعك وأناخ راحلته فاخرج الدرع من الحقيبة فابصرها الربيع فاعجبته ولبسها فكانت فى طوله فمنعها من قيس ولم يعطه اياها وترددت الرسل بينهما فى ذلك ولج قيس فى طلبها ولج الربيع فى منعها فلما طالت الايام على ذلك سير قيس أهله الى مكة واقام ينتظر غرة الربيع ثم ان الربيع سير ابله وأمواله الى مرعى كثير الكلا وأمر اهله فظعنوا وركب فرسه وسار الى المنزل فبلغ الخبر قيسا فسار فى اهله واخوته فعارض ظعائن الربيع وأخذ زمام امه فاطمة

ام صعد فى السماء وتوفى رضى الله عنه سنة سبع عشرة ومائة وله من العمر ثمان وخمسون سنة قيل مات بالسم فى زمن ابراهيم بن الوليد ودفن فى البقيع فى القبة التى فيها العباس فى القبر الذى دفن فيه أبوه وعم أبيه رضى الله عنهم وارضاهم

(الفصل الخامس فى ذكر عالم الحقائق والدقائق الامام جعفر ابن محمد الصادق رضى الله عنه)

كان من بين اخوته خليفة أبيه ووصيه نقل عنه من العلوم ما لم ينقل عن غيره وكان رأسا فى الحديث روى عنه يحيى بن سعد وابن جريج ومالك بن أنس والثورى وابن عيينة وأبو حنيفة وشعبة وأبو أيوب السجستانى وغيرهم ولد بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وأمه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر وكان رضى الله عنه معتدل القامة آدم اللون نقش خاتمه ما شاء الله لا قوة الا بالله استغفر الله نقل ان كتاب الجفر الذى بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن له ومن كلامه لسفيان الثورى يا سفيان اذا أنعم الله عليك بنعمة واحببت بقاءها فاكثر من الحمد والشكر عليها فان الله عز وجل قال فى كتابه

داحس والغبراء قال قيس داحس أسرع وقال حذيفة الغبراء أسرع وقال له قيس أريد أن أعلمك أن بصري بالخيل أثقب من بصرك والأول أصح فقال له قيس نفس في الغاية وارفع في السبق فقال حذيفة الغاية من أبلى الى ذات الاصاد وهو قدر مائة وعشرين غلوة والسبق مائة بعير وضمروا الخيل فلما فرغوا قادوا الخيل الى الغاية وحشدوا ولبسوا السلاح وتركوا السبق على يد غلاب بن مروان بن الحكم القيسي وأعدوا الامناء على ارسال الخيل وأقام حذيفة رجلا من بني أسد في الطريق وأمره أن يلقي داحسا في وادي ذات الاصاد ان مر به سابقا فرمى به الى أسفل الوادي فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقا بينا والناس ينظرون اليه وقيس وحذيفة على رأس الغاية في جميع قومهما فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدي فلطم وجهه فالقاه في الماء فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج الا وقد فاتته الخيل وأما راكب الغبراء فانه خالف طريق داحس لما رآه قد ابطأ وعاد الى الطريق واجتمع مع فرسي حذيفة ثم سقطت الحنفاء وبقي الغبراء والخطار فكانا اذا أحزنا سبق الخطار واذا أسهلا سبقت الغبراء فلما قربا من الناس وهما في وعث من الأرض تقدم الخطار فقال حذيفة سبقتك يا قيس فقال رويدك يعلون الجدد فذهبت مثلا فلما استوت بهما الأرض قال حذيفة خدع والله صاحبنا فقال قيس ترك الخداع من أجرى من مائة وعشرين فذهبت مثلا ثم ان الغبراء جاءت سابقة وتبعها الخطار فرس حذيفة ثم الحنفاء له أيضا ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله فأخبر الغلام قيسا بما صنع بفرسه فأنكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلما وقال جاء فرساي متتابعين ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا الى القوم الذين حبسوا داحسا واختلفوا وبلغ الربيع بن زياد خبرهم فسره ذلك وقال لأصحابه هلك والله قيس وكأني به ان لم يقتله حذيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار أما والله لئن فعل مالنا من ضمه من بد ثم ان الأسدي ندم على حبس داحس فجاء الى قيس واعترف بما صنع فسبه حذيفة ثم ان بني بدر قصروا بقيس واخوته وآذوهم بالكلام فعاتبهم قيس فلم يزدادوا الا بغيا عليه وبذاءة ثم ان قيسا وحذيفة تناكرا في السبق حتى هما بالمؤاخذة فمنعهما الناس وظهر لهم بغي حذيفة وظلمه ولج في طلب السبق فأرسل ابنه ندبة الى قيس يطالبه به فلما بلغه الرسالة طعنه فقتله وعادت فرسه الى أبيه ونادى قيس يا بني عبس الرحيل فرحلوا كلهم ولما أتت الفرس حذيفة علم أن ولده قتل فصاح في الناس وركب فيمن معه وأتى منازل بني عبس فرآها خالية ورأى ابنه قتيلا فنزل اليه وقبل بين عينيه ودفنوه وكان مالك بن زهير أخو قيس متزوجا في فزارة وهو نازل فيهم فأرسل اليه قيس اني قد قتلت ندبة بن حذيفة ورحلت فالحق بنا والا قتلت فقال انما ذنب قيس عليه ولم يرحل فأرسل قيس الى الربيع بن زياد يطلب منه العود اليه والمقام معه اذ هم عشيرة وأهل فلم يجبه ولم يمنعه وكان مفكرا في ذلك ثم ان بني بدر قتلوا مالك بن زهير أخا قيس وكان نازلا فيهم فبلغ مقتله بني عبس والربيع بن زياد فاشتد ذلك عليهم وأرسل الربيع الى قيس عينا يأتيه بخبره فسمعه يقول

يكون كلا على الحاج فقلت والله لامضين اليه ولأوبخنه فدنوت منه فقال يا شقيق اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ثم تركني وولى فقلت هذا عبد صالح كاشفني لألحقنه ليستغفر لي فاسرعت في أثره فغاب عني فلما نزلنا واقصة اذ هو قائم يصلي واعضاؤه ترتجف ودموعه تجري فقلت هذا صاحبي فلما فرغ قال لي يا شقيق اتل قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركني فقلت هذا من الأبدال كاشفني مرتين ثم رأيته على مورد وبيده ركوة فسقطت منه في البئر فرمق الى السماء بطرفه وقال أنت ربي اذا ظمئت الى الماء وقوتي اذا أردت طعاما ثم قال اللهم سيدي مالي سواك فلا تعدمنيها قال شقيق فوالله لقد رأيت الماء ارتفع حتى تناول الركوة فتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال الى كثيب رمل فجعل منه في الركوة وحركها وشرب فجئت وسلمت عليه وقلت أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك فقال يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك وناولني الركوة فشربت منها سويقا بسكر ما شربت ألذ ولا

أتينا الحرث الخير ابن كعب * بنجران وأى بلا بجار
فجاورنا الذين اذا أتاهم * غريب حل فى سعة القرار
فيأمن فيهم ويكون منهم * بمنزلة الشعار من الدثار
وان نفرد بحرب بنى ابينا * بلا جار فان الله جارى

ثم نزل ببنى بدر فنزل بحذيفة فاجاره هو وأخوه حمل بن بدر وأقام فيهم وكان معه افراس له ولاخوته لم يكن فى العرب مثلها وكان حذيفة يغدو ويروح الى قيس فينظر الى خيله فيحسده عليها ويكتم ذلك فى نفسه وأقام قيس فيهم زمانا يكرمونه واخوته فغضب الربيع ونقم ذلك عليهم وبعث اليهم بهذه الابيات

الا ابلغ بنى بدر رسولا * على ما كان من شنا ووتر
بانى لم أزل لكم صديقا * ادافع عن فزارة كل أمر
اسالم سلمكم وأرد عنكم * فوارس أهل نجران وحجر
وكان أبى ابن عمكم زياد * صفى أبيكم بدر بن عمرو
فالجاتم أخا الغدرات قيسا * فقد أفعمتم ايغار صدرى
فسبى من حذيفة ضم قيس * وكان البدء من حمل بن بدر
فاما ترجعوا أرجع اليكم * وان تأبوا فقد أوسعت عذرى

فلم يتغيروا عن جوار قيس فغضب الربيع وغضبت عبس لغضبه ثم ان حذيفة كره قيسا واراد اخراجه عنهم فلم يجد حجة وعزم قيس على العمرة فقال لاصحابه انى قد عزمت على العمرة فاياكم ان تلابسوا حذيفة بشئ واحتملوا كل ما يكون منه حتى ارجع فانى قد عرفت الشر فى وجهه وليس يقدر على حاجة منكم الا ان تراهنوه على الخيل وكان ذا رأى لا يخطئ فمر بيده وسار الى مكة ثم ان فتى من عبس يقال له ورد بن مالك أتى حذيفة فجلس اليه فقال له ورد لو اتخذت من خيل قيس فحلا يكون أصلا لخيلك فقال حذيفة خيلى خير من خيل قيس ولجا فى ذلك الى ان تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة والرهن عشرة اذواد وسار ورد فقدم على قيس بمكة فاعلمه الحال فقال له اراك قد أوقعتنى فى بنى بدر ووقعت معى وحذيفة ظلوم لا تطيب نفسه بحق ونحن لا نقره بضيم ورجع قيس من العمرة فجمع قومه وركب الى حذيفة وسأله ان يفسخ الرهن فلم يفعل فسأله جماعة فزارة وعبس فلم يجب الى ذلك وقال ان اقر قيس ان السبق لى والا فلا فقال أبو جعدة الفزارى

آل بدر دعوا الرهان فانا * قد مللنا اللجاج عند الرهان
ودعوا المرء فى فزارة جارا * ان ما غاب عنكم كالعيان
ليت شعرى عن هاشم وحصين * وابن عوف وحوث وسنان
حين يأتيهم بلاجك قيسا * وأى صاح أتيت أم نشوان

وسأل حذيفة اخوته وسادات أصحابه فى ترك الرهان ولج فيه وقال قيس علام تراهننى قال على فرسيك داحس والغبراء وفرسى الخطار والحنفاء وقيل كان الرهن على فرسى

انه مات مسموما فى زمن المنصور دفن بالبقيع فى القبر الذى دفن فيه أبوه وجده وعم جده فلله دره من قبر ما أكرمه واشرفه

(الفصل السادس فى ذكر المجتهد القائم المتصدق الصائم الامام موسى بن جعفر الكاظم رضى الله عنه)

هو الامام الكبير القدر الاوحد الحجة الساهر ليله قائما القاطع نهاره صائما المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظما وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج لانه ما خاب المتوسل به فى قضاء حاجة قط ولد بالابواء سنة ثمان وعشرين ومائة وامه حميدة البربرية وكنيته ابو الحسن وكان أسمر اللون ونقش خاتمه الملك لله وحده وكان له كرامات ظاهرة ومناقب باهرة انتزع قمة الشرف وعلاها وسما الى اوج المزايا فبلغ علاها فمن ذلك ما ذكره ابن الجوزى فى كتابه مثير الغرام الساكن الى أشرف الاماكن عن شقيق البلخى قال قصدت الحج فنزلت القادسية فانا انظر الى الناس وزينتهم اذ رأيت شابا حسن الوجه شديد السمرة نحيفا فى رجليه نعلان فجلس منفردا فقلت هذا من الصوفية يريد أن

الربيع من بني فزارة فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة اخيه بئس الرأى رأيت قتلت مالكا وخليت سبيل الربيع والله ليضرمنها عليك نارا فركبا في طلب الربيع ففاتهم فعلما انه قد اضمر الشر واتفق الربيع وقيس وجمع حذيفة قومه وتعاقدوا على عبس وجمع الربيع وقيس قومهما واستعدوا للحرب فاغارت فزارة على بني عبس فاصابوا نعما ورجالا فجمعت عبس واجتمعت للغارة فنذرت بهم فزارة فخرجوا اليهم فالتقوا على ماء يقال له العذق وهي أول وقعة كانت بينهم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل عوف بن يزيد قتله جندب بن خلف العبسي وانهزمت فزارة وقتلوا قتلا ذريعا واسر الربيع بن زياد حذيفة بن بدر وكان حرب بن الحرث العبسي قد نذر ان قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف وله سيف قاطع يسمى الاصرم فأراد ضربه بالسيف لما اسروفا بنذره فأرسل الربيع الى امرأته فغيبت سيفه ونهوه عن قتله وحذروه عاقبة ذلك فابى الا ضربه فوضعوا عليه الرجال فضربه فلم يصنع السيف شيأ وبقي حذيفة أسيرا فاجتمعت غطفان وسعوا في الصلح فاصطلحوا على ان يهدروا دم بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير ويعقلوا عوف بن بدر ويعطوا حذيفة عن ضربته التي ضربه حرب مائتين من الابل وان يجعلوها عشارا كلها وأربعة اعبد واهدر حذيفة دماء من قتل من فزارة في الوقعة وأطلق من الاسر فلما رجع الى قومه ندم على ذلك وساءت مقالته في بني عبس وركب قيس بن زهير وعمارة بن زياد فضيا الى حذيفة وتحدثا معه فأجابهما الى الاتفاق وان يرد عليهما الابل التي أخذهما وكانت قد ولدت عنده فبينماهم في ذلك اذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المري فقبح رأى حذيفة في الصلح وقال ان كنت لا بد فاعلا فاعطهم ابلا عجافا مكان ابلهم واحبس اولادها فوافق ذلك رأى حذيفة فابى قيس وعمارة ذلك وقيل ان الابل التي طلبوها منه هي ابل كان قد أخذها سبقا من قيس وقيل أيضا ان مالك بن زهير قتل بعد هذه الوقعة المذكورة قال حمل ابن بدر في ذلك

قتلنا بعوف مالكا وهو ثارنا * ومن يبتدع شيأ سوى الحق يظلم

وجعل سنان يحث حذيفة على الحرب فتيسروا لها ثم ان الانصار بلغهم ما عزموا عليه فاتفق جماعة من رؤسائهم وهم عمرو بن الاطنابة ومالك بن عجلان وأحيحة بن الجلاح وقيس بن الخطيم وغيرهم وساروا ليصلحوا بينهم فوصلوا اليهم وترددوا في الاتفاق فلم يجب حذيفة الى ذلك وظهر لهم بغيه فحذروه عاقبته وعادوا عنه واغار حذيفة على عبس وأغارت عبس على فزارة وتفاقم الشر وارسل حذيفة اخاه حملا فاغار واسر ريان بن الاسلع بن سفيان وشده وثاقا وحمله الى حذيفة فاطلقه ليرهنه ابنيه وجبيرا ابن اخيه عمرو بن الاسلع ففعل ريان ذلك ثم سار قيس الى فزارة ولقي منهم جماعة فيهم مالك بن بدر فقتله قيس وانهزم فزارة فاخذ حينئذ حذيفة ولدي ريان فقتلهما وهما يستغيثان يا أبتاه حتى ماتا واما ابن أخيه فمنعه اخواله ولما قتل مالك والغلامان اشتدت الحرب بين الفريقين وأكثرها في فزارة ومن معها ففي بعض الايام التقوا واقتتلوا قتالا شديدا دامت الحرب بينهم الى آخر النهار وابصر ريان ابن الاسلع زيد بن حذيفة فحمل عليه فقتله وانهزمت فزارة وذبيان وأدرك الحرث بن

اليه منكم ثم قال وهل كان يجوز له ان يدخل على حرمك وهن منكشفات فقال لا قال لكنه كان له ان يدخل على حرمي ويجوز له ذلك فلذلك نحن اقرب اليه منكم وقد أكثر الادباء في مدائحه فمن ذلك قول أبي الفتح

أنا للسيد الشريف غلام
حيثما كان فليبلغ سلامي
واذا كنت للشريف غلاما
فانا الحر والزمان غلامي

وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ثلاث وثمانين ومائة فلما توفي امر الرشيد بوضع نعشه على الجسر ببغداد وينادي عليه هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الشيعة انه لا يموت فانظروا اليه ميتا ثم دفن بمقابر قريش وله من العمر خمس وخمسون سنة وكان له سبعة وثلاثون ولدا ما بين ذكر وأنثى وكان المخصوص من بينهم بجلالة القدر صاحب هذا الفصل وهو علي ابن موسى الرضا رضي الله عنه

(الفصل السابع في ذكر مشبه شجاعة سيدة علي المرتضى الامام علي ابن موسى الرضا رضي الله عنه)

وكانت مناقبه علية وصفاته سنية ولد بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه أم ولد وكان شديد السمر نقش خاتمه لا حول ولا قوة الا بالله

أيحجو بنو بدر بمقتل مالك * ويخذلنا في النائبات ربيع
وكان زياد لا يتقى به * من الدهر ان يوم الم فظيع
فقل لربيع يحتذي فعل شيخه * وما الناس الا حافظ ومضيع
والا فما لي في البلاد اقامة * وأمر بني بدر على جميع

فرجع الرجل الى الربيع فاخبره فبكى الربيع على مالك وقال

منع الرقاد فما اغمض ساعة * جزعا من الخبر العظيم السارى
أفبعد مقتل مالك لمضيعة * يرجو النساء عواقب الاطهار
من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * ويقمن قبل تبلج الاسحار
يضربن حر وجوههن على فتى * ضخم الدسيعة غير ما خوار
قد كن يكنن الوجوه تسترا * فاليوم حين برزن للنظار

وهي طويلة فسمعها قيس فركب هو وأهله وقصدوا الربيع بن زياد وهو يصلح سلاحه فنزل اليه قيس وقام الربيع فاعتنقا وبكيا واظهرا الجزع لما اصاب مالك ولقي القوم بعضهم بعضا فنزلوا فقال قيس للربيع انه لم يهرب منك من لجأ اليك ولم يستغن عنك من استعان بك وقد كان لك شر يومي فليكن لي خير يوميك وانما انا بقومي وقومي بك وقد اصاب القوم مالكا ولست أهم بسوء لاني ان حاربت بني بدر نصرتهم بنو ذبيان وان حاربتني خذلني بنو عبس الا ان تجمعهم علي وأنا والقوم في الدماء سواء قتلت ابنهم وقتلوا أخي فان نصرتني طمعت فيهم وان خذلتني طمعوا في فقال الربيع يا قيس انه لا ينفعني ان أرى لك من الفضل ما لا أراه لي ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك وقد مال علي قتل مالك وأنت ظالم ومظلوم ظلموك في جوادك وظلمتهم في دمائهم وقتلوا أخاك بابنهم فان يبؤ الدم بالدم فعسى ان تلقح الحرب اقم معك وأحب الامرين الى مسالمتهم وسنخلو بحرب هوازن وبعث قيس الى اهله وأصحابه فجاؤا ونزلوا مع الربيع وأنشدهم عنترة بن شداد مرثيته في مالك

لله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يطعما الدهر بعدها * وليتهما لم يجمعا لرهان
وليتهما ماتا جميعا ببلدة * وأخطاهما قيس فلا يريان
لقد جلبا جلبا لمصرع مالك * وكان كريما ماجد الهيجان
وكان اذا ما كان يوم كريهة * فقد علموا أني وهو فتيان
وكالدي الهيجاء نحمي نساءنا * ونضرب عند الكرب كل بنان
فسوف ترى ان كنت بعدك باقيا * وامكنني دهري وطول زماني
فاقسم حقا لو بقيت لنظرة * لقرت بها العينان حين تراني

وبلغ حذيفة ان الربيع وقيسا اتفقا فشق ذلك عليه واستعد للبلاء وقيل ان بلاد عبس كانت قد اجدبت فانتجع أهلها بلاد فزارة وأخذ الربيع جوارا من حذيفة واقام عندهم فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة لي ذمتي ثلاثة أيام فقال حذيفة ذلك لك فانتقل

الربيع

أطيب منه وبقيت أياما لا أشتهي طعاما ولا شرابا ثم رأيته بمكة قد طاف وإذا الخدم وحشم وموالي يلقونه وطافوا به يمينا وشمالا وانكفأ الناس يقبلون أطرافه فتعجبت وقلت من هذا قالوا هذا موسى الكاظم فقلت لا يكون ما رأيت إلا مثل هذا وله مناقب جليلة فمن ذلك أن المهدي لما حبسه رأى في النوم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو يقول له يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم فأرسل الى الربيع ليلا فاحضره وعانقه واخبره بالواقعة وقال له يا موسى تعاهدني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي قال والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني قال صدقت أعطه يا ربيع ثلاثة آلاف دينار ورده الى المدينة مكرما وسأله الرشيد يوما فقال يا موسى لم قلتم انكم أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منا فقال يا أمير المؤمنين لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب اليك كريمتك هل كنت تجيبه فقال سبحان الله وكنت أفتخر بذلك على العرب والعجم فقال لكنه لا يخطب الي ولا أزوجه لانه والدنا لا والدكم فلذلك نحن اقرب

حصن بن حذيفة وغيرهم فهجم عليهم قيس والربيع ومن معهما وهم ينادون لبيكم
لبيكم يعني انهم يجيبون نداء الصبيان لما قتلوا ينادون يا ابتاه فقال لهم قيس يا بني بكر
كيف رأيتم عاقبة البغي فناشدوهم الله والرحم فلم يقبلوا منهم وادرك قرواش بن عمرو
حتى وقف خلف ظهر حذيفة فضربه فدق صلبه وكان قرواش قد رباه حذيفة حتى كبر
عنده في بيته وقتلوا حملا اخاه وقطعوا رأسيهما واستبقوا حصن بن حذيفة لصباه وكان
عدد من قتل في هذه الوقعة من فزارة واسد وغطفان ما يزيد على اربعمائة قتيل وقتل
من عبس ما يزيد على عشرين قتيلا وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار وقال
قيس بن زهير

اقام على الهباءة خير ميت * واكرمه حذيفة لا يريم
اقد فجعت به قيس جميعا * موالي القوم والقوم الصميم
وعم به لقتله بعيد * وخص به لقتله حميم *

وهي طويلة وقال ايضا

الم تر ان خير الناس أمسى * على جفر الهباءة لا يريم
فلولا ظلمه ما زلت ابكي * عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي مرتعه وخيم

واكثروا القول في يوم الهباءة ثم ان عبسا ندمت على ما فعلت يوم الهباءة ولام بعضهم بعضا فاجتمعت فزارة الى سنان بن ابي حارثة المري وشكوا اليه ما نزل بهم فاعظمه وذم عبسا وعزم على ان يجمع العرب ويأخذ بثار بني بدر وفزارة وبث رسله فاجتمع من العرب خلق كثير لا يحصون ونهى اصحابه عن التعرض الى الاموال والغنيمة وامرهم بالصبر وساروا الى بني عبس فلما بلغهم مسيرهم اليهم قال قيس الرأي انا لا نلقاهم فانا قد وترناهم فهم يطالبوننا بالذحول والطوائل وقد رأوا ما نالهم بالامس باشتغالهم بالنهب والمال فهم لا يتعرضون اليه الآن والذي ينبغي ان نفعله انا نرسل الظعائن والاموال الى بني عامر فان الدم لنا قبلهم فهم لا يتعرضون لكم ويبقى اولو القوة والجلد على ظهور الخيل ونماطلهم القتال فان ابوا الا القتال كنا قد احرزنا اهلينا واموالنا وقاتلناهم وصبرنا لهم فان ظفرنا فهو الذي تريدون وان كانت الاخرى كنا قد احترزنا ولحقنا باموالنا ومشينا على حامية ففعلوا ذلك وسارت ذبيان ومن معها فلحقوا بني عبس على ذات الجراجر فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك وافترقوا فلما كان الغد عادوا الى اللقاء فاقتتلوا اشد من اليوم الاول وظهرت في هذه الايام شجاعة عنترة بن شداد فلما رأى الناس شدة القتال وكثرة القتلى لاموا سنان بن أبي حارثة على منعه حذيفة عن الصلح وتطيروا منه واشاروا عليه بحقن الدماء ومراجعة السلم فلم يفعل واراد مراجعة الحرب في اليوم الثالث فلما رأى فتور اصحابه وركونهم الى السلم رحل عائدا فلما عاد عنهم رحل قيس وبنو عبس الى بني شيبان بن بكر وجاوروهم واقاموا معهم مدة فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرض لاخذ اموالهم فرحلوا عنهم فتبعهم جمع من شيبان فاتبعتهم بنو عبس واقتتلوا

وسلم في المنام في مسجد وبين يديه طبق فيه تمر صيحاني فوقفت بين يديه فقبض لي قبضة من التمر وناولنيها فعددتها فوجدتها ثماني عشرة تمرة فتأولت اني اعيش عددها ثم بعد ايام جاء علي الرضا من المدينة فمضيت اليه فاذا هو في الموضع الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فيه والطبق والتمر بين يديه فناولني قبضة عددتها كقبضة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت زدني فقال لو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لزدناك ونظر الى رجل فقال يا عبد الله أوص بما تريد واستعد لما لابد منه فمات بعد ثلاث ومر عليه جعفر بن عمر العلوي وهو رث الهيئة فضحك منه بعض من حضره فقال رضي الله عنه ستروته عن قريب بخدم وحشم فلم يمض شهر الا وقد ولي المدينة وحسنت حاله وفيه يقول ابو نواس

قيل لي انت احسن الناس شعرا
في فنون من المقال النبيه
لك من جوهر القريض بديع
يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى
والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا استطيع مدح امام
كان جبريل خادما لابيه

وكان رضي الله عنه اسود اللون لان امه كانت سوداء فدخل يوما حماما فبينا هو في مكان من الحمام اذ دخل عليه جندي فازاله عن موضعه وقال صب على رأسي يا اسود فصب على رأسه فدخل من عرفه فصاح يا جندي هلكت واهلكت أتستخدم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وامام الناس فانثنى الجندي يقبل رجليه ويقول هلا عصيتني اذ أمرتك

بدر فقتل ورجعت عبس سالمة لم يصب منها أحد فلما قتل زيد والحرث جمع حذيفة بجميع
بني ذبيان وبعث الى أشجع وأسد بن خزيمة فجمعهم فبلغ ذلك بني عبس فضموا اطرافهم
وأشار قيس بن زهير بالسبق الى ماء العقيقة ففعلوا ذلك وسار حذيفة في جموعه الى عبس
ومشى السفراء بينهم فحلف حذيفة انه لا يصطلح حتى يشرب من ماء العقيقة فأرسل اليه
قيس منه في سقاء وقال لا أترك حذيفة يخدعني واصطلحوا على ان تعطي بنو عبس حذيفة
ديات من قتل له ووضعوا الرهائن عنده الى ان يجمعوا الديات وهي عشر وكانت الرهائن
ابنا لقيس بن زهير وابنا للربيع بن زياد فوضعوا أحدهما عند قطبة بن سنان والآخر
عند رجل من بكر بن وائل اعمى فعير بعض الناس حذيفة بقبول الدية فحضرهو
وأخوه حمل عند قطبة بن سنان والبكري وقال ادفعا الينا الغلامين لنكسوهما
ونسرحهما الى أهلهما فاما قطبة فدفع اليهما الغلام الذي عنده وهو ابن قيس واما
البكري فامتنع من تسليم من عنده فلما اخذا ابن قيس عادا فلقيا في الطريق ابنا لعمارة
ابن زياد العبسي وابن عم له فأخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس فلما بلغ ذلك بني عبس
أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح ثم خرج قيس
في جماعة فلقوا ابنا لحذيفة ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم فجمع حذيفة وسار الى
عبس وهم على ماء يقال له عراعر فاقتتلوا فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمة وجد
حذيفة في الحرب وكرهها أخوه حمل وندم على ما كان وقال لاخيه في الصلح فلم يجب الى
ذلك وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بني عبس فاجتمعت
عبس وتشاوروا في أمرهم فقال لهم قيس بن زهير انه قد جاءكم ما لا قبل لكم به وليس ابنى
بدر الادماؤكم والزيادة عليكم واما من سواهم فلا يريدون غير الاموال والغنيمة والرأى
انا نترك الاموال بمكانها ونترك معها فارسين على داحس وعلى فرس آخر جواد
ونرحل نحن ونكون على مرحلة من المال فاذا جاء القوم الى الاموال سار الينا الفارسان
فاعلمانا وصولهم فان القوم يشتغلون بالنهب وحيازة الاموال وان نهاهم ذو الرأى عن
ذلك فان العامة تخالفهم وتنتقض تعبيتهم ويشتغل كل انسان بحفظ ما غنم ويعلقون
أسلحتهم على ظهور الابل ويأمنون فنعود نحن اليهم عند وصول الفارسين فندركهم وهم
على حال تفرق وتشتت فلا يكون لاحدهم همة الا نفسه ففعلوا ذلك وجاء حذيفة ومن
معه فاشتغلوا بالنهب فنهاهم حذيفة وغيره فلم يقبلوا منه وكانوا على الحال التي وصف قيس
وعادت بنو عبس وقد تفرقت اسد وغيرهم وبقي بنو فزارة في آخر الناس فحملوا عليهم من
جوانبهم فقتل مالك ابن سبيع الثعلبي سيد غطفان وانهزمت فزارة وحذيفة معهم وانفرد
في خمسة فوارس وجد في الهرب وبلغ خبره بني عبس فتبعه قيس بن زهير والربيع بن
زياد وقرواش بن عمرو بن الاسلع وريان بن الاسلع الذي قتل حذيفة ابنه وتبعوا أثرهم في
الليل وقال قيس كاني بالقوم وقد وردوا جفر الهباءة ونزلوا فيه فساروا اليهم كلها
حتى أدركوهم مع طلوع الشمس في جفر الهباءة في الماء وقد أرسلوا خيولهم فأخذوا
بجمعها فقال قيس وأصحابه بينهم وبينها وكان مع حذيفة في الجفر أخوه حمل بن بدر وابنه

وكنيته ابو الحسن ولقبه الرضا
والصابر والزكي وكراماته كثيرة
ومناقبه شهيرة فمن ذلك انه
كان عند المأمون بالمحل الاعلى
فكان اذا جاء اليه بادر الحجاب
والخدم بين يديه ورفعوا له الستر
فلما بلغهم ان المأمون يريد أن
يبايع له تواصوا على انه اذا جاء
لا يقومون له ولا يرفعون الستر
فلما جاء رضي الله عنه على عادته
ورأوه لم يملكوا أنفسهم أن فعلوا
معه فعلهم الاول ثم تلاوموا فيما
بينهم واقسموا اذا عاد ثانية أن
لا يرفعوا له الستر فلما عاد في اليوم
الثاني قاموا وسلموا عليه غير انهم
لم يرفعوا له الستر فجاءت ريح
شديدة فرفعته كعادته أو أكثر
فلما دخل سكنت فلما اراد الخروج
رفعته الريح أيضا ثم سكنت
فقال بعضهم لبعض ان لهذا
الرجل شأنا ولله به عناية ارجعوا
الى خدمتكم له فرجعوا وقال
له رجل امرأتي حامل ادع الله
ان يجعله ذكرا فقال هما اثنان
فقالت اسمي الواحد محمدا
والآخر عليا فدعاني فقال سم
واحدا عليا والآخر أم عمرو
فولدت لي غلاما وجارية فسميتهما
كما ذكر وقالت امي جدتك كانت
تسمى ام عمرو وروى الحاكم
باسناده عن ابي حبيب قال
رأيت النبي صلى الله عليه

بها زمانا فلقيه حوج بن مالك العبدي فعرفه فقتله وقال لا رحمك الله ان رحمتك وقيل ان قيسا تزوج في النمر بن قاسط لما عادت عبس الى ذبيان وولد له ولد اسمه فضالة فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له على من معه من قومه وكانوا تسعة وهو عاشرهم انقضى حرب داحس والغبراء والحمد لله

(يوم شعب جبلة)

كان لقيط بن زرارة قد عزم على غزو بني عامر بن صعصعة للاخذ بثار اخيه معبد بن زرارة وقد ذكرنا موته عندهم اسيرا فبينما هو يتجهز اتاه الخبر بحلف بني عبس وبني عامر فلم يطمع في القوم وأرسل الى كل من كان بينه وبين عبس ذحل يسأله الحلف والتظافر على غزو عبس وعامر فاجتمعت اليه اسد وغطفان وعمرو بن الجون ومعاوية بن الجون واستوثقوا واستكثروا وساروا فعقد معاوية بن الجون الالوية فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون وعقد لعمرو بن تميم مع حاجب بن زرارة وعقد للرباب مع حسان بن همام وعقد لجماعة من بطون تميم مع عمرو بن عدس وعقد لحنظلة باسرها مع لقيط بن زرارة وكان مع لقيط ابنته دختنوس وكان يغزو بها معه ويرجع الى رأيها وساروا في جمع عظيم لا يشكون في قتل عبس وعامر وادراك ثارهم فلقي لقيط في طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدي وكان شريفا فقال ما منعك ان تسير معنا في غزاتنا قال انا مشغول في طلب ابل لي قال لا بل تريد ان تنذر بنا القوم ولا اتركك حتى تحلف انك لا تخبرهم فحلف له ثم سار عنه وهو مغضب فلما دنا من عامر اخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة احجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فاخذها معاوية بن قشير فاتى بها الاحوص بن جعفر واخبره ان رجلا القاها وهم يسقون فقال الاحوص لقيس بن زهير العبسي ما ترى في هذا الامر قال هذا من صنع الله لنا هذا رجل قد اخذ عليه عهد على ان لا يكلمكم فاخبركم ان اعداءكم قد غزوكم عدد التراب وان شوكتهم شديدة واما الحنظلة فهي رؤساء القوم واما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم واما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة واما الاحجار فهي عشر ليال يأتيكم القوم اليها قد انذرتكم فكونوا أحرارا فاصبروا كما يصبر الاحرار الكرام قال الاحوص فانا فاعلون وآخذون برأيك فانه لم تنزل بك شدة الا رأيت المخرج منها قال فاذ قد رجعتم الى رأيي فادخلوا نعمكم شعب جبلة ثم اظمئوها هذه الايام ولا توردوها الماء فاذا جاء القوم أخرجوا عليهم الابل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم واخرجوا أنتم في آثارها واشفوا نفوسكم ففعلوا ما اشار به وعاد كرب بن صفوان فلقي لقيطا فقال له انذرت القوم فاعاد الحلف له انه لم يكلم احدا منهم فخلى عنه فقالت دختنوس ابنة لقيط لابيها ردني الى اهلي ولا تعرضني لعبس وعامر فقد انذرهم لا محالة فاستحمقها وساءه كلامها وردها وسار حتى نزل على فم الشعب بعسا كر جرارة كثيرة الصواهل وليس لهم هم الا الماء فقصدوه فقال لهم قيس أخرجوا عليهم الآن الابل ففعلوا فاذا خرجت الابل مذاعير عطاشا وهم

أمن من عذابي ثم ارخى الستر على القبة وسار قال فعدد اهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فانافوا على عشرين الفا قال القشيري اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض امراء السامانية فكتبه بالذهب واوصى ان يدفن معه في قبره فرؤي بعد موته فقيل ما فعل الله بك قال غفر لي بتلفظي بلا اله الا الله وتصديقي بان محمدا رسول الله وكانت وفاة علي بن موسى الرضا بطوس من خراسان في قرية يقال لها سناباد في آخر صفر سنة ثلاث ومائتين وله من العمر خمس وخمسون سنة رحمه الله

(الفصل الثامن في ذكر من ظهرت كراماته من ليلة الميلاد محمد بن علي الجواد الامام رضي الله عنه)

ولد بالمدينة تاسع رمضان سنة خمس وتسعين ومائة وامه ام ولد وكنيته ابو جعفر ولقبه الجواد وكان ابيض اللون معتدل القامة نقش خاتمه نعم القادر الله (واما مناقبه) فما اتسعت أوقاتها ولا تأخر ميقاتها بل قضت عليه الاقدار الالهية بقلة بقائه في الدنيا فقل مقامه وعاجل حمامه ولم تطل ايامه غير أن الله عز وجل خصه بمنقبة شريفة وآية منيفة وهي ان المأمون لما قدم بغداد خرج يوما في موكبه متصيدا فمر بصبيان يلعبون وفيهم الجواد رضي الله عنه ففر الصبيان هيبة للمأمون الا الجواد رضي الله عنه وعمره اذ ذاك تسع سنين فلما رآه المأمون قال له الا فررت مع الصبيان فقال يا أمير المؤمنين لم يكن

فقال انما التوبة وما اردت أن اعصيك ٢٤٣ فيما أثاب عليه ثم انشأ يقول ليس لي ذنب ولا ذنب لمن * قال لي يا عبد أو يا اسود
انما الذنب لمن اسمى
ظلمة وهو الذي لا يعتمد

وكان رضي الله عنه قليل النوم كثير الصوم وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على جلد شاة وفي تاريخ نيسابور أن علي بن موسى الرضا لما دخل نيسابور في السفرة التي خص فيها بفضيلة الشهادة كان راكبا على بغلة شهباء وعليه قبة مستورة فشق سوق نيسابور فعرض له الامامان الحافظان ابو زرعة الرازي ومحمد بن اسلم الطوسي ومعهما خلائق لا يحصون من طلبة العلم والحديث ورواته فقالا ايها السيد ابن السادة الكرام بحق آبائك الاطهرين واسلافك الاكرمين الا أريتنا وجهك المبارك الميمون ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك فاستوقف البغلة وكشف المظلة وأقر العيون بطلعته المباركة فكانت له ذؤابتان مدلاتان على عاتقه والناس ما بين صارخ وباك ومقبل لحافر بغلته وعلا الضجيج فصاحت الائمة والعلماء معاشر الناس انصتوا وكان المستملي ابو زرعة ومحمد بن اسلم فقال علي الرضا حدثني ابي موسى الكاظم عن ابيه جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه علي زين العابدين عن ابيه الحسين شهيد كربلاء عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال حدثني اخي وحبيبي وقرة عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثني جبريل عليه السلام قال سمعت رب العزة

فانهزمت شيبان وسارت عبس الى هجر ليحالفوا ملكهم وهو معاوية بن الحرث الكندي فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلا فبلغهم الخبر فساروا عنه مجدين وسار معاوية مجدا في اثرهم فتاه بهم الدليل على عمد لئلا يدركوا عبسا الا وهم قد سلمت وذوابهم النصب فادركوهم بالفروق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم معاوية واهل هجر وتبعتهم عبس فاخذت من اموالهم وقتلوا منهم ما ارادوا ورجعوا سائرين فنزلوا بماء يقال له عرعر عليه حي من كلب فركبوا ليقاتلوا بني عبس فبرز الربيع وطلب رئيسهم فبرز اليه واسمه مسعود بن مصاد فاقتتلا حتى سقطا الى الارض واراد مسعود قتل الربيع فانكسرت البيضة عن رقبته فرماه رجل من بني عبس بسهم فقتله فثار به الربيع فقطع رأسه وحملت عبس على كلب والرأس على رمح فانهزمت كلب وغنمت عبس اموالهم وذراريهم فساروا الى اليمامة فحالفوا اهلها من بني حنيفة واقاموا ثلاث سنين فلم يحسنوا جوارهم وضيقوا عليهم فساروا عنهم وقد تفرق كثير منهم وقتل منهم وهلكت دوابهم ووترهم العرب فراسلتهم بنو ضبة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب تيم ففعلوا وجاوروهم فلما انقضى الامر بين ضبة وتيم تغيرت ضبة لعبس وارادوا اقتطاعهم فثار بهم عبس فظفرت وغنمت من اموال ضبة وسارت الى بني عامر وحالفوا الاحوص بن جعفر بن كلاب فسر بهم ليقوى بهم على حرب بني تميم لانه كان بلغه ان لقيط بن زرارة يريد غزو بني عامر والاخذ بثار اخيه معبد فاقامت عبس عند بني عامر فقصدتهم تميم وكانت وقعة شعب جبلة وسنذكره ان شاء الله ثم ان ذبيان غزوا بني عامر ابن صعصعة وفيهم بنو عبس فاقتتلوا فهزمت عامر واسر قرواش بن هني العبسي ولم يعرف فلما قدموا به الحي عرفته امرأة منهم فلما عرفوه سلموه الى حصن بن حذيفة فقتله ثم رحلت عبس عن عامر ونزلت بتيم الرباب فبغت تيم عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وتكاثرت عليهم تيم فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة ورحلت عبس وقد ملوا الحرب وقلت الرجال والاموال وهلكت المواشي فقال لهم قيس ماترون قالوا نرجع الى اخوتنا من ذبيان فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم فساروا حتى قدموا على الحرث بن عوف بن ابي حارثة المري وقيل على هرم بن سنان بن ابي حارثة ليلا وكان عند حصن بن حذيفة بن بدر فلما عاد ورآهم رحب بهم وقال من القوم قالوا اخوانك بنو عبس وذكروا حاجتهم فقال نعم وكرامة أعلم حصن بن حذيفة فعاد اليه وقال طرقت في حاجة قال اعطيتها قال بنو عبس وجدت وفودهم في منزلي قال حصن صالحوا قومكم اما انا فلا ادي ولا اتدي قد قتل آبائي وعمومتي عشرين من عبس فعاد الى عبس واخبرهم بقول حصن واخذهم اليه فلما رآهم قال قيس والربيع بن زياد نحن ركبان الموت قال بل ركبان السلم ان تكونوا احتللتم الى قومكم فقد احتل قومكم اليكم ثم خرج معهم حتى اتوا حصنا فقال له قم بامر عشيرتك واصلح بينهم فاني ساعينك ففعل ذلك وتم الصلح بينهم وعادت عبس وقيل ان قيس بن زهير لم يسر مع عبس الى ذبيان وقال لا تراني غطفانية ابدا وقد قتلت اخاها او زوجها او ولدها او ابن عمها ولكني سأتوب الى ربي فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهب

يا ليت شعري عنك دختنوس الابيات

والاول اصح والله اعلم

(يوم ذات نكيف)

كان بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة مبغضين لقريش مضطغنين عليهم ما كان من قصي حين اخرجهم من مكة مع من اخرج من خزاعة حين قسمها رباعا وخططا بين قريش فلما كانوا على عهد عبد المطلب هموا باخراج قريش من الحرم وان يقاتلوهم حتى يغلبوهم عليه وعدت بنو بكر على نعم لبني الهون بن خزيمة فاطردوها ثم جمعوا جموعهم وجمعت قريش جموعهم واستعدت وعقد عبد المطلب الحلف بين قريش والاحابيش وهم بنو الحرث بن عبد مناة وبنو الهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة فلقوا بني بكر ومن انضم اليهم وعلى الناس عبد المطلب فاقتتلوا بذات نكيف فانهزم بنو بكر وقتلوا قتلا ذريعا فلم يعودوا لحرب قريش قال ابن شعلة الفهري

فلله عينا من رأى من عصابة * غوت غيّ بكر يوم ذات نكيف

اناخوا الى ابنائنا ونسائنا * فكانوا لنا ضيفا باشرّ مضيف

فقتل يومئذ عبد بن السفاح القاري من القارة قتادة بن قيس اخا بلعاء بن قيس واسم بلعاء مساحق ويومئذ قيل قد أنصف القارة من راماها والقارة من ولد الهون بن خزيمة وهو من ولد عضل بن الديش قال رجل منهم

دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

وقيل بهذا البيت سموا قارة وكان يقال للقارة رماة الحدق

(ذكر الفجار الاول والثاني)

اما الفجار الاول فلم يكن فيه كثير أمر ليذكر وانما ذكرناه لئلا يرى ذكر الفجار الثاني وما كان فيه من الامور العظيمة فيظن ان الاول مثله وقد اهملناه فلهذا ذكرناه قال ابن اسحق كان الفجار الاول بين قريش ومن معها من كنانة كلها وبين قيس عيلان وسببه ان رجلا من كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فاعدم الكناني فوافى النصري سوق عكاظ بقرد وقال من يبيعني مثل هذا بمالي على فلان الكناني فعل ذلك تعييرا للكناني وقومه فمر به رجل من كنانة فضرب القرد بالسيف فقتله انفة مما قال النصري فصرخ النصري في قيس وصرخ الكناني في كنانة فاجتمع الناس وتحاوروا حتى كاد يكون بينهم القتال ثم اصطلحوا وقيل كان سببه ان فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر وهي وضيئة عليها برقع فقالوا لها اسفري لننظر الى وجهك فلم تفعل فقام غلام منهم فشق ذيل درعها الى ظهرها ولم تشعر فلما قامت انكشفت دبرها فضحكوا وقالوا منعتينا النظر الى وجهك فقد نظرنا الى دبرك فصاحت المرأة يا بني عامر فضحت فاتاها الناس واشتجروا حتى كاد يكون قتال ثم رأوا ان الامر يسير فاصطلحوا وقيل بل قعد رجل من بني غفار يقال له ابو معشر بن مكرز وكان عازيا منيعا في نفسه وكان بسوق عكاظ فمد رجله ثم قال

من الناس نظر اليها اجنبي في أول النهار بشهوة وذلك حرام عليه فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له فلما كان الظهر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء كفر عن الظهار فحلت له فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه فلما كان الفجر راجعها فحلت له فاقبل المأمون عليهم وقال أعندكم فيه قالوا نعم فالتفت الى الجواد وزوجه ابنته وفرق المأمون فيهم البدر والجوائز على قدر طبقاتهم ولم يزل الجواد عنده مكرما الى ان توجه بزوجته ام الفضل الى المدينة الشريفة (حكي) انه لما أراد التوجه الى المدينة المنورة صلى في مسجد عند باب الكوفة وفي صحن المسجد شجرة نبق وكان يتوضأ في اصلها فحملت النبقة صبيحة اليوم كرامة له قبض رضي الله عنه ببغداد لان المعتصم استقدمه مع زوجته ام الفضل بنت المأمون ودفن في مقابر قريش في ظهر جده موسى الكاظم رضي الله عنهما

(الفصل التاسع في ذكر بيت الحلم والعلم والايادي الامام علي بن محمد الهادي رضي الله عنه)

ولد بالمدينة وامه ام ولد وكنيته ابو الحسن ولقبه الهادي والمتوكل وكان اسمر نقش خاتمه الله ربي هو عصمتي من خلقه وأما مناقبه انفيسة واوصافه شريفة (حكي) انه قصده اعرابي فقال انا من اعراب الكوفة المتمسكين بولاء جدك علي بن أبي طالب وقد

فى اعراضها وادبارها فخبطت تميما ومن معها وقطعتهم وكانوا فى الشعب وابرزتهم الى الصحراء على غير تعبية وشغلوا عن الاجتماع الى ألويتهم وحملت عليهم عبس وعامر فاقتتلوا قتالا شديدا وكثرت القتلى فى تميم وكان اول من قتل من رؤسائهم عمرو بن الجون واسر معاوية بن الجون وعمرو بن عمرو بن عدس زوج دختنوس بنت لقيط وأسر حاجب بن زرارة وانحاز لقيط بن زرارة فدعا قومه وقد تفرقوا عنه فاجتمع اليه نفر يسير فغرز رايته فوق جرف ثم حمل فقتل فيهم وجرح وصاح انا لقيط وحمل ثانية فقتل وجرح وعاد فكثر جمعه فانحط الجرف بفرسه وحمل عليه عنترة فطعنه طعنة قصم بها صلبه وضربه قيس بالسيف فالقاه متشحطا فى دمه فذكر ابنته دختنوس فقال

يا ليت شعرى عنك دختنوس * اذا اتاها الخبر المرموس
أتحلق القرون ام تميس * لا بل تميس انها عروس

ثم مات وتمت الهزيمة على تميم وغطفان ثم فدوا حاجبا بخمسمائة من الابل وفدوا عمرو بن عمرو بمائتين من الابل وعاد من سلم الى اهله وقالت دختنوس ترثى اباها قصيدة منها

عثر الاغر بخير خندف كهلها وشبابها
وأضرها لعدوها * وافكها لرقابها
وقريعها ونجيبها * فى المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو * ك وزين يوم خطابها
واتمها نسبا اذا * رجعت الى أنسابها
فرعى عمودا للعشيرة رافعا انصابها
ويعولها ويحوطها * ويذب عن احسابها
ويطا مواطن للعد * و وكان لا يمشى بها
فعل المدل من الاسو * د لحينها وتبابها
كالكوكب الدرى فى * سماء لا يخفى بها
عبث الاغر به وكل * منية اسبابها
فرت بنو أسد فرا * ر الطير عن اربابها
وهوازن اصحابهم * كالفأر فى اذنابها

وذكر محمد بن اسحق فى يوم جبلة غير ما ذكرنا قال كان سببه ان بنى خندف كان لهم على قيس أكل تأكله القعدد من خندف فكان ينتقل فيهم حتى انتهى الى تميم ثم من تميم الى بنى عمرو بن تميم وهم اقل بطن منهم واذله فابت قيس ان تعطى الاكل وامتنعت منه فجمعت تميم وحالفت غيرها من العرب وساروا الى قيس فذكر القصة نحو ما تقدم ويخالف فى البعض فلا حاجة الى ذكره وفى هذا اليوم ولد عامر بن الطفيل العامرى وقد قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين وكان زرارة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن حابس وغيرهم مجوسا وان لقيطا تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسى وانه قتل وهى تحته فقال فى ذلك

ياليت

بالطريق ضيق فاوسعه لك واين لى بوم فاشتاله والظن بك حسن انك لا تضيق من لا ذنب له فاعجبه كلامه وتزمم على ابيه وعن وخلاه فلما بعد عن العمارة ارسل بازا على دراجة فغاب البازساعة فى الجو وعاد وفى منقاره سمكة صغيرة وفيها بقية روح فعجب من ذلك ورجع من الصيد فمر بالصبيان الذين فيهم الجواد فلما دنا من الجواد قال يا محمد ما فى يدى قال رحمه الله تعالى أن قال ان الله تعالى خلق فى بحر قدرته سمكا صغارا يصيدها بزاة الملوك والخلفاء تختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى فعجب المأمون منه واطال النظر اليه وعزم أن يزوجه ابنته ام الفضل فعارضه العباسيون خوفا ان يؤول الامر اليه فقال المأمون ان شككتم فى فضله فجربوه وناظروه فاجمعوا ان يكون المناظر له والسائل يحيى بن اكثم فسأله مسائل اعدها له فاجاب احسن جواب وابان عن علم كثير وفضل غزير فقال له المأمون احب ان تسأله كما سألك ولو مسئلة واحدة فقال يحيى يسأل فان حضرنى الجواب والا استفدت منه الصواب فقال له ما تقول فى رجل نظر الى امرأة فى أول النهار بشهوة فكان نظره اليها حراما عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل العشاء حلت له فلما انتصف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له فبما ذا حلت له وبماذا حرمت عليه فقال يحيى لا أدرى فقال ابو جعفر هذه امة لرجل

البراض ثم خرج فقال هو فيها وهو نائم فأرني سيفك حتى انظر اليه أضارب هو أم لا فأعطاه سيفه فضربه به حتى قتله ثم اخفى السيف وعاد الى الغنوي فقال له لم أر رجلا اجبن من صاحبك تركته في البيت الذي فيه البراض وهو نائم فلم يقدم عليه فقال انظر لي من يحفظ الراحلتين حتى أمضي اليه فاقتله فقال دعهما وهما علي ثم انطلقا الى الخدر فقتله وسار بالعير الى مكة فلقي رجلا من بني اسد بن خزيمة فقال له البراض هل لك الى ان اجعل لك جعلا على ان تنطلق الى حرب بن امية وقومي فانهم قومي وقومك لان اسد بن خزيمة من خندف ايضا فتخبرهم ان البراض بن قيس قتل عروة الرحال فليحذروا قيسا وجعل له عشرا من الابل فخرج الاسدي حتى اتى عكاظ وبها جماعة الناس فاتى حرب بن أمية فاخبره الخبر فبعث الى عبد الله بن جدعان التيمي والى هشام بن المغيرة المخزومي وهو والد أبي جهل وهما من أشراف قريش وذوي السن منهم والى كل قبيلة من قريش احضر منها رجلا والى الحليس بن يزيد الحارثي وهو سيد الاحابيش فاخبرهم ايضا فتشاوروا وقالوا نخشى من قيس ان يطلبوا ثار صاحبهم منا فانهم لا يرضون ان يقتلوا به خليعا من بني ضمرة فاتفق رأيهم على ان يأتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الاسنة وهو يومئذ سيد قيس وشريفها فيقولوا له انه قد كان حدث بين نجد وتهامة وانه لم يأتنا علمه فاحجز بين الناس حتى نعلم ونعلم فاتوه وقالوا له ذلك فاحجز بين الناس واعلم قومه ما قيل له ثم قام نفر من قريش فقالوا يا اهل عكاظ انه قد حدث في قومنا بمكة حدث اتانا خبره ونخشى ان تخلفنا عنهم تفاقم الشر فلا يروعنكم تحملنا ثم ركبوا على الصعب والذلول الى مكة فلما كان آخر اليوم أتى عامر بن مالك ملاعب الاسنة الخبر فقال غدرت قريش وخدعني حرب بن امية والله لا تنزل كنانة عكاظ ابدا ثم ركبوا في طلبهم حتى ادركوهم بنخلة فاقتتل القوم فاشتعلت قيس فكادت قريش تنهزم الا انها على حاميتها تبادر دخول الحرم ليأمنوا به فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا الحرم مع الليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم وعمره عشرون سنة وقال الزهري لم يكن معهم ولو كان معهم لم ينهزموا وهذه العلة ليست بشيء لانه قد كان بعد الوحي والرسالة ينهزم اصحابه ويقتلون واذا كان في جمع قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد ولما دخلت قريش الحرم عادت عنهم قيس وقالوا لهم يا معشر قريش انا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ في العام المقبل وانصرفت الى بلادها يحرض بعضها بعضا ويبكون عروة الرحال ثم ان قيسا جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها منهم كنانة جميعها والاحابيش واسد بن خزيمة وفرقت قريش السلاح في الناس فاعطى عبد الله بن جدعان مائة رجل سلاحا تاما وفعل الباقون مثله وخرجت قريش للموعد على كل بطن منها رئيس فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوته ابو طالب وحمزة والعباس بنو عبد المطلب وعلى بني امية واحلافها حرب بن امية وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وعلى بني اسد بن عبد العزى خويلد بن اسد وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة ابو ابي جهل وعلى بني تيم عبد الله بن جدعان وعلى بني جمح معمر بن حبيب بن وهب وعلى بني سهم

عن الهيثم بن عدي قال لما أمر المعتز بحمل ابي محمد الحسن الى الكوفة كتب اليه ماهذا الخبر الذي بلغنا فقلقنا فكتب بعد ثلاث يأتيكم الفرج ان شاء الله تعالى فقتل المعتز في اليوم الثالث وسأله رجل ان يدعو له بالغنى لفقر مسه فقال ابشر مات ابن عمك وخلف مائة ألف درهم وعن قريب يأتيك فورد الخبر عن قريب والمال معه كما ذكر قال أبو هاشم قحط الناس فامر المعتمد بالاستسقاء فما ازدادت السماء الا صحوا فخرج بعدهم النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلما مد يده الى السماء هطلت السماء ففتن به الناس فارسل المعتمد الى ابي الحسن ان ادرك امة جدك محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يرتدوا وأطلقه من الحبس وهو معه فلما رفع الراهب يده أمطرت السماء وكان في ذلك المشهد الخليفة فمن دونه فلما رفع الراهب يده كما ذكرنا امر ابو الحسن بالقبض على يد الراهب فاذا بين اصابعه عظم آدمي فاخذه ابو الحسن ولفه ودفنه وقال للراهب استسق فانكشفت السماء فتعجب الناس وقال الخليفة ماهذا يا أبا محمد فقال هذا عظم نبي من انبياء الله تعالى ظفر به هذا الراهب وما كشف عن عظم نبي تحت السماء الا هطلت بالمطر فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال توفي رضي الله عنه سنة اثنتين ومائتين بسر من رأى وله من العمر ثمان وعشرون سنة

*(الفصل الحادي عشر في ذكر الخلف الصالح الامام ابي القاسم محمد بن حسن العسكري رضي الله عنه) وكان عمره عند وفاة ابيه خمس

نحن بنو مدركة بن خندف * من يطعنوا في عينه لا يطرف

ومن يكونوا قومه يغطرف * كأنه لجة بحر مسرف

أنا والله اعز العرب فمن زعم انه اعز مني فليضربها بالسيف فقام رجل من قيس يقال له احمر بن مازن فضربها بالسيف فخدشها خدشا غير كثير فاختصم الناس ثم اصطلحوا (بنو نصر بالنون) * واما الفجار الثاني وكان بعد الفيل بعشرين سنة وبعد موت عبد المطلب باثنتي عشرة سنة ولم يكن في ايام العرب اشهر منه ولا اعظم وانما سمي الفجار لما استحل الحيان كنانة وقيس فيه من المحارم وكان قبله يوم جبلة وهو مذكور من ايام العرب والفجار اعظم منه وكان سببه ان البراض بن قيس بن رافع الكناني ثم الضمري وكان رجلا فاتكا خليعا قد خلعه قومه لكثرة شره وكان يضرب المثل بفتكه فيقال أفتك من البراض قال بعضهم

والفتى من تعرفته الليالي * فهو فيها كالحية النضناض

كل يوم له بصرف الليالي * فتكة مثل فتكة البراض

خرج حتى قدم على النعمان بن المنذر وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة للتجارة الى عكاظ تباع له هناك وكان عكاظ وذو المجاز ومجنة اسواقا تجتمع بها العرب كل عام اذا حضر الموسم فيؤمن بعضهم بعضا حتى تنقضي أيامها وكانت مجنة بالظهران وكانت عكاظ بين نخلة والطائف وكان ذو المجاز بالجانب الايسر اذا وقفت على الموقف فقال النعمان وعنده البراض وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب المعروف بالرحال وانما قيل له ذلك لكثرة رحلته الى الملوك من يجيز لي لطيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البراض أبيت اللعن انا اجيزها على كنانة فقال النعمان انما اريد من يجيزها على كنانة وقيس فقال عروة اكلب خليع يجيزها لك ابيت اللعن أنا أجيزها على اهل الشيح والقيصوم من اهل تهامة واهل نجد فقال البراض وغضب وعلى كنانة تجيزها يا عروة قال عروة وعلى الناس كلهم فدفع النعمان اللطيمة الى عروة الرحال وامره بالمسير بها وخرج البراض يتبع اثره وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه حتى اذا كان عروة بين ظهري قومه بواد يقال له تيمن بنواحي فدك ادركه البراض بن قيس فاخرج قداحه يستقسم بها في قتل عروة فمر به عروة فقال ما تصنع يا براض فقال استقسم في قتلك ايؤذن لي ام لا فقال عروة استك اضيق من ذلك فوثب اليه البراض بالسيف فقتله فلما رآه الذين يقومون على العير والاجمال قتيلا انهزموا فاستاق البراض العير وسار على وجهه الى خيبر وتبعه رجلان من قيس ليأخذاه احدهما غنوي والآخر غطفاني اسم الغنوي اسد بن جوين واسم الغطفاني مساور بن مالك فلقيهما البراض بخيبر اول الناس فقال لهما من الرجلان قالا من قيس قدمنا لنقتل البراض فانزلهما وعقل راحلتيهما ثم قال ايكما أجرأ عليه وأجود سيفا قال الغطفاني أنا فاخذه ومشى معه ليدله بزعمه على البراض فقال للغنوي احفظ راحلتيكما ففعل وانطلق البراض بالغطفاني حتى اخرجه الى خربة في جانب خيبر خارجا من البيوت فقال للغطفاني هو في هذه الخربة اليها يأوي فامهلني حتى انظر أهو فيها فوقف ودخل

ركبني دين فادح اثقلني حمله ولم يكن لوفائه سواك قال كم هو قال نحو عشرة آلاف درهم قال افعل ثم ازله عنده فلما أصبح قال له يا أخا العرب اريد منك خصلة فلا تعصني فيها فقال نعم فاخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها دينا عليه للاعرابي قدر المبلغ المذكور وقال له خذها فاذا رأيتني في المجلس العام فتقاضاني اياها بالعنف والغلظة فلما اخذ مجلسه اقبل الاعرابي وتقاضاه فاعترف وطلب منه المهلة فاغلظ عليه الاعرابي ثم صبره الحاضرون فنقل المجلس للمتوكل فامر له بثلاثين الف درهم في الحال وجاء الاعرابي فقال له خذ هذا المال كله فاقض منه دينك واستعن بالباقي فاخذه وانصرف وقيل للمتوكل ان في بيته مالا وسلاحا فامر المتوكل سعيدا الحاجب ان يهجم عليه ليلا ويأتيه به على الهيئة التي يجده عليها فوجده قائما يصلي على حصير وعليه جبة من صوف ولم ير مالا ولا سلاحا وقبض يوم الاثنين سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن في داره بسر من رأى وله من العمر أربعون سنة

(الفصل العاشر في ذكر بحر الاصل الزكي والمكاشف بالامر الخفي الامام الحسن بن علي العسكري رضي الله عنه)

ولد بالمدينة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة وامه ام ولد وكنيته ابو محمد ولقبه الخالص وكان بين السمرة والبياض ونقش خاتمه سبحان من له مقاليد السموات والارض (واما مناقبه) رضي الله عنه فلم تطل ايامه في الدنيا ليظهر للناس ما ثره ومزاياه

قتلوا فرسانهم ورؤساءهم فأقبل معهم بغنائمه ومن كان معه فلما أتى بني حنظلة خبر مسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو يا بني مالك انه لا طاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد فانتقلوا من مكانكم وكانوا في أعالي الوادي مما يلي مجيء القوم وكانت بنو يربوع بأسفله فتحولت بنو مالك حتى نزلت خلف بني يربوع وصارت بنو يربوع تلي الملك فلما رأوا ما صنع بنو مالك استعدوا وتقدموا الى طريق الملك فلما كان وجه الصبح وصل ابن كبشة فيمن معه وقد استعد القوم فاقتتلوا فلما رآهم بنو مالك وصبرهم في القتال ساروا اليهم وشهدوا معهم القتال فاقتتلوا مليا فضرب حشيش بن نمران الرياحي ابن كبشة الملك على رأسه فصرعه فمات وقتل عبيدة بن مالك بن جعفر وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قرزل وقتل عمرو بن الاحوص بن جعفر وكان رئيس عامر وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة قال جرير في الاسلام يذكر اليوم بذي نجب

بذي نجب ذدنا وواكل مالك * أخا لم يكن عند الطعان بواكل

وكان يوم ذي نجب بعد يوم جبلة بسنة وبقي الاحوص بعد ابنه عمرو يسيرا وهلك أسفا عليه

(يوم نعف قشاوة)

وهو يوم لشيبان على تميم قال أبو عبيدة أغار بسطام بن قيس على بني يربوع من تميم وهم بنعف قشاوة فأتاهم ضحى وهو يوم ريح ومطر ووافق النعم حين سرح فأخذه كله ثم كر راجعا وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه وفيهم عمارة بن عتيبة بن الحرث بن شهاب فكر عليه بسطام فقتله ولحقهم مالك بن حطان اليربوعي فقتلوه أتاهم أيضا بجير بن أبي مليل فقتله بسطام وقتلوا من يربوع جمعا وأسروا آخرين منهم مليل بن أبي مليل وساروا وعادوا غانمين فقال بعض الاسرى لبسطام أيسرك ان أبا مليل مكاني قال نعم قال فان دللتك عليه اتطلقني الآن قال نعم قال فان ابنه بجيرا كان أحب خلق الله اليه وستجده الآن مكبا عليه يقبله فخذه أسيرا فعاد بسطام فرآه كما قال فأخذه أسيرا وأطلق اليربوعي فقال له أبو مليل قتلت بجيرا وأسرتني وابني مليلا والله لا أطعم الطعام أبدا وأنا موثق فخشي بسطام أن يموت فأطلقه بغير فداء على أن يفادي مليلا وعلى أن لا يتبعه بدم ابنه بجير ولا يبغيه غائلة ولا يدل له على عورة ولا يغير عليه ولا على قومه أبدا وعاهده على ذلك فأطلقه وجز ناصيته فرجع الى قومه وأراد الغدر ببسطام والفتك به فارسل بعض بني يربوع الى بسطام يخبره فحذره وقال متمم بن نويرة

ابلغ شهاب بني بكر وسيدها * عني بذلك أبا الصهباء بسطاما
أروى الاسنة من قومي فانهلها * فاصبحوا في بقيع الارض نواما
لا يطلبون اذاهب النيام ولا * في هرقد يتلون الدهر احلاما
أشجى تميم بن مر لا مكايدة * حتى استعادوا له اسرى وأنعاما
هلا أسيرا فدتك النفس تطعمه * مما أراد وقدما كنت مطعاما

وهي أبيات عدة

يبايعونه فيملأ الله تعالى به الارض عدلا كما ملئت جورا وظلما ثم يسير من مكة حتى يأتي الكوفة فينزل على نجفها ثم يفرق الجنود منها الى جميع الامصار وعن عبد الكريم الخثعمي قال قلت لابي عبد الله كم يملك القائم قال سبع سنين تطول له الايام والليالي حتى تكون السنة من سنيه بمقدار عشر سنين فيكون مدة ملكه سبعين سنة من سنيكم

(الباب الرابع فيما ورد في فضائل قريش وما للصحابة في العقبى من أرغد عيش رضي الله عنهم وما ورد من الاخبار في فضل المهاجرين والانصار رضي الله عنهم)

ذكر أبو المعالي في عيون الاخبار بسند متصل الى الزبير رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الله قريشا بخصال (منها) انهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده الا قرشي (ومنها) انه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون (ومنها) انه نزل فيهم سورة لايلاف قريش (ومنها) ان فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل أمرني أن آتي مشارق الارض ومغاربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها فآتيه بخير أهل الدنيا فأتيتها فوجدت خير أهل الدنيا العرب ثم أمرني أن آتيه بخير العرب فوجدت خير العرب مضر ثم أمرني أن آتيه بخير مضر فوجدت خيرها قريشا ثم أمرني

العاص بن وائل وعلى بنى عدى زيد بن عمرو بن نفيل والسعيد بن زيد وعلى بنى عامر بن لؤى عمرو بن عبد شمس والسهيل بن عمرو وعلى بنى فهر عبد الله بن الجراح والدابى عبيدة وعلى الاحابيش الحليس بن يزيد وسفيان بن عويف هما قائداهم والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة وعضل والقارة والديش من بنى الهون بن خزيمة والمصطلق ابن خزاعة سموا بذلك لحلفهم بنى الحرث والحبيش الجمع وعلى بنى بكر بلعاء بن قيس وعلى بنى فراس بن غنم من كنانة عمير بن قيس جذل الطعان وعلى بنى اسد بن خزيمة بشر بن ابى حازم وكان على جماعة الناس حرب بن أمية لمكانه من عبد مناف سنا ومنزلة وكانت قيس قد تقدمت الى عكاظ قبل قريش فعلى بنى عامر ملاعب الاسنة ابو براء وعلى بنى نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع بن معاوية وعلى بنى جشم الصمة والد دريد وعلى غطفان عوف ابن ابى حارثة المرى وعلى بنى سليم عباس بن زعل بن هنى بن أنس وعلى فهم وعدوان كدام ابن عمرو وسارت قريش حتى نزلت عكاظ وبها قيس وكان مع حرب بن امية اخوته سفيان وأبو سفيان والعاص وأبو العاص بنو أمية فعقل حرب نفسه وقيد سفيان وابو العاص نفسيهما وقالوا لن يبرح رجل منا من مكانه حتى نموت أو نظفر فيومئذ سموا العنابس والعنبس الاسد واقتتل الناس قتالا شديدا فكان الظفر اول النهار لقيس وانهزم كثير من بنى كنانة وقريش فانهزم بنو زهرة وبنو عدى وقتل معمر بن حبيب الجمحى وانهزمت طائفة من بنى فراس وثبت حرب بن امية وبنو عبد مناف وسائر قبائل قريش ولم يزل الظفر لقيس على قريش وكنانة الى ان انتصف النهار ثم عاد الظفر لقريش وكنانة فقتلوا من قيس فاكثروا وحمى القتال واشتد الامر فقتل يومئذ تحت راية بنى الحرث ابن عبد مناة بن كنانة مائة رجل وهم صابرون فانهزمت قيس وقتل من اشرافهم عباس بن زعل السلمى وغيره فلما رأى ابو السيدع مالك بن عوف النصرى ما تصنع كنانة من القتل نادى يا معشر بنى كنانة اسرفتم فى القتل فقال ابن جدعان انا معشر يسرف ولما رأى سبيع ابن ربيع بن معاوية هزيمة قبائل قيس عقل نفسه واضطجع وقال يا معشر بنى نصر قاتلوا عنى اوذروا فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدوان وانهزم باقى قبائل قيس فقاتل هؤلاء أشد قتال رآه الناس ثم انهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على ان يعدوا القتلى فاى الفريقين فضل له قتلى اخذ ديتهم من الفريق الآخر فتعادوا القتلى فوجدوا قريشا وبنى كنانة قد افضلوا على قيس عشرين رجلا فرهن حرب بن امية يومئذ ابنه ابا سفيان فى ديات القوم حتى يؤديها ورهن غيره من الرؤساء وانصرف الناس بعضهم عن بعض ووضعوا الحرب وهدموا ما بينهم من العداوة والشر وتعاهدوا على ان لا يؤذى بعضهم بعضا فيما كان من امر البراض وعروة

(يوم ذى نجب)

وكان من حديث يوم ذى نجب ان بنى عامر لما اصابوا من تميم ما اصابوا يوم جبلة رجوا ان يستأصلوهم فكاتبوا حسان بن كبشة الكندى وكان ملكا من ملوك كندة وهو حسان بن معاوية بن حجر فدعوه الى ان يغزو معهم بنى حنظلة من تميم فاخبروه أنهم قد

سنين آتاه الله فيها الحكمة كما أوتيها يحيى عليه السلام صبيا وكان مربوع القامة حسن الوجه والشعر أقنى الانف اجلى الجبهة وزعم الشيعة انه غاب فى السرداب ببغداد والحرس عليه سنة ست وستين ومائتين وأنه صاحب السيف القائم المنتظر قبل قيام الساعة وله قبل قيامه غيبتان احداهما أطول من الاخرى فاما القصرى فمنذ ولادته الى انقطاع السفارة بينه وبين الشيعة وأما الطولى فهى التى بعد الاولى وفى آخرها يقوم بالسيف وكان من عادة الشيعة ببغداد أن فى كل يوم جمعة يأتون بفرس مشدود ويقفون على باب السرداب ويدعون باسم المهدى واستمروا على هذا الحال الى ان آل الامر للسلطان سليمان خان من بنى عثمان واستولى على مدينة بغداد وابطل تلك العادة واتفق العلماء على ان المهدى هو القائم فى آخر الوقت وقد تعاضدت الاخبار على ظهوره وتظاهرت الروايات على اشراق نوره وستسفر ظلمة الايام والليالى بسفوره وينجلى برؤيته الظلم انجلاء الصبح عن ديجوره ويسير عدله فى الآفاق فيكون اضوأ من البدر المنير فى مسيره وأما السنة التى يقوم فيها القائم واليوم الذى يبعث فيه فقد جاءت فيه آثار عن ابى بصير عن أبى عبد الله قال لا يخرج القائم الا فى وتر من السنين سنة احدى أو ثلاث او خمس أو سبع أو تسع ويقوم فى يوم عاشوراء ويظهر يوم السبت العاشر من المحرم قائما بين الركن والمقام وشخص قائم على يده ينادى البيعة البيعة فتسير اليه انصاره من اطراف الارض

قالوا

وثلاثين فرسا وهو دبج أمه وسجدها وخلص من الاسر فلما خلص من الاسر أذكى العيون على عتيبة وابله فعادت اليه عيونه فأخبروه انها على اراب فأغار عليها وأخذ الابل كلها ومالهم معها (عتيبة بالتاء فوقها نقطتان والياء تحتها نقطتان ساكنة وفى آخرها باء موحدة)

(يوم الشيبان على بنى تميم)

قال أبو عبيدة خرج الاقرع بن حابس وأخوه فراس التميميان وهما الاقرعان فى بنى مجاشع من تميم وهما يريدان الغارة على بكر بن وائل ومعهما البرولة أبو جعل فلقيهم بسطام بن قيس الشيبانى وعمران بن مرة فى بنى بكر بن وائل بزبالة فاقتتلوا قتالا شديدا ظفرت فيه بكر وانهزمت تميم وأسر الاقرعان وأبو جعل وناس كثير وافتدى الاقرعان نفسيهما من بسطام وعاهداه على ارسال الفداء فأطلقهما فبعدا ولم يرسلا شيأ وكان فى الاسرى انسان من يربوع فسمعه بسطام بن قيس فى الليل يقول

قدى بوالدة على شفيقة * فكأنها حرض على الاسقام
لو انها علمت فيسكن جأشها * أنى سقطت على الفتى المنعام
ان الذى ترجين ثم ايابه * سقط العشاء به على بسطام
سقط العشاء به على متنعم * سمح اليدين معاود الاقدام

فلما سمع بسطام ذلك منه قال له وأبيك لا يخبر أمك عنك غيرك وأطلقه وقال ابن رميض العنزى

جاءت هدايا من الرحمن مرسلة * حتى أنيخت لدى أبيات بسطام
جيش الهذيل وجيش الاقرعين معا * وكبة الخيل والازواد فى عام
مسوم خيله تعدو مقانبه * على الذوائب من أولاد همام

وقال أوس بن حجر

وصبحنا عار طويل بناؤه * نسب به ما لاح فى الافق كوكب
فلم أر يوما كان أكثر باكيا * ووجها ترى فيه الكآبة تجنب
أصابوا البرولة وابن حابس عنوة * فظل لهم بالقاع يوم عصبصب
وان أبا الصهباء فى حومة الوغى * اذا ازورت الابطال ليث محرب

وأبو الصهباء هو بسطام بن قيس وأكثر الشعراء فى هذا اليوم وفى مدح بسطام بن قيس تركنا ذكره اختصارا (حجر بفتح الحاء والجيم)

(يوم مبايض)

وهو لشيبان على بنى تميم قال أبو عبيدة حج طريف بن تميم العنبرى التميمى وكان رجلا جسيما يلقب مجدعا وهو فارس قومه ولقيه حمصة بن جندل الشيبانى من بنى أبى ربيعة وهو شاب قوى شجاع وهو يطوف بالبيت فأطال النظر اليه فقال له طريف لم تشد نظرك الى قال حمصة أريد أن أثبتك لعلى أن ألقاك فى جيش فأقتلك فقال طريف اللهم لا تحول الحول حتى ألقاه ودعا حمصة مثله فقال طريف

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا فى قلب مؤمن ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعن على ابن ابى طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على ان الله عز وجل أمرنى أن أتخذ ابا بكر والدا وعمر مشيرا وعثمان سندا وأنت يا على ظهيرا فأنتم أربعة قد أخذ الله ميثاقكم فى أم الكتاب لا يحبكم الا مؤمن تقى ولا يبغضكم الا منافق شقى أنتم خلائف نبوتى وعقدة ذمتى وحجتى على أمتى لا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تنافروا عن ابى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين عبد الله بن عثمان فيقوم ابو بكر الصديق رضى الله عنه وان شيبته تتوهج نورا فتأخذه الملائكة بعضده فتزج به فى النور زجا ويرفع له الحجاب الذى بينه وبين الله تعالى فيقول الله جل شأنه هذا كتابك ان شئت فانظر فيه وان شئت لا فقد غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قم على باب الجنة فأدخل من شئت برحمتى وامنع من شئت بقدرتى ثم يأتى النداء من قبل الله تعالى أين الفاروق عمر بن الخطاب فيقول لبيك لبيك فتأخذ الملائكة بعضده فتزج به فى النور زجا ويرفع له الحجاب الذى بينه وبين الله تعالى فيقول الله له مرحبا بأبى حفص هذا كتابك ان شئت فانظر فيه وان شئت لا قد غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قم على الميزان فثقل حسنات من شئت برحمتى وخفف سيئات من شئت بقدرتى فاذا تقدم الخطاب تلقاه الاسلام فى صورة حسنة فيقف بين يدى الله تعالى فيقول يا رب

(يوم الغبيط)

وهو يوم كانت الحرب فيه بين بني شيبان وتميم أسر فيه بسطام بن قيس الشيباني وسبب ذلك ان بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك ومفروق بن عمرو ساروا في جمع من بني شيبان الى بلاد تميم فأغاروا على ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة وثعلبة بن عدي بن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان وكانوا متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا فانهزمت الثعالبة وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم بنو شيبان أموالهم ومروا على بني مالك بن حنظلة من تميم وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة فاستاقوا ابلهم فركبت اليهم بنو مالك يقدمهم عتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعي وفرسان بني يربوع وساروا في أثر بني شيبان ومعه من رؤساء تميم الاحيمر بن عبد الله وأسيد بن جباة وحر بن سعد ومالك بن نويرة فأدركوهم بغبيط المدرة فقاتلوهم وصبر الفريقان ثم انهزمت شيبان واستعادت تميم ما كانوا غنموه من أموالهم وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ربيعة بن حصبة وألح عتيبة بن الحرث على بسطام ابن قيس فأدركه فقال له استأسر أبا الصهباء فأنا خير لك من الفلاة والعطش فاستأسر له بسطام بن قيس فقال بنو ثعلبة لعتيبة ان أبا مرحب قد قتل وقد أسرت بسطاما وهو قاتل مليل وبجير ابني أبي مليل ومالك بن حطان وغيرهم فاقتله قال اني معيل وأنا أحب اللبن قالوا انك تفاديه فيعود فيحرب مالنا فأبى عليهم وسار به الى بني عامر بن صعصعة لئلا يؤخذ فيقتل وانما قصد عامرا لان عمته خولة بنت شهاب كانت نا كحا فيهم فقال مالك ابن نويرة في ذلك

لله عتاب بن مية اذ رأى * الى ثارنا في كفه يتلدد
أنحى امرا أردى بجيرا ومالكا * وأتوى مريثا بعد ما كان يقصد
ونحن ثأرنا قبل ذا ابن أمه * غداة الكلابين والجمع يشهد

فلما توسط عتيبة بيوت بني عامر صاح بسطام واشيباناه ولا شيبان لي اليوم فبعث اليه عامر بن الطفيل ان استطعت أن تلجأ الى قبتي فافعل فاني سأمنعك وان لم تستطع فاقذف نفسك في الركا فأتى عتيبة تابعه من الجن فأخبره بذلك فأمر بقبته فقوض فركب فرسه وأخذ سلاحه ثم أتى مجلس بني جعفر وفيه عامر بن الطفيل الغنوي فحياهم وقال يا عامر قد بلغني الذي أرسلت به الى بسطام فأنا مخيرك فيه خصالا ثلاثا فقال عامر وما هي قال ان شئت فاعطني خلعتك وخلعة أهل بيتك حتى أطلقه لك فلبست خلعتك وخلعة أهل بيتك بشر من خلعته وخلعة أهل بيته فقال عامر هذا الاسبيل اليه قال عتيبة ضع رجلك مكان رجله فلست عندي بشر منه فقال ما كنت لافعل قال عتيبة تبعني اذا جاوزت هذه الرابية فتقارعني عنه على الموت فقال عامر هذه أبغض الى فانصرف به عتيبة الى بني عبيد بن ثعلبة فرأى بسطام مركب أم عتيبة رثا فقال يا عتيبة هذا رحل أمك قال نعم قال ما رأيت رحل أم سيد قط مثل هذا فقال عتيبة واللات والعزى لا أطلقك حتى تأتي أمك بهودجها وكان كبيرا اذا ثمن كثير وهذا الذي أراد بسطام ليرغب نفسه فلا يقتله فأرسل بسطام فأحضر هودج أمه وفادى نفسه بأربعمائة بعير وقيل بألف بعير

أن آتيه بخير قريش فوجدت خير قريش بني عبد المطلب فوجدتك خير بني عبد المطلب وما كنت يا محمد في صنف من الناس الا كانوا أخيار أهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اصطفى كنانة من بني اسمعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وذكر صاحب المختصر في أخبار البشر ان كل من كان من ولد فهر بن مالك فهو قرشي ومن لم يكن من نسله فليس قرشيا وقيل سمي قريشا لشدته تشبيها له بدابة من دواب البحر يقال لها القرش تأكل دواب البحر وقيل ان قصي ابن كلاب لما استولى على البيت وجمع اشتات بني فهر سموا قريشا لانه قرش بني فهر اي جمعهم حول الحرم فعلى هذا يكون لفظة قريش اسما لبني فهر لا لفهر نفسه ولم يولد لمالك غير فهر المذكور ويقال انما سميت قريشا لتجمعها من تفرقها لان التجميع التقريش فلما سكنت قريش مكة ونفت عدوها كان الناس لا يتشاورون في أمر ينزل بهم الا في داره ولا يعقدون لواء حرب قوم من غيرهم الا في داره يعقده لهم بعض ولده ذكر الشيخ محيي الدين النووي في التهذيب في تعريف الصحابي والتابعي ان الصحابي كل مسلم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يجالسه ولم يخالطه وقيل بشرط مجالسته وأما التابعي فهو الذي رأى صحابيا وقيل انه الذي جالس صحابيا كذا في مجمع الاحباب

(وما ورد من الاخبار الجمعة في فضائل الائمة الاربعة) رضي الله عنهم ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه

كثير من عمرو بن حنظلة والرباب وسعد وغيرها وسارت الى بكر بن وائل وعلى تميم أبو الرئيس الحنظلى فبلغ خبرهم بكر بن وائل فتقدموا وعليهم الاصم عمرو بن قيس بن مسعود أبو مفروق وحنظلة بن سيار العجلى وحمران بن عبد عمرو العبسى فلما التقوا جعلت تميم والرباب بعيرين وجللوهما وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفين مقرونين وسموهما زويرين يعنى الهين وقالوا لا نفر حتى يفر هذان البعيران فلما رأى أبو مفروق البعيرين سأل عنهما فأعلم حالهما فقال أنا زويركم وبرك بين الصفين وقال قاتلوا عنى ولا تفروا حتى أفر فاقتتل الناس قتالا شديدا فوصلت شيبان الى البعيرين فأخذوهما فذبحوهما واشتد القتال عليهما فانهزمت تميم وقتل أبو الرئيس مقدمهم ومعه بشر كثير واحترفت بكر أموالهم ونساءهم وأسروا أسرى كثيرة ووصل الحوفزان الى النساء والاموال وقد سار الرجال عن القتال فأخذ جميع ما خلفوه من النساء والاموال وعاد الى أصحابه سالما وقال الاعشى فى ذلك اليوم

يا سلم لا تسألى عنا فلا كشف * عند اللقاء ولا سود مقاريف
نحن الذين هزمنا يوم صبحنا * يوم الزويرين فى جمع الاحاليف
ظلوا وظلت تكر الخيل وسطهم * بالشيب منا وبالمرد الغطاريف
تستأنس الشرف الاعلى بأعينها * لمح الصقور علت فوق الاطاليف
انسل عنها نسيل الصيف فانجردت * تحت اللبود متون كالزحاليف

وقد أكثر الشعراء فى هذا اليوم لا سيما الاغلب العجلى فمن ذلك أرجوزته التى أولها

ان سرك العز فجحجح بجشم يقول فيها

جاؤا بزويريهم وجئنا بالاصم * شيخ لنا كالليث من باقى ارم
شيخ لنا معاود ضرب البهم * يضرب بالسيف اذا الرمح انقصم

هل غير غار صك غارا فانهزم

الغاران بكر وتميم وله الارجوزة التى أولها

يارب حرب ثرة الاخلاف يذكر فيها هذا اليوم

(ذكر أسر حاتم طى)

قال أبو عبيدة أغار حاتم طى بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوهم وانهزمت طى وقتل منهم واسر جماعة كثيرة فكان فى الاسرى حاتم بن عبد الله الطائى فبقى موثقا عند رجل من عنزة فأتته امرأته منهم اسمها عالية بناقة فقالت له افصدها فنحرها فلما رأتها منحورة صرخت فقال حاتم

عالى لا تلتد من عاليه * ان الذى أهلكت من ماليه
ان ابن أسماء لكم ضامن * حتى يؤدى أنس ناويه
لا أفصد الناقة فى أنفها * لكننى أوجرها العاليه
انى عن الفصد لفى مفخر * يكره منى المفصد الآليه
والخيل ان شمص فرسانها * تذكر عند الموت امثاليه

وفاطمة واولادهم رضى الله عنهم)*عن ام سلمة قالت انزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم معى بثوب ابيض فى بيتى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فامرنى ان لا ادع احدا يدخل عليه فاغفيت فجاء الحسن والحسين حتى دخلا عليه ثم جاء على وفاطمة رضى الله عنهم اجمعين حتى دخلا عليه فجمعهم واخذ كساء كان لبسه احيانا وبسطه احيانا فغطاه عليهم ثم قال رب هؤلاء خاصتى واهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم باصبعه فادارها عليهم قالت يارسول الله وانا منهم فسكت ثم أعدته ثلاثا فقال انك على خير *عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ بيد الحسن والحسين فقال من أحبنى وأحب هذين واباهما وامهما كان معى فى درجتى فى الجنة وفى حديث آخر من احب هؤلاء فقد احبنى ومن أبغض هؤلاء فقد أبغضنى * انشد الزبير بن بكار لكثير

طبت بيتا فطاب اهلك اهلا
اهل بيت النبى والاسلام
رحمة الله والسلام عليهم
كلما قام قائم بسلام

(وما ورد فى فضل العباس المنزه عن الادناس رضى الله عنه) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم من اشد الناس لطفا بالعباس رضى الله عنه *عن سعيد بن المسيب قال قحط الناس على عهد عمر رضى الله عنه فامر بالمنبر فاخرج الى مصلى النبى صلى الله

أوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم

لاتنكروني انني داء لكم * شاكي السلاح في الحوادث معلم

حولي فوارس من أسيد جمة * وبني الهجيم وحول بيتي خضم

تحتي الاغر وفوق جلدي نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم

في أبيات ثم ان بني ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان وبني مرة بن ذهل بن شيبان كان بينهم شر وخصام فاقتتلوا شيأ من قتال ولم يكن بينهم دم فقال هانئ بن مسعود رئيس بني ابي ربيعة لقومه اني أكره أن يتفاقم الشر بيننا فارتحل بهم فنزل على ماء يقال له مبايض وهو قريب من مياه بني تميم فأقاموا عليه أشهرا وبلغ خبرهم بني تميم فأرسل بعضهم الى بعض وقالوا هذا حي منفرد وان اصطلمتموهم أوهنتم بكر بن وائل واجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء أبو الجدعاء الطهوي على بني حنظلة وابن فدكي المنقري على بني سعد وطريف بن تميم على بني عمرو بن تميم فلما قاربوا بني ابي ربيعة بلغهم الخبر فاستعدوا للقتال فخطبهم هانئ بن مسعود وحثهم على القتال فقال اذا أتوكم فقاتلوهم شيأ من قتال ثم انحازوا عنهم فاذا اشتغلوا بالنهب فعودوا اليهم فانكم تصيبون منهم حاجتكم وصبحهم بنو تميم والقوم حذرون فاقتتلوا قتالا شديدا وفعلت بنو شيبان ما أمرهم هانئ فاشتغلت تميم بالغنيمة ومر رجل منهم بابن لهانئ بن مسعود صبي فأخذه وقال حسبي هذا من الغنيمة وساربه وبقيت تميم مع الغنيمة والسبي فعادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلوهم وأسروهم كيف شاؤا ولم تصب تميم بمثلها لم يفلت منهم الا القليل ولم يلوا أحد على أحد وانهزم طريف فاتبعه حمصة فقتله واستردت شيبان الاهل والمال وأخذوا مع ذلك ما كان معهم وفادى هانئ بن مسعود ابنه بمائة بعير وقال بعض شيبان في هذا اليوم

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * غر وأنت بمنظر لا تعلم

وأتيت حيا في الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستهزم

فوجدتهم يرعون حول ديارهم * بسلا اذا هاب الفوارس أقدموا

واذا اعتزوا بأبي ربيعة أقبلوا * بكتيبة مثل النجوم تلملم

ساموك درعك والاغر كليهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

وقال عمرو بن سوادة يرثي طريفا

لاتبعدن يا خير عمرو بن جندب * لعمري لمن زار القبور ليبعدا

عظيم رماد النار لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو أوقدا

وما كان وقافا اذا الخيل أحجمت * وما كان مبطانا اذا ما تجردا

(يوم الزويرين)

قال أبو عبيدة كانت بكر بن وائل قد أجدبت بلادهم فانتجعوا بلاد تميم بين اليمامة وهجر فلما تدانوا جعلوا لا يلقى بكري تميميا الا قتله ولا يلقى تميمي بكريا الا قتله اذا أصاب أحدهما مال الآخر أخذه حتى تفاقم الشر وعظم فخرج الحوفزان بن شريك والوادك ابن الحرث الشيبانيان ليغيرا على بني دارم فاتفق ان تميما في تلك الحال اجتمعت في جمع

هـذا عمر بن الخطاب أعزني في دار الدنيا وقد كنت ذليلا فأعزه كما أعزني قال فيكسوه الله تعالى ويقول لاسرافيل أخرج بين يدي عمر بن الخطاب سبعين ألف لواء من نور حتى يقف على الميزان ثم يأتي النداء من قبل الله تعالى فيقال أين المقتول ظلما عثمان بن عفان قال فيثب وأوداجه تشخب دما اللون لون دم والريح ريح مسك أذفر فتأخذ الملائكة بعضديه حتى يقف بين يدي الرحمن فيقول يا عثمان مرحبا هذا كتابك ان شئت فانظر فيه وان شئت لاقد غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ان أخذت من ظالمك أخذت بحق وان عفوت عفوت فيقول عثمان يارب العفو العفو فيقول الله عز وجل قف على الصراط يفوز من شئت برحمتي وامنع من شئت بقدرتي ويكسوه الله حلتين خضراوين ويقول يا عثمان البسهما فاني خلقتهما لك قبل أن أخلق سمواتي وأرضي بألفي عام ثم يأتي النداء من قبل الله تعالى أين الرضا علي فيجيب لبيك لبيك فتأخذ الملائكة بعضديه فتزج به في النور زجا ويرفع له الحجاب الذي بينه وبين الله تعالى فيقول الله مرحبا بأبي الحسنين هذا كتابك ان شئت فانظر فيه وان شئت فلا قد غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قم على الحوض فاسق من شئت برحمتي وامنع من شئت بقدرتي وترفع اليه العصا التي خلقها الله لآدم عليه السلام فيقال ردهما فيذود أصحاب رسول الله عن الحوض ذات اليمين وذات الشمال *(وماورد في فضل الطيب من الادهم على"

كثير

النصيب رئيسهم أسره حمران بن مرة الشيباني فضرب رقبته فقال صليع

نهبت بني زعل غداة لقيتهم * وجيش نصيب والظنون تطاع
وقلت لهم ان الحريب وراكما * به نعم ترعى المسرار رتاع
ولكن فيه الموت يرتج سربه * وحق لهم ان يقتلوا ويطاعوا
متى تأته تلق على الماء حرنا * وجيشا له يوفي بكل بقاع

(يوم جدود)

وهو يوم بين بكر بن وائل وبني منقر من تميم وكان من حديثه ان الحوفزان واسمه الحرث بن شريك الشيباني كانت بينه وبين بني سليط بن يربوع موادعة فهم بالغدر بهم وجمع بني شيبان وذهلا واللهازم وعليهم حمران بن عبد عمرو بن بشر بن عمرو ثم غزا وهو يرجو أن يصيب غرة من بني يربوع فلما انتهى الى بني يربوع نذر به عتيبة بن الحرث بن شهاب فنادى في قومه فحالوا بين الحوفزان وبين الماء وقال لعتيبة اني لا أرى معك الا رهطك وأنا في طوائف من بني بكر فائن ظفرت بكم قل عددكم وطمع فيكم عدوكم وائن ظفرتم بي ما تقتلون الا أقاصي عشيرتي وما ايا كم أردت فهل لكم أن تسالمونا وتأخذوا ما معنا من التمر ووالله لا نروع يربوعا أبدا فأخذ ما معهم من التمر وخلى سبيلهم فسارت بكر حتى أغاروا على بني ربيع بن الحرث وهو مقاعس بجدود وانما سمي مقاعسا لانه تقاعس عن حلف بني سعد فأغار عليهم وهم خلوف فأصاب سبيا ونعما فبعث بنو ربيع صريخهم الى بني كليب فلم يجيبوهم فأتى الصريخ بني منقر بن عبيد فركبوا في الطلب فلحقوا بكر بن وائل وهم مقاتلون فما شعر الحوفزان وهو في ظل شجرة الا بالاهتم بن سمي بن سنان المنقري واقفا على رأسه فركب فرسه فنادى الاهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل ولحق بنو منقر فقاتلوا قتالا شديدا فهزمت بكر وخلوا السبي والاموال وتبعتهم منقر فمن قتيل وأسير وأسر الاهتم حمران بن عبد عمرو ولم يكن لقيس بن عاصم المنقري همة الا الحوفزان فتبعه على مهر والحوفزان على فرس فارح فلم يلحقه وقد قاربه فلما خاف أن يفوته حفزه بالرمح في ظهره فاستقر بالطعنة ونجا فسمي يومئذ الحوفزان وقيل غير هذا

وقال الاهتم في أسره حمران

نجت بحمران المنية بعدما * حشاه سنان من شراعة أزرق
دعا يا ل قيس واعتزيت لمنقر * وكنت اذا لاقيت في الخيل أصدق

وقال سوار بن حيان المنقري يفتخر على رجل من بكر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * كسته نجيعا من دم البطن أشكلا
وحمران قسرا أنزلته رماحنا * فعالج غلا في ذراعيه مثقلا
فذالك من أيام صدق نعدها * كيوم جواثى والنباج وثيتلا
قضى الله أنا يوم تقتسم العلا * أحق بها منكم فأعطى فأجزلا
فلست بمسطيع السماء ولم تجد * لعز بناه الله فوقك منقلا

(منقر بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وربيع بضم الراء وفتح الباء الموحدة)

فامنت اسكفة الباب آمين آمين * عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس انت وولدك المنصورون الى يوم القيامة * عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هبط علي الامين جبريل عليه السلام وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وفي وسطه منطقة من ذهب فقلت له يا جبريل ما هذه الصورة التي ما رأيتك هبطت علي في مثلها قال هذه صورة الملك من ولد العباس عمك قال فقلت وهم يومئذ على الحق قال نعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لولد العباس حيث كانوا وأينما كانوا

(وما ورد في فضل سيد الشهداء حمزة عم سيد الانبياء رضي الله عنه) * عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء حمزة ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله * عن عمرو بن دينار عن جابر ابن عبد الله قال ولد لرجل منا غلام فقالوا يا رسول الله بم نسميه قال سموه بأحب الناس الي حمزة ابن عبد المطلب * عن جعفر ابن عمرو الضمري قال خرجت أنا وعبيد الله بن عدي غازيين الصائفة في زمن معاوية فمررنا بحمص وفيها وحشي بن حرب الحبشي فأردنا أن نسأله عن قتله حمزة كيف كان فوافيناه شيخا كبيرا أسود ورأسه مثل الثغامة وهو بفناء داره فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدي فقال أنت عبيد الله بن عدي قال نعم قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى وهي على بعيرها الى اليوم فلما رأيتك عرفتك فقلنا أتينا لك

وقال رميض العنزي يفتخر

نحن اسرنا حاتما وابن ظالم * فكل ثوى في قيدنا وهو يخشع
وكعب ايادقد أسرنا وبعده * أسرنا أبا حسان والخيل تطمع
وريان غادرنا يوج كأنه * واشياعه فيها صريم مصرع

وقال يحيى بن منصور الذهلي قصيدة يفتخر بايام قومه وهي طويلة وفيها آداب حسنة تركناها كراهية التطويل وأولها

أمن عرفان منزلة ودار * تعاورها البوارح والسواري

وقال ابو عبيدة جاء الاسلام وليس في العرب أحد أعز دارا ولا أمنع جارا ولا أكثر حلفا من شيبان كانت عنينة من ظلم في الاحلاف وكانت درمكة بن كندة في بني هند وكانت عكرمة من طي وحوتكة من عذرة وبنانة كل هؤلاء في بني الحرث بن همام وكانت عائذة من قريش وضبيعة وحواس من كندة هؤلاء في بني ابي ربيعة وكانت سليمة من بني عبد القيس في بني أسعد بن همام وكانت وثيلة من ثعلبة وبنو شميري من طي في بني تيم بن شيبان وكانت عوف بن حارث من كندة في بني محلم كل هذه قبائل وبطون جاورت شيبان فعزت بها وكثرت

(يوم مسحلان)

قال ابو عبيدة غزا ربيعة بن زياد الكلبي في جيش من قومه فلقي جيشا لبني شيبان عامتهم بنو أبي ربيعة فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذلك يوم مسحلان وأسروا ناسا كثيرا وأخذوا ما كان معهم وكان رئيس شيبان يومئذ حسان بن عبد الله بن قيس المحلمي وقيل كان رئيسهم زياد بن مرثد من بني ابي ربيعة فقال شاعرهم

ربيعة سائل حيث حل بجيشه * مع الحي كلب حيث نبت فوارسه
عشية ولى جمعهم فتتابعوا * فصار الينا نهبه وعوانسه

ثم ان الربيع بن زياد الكلبي نافر قومه وحاربهم فهزموه فاعتزلهم وسار حتى حل ببني شيبان فاستجار برجل اسمه زياد من بني ابي ربيعة فقتله بنو أسعد بن همام ثم ان شيبان سالوا ديته الى كلب ماتي بعير فرضوا

(حرب سليم وشيبان)

قال ابو عبيدة خرج جيش لبني سليم عليهم النصيب السلمي وهم يريدون الغارة على بكر ابن وائل فلقيهم رجل من بني شيبان اسمه صليع بن عبد غنم وهو محرم على فرس له يسمى الصراء فقال لهم أين تذهبون قالوا نريد الغارة على بني شيبان فقال لهم مهلا فاني لكم ناصح اياكم وبني شيبان فاني أقسم لكم بالله لتأتينكم على ثلثمائة فرس خصي سوى الفحول والاناث فأبوا الا الغارة عليهم فدفع صليع فرسه ركضا حتى أتى قومه فانذرهم فركبت شيبان واستعدوا فأتاهم بنو سليم وهم معدون فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت شيبان وانهزمت سليم وقتل منهم مقتلة كثيرة وأسر منهم ناس كثير ولم ينج الا القليل وأسر

عليه وسلم وخرج للناس بجماعة يتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى المنبر فاذا هو بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا عند المنبر فأخذ بيده فقال قم فاصعد يا عم رسول الله فانك احق فقال العباس لا والله لا أفعل اصعد انت وادع وأؤمن فصعد عمر فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك هذا فاسقنا فلا والله ما نزل حتى تتابع المطر * عن عطاء بن ابي رباح قال قال لي العباس يا بني لما انصرفت من بيعة الشجرة رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما كنت أرى من البشر والاعظام فلما كان بعد أيام قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك يا عم فقلت بلى بأبي أنت وأمي قال ان الله عز وجل بنى لابراهيم خليله عليه السلام قصرا من ياقوتة خضراء في الجنة وبنى لي قصرا من ياقوتة بيضاء وبنى لك قصرا من ياقوتة حمراء فأنت بين خليل وحبيب * ذكر الاصمعي قال كان للعباس راع يرعى له على مسيرة ثلاثة ايام فاذا أراد العباس منه شيأ صاح به فاسمعه حاجته عن جعفر بن محمد رضي الله عنهما قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب فقال يا عم اذا كان بالغداة فاجلس في البيت حتى آتيك فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد بنيه في البيت متفرقين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فاجتمعوا الى ابيهم فالتفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوب ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم هذا عمي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كما سترهم ثوبي هذا

النصيب

سببه ان بسطام بن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذي الجدين غزا بني ضبة ومعه أخوه السليل بن قيس ومعه رجل يزجر الطير من بني أسد بن خزيمة يسمى نقيدا فلما كان بسطام في بعض الطريق رأى في منامه كان آتيا أتاه فقال له * الدلو تأتي الغرب المزله * فقص رؤياه على نقيد فتطير وقال ألا قلت ثم تعود باديا مبتله فتفرط عنك النحوس ومضى بسطام على وجهه فلما دنا من نقا يقال له الحسن في بلاد ضبة صعده ليرا ماذا هو بنعم قد ملأ الارض فيه ألف ناقة لمالك بن المنتفق الضبي من بني ثعلبة بن سعد بن ضبة قد فقأ عين فحلها وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية اذا بلغت ابل احدهم ألف بعير فقؤا عين فحلها لترد عنها العين وهي ابل مرتعة ومالك بن المنتفق فيها على فرس له جواد فلما أشرف بسطام على النقا تخوف ان يروه فينذروا به فاضطجع وتدهدى حتى بلغ الارض وقال يا بني شيبان لم ار كاليوم قط في الغرة وكثرة النعم ونظر نقيد الى لحية بسطام معفرة بالتراب لما تدهدى فتطير له أيضا وقال ان صدقت الطير فهو أول من يقتل وعزم الاسدي على فراقه فاخذته رعدة تهيبا الفراقه والانصراف عنه وقال له ارجع يا أبا الصهباء فاني أتخوف عليك ان تقتل فعصاه ففارقه نقيد وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الابل واطردوها وفيها فحل لمالك يقال له أبو شاعر وكان اعور فنجا مالك على فرسه الى قومه من ضبة حتى اذا أشرف على تعشار نادى يا صباحاه وعاد راجعا وادرك الفوارس القوم وهم يطردون النعم فجعل فحلها ابو شاعر يشذ من النعم ليرجع وتتبعه الابل فكلما تبعته ناقة عقرها بسطام فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال ماذا السفه يا بسطام لا تعقرها فاما لنا واما لك فأبى بسطام وكان في آخريات الناس على فرس ادهم يقال له الزعفران يحمي أصحابه فلما لحقت خيل ضبة قال لهم مالك ارموا روايا القوم فجعلوا يرمونها فيشقونها فلحقت بنو ثعلبة وفي اوائلهم عاصم بن خليفة الصباحي وكان ضعيف العقل وكان قبل ذلك يعقب قناته فيقال له ما تصنع بها يا عاصم فيقول أقتل عليها بسطاما فيهزؤن منه فلما جاء الصريخ ركب فرس ابيه بغير اذنه ولحق الخيل فقال لرجل من ضبة أيهم الرئيس قال صاحب الفرس الادهم فعارضه عاصم حتى حاذاه ثم حمل عليه فطعنه بالرمح في صماخ اذنه انفذ الطعنة الى الجانب الآخر وخر بسطام على شجرة يقال لها الالاءة فلما رأت ذلك شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الادبار فمن قتيل واسير واسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس اخا بسطام في سبعين من بني شيبان وكان عبد الله بن عنمة الضبي مجاورا في شيبان فخاف ان يقتل فقال يرثي بسطاما

لام الارض ويل ما اجنت * غداة أضر بالحسن السبيل
يقسم ماله فينا وندعو * أبا الصهباء اذ جنح الاصيل
اجدك لن تريه ولن نراه * تخب به عذافرة ذمول
حقيبة بطنها بدن وسرج * تعارضها مربية دؤول
الى ميعاد ارعن مكفهر * تضمر في جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول

عن علي كرم الله وجهه في حديث ذكره قال ان أفضل الشهداء حمزة رضي الله عنه * (وما ورد من الاخبار في فضل جعفر الطيار رضي الله عنه) * عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الناس من اشجار شتى وخلقت أنا وجعفر بن ابي طالب من شجرة واحدة عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل اختارني في ثلاثة من اهل بيتي وانا رابعهم وسيدهم قالوا يا رسول الله سم لنا الثلاثة قال كنت نائما وعلي وحمزة وجعفر بن أبي طالب جعفر عن يميني وعلي عن يساري وحمزة عند رجلي كل واحد منهم متحبي بثوبه فما نبهني الا خفيق اجنحة الملائكة فانتبهت فاذا جبريل في ثلاثة املاك سمعت ملكا يستفهم يقول يا جبريل من هذا قال محمد بن عبد الله خاتم الانبياء وهذا علي بن ابي طالب سيد الاولياء وهذا حمزة سيد الشهداء وهذا جعفر بن ابي طالب المزين بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فنظرت فيها فاذا جعفر يطير مع الملائكة واذا حمزة متكئ على سرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم واسماء بنت عميس قريبة منه اذ قال يا اسماء هذا جعفر ابن أبي طالب قد مر مع جبريل وميكائيل عليهما السلام فسلم فردي عليه السلام وقد أخبرني انه لقي العدو فأصابه ثلاثة وسبعون ما بين طعنة وضربة قال وأخذت اللواء بيميني فقطعت يميني ثم اخذت

(يوم الاياد وهو يوم أعشاش ويوم العظالى)

وانما سمى يوم العظالى لان بسطام بن قيس وهانئ بن قبيصة ومفروق بن عمرو تعاظلوا على الرياسة وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس وكانوا يقرونهم ويجهزونهم فأقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلثمائة متساندين وهم يتوقعون انحدار بني يربوع في الحزن فاجتمع بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زبيد في الحزن فحلت بنو زبيد الحديقة وحلت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة الثمد فأقبل جيش بكر حتى نزلوا هضبة الخصي فرأى بسطام السواد بالحديقة وثم غلام عرفه بسطام وكان قد عرف غلمان بني ثعلبة حين أسره عتيبة فسأله بسطام عن السواد الذي بالحديقة فقال هم بنو زبيد قال كم هم من بيت قال خمسون بيتا قال فأين بنو عتيبة وبنو عبيد قال هم بروضة الثمد وسائر الناس بخفاف وهو موضع فقال بسطام أتطيعوني يا بني بكر قالوا نعم قال أرى لكم ان تغيروا هذا الحي المتفرد بني زبيد وتعودوا سالمين قالوا وما يغني بنو زبيد عنا قال ان في السلامة احدى الغنيمتين قالوا ان عتيبة بن الحرث قد مات وقال مفروق قد انتفخ سحرك يا أبا الصهباء وقال هانئ احبنا فقال ان أسيد بن حناءة لا يفارق فرسه الشقراء ليلا ونهارا فاذا أحس بكم ركبها حتى يشرف على مليحة فينادي يا آل ثعلبة فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ولم يبصر أحد منكم مصرع صاحبه وقد عصيتموني وأنا تابعكم وستعلمون فأغاروا على بني زبيد وأقبلوا نحو بني عتيبة وبني عبيد فأحست الشقراء فرس أسيد بوقع الحوافر فبحثت بحافرها فركبها أسيد وتوجه نحو بني يربوع بجيحة ونادى يا سوء صباحاه يا آل ثعلبة بن يربوع فما ارتفع الضحى حتى تلاحقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت شيبان بعد ان قتلت من تميم جماعة من فرسانهم وقتل من شيبان أيضا وأسر جماعة منهم هانئ بن قبيصة ففدى نفسه ونجا فقال متمم بن نويرة في هذا اليوم

لعمري لنعم الحي اسمع غدوة * أسيد وقد جد الصراخ المصدق

وأسمع فتيانا كجنة عبقر * لهم ريق عند الطعان ومصدق

أخذن بهم جنبي أفاق وبطنها * فما رجعوا حتى أرقوا وأعتقوا

وقال العوام في هذا اليوم

قبح الاله عصابة من وائل * يوم الافاقة أسلموا بسطاما

ورأى أبو الصهباء دون سوامهم * طعنا يسلى نفسه وزماما

كنتم أسودا في الوغا فوجدتم * يوم الافاقة في العبيط نعاما

وأكثر العوام الشعر في هذا اليوم فلما ألح فيه أخذ بسطام ابله فقالت أمه

أرى كل ذي شعر أصاب بشعره * خلا أن عواما بما قال عيلا

فلا ينطقن شعرا يكون جوازه * كما شعر عوام أعام وأرجلا

(يوم الشقيقة وقتل بسطام بن قيس)

هذا يوم بين بني شيبان وضبة بن اد قتل فيه بسطام بن قيس سيد شيبان وكان

تسألني عن حديث قتلك حمزة كيف كان فقال اني سأحدثكم بما حدثت به رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت بمكة عبدا لجبير بن مطعم وكان عمه قتل يوم بدر فقال لي ان قتلت حمزة عم محمد فأنت حر وكانت لي حربة اقذفها قلما أقذفها الا قتلت فخرجت مع الناس يوم أحد وانما حاجتي قتل حمزة فلما التقى الناس اخذت حربتي وخرجت انظر حمزة رضي الله عنه وهو في عرض الناس مثل الجمل الاورق يهد الناس بسيفه هدا فاضرب احدا واخطأ فدنا مني فهززت حربتي ودفعتها عليه فوقعت بين كتفيه حتى خرجت من بين يديه فتركته حتى مات ثم قمت اليه فانتزعتها منه ولم يبق لي حاجة في غيره وانما قتلته لاعتق فلما قدمنا مكة عتقت واقمت بها حتى فتحت مكة فضاقت علي الارض بما رحبت فهربت الى الطائف فقلت الحق باليمن او بالشام فوالله اني في غم من ذلك اذ قال لي قائل ويحك الحق بمحمد صلى الله عليه وسلم فوالله ما يقتل احدا دخل في دينه قال فخرجت فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ادعه يراني الا وانا قائم على رأسه اشهد بشهادته فلما رآني قال وحشي قلت نعم قال اجلس فحدثني كيف كان قتلك حمزة فجلست بين يديه فحدثته كما حدثتكم ثم قال ويحك يا وحشي غيب عني وجهك فلا اراك فغبت عنه حتى توفي صلى الله عليه وسلم فلما سار المسلمون الى مسيلمة زمن الصديق خرجت بحربتي تلك حتى اذا امكنتني منه الفرصة دفعت اليه حربتي ووقعت فيه ووثب اعلم الى قتله

ومن مثل حصن في الحروب ومثله * لانكار ضيم أو لأمر يحاوله
اذا حل أحياء الأحاليف حوله * بذي نجب ضداته وصواهله

فلما بلغ بني تميم ذلك استعدوا لبني عامر بن صعصعة فاعدوهم وكان حاجب بن زرارة على بني تميم وكان عامر بن صعصعة جوابا وهو لقب مالك بن كعب من بني أبي بكر بن كلاب لان بني جعفر كانوا جيرانا قد اخرجهم الى بني الحرث بن كعب فحالفوهم وقيل كان رئيس عامر شريح بن مالك القشيري وسار الجمعان فالتقوا بالنسار واقتتلوا فصبرت عامر واستحر بهم القتل وانفضت تميم فنجت ولم يصب منهم كثير وقتل شريح القشيري رأس بني عامر وقتل عبيد بن معاوية بن عبد الله بن كلاب وغيرهما وأخذ عدة من اشراف نساء بني عامر منهن سلمى بنت المخلف والعنقاء بنت همام وغيرهما فقالت سلمى تعير جوابا والطفيل

سلى الاله ابا الجليل بغرته * يوم النسار وقنب العير جوابا
كيف الفخار وقد كانت بمعترك * يوم النسار بنو ذبيان اربابا
لم تمنعوا القوم اذ أشلوا سوامكم * ولا النساء وكان القوم أحزابا

وقال رجل يعير جوابا والطفيل بفراره عن امرأته

وفر عن ضرتيه وجه خارئة * ومالك فر قنب العير جواب

القنب غلاف الذكر وجواب لقب لانه كان يجوب الآبار واسمه مالك وقال بشر بن أبي خازم في هزيمة حاجب

وافلت حاجب جوب العوالي * على شقراء تلمع في السراب
ولو ادركن رأس بني تميم * عفرن الوجه منه بالتراب

وكان يوم النسار بعد يوم جبلة وقتل لقيط بن زرارة (جواب بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره باء موحدة وخازم بالخاء المعجمة والزاى)

(يوم الجفار)

لما كان على رأس الحول من يوم النسار اجتمع من العرب من كان شهد النسار وكان رؤساؤهم بالجفار الرؤساء الذين كانوا يوم النسار الا ان بني عامر قبل كان رئيسهم بالجفار عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة فالتقوا بالجفار واقتتلوا وصبرت تميم فعظم فيها القتل وخاصة في بني عمرو بن تميم وكان يوم الجفار يسمى الصيلم لكثرة من قتل به وقال بشر بن أبي خازم في عصبة تميم لبني عامر

عصبت تميم ان يقتل عامر * يوم النسار فاعقبوا بالصيلم
كنا اذا نفروا الحرب نفرة * نشفي صداعهم برأس صلدم
نعلو الفوارس بالسيوف ونعتزي * والخيل مشعلة النحور من الدم
يخرجن من خلل الغبار عوابسا * خبب السباع بكل ليث ضيغم

وهي عدة ابيات وقال أيضا

يوم الجفار ويوم النسا * ركانا عذابا وكانا غراما
فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه واخذ العباس جعفرا فضمه اليه فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى نبيا فآمن به واتبعه وصدقه ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه *(وما ورد في فضل العشرة المبايعين تحت الشجرة رضي الله عنهم اجمعين)* عن أبي صالح في قوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين قال هم عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار *(وما ظهر واستفاض من فضل طلحة الفياض رضي الله عنه)* ان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه نحر جزورا وحفر بئرا يوم ذي قرد فاطعم الناس وسقاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة الفياض وعنه قال لما كان يوم أحد حملت النبي صلى الله عليه وسلم حتى صيرته على الصخرة فاستتر بها من المشركين فاومأ بيده الى وراء ظهره فقال هذا جبريل يخبرني انه لا يراك يوم القيامة في هول الا انقذك منه عن النزال ابن سبرة الهلالي قال قلنا لعلي بن أبي طالب حدثنا عن طلحة قال ذاك امرؤ نزلت فيه آية من كتاب الله تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر طلحة بن عبيد الله منهم لا حساب عليه في المستقبل عن زياد بن جرير الا سدي قال قدمت على طلحة بن عبيد الله بثمن غلة نريعه

اقدمت بنو زيد بن عمرو * ولا يوفى ببسطام قتيل
تخر على الالاءة لم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل
فان يجزع عليه بنو ابيه * فقد فجعوا وفاتهم جليل
بطعام اذا الاشوال راحت * الى الحجرات ليس لها فصيل

فلم يبق في بكر بن وائل بيت الا وافق اهله اولها وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة الضبي يذكره

ويوم شقيقة الحسنين لاقت * بنو شيبان آجالا قصارا
شككنا بالرماح وهن زور * صماخي كبشهم حتى استدارا
وأوجرناه اسمر ذا كعوب * يشبه طوله مسدا مغارا

(الشقيقة أرض صلبة بين جبلي رمل والحسنان نقوا رمل كانت الوقعة عندهما) وقالت أم بسطام بن قيس ترثيه

ليبك ابن ذي الجدين بكر بن وائل * فقد بان منها زينها وجمالها
اذا ما غدا فيهم غدوا وكانهم * نجوم سماء بينهن هلالها
فلله عينا من رأى مثله فتى * اذا الخيل يوم الروع هب نزالها
عزيز المكر لا يهد جناحه * وليث اذا الفتيان زالت نعالها
وحمال اثقال وعائذ محجر * تحل اليه كل ذاك رحالها
سيبكيك عان لم يجد من يفكه * ويبكيك فرسان الوغى ورجالها
وتبكيك اسرى طالما قد فككتهم * وأرملة ضاعت وضاع عيالها
مفرج حومات الخطوب ومدرك الـ * حروب اذا صالت وعز منالها
تفشى بها حينا كذلك ففجعت * تميم به ارماحها ونبالها
فقد ظفرت منا تميم بعثرة * وتلك لعمري عثرة لا تقالها
أصيبت به شيبان والحي يشكر * وطير يرى ارسالها وحبالها

(عنة بفتح العين المهملة والنون)

(يوم النسار)

النسار اجبل متجاورة وعندها كانت الوقعة وهو موضع معروف عندهم وكان سبب ذلك اليوم ان بني تميم بن مر بن أد كانوا ابا كاون عمومتهم ضبة بن أد وبني عبد مناة بن اد فاصابت ضبة رهطا من تميم فطلبتهم تميم فانزاحت جماعة الرباب وهم تيم وعدي وثور أطحل وعكل بنو عبد مناة بن أد وضبة بن أد وانما سموا الرباب لانهم غمسوا أيديهم في الرب حين تحالفوا فلحقت بني أسد وهم يومئذ حلفاء لبني ذبيان بن بغيض فنادى صارخ بني ضبة يا آل خندف فاصرختهم بنو أسد وهو أول يوم تخندفت فيه ضبة واستمدوا حلفهم طيئا وغطفان فكان رئيس أسد يوم النسار عوف بن عبد الله بن عامر بن جذيمة ابن نصر بن قعين وقيل خالد بن نضلة وكان رئيس الرباب الاسود بن المنذر أخو النعمان وليس بصحيح وكان على الجماعة كلهم حصن بن حذيفة بن بدر وفيه يقول زهير بن أبي سلمى

ومن

اللواء بيساره فقطعت يساره فعوضه الله تعالى جناحين اطير بهما في الجنة مع جبريل وميكائيل حيث شئت وآكل من ثمارها ما شئت قالت اسماء هنيئا لجعفر ما آتاه الله عز وجل ولكن اخاف أن لا يصدقني الناس وانه اصيب قبل ذلك اليوم فاتاه الخبر بعد ما اعلم الناس بثلاث او اربع فلذلك سمي الطيار في الجنة قتل جعفر وهو ابن خمس وعشرين سنة *(وما صح من الخبر والدليل في فضل من أحب اولاد عقيل رضي الله عنهم)* عن ابن عقيل عن ابيه عقيل بن ابي طالب قال نازعت عليا وجعفر بن ابي طالب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء فقلت والله ما انتما باحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ان قرابتنا الواحدة وان ابانا وامنا لواحد كذلك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احب اسامة بن زيد فقلت اني لست عن اسامة أسألك وانما اسالك عن نفسي فقال يا عقيل والله اني لاحبك لخلتين لقرابتك ولحب أبي طالب اياك وكان أحبهم الى أبي طالب واما أنت يا جعفر ان خلقك يشبه خلقي وأما انت يا علي فأنت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وفي الخبر ان قريشا اصابتهم أزمة شديدة فكان أبو طالب في عيال كثيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس وكان من ايسر بني هاشم انطلق بنا الى أخيك ابي طالب نخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ انت رجلا فتكفلهما عنه قال نعم فانطلقا حتى أتيا اباطالب فقالا له انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن

الامر فانا قد رضينالك رئيسا فقال لهم

وان امرأ قد عاش تسعين حجة * الى مائة لم يسأم العيش جاهل
مضت مائتان غير عشر وفاؤها * وذلك من عد الليالي قلائل

ثم قال لهم لا حاجة لي في الرياسة ولكني أشير عليكم لينزل حنظلة بن مالك بالدهناء ولينزل سعد بن زيد مناة والرباب وهم ضبة بن أد وثور وعكل وعدي بنو عبد مناة بن أد الكلاب فاي الطريقين أخذ القوم كفى احدهما صاحبه ثم قال لهم احفظوا وصيتي لا تحضروا النساء الصفوف فان نجاة اللئيم في نفسه ترك الحريم وأقلوا الخلاف على امرائكم ودعوا كثرة الصياح في الحرب فانه من الفشل والمرء يعجز لا محالة فان أحمق الحمق الفجور وأكيس الكيس التقى كونوا جميعا في الرأي فان الجميع معز للجميع واياكم والخلاف فانه لا جماعة لمن اختلف ولا تلبثوا ولا تسرعوا فان أحزم الفريقين الركين ورب عجلة تهب ريثا واذا عزأ خولتم فهن البسوا جلود النمور وابرزوا للحرب واذرعوا الليل واتخذوه جملا فان الليل أخفى للويل والثبات أفضل من القوة واهنأ الظفر كثرة الاسرى وخير الغنيمة المال ولا ترهبوا الموت عند الحرب فان الموت من ورائكم وحب الحياة لدى الحرب زلل ومن خير امرائكم النعمان بن مالك بن حارث بن جساس وهو من بني تيم بن عبد مناة بن أد فقبلوا مشورته ونزلت عمرو بن حنظلة الدهناء ونزلت سعد والرباب الكلاب واقبلت مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكلاب وبلغ سعدا والرباب الخبر فلما دنت مذحج نذرهم شميت بن زنباع اليربوعي فركب جمله وقصد سعدا ونادى يا آل تميم يا صباحاه فثار الناس وانتهت مذحج الى النعم فانتهبها الناس وراجزهم يقول

في كل عام نعم ننتابه * على الكلاب غيب أصحابه
* يسقط في آثاره غلابه *

فلحق قيس بن عاصم المنقري والنعمان بن جساس ومالك بن المنتفق في سرعان الناس فأجابه قيس يقول

عما قليل تلحق أربابه * مثل النجوم حسرا سحابه
ايمنعن النعم اغتصابه * سعد وفرسان الوغى اربابه

ثم حمل عليهم قيس وهو يقول

في كل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وينتجونه
أربابه نوكى فلا يحمونه * ولا يلاقون طعانا دونه
أنعم الابناء تحسبونه * هيهات هيهات لما ترجونه

فاقتتل القوم قتالا شديدا يومهم اجمع فحمل يزيد بن شداد بن قنان الحارثي على النعمان ابن مالك بن جساس فرماه بسهم فقتله وصارت الرياسة لقيس بن عاصم واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وباتوا يتحارسون فلما أصبحوا غدوا على القتال وركب قيس بن عاصم وركبت مذحج واقتتلوا أشد من القتال الاول فكان أول من انهزم من مذحج مذحج الرياح وهو عامر بن الجون بن عبد الله الجرمي وكان صاحب لوائهم فالقى اللواء وهرب

على صحته الشيخان في كتابيهما * (وما ورد في فضل الامين يوم الطوفة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) *
يكنى ابا محمد ولد بعد الفيل بعشر سنين مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله خمس وسبعون سنة وصلى عليه عثمان ابن عفان رضي الله عنه عن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي بالناس فاراد ان يتأخر فاومأ اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان امكث مكانك قال فصلى النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة عبد الرحمن ابن عوف عن عبد الله بن أبي اوفى قال شكا عبد الرحمن بن عوف خالد ابن الوليد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله يا خالد لا تؤذ رجلا من اهل بدر لو انفقت مثل أحد ذهبا لم تبلغ عمله عن الزهري عن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف قال اغمي على عبد الرحمن في وجعه فظنوا انه قد فاضت نفسه ثم افاق فقال انه أتاني ملكان فظان غليظان فقالا لي انطلق بنا نحاكمك الى العزيز الامين قال فلقيهما ملك فقال الى أين تذهبان به فقالا نحاكمه الى العزيز الامين قال خليا عنه فانه ممن سبقت له السعادة وهو في بطن امه * (وما ورد في فضل سعد الرماة بالاخلاص سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) * يكنى ابا اسحق مات بالمدينة في ولاية معاوية سنة خمس وخمسين وهو ابن ثلاث وثمانين سنة أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة وكان آخر المهاجرين وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله الى المشركين وكان مجاب الدعوة لما روى ان رسول الله

وأما بنو عامر بالجفا * رو يوم المسارف كانوا انعاما

فلما اكثر بشر على بني تميم قيل له مالك ولتميم وهم أقرب الناس منك أرحاما فقال اذا فرغت منهم فرغت من الناس ولم يبق أحد

(يوم الصفقة والكلاب الثاني)

أما يوم الصفقة وسببه فان باذان نائب كسرى ابرويز بن هرمز باليمن أرسل اليه حملا من اليمن فلما بلغ الحمل الى نطاع من أرض نجد اغارت تميم عليه وانتهبوه وسلبوا رسل كسرى واساورته فقدموا على هوذة بن على الحنفي صاحب اليمامة مسلوبين فاحسن اليهم وكساهم وقد كان قبل هذا اذا أرسل كسرى لطيمة تباع باليمن يجهز رسله ويخفرهم ويحسن جوارهم وكان كسرى يشتهي ان يراه ليجازيه على فعله فلما أحسن اخيرا الى هؤلاء الرسل الذين أخذتهم تميم قالوا له ان الملك لا يزال يذكرك ويؤثر ان تقدم عليه فسار معهم اليه فلما قدم عليه أكرمه وأحسن اليه وجعل يحادثه لينظر عقله فرأى ماسره فامر له بمال كثير وتوجه بتاج من تيجانه واقطعه اموالا بهجر وكان هوذة نصرانيا وأمره كسرى ان يغزو هو والمكعبر مع عساكر كسرى بني تميم فساروا الى هجر ونزلوا بالمشقر وخاف المكعبر وهوذة ان يدخلا بلاد تميم لانها لاتحتملها العجم وأهلها يمتنعون فبعثا رجالا من بني تميم يدعونهم الى الميرة وكانت شديدة فاقبلوا على كل صعب وذلول فجعل المكعبر يدخلهم الحصن خمسة خمسة وعشرة عشرة وأقل وأكثر يدخلهم من باب على انه يخرجهم من آخر فكل من دخل ضرب عنقه فلما طال ذلك عليهم ورأوا ان الناس يدخلون ولا يخرجون بعثوا رجالا يستعلمون الخبر فشد رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها وخرج من كان بالباب فامر المكعبر بغلق الباب وقتل كل من كان بالمدينة وكان يوم الفصح فاستوهب هوذة منه مائة رجل فكساهم وأطلقهم يوم الفصح فقال الاعشى من قصيدة يمدح هوذة

بهم يقرب يوم الفصح ضاحية * يرجو الاله بما أسدى وما صنعا

فصار يوم المشقر مثلا وهو يوم الصفقة لاصفاق الباب وهو اغلاقه وكان يوم الصفقة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد لم يهاجر * وأما يوم الكلاب الثاني فان رجلا من بني قيس بن ثعلبة قدم أرض نجران على بني الحرث بن كعب وهم اخواله فسألوه عن الناس خلفه فحدثهم انه أصفق على بني تميم باب المشقر وقتلت المقاتلة وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لامانع لها فاجتمعت بنو الحرث من مذحج واحلافها من نهد وجرم بن ريان فاجتمعوا في عسكر عظيم بلغوا ثمانية آلاف ولا يعلم في الجاهلية جيش اكثر منه ومن جيش كسرى بذى قار ومن يوم جبلة وساروا يريدون بني تميم فحذرهم كاهن كان مع بني الحرث واسمه سلمة بن المغفل وقال انكم تسيرون اعبانا وتغزون احيانا سعدا وربانا وتردون مياها جبابا فتلقون عليها ضرابا وتكون غنيمتكم ترابا فاطيعوا أمري ولا تغزوا تميما فعصوه وساروا الى عروة فبلغ الخبر تميما فاجتمع ذوو الرأي منهم الى اكثم بن صيفي وله يومئذ مائة وتسعون سنة فقالوا له يا ابا حيدة حقق هذا

الامر

حتى كانت له بالعراق وكان ثلثمائة ألف فقبض المال فلما أصبحت دعاني ودعا بالمال حتى نثره من أوعيته فجعله صررا بين يديه فما زال يفرقه لمن حوله ولجيرانه من الفقراء حتى فضلت فضلة أعطاها السعدي بنت عوف حتى لم يبق منه شيء فرأيته في ذلك اليوم وهو يجمع بين طرفي ازاره ويخيطه بيده *(وما ورد في حواري خير الانام ابي عبد الله الزبير بن العوام)* رضي الله عنه يكنى أبا عبد الله اسلم وهو ابن ثمان سنين استشهد بناحية البصرة وهو ابن بضع وخمسين سنة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر القوم يوم الاحزاب قال فقال الزبير انا ثم قال صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر القوم فقال الزبير انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وان حواري الزبير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو تركت تركة أو عهدت الى احد لعهدت الى الزبير انه ركن من اركان الدين قال الزبير ابن العوام ما مني موضع الا وقد جرح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن الزبير قال كنت يوم الاحزاب وجعلت انا وعمرو بن أبي سلمة في النساء فنظرت فاذا أنا بالزبير على فرسه يختلف الى بني قريظة مرتين أو ثلاثا فلما رجعت قلت يا ابت رأيتك تختلف قال وهل رأيتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال فداك أبي وامي اتفق

ولا مالا الا منه ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من أهل لأم بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم انا اهجوه لكم فاعطوه النوق وهجاه فافحش في هجائه وذكر أمه سعدى فلما عرف أوس ذلك أغار على النوق فاكتسحها وطلبه فهرب منه والتجأ الى بني أسد عشيرته فمنعوه منه ورأوا تسليمه اليه عارا فجمع أوس جديلة طيء وسار بهم الى أسد فالتقوا بظهر الدهناء تلقاء تيم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو أسد وقتلوا قتلا ذريعا وهرب بشر فجعل لا يأتي حيا يطلب جوارهم الا امتنع من اجارته على أوس ثم نزل على جندب بن حصن الكلابي باعلى الصمان فارسل اليه أوس يطلب منه بشرا فارسله اليه فلما قدم به على اوس أشار عليه قومه بقتله فدخل على امه سعدى فاستشارها فأشارت ان يرد عليه ماله ويعفو عنه ويحبوه فانه لا يغسل هجاءه الا مدحه فقبل ما أشارت به وخرج اليه وقال يا بشر ماترى اني اصنع بك فقال

اني لارجو منك يا أوس نعمة * واني لاخرى منك يا اوس راهب

واني لامحو بالذي انا صادق * به كل ماقد قلت اذ أنا كاذب

فهل نافعي في اليوم عندك انني * ساشكر ان انعمت والشكر واجب

فدى لابن سعدى اليوم كل عشيرتي * بني اسد اقصاهم والاقارب

تداركني اوس بن سعدى بنعمة * وقد امكنته من يدي العواقب

فمن عليه اوس وحمله على فرس جواد ورد عليه ماكان أخذ منه واعطاه من ماله مائة من الابل فقال بشر لا جرم لا مدحت احدا حتى اموت غيرك ومدحه بقصيدته المشهورة التي اولها

أتعرف من هنيدة رسم دار * بخربي ذروة فالى لواها

ومنها منزل بيراق خبت * عفت حقبا وغيرها بلاها

وهي طويلة

(يوم الوقيط)

وكان من حديثه ان اللهازم تجمعت وهي قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومعها عجل بن لجيم وعنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار لتغير على بني تميم وهم غارون فرأى ذلك الاعور وهو ناشب بن بشامة العنبري وكان اسيرا في قيس بن ثعلبة فقال لهم اعطوني رجلا ارسله الى اهلي أوصيهم ببعض حاجتي فقالوا له ترسله ونحن حضور قال نعم فأتوه بغلام مولد فقال أتيتموني باحمق فقال الغلام والله ما انا باحمق فقال اني اراك مجنونا قال والله ما بي جنون قال اتعقل قال نعم اني لعاقل قال فالنيران اكثر ام الكواكب قال الكواكب وكل كثيرة فملأ كفه رملا وقال كم في كفي قال لا ادري فانه لكثير فاومأ الى الشمس بيده وقال ما تلك قال الشمس قال ما اراك الا عاقلا اذهب الى قومي فأبلغهم السلام وقل لهم ليحسنوا الى اسيرهم فاني عند قوم يحسنون الي ويكرمونني وقل لهم فليعروا جملي الاحمر ويركبوا ناقتي العيساء وليرعوا حاجتي في بني

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان أبو بكر رضي الله عنه يحدث عن يوم احد فقال انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج وجهه وقد دخل في جبينه حلقتان من حلق المغفر فذهبت لانزع ذلك من وجهه فقال أبو عبيدة أقسمت عليك بحق عليك الا ماتركتني فتركته فكره ان يتناولها بيده فيؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فأزم عليها بفيه فاستخرج احدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبت لاصنع كما صنع فقال اقسمت بحق عليك الا ماتركتني قال ففعل مافعل في المرة الاولى فوقعت ثنيته الاخرى مع الحلقة وكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما *(وما ورد في فضل المقربين يوم الورود عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)* عن شقيق بن سلمة قال كنت جالسا مع حذيفة فمر عبد الله ابن مسعود فقال حذيفة ان اقرب الناس هديا ودلا وسمتا برسول الله صلى الله عليه وسلم لابن ام عبد ولقد علم المحفوظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان عبد الله اقربهم وسيلة الى الله يوم القيامة عن أبي عبيدة قال قال عبد الله بن مسعود خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا حاجة فاتبعته جباه فقال من أمرك بهذا فقلت ما امرني احد فقال عليه السلام اتبشر بالجنة عن عبد الله انه كان في المسجد يدعو فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو فقال صلى الله عليه وسلم سل تعطه وهو يقول اللهم اسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى غرفة جنة الخلد

فلحقه رجل من بنى سعد فعقر به دابته فنزل يهرب ماشيا ونادى قيس بن عاصم يا آل تميم عليكم الفرسان ودعوا الرجالة فانها لكم وجعل يلتقط الاسارى وأسر عبد يغوث ابن الحرث بن وقاص الحارثى رئيس مذحج فقتل بالنعمان بن مالك بن جساس وكان عبد يغوث شاعرا فشدوا لسانه قبل قتله لئلا يهجوهم فأشار اليهم ليحلوا لسانه ولا يهجوهم فخلوه فقال شعرا

ألا لاتلومانى كفى اللوم مابيا * فمالكما فى اللوم نفع ولاليا
الم تعلما ان الملامة نفعها * قليل ومالومى أخى من شماليا
فياراكبا اما عرضت فبلغن * نداماى من نجران أن لا تلاقيا
اباكرب والايهمين كليهما * وقيسا باعلى حضرموت اليمانيا
أقول وقدشدوا لسانى بنسعة * معاشرتيم اطلقوا من لسانيا
كأنى لم اركب جوادا ولم أقل * لخيلى كرى كرة من ورائيا
ولم أسبأ الزق الروى ولم اقل * لايسار صدق عظموا ضوء ناريا
وقد علمت عرسى مليكة اننى * انا الليث معدوا عليه وعاديا
جزى الله قوما بالكلاب شهدتهم * صميمهم والتابعين المواليا
ولوشئت نجتنى من القوم شطبة * ترى خلفها الكمت العتاق تواليا
وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا * لبيق بتصريف القناة بنانيا
فيا عاص فك القيد عنى فاننى * صبور على مر الحوادث ناكيا
فان تقتلونى تقتلوا بى سيدا * وان تطلقونى تحربونى ماليا

أبو كرب بشر بن علقمة بن الحرث والايهمان الاسود بن علقمة بن الحرث والعاقب وهو عبد المسيح بن الابيض وقيس بن معديكرب فزعموا ان قيسا قال لو جعلنى أولى القوم لافتديته بكل ما املك ثم قتل ولم يقبل له فدية (رباب بالراء والباء الموحدة)

(يوم ظهر الدهناء)

وهو يوم بين طئ وأسد بن خزيمة وسببه ذلك ان أوس بن حارثة بن لأم الطائى كان سيدا مطاعا فى قومه وجوادا مقصدا فوفد هو وحاتم الطائى على عمرو بن هند فدعا عمرو أوسا فقال له أنت أفضل ام حاتم فقال ابيت اللعن ان حاتما أوحدها وأنا احدها ولو ملكنى حاتم وولدى وحاتى لوهبنا فى غداة واحدة ثم دعا عمرو حاتما فقال له أنت افضل أم أوس فقال ابيت اللعن انما ذكرت أوسا ولاحد ولده أفضل منى فاستحسن ذلك منهما وحباهما واكرمهما ثم ان وفود العرب من كل حى اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس فدعا بحلة من حلل الملوك وقال للوفود احضروا فى غد فانى ملبس هذه الحلة اكرمكم فلما كان الغد حضر القوم جميعا الا أوسا فقيل له لم تتخلف فقال ان كان المراد غيرى فاجمل الاشياء أن لا اكون حاضرا وان كنت المراد فسأطلب فلما جلس النعمان ولم ير أوسا قال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت فحضر فالبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال كيف اهجو رجلا لا أرى فى بيتى اثاثا

صلى الله عليه وسلم قال اللهم استجب لسعد اذا دعاك عن عبد الرحمن بن قتيبة عن جده قال دعا سعد بن أبى وقاص فقال يارب لى بنون صغار فاخر عنى الموت حتى يبلغوا فاخر الله عنه الموت عشرين سنة عن عائشة رضى الله عنها قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة سهر فقال ليت رجلا صالحا يحرسنا الليلة فبينما نحن كذلك اذ سمعت صوت السلاح فقال من هذا فقال أنا سعد بن ابى وقاص جئت لاحرسك الليلة فجلس ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه *(وما ورد فى فضل السالم من النكد سعيد بن زيد رضى الله عنه)* يكنى أبا الاعور أسلم قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه مات سنة احدى وخمسين وغسله سعد بن ابى وقاص وصلى عليه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ودفن بالمدينة وكان سنه بضعا وسبعين سنة وهو احد العشرة المبشرة روى انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان زيدا كان كما رأيت أوكما بلغك فاستغفر له قال نعم واستغفر له وقال صلى الله عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة أمة وحده *(وما ورد فى فضل حسن العزبة والاقتراح أبى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه)* مات بالشام فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة وقبره ببيسان وله قبر يزار ويتبرك به توفى وهو ابن ثمان وخمسين سنة وصلى عليه معاذ بن جبل انزل الله فيه لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وهو الذى قتل أباه مشركا بيده يوم بدر عن أنس

عبد الله بن سلمة العامري بعكاظ فقال بجير اقعنب ما فعلت فرسك البيضاء قال هي عندي وما سؤالك عنها قال لانها نجتك مني يوم كذا وكذا فانكر قعنب ذلك وتلاعنا وتداعيا ان يجعل الله ميتة الكاذب بيد الصادق فمكثا ما شاء الله وجمع بجير بني عامر وسار بهم فاغار على بني العنبر بن عمرو بن تميم بأرم الكلبة وهم خلوف فاستاق السبي والنعم ولم يلق قتالا شديدا وأتى الصريخ بني العنبر بن عمرو بن تميم وبني مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبني يربوع بن حنظلة فركبوا في الطلب فتقدمت عمرو بن تميم فلما انتهى بجير الى المروت قال يا بني عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا عارضة رماحها على كواهل خيلها قال هذه عمرو بن تميم وليست بشيء فلحق بهم بنو عمرو فقاتلوهم شيأ من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بجير ثم قال يا بني عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا ناصبة رماحها قال هذه مالك بن حنظلة وليست بشيء فلحقوا فقاتلوا شيأ من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بجير وقال يا بني عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا ليست معها رماح وكأنما عليها الصبيان قال هذه يربوع رماحها بين آذان خيلها اياكم والموت الزؤام فاصبروا ولا ارى أن تنجوا فكان أول من لحق من بني يربوع الواقعة وهو نعيم بن عتاب وكان يسمى الواقعة لبليته فحمل على المثلم القشيري فاسره وحملت قشير على دوكس بن واقد بن حوط فقتلوه وأسر نعيم الصمق القشيري فقتله وحمل كدام بن بجيلة المازني على بجير فعانقه ولم يكن لقعنب همة الا بجير فنظر اليه والى كدام قد تعانقا فاقبل نحوهما فقال كدام يا قعنب اسيري فقال قعنب مازرأسك والسيف يريد يا مازني خل عنه كدام وشد عليه قعنب فضربه فقتله وحمل قعنب أيضا على صهبان وأم صهبان مازنية فاسره فقالت بنو مازن يا قعنب قتلت أسيرنا فاعطنا ابن أختنا مكانه فدفع اليهم صهبان في بجير فرضوا بذلك واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر وعادوا (بجير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة)

(يوم فيف الريح)

وهو بين عامر بن صعصعة والحرث بن كعب وكان خبره ان بني عامر كانت تطالب بني الحرث ابن كعب باوتار كثيرة فجمع لهم الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي وهو ذو الغصة واستعان بجعفة زبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد وخثعم وشهران وناهس ثم أقبلوا يريدون بني عامر وهم منتجعون مكانا يقال له فيف الريح ومع مذحج النساء والذراري حتى لا يفروا فاجتمعت بنو عامر فقال لهم عامر بن الطفيل اغيروا بنا على القوم فاني أرجو أن نأخذ غنائمهم ونسبي نساءهم ولا تدعوهم يدخلون عليكم فاجابوه الى ذلك وساروا اليهم فلما دنوا من بني الحرث ومذحج ومن معهم أخبرتهم عيونهم وعادت اليهم مشايخهم فحذروا فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام يغادونهم القتال بفيف الريح فالتقى الصميل بن الاعور الكلابي وعمرو بن صبيح النهدي فطعنه عمرو فاعتنق الصميل فرسه وعاد فلقيه رجل من خثعم فقتله وأخذ درعه وفرسه وشهدت بنو نمير يومئذ مع عامر ابن الطفيل فابلوا بلاء حسنا وسموا ذلك اليوم حريجة الطعان لانهم اجتمعوا برماحهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت هذه الآية وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم انها نزلت في قالوا اللهم نعم سمعنا انها نزلت فيك قال وأشهدكم بالله هل فيكم من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن عنده علم الكتاب انها نزلت في قالوا اللهم نعم سمعنا أو بلغنا قال فاني أشهد اني قرأت الكتاب الاول والكتاب المنزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم فقرأت في الكتاب الاول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أبا بكر خير الناس بعده وان عمر خير الناس بعد ابي بكر وان عثمان خير الناس بعد عمر ذي النورين فلا تقتلوه فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقي الله أجذم لا يد له

(وما ورد في فضل المستبشر بموته أهل السماء سعد بن معاذ الحكم في الاعداء رضي الله عنه) عن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام حتى أمسى فلما استيقظ جاءه جبريل فقال له رجل من أمتك

مالك واخبرهم ان العوسج قد اورق وان النساء قد اشتكت وليعصوا همام بن بشامة فانه مشؤم مجدود وليطيعوا هذيل بن الاخنس فانه حازم ميمون واسألوا الحرث عن خبري وسار الرسول فاتى قومه فابلغهم فلم يدروا ما أراد فاحضروا الحرث وقصوا عليه خبر الرسول فقال للرسول اقصص على أول قصتك فقص عليه أول ما كلمه حتى اتى على آخره فقال ابلغه التحية والسلام واخبره انا سنتوصى بما اوصى به فعاد الرسول ثم قال لبنى العنبران صاحبكم قد بين لكم أما الرمل الذى جعل فى كفه فانه يخبركم انه قد اتاكم عدد لا يحصى واما الشمس التى اوما اليها فانه يقول ذلك اوضح من الشمس واما جمله الاحمر فالصمان فانه يأمركم ان تعروه يعنى ترتحلوا عنه واما ناقته العيساء فانه يأمركم ان تحترزوا فى الدهناء واما بنو مالك فانه يأمركم أن تنذروهم معكم واما ايراق العوسج فان القوم قد لبسوا السلاح واما اشتكاء النساء فانه يريد ان النساء قد خرزن الشكاء وهى اسقية الماء للغزو فحذر بنو العنبر وركبوا الدهناء وانذروا بنى مالك فلم يقبلوا منهم ثم ان اللهازم وعجلا وعنزة اتوا بنى حنظلة فوجدوا عمرا قد اجلت فاوقعوا ببنى دارم بالوقيط فاقتتلوا قتالا شديدا وعظمت الحرب بينهم فاسرت ربيعة جماعة من رؤساء بنى تميم منهم ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة فجز ناصيته واطلقوه واسروا عثجل بن المأمون بن زرارة وجويرية بن بدر بن عبد الله بن دارم ولم يزل فى الوثاق حتى رآهم يوما يشربون فانشأ يتغنى يسمعهم ما يقول

وقائلة ما غاله ان يزورنا * وقد كنت عن تلك الزيارة فى شغل
وقد ادركتنى والحوادث جمة * مخالب قوم لا ضعاف ولا عزل
سراع الى الجلى بطاء عن الخنا * رزان لدى البازين فى غير ما جهل
لعلهم ان يمطرونى بنعمة * كما صاب ماء المزن فى البلد المحل
فقد ينعش الله الفتى بعد ذلة * وقد تبتنى الحسنى سراة بنى عجل

فلما سمعوا الابيات اطلقوه واسر أيضا نعيم وعوف ابنا القعقاع بن معبد بن زرارة وغيرهما من سادات بنى تميم وقتل حكيم بن النهشلى ولم يشهدها من نهشل غيره وعادت بكر فرت بطريقها بعد الوقعة بثلاثة بجذيمة بن الاصبغ نفر من بنى العنبر لم يكونوا ارتحلوا مع قومهم فلما رأوهم طردوا ابلهم فاحرزوها من بكر واكثر الشعراء فى هذا اليوم فمن ذلك قول ابى مهوش الفقعسى يعير تميما يوم الوقيط

فما قاتلت يوم الوقيط بن نهشل * ولا الانكد الشؤمى فقيم بن دارم
ولا فضب عوف رجال مجاشع * ولا قشر الاستاه غير البراجم

وقال أبو الطفيل عمرو بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد

حكت تميم بركها لما التقت * راياتنا كحكو اسر العقبان
دهموا الوقيط بجحفل بجم الوغى * ورماحها كنوازع الاشطان

(يوم المروت)

وهو يوم بنى تميم وعامر بن صعصعة وكان سببه انه التقى قعنب بن عتاب الرياحى وبحير بن

(وما ورد فى فضل الشاهد بصدق الاعلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه) وكان اسمه قبل اسلامه

اشماويل عن عامر بن سعد عن أبيه قال ما سمعت أحدا يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة الا عبد الله بن سلام وكان سبب اسلامه ما رواه عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قال لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر وأرسل لهم كتابا وكان كبيرهم وعالمهم عبد الله بن سلام أتوا له واستشاروه فقال لهم قد علمتم ان فى التوراة علامات تعرفونها بشر به موسى بن عمران وان محمدا رجل أمى لا يكتب ولا يقرأ فأنا استخرج من التوراة ألفا واربعمائة مسئلة واربع مسائل من غوامضها وأتوجه بها اليه فان عرفها وأجاب عنها فهو الذى بشر به موسى بن عمران فنؤمن به فأجابوه الى الذى قال فاستخرج المسائل من التوراة وتوجه الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما اجتمع به قال انا رسول اليهود جئت لاسألك عن مسائل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما بدا لك من المسائل يا ابن سلام فقد اخبرنى بها جبريل وان شئت اخبرتك بها قبل ان تتفوه بالكلام فسكت فلما اجابه عن جميع ما سأله قال صدقت يا رسول الله ونهض قائما على قدميه وقال امدد يدك الكريمة لتشملنى بركتها فأنا أشهد ان لا اله الا الله واشهد انك يا محمد رسول الله فكبرت الصحابة عند ذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من اكابر الصحابة وروى ان الناس لما حصروا عثمان يوم الدار جاء عبد الله بن سلام قال انشدكم الله هل فيكم من سمع

فمن مثلنا يوما اذا الحرب شمرت * ومن مثلنا يوما اذا الخطب ناسب
فان تقطعي أو تزيدي مساءتي * فقد قطع الخوف المخوف ركائبي

وبلغ الغوث جمع أوس لها ووقدت النار على مناع وهي ذروة اجأ وذلك أول يوم توقد عليه النار فأقبلت قبائل الغوث كل قبيلة وعليها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم وأقبلت جديلة مجتمعة على اوس بن حارثة بن لأم وحلف أوس أن لا يرجع عن طيء حتى ينزل معها جبليها أجأ وسلمى ويجلي له أهلها وتزاحفوا والتقوا بغارات حوق على راياتهم فاقتتلوا قتالا شديدا ودارت الحرب على بني كاد بن جندب فأبيروا قال عدي بن حاتم انى لواقف يوم اليحاميم والناس يقتتلون اذ نظرت الى زيد الخيل قد حضر ابنيه مكنفا وحريثا في شعب لا منفذ له وهو يقول أي ابنيّ أبقيا على قومكما فان اليوم يوم التفانى فان يكن هؤلاء اعماما فهؤلاء أخوال فقلت كأنك قد كرهت قتال أخوالك قال فاحمرت عيناه غضبا وتطاول الي حتى نظرت الى ما تحته من سرجه ثم نخسه فضرب بي فرسي وتنحيت عنه واشتغل بنظره الي عن ابنيه فخرجا كالصقرين وحمل قيس بن عازب على بجير بن زيد الخيل بن حارثة بن لأم فضربه على رأسه فخر يعتنق لها بجير فرسه وولى فانهزمت جديلة عند ذلك وقتل فيها أقتل ذريع فقال زيد الخيل

تجيء بنو لأم جياداً كأنها * عصائب طير يوم طل وحاصب
فان تنج منها بالا يزل بشامة * أنا حبا بين الشجى والترائب
وفر ابن لأم واتقانا بظهره * يرد عنه بالرمح قيس بن عازب
وجاءت بنو معن كأن سيوفهم * مصابيح من سقف فليس بآيب
وما فر حتى أسلم ابن حارس * لوقعة مصقول من البيض قاضب

فلم تبق بجديلة بقية للحرب بعد يوم اليحاميم فدخلوا بلاد كلب فحالفوهم وأقاموا معهم

(يوم ذي طلوح)

وهو يوم الصمد ويوم أود أيضا وهو بين بكر وتميم وكان من حديثه ان عميرة بن طارق بن ارقم اليربوعي التميمي تزوج مرية بنت جابر العجلي أخت أبجر وسار الى عجل ليبتني بأهله وكان له في بني تميم امرأة أخرى تعرف بابنة النطف من بني تميم فأتى أبجر أخته يزورها وزوجها عندها فقال لها أبجر انى لارجو أن آتيك بابنة النطف امرأة عميرة فقال له ما أراك تبقى على حتى تسلبني أهلي فندم أبجر وقال له ما كنت لاغزو قومك ولكني متاسرف هذا الحي من تميم وجمع أبجر والحوفزان بن شريك الشيباني الحوفزان على شيبان وأبجر على اللهازم ووكلا بعميرة من يحرسه لئلا يأتي قومه فينذرهم فسار الجيش فاحتال عميرة على الموكل بحفظه وهرب منه وجد السير الى أن وصل الى بني يربوع فقال لهم قد غزاكم الجيش من بكر بن وائل فأعلوا بني ثعلبة بطنا منهم فأرسلوا طليعة منهم فبقوا ثلاثة أيام ووصلت بكر فركبت يربوع والتقوا بذي طلوح فركب عميرة ولقي أبجر فعرفه نفسه والتقى القوم واقتتلوا فكان الظفر ليربوع وانهزمت بكر وأسر الحوفزان وابنه شريك وابن عنمة الشاعر وكان مع بني شيبان فافتكه متمم بن نويرة وأسر أكثر الجيش البكري وقال

قريظة لما نزلوا على حكم سعد ارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم فجاء على حمار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم او الى خيركم

(وما ورد في فضل المهاجرين الذين ايد الله بهم الدين رضي الله عنهم) عن صهيب عن ابي بريدة عن ابيه قال انكشف الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء التي اهداها له المقوقس وزيد آخذ بركاب بغلته فقال النبي لزيد ويحك ادع الناس فقال زيد يا أيها الناس هذا رسول الله يدعوكم فلم يأت أحد فقال ويحك ادع الناس فنادى يا معشر الانصار هذا رسول الله فلم يأته أحد فقال ويحك خص الاوس والخزرج فقال زيد يا معشر الاوس والخزرج فلم يأت احد فقال ويحك ناد المهاجرين فان لله في اعناقهم بيعة فقال يا معشر المهاجرين هذا رسول الله يدعوكم قال بريدة فاقبل منهم طائفة قد

فصاروا بمنزلة الحرجة وهي شجر مجتمع وسبب اجتماعهم ان بني عامر جالوا جولة الى موضع
يقال له العرقوب والتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني نمير فوجدهم قد ثبتوا في
المعركة فرجع وهو يصيح يا صباحاه يا نميراه ولا نمير لي بعد اليوم حتى اقحم فرسه وسط القوم
فقويت نفوسهم وعادت بنو عامر وقد طعن عامر بن الطفيل ما بين ثغرة نحره الى سرته
عشرين طعنة وكان عامر في ذلك اليوم يتعهد الناس فيقول يا فلان ما رأيتك فعلت شيأ
فمن أبلى فليرني سيفه أو رمحه ومن لم يبل شيأ تقدم فأبلى فكان كل من ابلى بلاء حسنا أتاه
فأراه الدم على سنان رمحه أو سيفه فأتاه رجل من الحارثيين اسمه مسهر فقال له يا أبا علي
انظر ما صنعت بالقوم انظر الى رمحي فلما أقبل عليه عامر ينظر وجأه بالرمح في وجنته
ففلقها وفقأ عينه وترك رمحه وعاد الى قومه وانما دعاه الى ذلك ما رآه يفعل بقومه فقال
هذا والله مسهر قومي فقال عامر بن الطفيل

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلب طرا في جياد السنور
لعمري وما عمري علي بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
فبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا * جبانا وما أغنى لدى كل محضر

وأسرت بنو عامر يومئذ سيدهم ادبر بها فلما رأى من جراحته أطلق وممن أبلى يومئذ
أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر وعبيدة بن شريح بن الاحوص بن جعفر وقال لبيد
ابن ربيعة ويقال انها لعامر بن الطفيل

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلبها في مثل بكر بن وائل
فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا * يبت عن قرى أضيافه غير غافل
أعاذل لو كان البداد لقوتلوا * ولكن أتانا كل جن وخابل
وخثعم حي يعدلون بمذحج * فهل نحن الا مثل احدى القبائل

وأسرع القتل في الفريقين جميعا ثم انهم افترقوا ولم يشتغل بعضهم عن بعض بغنيمة وكان
الصبر فيها والشرف لبني عامر

(يوم الجماجم ويعرف أيضا بقارات حوق)

وهو بين قبائل طيئ بعضها في بعض وكان سبب ذلك ان الحرث بن جبلة الغساني كان قد
أصلح بين طيئ فلما هلك عادت الى حربها فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال له غرثان
فقتل قائد بني جديلة وهو أسبع بن عمرو بن لأم عم أوس بن خالد بن حارثة بن لأم وأخذ
رجل من سنبس يقال له مصعب اذنيه فخصف بهما نعليه وفي ذلك يقول أبو سروة السنبسي

نخصف بالآذان منكم نعالنا * ونشرب كرها منكم في الجماجم

وتناقل الشعراء في ذلك أشعارا كثيرة وعظم ما صنعت الغوث على أوس بن خالد بن لأم
وعزم على لقاء الحرب بنفسه وكان لم يشهد الحروب المتقدمة هو ولا أحد من رؤساء طيئ
كحاتم بن عبد الله وزيد الخيل وغيرهم من الرؤساء فلما تجهز أوس للحرب وأخذ في جمع
جديلة وافقها قال أبو جابر

أقيموا علينا القصد يا آل طيئ * والا فان الصلح عند القواضب

الا لقد استبشر بموته أهل السماء
فقال صلى الله عليه وسلم لا الاه
الا ان سعد بن معاذ امسى دفنا
فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل
سعد فقالوا يا رسول الله قد قبض
وجاءه قومه فاحتملوه الى ديارهم
قال فصلى بالناس صلاة الصبح ثم
خرج وخرج الناس معه مشفقين
رسول الله وهو يغسل فجلس
صلى الله عليه وسلم على ركبته
وجمع نفسه فسئل عن ذلك فقال
دخل ملك فلم يجد مجلسا فاوسعت
له * عن عبد الرحمن بن عوف ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يوم مات سعد لقد نزل سبعون
ألف ملك شهدوا جنازة سعد
ما وطئوا الارض قبل ذلك اليوم
* عن محمد بن شرحبيل ان رجلا
أخذ من تراب سعد بن معاذ رضي
الله عنه يوم دفن ففتحها بعد ذلك
فاذا هي مسك * عن أبي سعيد قال
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهتز العرش لموت سعد بن
معاذ وفتحت له ابواب السماء * عن
أبي سعيد الخدري قال ان اهل

ابن خويلد الصعق الى وبرة بن روماس أخى النعمان فاعجبه هيئته فحمل عليه فأسره فلما صار فى أيديهم هزم الجيش بالهزيمة فنهاهم ضرار بن عمرو الضبى وقام بأمر الناس فقاتل هو وبنوه قتالا شديدا فلما رآه أبو براء عامر بن مالك ما يصنع ببنى عامر هو وبنوه حمل عليه وكان أبو براء رجلا شديد الساعد فلما حمل على ضرار اقتتلا فسقط ضرار الى الارض وقاتل عليه بنوه حتى خلصوه وركب وكان شيخا فلما ركب قال من سره بنوه ساءته نفسه فذهبت مثلا يعنى من سره بنوه اذا صار وا رجالا كبر وضعف فساءه ذلك وجعل أبو براء يلح على ضرار طمعا فى فدائه وجعل بنوه يحمونه فلما رأى ذلك أبو براء قال له لتموتن أو لاموتن دونك فاحلنى على رجل له فداء فأومأ ضرار الى حبيش بن دلف وكان سيدا فحمل عليه أبو براء فأسره وكان حبيش اسود نحيفا دميما فلما رآه كذلك ظنه عبدا وان ضرارا خدعه فقال انا لله أعز سائر القوم ألا فى الشوم وقعت فلما سمعها حبيش منه خاف أن يقتله فقال أيها الرجل ان كنت تريد اللبن يعنى الابل فقد أصبته فافتدى نفسه باربعمائة بعير وهزم جيش النعمان فلما رجع الفل اليه أخبروه بأسر أخيه وبقيام ضرار بأمر الناس وما جرى له مع أبى براء وافتدى وبرة بن روماس نفسه بالف بعير وفرس من يزيد بن الصعق فاستغنى يزيد وكان قبله خفيف الحال وقال لبيد يذكر أيام قومه

انى امرؤ منعت أرومة عامر ✻ ضيمى وقد حنقت على خصوم

يقول فيها

وغداة قاع القريتين أتاهم ✻ رهوا يلوح خلالها التسويم

بكتائب رجح تعود كبشها ✻ نطح الكباش كأنهن نجوم

قوله قاع القريتين يعنى يوم السلان (حبيش بن دلف بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة وبالياء المثناة من تحتها نقطتان وآخره شين معجمة)

✻(يوم ذى علق)✻

وهو يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد بذى علق فاقتتلوا قتالا عظيما فقتل فى المعركة ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى ابو لبيد الشاعر وانهزمت عامر فتبعهم خالد بن نضلة الاسدى وابنه حبيب والحرث بن خالد بن المضلل وامعنوا فى الطلب فلم يشعروا الا وقد خرج عليهم ابو براء عامر بن مالك من ورائهم وهم فى نفر من أصحابه فقال لخالد يا ابا معقل ان شئت أجرتنا وأجرناك حتى نحمل جرحانا وندفن قتلانا قال قد فعلت فتواقفوا فقال له أبو براء هل علمت ما فعل ربيعة قال نعم تركته قتيلا قال ومن قتله قال ضربته انا واجهز عليه صامت بن الافقم فلما سمع ابو براء بقتل ربيعة حمل على خالد هو ومن معه فاسرهم خالد وصاحباه وأخذوا سلاح حبيب بن خالد ولحقهم بنو اسد فمنعوا أصحابهم وحموهم فقال الجميح

سائل معدا عن الفوارس لا ✻ اوفوا بجيرانهم ولا سلوا

يسعى بهم قرزل ويستمع الناس اليهم وتخفق اللمم

ركضا وقد غادروا ربيعة فى الآثار لما تقارب النسم

فى صدره صعدة ويجلبه ✻ بالرمح حران باسلا أضم

صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الانصار أحبه الله تعالى حين يلقاه ومن أبغض الانصار أبغضه الله تعالى يوم القيامة عن البراء بن عازب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب الانصار فبحبى أحبهم ومن أبغض الانصار فببغضى أبغضهم وعن أنس بن مالك انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار

✻(وما ورد فى فضل جماعة من أعلام الدين الذين اختصهم بالشرف خاتم النبيين رضى الله عنهم)✻

عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتى بامتى ابو بكر وأشدها فى دين الله عمر وأصدقها حياء عثمان واقضاهم على وأفرضهم زيد واقرؤهم ابى واعلمهم بالحلال والحرام معاذ وان لكل امة امينا وامين هذه

ابن عمة يشكر حقها

جزى الله رب الناس عنى حماته * جزاء الجزاء ما أعف وأجودا

اجيرت به ابناؤنا ودماؤنا * وشارك فى اطلاقنا وتفردا

أبا حنبل انى لكم غير كافر * ولا جاعل من دونك المال سرمدا

(يوم أقرن)

قال أبو عبيدة غزا عمرو بن عمرو بن عدس التميمى بنى عبس فاخذ ابلهم واستاق سبيهم وعاد حتى اذا كان أسفل ثنية أقرن نزل وابتنى بجارية من السبى ولحقه الطلب فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسى عمرا وابنه حنظلة واستردوا الغنيمة والسبى ففى جرير على بنى دارم ذلك فقال

أتنسون عمرا يوم برقة أقرن * وحنظلة المقتول اذ هو يافعا

وكان عمرو أسلع أبرص وكان هو ومن معه قد أخطؤا ثنية الطريق فى عودهم وسلكوا غير الطريق فسقطوا من الجبل الذى سلكوه فلقوا اشدة ففى ذلك يقول عنترة

كأن السرايا يوم نيق وصارة * عصائب طير ينتحين لمشرب

شفى النفس منى أو دنا لشفائها * تهورهم من حالق متصوب

وقد كنت أخشى أن أموت ولم تقم * مراتب عمرو وسط نوح مسلب

وكانت أم سماعة بن عمرو بن عمرو من عبس فزار خاله فقتله بابيه فقال فى ذلك مسكين الدارمى

وقاتل خاله بابيه منا * سماعة لم يبع نسبا بخال

(يوم السلان)

قال أبو عبيدة كان بنو عامر بن صعصعة حمسا والحمس قريش ومن له فيهم ولادة والحمس متشددون فى دينهم وكانت عامر أيضا لقاحا لا يدينون للملوك فلما ملك النعمان بن المنذر ملكه كسرى ابرويز وكان يجهز كل عام لطيمة وهى التجارة لتباع بعكاظ عرضت بنو عامر لبعض ما جهزه فاخذوه فغضب لذلك النعمان وبعث الى أخيه لامه وهو وبرة بن رومانس الكلبى وبعث الى صنائعه ووضائعه والصنائع من كان يصطنعه من العرب ليغزيه والوضائع هم الذين كانوا شبه المشايخ وأرسل الى بنى ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم فاجابوه فاتاه ضرار بن عمرو الضبى فى تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف وكان فارسا شجاعا فاجتمعوا فى جيش عظيم فجهز النعمان معهم عيرا وأمرهم بتسييرها وقال لهم اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل قوم الى بلادهم فاقصدوا بنى عامر فانهم قريب بنواحى السلان فخرجوا وكتموا أمرهم وقالوا خرجنا لئلا يعرض أحد للطيمة الملك فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم فارسل عبد الله بن جدعان قاصدا الى بنى عامر يعلمهم الخبر فسار اليهم وأخبرهم خبرهم فحذروا وتهيؤا للحرب وتحرزوا ووضعوا العيون وعاد عامر عليهم عامر بن مالك ملاعب الاسنة وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان فاقتتلوا قتالا شديدا فبيناهم يقتتلون اذ نظر يزيد بن عمرو

ابن

القوا الجفون او كسروها حتى اتوا النبى صلى الله عليه وسلم ثم مشوا قدما ففتح الله عليهم * عن زيد بن سلام انه اخبره انه سمع ابا سلام يقول حدثنى ابو اسماء الرحبى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من اليهود فذكر حديثا اختصرته انا فقال جئتك اسالك فقال صلى الله عليه وسلم سل مابدا لك فقال اليهودى اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظلمة دون الجسر قال فمن اول من يجوز فقال فقراء المهاجرين قال صدقت ثم ذكر حديثا طويلا * عن ابى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمهاجرين منابر من نور يجلسون عليها يوم القيامة قد امنوا من الفزع

(وما ورد من الاخبار فى فضائل الانصار رضى الله عنهم) عن الحرث بن زياد صاحب رسول الله

فادركوه وخلصوه وعيروه بجزعه وقال عروة بن الورد العبسي في ذلك

وكنّا صبحنا عامراً في ديارها * علالة أرماح وضرباً مذكرا
بكل رقاق الشفرتين مهند * ولدن من الخطي قد طرّ اسمرا
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم * ومقتلهم إذ يلتقي كان أعذرا

(يوم أعيار ويوم النقيعة)

كان المنذر بن المشجر العائذي ثم الضبي مجاوراً لبني عبس فتقامر هو وعمارة بن زياد وهو أحد الكملة فقمره عمارة حتى اجتمع عليه عشرة أبكر فطلب منه المنذر أن يخلي عنه حتى يأتي أهله فيرسل إليه بالذي له فأبى ذلك فرهنه ابنه شرحاف بن المنذر وخرج المنذر فأتى قومه فأخذ البكارة فأتى بها عمارة وافتك ابنه فلما انطلق بابنه قال له في الطريق يا أبتاه من معضال قال ذلك رجل من بني عمك ذهب فلم يوجد إلى الساعة قال شرحاف فإني قد عرفت قاتله قال أبوه ومن هو قال عمارة بن زياد سمعته يقول للقوم يوماً وقد أخذ فيه الشراب إنه قتله ولم يلق له طالباً ولبثوا بعد ذلك حيناً وشب شرحاف ثم إن عمارة جمع جمعاً عظيماً من عبس وغار بهم على بني ضبة فأخذوا إبلهم وركبت بنو ضبة فأدركوهم في المرعى فلما نظر شرحاف إلى عمارة قال يا عمارة أتعرفني قال من أنت قال أنا شرحاف أدّاني ابن عمي معضالاً لا مثل له يوم قتلته وحمل عليه فقتله واقتتلت ضبة وعبس قتالاً شديداً واستنقذت ضبة الإبل وقال شرحاف

ألا أبلغ سراة بني بغيض * بما لاقت سراة بني زياد
وما لاقت جذيمة إذ تحامى * وما لاقى الفوارس من بجاد
تركنا بالنقيعة آل عبس * شعاعاً يقتلون بكل واد
وما إن فاتنا إلا شريد * يؤم القفر في تيه البلاد
فسل عنا عمارة آل عبس * وسل ورداً وما كل بداد
تركتهم بوادي البطن رهناً * لسيدان القرارة والجلاد

(يوم النباة)

قال أبو عبيدة خرجت بنو عامر تريد غطفان لتدرك بثأرها يوم الرقم ويوم ساحوق فصادفت بني عبس وليس معهم أحد من غطفان وكانت عبس لم تشهد يوم الرقم ولا يوم ساحوق مع غطفان ولم يعينوهم على بني عامر وقيل بل شهدها أشجع وفزارة وغيرهما من بني غطفان على ما ذكره قال وأغارت بنو عامر على أمّ بني عبس وذبيان وأشجع فأخذوها وعادوا متوجهين إلى بلادهم فضلوا في الطريق فسلكوا وادي النباة فأمنوا فيه ولا طريق لهم ولا مطلع حتى قاربوا آخره وكاد الجبلان يلتقيان إذا هم بامرأة من بني عبس تخبط الشجر لهم في قلة الجبل فسألوها عن المطلع فقالت لهم الفوارس المطلع وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهي على الجبل ولم يرها بنو عامر لأنهم في الوادي فأرسلوا رجلاً إلى قلة الجبل ينظر فقال لهم أرى قوماً كأنهم الصبيان على متون الخيل أسنة رماحهم عند آذان خيلهم قالوا تلك فزارة قال وأرى قوماً بيضاً جعاداً كأن عليهم ثياباً حمراً قالوا

الفارسي قال ذاك امرؤ منّا أهل البيت أدرك علم الأولين وعلم الآخرين من لكم بلقمان الحكيم قلت فحدثنا عن ابن مسعود قال ذاك امرؤ قرأ القرآن فعلم حلاله وحرامه وعمل بما فيه قلت فحدثنا عن عمار بن ياسر قال ذاك رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمار خالط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه بلحمه ودمه يدور مع الحق حيثما دار وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً رضي الله عنهم عن عبادة ابن الصامت قال خلوت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أي أصحابك أحب إليك حتى أحب من تحب فقال صلى الله عليه وسلم اكتم علي يا عبادة حياتي فقلت نعم قال أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سكت قال قلت ثم من يا رسول الله قال من عسى أن يكون إلا الزبير وطلحة وسعداً وسعيداً وأبا عبيدة ومعاذ بن جبل وأبا طلحة وأبا أيوب وأنت يا عبادة وأبي بن كعب وأبا

قرزل فرس الطفيل والد عامر بن الطفيل وقال لبيد من قصيدة يذكر أباه

ولا من ربيعة المقترين ورثته * بذى علق فاقنى حياءك واصبرى

(يوم الرقم)

قال ابو عبيدة غزت عامر بن صعصعة غطفان ومع بنى عامر يومئذ عامر بن الطفيل شابا لم يرأس بعد فبلغوا وادى الرقم وبه بنو مرة بن عوف بن سعد وعهم قوم من أشجع بن ذئب بن غطفان وناس من فزارة بن ذبيان فنذروا ببنى عامر وهجمت عليهم بنو عامر بالرقم وهو واد بقرب تضرع فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فاقبل عامر بن الطفيل فرأى امرأة من فزارة فسألها فقالت انا اسماء بنت نوفل الفزارى وقيل كانت اسماء بنت حصن بن حذيفة فبينا عامر يسألها اذ خرج عليه المنهزمون من قومه وبنو مرة فى اعقابهم فلما رأى ذلك عامر القى درعه الى اسماء وولى منهزما فأدتها اليه بعد ذلك وتبعتهم مرة وعليهم سنان بن حارثة بن أبى حارثة المرى وجعل الاشجعيون يذبحون كل من أسروه من بنى عامر لوقعة كانت اوقعتها بهم بنو عامر فذلك البطن من بنى اشجع يسمون بنى مذبح فذبحوا سبعين رجلا منهم فقال عامر بن الطفيل يذكر غطفان ويعرض بأسماء

قد ساءلت أسماء وهى حفية * اضحاتها أطردت أم لم أطرد

فلا بغينكم القنا وعوارضا * ولاقبلن الخيل لابة ضرغد

ولابرزن بمالك وبمالك * واخى المرورات الذى لم يسند

فى ابيات عدة فلما بلغ شعره غطفان هجاه منهم جماعة وكان نابغة بن ذبيان حينئذ غائبا عند ملوك غسان قد هرب من النعمان فلما آمنه النعمان وعاد سأل قومه عما هجوا به عامر بن الطفيل فانشدوه ما قالوا فيه وما قال فيهم فقال لقد أفحشتم وليس مثل عامر يهجى بمثل هذا ثم قال يخطئ عامرا فى ذكره امرأة من عقائلهم

فان يك عامر قد قال جهلا * فان مطية الجهل الشباب

فانك سوف تحلم أو تناهى * اذا ما شبت أو شاب الغراب

فكن كأبيك أو كأبى براء * توافقك الحكومة والصواب

فلا تذهب بحلمك طامثات * من الخيلاء ليس لهن باب

الى آخرها فلما سمعها عامر قال ما هجيت قبلها

(يوم ساحوق)

قال أبو عبيدة غزت بنو ذبيان بنى عامر وهم بساحوق وعلى ذبيان سنان بن أبى حارثة المرى وقد جهزهم وأعطاهم الخيل والابل وزودهم فاصابوا نعما كثيرة وعادوا فلحقتهم بنو عامر واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت بنو عامر واصيب منهم رجال وركبوا الفلاة فهلك أكثرهم عطشا وكان الحر شديدا وجعلت ذبيان تدرك الرجل منهم فيقولون له قف ولك نفسك وضع سلاحك فيفعل وكان يوما عظيما على عامر وانهزم عامر بن الطفيل واخوه الحكم ثم ان الحكم ضعف وخاف ان يؤسر فجعل فى عنقه حبلا وصعد الى شجرة وشده ودلى نفسه فاختنق وفعل مثله رجل من بنى غنى فلما القى نفسه ندم فاضطرب

فادركوه

قوله ولا من ربيعة الشطر كذا بالاصل ولا يخفى ما فيه

الامة ابو عبيدة بن الجراح عن النزال بن سبرة الهلالى قال وافقنا من على بن أبى طالب كرم الله وجهه ذات يوم طيب نفس وفرح فقلنا يا امير المؤمنين حدثنا عن طلحة بن عبيد الله قال ذاك امرؤ نزلت فيه آية من كتاب الله فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر طلحة بن عبيد الله منهم لا حساب عليه فى المستقبل قلنا يا امير المؤمنين حدثنا عن الزبير بن العوام قال ذاك امرؤ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل نبى حوارى وحوارى الزبير قلت فحدثنا عن حذيفة قال ذاك امرؤ عرف المعضلات والمفصلات وعلم اسماء المنافقين ان تسألوه عنها تجدوه بها عالما قلنا فحدثنا عن أبى ذر قال ذاك امرؤ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من أبى ذر طلب شيأ من الزهد عجز عنه الناس قلت يا أمير المؤمنين حدثنا عن سلمان

كثيفا منهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم فساروا حتى أتوا طخفة فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا وصبرت يربوع وانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره واسره وأراد ان يجز ناصيته فقال ان الملوك لا تجز نواصيها فأرسله واما حسان فأسره بشر بن عمرو بن جوين فمن عليه وأرسله فعاد المنهزمون الى النعمان وكان شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي عند الملك فقال له يا شهاب أدرك ابنى وأخى فان أدركتهما حيين فلبنى يربوع حكمهم وأرد عليهم روادفهم واترك لهم من قتلوا وما غنموا وأعطيهم الفى بعير فسار شهاب فوجدهما حيين فاطلقهما ووفى الملك لبنى يربوع بما قال ولم يعرض لهم فى روادفهم وقال مالك بن نويرة

وشحن عقرناه مهر قابوس بعدما * رأى القوم منه الموت والخيل تلحب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه * جراز من الهندى ابيض مقضب
طلبنا بها انا مدار يك نيلها * اذا طلب الشأو البعيد المغرب

(يوم النباج وثيتل)

قال أبو عبيدة غزا قيس بن عاصم المنقرى ثم التميمى مقاعس وهم بطون من تميم وهم صريم وربيع وعبيد بنو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد وغزا معه سلامة بن ظرب الحمانى فى الاحارث وهم بطون من تميم ايضا وهم حمان وربيعة ومالك والاعرج بنو كعب ابن سعد فغزوا بكر بن وائل فوجدوا اللهازم وهم بنو قيس وتيم اللات ابناء ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ومعهم بنو ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعنزة بن اسد بن ربيعة بالنباج وثيتل وبينهما روحة فاغار قيس على النباج ومضى سلامة الى ثيتل ليغير على من بها فلما بلغ قيس الى النباج سقى خيله ثم أراق ما معهم من الماء وقال لمن معه قاتلوا فالموت بين ايديكم والفلاة من ورائكم فاغار على من به من بكر صبحا فقاتلوهم قتالا شديدا وانهزمت بكر وأصيب من غنائمهم ما لا يحصى كثرة فلما فرغ قيس من النهب عاد مسرعا الى سلامة ومن معه نحو ثيتل فادركهم ولم يغر سلامة على من به فاغار عليهم قيس ايضا فقاتلوه وانهزموا وأصاب من الغنائم نحو ما أصاب بالنباج وجاء سلامة فقال اغرتم على من كان لى فتنازعوا حتى كاد الشر يقع بينهم ثم اتفقوا على تسليم الغنائم اليه ففى ذلك يقول ربيعة بن طريف

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فأنت لنا عز عزيز ومعقل
وانت الذى حويت بكر بن وائل * وقد عضلت بها النباج وثيتل

قال قرة بن زيد بن عاصم

انا ابن الذى شق المراد وقد رأى * بثيتل احياء اللهازم حضرا
فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * فلم يجدوا الا الاسنة مصدرا
سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان اذا ما أورد الامر اصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من اعطافهن تحدرا
فلم يرها الراؤن الا فجاءة * يثرن عجاجا كالدواخن اكدرا *

حتى قتل

(وما ورد فى جابر بن عبد الله رضى الله عنه)

قال جابر لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال مالى اراك منكسرا قلت استشهد ابى يوم أحد وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك بما لقى الله به أبوك قلت بلى قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه أحيا اباك فكلمه كفاحا فقال يا عبدى تمن على أعطك فقال يا رب تحيينى فاقتل ثانيا قال سبحانه انه قد سبق منى أنهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل أحياء

(وما ورد فى فضل الصحابة أولى الفضل والانابة رضوان الله عليهم أجمعين)

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه عن جابر بن

تلك أشجع قال وأرى قوما نسورا قد قلعوا أخبيتهم بيدادهم كأنما يحملونها الا بأفخاذهم آخذين بعوامل رماحهم يجرونها قالوا تلك عبس أتاك الموت الزؤام ولحقهم الطلب بالوادي فكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد ففات القوم وأعيا فرسه الورد وهو المزنوق أيضا فعقره لئلا تفحله فزارة واقتتل الناس ودام القتال بينهم وانهزمت عامر فقتل منهم مقتلة كبيرة قتل فيها من أشرافهم البراء بن عامر بن مالك وبه يكنى أبوه وقتل نهشل وأنس وهزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر وقتلوا عبد الله بن الطفيل أخا عامر قتله الربيع بن زياد العبسي وغيرهم كثير وتمت الهزيمة على بني عامر

(يوم الفرات)

قال أبو عبيدة أغار المثنى بن حارثة الشيباني وهو ابن أخت عمران بن مرة على بني تغلب وهم عند الفرات وذلك قبيل الاسلام فظفر بهم فقتل من أخذ من مقاتلتهم وغرق منهم ناس كثير في الفرات وأخذ أموالهم وقسمها بين أصحابه فقال شاعرهم في ذلك

ومنا الذي غشى الدابكة سيفه * على حين أن أعيا الفرات كتائبه
ومنا الذي شد الركي ليستقي * ويسقي شحاحا غير ضاف جوانبه
ومنا غريب الشام لم يرمثله * أفك اهان قد تنادى أقاربه

الدابكة فرس المثنى بن حارثة والذي شد الركي مرة بن همام وغريب الشام ابن القلوص ابن النعمان بن ثعلبة

(يوم بارق)

قال المفضل الضبي ان بني تغلب والنمر بن قاسط وناسا من تميم اقتتلوا حتى نزلوا ناحية بارق وهي من أرض السواد وأرسلوا وفدا منهم الى بكر بن وائل يطلبون اليهم الصلح فاجتمعت شيبان ومن معهم وأرادوا قصد تغلب ومن معهم فقال زيد بن شريك الشيباني اني قد أجرت أخوالي وهم النمر بن قاسط فأمضوا جواره وساروا وأوقعوا ببني تغلب وتميم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم تصب تغلب بمثلها واقتسموا الاسرى والاموال وكان من أعظم الايام عليهم قتل الرجال ونهب الاموال وسبي الحريم فقال أبو كلابة الشيباني

وليلة بسعادي لم تدع سندا * لتغلبي ولا انثا ولا حسنا
والنمريون لولا سرهن ولدوا * من آل مرة شاع الحي منهبا

(يوم طخفة)

وهو لبني يربوع على عساكر النعمان بن المنذر قال أبو عبيدة وكان سبب هذه الحرب أن الردافة وهي بمنزلة الوزارة وكان الرديف يجلس عن يمين الملك كانت لبني يربوع من تميم يتوارثونها صغيرا عن كبير فلما كان أيام النعمان وقيل أيام ابنه المنذر سألها حاجب بن زرارة الدارمي التميمي النعمان أن يجعلها الحرث بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع الدارمي التميمي فقال النعمان لبني يربوع في هذا وطلب منهم أن يجيبوا الى ذلك فامتنعوا وكان منزلهم أسفل طخفة فحيث امتنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحسانا أخا ابني المنذر قابوس على الناس وحسان على المقدمة وضم اليهما جيشا

الدرداء وابن مسعود وابن عوف ثم هؤلاء الرهط ما عدى يقولون في سعد بن أبي وقاص سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوما وقد أوتر قوسه أربع عشرة مرة يرفعها ويقول ارم فداك أبي وأمي ما عدى يقولون في عبد الرحمن ابن عوف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في منزل فاطمة رضي الله عنها والحسن والحسين يبكيان جوعا ويتضرعان فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشئ فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حيسة ورغيفان بينهما اهالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كفاك الله أمر دنياك فأما آخرتك فأنا لها ضامن

(وبقية ما ورد في عمار عن النبي المختار)

صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمار ابن ياسر تقتلك الفئة الباغية واستسقى يوم صفين فأتى بقعب فيه لبن فلما نظر اليه كبر ثم قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخر زادي من الدنيا ضياح لبن في هذا القعب ثم حمل فلم يثن

النبي ان من قتل نفسا قتل بها فغير هذه الغارة ثم اسلم عليها فارة او امرئ لماح بالذرارى والاموال ورئيسهم بشير بن مسعود بن قيس بن خالد فأتوا الشيطين فى أربع ليال والذى بينهما مسيرة ثمان ليال فسبقوا كل خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون فقاتلوهم قتالا شديدا وصبرت تميم ثم انهزمت فقال رشيد بن رميض العنبرى يفخر بذلك

وما كان بين الشيطين ولماح * اذ سرتنا الا صفا قسل اربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله * يكاد له ظهر الوديعة يظلع
بأرعن دهم تنسل البلق وسطه * له عارض فيه المنية تلمع
فصبحناهم سعدا وعمرا ومالكا * فظل لهم يوم من الشر أشنع
وذا حسب من آل ضبة غادروا * يجر كما يجرى الفصيل المقرع
تقسم يربوع بسرة ارضنا * وليس ليربوع بها متقسع

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى بكر بن وائل على ما بايديهم (الشيطين بالشين المعجمة والياء المشددة المثناة من تحتها وبالطاء المهملة آخره نون)

(أيام الانصار وهم الاوس والخزرج التى جرت بينهم)

الانصار لقب قبيلتى الاوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان لقبهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر اليهم ومنعوه ونصروه وام الاوس والخزرج قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد ولذلك يقال لهما ابناء قيلة وانما لقب ثعلبة العنقاء لطول عنقه ولقب عمرو مزيقياء لانه كان يمزق عنه كل يوم حلة لئلا يلبسها احد بعده ولقب عامر ماء السماء لسماحته وبذله كانه ناب مناب المطر وقيل لشرفه ولقب امرؤ القيس البطريق لانه اول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه وجعله بن سليمان بن داود عليه السلام فقيل له البطريق وكانت مساكن الازد بمأرب من اليمن الى ان أخبر الكهان عمرو بن عامر مزيقياء ان سيل العرم يخرب بلادهم ويغرق أكثر اهلها عقوبة لهم بتكذيبهم رسل الله تعالى اليهم فلما علم ذلك عمرو باع ماله من مال وعقار وسار عن مأرب هو ومن تبعه ثم تفرقوا فى البلاد فسكن كل بطن ناحية اختاروها فسكنت خزاعة الحجاز وسكنت غسان الشام ولما سار ثعلبة بن عمرو بن عامر فيمن معه الحجاز واتى المدينة وكانت تسمى يثرب فتخلف بها الاوس والخزرج ابنا حارثة فيمن معهما وكان فيها قرى واسواق وبها قبائل من اليهود من بنى اسرائيل وغيرهم منهم قريظة والنضير وبنو قينقاع وبنو ماسلة وزعورا وغيرهم وقد بنوا لهم حصونا يجتمعون بها اذا خافوا فنزل عليهم الاوس والخزرج فابتنوا المساكن والحصون الا ان الغلبة والحكم لليهود الى ان كان من الفطيون ومالك بن العجلان ما نذكره ان شاء الله تعالى فعادت الغلبة للاوس والخزرج ولم يزالوا على حال اتفاق واجتماع الى ان حدث بينهم حرب سمير على ما نذكره ان شاء الله تعالى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد من أصحابى يموت بأرض الا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة * عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيأ فانى أحب ان أخرج اليكم وأنا سليم الصدر قال صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد ورد ان جبريل عليه السلام جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما تعدون اهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين او كلمة نحوها قال فكذلك من شهد بدرا من الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم اطلع الله على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

(الباب الخامس فى ذكر خلفاء بنى أمية ومن وصفهم باشلاق سنة)

وهم قسمان (القسم الاول) الخلفاء المقيمون بالشام وعددهم اربعة عشر خليفة ومدة خلافتهم نيف وثمانون سنة وهى الفشر

وعمران ادته الينا رماحنا ✽ فنازع غلا في ذراعيه أسمرا

ثيتل بالثاء المثلثة المفتوحة والياء المسكنة المثناة من تحتها والتاء المثناة من فوقها

✽(يوم فلج)✽

قال ابو عبيدة هذا يوم لبكر بن وائل على تميم وسببه ان جمعا من بكر ساروا الى الصعاب فشتوا بها فلما انقضى الربيع انصرفوا فمروا بالدو فلقوا ناسا من بني تميم من بني عمرو وحنظلة فاغاروا على نعم كثير لهم ومضوا واتى بني عمرو وحنظلة الصريخ فاستجاشوا لقومهم فاقبلوا فى آثار بكر بن وائل فساروا يومين وليلتين حتى جهدهم السير وانحدروا في بطن فلج وكانوا قد خلفوا رجلين على فرسين سابقين ربيئة ليخبراهم بخبرهم ان ساروا اليوم فلما وصلت تميم الى الرجلين ابتدرا بفرسيهما وسارا مجدين فانذرا قومهما فاتاهم الصريخ بمسير تميم عندوصولهم الى فلج فضرب حنظلة بن سيار العجلي قبته ونزل فنزل الناس معه وتهيئوا للقتال معه ولحقت بنو تميم فقاتلتهم بكر بن وائل قتالا شديدا وحمل عرفجة بن بجير العجلي على خالد بن مالك بن سلمة التميمي فطعنه وأخذه اسيرا وقتل فى المعركة ربعي بن مالك بن سلمة فانهزمت تميم وبلغت بكر بن وائل منها ما أرادت ثم ان عرفجة اطلق خالد بن مالك وجز ناصيته فقال خالد

وجدنا الرفد رفد بني لجيم ✽ اذا ما قلت الا رفاد زادا
هم ضربوا القباب ببطن فلج ✽ وذادوا عن محارمهم ذيادا
وهم منوا على واطلقوني ✽ وقد طاوعت في الجنب القيادا
اليسوا خير من ركب المطايا ✽ واعظمهم اذا اجتمعوا رمادا
اليس هم عماد الحي بكرا ✽ اذا نزلت مجللة شدادا

وقال قيس بن عاصم يعير خالدا

لو كنت حرا يا ابن سلمى بن جندل ✽ نهضت ولم تقصد لسلمى بن جندل
فما بال أصداء بفلج غريبة ✽ تنادى مع الاطلال يا لابن حنظل
صوادي لامولى عزيز يجيبها ✽ ولا اسرة تسقى صداها بمنهل
وغادرت ربعيا بفلج ملحبا ✽ وأقبلت فى اولى الرعيل المعجل
تزاول من خوف الردى لا وقيته ✽ كما زالت الكدراء من سبن اجدل

يعيره حيث لم يأخذ بثار اخيه ربعي ومن قتل معه يوم فلج ويقول ان أصداءهم تنادي ولا يسقيها احد على مذهب الجاهلية ولولا التطويل لشرحناه أبين من هذا

✽ (يوم الشيطين) ✽

قال أبو عبيدة كان الشيطان لبكر بن وائل فلما ظهر الاسلام في نجد سارت بكر قبل السواد وبقي مقايس بن عمرو العائذي ابن عائذة من قريش حليف بني شيبان بالشيطين فلما اقامت بكر فى السواد لحقهم الوباء والطاعون الذي كان ايام كسرى شيرويه فعادوا هاربين فنزلوا لعلع وهي بنجد وقد اخصب الشيطان فسارت تميم فنزلوا بها وبلغت اخبار خصب الشيطين الى بكر فاجتمعوا وقالوا نغير على تميم فان في دين ابن عبد المطلب يعنون

عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمس النار مسلما رآني او رأى من رآني

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه

✽(ذكر أهل الصفة)✽

وهم من الصحابة رضي الله عنهم وكانوا ناسا فقراء لا منازل لهم ولا عشائر ينامون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ويظلون فيه وكانت صفة المسجد مثواهم فنسبوا اليها وكان اذا تعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو منهم طائفة يتعشون معه ويفرق منهم طائفة على أصحابه ليعشوهم وكان من مشاهيرهم أبو هريرة وواثلة بن الاسقع وابو ذر الغفاري ✽ عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال

ولم يزل الانصار على حال اتفاق واجتماع وكان اول اختلاف وقع بينهم وحرب كانت لهم حرب سمير وكان سببها ان رجلا من بنى ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له كعب بن العجلان نزل على مالك بن العجلان السالمى فحالفه واقام معه فخرج كعب يوما الى سوق بنى قينقاع فرأى رجلا من غطفان معه فرس وهو يقول ليأخذ هذا الفرس اعز أهل يثرب فقال رجل فلان وقال رجل آخر احيحة بن الجلاح الاوسى وقال غيرهما فلان بن فلان اليهودى أفضل أهلها فدفع الغطفانى الفرس الى مالك بن العجلان فقال كعب الم أقل لكم ان حليفى مالكا أفضلكم فغضب من ذلك رجل من الاوس من بنى عمرو بن عوف يقال له سمير وشتمه وافترقا وبقى كعب ماشاء الله ثم قصد سوقا لهم بقباء فقصده سمير ولازمه حتى خلا السوق فقتله وأخبر مالك بن العجلان بقتله فارسل الى بنى عمرو بن عوف يطلب قاتله فارسلوا انا لاندرى من قتله وترددت الرسل بينهم هو يطلب سميرا وهم ينكرون قتله ثم عرضوا عليه الدية فقبلها وكانت دية الحليف فيهم نصف دية النسيب منهم فأبى مالك الا أخذ دية كاملة وامتنعوا من ذلك وقالوا نعطى دية الحليف وهى النصف ولج الامر بينهم حتى ادى الى المحاربة فاجتمعوا والتقوا واقتتلوا اقتتالا شديدا وافترقوا ودخل فيها سائر بطون الانصار ثم التقوا مرة اخرى واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وكان الظفر يومئذ للاوس فلما افترقوا ارسلت الاوس الى مالك يدعونه الى ان يحكم بينهم المنذر بن حرام النجارى الخزرجى جد حسان بن ثابت بن المنذر فاجابهم الى ذلك فاتوا المنذر فحكم بينهم المنذر بان يدوا كعبا حليف مالك دية الصريح ثم يعودون الى سنتهم القديمة فرضوا بذلك وحملوا الدية وافترقوا وقد شبت البغضاء فى نفوسهم وتمكنت العداوة بينهم

(ذكر حرب كعب بن عمرو المازنى)

ثم ان بنى جحجبا من الاوس وبنى مازن بن النجار من الخزرج وقع بينهم حرب كان سببها ان كعب بن عمرو المازنى تزوج امرأة من بنى سالم فكان يختلف اليها فامر احيحة بن الجلاح سيد بنى جحجبا جماعة فرصدوه حتى ظفروا به فقتلوه فبلغ ذلك اخاه عاصم بن عمرو فامر قومه فاستعدوا للقتال وارسل الى بنى جحجبا يؤذنهم بالحرب فالتقوا بالرحابة فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزمت بنو جحجبا ومن معهم وانهزم معهم أحيحة فطلبه عاصم بن عمرو فادركه وقد دخل حصنه فرماه بسهم فوقع فى باب الحصن فقتل عاصم اخا لاحيحة فمكثوا بعد ذلك ليالى فبلغ احيحة ان عاصما يطلبه ليجد له غرة فيقتله فقال احيحة

نبئت انك جئت تسرى بين دارى والقبابه
فلقد وجدت بجانب الضحيان شبانا مهابه
فتيان حرب فى الحديد وشامرين كأسد غابه
هم نكبوك عن الطريق فبت تركب كل لابه
أعصيم لا تجزع فان الحرب ليست بالدعابه
فانا الذى صبحتكم * بالقوم اذ دخلوا الرحابه
وقتلت كعبا قبلها * وعلوت بالسيف الذؤابه

عن عبد الرحمن بن أبى عميرة الصحابى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا * واخرج أحمد فى مسنده عن العرباض بن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب * اخرج ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى فى الكبير عن عبد الملك بن عميرة قال قال معاوية ما زلت اطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فاحسن * ولما خلع الحسن رضى الله عنه نفسه من الخلافة واستقام له الملك وصفت له الخلافة وكان قد بويع له بالخلافة يوم التحكيم بايعه اهل الشام واختلف عليه أهل العراق الى ان صالحه الحسن رضى الله عنه وسلم اليه الخلافة فى شهر ربيع الاول سنة احدى وأربعين فسمى عام الجماعة لان الامة اجتمعت على امام واحد فبايعوه * وكان قبل ذلك عاملا لعمر رضى

(ذكر غلبة الانصار على المدينة وضعف امر اليهود بها وقتل الفطيون)

قد ذكرنا ان الاستيلاء كان لليهود على المدينة لما نزلها الانصار ولم يزل الامر كذلك الى ان ملك عليهم الفطيون اليهودي وهو من بني اسرائيل ثم من بني ثعلبة وكان رجل سوء فاجرا وكانت اليهود تدين له بأن لا تزوج امرأة منهم الا دخلت عليه قبل زوجها وقيل انه كان يفعل ذلك بالاوس والخزرج أيضا ثم ان اختا لمالك بن العجلان السالمي الخزرجي تزوجت فلما كان زفافها خرجت عن مجلس قومها وفيه أخوها مالك وقد كشفت عن ساقيها فقال لها مالك لقد جئت بسوء قالت الذي يراد بي الليلة أشد من هذا ادخل على غير زوجي ثم عادت فدخل عليها اخوها فقال لها هل عندك من خير قالت نعم فما عندك قال أدخل مع النساء فاذا خرجن ودخل عليك قتلته قالت افعل فلما ذهب بها النساء الى الفطيون انطلق مالك معهن في زي امرأة ومعه سيفه فلما خرج النساء من عندها ودخل عليها الفطيون قتله مالك وخرج هاربا فقال بعضهم في ذلك من ابيات

هل كان للفطيون عقر نسائكم * حكم النصيب فبئس حكم الحاكم
حتى حباه مالك بمرشة * حمراء تضحك عن نجيع قاتم

ثم خرج مالك بن العجلان هاربا حتى دخل الشام فدخل على ملك من ملوك غسان يقال له ابو جبيلة واسمه عبيد بن سالم بن مالك بن سالم وهو احد بني غضب بن جشم بن الخزرج وكان قد ملكهم وشرف فيهم وقيل انه لم يكن ملكا وانما كان عظيما عند ملك غسان وهو الصحيح لان ملوك غسان لم يعرف فيهم هذا وهو أيضا من الخزرج على ما ذكرنا دخل عليه مالك شكا اليه ما كان من الفطيون واخبره بقتله وانه لا يقدر على الرجوع فعاهد الله أبو جبيلة أن لا يمس طيبا ولا يأتي النساء حتى يذل اليهود ويكون بكر والاوس والخزرج اعز أهلها ثم سار من الشام في جمع كثير واظهر انه يريد اليمن حتى قدم المدينة فنزل بذي حرض واعلم الاوس والخزرج ما عزم عليه ثم ارسل الى وجوه اليهود يستدعيهم اليه واظهر لهم انه يريد الاحسان اليهم فأتاه اشرافهم في حشمهم وخاصتهم فلما اجتمعوا ببابه امر بهم فأدخلوا رجلا رجلا وقتلهم عن آخرهم فلما فعل بهم ذلك صارت الاوس والخزرج اعز أهل المدينة فشاركوا اليهود في النخل والدور ومدح الرمق بن زيد الخزرجي ابا جبيلة بقصيدة منها

وابو جبيلة خير من * يمشي واوفاه يمينا
وأبرهم برا وأعلمهم بهدي الصالحينا
ابقت لنا الايام والحرب المهمة تعترينا
كبشا له قرن يعض حسامه الذكر السنينا

فقال له أبو جبيلة عسل طيب في وعاء سوء وكان الرمق رجلا ضئيلا فقال الرمق انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ورجع ابو جبيلة الى الشام (حرض بضم الحاء والراء المهملتين وآخره ضاد معجمة)

(حرب سمير)

(والقسم الثاني) الخلفاء الذين أقاموا بالمغرب فاما الخلفاء المقيمون بالشام ففيهم عدة فصول

(الفصل الاول في ذكر معاوية ابن أبي سفيان)

ابن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ولد بالخيف من منى وامه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وكنيته أبو عبد الرحمن اسلم قبل أبيه وقيل اسلم هو وأبوه يوم فتح مكة وشهد حنينا وكان من المؤلفة قلوبهم وكان رجلا طويلا أبيض جميلا مهيبا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينظر اليه فيقول هذا كسرى العرب كان نقش خاتمه رب اغفر لي وكان أحد كتاب الوحي روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وثلاثة وستون حديثا روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو الدرداء وجرير البجلي والنعمان بن بشير وغيرهم وقد ورد في فضله أحاديث قلما تثبت أخرجها الترمذي وحسنها

امور أبيك الخير بالحق ما نبا * على لساني في الخطوب ولا يدي
لساني وسيفي صارمان كلاهما * ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي
فلا الجهد ينسيني حيائي وعفتي * ولا وقعات الدهر فللن مبردي
أكثر أهلي من عيال سواهم * واطوي على الماء القراح المبرد

(ومنها)

واني لمضاء الطي على الوجي * واني لترال لما لم أعود
واني لقوال لذي اللوث مرحبا * واهلا اذا ما ريع من كل مرصد
واني ليدعوني الندى فاجيبه * واضرب بيض العارض المتوقد
فلا تعجلن يا قيس واربع فانما * قصاراك ان تلقى بكل مهند
حسام وارماح بايدي اعزة * متى ترهم يا ابن الخطيم تبلد
اسود لدى الاشبال يحمي عرينها * مداعيس بالخطي في كل مشهد

وهي أبيات كثيرة فاجابه قيس بن الخطيم

تروح عن الحسناء ام أنت مغتدي * وكيف انطلاق عاشق لم يزود
تراءت لنا يوم الرحيل بمقلتي * شريد بملتف من السدر مفرد
وجيد كجيد الريم حال يزينه * على النحر ياقوت وفصل زبرجد
كأن الثريا فوق ثغرة نحرها * توقد في الظلماء أي توقد
ألا ان بين الشرعبي وراتج * ضرابا كتحذيم السيال المعضد
لنا حائطان الموت اسفل منهما * وجمع متى تصرخ بيثرب يصعد
ترى اللابة السوداء يحمر لونها * ويسهل منها كل ربع وفدفد
فاني لاغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وليس بمهتد
فما عمر او راشقيا مرهطا * ألد كأن رأسه رأس اصيد
كثير المنى بالزاد لا خير عنده * اذا جاع يوما يشتكيه ضحى الغد
وذي شيمة عسراء خالف شيمتي * فقلت له دعني ونفسك أرشد
فما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
متى ما تقد بالباطل الحق يأبه * فان قدت بالحق الرواسي تنقد
اذا ما اتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتد

وهي طويلة (وقال عبيد بن ناقد)

لمن الديار كأن من المذهب * بليت وغيرها الدهور تقلب

يقول فيها في ذكر الوقعة

لكن فرار أبي الحباب بنفسه * يوم السرارة كان منه الاقرب
ولى وألقى يوم ذلك درعه * اذ قيل جاء الموت خلفك يطلب
خالت مقادمه ما قد اشرعت * فيك الرماح هنالك شد المذهب

وهي طويلة ايضا وأبو الحباب هو عبد الله بن سلول

توفي بدمشق في نصف رجب سنة ستين وصلى عليه الضحاك الفهري لغيبة ابنه يزيد ببيت المقدس ودفن بين باب الجابية وباب الصغير وكان عنده شيء من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلامة اظفاره فاوصى ان يجعل ذلك في فمه وعينيه وان يكفن بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افعلوا ذلك وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين قيل انه عاش سبعا وسبعين سنة وكانت مدة خلافته بعد ان خلص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وكان اميرا وخليفة اربعين سنة ولم يملك أحد من هذه الامة مقدار ما ملكه

(الفصل الثاني في ذكر يزيد بن معوية عليه ما يستحق)

ولد سنة خمس أو ست وعشرين وكان ضخما كثير اللحم كثير الشعر وامه ميسون بنت بحدل الكلبية فاخذه من فضة نقشه ربنا الله وبويع له بالخلافة يوم مات أبوه واستخلافه له وكتب الى الاقاليم بذلك فبايعوه

فاجابه عاصم

ابلغ أحيحة ان عرضت بداره عني جوابه
وانا الذي أعطيته * من مقصد ألهى كلابه
ورميته سهما فاخطأه واغلق ثم بابه

في أبيات ثم ان أحيحة اجمع ان يبيت بني النجار وعنده سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية وهي ام عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم فارضيت فلما جنها الليل وقد سهر معها أحيحة فنام فلما نام سارت الى بني النجار فاعلمتهم ثم رجعت فحذروا وغدا احيحة بقومه مع الفجر فلقيهم بنو النجار في السلاح فكان بينهم شيء من قتال وانحاز احيحة وبلغه ان سلمى اخبرتهم فضربها حتى كسر يدها واطلقها وقال ابياتا منها

لعمر ابيك ما يغني مكاني * من الافلاء آكلة غفول
تؤوم لا تقاص مشمعلا * مع الفتيان مضجعه ثقيل
تنزع للحليلة حيث كانت * كما يعتاد لقحته الفصيل
وقد اعددت للحدثان حصنا * لو ان المرء تنفعه العقول
جلاه القين ثم لم يخنه * مضاربه ولا طبعه فلول
فهل من كاهن آوي اليه * اذا ما حان من آل نزول
يراهنني ويرهنني بنيه * وارهنه بني بما اقول
فما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل
وما تدري وان اجمعت امرا * بأي الارض يدركك المقيل
وما تدري وان انتجت سقبا * لغيرك أم يكون لك الفصيل
وما ان اخوة كبروا وطابوا * بباقية وامهم هبول
ستثكل او يفارقها بنوها * بموت أو يجيء لهم قتول

(ذكر الحرب بين بني عمرو بن عوف وبني الحرث وهو يوم السرارة)

ثم ان بني عمرو بن عوف من الاوس وبني الحرث من الخزرج كان بينهما حرب شديدة وكان سببها ان رجلا من بني عمرو قتله رجل من بني الحرث فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلة فاستكشف أهله فعلموا كيف قتل فتهيؤا للقتال وارسلوا الى بني عمرو بن عوف يؤذنونهم بالحرب فالتقوا بالسرارة وعلى الاوس حضير بن سماك والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عبد الله بن سلول أبو الحباب الذي كان رأس المنافقين فاقتتلوا قتالا شديدا صبر بعضهم لبعض أربعة ايام ثم انصرفت الاوس الى دورها ففخرت الخزرج بذلك وقال حسان بن ثابت في ذلك

فدى لبني النجار امي وخالتي * غداة لقوهم بالمثقفة السمر
وصرم من الاحياء عمرو بن مالك * اذا ما دعوا كانت لهم دعوة النصر
فوالله لا أنسى حياتي بلاءهم * غداة رموا عمرا بقاصمة الظهر

وقال حسان أيضا

اعمر

الله عنه استعمله على امارة دمشق فلم يزل متوليا على الشام عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما وفي خلافة علي رضي الله عنه لما عزله صار متغلبا عليها وكان متنعما في مأكله ومشربه وملبسه وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم وكان يضرب بحلمه المثل وقد افرد ابن أبي الدنيا وأبو بكر بن عاصم تصنيفا في حلمه ثم انه حج سنة احدى وخمسين فلما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الانصاري فقال له معاوية تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الانصار قال لم يكن لنا دواب قال فاين النواضح قال عقرناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وله اخبار كثيرة في الحلم ولم نذكر في هذا الكتاب ما شجر بينه وبين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما يتطرق للنفوس الضعيفة وأهل الاهواء من البغض لمعاوية رضي الله عنه وسكت عن حرب الصحابة فالذي جرى بينهم كان اجتهادا مجردا

ويثرب تعلم اذ حاربت * بانا لدى الحرب فرسانها
ويثرب تعلم أن النبيت عند الهزاهز ذلانها

(ومنها)

متى ترنا الاوس في بيضنا * نهز القنا تخب نيرانها
وتعط القياد على رغمها * وتنزل ملهام عصيانها
فلا تفخرن والتمس ملجأ * فقد عاود الاوس أديانها

(حرب فارع بسبب الغلام القضاعي)

ومن أيامهم يوم فارع وسببه ان رجلا من بني النجار أصاب غلاما من قضاعة ثم من بلي وكان عم الغلام جارا لمعاذ بن النعمان بن امرئ القيس الاوسي والد سعد بن معاذ فأتى الغلام عمه يزوره فقتله النجاري فأرسل معاذ الى بني النجار ان ادفعوا الي دية جاري او ابعثوا الي بقاتله أرى فيه رأيي فأبوا ان يفعلوا فقال رجل من بني عبد الاشهل والله ان لم تفعلوا لا نقتل به الا عامر بن الاطنابة وعامر من أشراف الخزرج فبلغ ذلك عامرا فقال

الا من مبلغ الاكفاء عني * وقد تهدى النصيحة للنصيح
فانكم وما ترجون شطري * من القول المزجى والصريح
سيندم بعضكم عجلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبت لي عزتي وأبى بلائي * واخذي الحمد بالثمن الربيح
واعطائي على المكروه مالي * وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات * واحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شطب كلون الملح صاف * ونفس لا تقر على القبيح

قال الربيع بن أبي الحقيق اليهودي في عراض قول عامر بن الاطنابة

ألا من مبلغ الاكفاء عني * فلا ظلم لدي ولا افتراء
فلست بعائط الاكفاء ظلما * وعندي للملامات اجتراء
فلم ار مثل من يدنو لخسف * له في الارض سير واستواء
وما بعض الاقامة في ديار * يهان بها الفتى الا عناء
وبعض القول ليس له عناج * كمحض الماء ليس له اناء
وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الشح ليس له دواء
وبعض الداء ملتمس شفاء * وداء النوك ليس له شفاء
يحب المرء ان يلقى نعيما * ويأبى الله الا ما يشاء
ومن يك عاقلا لم يلق بؤسا * ينخ يوما بساحته القضاء
تعاوره بنات الدهر حتى * تثلمه كما ثلم الاناء
وكل شديدة نزلت بحي * سيأتي بعد شدتها رخاء
فقبل الموت في عرض المنايا * توقّ فليس ينفعك اتقاء

والانصار ولم يبق بدري بعد ذلك من قريش ومن سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ودخل مسلم المدينة وانتهبها ثلاثة أيام وافتض فيها ألف عذراء فانا لله وانا اليه راجعون وقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم من أخاف أهل المدينة أخافه الله وكانت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين رواه مسلم ثم شخص بالجيش الى مكة وكتب الى يزيد بما صنع بالمدينة فلما بلغ مسلم هرشى اعتل ومات فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير فسار حتى وافى مكة فتحصن منه ابن الزبير في المسجد الحرام بجميع من كان معه فنصب الحصين المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة المعظمة وذلك في صفر سنة اربع وستين واحترقت من شرارة نيرانهم استار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدي به اسمعيل وكانا في السقف فبينما هم كذلك اذ ورد

(حرب الحصين بن الاسلت)

ثم كانت حرب بين بنى وائل بن زيد الاوسيين وبين بنى مازن بن النجار الخزرجيين وكان سببها ان الحصين بن الاسلت الاوسى الوائلى نازع رجلا من بنى مازن فقتله الوائلى ثم انصرف الى اهله فتبعه نفر من بنى مازن فقتلوه فبلغ ذلك أخاه اباقيس بن الاسلت فجمع قومه وأرسل الى بنى مازن يعلمهم انه على حربهم فتهيؤا للقتال ولم يتخلف من الاوس والخزرج أحد فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا وقتل ابوقيس بن الاسلت الذين قتلوا اخاه ثم انهزمت الاوس فلام وحوح بن الاسلت اخاه اباقيس وقال لا يزال منهزم من الخزرج فقال أبوقيس لاخيه ويكنى اباحصين

أبلغ اباحصن وبعض القول عندى ذو كباره
ان ابن ام المرء ليس من الحديد ولا الحجاره
ماذا عليكم ان يكو * ن لكم بها رب الاعاره
يحمى ذماركم وبعض القوم لا يحمى ذماره
يبنى لكم خيرا وبنيان الكريم له اثاره

فى أبيات

(حرب ربيع الظفرى)

ثم كانت حرب بين بنى ظفر من الاوس وبين بنى مالك بن النجار من الخزرج وكان سببها ان ربيعا الظفرى كان يمر فى مال لرجل من بنى النجار الى مال له فمنعه النجارى فتنازعا فقتله ربيع فجمع قومهما فاقتتلوا قتالا شديدا كان اشد قتال بينهم فانهزمت بنو مالك بن النجار فقال قيس بن الخطيم الاوسى فى ذلك

أجدّ بعمرة غنيانها * فتهجر أم شاننا شانها
فان تمس شطت بها دارها * وباح لك اليوم هجرانها
فما روضة من رياض القطا * كأن المصابيح حوذانها
بأحسن منها ولا مزنة * ولوج تكشف ادجانها
وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

(منها)

ونحن الفوارس يوم الربيـ * ـع قد علموا كيف ابدانها
جنونا لحرب وراء الصريـ * ـخ حتى تقصد مرانها
تراهن يخلجن خلج الدلا * ء يبادر بالنزع اشطانها

وهى طويلة فاجابه حسان بن ثابت الخزرجى بقصيدة اولها

لقد هاج نفسك أشجانها * وغادرها اليوم أديانها

(ومنها)

ويثرب تعلم انا بها * اذا التبس الحق ميزانها
ويثرب تعلم انا بها * اذا قحط القطر نوآنها

ولم يبايعه الحسين بن على رضى الله عنهما ولا عبدالله بن الزبير واختفيا من عامله واقاما مصرين على الامتناع الى ان قتل الحسين رضى الله عنه بكربلا وكان قتله يوم عاشوراء كما مر فى ذكر الحسين رضى الله عنه ودعا ابن الزبير الى نفسه بمكة وعاب يزيد بشرب الخمر واللعب بالكلاب والتهاون بالدين فبايعه أهل تهامة والحجاز فلما بلغ يزيد ذلك ندب الى حربه الحصين بن نمير السكونى وروح بن زنباع الجذامى وضم الى كل واحد جيشا واستعمل على الجميع مسلم بن عقبة المرى وجعله امير الامراء وأمرهم بمحاربة ابن الزبير فلما ودعهم قال يامسلم اجعل طريقك على المدينة فان حاربوك فحاربهم فان ظفرت بهم فأبحها ثلاثا فسار مسلم ومن معه حتى نزل الحرة وخرج أهل المدينة فعسكروا بها فدعاهم مسلم ثلاثا فلم يجيبوا فقاتلهم فقتل امير المدينة عبدالله بن حنظلة وسبعمائة من المهاجرين

وكان سبب هذه الحرب ان حاطبا كان رجلا شريفا سيدا فأتاه رجل من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان فنزل عليه ثم انه غدا يوما الى سوق بنى قينقاع فرآه يزيد بن الحرث المعروف بابن فسحم وهى امه وهو من بنى الحرث بن الخزرج فقال يزيد لرجل يهودى لك ردائى ان كسعت هذا الثعلبى فأخذ رداءه وكسعه كسعة سمعها من بالسوق فنادى الثعلبى ياحاطب كسع ضيفك وفضح وأخبر حاطب بذلك فجاء اليه فسأله من كسعه فأشار الى اليهودى فضربه حاطب بالسيف ففلق هامته فأخبر ابن فسحم الخبر وقيل له قتل اليهودى قتله حاطب فاسرع خلف حاطب فادركه وقد دخل بيوت أهله فلقى رجلا من بنى معاوية فقتله فثارت الحرب بين الاوس والخزرج واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر ردم بنى الحرث بن الخزرج وكان على الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضى وعلى الاوس حضير بن سماك الاشهلى وقد كان ذهب ذكر ماوقع بينهم من الحروب فيمن سواهم من العرب فسار اليهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى وخيار بن مالك بن حماد الفزارى فقدما المدينة وتحدثا مع الاوس والخزرج فى الصلح وضمنا ان يتحملا كل مايدعى بعضهم على بعض فأبوا ووقعت الحرب عند الجسر وشهدها عيينة وخيار فشاهدا من قتالهم وشدتهما أيسا معه من الاصلاح بينهم فكان الظفر يومئذ للخزرج وهذا اليوم من أشهر أيامهم وكان بعده عدة وقائع كلها من حرب حاطب فمنها

(يوم الربيع)

ثم التقت الانصار بعد يوم الجسر بالربيع وهو حائط فى ناحية السفح فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد يفنى بعضهم بعضا فانهزمت الاوس وتبعها الخزرج حتى بلغوا دورهم وكانوا قبل ذلك اذا انهزمت احدى الطائفتين فدخلت دورهم كفت الاخرى عن اتباعهم فلما تبع الخزرج الاوس الى دورهم طلبت الاوس الصلح فامتنعت بنو النجار من الخزرج عن اجابتهم فحصنت الاوس النساء والذرارى فى الآطام وهى الحصون ثم كفت عنهم الخزرج فقال صخر بن سليمان البياضى

الا أبلغا عنى سويد بن صامت * ورهط سويد بلغا وابن الاسلت

بانا قتلنا بالربيع سراتكم * وافلت جسر وجابه كل مفلت

فلولا حقوق فى العشيرة انها * ادات بحق واجب ان ادلت

انالهم منا كما كان نالهم * مقانب خيل اهلكت حين حلت

فأجابه سويد بن الصامت

الا ابلغا عنى صخيرا رسالة * فقد ذقت حرب الاوس فيها ابن الاسلت

قتلنا سراياكم بقتلى سراتنا * وليس الذى ينجو اليكم بمفلت *

(ومنها يوم البقيع)

ثم التقت الاوس والخزرج ببقيع الغرقد فاقتتلوا قتالا شديدا فكان الظفر يومئذ للاوس فقال عبيد بن ناقد الاوسى

لما رأيت بنى عوف وجمعهم * جاؤا وجمع بنى النجار قد حفلوا

وبسطت الكلام على مخازى هذا الرجل وقد أفتى الغزالى فى هذه المسئلة بخلاف ذلك (فانه سئل) عمن صرح بلعن يزيد بن معاوية هل يحكم بفسقه أم يكون ذلك مرخصا فيه وهل كان مريدا قتل الحسين رضى الله عنه أم كان قصده الدفع وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل (فأجاب) لا يجوز لعن المسلم أصلا ومن لعن المسلم فهو الملعون وقد قال صلى الله عليه وسلم المسلم ليس بلعان وكيف يجوز لعن المسلم وقد ورد النهى عن ذلك وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص من النبى صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح قتله الحسين رضى الله عنه ولا أمره ولا رضاه ذلك واذا لم يصح ذلك منه لم يجز أن يظن ذلك به فان اساءة الظن أيضا بالمسلم حرام ومع هذا لو ثبت على مسلم انه قتل مسلما فمذهب أهل الحق انه ليس بكافر والقتل ليس بكفر بل هو معصية واذا مات القاتل فربما مات بعد

فما يعطى الحريص غنى بحرص * وقد ينمى لدى الجود الثراء
وليس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه السخاء
غنى النفس ما استغنت بشئ * وفقر النفس ما عمرت شقاء
يود المرء ما تفسد الليالى * وكان فناؤهن له فناء

فلما رأى معاذ بن النعمان امتناع بنى النجار من الدية أو تسليم القاتل اليه تهيأ للحرب وتجهز هو وقومه واقتتلوا عند فارع وهو اطم حسان بن ثابت واشتد القتال بينهم ولم تزل الحرب بينهم حتى حمل دية عامر بن الاطنابة فلما فعل صلح الذى كان بينهم وعادوا الى أحسن ما كانوا عليه فقال عامر بن الاطنابة فى ذلك

صرمت ظليمة خلتى ومراسلى * وتباعدت ضنا بزاد الراحل
جهلا وما تدرى ظليمة اننى * قد أستقل بصرم غير الواصل
ذال ركابى حيث شئت مشيعى * انى أروع قطا المكان الماقل
انظليم ما يدريك رب خيلة * حسن مرغمها كظبى الحائل
قد بت مالكها وشارب قهوة * درياقة روّيت منها واغلى
بيضاء صافية يرى من دونها * قعر الاناء يضئ بوجه الناهل
وسرابها جرة قطعت اذا جرى * فوق الاكام بذات لون بازل
أجد مراحلها كان عفاءها * سقطان من كتفى ظليم جافل
فلنا كان بنا جزمن مالنا * ولنشربن بدين عام قابل
انى من القوم الذين اذا ابتدوا * بدأوا بحر الله ثم النائـــــل
المانعين من الخنى جيرانهم * والحاشدين على طعام النازل
والخالطين غنيهم بفقيرهم * والباذلين عطاءهم للسائل
والضاربين الكبش يبرق بيضه * ضرب المهند عن حياض الناهل
والعاطفين على المصاف خيولهم * والملحقين رماحهم بالقاتل
والمدركين عدوهم بذحولهم * والنازلين لضرب كل منازل
والقائلين معاخذوا اقرانكم * ان المنية من وراء الوائل
خزر عيونهم الى اعدائهم * يمشون مشى الاسد تحت الوابل
ليسوا بأنكاس ولا ميل اذا * ما الحرب شبت اشعلوا بالشاعل
لا يطمعون وهم على احسابهم * يشفون بالاحلام داء الجاهل
والقائلين فلا يعاب خطيبهم * يوم المقالة بالكلام الفاصل

وانما اثبتنا هذه الابيات وليس فيها ذكر الوقعة لجودتها وحسنها

(حرب حاطب)

ثم كانت الوقعة المعروفة بحاطب وهو حاطب بن قيس من بنى أمية بن زيد بن مالك بن عوف الاوسى وبينها وبين حرب سمير نحو مائة سنة وكان بينهما ايام ذكرنا المشهور منها وتركنا ما ليس بمشهور وحرب حاطب آخر وقعة كانت بينهم الا يوم بعاث حتى جاء الله بالاسلام

على الحصين بموت يزيد بن معاوية فارسل الى ابن الزبير يسأله الموادعة فأجابه الى ذلك وفتح الابواب واختلط العسكران يطوفان بالبيت ثم انصرف حصين بمن معه الى الشام (سئل) إلكيا الهراسى الفقيه الشافعى عن يزيد بن معاوية هل هو من الصحابة ام لا وهل يجوز لعنه ام لا (فاجاب) انه لم يكن من الصحابة لانه ولد فى ايام عثمان بن عفان رضى الله عنه وأما قول السلف ففيه لكل واحد من أبى حنيفة ومالك وأحمد قولان تصريح وتلويح ولنا قول واحد التصريح دون التلويح فكيف لا يكون كذلك وهو المتصيد بالفهد واللاعب بالنرد ومدمن الخمر ومن شعره فى الخمر

أقول لصحب ضمت الكاس شملهم
وداعى صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة
فكل وان طال المدى يتصرم

وكتب فصلا طويلا اضربنا عن ذكره ثم قلب الورقة وكتب ولو مددت ببياض لاطلقت العنان

برز واللقتال فعجل عن أخذ سلاحه الا السيف ثم خرج معهم فعظم مقامه يومئذ وابلى بلاء حسنا وجرح جراحة شديدة فمكث حينا يتداوى منها وامر ان يحمى عن الماء فذلك يقول عبد الله بن رواحة

رمينا لك أيام الفجار فلم تزل * حميا فمن يشرب فلست بشارب

(يوم معبس ومضرس)

ثم التقوا عند معبس ومضرس وهما جداران فكانت الخزرج وراء مضرس وكانت الاوس وراء معبس فأقاموا أياما يقتتلون قتالا شديدا ثم انهزمت الاوس حتى دخلت البيوت والآطام وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها ثم ان بني عمرو بن عوف وبني اوس مناة من الاوس وادعوا الخزرج فامتنع من الموادعة بنو عبد الاشهل وبنو ظفر وغيرهم من الاوس وقالوا لا نصالح حتى ندرك ثارنا من الخزرج فالحت الخزرج عليهم بالاذى والغارة حين وادعهم بنو عمرو بن عوف واوس مناة فعزمت الاوس الا من ذكرنا على الانتقال من المدينة فاغارت بنو سلمة على مال لبني عبد الاشهل يقال له الرعل فقاتلوهم عليه فجرح سعد بن معاذ الاشهلي جراحة شديدة واحتمله بنو سلمة الى عمرو بن الجموح الخزرجي فاجاره وأجار الرعل من الحريق وقطع الاشجار فلما كان يوم بعاث جازاه سعد على ما نذكره ان شاء الله ثم سارت الاوس الى مكة لتحالف قريشا على الخزرج واظهروا انهم يريدون العمرة وكانت عادتهم انه اذا أراد احدهم العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف النخل ففعلوا ذلك وساروا الى مكة فقدموها وحالفوا قريشا وأبو جهل غائب فلما قدم أنكر ذلك وقال لقريش اما سمعتم قول الاول ويل للاهل من النازل انهم لاهل عدد وجلد ولقلما نزل قوم على قوم الا اخرجوهم من بلادهم وغلبوهم عليه قالوا فما المخرج من حلفهم قال أنا أكفيكموهم ثم خرج حتى جاء الاوس فقال انكم حالفتم قومي وانا غائب فجئت لاحالفكم واذكر لكم من أمرنا ما تكونون بعده على رأس أمركم انا قوم تخرج اماؤنا الى أسواقنا ولا يزال الرجل منا يدرك الامة فيضرب عجيزتها فان طابت أنفسكم ان تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا حالفنا كم وان كرهتم ذلك فردوا الينا حلفنا فقالوا لا نقر بهذا وكانت الانصار بأسرها فيهم غيرة شديدة فردوا اليهم حلفهم وساروا الى بلادهم فقال حسان بن ثابت يفتخر بما أصاب قومه من الاوس

الا ابلغ ابا قيس رسولا * اذا القى له سمع مبين
فلست لحاضر ان لم تزركم * خلال الدار مسبلة طحون
يدين لها العزيز اذا رآها * ويسقط من مخافتها الجنين
تشيب الناهد العذراء منها * ويهرب من مخافتها القطين
يطوف بها من النجار أسد * كأسد الغيل مسكنها العرين
يظل الليث فيها مستكينا * له في كل ملتفت انين
كأن بهاءها للناظريها * من الاسلات والبيض اللجين

اول من يبدل سنى رجل من بنى امية يقال له يزيد مات يزيد في شهر ربيع الاول سنة اربع وستين بذات الجنب بحوران وحمل الى دمشق وصلى عليه اخوه خالد وقيل ابنه معاوية ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره الآن مزبلة وقد بلغ سبعا وثلاثين سنة وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة شهور

(الفصل الثالث في ذكر خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان)

وهو المعروف بمعاوية الاصغر بويع له بالخلافة يوم موت ابيه وكان شابا صالحا ذا عقل ودين وامه ام خالد بنت هشام بن عتبة القرشى تاقت الدنيا غرور وكان زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة فلما سرق الامر فاذا ليس يصلحه الا السيف فجمع الناس وخطبهم على منبر دمشق بعد ما حمد الله وأثنى عليه فقال معاشر الناس انى قد نظرت في أمركم وانى قد ضعفت عن القيام لكم والساخط على أكثر من الراضى وما كنت لاتحمل

دعوت قومي وسهلت الطريق لهم * الى المكان الذي أصحابه حلوا

جادت بأنفسها من مالك عصب * يوم اللقاء فما خافوا ولا فشلوا

وعاوروكم كؤس الموت اذ برزوا * شطر النهار وحتى ادبر الاصل

حتى استقاموا وقد طال المراس بهم * فكلهم من دماء القوم قد نهلوا

تكشف البيض عن قتلى أولي رحم * لولا المسالم والارحام ما نقلوا

تقول كل فتاة غاب قيمها * اكل من خلفنا من قومنا قتلوا

لقد قتلتم كريما ذا محافظة * قد كان خالفه القينات والحلل

جزل نوافله حلو شمائله * ريان واغله تشقى به الابل

الواغل الذي يدخل على القوم وهم يشربون فأجابه عبد الله بن رواحة الحارثي الخزرجي

لما رأيت بني عوف واخوتهم * كعبا وجمع بني النجار قد حفلوا (٣)

قدما أباحوا حماكم بالسيوف ولم * يفعل بكم احد مثل الذي فعلوا

وكان رئيس الاوس يومئذ في حرب حاطب ابو قيس بن الاسلت الوائلي فقام في حروبهم وهجر الراحة فشحب وتغير وجاء يوما الى امرأته فأنكرته حتى عرفته بكلامه فقالت له لقد أنكرتك حتى تكلمت فقال

قالت ولم تقصد لقيل الخنى * مهلا فقد أبلغت اسماعي

واستنكرت لونا له شاحبا * والحرب غول ذات أوجاع

من يذق الحرب يجد طعمها * مرا وتتركه بجعجاع

قد حصت البيضة رأسي فما * أطعم نوما غير تهجاع

أسعى على جل بني مالك * كل امرئ في شأنه ساعي

اعددت للاعداء موضونة * فضفاضة كالنهي بالقاع

أحفزها عني بذي رونق * مهند كاللمع قطاع

صدق حسام وادق حده * ومحنى اسمر قراع

وهي طويلة ثم ان أبا قيس بن الاسلت جمع الاوس وقال لهم ما كنت رئيس قوم قط الا هزموا فرئسوا عليكم من احببتم فرأسوا عليهم حضير الكتائب بن السماك الاشهلي وهو والد أسيد بن حضير وله صحبة وهو بدري فصار حضير يلي امورهم في حروبهم فالتقى الاوس والخزرج بمكان يقال له العرس فكان الظفر للاوس ثم تراسلوا في الصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى فمن كان عليه الفضل اعطى الدية فافضلت الاوس على الخزرج ثلاثة نفر فدفعت الخزرج ثلاثة غلمة منهم رهنا بالديات فغدرت الاوس فقتلت الغلمان

(حرب الفجار الاول للانصار)

وليس بفجار كنانة وقيس فلما قتلت الاوس الغلمان جمعت الخزرج وحشدوا والتقوا بالحدائق وعلى الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول وعلى الاوس ابو قيس بن الاسلت فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد بعضهم يفني بعضا وسمي ذلك اليوم يوم الفجار لغدرهم بالغلمان وهو الفجار الاول فكان قيس بن الخطيم في حائط له فانصرف فوافق قومه قد

يبرزوا

التوبة والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه فكيف من تاب عن قتل ولم يعرف ان قاتل الحسين رضي الله عنه مات قبل التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فاذا لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين ومن لعنه كان فاسقا عاصيا لله عز وجل ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصيا بالاجماع بل لو لم يلعن ابليس طول عمره لا يقال له في القيامة لم لم تلعن ابليس ويقال للاعن لم لعنت ومن أين عرفت انه ملعون والملعون هو المبعد من الله تعالى وذلك لا يعرف الا فيمن مات كافرا فان علم ذلك بالشرع وأما الترحم عليه فجائز بل يستحب بل داخل في قولنا اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فانه كان مؤمنا قال نوفل بن أبي الفرات كنت عند عمر ابن العزيز فذكر رجل يزيد فقال قال امير المؤمنين يزيد بن معاوية فقال تقول امير المؤمنين وامر به فضرب عشرين سوطا عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

وجدوا في حربهم ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا فلما سمعت بذلك الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حلفاءها من أشجع وجهينة وراسلت الاوس حلفاءها من مزينة ومكثوا أربعين يوما يتجهزون للحرب والتقوا ببعاث وهي من أعمال قريظة وعلى الاوس حضير الكتائب بن سماك والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي وتخلف عبد الله بن ابي ابن سلول فيمن تبعه عن الخزرج وتخلف بنو حارثة بن الحرث عن الاوس فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا وصبروا جميعا ثم ان الاوس وجدت مس السلاح فولوا منهزمين نحو العريض فلما رأى حضير هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح واعقراه كعقر الجمل والله لا أعود حتى أقتل فان شئتم يا معشر الاوس ان تسلموني فافعلوا فعطفوا عليه وقاتل عنه غلامان من بني عبد الاشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلا واقبل سهم لا يدري من رمى به فأصاب عمرو بن النعمان البياضي رئيس الخزرج فقتله * فبينا عبد الله بن ابي ابن سلول يتردد راكبا قريبا من بعاث يتجسس الاخبار اذ طلع عليه بعمرو بن النعمان قتيلا في عباءة يحمله أربعة رجال كما كان قال له فلما رآه قال ذق وبال البغي وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الاوس السلاح فصاح صائح يا معشر الاوس احسنوا ولا تهلكوا اخوانكم فجوارهم خير من جوار الثعالب فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم وانما سلبهم قريظة والنضير وحملت الاوس حضيرا مجروحا فمات واحرقت الاوس دور الخزرج ونخيلهم فاجار سعد بن معاذ الاشهلي اموال بني سلمة ونخيلهم ودورهم جزاء بما فعلوا له في الرعل وقد تقدم ذكره ونجى يومئذ الزبير بن اياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي اخذه فجز ناصيته واطلقه وهي اليد التي جازاه بها ثابت في الاسلام يوم بني قريظة وسنذكره وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الاوس والخزرج ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الاسلام وأهله وكفى الله المؤمنين القتال وأكثرت الانصار الاشعار في يوم بعاث فمن ذلك قول قيس بن الخطيم الظفري الاوسي

اتعرف رسما كاطراد المذاهب * لعمرة ركبا غير موقف راكب
ديار التي كانت ونحن على منى * تحل بنا لولا نجاء الركائب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ومنها

وكنت امرأ لا أبعث الحرب ظالما * فلما ابوا اشعلتها كل جانب
اذنت بدفع الحرب حتى رأيتها * عن الدفع لا تزداد غير تقارب
فلما رأيت الحرب حربا تجردت * لبست مع البردين ثوب المحارب
مضاعفة يغشى الانامل ريعها * كأن قتيرها عيون الجنادب
ترى قصد المران تلقى كأنها * تذرع خرصان بايدي الشواطب
وبالجي ما كاهنين ومالك * وثعلبة الاخيار رهط المصائب
رجال متى يدعوا الى الحرب يسرعوا * كمشي الجمال المشعلات المصاعب

المناهرة صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فلما كبر تكبيرتين مات قبل ان يقضي صلاته فصلى عليه مروان بن الحكم ودفن الوليد المذكور بجنب معاوية بن يزيد وكانت خلافته ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما وقتل مروان بن الحكم على قبره

الى أرى فتنة تغلي مراجلها
والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وظهر أبو أنيس الضحاك بن قيس الفهري ودعا الناس الى بيعته فخرج عليه مروان بن الحكم في بني أمية فقتله بمرج راهط

(الفصل الرابع في ذكر خلافة مروان بن الحكم)

ابن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بويع له بالخلافة بالجابية ثم دخل الشام فاذعن له أهلها بالطاعة ثم دخل مصر بعد حروب كثيرة فبايعه أهلها وكان يقال له الطريد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد طرده الى الطائف فرده عثمان

كأنهم من المآذي عليهم * جمال ضأن يجتلدون جون

فقد لاقاك قبل بعاث قتل * وبعد بعاث ذل مستكين

وهي طويلة أيضا

(يوم الفجار الثاني للأنصار)

كانت الاوس قد طلبت من قريظة والنضير ان يحالفوهم على الخزرج فبلغ ذلك الخزرج فارسلوا اليهم يؤذنونهم بالحرب فقالت اليهود انا لا نريد ذلك فاخذت الخزرج رهنهم على الوفاء وهم أربعون غلاما من قريظة والنضير ثم ان يزيد ابن فسحم شرب يوما فسكر فتغنى بشعر يذكر فيه ذلك

هلم الى الاحلاف اذ رق عظمهم * واذ أصلحوا مالا لجذمان ضائعا

اذا ما امرؤ منهم اساء عمارة * بعثنا عليهم من بني العير جادعا

فأما الصريخ منهم فتحملوا * وأما اليهود فاتخذنا بضائعا

أخذنا من الاولى اليهود عصابة * لغدرهم كانوا لدينا ودائعا

فذلوا الرهن عندنا في حبالنا * مصانعة يخشون منا القوارعا

وذلك انا حين نلقى عدونا * نصول بضرب يترك العز خاشعا

فبلغ قوله قريظة والنضير فغضبوا وقال كعب بن اسد نحن كما قال ان لم نغر فنحالف الاوس على الخزرج فلما سمعت الخزرج بذلك قتلوا كل من عندهم من الرهن من أولاد قريظة والنضير فاطلقوا نفرا منهم سليم بن أسد القرظي جد محمد بن كعب بن سليم واجتمعت الاوس وقريظة والنضير على حرب الخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا وسمي ذلك الفجار الثاني لقتل الغلمان من اليهود وقد قيل في قتل الغلمان غير هذا وهو ان عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي قال لقومه بني بياضة ان أباكم أنزلكم منزلة سوء والله لا يمس رأسي ماء حتى أنزلكم منازل قريظة والنضير أو أقتل رهنهم وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع فأرسل الى قريظة والنضير اما ان تخلوا بيننا وبين دياركم واما أن نقتل الرهن فهموا بأن يخرجوا من ديارهم فقال لهم كعب بن أسد القرظي يا قوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الغلمان ما هي الا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له مثل أحدهم فارسلوا اليهم انا لا ننتقل عن ديارنا فانظروا في رهننا فعوا لنا فعمد عمرو بن النعمان على رهنهم فقتلهم وخالفه عبد الله بن أبي ابن سلول فقال هذا بغي واثم ونهاه عن قتلهم وقتال قومه من الاوس وقال له كاني بك وقد حملت قتيلا في عباءة يحملك أربعة رجال فلم يقتل هو ومن أطاعه أحدا من الغلمان وأطلقوهم ومنهم سليم بن اسد جد محمد بن كعب وحالفت حينئذ قريظة والنضير الاوس على الخزرج وجرى بينهم قتال سمي ذلك اليوم يوم الفجار الثاني وهذا القول اشبه بأن يسمى اليوم فجارا وأما على القول الاول فانما قتلوا الرهن جزاء للغدر من اليهود فليس بفجار من الخزرج الا أن يسمى فجارا لغدر اليهود

(يوم بعاث)

ثم ان قريظة والنضير جددوا العهود مع الاوس على الموازرة والتناصر واستحكم أمرهم

آباءكم ولا يرى الى الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم وأقام بتبعاتكم فشأنكم أمركم فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولوه فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام وابتعدت اليه بنو أمية وقالوا له اعهد الى من تريد فقال ما أصبت من حلاوتها فلا أتحمل من مرارتها ودخلت عليه أمه فوجدته يبكي فقالت له ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك فقال وددت والله ذلك ثم قال ويلي ان لم يرحمني ربي ثم ان بني أمية قالوا لمعلمه عمر المقوص أنت علمته هذا وصددته عن الخلافة وحببته على ما وسمنا به من الظلم وحسنت له البدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال فقال والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حيا حتى مات قبل توفي معاوية بعد خلعه نفسه بأربعين ليلة وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة وصلى عليه أخوه عبد الرحمن ودفن خارج باب الجابية وفي

النصف بما عملنا فرغب بنو عامر في ذلك وساروا اليهم الارض فنزلت ثقيف الطائف
واقتسموا البلاد وعملوا الارض وزرعوها من الاعناب والثمار ووفوا بما شرطوا لبني
عامر حينا من الدهر وكان بنو عامر يمنعون ثقيفا ممن أرادهم من العرب فلما كثرت
ثقيف وشرفت حصنت بلادها وبنوا سورا على الطائف وحصنوه ومنعوا عامرا ما كانوا
يحملونه اليهم من نصف الثمار وأراد بنو عامر أخذه منهم فلم يقدروا عليه فقاتلوهم
فلم يظفروا وكانت ثقيف بطنين الاحلاف وبني مالك وكان للاحلاف في هذا أثر عظيم ولم
يزل تمتد بذلك على بني مالك فأقاموا كذلك ثم ان الاحلاف أثروا وكثرت خيلهم فحموا
لها حمى من ارض بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن يقال له ملذان فغضب من ذلك
بنو نصر وقاتلوهم عليه وطالت الحرب بينهم وكان رأس بني نصر عفيف بن عوف بن عباد
النصري ثم اليربوعي ورأس الاحلاف مسعود بن معتب فلما طالت الحرب بين بني نصر
والاحلاف اغتنم ذلك بنو مالك ورئيسهم جندب بن عوف بن الحرث بن مالك بن
حطيط بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الاحلاف فحالفوا بني يربوع على
الاحلاف فلما سمعت الاحلاف بذلك اجتمعوا وكان أول قتال كان بين الاحلاف وبين
بني مالك وحلفائهم من بني نصر يوم الطائف واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الاحلاف
واخرجوهم منه الى واد من وراء الطائف يقال له لحب (١) وقتل من بني مالك وبني
يربوع مقتلة عظيمة في شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له الاباث ثم اقتتلوا بعد ذلك أياما
مسميات منهن يوم غمر ذي كندة من نحو نخلة ومنهن يوم كروبا (٢) من نحو حلوان وصاح
عفيف ابن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة يزعمون ان سبعين حبلى منهم ألقت ما في
بطنها فاقتتلوا أشد قتال ثم افترقوا فسارت بنو مالك تبتغي الحلف من دوس وخثعم وغيرهما
على الاحلاف وخرجت الاحلاف الى المدينة تبتغي الحلف من الانصار على بني مالك فقدم
مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بني عمرو بن عوف من الاوس وكان أشرف
الانصار في زمانه فطلب منه الحلف فقال له أحيحة والله ما خرج رجل من قومه الى قوم
قط يحالف أو غيره الا أقر لأولئك القوم بشر مما أنف منه من قومه فقال له مسعود الى
أخولك وكان معه يقال فقال اخولك الذي تركته وراءك فارجع اليه وصالحه ولو بجدع
انفك واذنك فان احدا لن يبرك في قومك اذ خالفته فانصرف عنه وزوده بسلاح وزاد
واعطاه غلاما كان يبني الآطام يعني الحصون بالمدينة فبنى لمسعود بن معتب أطما فكان
اول اطم بني بالطائف ثم بنيت الآطام بعده بالطائف ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكر
وقالوا في حربهم شعرا كثيرا فمن ذلك قول عمير وهو ربيعة بن سفيان احد بني عوف بن
عقدة من الاحلاف

وما كنت ممن أرث الشر بينهم * ولكن مسعودا جناها وجندبا
قريعي ثقيف أنشبا الشر بينهم * فلم يك عنها منزع حين أنشبا
عناقا فمر وسا ابن عوف ومالك * شديدا لظاها ترك الطفل أشيبا
مضرمة شبا أشبا وقودها * بأيديهما ما أورياها وأثقبا

في محراب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اربع مرات فعبر ابن
سيرين وقال ان صدقت رؤياك
فسيقوم من أولادك أربعة في
المحراب ويقلدون الخلافة بعدك
فكان كذلك وهم الوليد وسليمان
وهشام ويزيد مات مروان مطعونا
وقيل وثبت عليه زوجته الكرية
شتتها فوضعت على وجهه مخدة
كبيرة وهو نائم وقعدت هي
وجواريها فوقها حتى مات وصلى
عليه ابنه وولي عهده عبد الملك
ودفن بدمشق خارج باب الجابية
وكان عمره يوم مات ثلاثا وستين
سنة وكانت مدة ولايته تسعة اشهر
وثمانية عشر يوما نقش خاتمه ثقتي
ورجائي الله قال الذهبي ان
مروان لا يعد في أمراء المؤمنين
بل هو باغ خارج على ابن الزبير
ولا عهده الى ابنه بصحيح وانما
صحت خلافة ابنه عبد الملك من
حين قتل ابن الزبير وكان داره في
باسمة تجر الذهب قبلي باب الخلف مرا

اذا ما فررنا كان أسوا فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب
صدود الخدود والقنا متشاجر * ولا تبرح الاقدام عند التضارب
ظأرناكم بالبيض حتى لانتم * اذل من السقبان بين الحلائب
يجردن بيضا كل يوم كريهة * ويرجعن حمرا جارحات المضارب
اقيتكم يوم الحدائق حاسرا * كأن يدي بالسيف مخراق لاعب
ويوم بعاث أسلمتنا سيوفنا * الى حسب في جذم غسان ثاقب
قتلناكم يوم الفجار وقبله * ويوم بعاث كان يوم التغالب
أتت عصب للاوس تخطر بالقنا * كمشي الاسود في رشاش الاهاضب

فأجابه عبد الله بن رواحة

اشاقتك ليلى في الخليط المجانب * نعم فرشاش الدمع في الصدر غالب
بكى اثر من شطت نواه ولم يقم * لحاجة محزون شكا الحب ناصب
لدن غدوة حتى اذا الشمس عارضت * أراحت له من لبه كل عازب
نحامي على احسابنا بتلادنا * لمفتقر أو سائل الحق واجب
واعمى هدته للسبيل سيوفنا * وخصم أقمنا بعد ما لج ثاقب
ومعترك ضنك يرى الموت وسطه * مشينا له مشي الجمال المصاعب
برجل ترى الماذي فوق جلودهم * وبيضا نقيا مثل لون الكواكب
وهم حسر لا في الدروع تخالهم * أسودا متى تنشا الرماح تضارب
معاقلهم في كل يوم كريهة * مع الصدق منسوب السيوف القواضب

وهي طويلة وليلى التي شبب بها ابن رواحة هي أخت قيس بن الخطيم وعمرة التي شبب بها ابن الخطيم هي اخت عبد الله بن رواحة وهي ام النعمان بن بشير الانصاري بعاث بضم الباء الموحدة وبالعين المهملة وقال صاحب كتاب العين وحده وهو بالغين المعجمة

(ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الاحلاف وبني مالك)

كانت أرض الطائف قديما لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر فلما كثر بنو عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد وكان بنو عامر يصيفون بالطائف ويشتون بأرضهم من نجد وكانت مساكن ثقيف حول الطائف وقد اختلف الناس فيهم فمنهم من جعلهم من اياد فقال ثقيف اسمه قسي بن نبت بن منبه بن منصور بن مقدم بن افصى بن دعمى بن اياد من معد ومنهم من جعلهم من هوازن فقال هو قيس بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس ابن عيلان فرأت ثقيف البلاد فاعجبهم نباتها وطيب ثمرها فقالوا لبني عامر ان هذه الارض لا تصلح للزرع وانما هي أرض ضرع ونراكم على ان آثرتم الماشية على الغراس ونحن اناس ليست لنا مواش فهل لكم ان تجمعوا الزرع والضرع بغير مؤنة تدفعون الينا بلادكم هذه فنثيرها ونغرسها ونحفر فيها الاطواء ولا نكلفكم مؤنة نحن نكفيكم المؤنة والعمل فاذا كان وقت ادراك الثمر كان لكم النصف كاملا وانا

رضي الله عنه حين ولي وكان كاتب السر له وبسببه جرى عليه ما جرى كما تقدم قريبا وقد كان نفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي وولي المدينة ونيابتها مرات وهو قاتل طلحة أحد العشرة رضي الله عنه وروى الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه قال كان لا يولد لاحد ولد الا أتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان ابن الحكم فقال هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون ثم روى الحاكم عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال ان الحكم بن أبي العاص استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال صلى الله عليه وسلم ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه الا المؤمن منهم وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق رأى مروان انه بال

أصابت براء من طوائف مالك * وعوف بما جرّاء ليها وأجلبا
بجمهورة جاؤا تخطوا أمامنا * إليهم وتدعو في اللقاء معتبا
وتدعو بني عوف بن عقدة في الوغى * وتدعو علاجا والحليف المطيبا
سبيعا وحساس بن رياب كأنما * وسعد إذا الداعي إلى الموت ثوبا
وقوما عنكروناه شتت معتب * بغارتها فكان يوما عصبصبا
فأسقط احبال النساء بصوته * عفيف إذا نادى بنصر فطربا

عفيف هذا بضم العين وفتح الفاء

※ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ※